عون الباري

لحل أدلة البخاري

للإمام العلامة

أبي الطيب صديق حسن على الحسيني القنوجي البخاري

شرح كتاب

التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح

الجزء الرابع

حقوق الطبع والنقل محفوظة للناشر

الناشر

دار الرشيد

حلب - سوريا

١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م

المطبعة العربية الحديثة
٨ شارع ٤٧ بالمنطقة الصناعية بالعباسية
تليفون : ٨٢٦٢٨٠ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب بدء الخلق

الحديث الأول

عَنْ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ : جَاءَ نَفَرٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : يَاَ بَنِي تَمِيمٍ أَبْشِرُوا ، فَقَالُوا : بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ ، فَجَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْيَمَنِ ٱقْبَلُوا الْبُشْرَى إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ . قالوا : قَبِلْنَا . فَأَخَذَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُحَدِّثُ بَدْءَ الخَلْقِ وَالْعَرْشِ ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَاعِمْرَانُ رَاحِلَتُكَ تَفَلَّتَتْ لَيْتَنِي لَمْ أَقُمْ .

---

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

* (كتاب بدء الخلق) *

بفتح أوله وبالهمز ، أى ابتداؤه . وفى القاموس : بدأ به كمنع **ابتدأ** . والشيء فعله ابتداء كابتدأه وأبدأه . والخلق بمعنى المخلوق . وقال العينى كالحافظ ابن حجر : وقع فى رواية النسفى : ذكر بدء الخلق بدل **كتاب بدء** الخلق .

(عن عمران بن حصين) بضم أوله (رضى الله عنه) أنه (قال : جاء نفر) عدة رجال من ثلاثة إلى عشرة سنة تسع (من بنى تميم) يعنى وفدهم (إلى النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم فقال : يا بنى تميم أبشروا) بما يقتضى دخول الجنة ، وذلك حيث عرفهم أصول العقائد التى هى المبدأ والمعاد وما بينهما ولما لم يكن جل اهتمامهم إلا بشأن الدنيا والاستعطاء (**قالوا** : بشرتنا) القائل ذلك منهم الأقرع بن حابس ، ذكره ابن الجوزى ، زاد القسطلانى : كان فيه بعض أخلاق البادية (فأعطنا) أى إنما جئنا للاستعطاء (فتغير وجهه) صلى الله عليه وآله وسلم ، إما للأسف عليهم كيف آثروا

الدنيا ، وإما لكونه لم يحضره ما يعطيهم ، فيتألفهم به أو لكل منهما (فجاءه أهل اليمن) وهم الأشعريون قوم أبو موسى . كذا قيـــل . قال فى الفتح : وقد أورد البخارى حديث عمران هذا وفيه ما يستأنس به لذلك ، ثم ظهر لى أن المراد بأهل اليمن هنا نافع بن يزيد الحميرى مع وفد له من أهل حمير ، وقد ذكرت مستند ذلك فى باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن ، وأن هذا هو السر فى عطف أهل اليمن على الأشعريين ، مع أن الأشعريين من جملة أهل اليمن ، لما كان زمان قدوم الطائفتين مختلفاً ، ولكل منهما قصة غير قصة الآخرين ، ولذا وقع العطف (فقال) صلى الله عليه وآله وسلم (يا أهل اليمن اقبلوا البشرى ، إذ لم يقبلها بنو تميم) وحكى عياض : اليسرى بالتحتانية والمهملة . قال : والصواب الأول (قالوا : قبلنا) ها (فأخذ) أى شرع (النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم يحدث بدء الخلق) أى بحديثه (و) حال (العرش) وكأنه ضمن يحدث معنى يذكر ، وكأنهم سألوا عن أحوال هذا العالم وهو الظاهر ، ويحتمل أن يكونوا سألوا عن أول جنس المخلوقات ، فعلى الأول يقتضي السياق أنه أخبر أن أول شيء خلق منه السموات والأرض ، وعلى الثانى يقتضى أن العرش والماء تقدم خلقهما قبل ذلك (فجاء رجل) لم يسم (فقال : يا عمران) يعنى ابن الحصين (راحلتك تفلتت) أى تشردت ، قال عمران (ليتنى لم أقم) من مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى لم يفتنى سماع كلامه . وهذا الحديث أخرجه البخارى أيضاً فى المغازى وبدء الخلق والتوحيد ، والنسائى فى التفسير ، والترمذى فى المناقب . وفيه منقبة لأهل اليمن ظاهرة .

الحديث الثاني

وَفي رِوَايَةٍ عَنْهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : كَانَ ٱللهُ وَلَمْ يَكنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ ، وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ ، وَكَتَبَ في ٱلذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ ، وَخَلَقَ السَّموات وَالْأَرْضَ ، فَنَادَى مُنَادٍ : ذَهَبَتْ نَاقَتُكَ يَا ٱبْنَ الحُصَيْنِ ، فَانْطَلَقْتُ فَإِذَا هِيَ يَقْطَعُ دُونَهَا السَّرَابُ ، فَوَٱللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ تَرَكْتُهَا .

(وفي رواية عنه) أي عن عمران ابن حصين (رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : كان الله) في الأزل منفرداً متوحداً (ولم يكن شيء غيره) وهذا مذهب الأخفش ، فإنه جوّز دخول الواو في خبر كان وأخواتها ، نحو : كان زيد وأبوه قائم ، على جعل الجملة خبراً مع الواو أو ولم يكن شيء غيره حال أي كان الله حال كونه لم يكن شيء غيره ، وأما ما وقع في بعض الكتب في هذا الحديث : كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان ، فقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : هذه زيادة ليست في شيء من كتب الحديث . قال في الفتح : وهو مسلم في قوله « وهو الآن » إلى آخره ، وأما لفظ « ولا شيء معه » فرواية الباب بلفظ « ولا شيء غيره » بمعناها . ووقع في ترجمة نافع بن يزيد الحميري : كان الله لا شيء غيره ، بغير واو . انتهى . وفي رواية للبخاري في التوحيد : ولم يكن شيء قبله . وفي رواية غير البخاري : ولم يكن شيء معه . والقصة متحدة ، فاقتضى ذلك أن الرواية وقعت بالمعنى ، ولعل راويها أخذها من قوله صلى الله عليه وآله وسلم في دعائه في صلاة الليل من حديث ابن عباس : « أنت الأول فليس قبلك شيء » لكن رواية الباب أصرح في العدم . وفيه دلالة على أنه لم يكن شيء غيره ، لا الماء ولا العرش ولا شيء غيرهما ، لأن كل ذلك غير الله تعالى ، ويكون قوله (وكان عرشه على الماء) معناه أنه خلق الماء سابقاً ثم خلق العرش على الماء . وقد وقع في قصة نافع بن يزيد الحميري بلفظ : كان عرشه على الماء ، ثم خلق القلم فقال : اكتب ما هو

كائن ، ثم خلق السموات والأرض وما فيهنّ » ، فصرح بترتيب المخلوقات بعد الماء والعرش . وقد استشكل بأن الجملة الأولى تدل على عدم من سواه ، والثانية على وجود العرش والماء ، فالثانية مناقضة للأولى . وأُجيب بأن الواو فى « وكان » بمعنى « ثم » فليس الثانية من تمام الأولى بل مستقلة بنفسها ، وكان فيهما بحسب مدخولها ، فنى الأولى بمعنى الكون الأزلى ، وفى الثانية بمعنى الحدوث بعد العدم . وعند الإمام أحمد عن أبى رزين لقيط بن عامر العقيلى أنه قال : « يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال : فى عماء ما فوقه هواء ، ثم خلق عرشه على الماء » ورواه الترمذى عن أحمد بن منيع وابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة ومحمد بن الصباح ثلاثتهم عن يزيد بن هارون ، وقال الترمذى : حسن ، ورواه أحمد عن يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة ولفظه : أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ، وباقيه سواء . وقد ذهب طائفة من أهل الكلام إلى أن العرش فلك مستدير من جميع جوانبه ، محيط بالعالم من كل جهة ، وربما سموه الفلك التاسع والفلك الأطلس . قال ابن كثير : وهذا ليس بجيد ، لأنه قد ثبت فى الشرع أن له قوائم تحمله الملائكة ، والفلك لا تكون له قوائم ولا يحمل ، وأيضاً أن العرش فى اللغة عبارة عن السرير الذى للملك ، وليس هو ذلك ، والقرآن إنما نزل بلغة العرب ، فهو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة ، وكالقبة على العالم ، وهو سقف المخلوقات . انتهى . وفى قوله : « وكان عرشه على الماء » إشارة إلى أنهما كانا مبدأ العالم لكونهما خلقا قبل كل شيء ، ولم يكن تحت العرش إذ ذاك إلا الماء . وفى حديث أبى رزين العقيلى مرفوعاً عند الإمام أحمد وصححه الترمذى : إن الماء خلق قبل العرش . وعن ابن عباس : كان الماء على متن الريح . وعند أحمد وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة قلت : يا رسول الله إنى إذا رأيتك طابت نفسى وقرّت عينى ، أنبئنى عن كل شيء . قال : كل شيء خلق من الماء . وهذا يدل على أن الماء أصل لجميع المخلوقات ومادتها ، وأن جميع المخلوقات خلقت منه . قال تعالى : « والله خلق كل دابة من ماء » . ومن قال : إن المراد بالماء النطفة فقد أبعد لوجهين : أحدهما : أن النطفة لا تسمى ماء مطلقاً بل مقيداً ، كقوله : « خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب » . والثانى : أن من

الحيوانات ما يتولد من غير نطفة ، كدود الخل والفاكهة ، فليس كل حيوان مخلوقاً من نطفة ، فدل القرآن على أن كل ما يدب وكل ما فيه حياة من الماء ، ولا ينافى هذا قوله : « والجان خلقناه من قبل من نار السموم » . وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « خلقت الملائكة من نور » فقد دل ما سبق أن أصل النور والنار الماء ، ولا يستنكر خلق النار من الماء ، فإن الله تعالى جمع بقدرته بين الماء والنار فى الشجر الأخضر . وذكر الطبائعيون أن الماء بانحداره يصير بخاراً والبخار ينقلب هواء والهواء ينقلب ناراً . قال الحافظ : وأما ما روى أحمد والترمذى وصححه من حديث عبادة بن الصامت مرفوعاً : أول ما خلق الله القلم ، ثم قال : اكتب ، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة ، فيجمع بينه وبين ما قبله بأن أولية القلم بالنسبة إلى ما عدا الماء والعرش أو بالنسبة إلى ما صدر من الكتابة ، أى أنه قيل له : اكتب أول ما خلق . وأما حديث « أول ما خلق الله العقل » فليس له طريق يثبت ، وعلى تقدير ثبوته فهذا التقدير الأخير هو تأويله ، والله أعلم . وللعلماء قولان فى أيهما خلق أولا : العرش أو القلم ؟ قال أبو العلاء الهمدانى : والأكثر على سبق خلق العرش . واختار ابن جرير ومن تبعه الثانى . وروى ابن أبى حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة خمسمائة عام ، فقال للقلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش : اكتب ، فقال : وما أكتب ؟ قال : علمى فى خلقى إلى يوم القيامة » ذكره فى تفسير سبحان ، وليس فيه سبق خلق القلم على العرش ، بل فيه سبق العرش . وأخرج البيهقى فى الأسماء والصفات من طريق الأعمش عن أبى ظبيان عن ابن عباس قال : أول ما خلق الله القلم فقال : اكتب ، فقال : يا رب وما أكتب ؟ قال : اكتب القدر ، فجرى بما هو كائن من ذلك اليوم إلى قيام الساعة . وروى سعيد بن منصور عن أبى عوانة عن أبى بشر عن مجاهد قال : بدىء خلق العرش والماء والهواء وخلقت الأرض من الماء ، والجمع بين هذه الآثار واضح . انتهى (وكتب) أى قدر (فى) محل (الذكر) وهو اللوح المحفوظ (كل شىء) من الكائنات (وخلق السموات والأرض) هكذا جاءت هذه الأمور الثلاثة معطوفة بالواو . ووقع فى الرواية التى فى التوحيد « ثم خلق » ولم يقع بلفظ « ثم » إلا فى ذكر خلق السموات والأرض .

وقد روى مسلم من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً : إن الله قدّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء . وهذا الحديث يؤيد رواية من روى : « ثم خلق السموات والأرض » باللفظ الدال على الترتيب . وفى الحديث جواز السؤال عن مبدإ الأشياء والبحث عن ذلك ، وجواز جواب العالم بما يستحضره من ذلك ، وعليه الكف إن خشى على السائل ما يدخل على معتقده . وفيه أن جنس الزمان ونوعه حادث ، وأن الله أوجد هذه المخلوقات بعد أن لم تكن ، لا عن عجز عن ذلك بل مع القدرة . واستنبط بعضهم من سؤال الأشعريين عن هذه القصة أن الكلام فى أصول الدين وحدوث العالم مستمران فى ذريتهم حتى ظهر ذلك منهم فى أبى الحسن الأشعرى . أشار إلى ذلك ابن عساكر (فنادى مناد) وفى الرواية الأخرى : فجاء رجل فقال : يا عمران . قال فى الفتح : لم أقف على اسمه فى شىء من الروايات (ذهبت ناقتك يا ابن الحصين) أى انفلتت (فانطلقت) خلفها (فإذا هى يقطع دونها السراب) الذى تراه نصف النهار فى الفلاة كأنه ماء . والمعنى : فإذا هى يحول بينى وبين رؤيتها السراب (فوالله لوددت) بكسر الدال الأولى (أنى كنت تركتها) وفى التوحيد : إنها ذهبت ولم أقم لأنه قام قبل أن يكمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثه فى ظنه ، فتأسف على ما فاته من ذلك . وفيه ما كان عليه من الحرص على تحصيل العلم . قال فى الفتح : وقد كنت كثير التطلب لتحصيل ما ظنّ عمران أنه فاته من هذه القصة إلى أن وقفت على قصة نافع ابن يزيد الحميرى ، فقوى فى ظنى أنه لم يفته شىء من هذه القصة بخصوصها لخلو قصة نافع بن يزيد عن قدر زائد على حديث عمران ، إلا أن فى آخره بعد قوله : وما فيهنّ : واستوى على عرشه . . . الحديث .

الحديث الثالث

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم : قالَ ٱللَّهُ تَعَالَى : يَشْتِمُنِى ٱبْنُ آدَمَ وَما يَنْبَغِى لَهُ أَنْ يَشْتِمَنِى ، وَيُكَذِّبُنِى وَما يَنْبَغِى لَهُ ، أَمَّا شَتْمُهُ فَقَوْلُهُ : إِنَّ لِى وَلَداً ، وَأَمَّا تَكْذِيبُهُ فَقَوْلُهُ : لَيْسَ يُعِيدُنى كَمَا بَدَأَنى .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : قال الله تعالى) عز وجل (شتمنى) بلفظ الماضى ، ولابن عساكر بلفظ المضارع (ابن آدم) والشتم : الوصف بما يقتضى النقص (وما ينبغى له أن يشتمنى ، ويكذبنى وما ينبغى له) أن يكذبنى (أما شتمه فقوله : إن لى ولداً) لاستلزامه الإمكان المتداعى للحدوث ، وذلك غاية النقص فى حق البارى ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً (وأما تكذيبه فقوله : ليس يعيدنى كما بدأنى) وهذا قول منكرى البعث من عباد الأوثان ، وهو موضع الترجمة ، وهو من الأحاديث الإلهيات .

الحـديث الـرابع

وَعَنْهُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم : لَمَّا قَضَى ٱللَّهُ الخَلْقَ كَتَبَ فى كِتَابِهِ ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ : أَنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي .

(وعنه) أى عن أبى هريرة (رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : لما قضى الله الخلق) أى خلقه كقوله تعالى : « فقضاهن سبع سموات » أو أوجد جنسه . قال ابن عرفة : قضاء الشيء : إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه . ولفظ الفتح : وقضى ، يطلق بمعنى حكم وأتقن وفرغ وأمضى (كتب) أى أمر القلم أن يكتب (فى كتابه) أى فى اللوح المحفوظ ، وقد تقدم فى حديث عبادة قريباً ، فقال للقلم : اكتب ، فجرى بما هو كائن ، ويحتمل أن يكون المراد بالكتاب اللفظ الذى قضاه ، وهو كقوله تعالى : « كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلى » (فهو عنده فوق العرش) قيل : معناه دون العرش ، وهو كقوله تعالى : « بعوضة فما فوقها » والحامل على هذا التأويل استبعاد أن يكون شيء من المخلوقات فوق العرش ، ولا محذور فى إجراء ذلك على ظاهره ، لأن العرش خلق من خلق الله ، ويحتمل أن يكون المراد بقوله « فهو عنده » أى ذكره أو علمه ، فلا تكون العندية مكانية ، بل هى إشارة إلى كمال كونه مخفياً عن الخلق ، مرفوعاً عن حيز إدراكهم ، وحكى الكرمانى أن بعضهم زعم أن لفظ « فوق » زائد ، كقوله : « فإن كنّ نساء فوق اثنتين » والمراد اثنتان فصاعداً . ولم يتعقبه ، وهو متعقب ، لأن محل دعوى الزيادة ما إذا بقى الكلام مستقيماً مع حذفها كما فى الآية ، وأما فى الحديث فإنه يبقى مع الحذف « فهو عنده العرش » وذلك غير مستقيم . قال القسطلانى : ولا تعلق لهذا بما يقع فى النفوس من تصوّر المكانية ، تعالى الله عن صفات المحدثات ، فإنه المباين عن جميع خلقه ، المتسلط على كل شيء بقهره وقدرته (أن رحمتى) بفتح أن على أنها بدل من مفعول كتب ، وبكسرها على أنها حكاية مضمون الكتاب (غلبت) وفى

التوحيد : تغلب (غضبى) والمراد من الغضب لازمه ، وهو إرادة إيصال العذاب إلى من يقع عليه الغضب ، لأن السبق والغلبة باعتبار التعلق ، أى تعلق الرحمة غالب سابق على تعلق الغضب ، لأن الرحمة مقتضى ذاته المقدسة ، وأما الغضب فإنه متوقف على سابقة عمل من العبد الحادث . وبهذا التقرير يندفع استشكال من أورد وقوع العذاب قبل الرحمة فى بعض المواطن ، كمن يدخل النار من الموحدين ثم يخرج بالشفاعة . وقيل : معنى الغلبة : الكثرة والشمول ، يقول : غلب على فلان الكرم ، أى أكثر أفعاله . وهذا كله بناء على أن الرحمة والغضب من صفات الذات . وقال بعض العلماء : الرحمة والغضب من صفات الفعل لا من صفات الذات . ولا مانع من تقديم بعض الأفعال على بعض، فتكون الإشارة بالرحمة إلى إسكان آدم الجنة أول ما خلق مثلا ، ومقابلها ما وقع من إخراجه منها . وعلى ذلك استوت أحوال الأمم بتقدم الرحمة فى حقهم بالتوسع عليهم من الرزق وغيره ثم يقع بهم العذاب على كفرهم . وأما ما أشكل من أمر من يعذب من الموحدين فالرحمة سابقة فى حقهم أيضاً ، ولولا وجودها لخلدوا أبداً . وقال الطيبى : فى سبق الرحمة إشارة إلى أن قسط الخلق منها أكثر من قسطهم من الغضب وأنها تنالهم من غير استحقاق ، وأن الغضب لا ينالهم إلا باستحقاق . ألا ترى أن الرحمة تشمل الإنسان جنيناً ورضيعاً وفطيماً وناشئاً من غير أن يصدر منه شىء من الطاعة ، ولا يلحقه الغضب إلا بعد أن يصدر عنه من المخالفات ما يستحق معه ذلك . كذا فى الفتح . ونسبه فى القسطلانى إلى التوربشتى وزاد . وقال فى المصابيح : الغضب إرادة العقاب ، والرحمة إرادة الثواب ، والصفات لا توصف بالغلبة ولا يسبق بعضها بعضاً ، لكن جاء هذا على الاستعارة ، ولا يمتنع أن تجعل الرحمة والغضب من صفات الفعل إلا الذات ، فالرحمة هى الثواب والإحسان ، والغضب هو الانتقام ، فتكون الغلبة على بابها ، أى إن رحمتى أكثر من غضبى ، فتأمله . وقال الطيبى : وهو على وزان قوله تعالى: « كتب على نفسه الرحمة » أى أوجب ووعد أن يرحمهم قطعاً ، بخلاف ما يترتب عليه مقتضى الغضب والعقاب ، فإن الله تعالى كريم يتجاوز عنه بفضله ، وأنشد :

وإنى إذا أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادى ومنجز موعدى

وفى هذا الحديث تقدم خلق العرش على القلم الذى كتب المقادير ، وهو مذهب الجمهور ، ويؤيده قول أهل اليمن فى الحديث الثانى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : جئنا نسألك عن هذا الأمر ، فقال : كان الله ولم يكن شىء غيره وكان عرشه على الماء . وروى الطبرانى من حديث ابن عباس مرفوعاً فى صفة اللوح أثراً طويلا ذكره القسطلانى لم أقف على سنده . وحديث الباب أخرجه مسلم فى التوبة ، والنسائى فى النعوت .

الحديث الخامس

عَنْ أَبِى بَكْرَةَ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : الزَّمانُ قَدِ ٱسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، السَّنَةُ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْراً ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ثَلَاثٌ مِنْهَا مُتَوَالِيَاتٌ : ذُو الْقِعْدَةِ وَذُو ٱلْحِجَّةِ وَالمُحَرَّمُ ، وَرَجَبُ مُضَرَ الذِى بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ .

(عن أبى بكرة) نفيع بن الحارث الثقفى (رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : الزمان قد استدار) قال التوربشتى الزمان اسم لقليل الوقت وكثيره ، وأراد به ها هنا السنة ، ومعنى استدار : عاد إلى زمنه المخصوص (كهيئته) الهيئة : صورة الشيء وشكله وحالته (يوم خلق الله السموات والأرض) ولابن عساكر : والأرضين بالجمع (السنة اثنا عشر شهراً) جملة مستأنفة مبينة للجملة الأولى ، وأراد أن الزمان فى انقسامه إلى الأعوام والأشهر عاد إلى أصل الحساب والوضع الذى ابتدأ منه ، وذلك أن العرب كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه شهراً آخر ، حتى رفضوا خصوص الأشهر ، واعتبروا مجرد العدد وهى النسيء المذكور فى قوله تعالى : « إنما النسيء » أى تأخير حرمة الشهر إلى آخر زيادة فى الكفر ، لأنه تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرمه ، فهو كفر آخر ضموه إلى كفرهم ، قيل : أول من أحدث ذلك جنادة بن عوف الكنانى ، كان يقوم على جمل فى الموسم فينادى : إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم ينادى فى القابل : إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحلل فحرموه ، يفعل ذلك كل سنة بعد سنة ، فينتقل المحرم من شهر إلى شهر حتى جعلوه فى جميع شهور السنة ، فلما كانت تلك السنة عاد إلى زمنه المخصوص به قبل ، ودارت السنة كهيئتها الأولى ، فاقتضى الدور أن يكون الحج فى ذى الحجة كما شرعه الله تعالى . وقول الزمخشرى : وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة ، وكانت حجة أبى بكر قبلها فى ذى القعدة . قاله مجاهد ، فيه نظر ، إذ كيف تصح حجة أبى بكر ،وقد وقعت فى ذى القعدة ،وأنى هذا وقد قال تعالى : « وأذان من

الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر » الآية ، وإنما نودى بذلك فى حجة أبى بكر ، فلو لم يكن فى ذى الحجة لما قال الله تعالى: « يوم الحج الأكبر » . قاله الحافظ ابن كثير . ونقل الحافظ ابن حجر أن يوسف بن عبد الملك زعم فى كتابه « تفصيل الأزمنة » أن هذه المقالة صدرت من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى شهرمارس ، وهو آدار بالرومية ، وهو برمهات بالقبطية (منهـــا) أى من السنة (أربعة حرم : ثلاثة متواليات) هى (ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر) إضافة إلى مضر ، لأنها كانت تحافظ على تحريمه أشدّ من محافظة سائر العرب ، ولم يكن يستحله أحد من العرب (الذى بين جمادى وشعبان) ذكره تأكيداً وإزاحة للريب الحادث فيه من النسيء ، وقيل الأشبه أنه تأسيس ، وذلك أنهم كما مر كانوا يؤخرون الشهر من موضعه إلى شهر آخر فينقل عن وقته الحقيقى ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : رجب مضر الذى بين جمادى وشعبان لا رجب الذى هو عندكم وقد أنسأتموه . قيل : والحكمة فى جعل المحرم أول السنة ليحصل الابتداء بشهر حرام ، والختم بشهر حرام ، والتوسط بشهر حرام وهو رجب ، وأما توالى شهرين فى الآخر لإرادة تعضيد الختام ، والأعمال بخواتيمها . وأما مطابقة الحديث الترجمة فقال العينى : تتأتى بالتعسف ، لأن الأحاديث المذكورة فيها التصريح بسبع أرضين ، وهنا المذكور لفظ الأرض فقط ، ولكن المرْاد منه سبع أرضين أيضاً . انتهى . قال القسطلانى : ولا تعسف فقد سبق أن رواية ابن عساكر فى هذا الحديث هنا : والأرضين بالجمع . قال الحافظ ابن كثير : ومراد البخارى بذكر هذا الحديث هنا تقرير معنى قوله تعالى : « الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهنّ » أى فى العدد كما أن عدة الشهور الآن اثنا عشر شهراً مطابقة لعدة الشهور عند الله فى كتابه الأول ، فهذه مطابقة فى الزمان ، كما أن تلك مطابقة فى المكان . انتهى . وعن عمرو بن مرة عن أبى الضحى عن ابن عباس فى الآية قال : فى كل أرض مثل إبراهيم ونحو ما على الأرض من الخلق . هكذا أخرجه ابن جرير مختصراً وإسناده صحيح . وأخرجه الحاكم فى المستدرك ، والبيهقى من طريق عبيد بن غنام النخعى عن علىّ بن حكيم عن شريك عن عطاء بن السائب عن أبى الضحى عن ابن عباس مطولا ، وأوله سبع أرضين ، فى كل أرض

آدم كآدمكم ، ونوح كنوحكم ، وإبراهيم كإبراهيمكم ، وعيسى كعيساكم ، ونبي كنبيكم . قال البيهقى : إسناده صحيح إلا أنه شاذ بمرة لا أعلم لأبى الضحى عليه متابعاً . انتهى . قال السيوطى : لم أزل أتعجب من تصحيح الحاكم لهذا الحديث حتى رأيت البيهقى قال : وإسناده صحيح ولكنه شاذ بمرة . انتهى . قال الحافظ ابن حجر : وقولهم بمرة : أى قولا واحداً لا تردد فيه . انتهى . قال القسطلانى : ففيه أنه لا يلزم من صحة الإسناد صحة المتن كما هو معروف عند أهل هذا الشأن ، فقد يصح الإسناد ويكون فى المتن شذوذ أو علة تقدح فى صحته ، ومثل هذا لا يثبت بالحديث الضعيف . انتهى . وأقول : لا يخفى أن مدار ، إسناد هذا الحديث على شريك ، وهوممن روى عن عطاء ابن السائب بعد الاختلاط كما يعلم من كلام النووى والحافظ ابن حجر ، قال النووى فى شرح مسلم : أما عطاء بن السائب فيكنى أبا السائب ،ويقال أبويزيد، ويقال أبو محمد ، ويقال أبو زيد الثقفى الكوفى التابعى ، وهو ثقة ، لكنه اختلط فى آخر عمره ، قال أئمة هذا الفن : اختلط فى آخر عمره ، فمن سمع منه قديماً فهو صحيح السماع ، ومن سمع منه متأخراً فهو مضطرب الحديث فمن السامعين أولا : سفيان الثورى وشعبة ، ومن السامعين آخراً : جرير وخالد بن عبد الله وإسماعيل وعلىّ بن عاصم . هكذا قال أحمد بن حنبل ، وقال يحيى بن معين : جميع من روى عن عطاء روى عنه فى الاختلاط إلا شعبة وسفيان . وفى رواية عن يحيى قال : وسمع أبو عوانة من عطاء فى الصحة والاختلاط جميعاً فلا يحتج بحديثه . انتهى . وقال الحافظ ابن حجر فى مقدمة فتح البارى : عطاء بن السائب بن مالك الثقفى الكوفى وقيل : اسم جده يزيد من مشاهير الرواة الثقات إلا أنه اختلط فضعفوه بسبب ذلك . وتحصل لى من مجموع كلام الأئمة أن رواية شعبة وسفيان الثورى وزهير بن معاوية وزائدة وأيوب وحماد بن زيد قبل الاختلاط ، وأن جميع من روى عنه غير هؤلاء فحديثه ضعيف ، لأنه بعد اختلاطه . انتهى المقصود . فقول الحافظ ابن حجر : جميع من روى عنه غير هؤلاء نص صريح فى سماع شريك منه بعد الاختلاط ، لأن الاستثناء معيار العموم . وقال فى البداية : وهذا محمول إن صح نقله على أن ابن عباس أخذه من الإسرائيليات . انتهى. وأقول : هذا أقوى الأقوال وأرجحها فى النظر الصحيح ، والذى تحمل

المشاق فى إثبات هذا الموقوف الذى ليس بحجة فقد أبعد النجعة ، وذهب كل مذهب ردئ ، ولبس على كل غبيّ . والخوض فى أمثال هذه المسائل وإضاعة الوقت العزيز فى إثباتها من الفضول الذى لا يعنى ، وقد صان الله سبحانه وتعالى علماء الحديث والكتاب من الكلام على هذه الخزعبلات ، وابتلى به من ليس يحسن العلم ، وإنما فخاره بالفقه الرسمى والعقل الكليل . هذا وقد ذكر القسطلانى فى حديث الباب فائدة وهى أن السنة مشتملة على ثلثمائة وأربعة وخمسين يوماً وخمس يوم وسدس يوم .كذا ذكره صاحب المهذب من الشافعية فى الطلاق ، قالوا : لأن شهراً منها ثلاثون وشهراً تسعة وعشرون إلا ذا الحجة فإنه تسعة وعشرون يوماً وخمس يوم وسدس يوم . واستشكله بعضهم وقال : لا أدرى ما وجه زيادة الخمس والسدس . وصحح بعضهم أن السنة الهلالية ثلثمائة وخمسة وخمسون يوماً . وبه جزم ابن دحية فى كتاب التنوير وذلك مقدار قطع البروج الاثنى عشر التى ذكرها الله تعالى فى كتابه ، وسمى العام عاماً لأن الشمس عامت فيه حتى قطعت جملة الفلك ، لأنها تقطع الفلك كله فى السنة مرة ، وتقطع فى كل شهر برجاً من البروج الإثنى عشر ، قال تعالى : « وكل فى فلك يسبحون » . وفرق بعضهم بين السنة والعام بأن العام من أول المحرم إلى آخر ذى الحجة ، والسنة من كل يوم إلى مثله من القابلة . نقله ابن الخباز فى شرح اللمع له . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى حجة الوداع آخر المغازى .

الحديث السادس

عَنْ أَبِى ذَرٍّ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ لِى النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم : حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ تَدْرِى أَيْنَ تَذْهَبُ ؟ قُلْتُ : ٱللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قالَ : فَإِنَّهَا تَذهَبَ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ فَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا ، وَتَسْتَأْذِنَ فَلا يُؤْذَنُ لَهَا ، يَقَالُ لَهَا ارْجِعِى مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، فَذلِكَ قَوْلُهُ تَعَالى : « وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ » .

(عن أبى ذر) جندب بن جنادة (رضى الله عنه قال : قال لى النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم حين غربت الشمس : تدرى أين تذهب) هذه (قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش) منقادة لله تعالى انقياد الساجد من المكلفين ، أو تشبيهاً لها بالساجد عند غروبها . قال ابن الجوزى : ربما أشكل هذا الحديث على بعض الناس من حيث أنا نراها تغيب فى الأرض ، وفى القرآن العظيم أنها تغيب فى عين حمئة ، أى ذلك حمأة ، أى طين ، فأين هى من العرش . والجواب : إن الأرضين السبع فى ضرب المثال كقطب رحى والعرش العظيم ذاته بمثابة الرحى ، فأينما سجدت الشمس سجدت تحت العرش وذلك مستقرها . وقال ابن العربى : أنكر قوم سجودها وهو صحيح ممكن لا يحيله العقل . وتأوله قوم على التسخير الدائم ، ولا مانع أن تخرج عن مجراها فتسجد ثم ترجع . انتهى . وتعقبه فى الفتح بأنه إن أراد بالخروج الوقوف فواضح وإلا فلا دليل على الخروج . قال : ويحتمل أن يكون المراد بالسجود سجود من هو موكل بها من الملائكة أو تسجد بصورة الحال ، فيكون عبارة عن زيادة فى الانقياد والخضوع فى ذلك الحين . انتهى . قال ابن كثير : وقد حكى ابن حزم وابن المناوى وغير واحد من العلماء ، الإجماع على أن السموات كرية مستديرة . واستدل لذلك بقوله : « فى فلك يسبحون » . قال الحسن : يدورون . وقال ابن عباس : فى فلكة مثل فلكة المغزل . ولا تعارض بين هذا وبين الحديث ،

وليس فيه أن الشمس تصعد إلى فوق السماوات حتى تسجد تحت العرش ، بل هى تغرب عن أعيننا وهى مستمرة فى فلكها الذى هى فيه ، وهو الرابع فيما قاله غير واحد من علماء التسيير ، وليس فى الشرع ما ينفيه بل فى الحس وهو الكسوفات ما يدل عليه ويقتضيه ، فإذا ذهبت فيه حتى تتوسطه وهو وقت نصف الليل مثلا فى اعتدال الزمان فإنها تكون أبعد ما يكون تحت العرش ، لأنها تغيب من جهة وجه العالم ، وهذا محل سجودها كما يناسبها ، كما أنها أقرب ما يكون من العرش وقت الزوال من جهتنا ، فإذا كانت فى محل سجودها (فتستأذن) أى فى الطلوع من المشرق على عادتها (فيؤذن لها) فتبدو من جهة المشرق ، وهى مع ذلك كارهة لعصاة بنى آدم أن تطلع عليهم ، وهو يدل على أنها تعقل كسجودها (ويوشك) بكسر المعجمة ، أى ويقرب (أن تسجد فلا يقبل منها) أى لا يؤذن لها أن تسجد (وتستأذن) فى المسير إلى مطلعها (فلا يؤذن لها ، يقال لها : ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك) أى قوله « فإنها تذهب » إلى آخره (قوله تعالى : والشمس تجرى لمستقر لها) لحد معين ينتهى إليه دورها ، فشبه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره ، أو لكبد السماء فإن حركتها فيه يوجد فيها إبطاء يظن أن لها هناك وقفة . وقال ابن عباس : لا تبلغ مستقرها حتى ترجع إلى منازلها ، وقيل : إلى انتهاء أمرها عند خراب العالم ، وقيل : لحد لها من مسيرها كل يوم فى مرأى عيوننا وهو المغرب ، وقيل : لمنتهى أمرها لكل يوم من المشارق والمغارب ، فإن لها فى دورها ثلثمائة وستين مشرقاً ومغرباً ، تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود إليهما إلى العام القابل (ذلك) الجرى على هذا التقدير والحساب الدقيق الذى يكل الفطن عن إحصائه (تقدير العزيز) الغالب بقدرته على كل مقدور (العليم) المحيط علمه بكل معلوم . وظاهر هذا أنها تجرى فى كل يوم وليلة بنفسها ، كقوله تعالى فى الآية الأخرى : « وكل فى فلك يسبحون » أى يدورون ، وهو مغاير لقول أصحاب الهيئة إن الشمس مرصعة فى الفلك ، إذ مقتضاه أن الذى يسير هو الفلك ، وهذا منهم على طريق الحسد والتخمين ، فلا عبرة به . وهذا الحديث أخرجه البخارى أيضاً فى التفسير والتوحيد ، ومسلم فى الإيمان ، وأبو داود فى الحروب ، والترمذى فى الفتن والتفسير ، والنسائى فى التفسير .

الحديث السابع

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُكَوَّرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : الشمس والقمر مكوّران) بتشديد الواو المفتوحة ، أى مطويان ذاهبا الضوء . وزاد البزار وابن أبى شيبة فى مصنفه والإسماعيلى فى مستخرجه : فى النار (يوم القيامة) لأنهما عبدا من دون الله ، وليس المراد من تكويرهما فيها تعذيبهما بذلك ، لكنه زيادة تبكيت لمن كان يعبدهما فى الدنيا ليعلموا أن عبادتهم لهما كانت باطلة . قاله الخطابى. وقيل : إنهما خلقا من النار فأعيدا فيها . وقال الإسماعيلى : لا يلزم من جعلهما فى النار تعذيبهما ، فإن لله فى النار ملائكة وحجارة وغيرهما لتكون لأهل النار عذاباً وآلة من آلات العذاب ، وما شاء الله من ذلك فلا تكون هى معذبة . وقال أبو موسى المدينى : إن كل من عبد من دون الله إلا من سبقت له الحسنى يكون فى النار ، فكانا فى النار يعذب بهما أهلها بحيث لا يبرحان منها ، فصارا كأنهما زمنان عقيران .

الحديث الثامن

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا قالَتْ : كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا رَأَى مَخِيلَةً فى السَّماءِ أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ وَدَخَلَ وَخَرَجَ وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ ، فَإِذَا أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ سُرِّيَ عَنْهُ ، قالَتْ : فَعَرَّفْتُهُ ذلِكَ ، فَقَالَ : وَما أَدْرِى لَعَلَّهُ كَمَا قَالَ قَوْمٌ : « فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ » الآية .

(عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم إذا رأى مخيلة فى السماء) بفتح الميم وكسر المعجمة ، أى سحابة يخال فيها المطر (أقبل وأدبر ودخل وخرج وتغير وجهه) خوفاً أن يحصل من تلك السحابة ما فيه ضرر بالناس (فإذا أمطرت السماء) فيه ردّ على من زعم أنه لا يقال أمطرت إلا فى العذاب ، وأما الرحمة فيقال مطرت (سرى) أى كشف (عنه) الخوف وأزيل (فعرّفته) بتشديد الراء من التعريف ، أى عرفت النبى صلى الله عليه وآله وسلم (عائشة ذلك) الذى عرض له (فقال النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم : وما أدرى لعله كما قال قوم) هم عاد (فلما رأوه عارضاً) سحاباً عرض فى أُفق السماء (مستقبل أوديتهم) متوجه أوديتهم (الآية) وهذا الحديث أخرجه الترمذى فى التفسير ، وكذا النسائى ، وفيه التذكر بما يذهل المرء عنه مما وقع للأمم الخالية والتحذير من السير فى سبيلهم خشية من وقوع مثل ما أصابهم . وفيه شفقة النبى صلى الله عليه وآله وسلم على أمته ورأفته بهم كما وصفه الله تعالى ، يقال : خشى على من ليس هو فيهم أن يقع بهم العذاب ، أما المؤمن فشفقته عليه لإيمانه ، وأما الكافر فلرجاء إسلامه ، وهو بعث رحمة للعالمين .

الحديث التاسع

عَنْ عَبْدِ ٱللهِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : حَدَّثَنا رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم وَهْوَ الصّادِقُ المَصْدُوقُ ، قالَ : إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فى بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذلِكَ ، ثُمَّ يَبْعَثُ ٱللهُ مَلَكاً وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُقَالُ لَهُ ٱكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى ما يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلاَّ ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، وَيَعْمَلُ حَتَّى ما يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلاَّ ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ .

(عن عبد الله) بن مسعود (رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم وهو الصادق) فى قوله (المصدوق) فيما وعده به ربه تعالى : قال فى شرح المشكاة : الأولى أن تجعل الجملة اعتراضية لا حالية لتعم الأحوال كلها وأن يكون من عادته ودأبه ذلك ، فما أحسن موقعها (قال : إن أحدكم يجمع) بضم الياء وسكون الجيم وفتح الميم مبنياً للمفعول (خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً) أى يضم بعضه إلى بعض بعد الانتشار ، يتخمر فيها حتى يتهيأ للخلق . وفى قوله « خلقه » تعبير بالمصدر عن الجثة ، وحمل على أنه بمعنى المفعول ، كقولهم : هذا ضرب الأمير ، أى مضروبه . قال الخطابى : روى عن ابن مسعود فى تفسيره أن النطفة إذا وقعت فى الرحم فأراد الله أن يخلق منها بشراً طارت فى بشرة المرأة تحت كل ظفر وشعر ثم تمكث أربعين ليلة ثم تنزل دماً فى الرحم فذلك جمعها . وهذا رواه ابن أبى حاتم فى تفسيره وقد رجح الطيبى هذا التفسير فقال : والصحابة أعلم الناس بتفسير ما سمعوه ، وأحقهم بتأويله ، وأولاهم بالصدق فيما يتحدثون به ، وأكثرهم احتياطاً للتوقى عن خلافه ، فليس لمن بعدهم أن يرد عليهم . قال فى الفتح : وقد وقع فى حديث مالك بن الحويرث رفعه وظاهره يخالف ذلك ولفظه :

إذا أراد الله خلق عبد جامع الرجل المرأة طار ماؤه فى كل عرق وعضو منها ، فإذا كان يوم السابع جمعه الله ثم أحضره كل عرق له دون آدم : « فى أى صورة ما شاء ركبك » (ثم يكون علقة) دماً غليظاً جامداً (مثل ذلك) الزمان (ثم يكون مضغة) قطعة لحم قدر ما يمضغ (مثل ذلك) الزمان . واختلف فى أول ما يتشكل من الجنين ، فقيل : قلبه ، لأنه الأساس ومعدن الحركات الغريزية . وقيل : الدماغ ، لأنه مجمع الحواس ومنه تنبعث . وقيل : الكبد ، لأن فيه النمو والاغتذاء الذى هو قوام البدن . ورجحه بعضهم بأنه مقتضى النظام الطبيعى ، لأن النمو هو المطلوب أولا ، ولا حاجة له حينئذ إلى حس وحركة إرادية ، وإنما يكون له قوة الحس والإرادة عند تعلق النفس به بتقديم الكبد ثم القلب ثم الدماغ (ثم يبعث الله ملكاً) إليه فى الطور الرابع حين يتكامل بنيانه وتتشكل أعضاؤه (فيؤمر) مبنياً للمفعول (بأربع كلمات) يكتبها كما قال (ويقال له اكتب عمله ورزقه) غذاءه حلالا أو حراماً ، قليلا أو كثيراً ، أو كل ما ساقه الله تعالى إليه ينتفع به كالعلم وغيره (وأجله) طويلا أو قصيراً (وشقى أو سعيد) حسبما اقتضته حكمته وسبقت كلمته . والظاهر أن الكتابة هى الكتابة المعهودة فى صحيفته ، وقد جاء ذلك مصرحاً به فى رواية لمسلم فى حديث حذيفة بن أُسيد : ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص . ووقع فى حديث أبى ذر عنده : فيقضى الله ما هو قاض فيكتب ما هو لاق بين عينيه (ثم) بعد كتابة الملك هذه الأربعة (ينفخ فيه الروح) بعد تمام صورته ، ثم إن حكمة تحول الإنسان فى بطن أُمه حالة بعد حالة ، مع أن الله تعالى قادر على أن يخلقه فى أقل من لحة ، أن فى التحويل فوائد : منها أنه لو خلقه دفعة واحدة لشق على الأم ، فجعله أولا نطفة لتعتاد بها مدة ثم علقة كذلك وهلم جرّا . ومنها إظهار قدرته تعالى حيث قلبه من تلك الأطوار إلى كونه إنساناً حسن الصورة متحلياً بالعقل . ومنها التنبيه والإرشاد على كمال قدرته على الحشر والنشر ، لأن من قدر على خلق الإنسان من ماء مهين ثم من علقة ثم من مضغة ، قادر على إعادته وحشره للحساب والجزاء . قاله المظهرى (فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون) وعن الأعمش : إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون (بينه وبين الجنة إلا ذراع) أى ما يبقى بينه وبين أن يصل إليها إلا كمن بقى بينه وبين موضع من الأرض

ذراع ، فهو تمثيل بقرب حاله من الموت ، وضابط ذلك بالغرغرة التى جعلت علامة لعدم قبول التوبة (فيسبق عليه كتابه) الذى كتبه الملك وهو فى بطن أمه ، والفاء للتعقيب الدال على حصول السبق بغير مهلة (فيعمل) عند ذلك (بعمل أهل النار) أى فيدخلها ، أعاذنا الله منها (ويعمل) أى بعمل أهل النار (حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة) أى فيدخلها ، وفيه أن مصير الأمور فى العاقبة إلى ما سبق به القضاء وجرى به القدر . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى التوحيد والقدر ، ومسلم فى القدر ، وكذا أبو داود والترمذى وابن ماجه . وفيه دلالة على وجود الملائكة ، خلافاً لمن أنكره من ملاحدة هذا الزمان ، قال جمهور أهل الكلام من المسلمين : الملائكة أجسام لطيفة أعطيت قدرة على التشكيل بأشكال مختلفة ، وكان الرسل يرونهم كذلك ومسكنها السماوات ، وأبطل من قال إنها الكواكب أو أنها الأنفس الخيرة التى فارقت أجسادها ، وغير ذلك من الأقوال التى لا يوجد فى الأدلة السمعية شىء منها . وقد جاء فى صفة الملائكة وكثرتهم أحاديث ذكر الحافظ بعضها فى الفتح ، ثم قال : وفى هذا وما ورد من القرآن ردّ على من أنكر وجود الملائكة من الملاحدة ، قال : وقد اشتمل كتاب العظمة لأبى الشيخ من ذكر الملائكة على أحاديث وآثار كثيرة ، فليطلبها منه من أراد الوقوف على ذلك . انتهى. وزعم الحكماء أنها جواهر ومجردة مخالفة للنفوس الناطقة فى الحقيقة ، وهم قسمان : قسم شأنهم الاستغراق فى معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم الله فى محكم التنزيل فقال : « يسبحون الليل والنهار لا يفترون » وهم العلويون والملائكة المقربون وقسم يدبر الأمر من السماء إلى الأرض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الإلهى ، « لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » ، وهم المدبرات أمراً ، فنهم سماوية ومنهم أرضية ، وهم أنواع أشار إليها القسطلانى ، قال : واتفق على عصمة الرسل منهم كعصمة رسل البشر ، وإنهم معهم ، كهم مع أممهم فى التبليغ وغيره . واختلف فى غير الرسل منهم ، فذهب بعضهم إلى القول بعدم عصمتهم بقصة هاروت وماروت وما روى عنهما من شرب الخمر والزنا والقتل مما رواه أحمد مرفوعاً وصححه ابن حبان . والذى عليه المحققون عصمة الملائكة مطلقاً . انتهى حاصله . وفيه نظر ، لأن المحققين من أهل العلم بالحديث النبوى والكتاب الإلهى على خلاف ذلك ، والله أعلم .

الحديث العاشر

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ عنِ النَّبىِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : إِذَا أَحَبَّ ٱللهُ عَبْداً نَادَى جِبْرِيلَ : إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ فَلَاناً فَأَحْبِبْهُ ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، فَيُنَادِى جِبْرِيلُ فى أَهْلِ السَّماءِ : إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَاناً فَأَحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّماءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فى الأَرْضِ .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : إذا أحب الله عبداً نادى جبريل : إن الله يحب فلاناً فأحببه ، فيحبه جبريل ، فينادى جبريل فى أهل السماء : إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى) أهل (الأرض) ممن يعرفه من المسلمين . وزاد روح بن عبادة عن ابن جريج عند الإسماعيلى : وإذا أبغض عبداً نادى جبريل عليه السلام : إنى أبغض فلاناً فأبغضه ، قال : فيبغضه جبريل ، ثم ينادى فى أهل السماء : إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه ، فيبغضونه ، ثم يوضع له البغض فى الأرض . وفيه : إن محبوب القلوب محبوب الله ، ومبغوضها مبغوض الله . ومتن الحديث الذى ساقه البخارى بلفظ الرواية الثانية المعلقة .

الحديث الحادى عشر

عَنْ عائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَرَضِيَ عَنْهَا أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : إِنَّ المَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فى الْعَنَانِ وَهُوَ السَّحَابُ فَتَذْكُرُ الْأَمْرَ قُضِيَ فى السَّماءِ فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ فَتُوحِيهِ إِلَى الْكُهَّانِ فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذِبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ .

(عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم ورضى عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يقول : إن الملائكة تنزل فى العنان) بفتح العين المهملة والنون المخففة (وهو السحاب) وزناً ومعنى ، وواحده عنانة كسحابة ، وهو تفسير بعض الرواة أدرجه فى الخبر ، فالسحاب مجاز عن السماء ، كما أن السماء مجاز عن السحاب فى قوله تعالى : « وأنزلنا من السماء ماء طهوراً » فى وجه (فتذكر) الملائكة (الأمر) الذى (قضى فى السماء) وأصل ذلك أن الملائكة تسمع فى السماء ما قضى الله تعالى فى كل يوم من الحوادث فيحدث بعضهم بعضاً (فتسترق الشياطين السمع) أى تختلسه منهم (فتسمعه فتوحيه إلى الكهان) بضم الكاف وتشديد الهاء ، جمع كاهن : من يخبر بالمغيبات المستقبلة (فيكذبون معها) أى مع الكلمة المسموعة من الشياطين (مائة كذبة) بفتح الكاف وسكون المعجمة ، وروى بكسرها (من عند أنفسهم) .

الحديث الثانى عشر

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم : إِذَا كانَ يَوْمُ الجمُعَةِ كانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ المَسْجِدِ مَلائِكَةٌ يَكتُبُونَ : الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ ، فَإِذَا جَلَسَ الْإِمامُ طَوَوْا الصُّحُفَ وَجَاءُوا يَسْتَمِعُونَ ٱلذِّكْرَ .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى صـــلى الله عليه) وآله (وسلم : إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد الملائكة يكتبون) الداخل (الأول فالأول) الفاء لترتيب النزول من الأعلى إلى الأدنى وللتعاقب الذى ينتهى إلى أعداد كثيرة (فإذا جلس الإمام) على المنبر (طووا الصحف) التى كتبوا فيها المبادرين إلى الجمعة (وجاءوا يستمعون الذكر) أى الخطبة .

الحديث الثالث عشر

عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُ قالَ : قالَ النَّبىُّ صلى الله عليه وسلم لِحَسَّانَ: اهْجُهُمْ أَوْ هَاجِهِمْ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ .

(عن البراء) بن عازب (رضى الله عنه) أنه (قال : قال النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم لحسان) بن ثابت ، يفهم منه أنه من مسند البراء ، وعند الترمذى أنه من رواية البراء عن حسان كما أفاده فى الفتح (اهجهم) بضم الهمزة والجيم : أمر من هجا يهجو هجواً وهو نقيض المدح (أو هاجهم) من المهاجاة ، والشك من الراوى ، أى جازهم بهجوهم (وجبريل معك) بالتأييد والمعونة ، والغرض من هذه الأحاديث ذكر الملائكة وإثبات وجودهم فى الخارج . وعليه يدل القرآن . وفيه جواز هجو الكفار وأذاهم ما لم يكن لهم أمان ، لأن الله تعالى قد أمر بالجهاد فيهم والإغلاظ عليهم ، لأن فى الإغلاظ بياناً لبغضهم والانتصار منهم بهجاء المسلمين ، ولا يجوز ابتداء لقوله تعالى : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم » .

الحديث الرابع عشر

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبىَّ صلى الله عليه وسلم قالَ لَهَا : يَا عائِشَةَ هذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلَامَ ، فَقَالَتْ : وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ ٱللهِ وَبَرَكاتُهُ ، تَرَى مَا لَا أَرَى ، تُرِيدُ النَّبىَّ صلى الله عليه وسلم .

(عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم قال لها : يا عائشة هذا جبريل يقرأ عليك السلام) بفتح الياء من الثلاثى (فقالت : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا أرى ، تريد النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم) وفيه أن الرؤية حالة يخلقها الله فى الحى ، ولا يلزم من حصول المرئى واجتماع سائر الشرائط الرؤية ، كما لا يلزم من عدمها عدمها . قاله فى الكواكب ، وإنما لم يواجهها جبريل كما واجه مريم احتراماً لمقام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وهذا الحديث أخرجه البخارى أيضاً فى الاستئذان والرقاق وفى فضل عائشة ، ومسلم فى الفضائل ، والترمذى فى المناقب ، والنسائى فى عشرة النساء . وفيه منقبة عظيمة لعائشة الصديقة ، ويا لها من فضيلة .

الحديث الخامس عشر

عَن ٱبْن عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قالَ : قالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم لِجِبْريلَ : أَلَا تَزُورُنا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنا ؟ قالَ : فَنَزَلَتْ : « وَما نَتَنَزَّلُ إلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ ، لَهُ ما بَيْنَ أَيْدِينَا وَما خَلْفَنَا » . الآية .

(عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم لجبريل : ألا تزورنا أكثر مما تزورنا) بتخفيف اللام للعرض أو التحضيض أو التمنى (قال : فنزلت) آية (« وما نتنزل إلابأمر ربك ») والتنزل : النزول على مهل لأنه مطاوع نزل ، وقد يطلق بمعنى النزول مطلقاً ، كما يطلق نزل بمعنى أنزل . والمعنى : وما نتنزل وقتاً غب وقت إلا بأمر الله تعالى على ما تقتضيه حكمته (له ما بين أيدينا وما خلفنا . . الآية) وهو ما نحن فيه من الأماكن والأحايين ، لا ننتقل من مكان إلى مكان ، أو لا ننزل فى زمان دون زمان إلا بأمره ومشيئته . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى التفسير والتوحيد وبدء الخلق ، والترمذى فى التفسير ، وكذا النسائى .

الحديث السادس عشر

وَعَنْهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ : أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ حَتَّى ٱنْتَهَى إلى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ .

(وعنه) أى عن ابن عباس (رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : أقرأنى جبريل القرآن على حرف) أى لغة أو وجه من الإعراب (فلم أزل أستزيده) أطلب منه أن يطلب من الله الزيادة على الحرف توسعة وتخفيفاً ، ويسأل جبريل ربه تعالى ويزيده (حتى انتهى إلى سبعة أحرف) وليس المراد أن يكون فى الحرف الواحد سبعة أوجه ، والاختلاف اختلاف تنوع وتغاير لاتضاد وتناقض ، إذ هو محال فى القرآن وذلك يرجع إلى سبعة ، وذلك إما فى الحركات من غير تغير فى المعنى والصورة ، نحو : البخل ويحسب بوجهين . أو بتغير فى المعنى فقط نحو : « فتلقى آدم من ربه كلمات » ، وإما فى الحروف بتغير فى المعنى لا الصورة نحو : تبلو وتتلو ، أو عكس ذلك نحو : السراط والصراط ، أو بتغيرهما نحو : يأتل ويتأل ، وإما فى التقديم والتأخير نحو : فيقتلون ويقتلون ، أو فى الزيادة والنقصان نحو : أوصى ووصى ، وأما نحو الاختلاف فى الإظهار والإدغام وغيرهما مما يسمى بالأصول فليس من الاختلاف الذى يتنوع فيه اللفظ والمعنى ، لأن هذه الصفات المتنوعة فى أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظاً واحداً ، ولئن فرض فيكون من الأول . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى فضائل القرآن ، ومسلم فى الصلاة .

الحديث السابع عشر

عَنْ يَعْلَى رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ عَلَى الْمِنْبَرِ : وَنَادَوْا يَا مال .

(عن يعلى) بن أمية التميمى (رضى الله عنه) أنه (قال : سمعت النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم يقرأ على المنبر : ونادوا يا مالك) وهو اسم خازن النار . وعن الحموى والمستملى : يا مال مرخماً . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى صفة النار والتفسير ، ومسلم فى الصلاة ، وأبو داود والنسائى فى الحروب ، وزاد النسائى فى التفسير .

الحديث الثامن عشر

عَنْ عائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَرَضِيَ عَنْهَا أَنَّهَا قالَتْ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم : هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ؟ قالَ : لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مالَقِيتُ ، وَكانَ أَشَدُّ مالَقِيتُ مِنْهُم يَوْمَ الْعَقَبَةِ ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ٱبْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى ما أَرَدْتُ ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ ، فَنَادَانِي فَقَالَ : إِنَّ ٱللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَما رَدُّوا بِهِ عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ ٱلْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ ، فَنَادَانِي مَلَكُ ٱلْجِبَالِ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قالَ : يَا مُحَمَّدُ ، فَقَالَ ذٰلِكَ فَمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ ٱللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ ٱللهَ وَحْدَهُ لَايُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً .

(عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم ورضى عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه) وآله (وسلم : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحد ؟ قال) صلى الله عليه وآله وسلم (لقد لقيت من قومك) قريش (ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة) التى بمنى (إذ) أى حين (عرضت نفسى) فى شوال سنة عشر من المبعث بعد موت أبى طالب وخديجة وتوجهه إلى الطائف (على ابن عبد ياليل بن عبد كلال) بضم الكاف وتخفيف اللام وبعد الألف لام أخرى ، واسمه كنانة ، وهو من أكابر أهل الطائف من ثقيف ، لكن الذى فى السير أن الذى كلمه هو عبد ياليل نفسه لا ابنه ، وعند أهل النسب أن عبد كلال أخوه لا أبوه ، وأنه عبد ياليل ابن عمرو بن عمير بن عوف (فلم يجبنى إلى ما أردت) وعند موسى بن عقبة : أنه صلى الله عليه وآله وسلم توجه إلى الطائف رجاء أن يؤووه ، فعمد إلى

ثلاثة نفر من ثقيب وهم سادتهم وهم إخوة عبد ياليل وحبيب ومسعود بنو عمرو ، فعرض عليهم نفسه وشكا إليهم ما انتهك منه قومه ، فردّوا عليه أقبح ردّ ، ورضخوه بالحجارة حتى أدموا رجليه (فانطلقت وأنا مهموم على وجهى) أى الجهة المواجهـة لى . وقال الطيبى : أى انطلقت حيران هائماً لا أدرى أين أتوجه من شدة ذلك (فلم أستفق) مما أنا فيه من الغم (إلا وأنا بقرن الثعالب) بالمثلثة ، جمع ثعلب : الحيوان المعروف ، وهو ميقات أهل نجد ، ويسمى قرن المنازل أيضاً ، وهو على يوم وليلة من مكة . والقرن : كل جبل صغير منقطع من جبل كبير . وحكى عياض أن بعض الرواة ذكره بفتح الراء ، قال : وهو غلط . وحكى القابسى : أن من سكن الراء أراد الجبل ، ومن حركها أراد الطريق التى تتفرق منه . وأفاد ابن سعد أن مدة إقامته صلى الله عليه وآله وسلم بالطائف كانت عشرة أيام (فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرت) إليها (فإذا فيها جبريل) عليه السلام (فنادانى فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال) الذى سخرت له وبيده أمرها . وفى الفتح : أى الموكل بها (لتأمره بما شئت فيهم) قال صلى الله عليه وآله وسلم (فنادانى ملك الجبال ، فسلم على ثم قال : يا محمد ، فقال : ذلك) كما قال جبريل أو كما سمعت منه (فما شئت) أى فعلت (إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين) بالمعجمتين : هما جبلا مكة أبو قبيس والذى يقابله وكأنه قعيقعان . وقال الصغانى : بل هو الجبل الأحمر الذى يشرف على قعيقعان . ووهم من قال : هو ثور ، كالكرمانى . وسميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما ، والمراد بإطباقهما أن يلتقيا على من بمكة ، ويحتمل أنهما يصيران طبقاً واحداً (فقال النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم : بل أرجو أن يخرج الله) بضم الياء من الإخراج (من أصلابهم من يعبد الله) أى يوحده ، وقوله (وحده لا يشرك به شيئاً) تفسيره ، وهذا من مزيد شفقته على أُمته وكثرة حلمه وصبره ، جزاه الله عنا ما هو أهله وصلى الله عليه وآله وسلم ، وهو موافق لقوله تعالى : « فبما رحمة من الله لنت لهم » . وقوله : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . وهذا الحديث أخرجه البخارى أيضاً فى التوحيد ، ومسلم فى المغازى ، والنسائى فى البعوث .

الحديث التاسع عشر

عَنْ ٱبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ فى قَوْلِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ : « فَأَوْحى إلى عَبْدِهِ ما أَوْحى » قالَ : رَأَى جبْرِيلَ لَهُ سِتُّمائَةِ جَنَاح .

(عن ابن مسعود رضى الله عنه فى قول الله عز وجل : « فأوحى إلى عبده ما أوحى » قال : رأى جبريل) عليه السلام فى صورته التى خلق عليها (له ستمائة جناح) بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى سورة النجم من التفسير .

الحديث العشرون

وَعَنْهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ فى قَوْلِهِ تَعَالَى : « لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى »، قالَ : رَأَى رَفْرَفاً أَخْضَرَ سَدَّ أُفُقَ السَّماءِ .

(وعنه) أى ابن مسعود (رضى الله عنه فى قوله تعالى : « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » قال : رأى رفرفاً) بساطاً (أخضر) قال بعضهم : إنه جمع رفرفة ، فعلى هذا يتجه قول الكرمانى تبعاً للخطابى ، يحتمل أن يكون جبريل بسط أجنحته كما يبسط الثوب ، وهذا لا يخفى بعده (سد أفق السماء) أى أطرافها . وعند النسائى والحاكم من حديث ابن مسعود : أبصر نبى الله صلى الله عليه وآله وسلم جبريل عليه السلام على رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض . وهذا الحديث ذكره أيضاً فى سورة النجم .

الحديث الحادى والعشرون

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا قالَتْ : مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمّداً صلى الله عليه وسلم رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ ، وَلكِنْ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ فى صُورَتِهِ وَخَلْقِهِ سَادًّا ما بَيْنَ الأُفُقِ .

(عن عائشة رضى الله عنها قالت : من زعم أن محمداً صلى الله عليه) وآله (وسلم رأى ربه) بعينى رأسه يقظة (فقد أعظم) أىدخل فى أمر عظيم . وفى مسلم : فقد أعظم على الله الفرية ، أى الكذب (ولكن قد رأى جبريل فى صورته) فى هيئته (وخلقه) الذى خلق عليه حال كونه (ساداً ما بين الأفق) والجمهور على ثبوت رؤيته عليه السلام لربه بعين رأسه ، ولا يقدح فى ذلك حديثعائشة رضى الله عنها ، إذ لم تخبر أنها سمعته عليه السلام يقول : لم أر ربى ، وإنما ذكرت متأولة لقوله تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب » ولقوله تعالى : « لا تدركه الأبصار » .

الحديث الثانى والعشرون

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليهوسلم: إِذَا دَعَا الرَّجُلُ ٱمرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا المَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه) كناية عن الجماع (فأبت) أن تجىء (فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح) ظاهره كما قال ابن أبى جمرة اختصاص اللعن بما إذا وقع ذلك ليلا ، لقوله « حتى تصبح » وكأن السر فيه تأكد ذلك الشأن فى الليل وقوة الباعث إليه ، ولا يلزم من ذلك أنه يجوز لها الامتناع فى النهار ، وإنما خص الليل بالذكر لأنه المنظنة لذلك .

الحديث الثالث والعشرون

عَن ٱبْن عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُمَا عَن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : رأَيْت لَيْلَةَ أُسْرِىَ بِى مُوسى رَجُلاً آدَمَ طُوَالاً جَعْداً كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ ، وَرَأَيْتُ عِيسى رَجُلاً مَرْبُوعاً مَرْبُوعَ الخَلْقِ إِلَى الحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ سَبْطَ الرَّأْسِ ، وَرَأَيْتُ مالِكاً خازِنَ النَّار وَالدَّجَّالَ فى آياتٍ أَرَاهُنَّ ٱللّٰهُ إِيَّاهُ ، فَلا تَكُنْ فى مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ .

(عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : رأيت ليلة أُسرى بى) إلى المسجد الأقصى (موسى) عليه السلام (رجلا أدم) بقصر الهمزة أسمر ، والذى فى اليونينية بمد الهمزة فقط . والأدمة : هى لون بين البياض والسواد (طوالا) بضم الطاء (جعداً) بفتح الجيم ، ليس بسيط (كأنه من رجال شنوءة) أى فى طوله وسمرته ، وشنوءة بهاء تأنيث : قبيلة فى قحطان (ورأيت عيسى) ابن مريم (رجلا مربوعاً) لا طويلا ولا قصيراً (مربوع الخلق) معتدله حال كونه مائلا لونه (إلى الحمرة والبياض) فلم يكن شديدهما (سبط الرأس) بفتح السين وسكون الموحدة وكسرها وفتحها : مسترسل الشعر (ورأيت مالكاً خازن النار والدجال) الأعور (فى) جملة (آيات) أخر (أراهن الله إياه) صلى الله عليه وآله وسلم ، ولعله أراد قوله تعالى : « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » وحينئذ فيكون فى الكلام التفات حيث وضع إياه موضع إياى ، والراوى نقل معنى ما تلفظ به (فلا تكن فى مرية) شك (من لقائه) يعنى موسى ، فيكون كما فى الكشاف ذكر عيسى وما يتبعه من الآيات مستطرداً لذكر موسى ، وإنما قطعه عن متعلقه وأخره ليشمل معناه الآيات على سبيل التبعية والإدماج ، أى لاتكن يا محمد فى رؤية ما رأيت من الآيات فى شك ، فعلى هذا الخطاب فى قوله « فلا تكن » للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، والكلام كله متصل ليس فيه تغيير من الراوى إلا لفظة « إياه » . وقيل : قوله « أراهن الله . . إلخ » . من كلام الراوى أدرجه بالحديث دفعاً لاستبعاد السامعين وإماطة لما عسى أن يختلج فى صدورهم . وقال المظهرى : الخطاب فى « فلا تكن » خطاب عام لمن سمع هذا الحديث إلى يوم القيامة ، والضمير فى لقائه عائد إلى الدجال ، أى إذا كان خروجه موعوداً فلا تكن فى شك من لقائه . ذكره فى شرح المشكاة .

الحديث الرابع والعشرون

عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْن عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قالَ : قالَ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَإِنَّهُ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ، فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ .

(عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : إذا مات أحدكم فإنه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى) أى فيهما بأن يحيى منه جزء ليدرك ذلك أو العرض على الروح فقط (فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة) أى فالمعروض عليه من مقاعد أهل الجنة (وإن كان من أهل النار فمن أهل النار) أى فمقعده من مقاعد أهلها يعرض عليه . أشار البخارى بإيراد هذا الحديث إلى الرد على من زعم من المعتزلة أنها لا توجد إلا يوم القيامة . وقد ذكر فى الباب أحاديث كثيرة دالة على ما ترجم به ، فنها ما يتعلق بكونها موجودة الآن ، ومنها ما يتعلق بصفتها ، وأصرح مما ذكره فى ذلك ما أخرجه أحمد وأبو داود بإسناد قوى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : لما خلق الله الجنة قال لجبريل : ذهب فانظر إليها . . الحديث . وقد أطال الحافظ ابن القيم رحمه الله فى بيان ذلك فى كتاب « حاوى الأرواح إلى بلاد الأفراح » .

الحديث الخامس والعشرون

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم : قالَ : ٱطَّلَعْتُ فى الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ ، وَٱطَّلَعْتُ فى النَّارِ فَرَأَيْتَ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ .

(عن عمران بن حصين رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : اطلعت فى الجنة) بتشديد الطاء ، أى أشرفت ليلة الإسراء أو فى المنام لا فى صلاة الكسوف ، والغرض منه هنا أنها موجودة حالة اطلاعه ، وهو مقصود الترجمة (فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء) أى لما يغلب عليهنّ من الهوى والميل إلىعاجل زينة الدنيا والإعراض عن الآخرة لنقص عقلهنّ وسرعة انخداعهنّ . قاله القرطبي . وقال المهلب : لكفرهنّ العشير . والحديث أخرجه أيضاً فى الرقاق والنكاح ، والترمذى فى صفة جهنم والنسائى فى عشرة النساء والرقاق .

الحديث السادس والعشرون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ : بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِذْ قالَ : بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فى الجَنَّةِ فَإِذَا ٱمْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جانِبِ قَصْرٍ ، فَقُلْتُ : لِمَنْ هذَا الْقَصْرُ ؟ قالُوا : لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ ، فَوَلَّيْتُ مُدْبِراً ، فَبَكَى عُمَرُ وَقالَ : أَعَلَيْكَ أَغارُ يَارَسُولَ ٱللهِ ؟

(عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : بينا نحن عند النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم إذ قال : بينا أنا نائم رأيتنى) أى رأيت نفسى (فى الجنة) وهذا موضع الترجمة ، وهذا وإن كان مناماً ، لكن رؤيا الأنبياء حق (فإذا امرأة) هى أُم سليم (تتوضأ) وضوءاً شرعياً ، فيؤوّل بكونها محافظة فى الدنيا على العبادة ، أو لغوياً لتزداد وضاءة وحسناً ، لا لتزيل وسخاً لتنزيه الجنة عنه (إلى جانب قصر) زاد الترمذى من حديث أنس : من ذهب (فقلت : لمن هذا القصر ؟ فقالوا) يحتمل أنه جبريل ومن معه (لعمر بن الخطاب) زاد فى النكاح : فأردت أن أدخله (فذكرت غيرته) بفتح الغين المعجمة (فوليت مدبراً ، فبكى عمر) لما سمع ذلك سروراً به وتشوقاً إليه (وقال) عمر (أعليك أغار يا رسول الله ؟) هذا من القلب ، والأصل : أعليها أغار منك ، وقد روى أحمد من حديث معاذ قال : إن عمر من أهل الجنة ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان ما رأى فى يقظته أو نومه سواء ، وأنه قال : بينا أنا فى الجنة إذ رأيت فيها جارية ، فقلت : لمن هذه ؟ فقيل : لعمر بن الخطاب . وحديث الباب أخرجه البخارى أيضاً فى مناقب عمر رضى الله عنه .

الحديث السابع والعشرون

وَعَنْهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَلِجُ الجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا وَلا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ ، آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ ، أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأُلُوَّةُ ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الحُسْنِ ، لَا ٱخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلا تَبَاغُضَ ، قُلُوبُهُمْ قَلْبُ رَجُل وَاحِدٍ ، يُسَبِّحُونَ ٱللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا .

(وعنه) أى عن أبى هريرة (رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : أول زمرة) أى جماعة (تلج الجنة) تدخلها (صورتهم على صورة القمر ليلة البدر) فى الإضاءة والحسن . وفى الرقاق بلفظ : يدخل الجنة من أُمتى سبعون ألفاً تضىء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر . وفى الرواية الثانية : والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة . وزاد مسلم فى رواية أخرى : ثم هم بعد ذلك منازل (لا يبصقون فيها) أى فى الجنة (ولا يمتخطون ولا يتغوطون) زاد جابر فى حديثه المروى فى مسلم : طعامهم ذلك جشاء كريح المسك . وكأنه مختصر مما أخرجه الترمذى من حديث زيد بن أرقم ، قال : جاء رجل من أهل الكتاب فقال : يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون . قال : نعم إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل فى الأكل والشرب والجماع . قال : الذى يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس فى الجنة أذى ، قال : تكون حاجة أحدهم رشحاً يفيض من جلودهم كرشح المسك . وسمى الطبرانى فى روايته هذا السائل ثعلبة بن الحارث قال ابن الجوزى: لما كانت أغذية أهل الجنة فى غاية اللطافة والاعتدال ، لم يكن فيها أذى ولا فضلة مستقذر بل يتولد عن تلك الأغذية أطيب ريح وأحسنه . وزاد البخارى فى صفة آدم: ولا يبولون ولا يتفلون . وفى الرواية الثانية : لا يسقمون ، ففيه سلب صفات النقص عنهم (آنيتهم فيها) أى فى الجنة (الذهب)

زاد فى الرواية الثانية : والفضة (أمشاطهم من الذهب والفضة) يمتشطون بها لا لاتساخ شعورهم بل للتلذذ . وفى الرواية الثانية : وأمشاطهم الذهب . قال الحافظ : فكأنه اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر ، فإنه يحتمل أن يكون الصنفان لكل منهم ، ويحتمل أن يكون أحد الصنفين لبعضهم والآخر للبعض الآخر . ويؤيده ما فى حديث أبى موسى المتفق عليه مرفوعاً : جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ،وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما.... الحديث. ويؤيد الأول ما أخرجه الطبرانى بإسناد قوى عن أنس مرفوعاً : إن أدنى أهل الجنة درجة لمن يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم ، بيد كل واحد صحفتان ، واحدة من ذهب والأخرى من فضة . والمشط : بتثليث الميم ، والأفصح ضمها (ومجامرهم) بفتح الميم الأولى (الألوة) بفتح الهمزة وتضم وبضم اللام وتشديد الواو . وحكى كسر الهمزة وتخفيف الواو . وفى اليونينية : وتسكن اللام . قال الأصمعى : أراها فارسية عربت : العود الهندى الذى يتبخر به ، أو المراد عود مجامرهم الألوة ، قيل : جعلت مجامرهم نفس العود ، لكن فى الرواية الثانية : وقود مجامرهم الألوة ، فعلى هذا فى رواية الباب تجوز ، وفى رواية الصغانى بعد قوله « الألوة » قال أبو اليمان : يعنى العود ، والمجامر : جمع مجمرة وهى المبخرة ، سميت مجمرة لأنها يوضع فيها الجمر ليفوح به ما يوضع فيها من البخور . وقد يقال : إن رائحة العود إنما تفوح بوضعه فى النار ، والجنة لا نار فيها . ويجاب باحتمال أن تشتعل بغير نار ، بل بقوله « كن » وإنما سميت مجمرة باعتبار ما كان فى الأصل . ويحتمل أن تشتعل بنار لا ضرر فيها ولا إحراق أويفوح بغير اشتعال . ونحوذلك ما أخرجه الترمذى من حديث ابن مسعود مرفوعاً : إن الرجل فى الجنة ليشتهى الطير فيخر بين يديه مشوياً . وفيه الاحتمالات المذكورة . وقد ذكر نحو ذلك الحافظ ابن القيم فى الباب الثانى والأربعين من حادى الأرواح . وزاد فى الطير : أو يشوى خارج الجنة أو بأسباب قدرت لإنضاجه ولا يتعين النار . قال: وقريب من ذلك قوله تعالى : « هم وأزواجهم فى ظلال» أكلها دائم وظلها ممدود وهى لا شمس فيها . وقال القرطبى :قد يقال:أى حاجة لهم فى المشط وهم مرد وشعورهم لا تتسخ ، وأى حاجة لهم إلى البخور وريحهم أطيب من المسلك . قال : ويجاب بأن نعيم أهل الجنة من أكل وشرب

وكسوة وطيب ليس عن ألم وجوع أو ظمأ أو عرى أو نتن ، وإنما هى لذات متتالية ونعم متوالية . والحكمة فى ذلك أنهم يتنعمون بنوع ماكانوا يتنعمون به فى الدنيا . وقال النووى : مذهب أهل السنة أن تنعم أهل الجنة على هيئة تنعم أهل الدنيا إلا ما بينهما من التفاضل فى اللذة ، ودل الكتاب والسنة على أن نعيمهم لا انقطاع له (ورشحهم المسك) أى عرقهم كالمسك فى طيب ريحه (ولكل واحد منهم زوجتان) أى من نساء الدنيا ، فقد روى أحمد من وجه آخر عن أبى هريرة مرفوعاً فى صفة أدنى أهل الجنة منزلة : وإن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا . وفى سنده شهر بن حوشب . وفيه مقال . ولأبى يعلى فى حديث الصور الطويل من وجه آخر عن أبى هريرة فى حديث مرفوع : فيدخل الرجل على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشىء الله ، وزوجتين من ولد آدم . وأخرجه الترمذى من حديث أبى سعيد رفعه : إن أدنى أهل الجنـــة الذى له ثمانون ألف خادم وثنتان وسبعون زوجة . وقال غريب : ومن حديث المقدام بن معديكرب : للشهيد ست خصال . . . الحديث . وفيه : ويتزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين . وفى حديث أبى أُمامة عند ابن ماجه والدارمى رفعه : ما أحد يدخل الجنة إلا زوجه الله ثنتين وسبعين من الحور العين وثنتين من أهل الدنيا . وسنده ضعيف جداً . وعند الفريابى عن أبى أُمامة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ما من عبد يدخل الجنة إلا ويزوّج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين وسبعين من أهل ميراثه من أهل الدنيا ، ليس منهنّ امرأة إلا لها قبل شهىّ وله ذكر لا ينثنى . وفيه خالد بن يزيد بن عبد الرحمن الدمشقى ، وهاه ابن معين وقال : ليس بشىء ، وقال النسائى : ثقة ، وقال الدارقطنى : ضعيف ، وذكر له ابن عدى هذا الحديث مما أنكره عليه . وعند أبى نعيم عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : للمؤمن فى الجنة ثلاث وسبعون زوجة ، فقلنا : يا رسول الله أوَ له قوة ذلك؟ قال : إنه ليعطى قوة مائة . وفيه أحمد بن حفص السعدى له مناكير والحجاج ابن أرطاة . قال فى الفتح : وأكثر ما وقفت عليه من ذلك ما أخرجه أبوالشيخ فى العظمة والبيهقى فى البعث من حديث عبد الله بن أبى أوفى رفعه : إن الرجل أهل الجنة ليزوّج خمسمائة حوراء أو إنه ليفضى إلى أربعة آلاف بكر

وثمانية آلاف ثيب . وفيه راو لم يسم . وفى الطبرانى من حديث ابن عباس : إن الرجل ليفضى إلى مائة عذراء . وفى حديث أبى موسى : إن فى الجنة للمؤمن لخيمة من لؤلؤ له فيها أهلون يطوف عليهم . والحديث الأخير صححه أيضاً . وفى حديث أبى سعيد عند مسلم فى صفة أدنى أهل الجنة : ثم يدخل عليه زوجتاه . والذى يظهر أن المراد أن أقل ما لكل واحد منهم زوجتان . وقد أجاب بعضهم باحتمال أن تكون التثنية تنظيراً لقوله « جنتان وعينان » ونحو ذلك ، أو المراد تثنية التكثير والتعظيم نحو : لبيك وسعديك ، ولا يخفى ما فيه . واستدل أبو هريرة بهذا الحديث على أن النساء فى الجنة أكثر من الرجال كما أخرجه مسلم من طريق ابن سيرين عنه وهو واضح ، لكن يعارضه قوله صلى الله عليه وآله وسلم فى حديث الكسوف : رأيتكنّ أكثر أهل النار . ويجاب بأنه لا يلزم من أكثريتهنّ فى النار نفى أكثريتهنّ فى الجنة ، لكن يشكل على ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم فى الحديث الآخر : اطلعت فى الجنة فرأيت أقل ساكنيها النساء . ويحتمل أن يكون الراوى رواه بالمعنى الذى فهمه من أن كونهنّ أكثر ساكنى النار ، يلزم منه أن يكنّ أقل ساكنى الجنة ، وليس ذلك بلازم . ويحتمل أن يكون ذلك فى أول الأمر قبل خروج العصاة من النار بالشفاعة . وعبارة القسطلانى : قال ابن القيم : والأحاديث الصحيحة إنما فيها أن لكل منهم زوجتين . وليس فى الصحيح زيادة على ذلك . فإن كانت هذه الأحاديث محفوظة ، فإما أن يراد بها ما لكل واحد من السرارى زيادة على الزوجتين ، وإما أن يراد أنه يعطى قوة من يجامع هذا العدد ، ويكون هذا هو المحفوظ ، فرواه هؤلاء بالمعنى ، فقال : له كذا وكذا زوجة ، ويحتمل أن يكون تفاوتهم فى عدد النساء بحسب تفاوتهم فى الدرجات . قال : ولا ريب أن للمؤمن فى الجنة أكثر من اثنتين لما فى الصحيحين من حديث أبى عمران الجونى عن أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤ مجوفة طولها ستون ميلا ، للعبد المؤمن فيها أهلون يطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضاً . انتهى . قال النووى : وقوله « زوجتان » بتاء التأنيث وهى لغة قد تكررت فى الحديث ، والأشهر خلافها ، وبه جاء القرآن . وذكر أبو حاتم السجستانى أن الأصمعى كان ينكر زوجة ويقول : إنما

هى زوج . قال : فأنشدناه قول الفرزدق :

وإن الذى يسعى ليفسد زوجتى　　　لساع إلى أسد الشرى يستنيلها

قال : فسكت ولم يحر جواباً ، ثم ذكر له شواهد أخرى .

(يرى) مبنياً للمفعول (مخ سوقهما) ما فى داخل العظم (من وراء اللحم) والجلد ، والمراد به وصفها بالصفاء البالغ وأن ما فى داخل العظم لا يستتر بالعظم واللحم والجلد (من الحسن) والصفاء البالغ ورقة البشرة ونعومة الأعضاء . وفى حديث أبى سعيد المروى عند أحمد : ينظر وجهه فى خدها أصفى من المرآة . وفى حديث ابن مسعود عند ابن حبان فى صحيحه مرفوعاً : إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها ، وذلك أن الله تعالى يقول : كأنهن الياقوت والمرجان فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكاً ثم استصفيته لرأيته من ورائه (لا اختلاف بينهم) بين أهل الجنة (ولا تباغض) لصفاء قلوبهم ونظافتها من الكدورات وطهارتها عن مذموم الأخلاق (قلوبهم قلب واحد) أى كقلب واحد (يسبحون الله) متلذذين به لا متعبدين (بكرة وعشياً) أى مقدارهما . قال القرطبى : هذا التسبيح ليس عن تكليف وإلزام . وقد فسره جابر فى حديثه عند مسلم بقوله : يلهمون التسبيح والتكبير كما تلهمون النفس. ووجه التشبيه أن تنفس الإنسان لا كلفة عليه فيه ولا بد له منه ، فجعل تنفسهم تسبيحاً ، وسببه أن قلوبهم تنورت بمعرفة الرب سبحانه وامتلأت بحبه ، ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره . وقد وقع فى خبر ضعيف : إن تحت العرش ستارة معلقة فيه ، فإذا نشرت كانت علامة البكور ، وإذا طويت كانت علامة العشى ، أو المراد الديمومة ، كما تقول العرب : أنا عند فلان صباحاً ومساء ، لا تقصد الوقتين المعلومين بل الديمومة ، قاله فى شرح المشكاة . وهذا الحديث أخرجه الترمذى فى صفة أهل الجنة أيضاً .

وَفى رِوَايَةٍ عَنْهُ رَضِىَ ٱللّٰهُ عَنْهُ قالَ : وَٱلَّذِينَ عَلَى أَثَرِهِمْ كَأَشَدِّ كَوْكَبٍ إِضَاءَةً ، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، لَا ٱخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلا تَبَاغُضَ ، لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا يُرَى مُخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ لَحْمِهَا مِنَ الحُسْنِ ، يُسَبِّحُونَ ٱللّٰهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ، لَا يَسْقَمُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ . وَذَكَرَ بَاقِىَ الحَدِيثِ .

(وفى رواية عنه) أى عن أبى هريرة (رضى الله عنه قال : والذين) يدخلون الجنة (على إثرهم) أى عقبهم أو بعدهم (كأشد كوكب إضاءة) بإفراد المضاف إليه ليفيد الاستغراق فى هذا النوع من الكواكب ، يعنى إذا انقضت كوكباً كوكباً رأيتهم كأشده إضاءة . قاله فى شرح المشكاة (قلوبهم على قلب رجل واحد ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، لكل امرىء منهم زوجتان) وفى حديث أبى هريرة عند أحمد مرفوعاً فى صفة أدنى أهل الجنة منزلة : وإن له من الحور اثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا . ولمسلم من حديث أبى سعيد فى صفة الأدنى أيضاً : ثم تدخل عليه زوجتاه (كل واحدة منهما يرى مخ) بضم الميم وتشديد الخاء المعجمة (ساقها من وراء اللحم من الحسن) تتميم صوناً من توهم ما يتصور فى تلك الرؤية مما ينفر عنه الطبع (يسبحون الله بكرة وعشياً) أى فى مقدارهما ، إذ لا بكرة ثمة ولا عشية ، إذ لا طلوع ولا غروب . قال مجاهد : الإبكار أول الفجر ، والعشى : ميل الشمس إلى أن أراه تغرب . قال الطبرى : الإبكار مصدر وتقول : أبكر فلان فى حاجته يبكر إبكاراً إذا خرج من بين طلوع الفجر إلى وقت الضحى . وأما العشى فمن بعد الزوال ، قال الشاعر :

فلا الظل من برد الضحى يستطيعه ولا الفىء من برد العشى يذوق

قال : والفىء يكون من عند زوال الشمس ويتناهى بمغيبها (لايسقمون) إذ هى دار صحة لاسقم (ولا يمتخطون ولا يبصقون) لكمالهم فليس لهم فضلة تستقذر (آنيتهم الذهب والفضة) فى الطبرانى بإسناد قوى من حديث أنس مرفوعاً : إن أدنى أهل الجنة لمن يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم ، بيد كل واحد صحفتان ، واحدة من ذهب والأخرى من فضة (وذكر باقى الحديث) وهو قوله : وأمشاطهم الذهب ، وقود مجامرهم الألوة ورشحهم المسك .

الحديث التاسع والعشرون

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : لَيَدْخُلَنَّ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفاً أَوْ سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ ، لَا يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ ، وُجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ .

(عن سهل بن سعد) الساعدى (رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم) أنه (قال : ليدخلنّ من أُمتى) الجنة (سبعون ألفاً أو سبعمائة ألف) وفى حديث ابن عباس فى الرقاق : وصفهم بأنهم كانوا لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون . وفى حديث أبى أُمامة عند الترمذى مرفوعاً : وعدنى ربى أن يدخل من أُمتى سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عقاب ، مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات من حثيات ربى عز وجل ، والمراد بالمعية فى قوله : « مع كل ألف سبعون ألفاً » مجرد دخولهم الجنة بغير حساب ، وإن دخلوها فى الزمرة الثانية أو التى بعدها . وفى حديث جابر عند الحاكم والبيهقى فى البعث مرفوعاً : من زادت حسناته على سيآته فذلك الذى يدخل الجنة بغير حساب ، ومن استوت حسناته وسيآته فذلك الذى يحاسب حساباً يسيراً ، ومن أوبق نفسه فهو الذى يشفع فيه بعد أن يعذب . وفى التقييد بقوله « أُمتى » إخراج غير الأمة المحمدية من العدد المذكور . فإن قلت : هذا معارض بحديث أبى برزة الأسلى مرفوعاً عند مسلم : لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن جسده فيما أبلاه ، وعن علمه ما عمل فيه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه . إذ هو عام لأنه نكرة فى سياق النفى . أُجيب بأنه مخصوص بمن يدخل الجنة بغير حساب ومن يدخل النار من أول وهلة . وزاد فى رواية أبى غسان : متماسكين آخذاً بعضهم ببعض (لا يدخل أولهم) الجنة (حتى يدخل آخرهم) بأن يدخلوا صفاً واحداً ، دفعة واحدة (وجوههم على صورة القمر ليلة البدر) ليس فيه نفى دخول أحد من هذه الأمة المحمدية الذى ليس على الصفة المذكورة من الشبه بالقمر ، والجملة حالية بدون الواو .

الحديث الثلاثون

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : أُهْدِيَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم جُبَّةُ سُنْدُسٍ ، وَكانَ يَنْهَى عَنِ الحَرِيرِ ، فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْهَا ، فَقَالَ : وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فى الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هذَا .

(عن أنس رضى الله عنه قال : أهدى للنبي صلى الله عليه) وآله (وسلم جبة سندس) وهو مارق من الديباج ، وهو ما نخن وغلظ من ثيـاب الحرير ، وكان الذى أهداها أكيد ردومة (وكان) صلى الله عليه وآله وسلم (ينهى عن) استعمال (الحرير ، فعجب الناس منها) أى من الجبة . زاد فى اللباس : فقال : أتعجبون من هذا ؟ قلنا : نعم (فقال : والذى نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة لأحسن من هذا) الثوب ، وهذا موضع الترجمة . قال الخطابى : إنما ضرب المثل بالمناديل لأنها ليست من علية الثياب ، بل تبتذل فى أنواع من المرافق ، فيمسح بها الأيدى ، وينفض بها الغبار عن البدن ، ويغطى بها ما يهدى فى الأطباق ، وتتخذ لفافاً للثياب ، فصار سبيلها سبيل الخادم ، وسبيل سائر الثياب سبيل المخدوم ، فإذا كان أدناها هكذا فما ظنك بعليتها . انتهى .

الحديث الحادى والثلاثون

وَعَنْهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : إنَّ فى الجنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فى ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا .

وَفى رِوَايَةٍ عَنْ أَبى هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ مِثْلُ ذلِكَ ، قالَ : وَٱقْرَءُوا إنْ شِئْتُمْ : « وَظِلٍّ مَمْدُودٍ » .

(وعنه) أى عن أنس (رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : إن فى الجنة لشجرة) هى طوبى كما عند أحمد والطبرانى وابن حبان من حديث عتبة بن عبد السلمى (يسير الراكب) الجواد المضمر السريع (فى ظلها) أى ناحيتها أو فى نعيمها وراحتها ، ومنه قولهم : عيش ظليل . وأشار بذلك إلى امتدادها ، ومنه قولهم ، أنا فى ظلك ، أى فى ناحيتك . قال القرطبي : والمحوج إلى هذا التأويل أن الظل فى عرف أهل الدنيا ما بقى حر الشمس وأذاها ، وليس فى الجنـة شمس ولا أذى (مائة عام لا يقطعها . وفى رواية عن أبى هريرة رضى الله عنه مثل ذلك ، قال : واقرءوا إن شئتم : وظل ممدود) وعند ابن جرير عن أبى هريرة قال : إن فى الجنـة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة ، اقرءوا إن شئتم : « وظل ممدود » . وبلغ ذلك كعباً فقال : والذى أنزل التوراة على موسى والفرقان على محمد لو أن رجلا ركب حقة أو جدعة ثم دار بأصل تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرماً ، إن الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه ، وإن أفنانها لمن وراء سور الجنة وما فى الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة . وفى حديث ابن عباس موقوفاً عند ابن أبى حاتم : فيشتهى بعضهم ويذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو فى الدنيا . قال ابن كثير : أثر غريب وإسناده جيد قوى (ولقاب قوس أحدكم) أى قدره (فى الجنة خير مما طلعت عليه الشمس) فى الدنيا من متاعها (أو تغرب) عليه . وفى حديث سهل بن سعد : موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها . رواه البخارى . لأن نعيم الجنة دائم لا انقضاء له ، مع ما اشتمل عليه من البهجة التى يعجز الوصف عنها . وخص السوط بالذكر . قال التوربشتى : لأن من شأن الراكب إذا أراد النزول فى منزل أن يلقى سوطه قبل أن ينزل معلماً بذلك المكان الذى يريده لئلا يسبقه إليه أحد .

الحديث الثانى والثلاثون

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الخُدْرِىِّ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَتَرَاءَيُونَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كما يَتَرَاءَيُونَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّىَّ الْغَابِرَ فى أُفُقِ السَّمَاءِ مِنَ المَشْرِقِ أَوِ المَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ ما بَيْنَهُمْ ، قَالُوا : يَارَسُولَ ٱللهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ . قالَ : بَلَى ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ .

(عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : إن أهل الجنة يتراءيون) بوزن يتفاعلون ، وفى رواية المسلم : يرون ، والمعنى : إن أهل الجنة تتفاوت منازلهم بحسب درجاتهم فى الفضل ، حتى إن أهل الدرجات العلى ليراهم من هو أسفل منهم كالنجوم . وقد بين ذلك فى الحديث بقوله : التفاضل ما بينهم (أهل الغرف من فوقهم كما يتراءيون الكوكب الدرى) هو النجم الشديد الإضاءة . وقال الفراء : هو النجم العظيم المقدار ، وهو بضم المهملة وكسر الراء المشددة بعدها تحتانية ثقيلة وقد تسكن وبعدها همزة ومد ، وقد يكسر أوله على الحالين ، فتلك أربع لغات ، ثم قيل : إن المعنى مختلف ، فبالتشديد كأنه منسوب إلى الدر لبياضه وضيائه ، وبالهمز كأنه مأخوذ من درأ ، أى دفع لاندفاعه عند طلوعه . ونقل ابن الجوزى عن الكسائى تثليث الدال ، قال : فبالضم نسبة إلى الدر ، وبالكسر الجارى ، وبالفتح : اللامع (الغابر) بالموحدة بعد الألف ، أى الباقى فى الأفق بعد انتشار ضوء الفجر ، وإنما يستنير فى ذلك الوقت الكوكب الشديد الإضاءة ، وفى الموطإ : الغاير بالتحية ، يريد انحطاطه من الجانب الغربى . قال التوربشتى : وهو تصحيف . وفى الترمذى : الغارب بتقديم الراء . قال الحافظ : والرواية الأولى هى المشهورة ، ومعناه هنا : هو الذاهب . وقد فسره فى الحديث بقوله : من المشرق إلى المغرب (فى الأفق) أى طرف السماء (من المشرق أو المغرب) وفائدة التقييد بالدرى ثم بالغابر : الإيذان بأنه من باب التمثيل الذى وجهه منتزع من عدة أمور متوهمة فى المشبه ، شبه رؤية الرائى فى الجنة صاحب الغرفة برؤية الرائى الكوكب المستضىء الباقى فى جانب المشرق أو المغرب فى الاستضاءة

مع البعد ، فلو اقتصر على الغابر لم يصح ، لأن الإشراق يفوت عند الغؤر ، اللهم إلا أن يقدّر المستشرف على الغؤر ، كقوله تعالى : « فإذا بلغن أجلهنّ » أى شارفن بلوغ أجلهنّ ، لكن لا يصح هذا المعنى فى الجانب الشرقى . نعم على التقدير كقولهم : متقلداً سيفاً ورمحاً ، وعلفتها تبناً وماء بارداً ، أى طالعاً فى الأفق من المشرق ، وغابراً فى المغرب (لتفاضل ما بينهم ، قالوا : يا رسول الله تلك) الغرف المذكورة (منازل الأنبياء) عليهم الصلاة والسلام (لا يبلغها غيرهم ، قال) صلى الله عليه وآله وسلم (بلى والذى نفسى بيده) أى نعم هى منازل الأنبياء بإيجاب الله تعالى لهم ذلك ، ولكن قد يتفضل الله تعالى على غيرهم بالوصول إلى تلك المنازل . وقال ابن التين : يحتمل أن يكون « بلى » جواب النفى فى قولهم « لا يبلغها غيرهم » فكأنه قال : بلى يبلغها رجال غيرهم . ولأبى ذر فيما حكاه السفاقسى : بل التى للإضراب . قال القرطبى : والسياق يقتضى أن يكون الجواب بالإضراب ، وإيجاب الثانى : أى بل هم (رجال آمنوا بالله) حق إيمانه (وصدقوا المرسلين) حق تصديقهم وإلا لكان كل من آمن بالله وصدق رسوله وصل إلى تلك الدرجة وليس كذلك . ويحتمل أن يكون التنكير فى قوله « رجال » يشير إلى ناس مخصوصين موصوفين بالصفة المذكورة لا يلزم أن يكون كل من وصف بها كذلك لاحتمال أن يكون لمن بلغ تلك المنازل صفة أخرى ، وكأنه سكت عن الصفة التى اقتضت لهم ذلك ، والسير فيه أنه قد يبلغها من له عمل مخصوص ، ومن لا عمل له كان بلوغها إنما هو برحمة الله تعالى . قال القسطلانى : وكل أهل الجنة مؤمنون مصدقون ، لكن امتياز هؤلاء بالصفة المذكورة . وفى حديث أبى سعيد عند الترمذى من وجه آخر : وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما . وعنده أيضاً عن على مرفوعاً : إن فى الجنة غرفاً يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها ، فقال أعرابى : لمن هى يا رسول الله ؟ قال : هى لمن ألان الكلام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام . وقال الكرمانى : المصدقون بجميع الرسل ، ليس إلا أُمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيبقى مؤمنو سائر الأمم فيها . انتهى . فالغرف لهذه الأمة ، إذ تصديق جميع الرسل إنما يتحقق لها بخلاف غيرهم من الأمم ، وإن كان فيهم من صدق بمن سيجىء من بعده من الرسل ، فهو بطريق التوقع لا بطريق الواقع . قاله فى الفتح . وهذا الحديث أخرجه مسلم فى صفة الجنة .

الحديث الثالث والثلاثون

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا قالَتْ : قالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَبْرِدُوهَا بِالمَاءِ .

(عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : الحمى من فيح جهنم) من حرارتها ، حقيقة أُرسلت إلى الدنيا نذيراً للجاحدين وبشيراً للمقربين ، إنها كفارة لذنوبهم ، أو حر الحمى شبيه بحر جهنم (فأبردوها بالماء) كما أن النار تزال بالماء كذلك حرارة الحمى . وصيغة الجمع فى أبردوها ، هو الصحيح المشهور فى الرواية ، وليس فى الأحاديث الواردة فى ذلك كيفية التبريد المذكور ، وأولى ما يحمل عليه ما فعلته أسماء بنت أبى بكر كما فى مسلم : أنها كانت تؤتى بالمرأة الموعوكة فتصب الماء فى جيبها . وفى غيره : أنها كانت ترش على بدن المحموم شيئاً من الماء بين ثدييه وثوبه . فالصحابى ولا سيما أسماء التى هى ممن كان يلازم بيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم أعلم بالمراد من غيرها ، والأطباء يسلمون أن الحمى الصفراوية يبرد صاحبها بسقى الماء البارد الشديد البرودة ، ويسقونه الثلج ويغسلون أطرافه بالماء البارد . ويحتمل أن يكون ذلك لبعض الحميات دون بعض . قال فى الفتح : وهذا أوجه فإن خطابه صلى الله عليه وآله وسلم قد يكون عاماً وهو الأكثر ، وقد يكون خاصاً فيحتمل أن يكون هذا مخصوصاً بأهل الحجاز ومن والاهم ، إذ كانت أكثر الحميات التى تعرض لهم من العفونة الحادثة عن شدة الحرارة ، وهذه ينفعها الماء شرباً واغتسالا .

الحديث الرابع والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم قالَ : نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ ، قِيلَ : يَارَسُولَ ٱللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً . قالَ : فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا .

(عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : ناركم) هذه التى توقدونها فى جميع الدنيا (جزء) واحد (من سبعين جزءاً من نار جهنم) وفى رواية لأحمد : من مائة جزء ، ويجمع بأن المراد المبالغة فى الكثرة لا العدد الخاص والحكم للزائد . وزاد الترمذى من حديث أبى سعيد : لكل جزء منها مثل حرها . وعند ابن ماجه من حديث أنس مرفوعاً : وإنها — يعنى نار الدنيا — لتدعو الله أن لا يعيدها فيها (قيل يا رسول الله) لم أعرف القائل (إن كانت) هذه النار (الكافية) فى إحراق الكفار وتعذيب الفجار فهلا اكتفى بها (قال) صلى الله عليه وآله وسلم مجيباً له : إنها (فضلت عليهنّ) أى على نيران الدنيا (بتسعة وستين جزءاً كلهنّ مثل حرها) أعاد صلى الله عليه وآله وسلم حكاية تفضيل نار جهنم على نار الدنيا لتميز عذاب الله من عذاب الخلق ، وإشارة إلى المنع من دعوى الإجزاء . قال حجة الإسلام : نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ، ولكن لما كان أشدّ عذاب فى الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب نار جهنم بها ، وهيهات لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها هرباً مما هم فيه . انتهى . وفى رواية أحمد وابن حبان من وجه آخر عن أبي هريرة : وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ما انتفع بها أحد . ونحوه للحاكم وابن ماجه . وفى الجامع لابن عيينة عن ابن عباس رضى الله عنهما : هذه النار ضربت بماء البحر سبع مرات ، ولولا ذلك ما انتفع بها أحد .

الحديث الخامس والثلاثون

عَنْ أُسَامَةَ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُ قالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللّٰهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فى النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فى النَّارِ فَيَدُورُ كما يَدُورُ ٱلْحِمَارُ بِرَحَاهُ ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: يَا فُلانُ ما شأْنُكَ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ المُنْكَرِ ؟ قالَ : كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ .

(عن أسامة) بن زيد (رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يقول : يجاء بالرجل) بضم الياء وفتح الجيم) يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه (جمع قتب بكسر القاف : الأمعاء ، والاندلاق بالدال : الخروج بسرعة ، أى تنصب أمعاؤه من جوفه وتخرج من دبره (فى النار فيدور كما يدور الحمار برحاه ، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون) له (أى فلان ، ما شأنك ؟) الذى أنت فيه (أليس كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر) استفهام استخباري (قال : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه ، وأنهاكم عن المنكر وآتيه) وفيه وعيد شديد لمن علم ولم يعمل وأرشد ولم يرشد وهدى ولم يهتد .

الحديث السادس والثلاثون

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهَا قالَتْ : سُحِرَ ٱلنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَما يَفْعَلُهُ ، حَتَّى كانَ ذَاتَ يَوْمٍ دَعَا وَدَعا ، ثُمَّ قالَ : أُشْعِرْتُ أَنَّ ٱللّٰهَ أَفْتَانى فِيما فِيهِ شِفَائِى : أَتَانى رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِى وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَىَّ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ : ما وَجَعُ الرَّجُلِ ؟ قالَ : مَطْبُوبٌ ، قالَ : وَمَنْ طَبَّهُ ؟ قالَ : لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ ، قالَ : فِيماذَا ؟ قالَ : فى مُشْطٍ وَمُشَاقَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ ، قالَ : فَأَيْنَ هُوَ ؟ قالَ : فى بِئْرِ ذَرْوَانَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهَا النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ لِعَائِشَةَ حِينَ رَجَعَ : نَخْلُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ، فَقُلْتُ : ٱسْتَخْرَجْتَهُ ؟ فَقَالَ : لَا ، أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانى اللّٰهُ ، وَخَشِيتُ أَنْ يُثِيرَ ذلِكَ عَلَى النَّاسِ شرًّا ، ثُمَّ دَفَنْتُ الْبِئْرَ .

(عن عائشة رضى الله عنها قالت : سحر النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم) لما رجع من الحديبية (حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشىء) من أمور الدنيا . وفى الطب : حتى كان يرى أنه يأتى النساء (وما يفعله) وفى جامع معمر عن الزهرى أنه صلى الله عليه وآله وسلم لبث كذلك سنة (حتى كان ذات يوم) ينصب ذات ويجوز رفعها ، وقد قيل: إنها مقحمة ، وقيل: بل هى من إضافة الشىء إلى نفسه على رأى من يجيزه (دعا ودعا) مرتين. ولمسلم من رواية ابن نمير : فدعا ثم دعا بالتكرير ثلاثاً ، وهو المعهود من عادته (ثم قال) لعائشة (أُشعرت) أى أُعلمت (أن الله) عز وجل (أفتانى فيما فيه شفائى) وللحميدى : أفتانى فى أمر استفتيته فيه ، أىأجابنى فيما دعوته ، فأطلق على الدعاء استفتاء ، لأن الداعى طالب والمجيب مفت ، أو المعنى أجابنى عما سألته عنه ، لأن دعاءه كان أن يطلعه الله على حقيقة ما هو فيه لما اشتبه عليه من الأمر (أتانى رجلان) وعند الطبرانىمن طريق مرجا بن مرجا عن هشام : أتانى ملكان . وعند ابن سعد فى رواية منقطعة أنهما جبريل

وميكائيل (فقعد أحدهما) هو جبريل كما جزم به الدمياطى فى السيرة (عند رأسى و) قعد (الآخر) وهو ميكائيل (عند رجلىّ) بالتثنية (فقال أحدهما) وهو ميكائيل (للآخر) وهو جبريل (ما وجع الرجل) فيه إشعار بوقوع ذلك فى المنام ، إذ لو كان يقظة لخاطباه وسألاه . وفى رواية ابن عيينة عند الإسماعيلى : فانتبه من نومه ذات يوم . لكن فى حديث ابن عباس بسند ضعيف عند ابن سعد : فهبط عليه ملكان وهو بين النائم واليقظان (قال) أى جبريل لميكائيل (مطبوب) أى مسحور ، كنوا عن السحر بالطب ، كما كنوا عن اللديغ بالسليم تفاؤلا (قال) أى ميكائيل لجبريل (ومن طبه ؟ قال) جبريل لميكائيل : طبه (لبيد بن الأعصم) اليهودى (قال : فى ماذا ؟ قال : فى مشط) بضم الميم وإسكان الشين وقد يكسر أوله مع إسكان ثانيه ، وقد يضم ثانيه مع ضم أوله فقط ، واحد الأمشاط : الآلة التى يمشط بها الشعر. وفى حديث عمرة عن عائشة أنه مشطه صلى الله عليه وآله وسلم (ومشاقة) بالقاف : ما يستخرج من الكتان (وجف طلعة) بضم الجيم وتشديد الفاء والإضافة وتنوين طلعة (ذكر) بالتنوين أيضاً صفة لجف ، وهو وعاء الطلع وغشاؤه إذا جف (قال) ميكائيل لجبريل (فأين هو ؟ قال) جبريل (فى بئر ذروان) بذال معجمة مفتوحة وراء ساكنة : بالمدينة فى بستان لبنى زريق من اليهود . وقال البكرى والأصمعى : بئر أروان . وغلط القائل بالأول ، وكلاهما صحيح (فخرج إليها) أى إلى البئر المذكورة (النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم) زاد فى الطب : فى أُناس من أصحابه (ثم رجع فقال لعائشة حين رجع نخلها) التى إلى جانبها (كأنها) أى نخلها فى قبح المنظر . ولأبى ذر : كأنه أى النخل (رءوس الشياطين) كذا وقع هنا ، والتشبيه إنما هو لرءوس النخل . وفى الطب : وكأن رءوس نخلها من الشياطين ، أى فى قبح المنظر (فقلت : استخرجته ، فقال) صلى الله عليه وآله وسلم (لا) لم أستخرجه (أما أنا فقد شفانى الله وخشيت أن يثير ذلك) أى استخراجه (على الناس شراً) كتذكر السحر ونعلمه ، وهو من باب ترك المصلحة خوف المفسدة . وفى الطب من طريق سفيان بن عيينة عن ابن جريج عن آل عروة عن عروة فأتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم البئر حتى استخرجه ، ثم قال : فاستخرج ، قال فقلت : ألا تنشرت ؟ فقال : أما والله قد شفانى وأكره أن أثير على

أحد من الناس شراً فأثبت استخراج السحر وجعل سؤال عائشة عن النشرة ، وزيادته مقبولة ، لأنه أثبت من بقية من روى هذا الحديث ، لا سيما وقد كرر استخراج السحر مرتين كما ترى ، فبعد من الوهم ، وزاد ذكر النشرة ، وجعل جوابه صلى الله عليه وآله وسلم عنها . وفى رواية عمرة عن عائشة أنه وجد فى الطلعة تمثالا من شمع ، تمثال النبى صلى الله عليه وآله وسلم وإذا فيه إبر مغروزة وإذا وتر فيه إحدى عشرة عقدة ، فنزل جبريل بالمعوذتين ، فكلما قرأ آية انحلت عقدة ، وكلما نزع إبرة وجد لها ألماً ثم يجد بعدها راحة (ثم دفنت البئر) مبنياً للمفعول . ومطابقة الحديث لما ترجم به من جهة أن السحر إنما يتم باستعانة الشياطين على ذلك . وأخرجه فى الطب أيضاً ، وكذا النسائى .

الحديث السابع والثلاثون

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم يَأْتِى الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ : مَنْ خَلَقَ كَذَا ، مَنْ خَلَقَ كَذَا ، حَتَّى يَقُولَ : مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ ، فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : يأتى الشيطان أحدكم) يوسوس فى صدره (فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟) بالتكرار مرتين (حتى يقول : من خلق ربك ؟ فإذا بلغه) أى إذا بلغ قوله : من خلق ربك (فليستعذ بالله) من وسوسته بأن يقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، قال تعالى : « وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله » (ولينته) عن الاسترسال معه فى ذلك ، بل يلجأ إلى الله فى دفعه ويعلم أنه يريد إفساد دينه وعقله بهذه الوسوسة ، فينبغى أن يجتهد فى دفعها بالاشتغال بغيرها . وفى الحديث إشارة إلى ذم كثرة السؤال عما لا يعنى المرء وعما هو مستغن عنه . وفيه علم من أعلام النبوة لإخباره بوقوع ما سيقع فوقع . وفى رواية لمسلم عن أبى هريرة قال : سألنى عنها اثنان . قال المازرى : الخواطر على قسمين : فالتى لا تستقر ولا يجلبها شبهة هى التى تدفع بالإعراض عنها ، وعلى هذا ينزل الحديث ، وعلى مثلها ينطبق اسم الوسوسة . وأما الخواطر المستقرة الناشئة عن الشبهة فهى التى لا تدفع إلا بالنظر والاستدلال . وهذا الحديث أخرجه مسلم فى الأيمان ، وأبو داود فى السنن ، والنسائى فى اليوم والليلة .

الحديث الثامن والثلاثون

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم يُشِيرُ إلَى المَشْرِقِ ، فَقَالَ هَا إنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا ، إنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا ، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ

(عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما) أنه (قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يشير إلى المشرق ، فقال : ها) بالقصر من غير همز ، حرف تنبيه (إن الفتنة ها هنا ، إن الفتنة ها هنا) مرتين . وفى رواية يونس : إن الفتنة هاهنا ، أعادها ثلاث مرات (من حيث يطلع قرن الشيطان) نسب الطلوع لقرن الشيطان مع أن الطلوع للشمس لكونه مقارناً لطلوعها ، ومراده صلى الله عليه وآله وسلم أن منشأ الفتنة من جهة المشرق ، وهذا من إعلام نبوته صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد وقع ذلك كما أخبر . وللحديث طرق وألفاظ ذكرها فى الفتح فى كتاب الفتن .

الحديث التاسع والثلاثون

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : إِذَا ٱسْتَجْنَحَ اللَّيْلُ ، أَوْ كانَ جُنْحُ الليْلِ ، فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ فَحُلوهُمْ وَأَغْلِقْ بَابَكَ ، وَٱذْكُرِ ٱسْمَ ٱللهِ ، وَأَطْفِئْ مِصْبَاحَكَ ، وَٱذْكُر ٱسْمَ ٱللهِ ، وَأَوْكِ سِقَاءَكَ ، وَٱذْكُر ٱسْمَ ٱللهِ ، وَخَمِّرْ إِنَاءَكَ ، وَٱذْكُرِ اسْمَ ٱللهِ ، وَلَوْ تَعْرُضُ عَلَيه شَيْئاً .

(عن جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : إذا استجنح الليل) أى أقبل ظلامه حين تغيب الشمس ، وحكى عياض : استنجع ، وهو تصحيف (أو كان جنح الليل) بضم الجيم وكسرها وسكون النون ، أى طائفة منه ، وكان تامة ، أى حصل (فكفوا صبيانكم) أى ضموهم وامنعوهم من الانتشار ذلك الوقت (فإن الشياطين تنتشر حينئذ) لأن حركتهم فى الليل أمكن منها لهم فى النهار ، لأن الظلام أجمع للقوى الشيطانية من غيره ، وكذلك كل سواد ، وإنما خيف على الصبيان فى تلك الساعة ، لأن النجاسة التى تلوذ بها الشياطين موجودة معهم غالباً ، والذكر الذى يحرق منهم مفقود من الصبيان غالباً والشياطين عند انتشارهم يتعلقون بما يمكنهم التعلق به ، فلذا خيف على الصبيان من إيذائهم فى ذلك الوقت . قال ابن الجوزى(فإذا ذهب ساعة من العشاء) أى بعض الظلمة لامتدادها (فحلوهم) بالحاء المهملة المضمومة ولأبى ذر : بالخاء المعجمة المفتوحة (وأغلق بابك) خطاب لمفرد والمراد به كل أحد ، فهو عام بحسب المعنى ، ولا شك أن مقابلة المفرد بالمفرد تفيد التوزيع (واذكر اسم الله) عليه (وأطفئ) بالهمز أمر من الإطفاء خوفاً من الفويسقة أن تجر الفتيلة فتحرق البيت ، وفى سنن أبى داود من حديث ابن عباس : جاءت فأرة فأخذت تجر الفتيلة فجاءت بها وألقتها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الخمرة التى كان قاعداً عليها فأحرقت منها موضع درهم (مصباحك) المصباح عام يشمل

السراج وغيره . نعم القنديل المعلق إن أمن منها فلا بأس لانتفاء العلة . ذكره القسطلانى (واذكر اسم الله) عليه (وأوك سقاءك) بالكسر والمد ، أى اشدد فم قربتك بخيط أو غيره (واذكر اسم الله) عليه (وخمر) أى غط (إناءك) صيانة من الشيطان ، لأنه لا يكشف غطاء ولا يحل سقاء ولا يفتح باباً ولا يؤذى صبياً ، وفى تغطية الإناء أيضاً أمن من الحشرات وغيرها ، ومن الوباء الذى ينزل فى ليلة من السنة ، إذ ورد أنه لا يمر بإناء ليس عليه غطاء أو شىء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه . وعن الليث : والأعاجم يتقون ذلك فى كانون الأول (واذكر اسم الله) عليه (ولو تعرض) بضم الراء وتكسر ، من باب قتل وضرب (عليه) أى على الإناء (شيئاً) عوداً أو نحوه تجعله عليه عرضاً بخلاف الطول إن لم تقدر على ما تغطيه به ، والأمر فى كلها للإرشاد . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى الأشربة ، وكذا مسلم وأبو داود ، وأخرجه النسائى فى اليوم والليلة .

الحديث الأربعون

عَنْ سُلَيْمانَ بْنِ صُرَدٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : كُنْتُ جالِساً مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَرَجُلَانِ يَسْتَبَّانِ ، فَأَحَدُهُمَا ٱحْمَرَّ وَجْهُهُ ، وَٱنْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : إِنِّى لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قالَها ذَهَبَ عَنْهُ ما يَجِدُ ، لَوْ قالَ : أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ذَهَبَ عَنْهُ مايَجِدُ . فَقَالُوا لَهُ : إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قالَ : تَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَان . فَقَالَ : وَهَلْ بِى جُنُونٌ .

(عن سليمان بن صرد) بضم الصاد المهملة وبعد الراء المفتوحة دال مهملة الخزاعى ، (رضى الله عنه قال : كنت جالساً مع النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم ورجلان) قال فى الفتح : لم أعرف اسمهما (يستبان) يتشاتمان (فأحدهما أحمر وجهه وانتفخت أوداجه) من شدة الغضب . والودج : عرق فى المذبح من الحلق ، وعبر بالجمع على حدة قوله : أزج الحواجب (فقال النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم : إنى لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد) من الغضب (لو قال : أعوذ بالله من الشيطان) لم يقل الرجيم (ذهب عنه ما يجد) لأن الغضب من نزغات الشيطان (فقالوا له : إن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : تعوذ بالله من الشيطان) فى سنن أبى داود : إن الذى قال له ذلك معاذ بن جبل (فقال : وهل بى جنون ؟) ظن أنه لا يستعيذ من الشيطان إلا من به جنون ، ولم يعلم أن الغضب نوع من مس الشيطان ، ولهذا يخرج به عن صورته ، ويزين له إفساد ماله ، كتقطيع ثوبه وكسر آنيته . وعند أبى داود من حديث عطية السعدى يرفعه : إن الغضب من الشيطان . وقال النووى : هذا كلام من لم يفقه فى دين الله ولم يتهذب بأنوار الشريعة المطهرة ، ولعله كان من المنافقين أو من جفاة العرب . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى الأدب ، وكذا مسلم وأبو داود ، وأخرجه النسائى فى اليوم والليلة .

الحديث الحادى والأربعون

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : التَّثَاؤُبُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ ما ٱسْتَطَاعَ ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قالَ هَا ضَحِكَ الشَّيْطَانُ .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : التثاؤب من الشيطان) وهو التنفس الذى ينفتح منه الفم لدفع البخارات المحتقنة فى عضلات الفك ، ينشأ من الامتلاء وثقل النفس وكدورة الحواس ، ويورث الغفلة والكسل وسوء الفهم ، وذلك كله بواسطة الشيطان ، لأنه هو الذى يزين للنفس شهواتها ، فلذا أضيف إليه (فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع) قال فى الفتح : أى يأخذ فى أسباب رده وليس المراد أنه يملك رده ، لأن الذى وقع لا يرد حقيقة . وقيل المعنى : إذا أراد أن يتثاءب . وقال الكرمانى : أى ليكظم وليضع يده على الفم لئلا يبلغ الشيطان مراده من تشويه صورته ودخوله فمه (فإن أحدكم إذا قال ها) مقصور من غير همز حكاية : صوت المتثائب (ضحك الشيطان) فرحاً بذلك . وأخرج ابن أبى شيبة والبخارى فى التاريخ من مرسل يزيد بن الأصم : ما تثاءب النبى صلى الله عليه وآله وسلم قط . وعند الخطابى من طريق مسلمة بن عبد الملك ابن مروان : ما تثاءب نبى قط .

الحديث الثانى والأربعون

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم : الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ ٱللهِ وَالحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، فإِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ حُلْماً يَخَافُهُ فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ وَلْيَتَعَوَّذْ باللهِ مِنْ شَرِّهَا فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ .

(عن أبى قتادة) الحارث بن ربعى الأنصارى (رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم : الرؤيا الصالحة من الله) الصالحة صفة موضحة للرؤيا ، لأن غير الصالحة تسمى بالحلم أو مخصصة ، والصلاح إما باعتبار صورتها أو باعتبارتعبيرها (والحلم بضم) المهملة واللام ، وهو الرؤيا الغير الصالحة (من الشيطان) لأنه هو الذى يريها للإنسان ليحزنه ويسىء ظنه بربه (فإذا حلم أحدكم) بفتح الحاء واللام (حلماً) بضم الحاء وسكون اللام (يخافه) صفة لحلماً (فليبصق عن يساره) طرداً للشيطان (وليتعوذ بالله من شرها) أى الرؤية السيئة (فإنها لا تضره) وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى التعبير ، والنسائى فى اليوم والليلة .

الحديث الثالث والأربعون

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : إِذَا ٱسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَتَوَضَّأَ فَلْيَسْتَنْثِرْ ثَلَاثاً ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيْشُومِهِ .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم) أنه (قال : إذا استيقظ) أُراه أى أظنه (أحدكم من منامه فتوضأ فليستنثر ثلاثاً) بأن يخرج ما فى أنفه من أذى بنفسه بعد الاستنشاق لما فيه من تنقية مجرى النفس الذى به تلاوة القرآن ، وبإزالة ما فيه تصح مجارى الحروف. وقوله : « فليستنثر » أكثر فائدة من قوله « فليستنشق » لأن الاستنثار يقع على الاستنشاق بغير عكس ، فقد يستنشق ولا يستنثر . والاستنثار من تمام فائدة الاستنشاق ، لأن حقيقة الاستنشاق جذب الماء بريح الأنف إلى أقصاه . والاستنثار إخراج ذلك الماء ، والمقصود من الاستنشاق تنظيف داخل الأنف ، والاستنثار يخرج ذلك الوسخ مع الماء ، فهو من تمام الاستنشاق . وقيل : إن الاستنثار مأخوذ من النثرة ، وهى طرف الأنف ، وقيل الأنف نفسه . فعلى هذا فمن استنشق فقد استنثر ، لأنه يصدق أنه تناول الماء بأنفه أو بطرف أنفه ، وفيه نظر (فإن الشيطان يبيت على خيشومه) حقيقة ، لأن الأنف أحد المنافذ التى يتوصل منها إلى القلب ، لا سيما وليس من منافذ الجسم ما ليس عليه غلق سواه وسوى الأذنين . وقد جاء فى التثاؤب الأمر بكظمه من أجل دخول الشيطان حينئذ فى الفم . ويحتمل أن يكون على الاستعارة ، فإنه ينعقد من الغبار ورطوبة الخياشيم قذر يوافق الشيطان . قاله القاضى عياض . والخيشوم بالفتح : هو الأنف ، وقيل المنخر . وقال التوربشتى والبيضاوى : هو أقصى الأنف المتصل بالبطن المقدم من الدماغ الذى هو موضع الحس المشترك ومستقر الخيال ، فإذا نام تجتمع فيه الأخلاط وييبس عليه المخاط ويكل الحس ويتشوش الفكر ، فيرى أضغاث أحلام ، فإذا قام من نومه وترك الخيشوم بحاله استمر الكسل والكلال ، واستعصى عليه النظر الصحيح ، وعسر الخضوع والقيام على

حقوق الصلاة وأدائها . ثم قال التوربشتى : ما ذكر هو من طريق الاحتمال وحق الأدب دون الكلمات النبوية التى هى مخـازن لأسرار الربوبية ومعادن الحكم الإلهية أن لا يتكلم فى هذا الحديث وأخواته بشىء فإن الله تعالى خص رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بغرائب المعانى وكاشفه عن حقائق الأشياء ما يقصر عن بيانه باع الفهم ويكل عن إدراكه بصر العقل . انتهى . وظاهر الحديث أن هذا يقع لكل نائم ، ويحتمل أن يكون مخصوصاً بمن لم يحترس من الشيطان بشىء من الذكر لحديث أبى هريرة : من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، فى يوم مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة . وفيه : وكانت له حرزاً من الشيطان . وكذلك آية الكرسى . ففيه . ولا يقربك شيطان ، ويحتمل أن يكون المراد بنفى القرب هنا أنه لا يقترب من المكان الذى يوسوس فيه وهو القلب فيكون مبيته على الأنف ليتوصل منه إلى القلب إذا استيقظ ، فمن استنثر منعه من التوصل إلى ما يقصد من الوسوسة ، فحينئذ فالحديث متناول لكل مستيقظ ، ثم إن الاستنشاق من سنن الوضوء اتفاقاً لكل من استيقظ أو كان مستيقظاً . وقالت طائفة بوجوبه فى الغسل وطائفة بوجوبه فى الوضوء ، وهل تنادى السنة بمجرده بغير استنثار أم لا خلاف ، وهو محل بحث وتأمل ، والذى يظهر أنها لا تتم إلا به . قاله فى الفتح : وهذا الحديث أخرجه مسلم والنسائى فى الطهارة .

الحديث الرابع والأربعون

عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ : ٱقْتُلُوا الحَيَّاتِ وَٱقْتُلُوا ذَا الطُّفْيَتَيْنِ وَالْأَبْتَرَ ، فَإِنَّهُمَا يُطْمِسَانِ الْبَصَرَ وَيُسْقِطَانِ الحَبَلَ ، قالَ عَبْدُ ٱللَّهِ : فَبَيْنَا أَنَا أُطَارِدُ حَيَّةً لِأَقْتُلَهَا فَنَادَانى أَبُو لُبَابَةَ : لَاتَقْتُلْهَا ، فَقُلْتُ : إِنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَدْ أَمَرَ بِقَتْلِ الحَيَّاتِ . فَقَالَ : إِنَّهُ نَهى بَعْدَ ذلِكَ عَنْ ذَواتِ الْبُيُوتِ ، وَهِيَ الْعَوَامِرُ .

(عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يخطب على المنبر يقول : اقتلوا الحيات واقتلوا ذا الطفيتين) بضم الطاء وسكون الفاء ، تثنية طفية : وهو الذى على ظهره خطان أبيضان . والطفى : خوص المقل . والطفية : خوصة المقل ، شبه به الخط الذى على ظهر الحية (والأبتر) الذى لا ذنب له أو قصيره أو الأفعى التى قدر شبر أو أكبر قليلا . وقال النضر بن شميل : إنه أزرق اللون لا تنظر إليه حامل إلا ألقت . وقوله « الأبتر » يقتضى التغاير بين ذى الطفيتين والأبتر . ووقع فى الطريق الثانية : لا تقتلوا الحيات إلا كل أبتر ذى طفيتين وظاهره اتحادهما (فإنهما يطمسان البصر) أى يمحوان نوره . وفى رواية : يذهب البصر . وفى حديث عائشة : فإنه يلتمس البصر (ويسقطان الحبل) أى الولد إذا نظرت إليهما الحامل . وفى رواية : إنه يسقط الولد . وفى حديث عائشة : فإنه يصيب الحبل . وفى أخرى : ويذهب الحبل . وكلها بمعنى . قال القسطلانى : ومن الحيات نوع إذا وقع نظره على إنسان مات من ساعته ، وآخر إذا سمع صوته مات . وإنما أمر بقتلهما لأن الشيطان لا يتمثل بهما . قاله الداودى ، وهو متعقب . (قال عبد الله) ابن عمر رضى الله عنهما (فبينا) بغير ميم (أنا أطارد) أى أتبع وأطلب (حية لأقتلها) أى لأن أقتلها (فنادانى أبو لبابة) بضم اللام وتخفيف الموحدة ، صحابى مشهور اسمه بشير : بفتح الموحدة وكسر المعجمة ، وقيل : مصغر ، وقيل : بتحتية ومهملة مصغر ، وقيل : رفاعة ،

وقيل : بل اسمه كنيته ، وشذ من قال : اسمه مروان ، وقال الكرمانى : اسمه رفاعة على الأصح ابن عبد المنذر الأوسى النقيب . قال فى الفتح : وليس له فى الصحيح إلا هذا الحديث ، وكان أحد النقباء ، وشهد أُحداً ويقال بدراً واستعمله النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المدينة ، وكانت معه راية قومه يوم الفتح ، ومات فى أول خلافة عثمان على الصحيح (لا تقتلها ، فقلت) له (إن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم قد أمر بقتل الحيات ، قال : إنه نهى بعد ذلك عن ذوات البيوت) أى اللاتى يوجدن فى البيوت ، لأن الجنى يتمثل بها ، وظاهره التعميم فى جميع البيوت . وعن مالك : تخصيصه ببيوت أهل المدينة ، وقيل : يختص ببيوت المدن دون غيرها . وعلى كل قول فتقتل فى البرارى والصحارى من غير إنذار . وروى الترمذى عن ابن المبارك أنها الحية التى تكون كأنها فضة ولا تلتوى فى مشيتها . وفى مسلم : إن بالمدينة جناً قد أسلموا ، فإذا رأيتم منهم شيئاً فآذنوه ثلاثة أيام ، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان (وهى العوامر) هو كلام الزهرى أدرج فى الخبر ، قال أهل اللغة : عمار البيوت : سكانها من الجن ، وتسميتهنّ عوامر لطول لبثهن فى البيوت ، مأخوذ من العمر وهو طول البقاء . وعند مسلم من حديث أبى سعيد مرفوعاً : إن لهذه البيوت عوامر ، فإذا رأيتم منها شيئاً فحرجوا عليه ثلاثاً فإن ذهب وإلا فاقتلوه . واختلف فى المراد بالثلاث ، فقيل : ثلاث مرات ، وقيل : ثلاثة أيام . قال فى الفتح : معنى حرجوا عليه : أن يقال له أنت فى ضيق وحرج إن لبثت عندنا أو ظهرت لنا أو عدت إلينا. وفى الحديث النهى عن قتل الحيات التى فى البيوت بغير الإيذان إلا أن يكون أبتر أو ذا طفيتين ، فيجوز قتله من غير إيذان . قال القرطبي : والأمر فى ذلك للإرشاد . نعم ما كان منها محقق الضرر وجب دفعه . وهذا الحديث أخرجه مسلم أيضاً .

الحديث الخامس والأربعون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ : رَأْسُ الْكُفْرِ نَحْوَ المَشْرِقِ ، وَالْفَخْرُ وَالخُيَلَاءُ فى أَهْلِ الخَيْلِ وَالْإِبِلِ ، وَالْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبَرِ ، وَالسَّكِينَةُ فى أَهْلِ ٱلْغَنَمِ .

عن (أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : رأس الكفر نحو المشرق) وفى رواية : قبل المشرق ، أى من جهته . قال فى الفتح : وفى ذلك إشارة إلى شدة كفر المجوس ، لأن مملكة الفرس ومن أطاعهم من العرب كانت من جهة المشرق بالنسبة إلى المدينة ، وكانوا فى غاية القوة والتكبر والتجبر حتى مزق ملكهم كتاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، واستمرت الفتن من قبل المشرق . وقال القسطلانى : أى أكثر الكفرة من جهة المشرق وأعظم أسباب الكفر منشؤه منه ، ومنه يخرج الدجال (والفخر) معروف ومنه الإعجاب بالنفس (والخيلاء) ممدوداً : الكبر واحتقار الغير (فى أهل الخيل والإبل والفدادين) بتشديد الدال عند الأكثر . وعن أبي عمرو الشيبانى أنه خففها وقال : إنه جمع فدان ، والمراد به البقر التى يحرث عليها . وقال الخطابى: الفدان آلة الحرث والسكة . فعلى الأول الفدادون : جمع فداد ، وهو من يعلو صوته فى إبله وخيله ونحو ذلك . والفديد : هو الصوت الشديد . وعن معمر بن المثنى : إن الفدادين هم أصحاب الإبل الكثيرة من المائتين إلى الألف . وقال أبو العباس : هم الرعاة والجمالون . قال الخطابى : إنما ذم هؤلاء لاشتغالهم بمعالجة ما هم فيه عن أمور دينهم ، وذلك يفضى إلى قساوة القلب . قال القرطبي : ليس فى رواية الحديث إلا التشديد ، وهو الصحيح على ما قاله الأصمعى وغيره . وقال ابن فارس : فى الحديث الجفاء والقسوة فى الفدادين ، أى أصحاب الحروث والمواشى (أهل الوبر) بيان للفدادين ، أى ليسوا من أهل الحضر ، بل من أهل البدو ،

ولأن العرب تعبر عن أهل الحضر بأهل المدر ، وعن أهل البادية بأهل الوبر .
قال فى القاموس : المدر محركة المدن والحضر (والسكينة) تطلق على الطمأنينة
والسكون والوقار والتواضع . قال ابن خالويه : لا نظير لها ، أى فى وزنها ،
إلا قولهم : على فلان ضريبة ، أى خراج معلوم (فى أهل الغنم) لأنهم فى
الغالب دون أهل الإبل فى التوسع والكثرة ، وهما من سبب الفخر والخيلاء .
وفى حديث أم هانئ المروى فى ابن ماجه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم
قال لها : اتخذى الغنم فإن فيها بركة . وقيل أراد بأهل الغنم أهلى اليمن ، لأن
غالب مواشيهم الغنم ، بخلاف ربيعة ومضر ، فإنهم أصحاب إبل .

الحديث السادس والأربعون

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو أَبِى مَسْعُودٍ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : أَشَارَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم بِيَدِهِ نَحْوَ الْيَمَنِ فَقَالَ : الْإِيمَانُ يَمَانٍ هَاهُنَا ، أَلَا إِنَّ الْقَسْوَةَ وَغِلَظَ الْقُلُوبِ فى الْفَدَّادِينَ عِنْدَ أُصول أَذْنَاب الْإِبل حَيْثُ يَطلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَان فى رَبِيعَةَ وَمُضَرَ .

(عن عقبة بن عمرو أبى مسعود) الأنصارى البدرى (رضى الله عنه) أنه (قال : أشار رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم بيده نحو اليمن فقال : الإيمان يمان) أصله يمنى بياء النسبة ، فحذفوا الياء للتخفيف وعوضوا الألف بدلها ، أى الإيمان منسوب إلى أهل اليمن . وفيه تعقب على من زعم أن المراد بقوله « يمان » الأنصار لكون أصلهم من أهل اليمن ، لأن فى إشارته إلى جهة اليمن ما يدل على أن المراد به أهلها حينئذ لا الذين كان أصلهم منها ، وسبب الثناء على أهل اليمن إسراعهم إلى الإيمان وحسن قبولهم له ، وقد تقدم قبولهم البشرى حين لم يقبلها بنو تميم فى أول بدء الخلق . وحمل ابن الصلاح هذا الحديث على ظاهر حقيقته لإذعانهم إلى الإيمان من غير كبير مشقة على المسلمين ، بخلاف غيرهم ، ومن اتصف بشىء وقوى إيمانه به نسب ذلك الشىء إليه إشعاراً بكمال حاله فيه ، فكذا حال أهل اليمن حينئذ وحال الوافدين منهم فى حياته وفى أعقابه ، كأويس القرنى وأبى مسلم الخولانى وشبههما ممن سلم قلبه وقوى إيمانه كالشوكانى فى زماننا هذا وأمثاله ، فكانت نسبة الإيمان إليهم بذلك إشعاراً بكمال إيمانهم من غير أن يكون فى ذلك نفى له عن غيرهم ، فلا منافاة بينه وبين قوله صلى الله عليه وآله وسلم : الإيمان فى أهل الحجاز ، ثم المراد بذلك الموجودون منهم حينئذ لا كل أهل اليمن فى كل زمان ، فإن اللفظ لا يقتضيه . قاله القسطلانى . ولكن اللفظ يشمل الصلحاء من أهلها فى كل زمان ، وصرفه بعضهم عن ظاهره من حيث أن مبدأ الإيمان من مكة ثم من المدينة ، حرسهما الله تعالى وردنى إليهما رداً جميلا . وحكى أبو عبيد فى ذلك أقوالا : فقيل : مكة لأنها من تهامة وتهامة من أرض اليمن ، وقيل :

مكة والمدينة ، فإنه يروى فى هذا الحديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم قاله
وهو بتبوك ومكة والمدينة حينئذ بينه وبين اليمن ، وأشار إلى ناحية اليمن وهو
يريد مكة والمدينة ، فقال : الإيمان يمان ، فنسبهما إلى اليمن لكونهما حينئذ
من ناحية اليمن (ها هنا إلا أن القسوة وغلظ القلوب فى الفدادين) أى المصوتين
قال فى القاموس : الفداد : مالك المئين من الإبل إلى الألف والمتكبر ،
والجمع الفدادون ، وهم أيضاً الجمالون والرعيان والبقارون والحمارون
والفلاحون وأصحاب الوبر والذين تعلو أصواتهم فى حروثهم ومواشيهم
والمكثرون من الإبل . انتهى (عند أصول أذناب الإبل) عند سوقهم لها
(حيث يطلع قرنا الشيطان) بالتثنية ، أى جانبا رأسه ، لأنه ينتصب فى محاذاة
مطلع الشمس ، حتى إذا طلعت كانت بين قرنى رأسه ، أى جانبيه ، فتقع
السجدة له حين يسجد عبدة الشمس . قال الخطابى : ضرب المثل بقرنى
الشيطان فيما لا يحمد من الأمور (فى ربيعة ومضر) متعلق بالفدادين . وقال
الكرمانى : بدل منه . وقال النووى : أى القسوة فى ربيعة ومضر الفدادين
والمراد اختصاص المشرق بمزيد من تسلط الشيطان ومن الكفر كما قال فى
الحديث الآخر : رأس الكفر نحو المشرق ، وكان ذلك فى عهده صلى الله
عليه وآله وسلم حين قال ذلك ، ويكون حين يخرج الدجال من المشرق ، وهو
فيما بينهما منشأ الفتن العظيمة ومثار الكفرة : الترك العاتية الشديدة البأس .
وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى الطلاق والمناقب والمغازى ، ومسلم فى الأيمان .

الحديث السابع والأربعون

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم قالَ : إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيكَةِ فَاسْأَلُوا ٱللهَ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكاً ، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ ٱلحِمَار فَتَعَوَّذُوا باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَاناً .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : إذا سمعتم صياح الديكة) بكسر الدال المهملة وفتح التحتية : جمع ديك ، وهو ذكر الدجاج ، ويجمع فى القلة على أدياك ، وفى الكثرة على ديوك وديكة ، وللديك خصيصة ليست لغيره من معرفة الوقت الليلى ، فإنه يقسط فيها أصواته تقسيطاً لا يكاد يتفاوت ، ويوالى صياحه قبل الفجر وبعده ، فلا يكاد يخطىء سواء طال الليل أم قصر ، فسبحان من هداه لذلك . ومن ثم أفتى بعض الشافعيـة [1] باعتماد الديك المجرب فى الوقت ، ويؤيده الحديث الذى سأذكره عن زيد بن خالد (فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً) بفتح اللام ، رجاء تأمينه على دعائكم واستغفاره لكم وشهادته لكم بالتضرع والإخلاص فتحصل الإجابة . قال فى الفتح : ويؤخـذ منه استحباب الدعاء عند حضور الصالحين تبركاً بهم . وأخرج أحمد وأبو داود وصححه ابن حبان من حديث زيد بن خالد أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا تسبوا الديك فإنه يدعو إلى الصلاة . وعند البزار من هذا الوجه : سبب قوله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك أن ديكاً صرخ فلعنه رجل ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم ذلك . قال الحليمى : فيه دليل على أن كل من استفيد منه خير لا ينبغى أن يسب ويستهان بل حقه أن يكرم ويشكر ويتلقى بالإحسان ، وليس معنى دعاء الديك إلى الصلاة أنه يقول بصراخه : صلوا أو حانت الصلاة ، بل معناه أن العادة جرت أنه يصرخ بصرخات متتابعة عند طلوع الفجر وعند الزوال ، فطرة فطره الله عليها ، فيذكر الناس بصراخه للصلاة ، ولا يجوز لهم أن يصلوا بصراخه من غير دلالة سواها إلا من جرب منه ما لا يخلف ،

---

(١) هو القاضى حسين والمتولى والرافعى . ا هـ .

فيصير ذلك له إشارة (وإذا سمعتم نهيق الحمار) جمعه حمير وحمر وأحمرة . زاد النسائى والحاكم من حديث جابر : ونباح الكلب (**فتعوذوا بالله من الشيطان**) من شره وشر وسوسته (فإنه رأى شيطاناً) روى الطبرانى من حديث أبى رافع رفعه : لا ينهق الحمار حتى يرى شيطاناً أو يتمثل له الشيطان ، فإذا كان كذلك فاذكروا الله وصلوا علىّ . قال عياض : وفائدة الأمر بالتعوذ لما يخشى من شر الشيطان وشر وسوسته ، فيلجأ إلى الله فى دفع ذلك . قال الداودى : يتعلم من الديك خمس خصال ، حسن الصوت ، والقيام فى السحر ، والغيرة ، والسخاء وكثرة الجماع . وهذا الحديث أخرجه مسلم فى الدعوات ، وأبو داود فى لأدب ، والترمذى فى الدعوات ، والنسائى فى التفسير واليوم والليلة .

الحديث الثامن والأربعون

وَعَنْهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : فُقِدَتْ أُمَّةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا يُدْرَى مَا فَعَلَتْ ، وَإِنى لَا أُرَاهَا إِلاَّ الْفَأْرَ إِذَا وُضِعَ لَهَا أَلْبَانُ الْإِبِلِ لَمْ تَشْرَبْ ، وَإِذَا وُضِعَ لَهَا أَلْبَانُ الشَّاءِ شَرِبَتْ ، فَحَدَّثْتُ كَعْباً فَقَالَ : أَنْتَ سَمِعْتَ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُهُ ؟ قُلْتُ : نعَمْ ، فَقَالَ لِي مِرَاراً ، فَقُلْتُ : أَفَأَقْرَأُ التَّوْرَاةَ .

(وعنه) أى عن أبي هريرة (رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم) أنه (قال : فقدت) مبنياً للمفعول (أمة) طائفة (من بنى إسرائيل لا يدرى) بضم الياء وفتح الراء (ما فعلت وإنى لا أراها) بضم الهمزة ، لا أظنها (إلا الفأر) بإسكان الهمزة . وعند مسلم من طريق أخرى عن ابن سيرين بلفظ : الفأرة مسخ وآية ذلك (إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشرب) لأن لحوم الإبل وألبانها حرمت على بنى إسرائيل (وإذا وضع لها ألبان الشاء) أى الغنم (شربت) لأنها حلال لهم كلحمها ، وهو دليل على المسخ (فحدثت كعباً) هو كعب الأحبار بذلك (فقال) لى (أنت سمعت النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم يقوله؟) قال أبو هريرة (قلت) له (نعم) سمعته (فقال) أى كعب (لى) أنت سمعته من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟ (مراراً) قال أبو هريرة (فقلت) له (أفأقرأ التوراة؟) بهمزة الاستفهام الإنكارى . وفى رواية مسلم : أفأنزلت علىّ التوراة ، أى أنا لا أقول إلا ما سمعته عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا أنقل عن التوراة . وفيه أن أبا هريرة لم يكن يأخذ عن أهل الكتاب وأن الصحابى الذى يكون كذلك إذا أخبر بما لا مجال للرأى والاجتهاد فيه يكون للحديث حكم الرفع . وفى سكوت كعب عن الرد على أبى هريرة دلالة على تورعه ، وكأنهما جميعاً لم يبلغهما حديث ابن مسعود ، قال : وذكر عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم القردة والخنازير فقال : إن الله لم يجعل لمسيخ نسلا ولا عقباً ، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك ، وعلى هذا يحمل قوله صلى الله عليه وآله وسلم :

ولا أراها إلا الفأرة ، فكأنه كان يظن ذلك ثم أعلم بأنها ليست هى هى . قال ابن قتيبة إن صح هذا الحديث وإلا فالقردة والخنازير هى الممسوخ بأعيانها توالدت . قال فى الفتح : قلت الحديث صحيح انتهى . وذهب أبو إسحق الزجاج وابن العربى أبو بكر إلى أن الموجود من القردة من نسل الممسوخ تمسكاً بحديث الباب . وقال الجمهور : لا ، وهو المعتمد لحديث ابن مسعود المتقدم . وأجابوا عن حديث الباب بأنه قاله قبل أن يوحى إليه بحقيقة الأمر فى ذلك ، ولذا لم يجزم به ، بخلاف النفى فإنه جزم به كما فى حديث ابن مسعود وهذا الحديث أخرجه مسلم فى أواخر صحيحه .

الحديث التاسع والأربعون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ النَّبِي صلى الله عليه وسلم : إِذَا وَقَعَ ٱلذُّبَابُ فِى شَرَابِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ فَإِنَّ فِى إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءً وَفِى الْأُخْرَى شِفَاءً .

(عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم : إذا وقع الذباب) واحده ذبابة (فى شراب أحدكم) هو شامل لكل مائع . وعند ابن ماجه من حديث أبي سعيد : فإذا وقع فى الطعام . وعند أبي داود من حديث أبي هريرة : فإذا وقع فى إناء أحدكم . والإناء يكون فيه كل شىء من مأكول ومشروب (فليغمسه) زاد فى الطب : كله . وفيه رفع توهم المجاز فى الاكتفاء بغمس بعضه ، والأمر للإرشاد لمقابلة الداء بالدواء (ثم لينزعه) وفى رواية : لينتزعه . وفى الطب ثم ليطرحه . وفى البزار برجال ثقات ، إنه يغمس ثلاثاً مع قول بسم الله (فإن فى إحدى جناحيه) وهو الأيسر كما قيل . والجناح يذكر ويؤنث ، فإنهم قالوا فى جمعه: أجنحة وأجنح ، فأجنحة : جمع المذكر كقذال وأقذلة ، وأجنح : جمع المؤنث كشمال وأشمل . والحديث هنا جاء على التأنيث (داء والأخرى) وهو الأيمن وحذف هنا حرف الجر فى قوله « والأخرى » وفيه شاهد لمن يجيز العطف على معمولى عاملين كالأخفش (شفاء) واستنبط من الحديث أن الماء القليل لا ينجس بوقوع ما لانفس له سائلة فيه . قال الإسنوى : المتجه اختصاص الغمس بالذباب ، لأن غمسه لتقديم الداء ، وهو مفقود فى غيره ، وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى الطب ، وابن ماجه أيضاً . وفيه عن الصحابة ومن بعدهم أربعون أثراً . كذا فى الفتح .

الحديث الخمسون

وَعَنْهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : غُفِرَ لِامْرَأَةٍ مُومِسَةٍ مَرَّتْ بِكَلْب عَلَى رَأْسِ رَكِيٍّ يَلْهَثُ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ فَنَزَعَتْ خُفَّهَا فَأَوْثَقَتْهُ بِخِمَارِهَا ، فَنَزَعَتْ لَهُ مِنَ الْمَاءِ ، فَغُفِرَ لَهَا بِذلِكَ .

(وعنه) أى عن أبى هريرة (رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : غفر) مبنياً للمفعول ، أى غفر الله (لامرأة) لم تسم (مومسة) زانية (مرت بكلب على رأس ركى) بئر لم تطو (يلهث) يخرج لسانه عطشاً (قال : قد كاد يقتله العطش فنزعت خفها) من رجلها (فأوثقته بخمارها) بنصيفها (فنزعت له من الماء) استقت للكلب بخفها من الركية (فغفر لها بذلك) أى بسبب سقيها الكلب . وفيه أن الله تعالى يتجاوز عن الكبيرة بالعمل اليسير ، تفضلا منه من غير توبة كما هو الظاهر . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى الطهارة والشرب والنسائى .

الحديث الحادى والخمسون

وَعَنْهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : خَلَقَ ٱللهُ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً ، ثُمَّ قالَ : ٱذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولئِكَ المَلَائِكَةِ فَاسْتَمِعْ ما يُحَيُّونَكَ ، تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، فَقَالُوا : السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ ٱللهِ ، فَزَادُوهُ : وَرَحْمَةُ ٱللهِ ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ فَلَمْ يَزَل الخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الآنَ .

(وعنه) أى عن أبى هريرة (رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم) أنه (قال : خلق الله) عز وجل (آدم) عليه الصلاة والسلام . زاد عبد الرزاق عن معمر : على صورته ، والضمير لآدم ، أى أوجده على الهيئة التى خلقه عليها ، لم يتنقل فى النشأة أحوالا ولا تردد فى الأرحام أطواراً كذريته ، بل خلقه كاملا سوياً من أول ما نفخ فيه الروح . وعورض هذا التفسير بقوله فى حديث آخر : خلق آدم على صورة الرحمن ، وهى إضافة تشريف وتكريم ، لأن الله خلقه على صورة لم يشاكلها شىء من الصور فى الكمال والجمال إبطالا لقول أهل الطبائع . وخص بالذكر تنبيهاً بالأعلى على الأدنى (وطوله ستون ذراعاً) بقدر ذراع نفسه أو بقدر الذراع المتعارف يومئذ عند المخاطبين . ورجح الأول بأن ذراع كل أحد مثل ربعه ، فلو كان بالذراع المعهود لكانت يده قصيرة فى جنب طول جسده . وزاد أحمد من حديث سعيد بن المسيب عن أبى هريرة مرفوعاً : فى سبعة أذرع عرضاً (ثم قال) تعالى له (اذهب فسلم على أولئك الملائكة فاستمع ما يحيونك) من التحية (وهذه تحيتك وتحية ذريتك) من بعدك . وفى الترمذى من حديث أبى هريرة : لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال : الحمد لله ، فحمد الله بإذنه . . . . الحديث إلى قوله : اذهب إلى أولئك الملائكة ، إلى ملإ منهم جلوس (فقال : السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله) وهذا أول مشروعية السلام وتخصيصه بالذكر ، لأنه فتح لباب المودة وتأليف لقلوب الإخوان المؤدى إلى استكمال

الإيمان ، كما فى حديث مسلم عن أبى هريرة مرفوعاً : لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ : أفشوا السلام بينكم (فكل من يدخل الجنة) يدخلها وهو (على صورة آدم) عليه السلام فى الحسن والجمال والطول ، ولا يدخلها على صورته من السواد أو بوصف من العاهات (فلم يزل الخلق ينقص) فى الجمال والطول (حتى الآن) فانتهى التناقص إلى هذه الأمة واستقر الأمر على ذلك . قال ابن التين : أى كما يزيد الشخص شيئاً فشيئاً ولا يتبين ذلك فيما بين الساعتين ولا اليومين ، حتى إذا كثرت الأيام تبين كذلك هذا الحكم فى النقص . قال فى الفتح : ويشكل على هذا ما يوجد الآن من آثار الأمم السالفة كديار ثمود ، فإن مساكنهم تدل على أن قاماتهم لم تكن مفرطة الطول على حسب ما يقتضيه الترتيب السابق ، ولا شك أن عهدهم قديم وأن الزمان الذى بينهم وبين آدم دون الزمان الذى بينهم وبين أول هذه الأمة ، ولم يظهر لى الآن ما يزيل هذا الإشكال . انتهى . وحديث الباب أخرجه أيضاً فى الاستئذان ، ومسلم فى صفة الجنة ، وصححه ابن حبان ، ورواه البزار والترمذى والنسائى من حديث سعيد المقبرى وغيره عن أبى هريرة مرفوعاً : إن الله خلق آدم من تراب فجعله طيناً ثم تركه حتى إذا كان حمأ مسنوناً خلقه وصوره ثم تركه حتى إذا كان صلصالا كالفخار كان إبليس يمر به فيقول : خلقت لأمر عظيم ، ثم نفخ الله فيه من روحه ، فكان أول ما جرى فيه الروح بصره وخياشيمه ، فعطس فقال : الحمد لله ، فقال الله : يرحمك ربك ... الحديث. وفى حديث أبى موسى مما أخرجه أبو داود وصححه ابن حبان مرفوعاً : إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض. ففى هذا أن الله تعالى لما أراد إبراز آدم من العدم إلى الوجود قلبه فى ستة أطوار : طور التراب ، وطور الطين اللازب ، وطور الحمأ ، وطور الصلصال ، وطور التسوية وهو جعل الخزفة التى هى الصلصال عظماً ولحماً ودماً ثم نفخ فيه الروح . وقد خلق الله تعالى الإنسان على أربعة أضرب : إنسان من غير أب ولا أم وهو آدم ، وإنسان من أب لا غير وهو حواء ، وإنسان من أم لا غير وهو عيسى ، وإنسان من أب وأم وهو الذى خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ، يعنى من صلب الأب وترائب الأم ، وهذا

الضرب يتم بعد ستة أطوار أيضاً : النطفة ، ثم العلقة ، ثم المضغة ، ثم العظام ، ثم كسوة العظام لحماً ثم نفخ الروح فيه ، وقد شرف الله تعالى هذا الإنسان على سائر المخلوقات ، فهو صفوة العالم وخلاصته وثمرته ، قال الله تعالى : « ولقد كرمنا بنى آدم وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه » . ولا ريب أن من خلقت لأجله وسببه جميع المخلوقات ، علويها وسفليها ، خليق بأن يرفل فى ثياب الفخر على من عداه ، وتمتد إلى اقتطاف زهرات النجوم يداه ، وقد خلقه الله تعالى واسطة بين شريف وهو الملائكة ، ووضيع وهو الحيوان ، ولذلك كان فيه قوى العالمين وأهل سكنى الدارين ، فهو كالحيوان فى الشهوة وكالملائكة فى العلم والعقل والعبادة ، وخصه برتبة النبوة ، واقتضت الحكمة أن تكون شجرة النبوة صنفاً مفرداً ونوعاً واقعاً بين الإنسان والملك ، ومشاركاً لكل واحد منهما على وجه ، فإنه كالملائكة فى الاطلاع على ملكوت السموات والأرض ، وكالبشر فى أحوال المطعم والمشرب ، وإذا طهر الإنسان من نجاسته النفسية وقاذوراته البدنية وجعل فى جوار الله كان حينئذ أفضل من الملائكة ، قال تعالى: « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب » . وفى الحديث : الملائكة خدم أهل الجنة

الحديث الثانى والخمسون

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : بَلَغَ عَبْدَ ٱللهِ بْنَ سَلَامٍ مَقْدَمُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم المَدِينَةَ ، فَأَتَاهُ فَقَالَ : إِنِّى سَائِلُكَ عَنْ ثَلاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِىٌّ ، قالَ : مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ، وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ ، وَمِنْ أَىِّ شَىْءٍ يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ ، وَمِنْ أَىِّ شَىْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخْوَالِهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : خَبَّرَنِى بِهِنَّ آنِفاً جِبْرِيلُ ، قالَ : فَقَالَ عَبْدُ ٱللهِ : ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ المَلَائِكَةِ ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المَشْرِقِ إلى المَغْرِبِ ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ الْحُوتِ ، وَأَمَّا الشَّبَهُ فى الْوَلَدِ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ المَرْأَةَ فَسَبَقَهَا ماؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ ، وَإِذَا سَبَقَ ماؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا ، قالَ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ ٱللهِ ، ثُمَّ قالَ : يَارَسُولَ ٱللهِ إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهْتٌ إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلَامِى قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بَهَتُونِى عِنْدَكَ ، فَجَاءَتِ الْيَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُ ٱللهِ الْبَيْتَ ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : أَىُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ سَلَامٍ ؟ قالُوا : أَعْلَمُنَا وَٱبْنُ أَعْلَمِنَا ، وَأَخْيَرُنَا وَٱبْنُ أَخْيَرِنَا . فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ ٱللهِ ، قالُوا : أَعاذَهُ ٱللهُ مِنْ ذلِكَ ، فَخَرَجَ عَبْدُ ٱللهِ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ ٱللهِ ، فَقَالُوا : شَرُّنَا وَٱبْنُ شَرِّنَا ، وَوَقَعُوا فِيهِ .

(عن أنس رضى الله عنه قال : بلغ عبد الله بن سلام) بتخفيف اللام الإسرائيلى (مقدم رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم المدينة) أى قدومه (فأتاه فقال : إنى سائلك عن ثلاث) من المسائل (لا يعلمهنّ إلا نبي :

ما أول أشراط الساعة) أى علاماتها (وما أول طعام يأكله أهل الجنة) فيها (ومن أى شىء ينزع الولد إلى أبيه) أى يشبه أباه (ومن أى شىء ينزع إلى أخواله) يشبههم (فقال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : خبرنى بتشديد الموحدة (بهنّ) بالمسائل المذكورة (آنفاً جبريل) عليه السلام (قال) أنس (فقال عبد الله) بن سلام (ذاك) يعنى جبرئيل (عدو اليهود من الملائكة فقال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) مجيباً له (أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت) وهى القطعة المنفردة المتعلقة بالكبد وهى أطيبها وهى فى غاية اللذة ، وقيل : هى أهنأ طعام وأمرؤه ، وقيل : إن الحوت هو الذى عليه الأرض ، والإشارة بذلك إلى نفاد الدنيا (وأما الشبه فى الولد فإن الرجل إذا غشى المرأة) أى جامعها (فسبقها ماؤه كان الشبه له ، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها) وفى حديث عائشة عند مسلم : إذا علا ماء الرجل ماء المرأة أشبه أعمامه ، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل أشبه أخواله ، والمراد بالعلو هنا السبق ، لأن كل من سبق فقد علا شأنه ، فهو علو معنوى ، وقيل غير ذلك (قال) ابن سلام (أشهد أنك رسول الله ، ثم قال : يا رسول الله إن اليهود قوم بهت) بضم الموحدة وسكون الهاء وتضم ، جمع بهيت كقضيب وقضب ، وهو الذى تبهت العقول له بما يفتريه من الكذب ، أى كذابون ممارون لا يرجعون إلى الحق (إن علموا بإسلامى قبل أن تسألهم) عنى (بهتونى) كذبوا على (عندك ، فجاءت اليهود) إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ودخل عبد الله) بن سلام (البيت ، فقال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) لليهود (أى رجل فيكم عبد الله بن سلام ، فقالوا : أعلمنا وابن أعلمنا وأخيرنا وابن أخيرنا) أفعل تفضيل من الخير (فقال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : أفرأيتم) أى أخبرونى (إن أسلم عبد الله) تسلموا (قالوا : أعاذه الله من ذلك ، فخرج عبد الله) من البيت (إليهم فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فقالوا : شرنا وابن شرنا : ووقعوا فيه) ومطابقة الحديث للترجمة فى قوله « وأما الشبه » لأن الترجمة فى خلق آدم وذريته .

الحديث الثالث والخمسون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : لَوْلا بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْنَزِ اللَّحْمُ ، وَلَوْلَا حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَى زَوْجَهَا .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم قال لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم) بخاء معجمة ساكنة ونون مفتوحة فزاى : لم ينتن ، وأصل ذلك فيما روى عن قتادة أن بنى إسرائيل ادخروا لحم السلوى ، وكانوا نهوا عن ذلك ، فعوقبوا بذلك ، فاستمر نتن اللحم من ذلك الوقت (ولولا حواء) بالهمز ممدوداً ، سميت بذلك لأنهــا أم كل حى (لم تخن أنثى زوجها) حيث زينت لزوجها آدم الأكل من الشجرة ، فسرى فى أولادها مثل ذلك ، فلا تكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو القول . قال فى الفتح : وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفاحشة ، حاشا وكلا ، ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة وحسنت ذلك لآدم عدّ ذلك خيانة له ، وأما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهنّ بحسبها . وقريب من هذا حديث : جحد آدم فجحدت ذريته . وفى الحديث إشارة إلى تسلية الرجال مما يقع لهم من نسائهم بما وقع من أمهنّ الكبرى ، وأن ذلك من طبعهنّ ، فلا يفرط فى لوم من يقع منها شىء من غير قصد إليه ، أو على سبيل الندور ، وينبغى لهنّ أن لا يتمكن بهذا فى الاسترسال فى هذا النوع ، بل يضبطن أنفسهنّ ويجاهدن هواهنّ ، والله المستعان .

الحديث الرابع والخمسون

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ يرْفَعُهُ : إِنَّ ٱللهَ تَعَالَى يَقُولُ : لأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذاباً لَوْ أَنَّ لَكَ مَافى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ كُنْتَ تفْتَدِى بِهِ ، قَالَ : نَعَمْ ، قالَ : فَقَدْ سَأَلْتُكَ ماهُوَ أَهْوَنُ مِنْ هذَا وَأَنْتَ فى صُلْب آدَمَ : أَنْ لَا تُشْرِكَ بِى ، فَأَبَيْتَ إِلاَّ الشِّرْكَ .

(عن أنس رضى الله عنه يرفعه) هى لفظة يستعملها المحدثون فى موضع قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحو ذلك (إن الله تعالى يقول) يوم القيامة (لأهون أهل النار عذاباً) يقال : هو أبو طالب (لو أن لك ما فى الأرض من شيء كنت تفتدى به) من الافتداء وهو خلاص نفسه مما وقع فيه بدفع ما يملكه (قال : نعم ، قال) الله تعالى (فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت فى صلب آدم) حين أخذت الميثاق ، وهذا موضع الترجمة ، فإن فيه إشارة إلى قوله تعالى : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم » (أن لا تشرك بى فأبيت) إذ أخرجتك إلى الدنيا (إلا الشرك) وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى صفة الجنة والنار وآخر الا قاق ، ومسلم فى التوبة .

الحديث الخامس والخمسون

عَنْ عَبْدِ ٱللهِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْماً إِلاَّ كَانَ عَلَى ٱبْنِ آدَمَ ٱلْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ .

(عن عبد الله) هو ابن مسعود (رضى الله عنه) أنه (قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : لا تقتل نفس) من بنى آدم مبنياً للمفعول (ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول) قابيل حيث قتل أخاه هابيل (كفل) بكسر الكاف وإسكان الفاء : نصيب (من دمها ، لأنه أول من سنّ القتل) على وجه الأرض من بنى آدم . قال فى الفتح : أورده هنا ليلح بقصة ابنى آدم حيث قتل أحدهما الآخر ولم يصح على شرطه شىء من قصتهما ، وفيما قصه الله علينا فى القرآن من ذلك كفاية عن غيره . واختلف فى اسم القاتل ، فالمشهور قابيل ، وقيل : اسم المقتول « فين » بلفظ الحداد ، وقيل « قاين » وفى القسطلانى : ومطابقة الحديث للترجمة من حيث أن القاتل قابيل ولد آدم من صلبه ، فهو داخل فى لفظ الذرية فى الترجمة . والحديث أخرجه أيضاً فى الديات والاعتصام ، ومسلم فى الحدود والترمذى فى العلم ، والنسائى فى التفسير ، وابن ماجه فى الديات . انتهى . وذكر السدى فى تفسيره عن مشايخه بأسانيده أن سبب قتل قابيل لأخيه هابيل أن آدم كان يزوج ذكر كل بطن من ولده بأنثى الآخر ، وأن أُخت قابيل كانت أحسن من أُخت هابيل ، فأراد قابيل أن يستأثر بأخته ، فمنعه آدم ، فلما ألح عليه أمرهما أن يقرّبا قرباناً فقرّب قابيل حزمة من زرع ، وكان صاحب زرع ، وقرّب هابيل جذعة سمينة ، وكان صاحب مواش ، فنزلت نار فأكلت قربان هابيل دون قابيل ، وكان ذلك سبب الشر بينهما ، وهذا هو المشهور .

الحديث السادس والخمسون

عَنْ زَيْنَبَ ٱبْنَةَ جَحْشٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعاً يَقُولُ : لَا إِلهَ إِلاَّ ٱللهُ ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ ٱقْتَرَبَ ، فُتِحَ ٱلْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، مِثْلُ هذِهِ ، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعَيْهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا . قالَتْ زَيْنَبُ ٱبْنَةُ جَحْشٍ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ ؟ قالَ : نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ .

(عن زينب ابنة جحش رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم دخل عليها) الضمير لزينب حال كونه (فزعاً) بكسر الزاى : خائفاً (يقول : لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب) قيل : خص العرب بالذكر إشارة إلى ما وقع من قتل عثمان منهم ، وأراد ما يقع من مفسدة يأجوج ومأجوج ، أو من الترك من المفاسد العظيمة فى بلاد الإسلام (فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج) أى من سدهما ، وهما قبيلتان من ولد يافث بن نوح . روى ابن مردويه والحاكم من حديث حذيفة مرفوعاً : يأجوج أمة ومأجوج أمة ، كل أمة أربعمائة ألف رجل ، لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف رجل من صلبه ، كلهم قد حمل السلاح ، لا يمرون على شيء إذا خرجوا إلا أكلوه ، ويأكلون من مات منهم . وقد أشار النووى وغيره إلى حكاية من زعم أن آدم نام فاحتلم فاختلط منيه بالتراب فتوالد منه يأجوج ومأجوج من نسله . قال ابن كثير : وهذا القول غريب جداً ثم لا دليل عليه لا من عقل ولا من نقل ، ولا يجوز الاعتماد ها هنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب لما عندهم من الأحاديث المفتعلة . وذكر ابن هشام فى التيجان أن أمة منهم آمنوا بالله فتركهم ذو القرنين لما بنى السد بأرمينية ، فسموا الترك . لذلك قال ابن كثير : ذكر ابن جرير هنا عن وهب بن منبه أثراً فيه ذكر ذى القرنين ويأجوج ومأجوج ، فيه طول وغرابة ونكارة فى أشكالهم وصفاتهم وطولهم وقصر بعضهم وآذانهم . وكذا روى ابن أبى حاتم فى ذلك أحاديث لا تصح أسانيدها (مثل هذه ، وحلق) بتشديد اللام وبالقاف

(بإصبعيه الإبهام والتى تليها) وللبخارى فى الفتن من طريق سفيان بن عيينة عن الزهرى : وعقد سفيان تسعين أو مائة . ولمسلم من حديث أبى هريرة من طريق وهيب : وعقد وهيب بيده تسعين فاختلف فى العاقد . وأجاب ابن العربى بأن العقد مدرج ليس من قوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإنما الرواة عبروا عن الإشارة فى قوله « مثل هذه » بذلك (قالت زينب ابنة جحش : فقلت : يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثُر الخبث) بفتح الخاء : الفسوق والفجور أو الزنا خاصة أو أولاده . قال فى الكواكب والظاهر أنه المعاصى مطلقاً . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى الفتن ، وأخرجه مسلم أيضاً واتفقا على إخراجه من طريق الزهرى ، لكن رواه مسلم عن زينب بنت أبى سلمة عن حبيبة بنت أُم حبيبة بنت أبى سفيان عن أُمها أُم حبيبة ، والبخارى أسقط حبيبة . وفى الإسناد على هذا من الغرائب نادرة عزيزة الوقوع ، من ذلك رواية الزهرى عن عروة وهما تابعيان ، واجتماع أربع نسوة فى سنده كلهنّ يروى بعضهنّ عن بعض ثم كل منهنّ صحابية ، ثم ثنتان ربيبتان وثنتان زوجتان ، رضى الله عنهنّ .

الحديث السابع والخمسون

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ ٱلخُدْرِىِّ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : يَقُولُ ٱللهُ تَبارَكَ وَتَعَالَى : يَا آدَمَ . فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِى يَدَيْكَ ، فَيَقُولُ : أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ ، قالَ : وَما بَعْثُ النَّار ؟ قالَ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ ، « وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَما هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ ٱللهِ شَدِيدٌ » ، قالُوا : يَارَسُولَ ٱللهِ وَأَيُّنَا ذلِكَ الْوَاحِدُ، قالَ : أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلاً وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفاً ، ثُمَّ قالَ : وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنِّى أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ ، فَكَبَّرْنَا ، فَقَالَ : أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ ، فَكَبَّرْنَا ، فَقَالَ : أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ ، فَكَبَّرْنَا ، فَقَالَ : ما أَنْتُمْ فِى النَّاسِ إِلاَّ كالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِى جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ ، أَوْ كَشَعْرَةٍ بَيْضَاءَ فِى جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ .

(عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : يقول الله تبارك وتعالى) زاد فى سورة الحج : يوم القيامة (يا آدم فيقول : لبيك) أى إجابة لك بعد إجابة ولزوماً لطاعتك ، فهو من المصادر المثناة لفظاً ومعناه التكرير بلا حصر ، ومثله (وسعديك) أى أسعدنى إسعاداً بعد إسعاد (والخير فى يديك ، فيقول) الله تعالى له (أخرج) من الناس (بعث النار) أى مبعوثها وهم أهلها (قال) يارب (وما بعث النار) أى وما مقدار مبعوث النار (قال) تعالى (من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، فعنده) أى عند قوله تعالى لآدم : أخرج بعث النار (يشيب الصغير) من شدة الهول لو تصور وجوده ، لأن الهم يضعف القوى ويسرع بالشيب ، أو هو محمول على الحقيقة ، لأن كل أحد يبعث على ما مات عليه ، فيبعث الطفل طفلا ، فإذا وقع ذلك يشيب الطفل من شدة الهول (وتضع كل ذات حمل حملها) لو فرض وجودها أو إن من ماتت حاملا بعثت حاملا فتضع

حملها من الفزع (وترى الناس سكارى) من الخوف (وما هم بسكارى) من الشراب ، أو المعنى : كأنهم سكارى من شدة الأمر الذى أدهش عقولهم ، وما هم بسكارى على الحقيقة ، كذا قرروه (ولكن عذاب الله شديد) تعليل لإثبات السكر المجازى لما نفى عنهم السكر الحقيقى ، وهل هذا الخوف لكل أحد أو لأهل النار خاصة ؟ قال قوم : الفزع الأكبر وغيره يختص بأهل النار ، أما أهل الجنة فيحشرون آمنين ، قال تعالى : « لا يحزنهم الفزع الأكبر » . وقال آخرون : الخوف عام والله يفعل ما يشاء (قالوا) أى من حضرمن الصحابة (يا رسول الله وأينا ذلك الواحد ؟ قال) صلى الله عليه وآله وسلم (أبشروا) بقطع الهمزة وكسر الشين (فإن منكم رجل ومن يأجوج ومأجوج ألف) وفى سورة الحج : من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد ... الحديث ، والحكم للزائد (ثم قال) صلى الله عليه وآله وسلم (و) الله (الذى نفسى بيده إنى أرجو أن تكونوا) أى أمته المؤمنون به (ربع أهل الجنة ، فكبرنا) سروراً بهذه البشارة العظيمة (فقال) صلى الله عليه وآله وسلم (أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة ، فكبرنا) سروراً لذلك (فقال) صلى الله عليه وآله وسلم (أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة) ولا يعارض هذا ما فى الترمذى وحسنه عن بريدة مرفوعاً : أهل الجنة عشرون ومائة صف ، ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون منها من سائر الأمم ، لأنه ليس فى حديث الباب الجزم بأنهم نصف أهل الجنة فقط ، وإنما هو رجاء رجاه لأمته ثم أعلمه الله بعد ذلك أن أمته ثلثا أهل الجنة (فكبرنا) سروراً بما أنعم به تعالى، وتكرير الإعطاء ربعاً ثم نصفاً لأنه أوقع فى النفس وأبلغ فى الإكرام مع الحمل لهم على تجديد الشكر (فقال) صلى الله عليه وآله وسلم (ما أنتم فى الناس) فى المحشر (إلا كالشعرة السوداء) بفتح العين (فى جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء فى جلد ثور أسود) وأو للتنويع أو شك من الراوى، وهذا فى المحشر كما مرّ ، وأما فى الجنة فهم نصف الناس هناك أو ثلثاهم كما مرّ . ومطابقة الحديث للترجمة فى قوله « فإن منكم رجل ومن يأجوج ومأجوج ألف» إذ فيه الإشارة إلى كثرتهم ، وأن هذه الأمة بالنسبة إليهم نحو عشر عشر العشر وأنهم من ذرية آدم ، رداً على من قال بخلاف ذلك . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى التفسير .

الحديث الثامن والخمسون

عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال : إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً ، ثُمَّ قَرَأَ : « كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ، وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ » . وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسى يَوْمَ الْقِيامَةِ إِبْرَاهِيمُ ، وَإِنَّ أُناساً مِنْ أَصْحَابِي يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ ، فَأَقُولُ : أَصْحَابِي أَصْحَابِي ، فَيُقَالُ : إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ ، فَأَقُولُ كَمَا قالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ : « وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مادُمْتُ فِيهِمْ » إلى قَوْلِهِ : الحَكِيمُ .

(عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم) أنه (قال : إنكم تحشرون) عند الخروج من القبور حال كونكم (حفاة) بضم الحاء المهملة وتخفيف الفاء ، جمع حاف : أى بلا خف ونعل (عراة) أى لا ثياب عليهم جميعهم ، أو بعضهم يحشر عارياً وبعضهم كاسياً لحديث سعيد عند أبي داود وصححه ابن حبان مرفوعاً : إن الميت يبعث فى ثيابه التى يموت فيها (غرلا) بضم الغين المعجمة وإسكان الراء ، أى غير مختونين. والغرلة : ما يقطعه الخاتن وهى الغلفة (ثم قرأ « كما بدأنا أول خلق نعيده ») أى نوجده بعينه بعد إعدامه مرة أخرى ، أو نعيد تركيب أجزائه بعد تفريقها من غير إعدام ، والأول أوجه ، لأنه تعالى شبه الإعادة بالابتداء ، والابتداء ليس عبارة عن تركيب الأجزاء المتفرقة بل عن الوجود بعد العدم ، فوجب أن تكون الإعادة كذلك (وعداً علينا إنا كنافاً فاعلين) الإعادة والبعث . قال ابن عبد البر : يحشر الآدمى عارياً ولكل من الأعضاء ماكان له يوم ولد، فمن قطع منه شيء يرد إليه حتى الأقلف . وقال أبو الوفاء بن عقيل : حشفة الأقلف موقاة بالقلفة فتكون أرق ، فلما أزالوا تلك القطعة فى الدنيا أعادها الله تعالى ليذيقها من حلاوة فضله . قال فى شرح المشكاة : فإن قلت : سياق الآية فى إثبات الحشر والنشر ، لأن المعنى : نوجدكم عن العدم كما أوجدناكم أولا عن العدم ، فكيف يستشهد بها للمعنى المذكور ، أى من كونهم غرلا.

وأجاب بأن سياق الآية وعبارتها دل على إثبات الحشر وإشارتها على المعنى المراد من الحديث ، فهو من باب الإدماج (وأول من يكسى) من الأنبياء (يوم القيامة إبراهيم) عليه الصلاة والسلام بعد حشر الناس كلهم عراة أو بعضهم كاسياً ، أو بعد خروجهم من قبورهم بأثوابهم التى ماتوا فيها ، ثم تتناثر عنهم عند ابتـداء الحشر فيحشرون عراة ، ثم يكون أول من يكسى من الجنة إبراهيم عليه السلام . وزاد البيهقى فى الأسماء والصفات من وجه آخر عن ابن عباس مرفوعاً : أول من يكسى إبراهيم من الجنة حلة ويؤتى بكرسى فيوضع عن يمين العرش ويؤتى بى فأكسى حلة من الجنة لا يقوم لها البشر . ويقال : إن الحكمة فى خصوصية إبراهيم بذلك لكونه أُلقى فى النار عرياناً . وقيل : لكونه أول من لبس السراويل . ولا يلزم من خصوصيته بذلك تفضيله على نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، لأن المفضول قد يمتاز بشىء يختص به ولا يلزم منه الفضيلة المطلقة ، ويمكن أن يقال : لا يدخل النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى ذلك على القول بأن المتكلم لا يدخل فى عموم خطابه . كذا فى الفتح . وعبارة القسطلانى : ولا يلزم من تخصيص إبراهيم بأولية الكسوة هناك أفضليته على نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ، لأن حلة نبينا أعلى وأكمل فتجبر بنفاستها ما فات من الأولية ، وكم لنبينا من فضائل مختصة به لم يسبق إليها ولم يشارك فيها ، ولو لم يكن له سوى خصوصية الشفاعة العظمى لكفى . انتهى . وقد ثبت لإبراهيم أوليات أُخرى كثيرة : منها أنه أول من ضاف الضيف وقص الشارب واختتن ورأى الشيب ، وغير ذلك . قال الحافظ ابن حجر : وقد أتيت على ذلك بأدلة فى كتابى « إقامة الدلائل على معرفة الأوائل » . انتهى . قلت : وقد ذكر السـيوطى أوائل كثيرة فى كتابه « تاريخ الخلفاء » واستوفى الحافظ شرح حديث الباب فى أواخر الرقاق من فتح البارى ، فراجعه (وإن أُناساً من أصحابى يؤخذ بهم ذات الشمال) وهى جهة النار (فأقول : أصحابى أصحابى) أى هؤلاء أصحابى . وفى رواية : أُصيحابى أُصيحابى مصغرين إشارة إلى قلة عددهم ، والتكرير للتأكيد (فيقال : إنهم لم) بالميم ، وفى لفظ لن (يزالوا مرتدين على أعقابهم) بالكفر (منذ فارقتهم) قيل : المراد بهم قوم من جفاة الأعراب ممن لا نصرة له فى الدين ممن ارتد بعد موته صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا يقدح ذلك فى

الصحابة المشهورين ، فإن أصحابه وإن شاع استعماله عرفاً فيمن لازمه من المهاجرين والأنصار شاع استعماله فى كل من تبعه أو أدرك حضرته ووفد عليه ولو مرة ، أو المراد بالارتداد إساءة السيرة والرجوع عما كانوا عليه من الإخلاص وصدق النية (فأقول كما قال العبد الصالح) عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام (وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم) أى رقيباً عليهم أمنعهم من الارتداد ، أو مشاهداً لأحوالهم من كفر وإيمان (إلى قوله : الحكيم) وهذا الحديث أخرجه فى التفسير والرقاق وأحاديث الأنبياء ، ومسلم فى صفة القيامة والتفسير ، والنسائى فى الجنائز والتفسير .

الحديث التاسع والخمسون

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَعَلَى وَجْهِ آزرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِى ، فَيَقُولُ أَبُوهُ : فالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ : يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِى أَنْ لَا تُخْزِيَنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ، فَأَىُّ خِزْىٍ أَخْزَى مِنْ أَبِى الْأَبْعَدِ، فَيَقُولُ ٱللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنِّى حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ ماتَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُتَلَطِّخٍ ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فى النَّارِ .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم) أنه (قال : يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة) سواد كالدخان (وغبرة) غبار ، وتقديم الظرف للاختصاص (فيقول له إبراهيم : ألم أقل لك لا تعصنى) مجزوم على النهى بحذف حرف العلة (فيقول أبوه : فاليوم لا أعصيك ، فيقول إبراهيم : يارب إنك وعدتنى أن لا تخزينى) أى لا تهينى ولا تذلنى (يوم يبعثون ، فأى خزى أخزى من) خزى (أبى) آزر (الأبعد) من رحمة الله وعبر بأفعل التفضيل لأن الفاسق بعيد والكافر أبعد منه (فيقول الله تعالى : إنى حرمت الجنة على الكافرين) أى وإن أباك كافر فهى حرام عليه (ثم يقال) له (يا إبراهيم ما تحت رجليك ؟ فينظر فإذا هو بذيخ) بذال وخاء معجمتين بينهما تحتية ساكنة : ذكر ضبع كثير الشعر والأنثى ذيخة ، والجمع ذيوخ وأذياخ وذيخة (متلطخ) بالرجيع أو بالدم صفة لذيخ . وعند الحاكم من طريق ابن سيرين عن أبى هريرة : فيمسخ الله أباه ضبعاً (فيؤخذ بقوائمه) مبنياً للمفعول (فيلقى فى النار) وعند ابن المنذر : فإذا رآه كذلك تبرأ منه ، قال : لست أبى ... الحديث وكان قبل حملته الرأفة على الشفاعة له فظهر له فى هذه الصورة المستبشعة ليتبرأ منه ، والحكمة فى كونه مسخ ضبعاً دون غيره من الحيوان أن الضبع أحمق الحيوان ، ومن حمقه أنه يغفل عما يجب التيقظ له ، فلما لم يقبل آزر النصيحة من أشفق الناس عليه وقبل خديعة الشيطان أشبه الضبع الموصوف بالحمق . قاله الكمال الدميرى . وفى هذا الحديث دليل على أن شرف الولد لا ينفع الوالد إذا لم يكن مسلما . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى تفسير سورة الشعراء .

الحديث الستون

وَعَنْهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : قِيلَ : يَارَسُولَ ٱللهِ مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ ؟ قالَ : أَتْقَاهُمْ ، فَقَالُوا : لَيْسَ عَنْ هذَا نَسْأَلُكَ ، قالَ : فَيُوسُفُ نَبِيُّ ٱللهِ ٱبْنُ نَبِيِّ ٱللهِ ٱبْنِ نَبِيِّ ٱللهِ ٱبْنِ خَلِيلِ ٱللهِ ، قالُوا : لَيْسَ عَنْ هذَا نَسْأَلُكَ ، قالَ : فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونَ ؟ خِيَارُهُمْ فِى الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِى الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا .

(وعنه) أى عن أبى هريرة (رضى الله عنه قال : قيل : يا رسول الله) لم يسم السائل (من أكرم الناس ؟) عند الله تعالى (قال) صلى الله عليه وآله وسلم (أتقاهم) أشدهم لله تقوى (فقالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال : فيوسف نبى الله ابن نبى الله) يعقوب (ابن نبى الله) إسحق (ابن خليل الله) إبراهيم أشرفهم . والجواب الأول من جهة الشرف بالأعمال الصالحة ، والثانى من جهة الشرف بالنسب الصالح (قالوا ليس عن هذا نسألك ، قال : فعن معادن العرب) أى أصولهم التى ينسبون إليها ويتفاخرون بها (تسألون ؟) وإنما جعلت معادن لما فيها من الاستعدادات المتفاوتة ، فمنها قابلة لفيض الله تعالى على مراتب المعادن ، ومنها غير قابلة لها (خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام) جملة مبينة بعد التفاوت الحاصل بعد فيض الله تعالى عليها من العلم والحكمة ، قال الله تعالى : « ومن يؤت الحكمة فقد أُوتى خيراً كثيراً » شبههم بالمعادن فى كونها أوعية للجواهر النفيسة المعنى بها فى الإنسان كونه أوعية العلوم والحكمة ، فالتفاوت فى الجاهلية بحسب الأنساب وشرف الآباء وكرم الأصل ، وفى الإسلام بحسب العلم والحكمة ، فالشرف الأول موروث والثانى مكتسب . قاله الطيبى . والخيار إما جمع خير أو أفعل التفضيل ، تقول فى الواحد : خير وأخير (إذا فقهوا) بضم القاف ، من فقه يفقه إذا صار فقيهاً كظرف . ولأبى ذر : إذا فقهوا بكسرها يفقه بالفتح ، بمعنى فهم ، فهو متعد ، والمضموم القاف لازم قال أبو البقاء : وهو الجيد هنا ثم القسمة كما فى الفتح رباعية ، فإن الأفضل من جمع بين الشرف فى الجاهلية

والشرف فى الإسلام ، ثم أرفعهم مرتبة من أضاف إلى ذلك التفقه فى الدين ، ويقابل ذلك من كان مشروفاً فى الجاهلية واستمر مشروفاً فى الإسلام ، فهذا أدنى المراتب ، والثالث من شرف فى الإسلام وفقه ولم يكن شريفاً فى الجاهلية ، ودونه من كان كذلك لكنه لم يتفقه ، والرابع من كان شريفاً فى الجاهلية ثم صار مشروفاً فى الإسلام ، فهذا دون الذى قبله ، فإن تفقه فهو أعلى رتبة من الشريف الجاهل . انتهى . فالإيمان يرفع التفاوت المعتبر فى الجاهلية ، فإذا تحلى الرجل بالعلم والحكمة استجلب النسب الأصلى، فيجتمع شرف النسب مع شرف الحسب ، ومفهومه أن الوضيع المسلم المتحلى بالعلم أرفع منزلة من الشريف المسلم العاطل . وما أحسن ما قال الأحنف :

كل عز إن لم يوطد بعلم ... فإلى الذل ذات يوم يصير

وقال آخر :

وما أشرف الموروث لا در دره ... بمحتسب إلا بآخر مكتسب

وقول الآخر :

إن السرى إذا سرى فبنفسه ... وابن السرى إذا سرى أسراهما

ذكر ذلك القسطلانى . والمراد بالفقه فى حديث الباب وغيره من الأحاديث فهم الكتاب العزيز والسنة المطهرة دون العلم بالطلاق والعتاق والبيوع والإجارات وما شابه ذلك مما اصطلح عليه فقهاء الأمصار ، وكان السلف لايعرفون من الفقه إلا ما ذكرنا ، ولفظ الفقه مما بدل وغير من معناه اللغوى الحقيقى إلى الاصطلاحى العرفى ، كما أبان ذلك الغزالى فى أوائل إحياء علوم الدين . وهذا العبد فى بعض مؤلفاته .

الحديث الحادى والستون

عَنْ سَمُرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم : أَتَانِى اللَّيْلَةَ آتِيَانِ ، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ طَوِيلٍ لا أَكادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولاً وَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ ، صلى الله عليه وسلم .

(عن سمرة) بن جندب (رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : أتانى الليلة) فى منامى (آتيان) جبريل وميكائيل (فأتينا) أى فذهبا بى حتى أتينا (على رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولا) فى السماء (وإنه إبراهيم) الخليل (صلى الله عليه) وآله (وسلم) سقطت التصلية لأبى ذر .

الحديث الثانى والستون

عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قالَ : قالَ رَسُولُ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم : أَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَانْظُرُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ ، وَأَمَّا مُوسى فَجَعْدٌ آدَمُ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ مَخْطُومٍ بِخُلْبَةٍ كَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَيْهِ انْحَدَرَ فى الْوَادِى .

(عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : أما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم) أشار بذلك إلى نفسه المقدسة فإنه كان أشبه الناس بإبراهيم عليه السلام (وأما موسى فجعد) بفتح الأول وسكون الثانى ، وليس المراد جعودة شعره ، إذ فى بعض الروايات أنه رجل أشعر (آدم) من الأدمة وهى السمرة (على جمل أحمر مخطوط) بالمعجمة ، أى مزموم (بخلبة) ليفة (كأنى أنظر إليه) حقيقة كليلة الإسراء أو فى المنام ، ورؤيا الأنبياء حق (انحدر فى الوادى) أى وادى الأزرق ، وزاد فى الحج : يلبى .

الحديث الثالث والستون

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم: اخْتَتَنَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ ٱبْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً بِالْقَدُّومِ * وَفى رِوَايَةٍ عَنْهُ بالْقَدُومِ مُخَفَّفَةً .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : اختتن إبراهيم عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدّوم) بفتح القاف وتشديد الدال . وفى الفتح : رويناه بالتشديد عن الأصيلى والقابسى . ووقع فى رواية غيرهما بالتخفيف . قال النووى : لم تختلف الرواة على مسلم فى التخفيف ، وأنكر يعقوب بن شيبة التشديد أصلا ، واختلف فى المراد به ، فقيل : هو اسم قرية بالشام أو ثنية بالسراة ، وقيل : آلة النجار ، وهى بالتخفيف ، وأما اسم الموضع ففيه الوجهان . قال فى القاموس : والقدوم يعنى بالتخفيف آلة ينحت بها ، مؤنثة ، الجمع قدائم وقدوم : قرية بحلب ، وموضع بنعمان ، وجبل بالمدينة ، وثنية بالسراة ، موضع اختتن فيه إبراهيم ، وقد تشدد داله ، وثنية فى جبل ببلاد دوس وحصن باليمن ، انتهى . فمن رواه بالتشديد أراد الموضع ، ومن رواه بالتخفيف فيحتمل القرية والآلة ، والأكثرون على التخفيف وإرادة الآلة ، وهو الراجح . كذا فى الفتح . وقد روى أبو يعلى من طريق على بن رباح قال : أُمر إبراهيم بالختان فاختتن بقدّوم ، فاشتد عليه ، فأوحى الله إليه : عجلت قبل أن نأمرك ، فقال : يا رب كرهت أن أؤخر أمرك . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى الاستئذان ، ومسلم فى أحاديث الأنبياء (وفى رواية عنه بالقدوم مخففة) وعليه الأكثر ، والمراد به الآلة .

الحديث الرابع والستون

وَعَنْهُ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ ٱللّٰهِ صلى الله عليه وسلم : لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلاَّ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ : ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِى ذَاتِ ٱللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قَوْلُهُ : إِنِّى سَقِيمٌ ، وَقَوْلُهُ : « بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذَا » ، وَقالَ : بَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَارَّةُ إِذْ أَتى عَلَى جَبَّارٍ مِنَ الْجَبَابِرَةِ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ هَاهُنَا رَجُلاً مَعَهُ ٱمْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْهَا ، قَالَ : مَنْ هَذِهِ ؟ قَالَ: أُخْتِى ، فَأَتى سَارَّةَ، وَذَكَرَ بَاقى الحَدِيثِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ حَدِيثُ أُمِّ شَرِيكٍ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم أَمَرَ بِقَتْلِ الْوَزَغِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ . وَزَادَ هُنَا : وكانَ يَنْفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(وعنه) أى عن أبى هريرة (رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلا ثلاث كذبات) بسكون الذال وبفتحها . وعن أبى البقاء أنه الجيد ، لأنه جمع كذبة بسكون الذال ، وهو اسم لا صفة ، وليس هذا من الكذب الحقيقى الذى يذم فاعله ، حاشا وكلا ، وإنما أُطلق عليه الكذب تجوزاً ، وهو من باب المعاريض المحتملة للأمرين لمقصد شرعى دينى ، كما جاء فى الحديث المروى عند البخارى فى الأدب المفرد من طريق قتادة عن مطرف بن عبد الله عن عمران بن حصين أن فى معاريض الكلام منـدوحة عن الكذب . ورواه أيضاً البيهقى فى الشعب ، والطبرانى فى الكبير ورجاله ثقات ، وهو عند ابن السنى من طريق الفضل بن سهل مرفوعاً . قال البيهقى : والموقوف هو الصحيح . وروى أيضاً من حديث علىّ مرفوعاً وسنده ضعيف جداً . وعند ابن أبى حاتم عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فى كلمات إبراهيم الثلاث التى قال ما منها كلمة إلا ما حل بها عن دين الله ، أي جادل . ودافع . وفى حديث ابن مسعود عند أحمد : والله إن جادل بهنّ

إلا عن دين الله . وقال ابن عقيل : دلالة العقل تصرف ظاهر إطلاق الكذب عن إبراهيم ، وذلك أن العقل قطع بأن الرسول ينبغى أن يكون موثوقاً به ليعلم صدق ما جاء به عن الله ، ولا ثقة مع تجويز الكذب عليه ، فكيف مع وجود الكذب منه ، وإنما أطلق عليه ذلك لأنه بصورة الكذب عند السامع ، وعلى كل تقدير فلم يصدر من إبراهيم عليه السلام إطلاق الكذب على ذلك ، أى حيث يقول فى حديث الشفاعة : وإنى كنت كذبت ثلاث كذبات إلا فى حال شدة الخوف لعلو مقامه وإلا فالكذب فى مثل تلك المقامات يجوز وقد يجب لتحمل أخف الضررين دفعاً لأعظمهما ، وقد اتفق الفقهاء فيما لو طلب ظالم وديعة عند إنسان ليأخذها غصباً وجب على المودع عنده أن يكذب بمثل أنه لا يعلم موضعها ، بل يحلف على ذلك ، ولما كان ما صدر من الخليل عليه السلام مفهوم ظاهره خلاف باطنه أشفق أن يؤاخذ به لعلو حاله ، فإن الذى كان يليق بمرتبته فى النبوة والخلة أن يصدع بالحق ويصرح بالأمر كيفما كان ، ولكنه رخص له فقيل الرخصة ، ولذا يقول عندما يسأل فى الشفاعة : إنما كنت خليلا من وراء وراء . ويستفاد منه أن الخلة لم تكن بكمالها إلا لمن صح له فى ذلك اليوم المقام المحمود . وأما قول الإمام فخر الدين لا ينبغى أن ينقل هذا الحديث لأن فيه نسبة الكذب إلى إبراهيم .وقول بعضهم له : فكيف يكذب الراوى العدل . وجواب الإمام له بأنه لما وقع التعارض بين نسبة الكذب إلى الراوى ونسبة الكذب إلى الخليل كان من المعلوم بالضرورة أن نسبته إلى الراوى أولى فليس بشىء ، إذ الحديث صحيح ثابت وليس فيه نسبة محض الكذب إلى الخليل ، وكيف السبيل إلى تخطئة الراوى مع قوله : إنى سقيم ، وبل فعله كبيرهم هذا ، وعن سارة أختى . إذ ظاهر هذه الثلاثة بلا ريب غير مراد (ثنتين منهن) أى من الثلاث (فى ذات الله) لأجله (عز وجل) محضاً من غير حظ لنفسه ، بخلاف الثالثة وهى قصة سارة فإنها تضمنت حظاً ونفعاً له ، فالأولى (قوله) تعالى حاكياً عنه لما طلبه قومه ليخرج معهم إلى عيدهم ، وكان أحب أن يخلو بآلهتهم ليكسرها (إنى سقيم) مريض القلب بسبب إطباقكم على الكفر والشرك أو سقيم بالنسبة إلى مايستقبل ، يعنى مرض الموت ، واسم الفاعل يستعمل بمعنى المستقبل كثيراً أو خارج المزاج عن الاعتدال خروجاً قل من يخلو منه . وقال سفيان : سقيم : أى

طعين ، وكانوا يفرون من المطعون . وعن ابن عباس فى رواية العوفى : قالوا له وهو فى بيت آلهتهم : اخرج ، فقال : إنى مطعون ، فتركوه مخافة الطاعون فإنه كان غالب أسقامهم الطاعون ، وكانوا يخافون العدوى. وأما قول بعضهم : إنه كان تأتيه الحمى فى ذلك الوقت فبعيد ، لأنه لو كان كذلك لم يكن كذباً لا تصريحاً ولا تلويحاً (و) الثانية (قوله) لما كسر آلهتهم كسراً وقطعاً « إلا كبيراً لهم » فاستبقاه ، وكانت فيما قيل : اثنين وسبعين صنما بعضها من ذهب ، وبعضها من فضة ، وبعضها من حديد ، وبعضها من رصاص وحجر وخشب ، وكان الكبير من الذهب مرصعاً بالجواهر ، وفى عينيه ياقوتتان تتقدان ، وجعل الفأس فى عنقه لعلهم إليه يرجعون ، فيسألونه : ما بال هؤلاء مكسرين وأنت صحيح والفأس فى عنقك ، إذ من شأن المعبود أن يرجع إليه ، أو المراد أنهم يرجعون إلى إبراهيم لتفرده واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم أو يرجعون إلى توحيد الله عند تحققهم عجز آلهتهم ، فلما رجعوا من عيدهم إلى بيت آلهتهم ورأوا أصنامهم مكسرة وقالوا لإبراهيم: «أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ قال (بل فعله كبيرهم هذا ») أى لم أفعله إنما الفاعل حقيقة هو الله ، وإسناد الفعل إلى كبيرهم من أبلغ المعاريض ، وذلك أنهم لما طلبوا منه الاعتراف ليقدموا على إيذائه قلب الأمر عليهم وقال: بل فعله كبيرهم هذا ، لأنه عليه السلام غاظته تلك الأصنام حين أبصرها مصطفة ، وكان غيظه من كبيرها أشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له ، فأسند الفعل إليه لأنه هو السبب فى استهانته لها ، والفعل كما يسند إلى مباشرة يسند إلى الحامل عليه ، أو أن إبراهيم عليه السلام قصد تقرير الفعل لنفسه على أسلوب تعريضى ، وليس قصده نسبة الفعل إلى الصنم ، وهذا كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته : أنت كتبت هذا ؟ فقلت له : بل كتبته أنت ، قاصداً بذلك تقريره لك مع الاستهزاء لا نفيه عنك وإثباته له . ذكرهما الزمخشرى . وتعقب الأول منهما صاحب الفرائد بأنه إنما يستقيم إذا كان الفعل دائراً بين إبراهيم وبين الصنم الكبير ، لاحتمال أن يكون كسرها غير إبراهيم . والثانى منهما بأنه ضعيف ، لأن غيظه من عبادة غير الله يستوى فيه الكبير والصغير . والجواب أنه دل تقديم الفاعل المعنوى فى قوله : أأنت فعلت هذا ؟ على أن الكلام ليس فى الفعل لأنه معلوم ، بل فى الفاعل كقوله تعالى : « وما أنت علينا بعزيز »

ودل قولهم : « سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم » . وقولهم : « قالوا فأتوا به على أعين الناس » . على أنهم لم يشكوا أن الفاعل هو ، فإذن لا يكون قصدهم فى قولهم : أأنت فعلت هذا ؟ إلا بأن يقر بأنه هو ، فلما رد بقوله : بل فعله كبيرهم ، تعريضاً ، دار الأمر بين الفاعلين . أو المعنى على التقديم والتأخير ، أى بل فعله كبيرهم ، إن كانوا ينطقون فاسألوهم ، فجعل النطق شرطاً للفعل ، أى إن قدروا على النطق قدروا على الفعل ، فأراهم عجزهم ، وفى ضمنه : أنا فعلت ذلك (وقال بينا) بغير ميم (هو) أى إبراهيم (ذات يوم وسارة) بنت هاران ملك حران زوجته معه . وزاد مسلم : وكانت من أحسن الناس ، وجواب بينا قوله (إذ أتى) أى مرّ (على جبار من الجبابرة) اسمه صادوق فيما ذكره ابن قتيبة ، وهو ملك الأردن ، أو سنان أو سفيان ابن علوان فيما ذكره الطبرى ، أو عمرو بن امرئ القيس بن سبأ وكان على مصر. ذكره السهيلى (فقيل له : إن ها هنا رجلا معه امرأة من أحسن الناس ، فأرسل) الجبار (إليه) أى الخليل (فسأله عنها ، فقال : من هذه؟) المرأة (قال) الخليل هى (أُختى) أى فى الإسلام ، ولعله أراد بذلك دفع أحد الضررين بارتكاب أخفهما ، لأن اغتصاب الملك إياها واقع لا محالة ، لكن إن علم أن لها زوجاً حملته الغيرة على قتله أو حبسه وإضراره ، بخلاف ما إذا علم أن لها أخاً ، فإن الغيرة حينئذ تكون من قبل الأخ خاصة لا من قبل الملك فلا يبالى به . وقيل : خاف أنه إن علم أنها زوجته ألزمه بطلاقها (فأتى) الخليل (سارة ، وذكر باقى الحديث) وهو « قال : يا سارة ليس على وجه الأرض » التى وقع بها ذلك « مؤمن غيرى وغيرك ، وإن هذا » الجبار « سألنى عنك فأخبرته أنك أُختى » فى الإيمان « فلا تكذبينى » بقولك له : هو زوجى « فأرسل » الجبار « إليها ، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده ، فأخذ » مبنياً للمفعول ، أى اختنق حتى ركض برجله كأنه مصروع . وعند مسلم : أنه لما أرسل إليها قام إبراهيم يصلى ، وفى رواية الأعرج فى البيوع فى باب شراء المملوك من الحربى وهبته وعتقه : فأرسل بها إليه ، فقام إليها ، فقامت تتوضأ وتصلى ، فقالت : اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجى إلا على زوجى فلا تسلط علىّ الكافر ، فغط حتى ركض برجله . وفى مسلم : لما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده فقبضت يده قبضة

شديدة « فقال » لها « ادعى الله لى » وعند مسلم : ادعى الله أن يطلق يدى « ولا أضرك ، فدعت الله ، فأطلق ، ثم تناولها الثانية ، فأخذ مثلها » أى الأولى « أو أشد » منها « فقال » لها « ادعى الله لى » بأن يخلصنى « ولا أضرك فدعت الله ، فأطلق ، فدعا بعض حجبته » جمع حاجب . ولمسلم : ودعا الذي جاء بها . قال الحافظ ابن حجر : ولم أقف على اسمه « فقال : إنكم لم تأتونى بإنسان إنما أتيتمونى بشيطان » أى متمرد من الجن ، وهو مناسب لما وقع له من الصرع . زاد الأعرج : أرجعوها إلى إبراهيم « فأخدمها هاجر » أى وهبها لها لتخدمها ، لأنه أعظمها أن تخدم نفسها ، وكان أبو هاجر من ملوك القبط « فأتته » أى أتت سارة إبراهيم « وهو قائم يصلى ، فأومأ بيده مهيأ » أى ما حالك أو ما شأنك « قالت » سارة « رد الله كيد الكافر أو الفاجر فى نحره » هو مثل تقوله العرب لمن رام أمراً باطلا فلم يصل إليه « وأخدم هاجر ». وفى حديث مسلم عن أبى زرعة عن أبى هريرة فى حديث الشفاعة الطويل : فقال فى قصة إبراهيم ، وذكر كذباته ، ثم ساقه من طريق أخرى من هذا الوجه ، وقال فى آخره : وزاد فى قصة إبراهيم ، وذكر قوله فى الكوكب : « هذا ربى » وقوله لآلهتهم : « بل فعله كبيرهم هذا » . وقوله : « إنى سقيم » قال . القرطبى فيما قرأته فى تفسيره : فعلى هذا تكون الكذبات أربعة ، إلا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نفى تلك بقوله : لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات : « إنى سقيم » وقوله : « بل فعله كبيرهم هذا » . وواحدة فى شأن سارة . ولم يعد عليه قوله فى الكوكب : « هذا ربى » كذبة ، وهى داخلة فيه ، لأنه والله أعلم كان حين قوله ذاك فى حال الطفولية ، وليست حالة تكليف . انتهى . وهذا الذى قاله القرطبى نقله عنه فى فتح البارى وأقره . وقد اتفق أكثر المحققين على فساده محتجين بأنه لا يجوز أن يكون لله رسول يأتى عليه وقت من الأوقات إلا وهو موحد عابد وبه عارف ، ومن كل معبود سواه برىء ، وكيف يتوهم هذا على من عصمه وطهره وآتاه رشده من قبل وأراه ملكوت السموات والأرض ، أفتراه أراه الملكوت ليوقن ، فلما أيقن رأى كوكباً ، قال « هذا ربى » معتقداً ، فهذا لا يكون أبداً . وأيضاً فالقول بربوبية الجماد أيضاً كفر بالإجماع ، وهو لا يجوز على الأنبياء بالإجماع ، أو قاله بعد بلوغه على سبيل الوضع ، فإن المستدل على فساد قول يحكيه على

ما يقول الخصم ثم يكر عليه بالإفساد ، كما يقول الواحد منا إذا ناظر من يقول بقدم الجسم ، فيقول « الجسم قديم » فإن كان كذلك فلم نشاهده مركباً متغيراً . فقوله « الجسم قديم » إعادة لكلام الخصم حتى يلزم المحال عليه . فكذا هنا قال « هذا ربى » حكاية لقول الخصم . ثم ذكر عقبه ما يدل على فساده وهو قوله « لا أُحب الآفلين » . ويؤيد هذا أنه تعالى مدحه فى آخر هذه الآية على هذه . انتهى . كذا فى القسطلانى . وهو بحث نفيس ، غير أن ما ذكره من أن الحافظ ابن حجر نقل كلام القرطبى وأقره غير صحيح ، بل حكاه الحافظ ناقلا له عن الغير بلفظ يقال ، ثم أعقبه آخراً باعتماد خلافه . وعبارة الحافظ فى الفتح : هكذا قال القرطبى ، ذكر الكوكب يقتضى أنها أربع . وقد جاء فى رواية ابن سيرين بصيغة الحصر ، فيحتاج فى ذكر الكوكب إلى تأويل ، قلت : الذى يظهر أنها وهم من بعض الرواة فإنه ذكر قوله فى الكوكب بدل قوله فى سارة . والذى اتفقت عليه الطرق ذكر سارة بدون الكوكب ، وكأنه لم يعد مع أنه أدخل من ذكر سارة لما يقال إنه قاله فى حال الطفولية ، فلم يعدها لأن حال الطفولية ليست بحال تكليف . وهذه الطريق لابن إسحاق . وقيل : إنما قال ذلك بعد البلوغ ، لكنه قاله على طريق الاحتجاج على قومه ، تنبيهاً على أن الذى يتغير لا يصلح للربوبية . وهذا قول الأكثر أنه قاله توبيخاً لقومه أو تهكماً بهم ، وهو المعتمد ، ولهذا لم يعد ذلك فى الكذبات . انتهى . فتأمل قول الحافظ . وهذا قول الأكثر وهو المعتمد ، فإنه صريح فى خلاف ما فهمه القسطلانى. وزعم أن الحافظ أقر القرطبى عليه، فسقط جميع ما رد به من حاول المناظرة بقوله : وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه . ولذا لم تعد هذه مع تلك الثلاث المذكورة (قال أبو هريرة : تلك) يعنى هاجر (أمكم يا بنى ماء السماء) لكثرة ملازمتهم الفلوات التى بها مواقع المطر لرعى دوابهم . وقال الخطابى : وقيل : إنما أراد زمزم أنبعها الله لهاجر فعاشوا بها فصاروا كأنهم أولادها . وذكر ابن حبان فى صحيحه أن كل من كان من ولد هاجر يقال له « ولد ماء السماء » لأن إسماعيل ولد هاجر وقد ربى بماء زمزم ، وهى ماء السماء الذى أكرم الله به إسماعيل حين ولدته هاجر ، فأولادها أولاد ماء السماء . وقيل : ماء السماء هو عامر جد الأوس والخزرج ، سمى بذلك لأنه كان إذا قحط الناس أقام لهم ماله مقام المطر .

وهذا الحديث أخرجـه فى البيع والنكاح أيضاً ، ومسلم فى الفضائل . وفى الحديث مشروعية أخوة الإسلام وإباحة المعاريض ، والرخصة فى الانقياد للظالم والغاصب ، وقبول صلة الملك الظالم ، وقبول هدية المشرك ، وإجابة الدعاء بإخلاص النية ، وكفاية الرب لمن أخلص فى الدعاء بعمله الصالح . ونظيره قصة أصحاب الغار . وفيه ابتلاء الصالحين لرفع درجاتهم . ويقال : إن الله كشف لإبراهيم حتى رأى حال الملك مع سارة معاينة ، وأنه لم يصل منها إلى شيء . ذكر ذلك فى التيجـان . وفيه أن من نابه أمر مهم من الكرب ينبغي له أن يفزع إلى الصلاة . وفيه أن الوضوء كان مشروعاً للأمم قبلنا وليس مختصاً بهذه الأمة ولا بالأنبياء لثبوت ذلك عن سارة ، والجمهور على أنها ليست نبية . كذا فى الفتح .

(وقد تقدم حديث أم شريك) غزية أو غزيلة العامرية،ويقال الأنصارى (رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم أمر بقتل الوزغ) بفتحتين (وقد تقدم ، وزاد هنا : وكان ينفخ) النار (على إبراهيم عليه السلام) حين ألقى فيها ، وكل دابة فى الأرض كانت تطفئها عنه . وفى حديث عائشة : لما أحرق بيت المقدس . كانت الأوزاغ تنفخه . ذكره الكمال الدميرى . وفى الطبرانى عن ابن عباس مرفوعاً : اقتلوا الوزغ ولو فى جوف الكعبة . وفى إسناده عمر بن قيس المكى وهو ضعيف . ووقع فى حديث عائشة عند ابن ماجه وأحمد أن إبراهيم لما ألقى فى النار لم يكن فى الأرض دابة إلا أطفأت عنه إلا الوزغ فإنها كانت تنفخ عليه ، فأمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم بقتلها . قال فى الفتح : ذكر بعض الحكماء أن الوزغ أصم ، وأنه لا يدخل بيتاً فيه زعفران ، وأنه يلقح بفيه ، وأنه يبيض ، ويقال لكبارها سام أبرص ، وهو بتشديد الميم .

الحديث الخامس والستون

عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قالَ : أَوَّلُ ما ٱتَّخَذَ النِّسَاءُ الْمِنْطَقَ مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ ، اتَّخَذَتْ مِنْطَقاً لِتُعَفِّيَ أَثَرَهَا عَلَى سَارَّةَ ، ثُمَّ جاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ فِى أَعْلَى المَسْجِدِ ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَاباً فِيهِ تَمْرٌ ، وَسِقَاءٌ ، فِيهِ مَاءٌ ، ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا ، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ : يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهذَا الْوَادِى الذِى لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَىْءٌ ، فَقَالَتْ لَهُ ذلِكَ مِرَاراً ، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا ، فَقَالَتْ لَهُ : آللهُ أَمَرَكَ بِهذَا ؟ قالَ : نَعَمْ ، قالَتْ : إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا ، ثُمَّ رَجَعَتْ ، فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ ٱسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ ، ثُمَّ دَعا بِهؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ : « رَبِّ إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ » ، حَتَّى بَلَغَ « يَشْكُرُونَ » ، وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذلِكَ المَاءِ حَتَّى إِذَا نَفِدَ مافى السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ٱبْنُهَا وَجَعَلَتْ تَنْظرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى ، أَوْ قالَ يَتَلَبَّطُ ، فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ ، فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِى الْأَرْضِ يَلِيهَا فَقَامَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ ٱسْتَقْبَلَتِ الْوَادِى تَنْظُرُ ، هَلْ تَرَى أَحَداً ، فَلَمْ تَرَ أَحَداً ، فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْوَادِى رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا ، ثُمَّ سَعَتَ سَعْىَ الْإِنْسَانِ المَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتِ الْوَادِىَ ، ثُمَّ أَتَتِ المَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا ، وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَداً فَلَمْ تَرَ أَحَداً ، فَفَعَلَتْ ذلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ . قالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ : قالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم فَلِذلِكَ سَعَى النَّاسُ بَيْنَهُمَا ، فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى المَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتاً ، فَقَالَتْ : صَهٍ ، تُرِيدُ نَفْسَهَا ، ثُمَّ تَسَمَّعَتْ فَسَمِعَتْ أَيْضاً ، فَقَالَتْ :

قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ فَإِذَا هِيَ بِالمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ ، أَوْ قالَ بِجَنَاحِهِ ، حَتَّى ظَهَرَ المَاءُ ، فَجَعَلَتْ تُخَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا ، وَجَعَلَتْ تَغرِفُ مِنَ المَاءِ فِى سِقَائِهَا ، وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ ما تَغْرِفُ، قالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم : يَرْحَمُ ٱللهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ ، أَوْ قالَ لَوْ لَمْ تَغرِفْ مِنَ المَاءِ ، لَكانَتْ زَمْزَمُ عَيْناً مَعِيناً ، قالَ : فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا ، فَقَالَ لَهَا المَلَكُ : لَا تَخَافُوا ٱلضَّيْعَةَ فَإِنَّ هَاهُنَا بَيْتَ ٱللهِ يَبْنِى هذَا الْغُلَامُ وَأَبُوهُ ، وَإِنَّ ٱللهَ لَا يُضَيِّعُ أَهْلَهُ ، وَكانَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعاً مِنَ الْأَرْضِ كالرَّابِيَةِ تَأْتِيهِ السُّيُولُ فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمالِهِ ، فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ فَنَزَلُوا فى أَسْفَلِ مَكَّةَ فَرَأَوْا طَائِراً عائِفاً ، فَقَالُوا : إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى ماءٍ لَعَهْدُنَا بِهذَا الْوَادِى وَمافِيهِ ماءٌ ، فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّيْنِ فَإِذَا هُمْ بِالمَاءِ ، فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بالمَاءِ فَأَقْبَلُوا . قالَ : وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ المَاءِ ، فَقَالُوا : أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ ؟ فَقَالَتْ : نَعَمْ ، وَلكِنْ لَا حَقَّ لَكُمْ فى المَاءِ ، قالُوا : نَعَمْ ، قالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم : فَأَلْفَى ذلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الْأُنْسَ ، فَنَزَلُوا وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ ، فَنَزَلُوا مَعَهُمْ حَتَّى إِذَا كانَ بِهَا أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْهُمْ ، وَشَبَّ الْغُلَامُ وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيةَ مِنْهُمْ وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ ، فَلَمَّا أَدْرَكَ الحُلُمَ زَوَّجُوهُ ٱمْرَأَةً مِنْهُمْ ، وَماتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَ ما تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ ، فَسَأَلَ ٱمْرَأَتَهُ عَنْهُ ، فَقَالَتْ : خَرَجَ يَبْتَغِى لَنَا ، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ ، فَقَالَتْ : نَحْنُ بِشَرٍّ ، نَحْنُ فِى ضَيْقٍ وَشِدَّةٍ ، فَشَكَتْ إِلَيْهِ ، قالَ : فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِى عَلَيْهِ السَّلَامَ ، وَقُولِى لَهُ يُغَيِّرُ عَتَبَةَ بَابِهِ ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنَسَ

شَيْئاً ، فَقَالَ : هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ ؟ قالَتْ : نَعَمْ ، جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا فَسَأَلَنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ ، وَسَأَلَنِى كَيْفَ عَيْشُنَا ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِى جَهْدٍ وَشِدَّةٍ ، قالَ : فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَىْءٍ ؟ قالَتْ : نَعَمْ ، أَمَرَنِى أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلامَ ، وَيَقُولُ غَيِّرْ عَتبَةَ بَابِكَ ، قالَ : ذَاكَ أَبِى ، وَقَدْ أَمَرَنِى أَنْ أُفارِقَكِ ، الْحَقِى بِأَهْلِكِ ، فَطَلَّقَهَا وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى ، فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ ماشَاءَ ٱللّٰهُ ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ ، فَدَخَلَ عَلَى ٱمْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ ، فَقَالَتْ : خَرَجَ يَبْتَغِى لَنَا ، قالَ : كَيْفَ أَنْتُمْ ، وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ ، فَقَالَتْ : نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ وَأَثْنَتْ عَلَى ٱللّٰهِ ، فَقَالَ : ما طَعَامُكُمْ ؟ قالَتِ : اللَّحْمُ ، قالَ : فَمَا شَرَابُكُمْ ؟ قالَتِ : المَاءُ ، قالَ : اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فى اللَّحْمِ وَالمَاءِ ، قالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم : وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ وَلَوْ كانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ ، قالَ : فَهُمَا لَا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلاَّ لَمْ يُوَافِقَاهُ ، قالَ : فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِى عَلَيْهِ السلامَ وَمُرِيهِ يُثْبِتُ عَتَبَةَ بَابِهِ ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قال : هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ؟ قالَتْ : نَعَمْ ، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ ، فَسَأَلَنِى عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَسَأَلَنِى كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ ، قالَ : فَأَوْصَاكِ بِشَىْءٍ ؟ قالَتْ : نَعَمْ ، هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثْبِتَ عَتَبَةَ بَابِكَ ، قالَ : ذَاكَ أَبِى ، وَأَنْتِ الْعَتَبَةُ ، أَمَرَنِى أَنْ أُمْسِكَكِ ، ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ ما شَاءَ ٱللّٰهُ ، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذلِكَ وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِى نَبْلاً لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيباً مِنْ زَمْزَمَ ، فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ بِالوَلَدِ وَالْوَلَدُ بِالْوَالِدِ ، ثُمَّ قالَ : يَاإِسْمَاعِيلُ إِنَّ ٱللّٰهَ أَمَرَنِى بِأَمْرٍ ، قالَ : فاصْنَعْ ما أَمَرَكَ رَبكَ ، قالَ : وَتُعِينُنِى ، قالَ : وَأُعِينُكَ ، قالَ : فَإِنَّ ٱللّٰهَ أَمَرَنِى أَنْ أَبْنِيَ هَاهُنَا بَيْتاً ، وَأَشَارَ إِلَى أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلَى ما حَوْلَهَا ، قالَ : فَعِنْدَ ذلِكَ رَفَعَا الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ،

فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِى بِالْحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِى حَتَّى إِذَا ٱرْتَفَعَ الْبِنَاءُ جَاءَ بِهَذَا الحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْنِى وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ ٱلْحِجَارَةَ وَهُمَا يَقُولَانِ : « رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » .

(عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أول ما اتخذ النساء المنطق) بكسر الميم وفتح الطاء بينهما نون ساكنة : ما تشده المرأة على وسطها عند الشغل لئلا تعثر فى ذيلها (من قبل) بكسر القاف وفتح الباء من جهة (أم إسماعيل اتخذت منطقاً) وذلك أن سارة وهبتها للخليل عليه السلام فحملت منه بإسماعيل ، فلما وضعته غارت ، فحلفت لتقطعنّ منها ثلاثة أعضاء ، فاتخذت هاجر منطقاً فشدت به وسطها وهربت وجرت ذيلها (لتعفى) لتخفى (أثرها) وتمحوه (على سارة) قال الكرمانى : معناه أنها تزيت بزى الخدم إشعاراً بأنها خادمتها لتستميل خاطرها وتصلح ما فسد ، يقال : عفى على ما كان منه إذا أصلح بعد الفساد . انتهى . ويقال : إن إبراهيم شفع فيها وقال لسارة : حللى يمينك بأن تثقبى أذنيها وتخفضيها ، فكانت أول من فعل ذلك . وفى رواية ابن علية عند الإسماعيلى : أول ما اتخذت العرب جرّ الذيول عن أم إسماعيل . وذكر الحديث . ويقال : إن سارة اشتدت بها الغيرة فخرج إبراهيم بإسماعيل وأمه إلى مكة كذلك . وعن مجاهد وغيره أن الله لما بوأ إبراهيم مكان البيت خرج بإسماعيل وهو طفل صغير . وأنه قال : وحملوا فيما حدثت على البراق . كذا فى الفتح (ثم جاء بها) بهاجر (إبراهيم وبابنها إسماعيل) على البراق (وهى ترضعه) الواو للحال (حتى وضعهما عند) موضع (البيت) الحرام قبل أن يبنيه (عند دوحة) شجرة عظيمة (فوق زمزم فى أعلى) مكان (المسجد وليس بمكة يومئذ أحد) ولا بناء (وليس بها ماء ، فوضعهما هنالك ووضع عندهما جراباً) بكسر الجيم ، من جلد (فيه تمر وسقاء فيه ماء) بكسر السين ، قربة صغيرة (ثم قفى إبراهيم) بالفاء المشددة ، أى ولى راجعاً إلى الشام (منطلقاً) وفى رواية ابن إسحق : فانصرف إبراهيم إلى أهله بالشام ، ونزل إسماعيل وأمه إلى البيت (فتبعته أم إسماعيل فقالت) له (يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه إنس) بكسر الهمزة ، ضد الجن (ولا شىء

فقالت له ذلك مراراً) وفى رواية : فأدركته بكداء . وعن سعيد بن جبير أنه نادته بأعلى صوتها ثلاثاً ، فأجابها فى الثالثة ، فقالت له : من أمرك بكذا ؟ قال : الله (وجعل) إبراهيم . (لا يلتفت إليها ، فقالت له : آلله الذى أمرك بهذا ؟ قال) إبراهيم (نعم ، قالت إذن لا يضيعنا) وفى رواية ابن جريج : فقالت : حسبى . وفى رواية : فقالت : رضيت بالله رباً (ثم رجعت) إلى موضع الكعبة (فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية) بأعلى مكة حيث دخل النبى صلى الله عليه وآله وسلم مكة (حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت) أى موضعه (ثم دعا بهؤلاء الكلمات) أى الدعوات (ورفع يديه فقال : رب) وفى رواية : ربنا ، وهو الموافق للتنزيل (إنى أسكنت) ذرية (من ذريتى) المراد بها إسماعيل ومن ولد منه ، فإن إسكانه متضمن لإسكانهم (بواد) أى فى واد هو مكة (غير ذى زرع) قال الزمخشرى : لا يكون فيه شىء من زرع قط ، كقوله: « قرآناً عربياً غير ذى عوج » بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ، ما فيه إلا الاستقامة لا غير . انتهى . قال الطيبى : هذه المبالغة يفيدها معنى الكتابة ، لأن نفى الزرع لا يستلزم كون الوادى غير صالح للزرع ، ولأنه نكرة فى سياق النفى (عند بيتك المحرم) الذى يحرم عنده ما لا يحرم عند غيره ، أو حرمت التعرض له والتهاون به ، أو لم يزل معظماً يهابه كل جبار ، أو حرم من الطوفان ، أى منع منه ، كما يسمى عتيقاً لأنه أعتق من الطوفان ، أو لأن موضع البيت حرم يوم خلق السموات والأرض وحف بسبعة من الملائكة (حتى بلغ : يشكرون) قال فى الكشاف : فأجاب الله دعوة خليله ، فجعله حرماً آمناً تجبى إليه ثمرات كل شىء ، رزقاً من لدنه ، ثم فضله فى وجود أصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى أخصب البلاد وأكثرها ثماراً ، وفى أى بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الأعجوبة التى يريكها الله بواد غير ذى زرع ، وهى اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الأزمان من الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد ، وليس ذلك من آياته بعجب ، أعادنا الله تعالى إلى حرمه بمنه وكرمه ، ووفقنا لشكر نعمه (وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفد) بكسر الفاء ، أى فرغ (ما فى السقاء عطشت) زاد الفاكهى من حديث أبى جهم : فانقطع لبنها . وفى رواية : كان

إسماعيل حينئذ ابن سنتين ، (وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى) يتقلب ظهراً لبطن (أو قال يتلبط) أى يتمرغ ويضرب بنفسه على الأرض من لبط به إذا صرع . وقال الداودى : يحرك لسانه وشفتيه كأنه يموت . وفى رواية : يتلمظ . وفى رواية عطاء بن السائب : فلما ظمىء إسماعيل جعل يضرب الأرض بعقبيه . وفى رواية إبراهيم بن نافع : كأنه يتنشع للموت ، أى يشهق ويعلو صوته وينخفض كالذى ينازع (فانطلقت) هاجر (كراهية أن تنظر إليه) فى هذه الحالة الصعبة (فوجدت الصفا) بالقصر (أقرب جبل فى الأرض يليها ، فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر) وفى رواية عطاء ابن السائب : والوادى يومئذ عميق . وفى حديث أبى جهم : تستغيث ربها وتدعوه (هل ترى أحداً ، فلم تر أحداً فهبطت من الصفا) بفتح الباء ، من هبطت (حتى إذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها) بكسر الدال ، أى قميصها ، لئلا تعثر فى ذيله (ثم سعت سعى الإنسان المجهود) أى الذى أصابه الجهد وهو الأمر الشاق (حتى جاوزت الوادى ، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً ، فلم تر أحداً ، ففعلت ذلك سبع مرات) فى حديث أبى جهم : وكان ذلك أول ما سعى بين الصفا والمروة . وفى رواية إبراهيم بن نافع : إنها كانت فى كل مرة تتفقد إسماعيل وتنظر ما حدث له بعدها . وقال فى روايته : فلم تقرها نفسها ، أى لم تتركها نفسها مستقرة فتشاهده فى حال الموت ، فرجعت ، وهذا فى المرة الأخيرة (قال ابن عباس : قال النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم : فذلك سعى الناس بينهما) بين الصفا والمروة (فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً ، فقالت : صه) أى اسكتى (تريد نفسها) لتسمع ما فيه فرج لها (ثم تسمعت) أى تكلفت السماع واجتهدت فيه (فسمعت أيضاً ، فقالت : قد أسمعت) بفتح التاء (إن كان عندك غواث) بكسر المعجمة وفتح الواو مخففة . ولأبى ذر بضم الغين . وفى الفتح : غواث بفتحها للأكثر . قال فى المصابيح : وبذلك قيده ابن الخشاب وغيره من أئمة اللغة . قيل : وليس فى الأصوات فعال بفتح أوله غيره وإنما يأتى بالضم مثل البكاء والدعاء ، وبالكسر مثل النداء والصياح . وحكى ابن الأثير ضم أوله ، والمراد به على هذا المستغيث . وحكى ابن قرقول كسره أيضاً . وفى الصحاح : غوّث الرجل إذا قال : واغوثاه ،

والاسم الغوث والغواث والغواث . قال الفراء : يقال : أجاب الله دعاءه وغواثه وغواثه . وفى القاموس : الاسم الغوث والغواث بالضم وفتحه شاذ ، واستغاثنى فأغثته إغاثة ومغوثة ، والاسم الغياث بالكسر ، وبالجملة فجزاء الشرط محذوف تقديره فأغثنى (فإذا هى بالملك) جبريل عليه السلام (عند موضع زمزم) وفى حديث علىّ عند الطبرى بإسناد حسن : فناداها جبريل فقال : من أنت ؟ قالت : أنا هاجر أم ولد إبراهيم ، قال : فإلى من وكلكما؟ قالت : إلى الله ، قال : وكلكما إلى كاف (فبحث بعقبه) أى حفر بمؤخر رجله . قال السهيلى : فى تفجيره إياها بالعقب دون أن يفجرها باليد . أو غيرها إشارة إلى أنها العقب إسماعيل وارثة وهو محمد وأمته ، كما قال تعالى : « وجعلها كلمة باقيـة فى عقبه » أى فى أمة محمد صلى الله عليـه وآله وسلم (أو قال : بجناحه) شك من الراوى . وفى رواية إبراهيم بن نافع : فقال بعقبه هكذا ، أو غمز عقبه على الأرض ، وهى تعين أن ذلك كان بعقبه . وفى رواية ابن جريج : فركض برجله جبريل . وفى حديث علىّ : فخفض الأرض بإصبعه فنبعت زمزم . وقال ابن إسحق فى روايته : فزعم العلماء أنهم لم يزالوا يسمعون أنها همزة جبريل عليه السلام (حتى ظهر الماء) وفى رواية ابن جريج : ففاض الماء . وفى رواية ابن نافع : فانبثق الماء أى تفجر (فجعلت) هاجر (تحوّضه) أى تصيره مثل الحوض لئلا يذهب الماء وفى رواية ابن نافع : فدهشت أم إسماعيل فجعلت تحفر . وفى رواية عطاء ابن السائب : فجعلت تخفض الأرض بيديها (وتقول بيدها هكذا) هو حكاية فعلها وهو من إطلاق القول على الفعل (وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد ما تغرف) أى ينبع كقوله تعالى : « وفار التنور » قال ابن عباس (قال : النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم : يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم ، أو قال : لو لم تغرف من الماء) شك من الراوى . وهذا القدر صرح ابن عباس برفعه إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيه إشعار بأن جميع الحديث مرفوع (لكانت زمزم عيناً معيناً) بفتح الميم جارياً على وجه الأرض ، لأنها لما داخلها كسب هاجر قصرت على ذلك (قال : فشربت) هاجر (وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك) جبريل (لا تخافوا الضيعة) بفتح الضـاد المعجمة وسكون التحتية الهلاك . وعبر بالجمع على القول بأن

أقل الجمع اثنان أو هما وذرية إسماعيل أو أعم . وفى حديث أبى جهم : لا تخافى أن ينفد الماء . وعند الفاكهى من رواية علىّ بن الوازع عن أيوب : لا تخافى على أهل هذا الوادى ظمأ فإنها عين يشرب منها ضيفان الله . وزاد فى حديث أبى جهم : فقالت : بشرك الله بخير (فإن ها هنا بيت الله) أشار لها إلى البيت وهو يومئذ هدرة حمراء فقال : هذا بيت الله العتيق ، واعلمى أن إبراهيم وإسماعيل يرفعانه . وفى رواية : فإن هذا بيت الله (يبنى هذا الغلام وأبوه وأن الله لا يضيع أهله ، وكان البيت) الحرام (مرتفعاً من الأرض كالرابية) ما ارتفع من الأرض . وروى ابن أبى حاتم من طريق عبد الله بن عمرو بن العاص قال : لما كان زمن الطوفان رفع البيت فكان الأنبياء يحجونه ولا يعلمون مكانه حتى بوأه الله لإبراهيم وأعلمه مكانه . وروى البيهقى فى الدلائل من طريق أخرى عن عبد الله بن عمر مرفوعاً : بعث الله جبريل إلى آدم فأمره ببناء الكعبة فبناه آدم ثم أمر بالطواف به ، وقيل له : أنت أول الناس وهذا أول بيت وضع للناس . وروى عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء : إن آدم أول من بنى البيت . وقيل : بنته الملائكة قبله . وعن وهب بن منبه : أول من بناه شيث بن آدم، والأول أثبت (تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله ، فكانت) هاجر (كذلك) تشرب وترضع ولدها ، ولعلها كانت تعتذى بماء زمزم فيكفيها عن الطعام والشراب (حتى مرت بهم رفقة) بضم الراء : جماعة مختلطون ، سواء كانوا فى سفر أم لا (من جرهم) بضم الجيم والهاء : حىّ من اليمن ، وكانت جرهم يومئذ قريباً من مكة . قال فى الفتح : هو ابن قحطان بن عامر بن شالخ بن أرفخشذ ابن سام بن نوح . وقيل : ابن يقطن . قال ابن إسحق : وكان جرهم وأخوه قطور أول من تكلم بالعربية عند تبلبل الألسن ، وكان رئيس جرهم مضاض ابن عمرو ، ورئيس قطور السميدع ، ويطلق على الجميع جرهم . وقيل : إن أصلهم من العمالقة (أو أهل بيت من جرهم) حال كونهم (مقبلين) متوجهين (من طريق كداء) بفتح الكاف ممدوداً . قال فى الفتح : وهو فى جميع الروايات كذلك ، وهو أعلى مكة . قال القسطلانى : نعم فى رواية ابن عساكر بضم الكاف والقصر ، ولعل الحافظ لم يقف عليها (فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طائراً عائفاً) وهو الذى يتردد على الماء ويحوم حوله ولا يمضى

عنه (فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا) بلام مفتوحة للتأكيد (بهذا الوادى وما فيه ماء ، فأرسلوا جرياً) بفتح الجيم وكسر الراء وتشديد الياء : رسولا واحداً ينظر هل هناك ماء أم لا (أو جريين) رسولين اثنين ، وقد يطلق على الوكيل وعلى الأجير ، وسمى الرسول جرياً لأنه يجرى مجرى مرسله ، أو يجرى مسرعاً فى حاجته ، والشك من الراوى (فإذا هم) الجرى أو الجريان ومن تبعهما (بالماء فرجعوا) إلى جرهم (فأخبروهم بالماء ، فأقبلوا) إلى جهة الماء (قال : وأم إسماعيل) كائنة (عند الماء ، فقالوا) لها (أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ فقالت : نعم) أذنت لكم فى النزول (ولكن لاحق لكم فى الماء . قالوا : نعم) قال ابن عباس (قال النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم : فألفى) أى وجد (ذلك) الحى الجرهمى (أم إسماعيل) أى ألفى استئذان جرهم بالنزول أم إسماعيل (وهى تحب الأنس) أى جنسها (فنزلوا) عندها (وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم) بمكة (حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم ، وشب الغلام) وفى حديث أبى جهم : ونشأ إسماعيل بين ولدانهم (وتعلم العربية منهم) فيه إشعار بأن لسان أمه وأبيه لم يكن عربياً ، وفيه تضعيف لقول من روى . أنه أول من تكلم بالعربية . وقد وقع ذلك من حديث ابن عباس عند الحاكم فى المستدرك بلفظ : أول من نطق بالعربية إسماعيل . وروى الزبير بن بكار فى النسب من حديث علىّ بإسناد حسن : أول من فتق الله لسانه بالعربية البينة إسماعيل . وبهذا القيد يجمع بين الخبرين ، فيكون أوليته فى ذلك بحسب الزيادة فى البيان لا الأولية المطلقة ، فيكون بعد تعلمه أصل العربية من جرهم ألهمه الله تعالى العربية الفصيحة المبينة فنطق بها . ويشهد لهذا ما حكى ابن هشام عن الشرقى بن قطاما أن عربية إسماعيل كانت أفصح من عربية يعرب بن قحطان وبقايا حمير وجرهم . ويحتمل أن تكون الأولية فى الحديث مقيدة بإسماعيل بالنسبة إلى بقية إخوته من ولد إبراهيم ، فإسماعيل أول من نطق بالعربية من ولد إبراهيم . وقال ابن دريد فى كتاب الوشاح : أول من نطق بالعربية يعرب بن قحطان ثم إسماعيل : قال فى الفتح : وهذا لا يوافق من قال : إن العرب كلها من ولد إسماعيل (وأنفسهم) . بفتح الفاء والسين ، أى رغبهم فيه وفى مصاهرته ، يقال : أنفسنى فلان فى كذا ، أى رغبنى فيه . وقال فى المصابيح : أى صار

نفيساً فيهم رفيعاً يتنافس فى الوصول إليه . وفى الفتح : أنفسهم بفتح الفاء بلفظ أفعل التفضل : من النفاسة . تعقبه فى العمدة فقال : إنه غلط ، وليس هو إلا فعلا ماضياً من الإنفاس ، والفاعل فيه إسماعيل (وأعجبهم حين شب ، فلما أدرك) الحلم (زوّجوه امرأة منهم) اسمها عمارة بنت سعد بن أسامة فيما قاله ابن إسحق ، أو هى الحذاء بنت سعد فيما قاله السهيلى والمسعودى ، أو حيي بنت أسعد بن عملق فيما قاله عمر بن شبة . وعند الفاكهى عن ابن إسحق أنه خطبها إلى أبيها فزوجها منه (وماتت أم إسماعيل) هاجر فى خلال ذلك . قيل : ولها من العمر تسعون سنة ، ودفنها بالحجر (فجاء إبراهيم) عليه الصلاة والسلام (بعد ما تزوج إسماعيل) فى رواية عطاء بن السائب : فقدم إبراهيم وقد ماتت هاجر (يطالع تركته) بكسر الراء ، أى يتفقد حال ما تركه هناك. وضبطها بعضهم بالسكون ، وقال : التركة بالكسر : بيض النعام ، ويقال لها التريكة ، وقيل لها ذلك لأنها حين تبيض تترك بيضها وتذهب ثم تعود تطلبه ، فتحضن ما وجدت ، سواء كان هو أو غيره . كذا فى الفتح . قال ابن التين : هذا يشعر بأن الذبيح إسحق ، لأن المأمور بذبحه كان عند ما بلغ السعى . وقد قال فى هذا الحديث : إن إبراهيم ترك إسماعيل رضيعاً وعاد إليه وهو متزوج ، فلو كان هذا المأمور بذبحه لذكر فى الحديث أنه عاد إليه فى خلال ذلك بين زمان الرضاع والتزويج . وتعقب بأنه ليس فى الحديث نفى هذا المجىء ، فيحتمل أن يكون جاء فأمر بالذبح ، ولم يذكر فى الحديث . قال فى الفتح : قلت : وقد جاء ذكر مجيئه بين الزمانين فى خبر آخر ، ففى حديث أبى جهم : كان إبراهيم يزور هاجر كل شهر على البراق ، يغدو غدوة فيأتى مكة ثم يرجع فيقيل فى منزله بالشام . وروى الفاكهى من حديث علىّ نحوه ، وأن إبراهيم كان يزور إسماعيل وأمه على البراق ، فعلى هذا فقوله : فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل ، أى بعد مجيئه قبل ذلك مراراً ، والله أعلم (فلم يجد إسماعيل ، فسأل امرأته عنه ، فقالت : خرج يبتغى لنا) أى يطلب لنا الرزق . وفى رواية ابن جريج : وكان عيش إسماعيل الصيد ، يخرج فيصيد . وفى حديث أبى جهم : وكان إسماعيل يرعى ما شيته ، ويخرج متنكباً قوسه فيرمى الصيد . وفى حديث ابن إسحق : وكانت مسارحه التى يرعى فيها السدرة : إلى السر من نواحى مكة (ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم) وفى

رواية عطاء بن السائب : وقال : وهل عندك ضيافة (فقالت) له (نحن فى شر ، نحن فى ضيق وشدة ، فشكت إليه) وفى حديث أبى جهم : فقال لها : هل من منزل ؟ قالت : لا هالله إذا . قال : فكيف عيشكم ؟ قال : فذكرت جهداً ، فقالت : أما الطعام فلا طعام ، وأما الشاء فلا يحلب إلا المصر ، أى الشخب ، وأما الماء فعلى ما ترى من الغلظ . انتهى . والشخب بفتح المعجمة وسكون الخاء ثم موحدة : أى السيلان (قال) إبراهيم عليه السلام لها (فإذا جاء زوجك) إسماعيل (فاقرئى) بفتح الراء (عليه السلام وقولى له يغير عتبة بابه) بفتح العين ، كناية عن المرأة ، وسماها بذلك لما فيها من الصفات الموافقة ، وهو حفظ الباب وصون ما هو داخله ، وكونها محل الوطء . ويستفاد منه أن تغيير عتبة الباب يصح أن يقع من كنايات الطلاق ، كأن يقول مثلا : غيرت عتبة بابى ، أو عتبة بابى مغيرة ، وينوى بذلك الطلاق ، فيقع . قال فى الفتح : أُخبرت بذلك عن شيخنا شيخ الإسلام البلقينى ، وتمامه التفريع على أن شرع من قبلنا شرع لنا إذا حكاه النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولم ينكره (فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئاً) وفى رواية : فلما جاء إسماعيل وجد ريح أبيه (فقال : هل جاءكم من أحد ؟ قالت : نعم جاءنا شيخ كذا وكذا) وفى رواية عطاء بن السائب عند عمر بن شبة : كالمستخفة بشأنه (فسألنا عنك) بفتح اللام (فأخبرته) أنك خرجت تبتغى لنا (وسألنى كيف عيشنا فأخبرته أنا فى جهد) بفتح الجيم (وشدة ، قال) إسماعيل (فهل أوصاك بشىء ؟ قالت : نعم أمرنى أن أقرأ عليك السلام ويقول) لك (غير عتبة بابك ،قال : ذاك) بكسر الكاف (أبى) إبراهيم (وقد أمرنى أن أفارقك الحق بأهلك) بفتح الحاء المهملة (فطلقها وتزوج منهم) أى من جرهم (أخرى) اسمها شامة بنت مهلهل فيما قاله المسعودى تبعاً للواقدى ثم السهيلى ، أو عاتكة. قال الحافظ : ورأيت فى نسخة قديمة من كتاب مكة لعمر بن شبة أنها بشامة بنت مهلهل بن سعد بن عوف وهى مضبوطة بشامة بموحدة ثم معجمة خفيفة ، قال : وقيل اسمها حدة بنت الحارث بن مضاض ، وعن أبى إسحق فيما حكاه ابن سعد أن اسمها وعلة بنت مضاض بن عمرو الجرهمية . وعن ابن الكلبى أنها رعلة بنت يشجب بن يعرب بن لوذان بن جرهم . وذكر الدارقطنى فى المختلف أن اسمها السيدة بنت مضاض . وحكاه السهيلى أيضاً . وفى حديث

أبى جهم : ونظر إسماعيل إلى بنت مضاض بن عمرو فأعجبته فخطبها إلى أبيها فتزوجها . وحكى محمد بن أسعد الحرانى أن اسمها هالة بنت الحارث ، وقيل الحنفاء ، وقيل سلمى ، فحصلنا من اسمها على ثمانية أقوال ، ومن اسم أبيها على أربعة (فلبث) بكسر الموحدة (عنهم إبراهيم ما شاء الله ثم أتاهم بعد فلم يجده) أى إسماعيل (فدخل على امرأته فسألها عنه ، فقالت : خرج يبتغى لنا) الرزق (قال : كيف أنتم ، وسألها عن عيشهم وهيئتهم ، فقالت : نحن بخير وسعة) بفتح السين . وفى رواية ابن سعد : نحن فى خير عيش بحمد الله ، ونحن فى لبن كثير ولحم كثير وماء طيب (وأثنت على الله) عز وجل خيراً بما هو أهله (فقال) لها (ما طعامكم ؟ قالت : اللحم . قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء) وزاد فى حديث أبى جهم : ذكر اللبن مع اللحم ومع الماء (قال) إبراهيم (اللهم بارك لهم فى اللحم والماء) وفى رواية إبراهيم بن نافع : اللهم بارك لهم فى طعامهم وشرابهم . قال : قال أبو القاسم صلى الله عليه وآله وسلم : بركة بدعوة إبراهيم . وفيه حذف تقديره : فى طعام أهل مكة وشرابهم بركة (قال النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم : ولم يكن لهم يومئذ حب) حنطة أو نحوها (ولو كان لهم دعا لهم . فيه ، قال : فهما) أى اللحم والماء (لا يخلو عليهما) بالخاء المعجمة . وفى رواية : لايخلوان بالتثنية . قال ابن القوطية : خلوت بالشىء واختليت به إذا لم أخلط به غيره. ويقال : خلى الرجل اللبن إذا شرب غيره . وقال الكرمانى : أى لا يعتمدهما (أحد) ويداوم عليهما (بغير مكة إلا لم يوافقاه) لما ينشأ عنهما من انحراف المزاج إلا فى مكة فإنها يوافقانه . وهذا من جملة بركاتها وأثر دعاء الخليل عليه السلام . وفى حديث أبى جهم : ليس أحد يخلو على اللحم والماء بغير مكة إلا اشتكى بطنه . وزاد فى حديثه : فقالت له : انزل رحمك الله فاطعم واشرب قال : إنى لا أستطيع النزول . قالت : فإنى أراك شعثاً أفلا أغسل رأسك وأدهنه . قال : بلى إن شئت . فجاءته بالمقام وهو يومئذ أبيض مثل المهاة ، وكان فى بيت إسماعيل ملقى ، فوضع قدمه اليمنى وقدم إليها رأسه وهو على دابته فغسلت شق رأسه الأيمن ، فلما فرغ حولت له المقام حتى وضع قدمه اليسرى وقدم إليها برأسه فغسلت شق رأسه الأيسر ، فالأثر الذى فى المقام من ذلك طاهر فيه موضع العقب والإصبع (قال : فإذا جاء زوجك فاقرئى عليه

السلام ومريه يثبت عتبة بابه) ثم مضى إبراهيم ، فلما جاء إسماعيل (قال : هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم أتانا شيخ حسن الهيئة ، وأثنت عليه) خيراً (فسألني عنك ، فأخبرته ، فسألني كيف عيشنا ، فأخبرته أنا بخير) وسعة (قال : فأوصاك بشيء ؟ قالت : نعم ، هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك) زاد أبو جهم فى حديثه : فإنها صلاح المنزل (قال) إسماعيل لها (ذاك أبى) بكسر الكاف (وأنت العتبة ، أمرنى أن أمسكك) زاد أبو جهم : ولقد كنت علىّ كريمة ، ولقد ازددت علىّ كرامة ، فولدت لإسماعيل عشرة ذكور (ثم لبث عنهم) إبراهيم (ما شاء الله ، ثم جاء) إليهم (بعد ذلك وإسماعيل يبرى) بفتح الباء (نبلا له) أى سهماً قبل أن يركب فيه نصله وريشه ، وهو السهم العربى (تحت دوحة) شجرة ، وهى التى نزل إسماعيل وأمه تحتها أول ما قدما مكة كما مر . ووقع فى رواية إبراهيم ابن نافع من وراء زمزم (قريباً من زمزم ، فلما رآه) إسماعيل (قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد) من الاعتناق والمصافحة وتقبيل اليد ونحو ذلك . وفى رواية معمر قال : سمعت رجلا يقول بكيا حتى أجابهما الطير . قال فى الفتح : وهذا إن ثبت يدل على أنه تباعد لقاؤهما (ثم قال) إبراهيم عليه السلام (يا إسماعيل إن الله) عز وجل (أمرنى بأمر ، قال) إسماعيل (فاصنع ما أمرك) به (ربك ، قال : وتعيننى) عليه (قال : وأعينك ، قال) إبراهيم (فإن الله أمرنى أن أبنى ها هنا بيتاً ، وأشار إلى أكمة) بفتح الهمزة ، أى رابية (مرتفعة على ما حولها) ووقع فى حديث أبى جهم عند الفاكهى : إن عمر إبراهيم كان يومئذ مائة سنة وعمر إسماعيل ثلاثين سنة (قال : فعند ذلك رفعا) إبراهيم وإسماعيل (القواعد من البيت) جمع قاعدة وهى الأساس : صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ورفعها البناء عليها ، فإنه ينقلها عن هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع . وللفاكهى من حديث عثمان : فبناه إبراهيم وإسماعيل وليس معهما يومئذ غيرهما ، يعنى فى مشاركتهما فى البناء ، وإلا فقد تقدم أنه قد كان نزل الجرهميون من إسماعيل. وفى حديث عثمان وأبى جهم : فبلغ إبراهيم من الأساس أس آدم وجعل طوله فى السماء تسعة أذرع وعرضه فى الأرض ، يعنى دوره ثلاثين ذراعاً ، وكان ذلك بذراعهم . زاد أبو جهم : وأدخل الحجر فى البيت ، وكان قبل ذلك زرباً لغنم إسماعيل ، وإنما بناه بحجارة بعضها على بعض ولم يجعل له سقفاً

وجعل له باباً وحفر له بئراً عند بابه خزانة للبيت يلقى فيها ما يهدى للبيت . وفى حديثه أيضاً : إن الله أوحى إلى إبراهيم أن اتبع السكينة ، فحلقت على موضع البيت كأنها سحابة ، فحفروا يريدان أساس آدم الأول . وفى حديث علىّ عند الطبرانى والحاكم : رأى على رأسه موضع البيت مثل الغمامة فيه مثل الرأس ، فكلمه فقال : يا إبراهيم ابن على ظلى أو على قدرى ولا تزد ولا تنقص ، وذلك حين يقول الله تعالى : « وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ... الآية »(فجعل إسماعيل يأتى بالحجارة وإبراهيم يبنى حتى إذا ارتفع البناء جاء) أى إسماعيل (بهذا الحجر) حجر المقام (فوضعه له) للخليل عليه السلام (فقام عليه وهو يبنى وإسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان : ربنا تقبل منا إنك أنت السميع) لدعائنا (العليم) ببنائنا (قال : فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان : ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) وقد قيل : ليس فى العالم بناء أشرف من الكعبة ، لأن الآمر بعمارته رب العالمين ، والمبلغ والمهندس جبريل الأمين ، والبانى هو الخليل ، والتلميذ المعين إسماعيل . وفى رواية إبراهيم بن نافع : حتى ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة ، فقام على الحجر المقام . زاد فى حديث عثمان : ونزل عليه الركن والمقام ، فكان إبراهيم يقوم على المقام يبنى عليه ويرفعه له إسماعيل ، فلما بلغ الموضع الذى فيه الركن وضعه يومئذ موضعه ، وأخذ المقام فجعله لاصقاً بالبيت ، فلما فرغ إبراهيم من بناء الكعبة جاءه جبريل فأراه المناسك كلها ، ثم قام إبراهيم على المقام فقال : أيها الناس أجيبوا ربكم فوقف إبراهيم وإسماعيل تلك المواقف ، وحجه إسحق وسارة من بيت المقدس ، ثم رجع إبراهيم إلى الشام فمات بالشام . وروى الفاكهى بإسناد صحيح من طريق مجاهد عن ابن عباس قال : قام إبراهيم على الحجر فقال : يا أيها الناس كتب عليكم الحج ، فأسمع من فى أصلاب الرجال وأرحام النساء ، فأجابه من آمن من كان سبق فى علم الله أنه يحج إلى يوم القيامة : لبيك اللهم لبيك . وفى حديث أبى جهم : ذهب إسماعيل إلى الوادى يطلب حجراً فنزل جبريل بالحجر الأسود ، وقد كان رفع إلى السماء حين غرقت الأرض ، فلما جاء إسماعيل فرأى الحجر الأسود قال : من أين هذا ؟ من جاءك به ؟ قال إبراهيم : من لم يكلنى إليك ولا إلى حجرك . ورواه ابن أبى حاتم من طريق السدى نحوه ، وأنه كان بالهند وكان ياقوتة بيضاء مثل الثغامة طير أبيض كبير .

الحديث السادس والستون

عَنْ أَبِى ذَرٍّ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ قُلْتُ : يَارَسُولَ ٱللَّهِ أَىُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فى الْأَرْضِ أَوَّلَ ؟ قالَ : المَسْجِدُ الحَرَامُ . قالَ قُلْتُ : ثُمَّ أَىٌّ ، قالَ : المَسْجِدُ الْأَقْصى . قُلْتُ : كَمْ كانَ بَيْنَهُمَا ؟ قالَ : أَرْبَعُونَ سَنَةً ، ثُم أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ بَعْدُ فَصَلِّهْ فَإِنَّ الْفَضْلَ فِيهِ .

(عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله أى مسجد وضع فى الأرض أول) بضم اللام . قال أبو البقاء : وهى ضمة بناء لقطعه عن الإضافة ، مثل قبل وبعد ، وهو الوجه ، والتقدير : أول كل شىء ، ويجوز الفتح مصروفاً وغير مصروف ، أى أىّ مسجد وضع أولا للصلاة (قال : المسجد الحرام ، قال) أبو ذر : (قلت) يا رسول الله (ثم أى) أى ثم أى مسجد وضع بعد المسجد الحرام . وهذا الحديث تفسير المراد بقوله تعالى : « إن أول بيت وضع للناس للذى بمكة » . ويدل على أن المراد بالبيت بيت العبادة لامطلق البيوت . وقد ورد ذلك صريحاً عن علىّ أخرجه إسحق بن راهويه وابن أبى حاتم وغيرهما بإسناد صحيح عنه قال : كانت البيوت قبله ولكنه كان أول بيت وضع لعبادة الله (قال) صلى الله عليه وآله وسلم (المسجد الأقصى) مسجد بيت المقدس بنى بعده ، وسمى بالأقصى لبعد المسافة بينه وبين الكعبة أو لأنه لم يكن وراءه مسجداً أو لبعده عن الأقذار والخبائث . والمقدس : المطهر عن ذلك (قلت) يا رسول الله (كم كان بينهما) أى كم بين بناءى المسجدين (قال) عليه السلام بينهما (أربعون سنة) استشكل بأن الخليل بنى الكعبة وسليمان بنى الأقصى وبينهما أكثر من أربعين سنة ، وأُجيب بأنه لا دلالة فى الحديث على أن الخليل وسليمان ابتدآ وضعهما لهما ، بل إنما جددا ما كان أسسه غيرهما ، فليس إبراهيم أول من بنى الكعبة ولا سليمان أول من بنى الأقصى . وبناء آدم للكعبة مشهور ، فجائز أن يكون لما فرغ آدم من بناء الكعبة وانتشر ولده فى الأرض بنى بعضهم المسجد الأقصى . وفى كتاب التيجان لابن هشام أن آدم لما بنى الكعبة أمره الله تعالى بالمسير إلى بيت المقدس وأن يبنيه ، فبناه ونسك فيه (ثم أينما أدركتك الصلاة

بعد) أى بعد إدراك وقتها (فصله) بهاء السكت (فإن الفضل فيه) أى فى فعل الصلاة إذا حضر وقتها . زاد من وجه آخر عن الأعمش : والأرض لك مسجد ، أى للصــلاة فيه . وفى جامع سفيان بن عيينة عن الأعمش أيضاً : فإن الأرض كلها مسجد ، أى صالحة للصلاة فيها . قال فى الفتح : ويخص هذا العموم بما ورد فيه النهى . والله أعلم . وهذا الحديث أخرجه مسلم فى الصلاة ، والنسائى فيه وفى التفسير ، وابن ماجه فى الصلاة .

الحديث السابع والستون

عَنْ أَبِى حُمَيْدٍ السَّاعِدِىِّ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّهُمْ قالُوا : يَارَسُولَ ٱللهِ كَيْفَ نُصَلِّى عَلَيْكَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : قُولُوا : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

(عن أبى حميد الساعدى رضى الله عنه أنهم قالوا) أى الصحابة رضى الله عنهم (يا رسول الله ، كيف نصلى عليك ، فقال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : اللهم صل على محمد) صلاة تليق به (وأزواجه وذريته) نسله أولاد بنته فاطمة رضى الله عنها ، صلاة تليق بهم (كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد) وعند ابن ماجه : كما باركت على آل إبراهيم ، فى العالمين. ولفظ « الآل » مقحم . والمعنى : كما سبقت منك الصلاة على إبراهيم نسألك الصلاة على سيدنا محمد بطريق الأولى . بهذا التقرير يندفع الإيراد المشهور وهو أن من شرط التشبيه أن يكون المشبه به أقوى . والحاصل من الجواب أن التشبيه هنا ليس من باب إلحاق الكامل بالأكمل ، بل من باب التهييج ونحوه . والمراد بالبركة النمو والزيادة من الخير والكرامة ، أو التطهير من العيوب والتزكية . أو المراد ثبات ذلك ودوامه واستمراره من قولهم : بركت الإبل ، أى ثبتت على الأرض . وبه جزم أبو اليمن بن عساكر فقال : بارك ، أى فأثبت وأدم لهم ما أعطيتهم من الشرف والكرامة . قال القسطلانى : قال شيخنا : ولم يصرح أحد بوجوب قوله : وبارك على محمد فيما عثرنا عليه غير أن ابن حزم ذكر ما يفهم وجوبها فى الجملة ، فقال : على المرء أن يبارك عليه ولو مرة فى العمر ، وأن يقولها بلفظ خبر ابن مسعود أو حميد أو كعب : وظاهر كلام صاحب المغنى من الحنابلة وجوبها فى الصلاة ، فإنه قال : وصفة الصلاة كما ذكره الخرقى . والخرقى إنما ذكر ما اشتمل عليه حديث كعب ، ثم قال : وإلى هنا انتهى الوجوب . والظاهر أن أحداً من الفقهاء لا يوافق على ذلك . قاله المجد الشيرازى . والمرجح أن المراد بآل محمد

هنا من حرمت عليهم الصدقة . وقيل : أهل بيته . وقيل : أزواجه وذريته ، لأن أكثر طرق الحديث جاء بلفظ آل محمد . وثبت الجمع بين الثلاثة ، أى الآل والأزواج والذرية فى حديث أبى هريرة عند أبى داود ، فلعل بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ غيره ، والمراد بالآل فى التشهد الأزواج ومن حرمت عليهم الصدقة وتدخل فيهم الذرية ، فبذلك يجمع بين الأحاديث . وقد أطلق صلى الله عليه وآله وسلم على أزواجه « آل محمد » كما فى حديث عائشة : ما شبع آل محمد من خبز مأدوم ثلاثة أيام . وقيل : الآل : ذرية فاطمة خاصة . حكاه النووى فى المجموع . وقيل : جميع قريش . حكاه ابن الرفعة فى الكفاية . وقيل : جميع أمة الإجابة . ورجحه النووى فى شرح مسلم . وقيده القاضى حسين بالأتقياء منهم . وهذه الأقوال كلها مرجوحة إلا قول من قال : إنهم ذرية فاطمة ومن حرمت عليهم الصدقة ، كما حققنا ذلك فى هداية السائل . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى الدعوات ، ومسلم فى الصلاة وكذا أبو داود والنسائى وابن ماجه .

الحديث الثامن والستون

عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قالَ : كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُعَوِّذُ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ وَيَقُولُ : إنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إسْمَاعِيلَ وَإسْحَقَ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ ٱللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ .

(عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم يعوّذ) بالذال المعجمة (الحسن والحسين) ابنى فاطمة رضى الله عنهم (ويقول) لهما (إن أباكما) جدكما الأعلى إبراهيم عليه السلام (كان يعوّذ بها) بالكلمات الآتية إن شاء الله تعالى (إسماعيل وإسحاق) ابنيه وهى (أعوذ بكلمات الله) كلامه على الإطلاق أو المعوذتين أو القرآن الكريم ، أو أقضيته أو ما وعد به ، كما قال تعالى : « وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا » والمراد بها قوله تعالى : « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض » (التامة) الكاملة أو النافعة أو الشافية . أو المباركة ، وقيل : القاضية التى تمضى وتستمر ولا يردها شىء ولا يدخلها نقص ولا عيب قال الخطابى : كان أحمد يستدل بهذا الحديث على أن كلام الله غير مخلوق ، ويحتج بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يستعيذ بمخلوق (من كل شيطان) إنسى وجنى (وهامة) بتشديد الميم ، واحدة الهوام ذوات السموم ، وقيل : كل ماله سم يقتل وما لا يقتل بسمية ، يقال له السوام ، وقيل : المراد كل نسمة همّ بسوء (ومن كل عين لامة) بالتشديد أيضاً التى تصيب بسوء . وقال الخطابى : كل داء وآفة تلم بالإنسان من جنون وخبل ونحوه . كذا بالتاء فى الثلاثة وبالهاء الساكنة . وهذا الحديث أخرجه أبو داود فى السنة ، والترمذى فى الطب ، والنسائى فى التعوّذ وفى اليوم والليلة ، وابن ماجه فى الطب .

الحديث التاسع والستون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم قالَ : نَحْنُ أَحَقُّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ ، إِذْ قَالَ : « رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي المَوْتَى ؟ قالَ : أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ ؟ قالَ : بَلَى وَلكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي » ، وَيَرْحَمُ ٱللَّهُ لُوطاً لَقَدْ كانَ يَأْوِي إِلى رُكْنٍ شَدِيدٍ ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ مالَبِثَ يُوسُفُ لَأَجَبْتُ ٱلدَّاعِيَ .

(عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم قال) على سبيل التواضع أو من قبل أن يعلمه الله بأنه أفضل من إبراهيم (نحن أحق من إبراهيم) أي بالشك ((إذ قال) لما رأى جيفة حمار مطروحة على شط البحر ، فإذا مدّ البحر أكل دوابّ البحر منها ، وإذا جزر البحر جاءت السباع فأكلت ، وإذا ذهبت السباع جاءت الطيور فأكلت وطارت (رب أرني كيف تحيي الموتى) أي كيف تجمع أجزاء الحيوان من بطون السباع والطيور ودواب البحر ، أو لما ناظر نمرود حين قال : ربي الذي يحيي ويميت وقال الملعون : أنا أحيي وأميت ، وأطلق محبوساً وقتل رجلا ، فقال إبراهيم عليه السلام : إن إحياء الله برد الروح إلى بدنها ، فقال نمرود : فهل عاينته ، فلم يقدر أن يقول نعم ، وانتقل إلى تقرير آخر ، فقال له نمرود لعنه الله : قل لربك حتى يحيي وإلا قتلتك . فسأل الله تعالى ذلك . وقيل : إن الله لما أوحى إليه : إني متخذ بشراً خليلا ، فاستعظم إبراهيم عليه السلام ذلك فقال : إلهي ، ما علامة ذلك ؟ قال : إنه يحيي الموتى بدعائه ، فلما عظم مقام إبراهيم في العبودية خطر بباله أنه الخليل ، فسأل إحياء الموتى (قال : أو لم تؤمن ؟) بأني قادر على جمع الأجزاء المتفرقة ، أو على الإحياء بإعادة التركيب الروح إلى الجسد (قال : بلى) آمنت (ولكن) سألت (ليطمئن قلبي) ليحصل الفرق بين المعلوم بالبرهان والمعلوم عياناً ، أو ليطمئن قلبي بقوة حجتي ، وإذا قيل لي : أنت عاينت ؟ أقول نعم ، أو ليطمئن قلبي بأني خليل لك ، فظهر أن سؤال إبراهيم لم يكن شكاً ، بل من قبيل زيادة العلم بالعيان

فإن العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة مالا يفيده الاستدلال ، وعن الشافعى فى معنى الحديث : الشك يستحيل فى حق إبراهيم عليه السلام ، ولو كان الشك يتطرق إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لكنت أحق به من إبراهيم ، وقد علمتم أن إبراهيم لم يشك ، فإذا لم أشك أنا ولم أرتب فى القدرة على الإحياء فإبراهيم أولى بذلك . وقال الزركشى : وذكر صاحب الأمثال السائرة أن أفعل تأتى فى اللغة لنفى المعنى عن الشيئين ، نحو : الشيطان خير من زيد ، أى لا خير فيهما ، وكقوله تعالى : « أهم خير أم قوم تبع » أى لا خير فى الفريقين . وعلى هذا فمعنى قوله : نحن أحق بالشك من إبراهيم ، لاشك عندنا جميعاً . قال : وهو أحسن ما يتخرج عليه هذا الحديث انتهى . وكذا نقله فى الفتح ، لكن عن بعض علماء العربية . قال فى المصابيح : وهذا غير معروف عند المحققين . قال الحافظ : واختلف السلف فى المراد بالشك ، فحمله بعضهم على ظاهره وقال : كان ذلك قبل النبوة . وعليه حمله الطبرى وجعل سببه وسوسة من الشيطان ، لكنها لم تستقرولا زلزلت الإيمان الثابت . واستند فى ذلك إلى ما أخرجه هو وعبد بن حميد وابن أبى حاتم والحاكم من طريق عبد العزيز الماجشون عن محمد بن المنكدر قال : أرجى آية فى القرآن هذه الآية : « وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى » الآية . فقال ابن عباس : هذا لما يعرض فى الصدور ويوسوس به الشيطان ، فرضى الله من إبراهيم بأن قال : بلى . ومن طريق معمر عن قتادة عن ابن عباس نحوه من طريق على بن زيد عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس نحوه . وهذه طرق يشد بعضها بعضاً . وإلى ذلك جنح عطاء فروى ابن أبى حاتم من طريق ابن جريح قال : سألت عطاء عن هذه الآية ، فقال : دخل قلب إبراهيم ما يدخل قلوب الناس فقال ذلك . وحكا ابن التين عن الداودى قال : طلب إبراهيم ذلك ليذهب شدة الخوف . قال ابن التين : وليس ذلك بالبين . وقيل معناه : هذا الذى ترون أنه شك أنا أولى به لأنه ليس بشك إنما هو طلب لمزيد البيان . قال ابن عطية : ومحمل قول ابن عباس عندى إنها أرجى آية لما فيها من الإدلال على الله وسؤال الإحياء فى الدنيا ، أو لأن الإيمان يكفى فيه الإجمال ولا يحتاج إلى تنقير وبحث . قال ابن الجوزى : إنما صار أحق من إبراهيم لما عانى من تكذيب قومه له وردهم عليه وتعجبهم من أمر البعث ، فقال : أنا أحق أن أسأل ما سأل إبراهيم لعظم ما جرى لى مع قومى المنكرين

لإحياء الموتى ، ولمعرفتى بتفضيل الله لى ، ولكن لا أسأل ذلك (ويرحم الله لوطاً) اسم أعجمى صرف مع العجمة والعلمية لسكون وسطه (لقد كان يأوى) فى الشدائد (إلى ركن شديد) إلى الله تعالى ، أشار إلى قوله تعالى : « قال لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد » . قال الطيبى : وهذا تمهيد ومقدمة للخطاب المزعج كما فى قوله تعالى : « عفا الله عنك لم أذنت لهم » وقال البيضاوى : استعظام لما قاله واستغراب لما بدر منه حسبما أجهده قومه ، فقال : أو آوى إلى ركن شديد ، إذ لا ركن أشد من الركن الذى كان يأوى إليه ، وهو عصمة الله تعالى وحفظه . وقال مجاهد : إلى العشيرة ، ولعله يريد : لو أراد لأوى إليها ، ولكنه أوى إلى الله تعالى . وقال أبو هريرة : ما بعث الله نبياً إلا فى منعة من عشيرته (ولو لبثت فى السجن طول ما لبث يوسف) بضع سنين ما بين الثلاث إلى التسع (لأجبت الداعى) لأسرعت الإجابة فى الخروج من السجن ، ولما قدمت طلب البراءة . قال التوربشتى : وهو منبىء عن إحماده صبر يوسف وتركه الاستعجال بالخروج من السجن مع امتداد مدة الحبس عليه . وروى ابن حبان عن أبى هريرة مرفوعاً : رحم الله يوسف لولا الكلمة التى قالها : اذكرنى عند ربك ، ما لبث فى السجن . قال محيى السنة ، وصف صلى الله عليه وآله وسلم يوسف بالأناة والصبر حيث لم يبادر إلى الخروج حين جاءه رسول الملك فعل المذنب حين يعفى عنه مع طول لبثه فى السجن ، بل قال : ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهنّ ، أراد أن يقيم الحجة فى حبسهم إياه ظلماً ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم على سبيل التواضع . لا أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان فى الأمر منه مبادرة وعجلة لو كان مكان يوسف . والتواضع لا يصغر كبيراً ولا يضع رفيعاً ولا يبطل لذى حق حقاً ، لكنه يوجب لصاحبه فضلا ويكسبه إجلالا وقدراً . انتهى . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى التفسير ، ومسلم فى الإيمان وفى الفضائل ، وابن ماجه فى الفتن .

الحديث السبعون

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُ قالَ : مَرَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللّٰهِ صلى الله عليه وسلم : ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِياً وَأَنَامَعَ بَنِي فُلَانٍ، قالَ: فَأَمْسَكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللّٰهِ صلى الله عليه وسلم : مَالَكُمْ لا تَرْمُونَ ؟ فَقَالُوا : يَارَسُولَ ٱللّٰهِ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ ؟ قالَ : ارْمُوا وَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ .

(عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال : مر النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم على نفر) عدة من رجال من ثلاثة إلى عشرة (من أسلم) القبيلة المعروفة ، حال كونهم (ينتضلون) يترامون على سبيل المسابقة (فقال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : ارموا بنى إسماعيل) بن إبراهيم الخليل (فإن أباكم) إسماعيل ، وأطلق عليه أباً مجازاً لأنه جدهم الأبعد (كان رامياً وأنا مع بنى فلان) يعنى ابن الأدرع ، كما فى حديث أبى هريرة عند ابن حبان فى صحيحه واسمه محجن كما فى الطبرانى (قال : فأمسك أحد الفريقين بأيديهم) عن الرمى (فقال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : مالكم لا ترمون ؟ فقالوا : يا رسول الله نرمى وأنت معهم ، قال : ارموا وأنا معكم كلكم) بجر اللام تأكيداً للضمير المجرور . وهذا الحديث سبق فى باب التحريض على الرمى من كتاب الجهاد أيضاً .

الحديث الحادى والسبعون

عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم لَمَّا نَزَلَ ٱلْحِجْرَ فِى غَزْوَةِ تَبُوكَ أَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَشْرَبُوا مِنْ بِئْرِهَا وَلَا يَسْتَقُوا مِنْهَا ، فَقَالُوا : قَدْ عَجَنَّا مِنْهَا وَٱسْتَقَيْنَا ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَطْرَحُوا ذٰلِكَ الْعَجِينَ وَيُهَرِيقُوا ذٰلِكَ الْمَاءَ .

(عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : لما نزل الحجر) منازل ثمود : قبيلة من العرب سموا باسم أبيهم الأكبر ثمود ابن عابر بن أرم بن سام . وقيل : سموا لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل ، وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام إلى وادى القرى (فى غزوة تبوك أمرهم) أى أمر أصحابه (أن لا يشربوا من بئرها ولا يستقوا منها ، فقالوا : قد عجنا منها واستقينا ، فأمرهم) صلى الله عليه وآله وسلم (أن يطرحوا ذلك العجين) المعجون بمائها (ويهريقوا) أى يريقوا (ذلك الماء) خوفاً أن يورثهم شربه قسوة فى قلوبهم أو ضرراً فى أبدانهم .

الحديث الثانى والسبعون

وَعَنْهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ : الْكَرِيمُ ٱبْنُ الْكَرِيمِ ٱبْنُ الْكَرِيمِ ٱبْنُ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

(وعنه) أى عن ابن عمر (رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم أنه قال : الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب ابن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام) وللطبرانى بإسناد ضعيف عن ابن عباس قيل : يا رسول الله من السيد ؟ قال : يوسف بن يعقوب . قالوا : فما فى أمتك سيد ؟ قال : رجل أُعطى مالا حلالا ورزق سماحة . نقله صاحب الفتح .

الحديث الثالث والسبعون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ: إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرَ أَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ مِنْ خَلْفِهِ خَضْرَاءَ.

(عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم قال: إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء) ليس فيها نبات. والفروة: جلدة وجه الأرض (فإذا هي) أي الفروة البيضاء (تهتز من خلفه خضراء) بعد أن كانت جرداء. وعن مجاهد: قيل له الخضر لأنه كان إذا صلى اخضر ما حوله واسمه بليا بفتح الموحدة وسكون اللام وبعد التحتية ألف مقصوراً، ابن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح. قال في الفتح: وعلى هذا فمولده قبل إبراهيم الخليل، لأنه يكون ابن عم جد إبراهيم وعند الدارقطني في الإفراد من طريق مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس: هو ابن آدم لصلبه، وهو ضعيف منقطع. وعند أبي حاتم في المعمرين أنه ابن قابيل بن آدم. وعن ابن لهيعة: كان ابن فرعون نفسه. وقيل: ابن بنت فرعون. وقيل: كان أخا إلياس. وعند السهيلي عن قوم: إنه كان من الملائكة وليس من بني آدم. واختلف في نبوّته، فقيل نبي. واحتج بعضهم لنبوّته بقوله: وما فعلته عن أمري. وأُجيب باحتمال الإيحاء إلى نبي من أنبياء ذلك الزمان أن يأمر الخضر بذلك. وقال القرطبي: هو نبي عند الجمهور، والآية تشهد لذلك، لأن النبي لا يتعلم ممن دونه، ولأن الحكم بالباطن لا يطلع عليه إلا الأنبياء. كذا في الفتح. والأكثرون كما قاله النووي على حياته بين أظهرنا. واتفق عليه سادات الصوفية كابن أدهم وبشر الحافي ومعروف الكرخي وسري السقطي والجنيد. وبه قال عمر بن عبد العزيز. والذي جزم به البخاري أنه غير موجود. وبه قال إبراهيم الحربي وأبو بكر بن العربي وأبو جعفر بن المنادي وأبو يعلى بن الفراء وأبو طاهر العبادي وطائفة من المحدثين وعمدتهم الحديث المشهور عن ابن عمر وجابر وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في آخر حياته: لا يبقى على وجه الأرض بعد مائة سنة ممن هو عليها اليوم أحد: قال ابن عمر: أراد بذلك انخرام قرنه وتمام الكلام في حياة الخضر وموته. ذكرناه في تفسيرنا « فتح البيان في مقاصد القرآن ». فراجعه. والراجح موته إن شاء الله تعالى.

الحديث الرابع والسبعون

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم نَجْنِي الْكَبَاثَ ، وَإِنَّ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ: عَلَيْكُمْ بِالْأَسْوَدِ مِنْهُ فَإِنَّهُ أَطْيَبُهُ ، قالُوا : أَكُنْتَ تَرْعَى الْغَنَمَ ؟ قَالَ : وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ وَقَدْ رَعاهَا ؟

(عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) بمر الظهران (نجنى الكباث) بفتحتين : ثمر الأراك النضيج . كذا نقله النووى عن أهل اللغة . وقال أبو عبيدة : هو ثمر الأراك إذا يبس وليس له عجم . وقال القزاز : هو الغض من ثمر الأراك (وإن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم قال) لمن معه من أصحابه (عليكم بالأسود منه فإنه أطيبه ، قالوا : أكنت ترعى الغنم ؟) إذ لا يميز بين أنواعه غالباً إلا من يلازم رعى الغنم (قال) صلى الله عليه وآله وسلم (وهل من نبى) موسى وغيره (إلا وقد رعاها) ليترقى من سياستها إلى سياسة من يرسل إليه ويأخذ نفسه بالتواضع وتصفية القلب بالخلوة . وفيه إشارة إلى أن النبوّة لم يضعها الله تعالى فى أبناء الدنيا والمترفين منهم وإنما جعلها فى أهل التواضع . قاله الخطابى . ووقع عند النسائى فى التفسير بإسناد رجاله ثقات : افتخر أهل الإبل والشاء ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : بعث موسى وهو راعى غنم . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى الأطعمة ، وكذا مسلم ، وأخرجه النسائى فى الوليمة .

الحديث الخامس والسبعون

عَنْ أَبِى مُوسى رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : كَمُلَ مِنَ الرِّجالِ كَثِيرٌ ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ آسِيَةُ ٱمْرَأَةُ فِرْعَوْنَ وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلى سَائِرِ الطَّعَامَ .

(عن أبى موسى) عبد الله بن قيس الأشعرى (رضى الله عنه) أنه (قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : كمل) بفتح الميم فى الفرع وأصله وتضم وتكسر (من الرجال كثير ولم يكمل) بضم الميم (من النساء إلا آسية امرأة فرعون) قيل : وكانت ابنة عم فرعون . وقيل : من العماليق . وقيل : من بنى إسرائيل من سبط موسى . وقال السهيلى : هى عمة موسى (ومريم بنت عمران) أم عيسى . قال فى الكواكب : ولا يلزم من لفظ الكمال نبوّتهما ، إذ هو يطلق لتمام الشيء وتناهيه فى بابه ، فالمراد تناهيهما فى جميع الفضائل التى للنساء . وقد نقل الإجماع على عدم النبوّة لهنّ . انتهى . وهذا معارض لما نقل عن الأشعرى : إن من النساء من نبىء ، وهنّ ست : حواء ، وسارة ، وأم موسى واسمها يوخابذ ، وقيل : أباذخا ، وقيل : أباذخت ، وهاجر ، وآسية ، ومريم ، والضابط عنده أن من جاءه الملك عن الله بحكم من أمر أو نهى أو بإعلامه شيئاً فهو نبى . وقد ثبت مجىء الملك لهؤلاء بأمور شتى من ذلك من عند الله تعالى ، ووقع التصريح بالإيحاء لبعضهنّ فى القرآن . قال الله تعالى : « وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه » الآية ، وقال تعالى بعد أن ذكر مريم والأنبياء بعدها : « أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين » فدخلت فى عمومه . وقال القرطبى : الصحيح أن مريم نبية ، لأن الله تعالى أوحى إليها بواسطة الملك ، وأما آسية فلم يأت ما يدل على نبوّتها ، واستدل بعضهم لنبوّتها ونبوّة مريم بالحصر فى حديث الباب ، حيث قال : ولم يكمل من النساء إلا آسية ومريم ، قال : لأن أكمل النوع الإنسانى : الأنبياء ثم الأولياء والصديقون والشهداء ، فلو كانتا غير نبيتين للزم أن لا يكون فى النساء ولية ولا صديقة ولا شهيدة ، والواقع أن هذه الصفات فى

كثير منهم موجودة ، فكأنه قال : لم ينبأ من النساء إلا فلانة وفلانة ، ولو قال : لم تثبت صـــفة الصديقية أو الولاية أو الشهادة إلا لفلانة وفلانة لم يصح لوجود ذلك فى غيرهن ؛ إلا أن يكون المراد بالحديث كمال غير الأنبياء ، فلا يتم الدليل على ذلك لأجل ذلك . واحتج المانعون بقوله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم » وأجيب بأنه لا حجة فيه لأن أحداً لم يدع فيهن الرسالة ، وإنما الكلام فى النبوة فقط : وذكر ابن حزم فى « الملل والنحل » أن هذه المسألة لم يحدث التنازع فيها إلا فى عصره بقرطبة . وحكى عنهم أقوالا ثالثها الوقف . ومن فضائل آسية امرأة فرعون أنها اختارت القتل على الملك ، والعذاب فى الدنيا على النعيم التى كانت فيه ، وكانت فراستها فى موسى صادقة حين قالت : قرة عين لى (وأن فضل عائشة) بنت أبى بكر الصديق (على النساء) أى نساء هذه الأمة (كفضل الثريد) بالمثلثة (على سائر الطعام) قيل : إنما مثل بالثريد لأنه أفضل طعام العرب ولأنه ليس فى الشبع أغنى غناء منه . وقيل : إنهم كانوا يحملون الثريد فيما طبخ بلحم . وروى : سيد الطعام اللحم ، فكأنها فضلت على النساء كفضل اللحم على سائر الأطعمة ، والسر فيه أن الثريد مع اللحم جامع بين الغذاء واللذة والقوة وسهولة التناول وقلة المؤونة فى المضغ وسرعة المرور فى المرىء ، فضرب به مثلا ليؤذن بأنها أعطيت مع حسن الخَلْق حسن الخُلُق وحلاوة المنطق وفصاحة اللهجة وجودة القريحة ورزانة الرأى ورصانة العقل والتحبب إلى البعل ، فهى تصلح للتبعل والتحدث والاستئناس بها والإصغاء إليها . وحسبك أنها عقلت من النبى صلى الله عليه وآله وسلم ما لم يعقل غيرها من النساء ، وروت ما لم يرو مثلها من الرجال . ومما يدل على أن الثريد أشهى الأطعمة عندهم وألذها قول شاعرهم :

إذا ما الخبــز تأدمــه بلحم   فــــذاك أمانة الله الــــثريد

قاله فى فتوح الغيب . هكذا فى القسطلانى . قال فى الفتح : ولم يتعرض صلى الله عليه وآله وسلم لأحد من نساء زمانه إلا لعائشة ، وليس فيه تصريح بأفضلية عائشة رضى الله عنها على غيرها ، لأن فضل الثريد على غيره من الطعام إنما هو لما فيه من تيسير المؤونة وسهولة الإساغة ، وكان أجل أطعمتهم يومئذ . وكل هذه الخصال لا تستلزم ثبوت الأفضلية لها من كل وجه ، فقد

يكون مفضولا بالنسبة لغيره من جهات أخرى . وقد ورد فى هذا الحديث من الزيادة بعد قوله : ومريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد . أخرجه الطبرى عن يوسف بن يعقوب القاضى عن عمرو بن مرزوق عن شعبة بالسند المذكور هنا . وأخرج أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة عمرو بن مرة أحد رواته عند الطبرانى بهذا الإسناد . وأخرجه الثعلبى فى تفسيره من طريق عمرو بن مرزوق . وقد ورد من طريق صحيحة ما يقتضى أفضلية خديجة وفاطمة على غيرهما ، وذلك ما ورد فى قصة مريم من حديث علىّ بلفظ : خير نسائها خديجة . وجاء من طريق أخرى ما يقتضى أفضلية خديجة وفاطمة ، وذلك فيما أخرجه ابن حبان وأحمد وأبو يعلى والطبرانى وأبو داود فى كتاب الزهد والحاكم كلهم من طريق موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم ابنة عمران ، وآسية امرأة فرعون . وله شاهد من حديث أبى هريرة فى الأوسط للطبرانى ، ولأحمد من حديث أبى سعيد رفعه : فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم بنت عمران ، وإسناده حسن ، فإن ثبت ففيه حجة لمن قال : إن آسية امرأة فرعون ليست نبية ، وسيأتى فى مناقب فاطمة قوله صلى الله عليه وآله وسلم لها : إنها سيدة نساء أهل الجنة مع مزيد بسط هناك . إن شاء الله . انتهى . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى فضل عائشة وفى الأطعمة ، ومسلم فى الفضائل ، والترمذى فى الأطعمة ، والنسائى فى المناقب وعشرة النساء ، وابن ماجه فى الأطعمة .

الحديث السادس والسبعون

عَنْ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : ما يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْن مَتَّى وَنَسَبَهُ إِلَى أَبِيهِ .

(عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم : قال : ما ينبغى لعبد أن يقول : إنى خـــير من يونس بن متى) بفتح الميم والتاء المشددة ، خص يونس بالذكر لما يخشى على من سمع قصته أن يقع فى نفسه تنقيص له ، فبالغ فى ذكر فضله لسد هذه الذريعة (ونسبه إلى أبيه) متى ، وهو يرد على من قال ، إن متى اسم أمه ، وهو محكى عن وهب بن منبه . وذكره الطبرى وتبعه ابن الأثير فى الكامل ، والذى فى الصحيح أصح . قال العلماء : إنما قال صلى الله عليه وآله وسلم ذلك تواضعاً إن كان قاله بعد أن علم أنه أفضل الخلق ، وإن كان قاله قبل علمه بذلك فلا إشكال . قال ابن جمرة فى هذا الحديث : يريد بذلك نفى التكييف والتحديد على ما قاله ابن الخطيب ، لأنه قد وجدت الفضيلة بينهما فى عالم الحس ، لأن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أسرى به إلى فوق السبع الطباق ، ويونس نزل به إلى قعر البحر . وقد قال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، فهذه الفضيلة وجدت بالضرورة ، فلم يبق أن يكون قوله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تفضلونى على يونس بن متى ، ولا ينبغى لعبد أن يقول : أنا خير من يونس ، إلا بالنسبة إلى القرب من الله تعالى والبعد ، فمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وإن أسرى به إلى فوق السبع الطباق واخترق الحجب ، ويونس وإن نزل به لقعر البحر ، فهما بالنسبة إلى القرب والبعد من الله على حد واحد . انتهى .

الحديث السابع والسبعون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : خُفِّفَ عَلى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ الْقُرْآنُ فكَانَ يَأْمُرُ بِدوَابِّهِ فَتُسْرَجُ ، فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ دَوَابُّهُ ، وَلا يَأْكُلُ إلاَّ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ .

(عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم قال خفف على داود عليه السلام القرآن) قال فى الفتح : قيل : المراد بالقرآن القراءة ، وقيل : المراد الزبور ، وقيل : التوراة ، وقرآن كل نبي يطلق على كتابه الذى أوحى إليه ، وإنما سماه قرآناً للإشارة إلى وقوع المعجزة فيه ، كوقوع المعجزة بالقرآن ، أشار إليه صاحب المصابيح ، والأول أقرب ، وإنما ترددوا بين الزبور والتوراة ، لأن الزبور كله مواعظ ، وكانوا يتلقون الأحكام من التوراة . قال قتادة : كنا نتحدث أن الزبور مائة وخمسون سورة كلها مواعظ وثناء ، ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود بل كان اعتماده على التوراة . أخرجه ابن أبي حاتم وغيره . وفى الحديث : إن البركة قد تقع فى الزمن اليسير حتى يقع فيه العمل الكثير . وقد بالغ بعض الصوفية فى ذلك فادعى شيئاً مفرطاً ، والعلم عند الله . انتهى . قال القسطلانى : وقد دل الحديث على أن الله يطوى الزمان لمن شاء من عباده كما يطوى المكان لهم ، قال : إن بعضهم كان يقرأ أربع ختمات بالليل وأربعاً بالنهار ، ولقد رأيت أبا الطاهر بالقدس الشريف سنة سبع وستين وثمانمائة وسمعت عنه إذ ذاك أنه كان يقرأ فيهما أكثر من عشر ختمات ، بل قال لى شيخ الإسلام البرهان ابن أبي شريف أدام الله النفع بعلومه عنه أنه كان يقرأ خمس عشرة فى اليوم والليلة ، وهذا باب لا سبيل إلى إدراكه إلا بالفيض الربانى . انتهى (فكان يأمر بدوابه) التى كان يركبها ومن معه من أتباعه . وفى رواية : بدابته بالإفراد ، وكذا هو فى التفسير ، ويحتمل الإفراد على الجنس أو المراد بها ما يختص بركوبه ، وبالجمع ما يضاف إليها مما يركبه أتباعه (فتسرج فيقرأ القرآن) الزبور (قبل أن تسرج دوابه) وفى رواية موسى : فلا تسرج حتى يقرأ القرآن (ولا يأكل إلا من عمل يده) من ثمن ما كان يعمل من الدروع .

وهـذا الحديث أخرجه أيضاً فى التفسير . وفيه دليل على أن عمل اليد أفضل المكاسب . وقد استدل به على مشروعية الإجارة من جهة أن عمل اليد أعم من أن يكون للغير أو للنفس . قال فى الفتح : والذى يظهر أن الذى كان يعمله داود بيده هو نسج الدروع ، وأن الله ألان له الحديد ، فكان ينسج الدروع ويبيعها ولا يأكل إلا من ثمن ذلك ، مع كونه كان من كبار الملوك. قال تعالى : « وشددنا ملكه » . وفى حديث الباب أيضاً ما يدل على ذلك ، وأنه مع سعته بحيث أنه كان له دواب تسرج ، إذا أراد أن يركب ويتولى خدمتها غيره ، ومع ذلك كان يتورع ولا يأكل إلا ما تعمل يده .

الحديث الثامن والسبعون

وَعَنْهُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ ٱسْتَوْقَدَ نَاراً فَجَعَلَ الْفَرَاشُ ، وَهٰذِهِ الدَّوَابُّ تَقَعُ فِى النَّارِ ، وَقَالَ : كَانَتِ ٱمْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا جاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا ، فَقَالَتْ صَاحِبَتُهَا : إِنَّمَا ذهَبَ بِابْنِكِ ، وَقَالَتِ الْأُخْرَى : إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ ، فَتَحَاكَمَا إِلَى دَاوُدَ ، فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى ، فَخَرَجَتَا على سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ فَأَخْبَرَتَاهُ ، فَقَالَ : ٱئْتُونِى بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا ، فَقَالَتِ الصُّغْرَى : لَا تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱبْنُهَا ، فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى .

(وعنه) أى عن أبى هريرة (رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يقول : مثلى ومثل الناس) بفتح الميم فيهما ، أى مثل دعائى الناس إلى الإسلام ، المنقذ لهم من النار ، ومثل ما زينت لهم أنفسهم . من التمادى على الباطل (كمثل رجل) والمراد تمثيل الجملة بالجملة ، لا تمثيل فرد بفرد (استوقد ناراً) أى أوقد ، وزيادة السين والتاء للإشارة إلى أنه عالج إيقادها وسعى فى تحصيل آلاتها . ووقع فى حديث جابر عند مسلم : مثلى ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً . وهى جوهر لطيف مضىء حار محرق . زاد أحمد ومسلم عن أبى هريرة : فلما أضاءت ما حوله (فجعل الفراش) بفتح الفاء : دواب مثل البعوض ، واحدتها فراشة (وهذه الدواب) جمع دابة كالبرغش والبعوض والجندب ونحوها (تقع فى النار) خبر جعل لأنها من أفعال المقاربة تعمل عمل كان . والفراشة هى التى تطير وتتهافت فى السراج بسبب ضعف بصرها ، فهى بسبب ذلك تطلب ضوء النهار ، فإذا رأت السراج بالليل ظنت أنها فى بيت مظلم وأن السراج كوة فى البيت المظلم إلى الموضع المضىء ، ولا تزال تطلب الضوء وترمى بنفسها إلى الكوة ، فإذا جاوزتها ورأت الظلام ظنت أنها لم تصب الكوة ولم تقصدها على السداد فتعود إليها مرة أخرى حتى تحترق . قال الغزالى : ولعلك تظن أن هذا

لنقصانها وجهلها . فاعلم أن جهل الإنسان أعظم من جهلها ، بل صورة الإنسان فى الإكباب على الشهوات ، فى التهافت ، فلا يزال يرمى بنفسه فيها إلى أن ينغمس فيها ويهلك هلاكاً مؤبداً . فليت جهل الآدمى كان كجهل الفراش ، فإنها باعتزارها بظاهر الضوء إن احترقت تخلصت فى الحال ، والآدمى يبقى فى النار أبد الآباد ، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إنكم تتهافتون فى النار تهافت الفراش وأنا آخذ بحجزكم . وقال تعالى : « يوم يكون الناس كالفراش المبثوث » فشبههم بالفراش فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير إلى الداعى من كل جانب كما يتطاير الفراش . وقال النووى : مقصود الحديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم شبه المخالفين له بالفراش ، وتساقطهم فى نار الآخرة بتساقط الفراش فى نار الدنيا مع حرصهم على الوقوع فى ذلك ومنعه إياهم ، والجامع بينهما اتباع الهوى وضعف التمييز وحرص كل من الطائفتين على هلاك نفسه . وقال القاضى أبو بكر بن العربى : هذا مثل كبير المعانى ، والمقصود أن الخلق لا يأتون ما يجرهم إلى النار على قصد الهلكة ، وإنما يأتونه على قصد المنفعة واتباع الشهوة ، كما أن الفراش يقتحم النار لا ليهلك فيها بل لما يعجبه من الضياء (وقال) أى أبو هريرة ، فهو موقوف ، أو النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فهو مرفوع كما عند الطبرانى والنسائى (كانت امرأتان معهما ابناهما) قال فى الفتح : لم أقف على اسم واحدة من هاتين المرأتين ولا على اسم واحد من ابنيهما فى شىء من الطرق (جاء الذئب فذهب بابن إحداهما ، فقالت صاحبتها : إنما ذهب) الذئب (بابنك ، وقالت الأخرى : إنما ذهب بابنك، فتحاكما إلى داود) وفى رواية شعيب : فاختصما (فقضى به) بالولد الباقى (للكبرى) للمرأة الكبرى منهما لكونه كان فى يدها ، وعجزت الأخرى عن إقامة البينة (فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه) بالقصة (فقال) قاصداً استكشاف الأمر (ائتونى بالسكين) بكسر السين . (أشقه بينهما) قيل : كان ذلك على سبيل الفتيا منهما لا الحكم ، ولذلك ساغ لسليمان أن ينقضه . وتعقبه القرطبى أن فى لفظ الحديث أنه قضى وبأنهما تحاكمتا ، وبأن فتيا النبى وحكمه سواء فى وجوب تنفيذ ذلك . وقال الداودى: إنما كان منهما على سبيل المشاورة فوضح لداود صحة رأى سليمان وأمضاه .

وقال ابن الجوزى : استويا عند داود فى اليد ، فقدم الكبرى للسن . وتعقبه القرطبى وحكى أنه قيل : كان من شرع داود أن يحكم للكبرى ، قال : وهو فاسد ، لأن الكبر والصغر وصف طردى كالطول والقصر والسواد والبياض ، ولا أثر لشىء من ذلك فى الترجيح ، قال : هذا مما يكاد يقطع بفساده ، قال : والذى ينبغى أن يقال : إن داود عليه السلام قضى للكبرى لسبب اقتضى عنده ترجيح قولها ، إذ لا بينة لواحدة منهما ، وكونه لم يعين فى الحديث اختصاراً لا يلزم منه عدم وقوعه ، فيحتمل أن يقال إن الولد الباقى كان فى يد الكبرى وعجزت الأخرى عن إقامة البينة ، قال : وهذا تأويل حسن جار على القواعد الشرعية ، وليس فى السياق ما يأباه ولا يمنعه (فقالت الصغرى) منهما له (لا تفعل) ذلك (يرحمك الله ، هو ابنها ، فقضى) سليمان (به للصغرى) وفيه حجة لمن قال : إن الأم تستلحق ، والمشهور من مذهب مالك والشافعى أنه لا يصح . قال فى الفتح : فإن قيل : كيف ساغ لسليمان نقض حكمه ، فالجواب : إنه لم يعمد إلى نقض الحكم وإنما احتال بحيلة لطيفة أظهرت ما فى نفس الأمر ، وذلك أنهما لما أخبرتا سليمان بالقصة فدعا بالسكين ليشقه بينهما ، ولم يعزم على ذلك فى الباطن ، وإنما قصد استكشاف الأمر ، فحصل مقصوده بذلك لجزع الصغرى الدال على عظم الشفقة ، ولم يلتفت إلى إقرارها بقولها : هو ابن الكبرى ، لأنه علم أنها آثرت حياته ، فظهر له من قرينة شفقة الصغرى وعدمها فى الكبرى ، مع ما انضاف إلى ذلك من القرينة الدالة على صدقها ما هجم به على الحكم للصغرى . ويحتمل أن يكون سليمان عليه السلام ممن سوغ له أن يحكم بعلمه ، أو تكون الكبرى فى تلك الحالة اعترفت بالحق لما رأت من سليمان الجد والعزم فى ذلك . ونظير هذه القصة ما لو حكم حاكم على مدعى عليه منكر بيمين ، فلما مضى ليحلف حضر من استخرج من المنكر ما اقتضى إقراره لما أراد أن يحلف على جحده ، فإنه والحالة هذه يحكم عليه بإقراره ، سواء كان ذلك قبل اليمين أو بعدها ، ولا يكون ذلك من نقض الحكم الأول ، ولكن من باب تبديل الأحكام بتبدل الأسباب . قال ابن الجوزى : استنبط سليمان لما رأى الأمر محتملا فأجاد ، وكلاهما حكم بالاجتهاد لأنه لو كان داود حكم بالنص لما ساغ لسليمان أن يحكم بخلافه . ودلت هذه القصة على أن الفطنة والفهم موهبة من الله لا تتعلق بكبر السن ولا بصغره . وفيه أن الحق فى جهة واحدة ،

وأن الأنبياء يسوغ لهم الحكم بالاجتهاد وإن كان وجود النص ممكناً لديهم بالوحى ، لكن فى ذلك زيادة فى أجورهم ولعصمتهم من الخطإ فى ذلك ، إذ لا يقرون لعصمتهم على الباطل . وقال النووى : إن سليمان فعل ذلك تحيلا على إظهار الحق ، فكان كما لو اعترف المحكوم له بعد الحكم أن الحق لخصمه وفيه استعمال الحيل فى الأحكام لاستخراج الحقوق ، ولا يتأتى ذلك إلا بمزيد الفطنة وممارسة الأحوال . وهذا الحديث أخرجه البخارى أيضاً فى الفرائض ، والنسائى فى القضاء .

الحديث التاسع والسبعون

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم يَقُولُ : خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ٱبْنَةُ عِمْرَانَ ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خدِيجَةُ .

(عن عليّ رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يقول : خير نسائها) أى خير نساء أهل الدنيا فى زمانها (مريم ابنة عمران) وليس المراد أن مريم خير نسائها ، لأنه يصير كقولهم : يوسف أحسن إخوته . وقد صرحوا بمنعه لأن أفعل التفضيل إذا أُضيف وقصد به الزيادة على من أُضيف له اشترط أن يكون منهم ، مثل : زيد أفضل الناس ، فإن لم يكن منهم فلا يجوز ، كما فى : يوسف أحسن إخوته ، لخروجه عنهم بإضافتهم إليه . وقد رواه النسائى من حديث ابن عباس بلفظ : أفضل نساء أهل الجنة مريم . وفى رواية : خير نساء العالمين . وهو كقوله تعالى : « واصطفاك على نساء العالمين » . وظاهره أنها أفضل من جميع النساء . وقول من قال على عالمى زمانها ترك للظاهر . قال القرطبى : خص الله مريم بما لم يؤته أحداً من النساء ، وذلك أن روح القدس كلمها وطهرها ونفخ فى درعها وليس هذا لأحد من النساء ، وصدقت بكلمات ربها ولم تسأل آية عند ما بشرت كما سأل زكريا عليه السلام عن الآية ، ولذلك سماها الله تعالى صديقة ، فقال : « وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين » فشهد لها بالصديقية والتصديق والقنوت . ويحتمل أن يكون المراد كما قال الكرمانى : نساء بنى إسرائيل أو من فيه مضمرة كما قال القاضى عياض . والمعنى : إنها من جملة النساء الفاضلات ، ويدفع ذلك حديث أبى موسى المتقدم بصيغة الحصر أنه لم يكمل من النساء غيرها وغير آسية . قال فى الفتح : واستدل بقوله تعالى : « إن الله اصطفاك » على أنها كانت نبية ، وليس بصريح فى ذلك ، وأيد بذكرها مع الأنبياء فى سورة مريم ، ولا يمنع وصفها بأنها صديقة ، فإن يوسف وصف بذلك . وقد نقل عن الأشعرى : إن فى النساء عدة نبيات . وحصرهنّ ابن حزم فى ست : حواء ، وسارة ، وهاجر ، وأم موسى ، وآسية ، ومريم ، ولم يذكر القرطبى سارة وهاجر . ونقله فى

التمهيد عن أكثر الفقهاء . وقال القرطبي : إن الصحيح أن مريم نبية . وقال عياض : الجمهور على خلافه . وذكر النووى فى الأذكار أن الإمام نقل الإجماع على أن مريم ليست نبية . ونسبه فى شرح المهذب لجماعة . وجاء عن الحسن : ليس فى النساء نبية ولا فى الجن . وقال السبكى الكبير : اختلف فى هذه المسألة ولم يصح عندى فى ذلك شيء . ونقله السهيلى فى أواخر الروض عن أكثر الفقهاء . انتهى . قلت : لا تثبت النبوّة لأحد من الرجال والنساء بالعطف والمفاهيم وإشارات الأدلة ، ولكن تثبت بنص صريح من الله ورسوله ، ولم يوجد نص فى ذلك من الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، فلا اعتبار بقول أحد من أهل العلم ذهب إلى النبيات من النساء بأقيسة واحتمالات وآراء غير مستندة إلى الشارع (وخير نسائها) أى هذه الأمة (خديجة) أم المؤمنين ، قال القاضى أبو بكر بن العربى : خديجة أفضل نساء الأمة مطلقاً بهذا الحديث ، وحديث أبى موسى فى ذكر مريم وآسية يقتضى فضلهما على غيرهما من النساء ، ودل هذا الحديث على أن مريم أفضل من آسية وأن خديجة أفضل نساء هذه الأمة ، وكأنه لم يتعرض فى الحديث الأول لنساء هذه الأمة حيث قال : ولم يكمل من النساء أى من نساء الأمم الماضية ، إلا إن حملنا الكمال على النبوة فيكون على إطلاقه . وعند النسائى بإسناد صحيح عن ابن عباس : أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسية ، وعند الترمذى بإسناد صحيح عن أنس : حسبك من نساء العالمين ، فذكرهنّ . وللحاكم من حديث حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتاه ملك فبشره أن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة .

الحديث الثمانون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : نسَاءُ قُرَيْشٍ خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ ، أَحْنَاهُ عَلَى طِفْلٍ ، وَأَرْعاهُ عَلَى زَوْجٍ فى ذَاتِ يَدِهِ .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يقول : نساء قريش) مبتدأ خبره (خير نساء ركبن الإبل) كناية عن نساء العرب . قال القرطبى : هذا تفضيل النساء قريش على نساء العرب خاصة لأنهم أصحاب الإبل غالباً (أحناه على طفل) أى أحنى هذا الجنس ، يعنى أشفقه على ولد بحسن التربية وغيرها ، والأصل أن يقول : أحناهن ، لكن قالوا : إن العرب لا تتكلم فى مثله إلا مفرداً . أو الحانية التى تقوم بولدها بعد موت الأب . وحنت المرأة على ولدها إذا لم تتزوج بعد موت الأب . قال ابن التين : فإن تزوجت فليست بحانية . قال ابن الحسن : الحانية التى لها ولد ولا تتزوّج (وأرعاه على زوج فى ذات يده) أى فى ماله المضاف إليه بالأمانة وحسن التدبير فى النفقة وغيرها .

الحديث الحادى والثمانون

عَنْ عُبَادَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسى عَبْدُ ٱللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَالجَنَّةَ حَقٌّ ، وَالنَّارَ حَقٌّ ، أَدْخَلَهُ ٱللهُ الجَنَّةَ عَلَى ماكانَ مِنَ الْعَمَلِ .

(عن عبادة) بن الصامت (رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله) زاد ابن المدينى : وابن أمته (ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم) قال أبو عبيد : كلمته : كن فكان . وفيه إشارة إلى أنه حجة الله ، لأنه أوجده بقوله « كن » فلما كان بكلامه سمى به ، كما يقال : سيف الله ، وأسد الله . وقيل : لما قال فى صغره : إنى عبد الله (وروح منه) قال القرطبي : مقصود هذا الحديث التنبيه على ما وقع للنصارى من الضلال فى عيسى وأمه . ويستفاد منه ما يلقنه النصرانى إذا أسلم . قال القسطلانى : ذكر عيسى تعريضاً بالنصارى وإيذاناً بأن إيمانهم مع القول بالتثليث شرك محض لايخلصهم من النار ، وأنه رسوله تعريضاً باليهود فى إنكارهم رسالته وانتمائهم إلى مالا يحل من قذفه وقذف أمه ، وأنه ابن أمته تعريضاً بالنصارى أيضاً ، وتقريراً لعبديته ، أى هو عبد الله وابن أمته ، فكيف ينسبونه إليه عز وجل بالبنوّة . زاد فى الفتح : وابن أمته تشريف له ، وكذا تسميته بالروح ووصفه بأنه منه لقوله تعالى : « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه » . فالمعنى أنه كائن منه ، كما أن معنى الآية الأخرى أنه سخر هذه الأشياء كائنة منه ، أى أنه مكون كل ذلك وموجده بقدرته وحكمته ، وأما تسميته بالروح فلما كان أقدره عليه من إحياء الموتى ، وقيل : لكونه ذا روح وجد من غير جزء من ذى روح . قال النووى : هذا حديث عظيم الموقع ، وهو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد ، فإنه جمع فيه ما يخرج عنه جميع ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدهم (والجنة) كذا (حق والنار) كذا (حق) أخبر عنهما بالمصدر مبالغة فى الحقية ،

وأنهما عين الحق ، كزيد عدل ، تعريضاً بمنكرى دارى الثواب والعقاب (أدخله الله الجنة) أى من أى أبواب الجنة شاء ، يقتضى دخوله الجنة وتخييره فى الدخول من أبوابها ، وهو بخلاف ظاهر حديث أبى هريرة فى بدء الخلق ، فإنه يقتضى أن لكل داخل الجنة باباً معيناً يدخل منه ، ويجمع بينهما بأنه فى الأصل مخير ، لكنه يرى أن الذى يختص به أفضل فى حقه ، فيختاره فيدخله مختاراً لا مجبوراً ولا ممنوعاً من الدخول من غيره . قال الحافظ : والمعنى أن الله يوفقه لعمل يدخله برحمة الله من الباب المعد لعامل ذلك العمل (على ما كان من العمل) أى من صلاح أو فساد ، لكن أهل التوحيد لابد لهم من دخول الجنة ، ويحتمل أن يكون معنى قوله هذا يدخل أهل الجنة الجنة على حسب أعمال كل منهم فى الدرجات . قال البيضاوى : فيه دليل على المعتزلة من وجهين : دعواهم أن العاصى يخلد فى النار ، وأن من لم يتب يجب دخوله فى النار ، لأن قوله « على ما كان من العمل » حال من قوله « أدخله الله الجنة » . والعمل حينئذ غير حاصل ، ولا يتصور ذلك فى حق من مات قبل التوبة إلا إذا أُدخل الجنة قبل العقوبة ، وأما ما ثبت من لازم أحاديث الشفاعة أن بعض العصاة يعذب ثم يخرج ، فيخص به هذا العموم وإلا فالجميع تحت الرجاء كما أنهم تحت الخوف . وهذا معنى قول أهل السنة : إنهم . فى خطر المشيئة . وقال القسطلانى فيه : إن عصاة أهل القبلة لا يخلدون فى النار لعموم قوله : « من شهد أن لا إله إلا الله » وأنه تعالى يعفو عن السيئات قبل التوبة واستيفاء العقوبة . انتهى . وقال الطيبى : التعريف فى العمل للعهد ، والإشارة به إلى الكبائر يدل له نحو قوله : « وإن زنى وإن سرق » فى حديث أبى ذر . وقوله « على ما كان من العمل » حال . والمعنى : من شهد أن لا إله إلا الله يدخل الجنة فى حال استحقاقه العذاب بموجب أعماله من الكبائر ، أى حال هذا مخالفة للقياس فى دخول الجنة ، فإن القياس يقتضى أن لايدخل الجنة من شأنه هذا كما زعمت المعتزلة . وإلى هذا المعنى ذهب أبو ذر فى قوله : وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبى ذر . وحديث الباب أخرجه مسلم فى الإيمان ، والنسائى فى التفسير وفى اليوم والليلة .

الحديث الثاني والثمانون

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ ٱللّٰهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : لَمْ يَتَكَلَّمْ فى المَهْدِ إلاَّ ثَلاثَةٌ : عِيسى ، وَكَانَ فى بَنِى إسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ كانَ يُصَلِّى جاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ ، فَقَالَ : أُجِيبُهَا أَوْ أُصَلِّى ، فَقَالَتِ : اللَّهُمَّ لاتُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وُجُوهَ المُومِسَاتِ ، وَكَانَ جُرَيْجٌ فى صَوْمَعَتِهِ فَتَعَرَّضَتْ لَهُ ٱمْرَأَةٌ فَكَلَّمَتْهُ ، فَأَبَى ، فَأَتَتْ رَاعِياً فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا فَوَلَدَتْ غُلاماً ، فَقَالَتْ : مِنْ جُرَيْجٍ ، فَأَتَوْهُ فَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ وَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوهُ ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ، ثُمَّ أَتَى الْغُلامَ ، فَقَالَ : مَنْ أَبُوكَ يَاغُلامُ ؟ فَقَالَ : الرَّاعِى ، قالُوا: نَبْنِى صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ ؟ قالَ : لَا ، إلاَّ مِنْ طِينٍ ، وَكَانَتِ ٱمْرَأَةٌ تُرْضِعُ ٱبْناً لَهَا مِنْ بَنِى إسْرَائِيلَ فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ ذُو شَارَةٍ ، فَقَالَتْ : اللَّهُمَّ ٱجْعَلِ ٱبْنِى مِثْلَهُ ، فَتَرَكَ ثَدْيَهَا وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِى مِثْلَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهَا يَمَصُّهُ ، قالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : كَأَنِّى أَنْظُرُ إلَى النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم يَمَصُّ إصْبَعَهُ ، ثُمَّ مُرَّ بِأَمَةٍ ، فَقَالَتِ : اللَّهُمَّ لَاتَجْعَلِ ٱبْنِى مِثْلَ هَذِهِ ، فَتَرَكَ ثَدْيَهَا ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ ٱجْعَلْنِى مِثْلَهَا ، فَقَالَتْ : لِمَ ذَاكَ ؟ فَقَالَ : الرَّاكِبُ جَبَّارٌ مِنَ الجَبَابِرَةِ ، وَهَذِهِ الْأَمَةُ يَقُولُونَ : سَرَقْتِ زَنَيْتِ وَلَمْ تَفْعَلْ .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : لم يتكلم فى المهد) وهو ما يهيأ للصبى أن يربى فيه (إلا ثلاثة) قال القرطبى : فى هذا الحصر نظر ، إلا أن يحمل على أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال ذلك قبل أن يعلم الزيادة على ذلك ، وفيه بعد ، أو المعنى فى بنى إسرائيل ، ويحتمل أن يكون كلام الثلاثة المذكورين بقيد المهد ، وكلام غيرهم من الأطفال بغير مهد ، لكن يعكر عليه أن فى رواية ابن قتيبة : إن الصبى الذى

طرحته أمه فى الأخدود كان ابن سبعة أشهر . وصرح بالمهد فى حديث
أبى هريرة . وفيه تعقب على النووى فى قوله : إن صاحب الأخدود لم يكن
فى المهد . والسبب فى قواه هذا ما وقع فى حديث ابن عباس عند أحمد والبزار
وابن حبان والحاكم : لم يتكلم فى المهد إلا أربعة ، ولم يذكر الثالث هنا ،
وذكر شاهد يوسف والصبي الرضيع الذى قال لأمه وهى ماشطة بنت فرعون
لما أراد فرعون إلقاء أمـه فى النار : اصبرى يا أماه فإنا على الحق . وأخرج
الحاكم نحوه من حديث أبى هريرة . فيجتمع من هذا خمسة . ووقع ذكر
شاهد يوسف أيضاً فى حديث عمران بن حصين ، لكنه موقوف . وروى
ابن أبى شيبة من مرسل هلال بن يساف مثل حديث ابن عباس ، إلا أنه
لم يذكر ابن الماشطة . وفى صحيح مسلم من حديث صهيب فى قصة أصحاب
الأخدود : إن امرأة جىء بها لتلقى فى النار لتكفر ومعها صبى مرضع ،
فتقاعست ، فقال لها : يا أماه اصبرى فإنك على الحق . وزعم الضحاك فى
تفسيره أن يحيي تكلم فى المهد . أخرجه الثعلبى . فإن ثبت صاروا سبعة .
وذكر البغوى فى تفسيره أن إبراهيم الخليل تكلم فى المهد . وفى سير الواقدى :
إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تكلم فى أوائل ما ولد . وقد تكلم فى زمن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم مبارك اليمامة ، فالأول (عيسى) ابن مريم
عليهما السلام (و) الثانى (كان فى بنى إسرائيل رجل يقال له جريج) وفى
حديث أبى سلمة : إنه كان تاجراً ، وكان ينقص مرة ويزيد أخرى، فقال :
ما فى هذه التجارة خير ، لألتمس تجارة هى خير من هذه ، فبنى صومعة
وترهب فيها . وعند أحمد : وكانت أمه تأتيه فتناديه ، فيشرف عليها ، فتكلمه
ودل ذلك على أنه كان بعد عيسى بن مريم ، وأنه كان من أتباعه ، لأنهم
الذين ابتدعوا الترهب ، وحبس النفس فى الصوامع . والصومعة بفتح الصاد
هى البناء المرتفع المحدد أعلاه ، وزنها فوعلة ، من صمعت إذا دققت ، لأنها
دقيقة الرأس و (كان يصلى) يوماً (جاءته أمه فدعته) فقالت : ياجريج .
قال فى الفتح : ولم أقف فى شىء من الطرق على اسمها (فقال) فى نفسه
(أجيبها) وأقطع صلاتى (أو أصلى) فآثر الصلاة على إجابتها بعد أن دعته
ثلاثاً ، كما فى الرواية الأخرى أنها دعته ثلاثاً (فقالت : اللهم لاتمته حتى تريه
وجوه المومسات) بضم الميم الأولى وكسر الثانية : الزانيات ، ولم تدع عليه

بوقوع الفاحشة مثلا رفقاً منها (وكان جريج فى صومعته ، فتعرضت له امرأة) راعية ترعى الغنم ، أو كانت بنت ملك القرية (فكلمته) أن يواقعها (فأبى) أن يفعل ذلك (فأتت راعياً فأمكنته من نفسها) فواقعها فحملت منه (فولدت غلاماً) فقيل لها : ممن هذا الولد (فقالت : من جريج) زاد أحمد : فأخذت ، وكان من زنى منهم قتل . وزاد أبو سلمة فى روايته : فذهبوا إلى الملك فأخبروه ، فقال : أدركوه فأتونى به (فأتوه فكسروا صومعته) بالفؤس والمساحى (وأنزلوه) منها (وسبوه) زاد أحمد عن وهب ابن جرير : وضربوه ، فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : إنك زنيت بهذه . وعند أحمد أيضاً من طريق أبى رافع : إنهم جعلوا فى عنقه وعنقها حبلا وجعلوا يطوفون بهما على الناس . وفى رواية أبى سلمة أن الملك أمر بصلبه (فتوضأ) فيه أن الوضوء لايختص بهذه الأمة ، خلافاً لمن زعم ذلك . نعم الذى يختص به الغرة والتحجيل فى الآخرة (وصلى) فى حديث عمران : فصلى ركعتين . وزاد ابن جرير : ودعا (ثم أتى الغلام فقال : من أبوك ياغلام) زاد وهب فى روايته : فطعنه بإصبعه . وفى رواية أبى سلمة : فأتى بالمرأة والصبى وفمه فى ثديها ، فقال له جريج : ياغلام من أبوك ؟ فنزع الغلام فمه من الثدى (فقال : الراعى) قال فى الفتح : لم أقف على اسم الراعى ، ويقال : إن اسمه صهيب . وزاد ابن جرير : فوثبوا إلى جريج فجعلوا يقبلونه . قال القسطلانى : وفى هذا إثبات كرامات الأولياء ، ووقوع ذلك لهم باختيارهم وطلبهم . ومثله فى الفتح . وقال ابن بطال : يحتمل أن يكون جريج كان نبياً فيكون معجزة . كذا قال . وفى الفتح : وهذا الاحتمال لايتأتى فى حق المرأة التى كلمها ولدها المرضع كما فى بقية الحديث (قالوا : نبنى) لك (صومعتك من ذهب ، قال) جريج (لا إلا من طين) كما كانت ، ففعلوا . وفى الحديث تقديم إجابة الأم على صلاة التطوع ، لأن الاستمرار فيها نافلة ، وإجابة الأم وبرها واجب . قال النووى وغيره : إنما دعت عليه فأجيبت ، لأنه كان يمكنه أن يخفف ويجيبها ، لكن لعله خشى أن تدعوه إلى مفارقة صومعته والعود إلى الدنيا وتعلقاتها . كذا قال . وفيه نظر من أنها كانت تأتيه فيكلمها ، والظاهر أنها كانت تشتاق إليه فتزوره وتقتنع برؤيته وتكلمه ، وكأنه إنما لم يخفف ثم يجيبها ، لأنه خشى أن ينقطع خشوعه . وقد تقدم فى أواخر الصلاه فى

حديث يزيد بن حوشب عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : لو كان جريج فقيهاً لعلم أن إجابة أمه أولى من عبادة ربه . أخرجه الحسن ابن سفيان . وهذا إذا حمل على إطلاقه استفيد منه جواز قطع الصلاة مطلقاً لإجابة نداء الأم نفلا كانت أو فرضاً ، وهو وجه فى مذهب الشافعى . حكاه الرويانى . وقد قال النووى تبعاً لغيره : هذا محمول على أنه كان مباحاً فى شرعهم . وفيه نظر قدمته فى أواخر الصلاة . والأصح عند الشافعية أن الصلاة إن كانت نفلا وعلم تأذى الوالدة بالترك وجبت الإجابة وإلا فلا ، وإن كانت فرضاً وضاق الوقت لم تجب الإجابة ، وإن لم يضق وجبت عند إمام الحرمين ، وخالفه غيره لأنها تلزم بالشروع . وعند المالكية : إن إجابة الوالد فى النافلة أفضل من التمادى فيها . وحكى القاضى أبو الوليد أن ذلك يختص بالأم دون الأب . وعند ابن أبى شيبة من مرسل محمد بن المنكدر ما يشهد له ، وقال به مكحول ، وقيل : إنه لم يقل به من السلف غيره . وفى الحديث أيضاً عظم برّ الوالدين وإجابة دعائهما ولو كان الولد معذوراً ، لكن يختلف الحال فى ذلك بحسب المقاصد . وفيه الرفق بالتابع إذا جرى معه ما يقتضى التأديب ، لأن أم جريج مع غضبها منه لم تدع عليه إلا بما دعت به خاصة ، ولولا طلبها الرفق به لدعت عليه بوقوع الفاحشة أو القتل . وفيه أن صاحب الصدق مع الله لاتضره الفتن . وفيه قوة يقين جريج المذكور وصحة رجائه ، لأنه استنطق المولود مع كون العادة أنه لاينطق . ولولا صحة رجائه بنطقه ما استنطقه . وفيه أن الأمرين إذا تعارضا بدىء بأهمهما ، وأن الله يجعل لأوليائه عند ابتلائهم مخارج ، وإنما يتأخر ذلك عن بعضهم فى بعض الأوقات تهذيباً وزيادة لهم فى الثواب . وفيه جواز الأخذ بالأشد فى العبادة لمن علم من نفسه قوة على ذلك . واستدل به بعضهم على أن بنى إسرائيل كان من شرعهم أن المرأة تصدق فيما تدعيه على الرجال من الوطء ويلحق به الولد ، وأنه لاينفعه جحد ذلك إلا بحجة تدفع قولها . وفيه أن مرتكب الفاحشة لاتبقى له حرمة ، وأن المفزع فى الأمور المهمة إلى الله تعالى يكون بالتوجه إليه فى الصلاة . واستدل بعض المالكية بقول جريج « من أبوك ياغلام ؟ » بأن من زنى بامرأة فولدت بنتاً لا يحل له التزويج بتلك البنت ، خلافاً للشافعية ولابن الماجشون من المالكية ، ووجه الدلالة أن جريجاً نسب الزنا للزانى ، وصدق

الله نسبته بما خرق له من العادة فى نطق المولود بشهادته له بذلك وقوله :
أبى فلان الراعى . وكانت تلك النسبة صحيحه . فيلزم أن تجرى بينهما الأبوّة
والبنوّة ، وخرج التوارث والولاء بدليل آخر فبقى ما عداه على حكمه .
انتهى . أفاد جميع ذلك الحافظ فى الفتح (و) الثالث (كانت امرأة) بالرفع
قال فى الفتح : ولم أقف على اسمها ، ولا على اسم ابنها ، ولا على اسم
أحد ممن ذكر فى القصة المذكورة (ترضع ابناً لها من بنى إسرائيل فمر بها رجل
راكب) وعند أحمد عن أبى هريرة : فارس متنكر (ذو شارة) بالشين ،
أى صاحب جيش ، وقيل صاحب هيئة وملبس حسن ، يتعجب منه ويشار
إليه . وزاد فى رواية : ذو شارة حسنة (فقالت) المرأة المرضعة (اللهم
اجعل ابنى مثله) فى الهيئة الجميلة (فترك) المرضع (ثديها وأقبل على) الرجل
(الراكب فقال : اللهم لاتجعلنى مثله ، ثم أقبل على ثديها يمصه) بفتح الميم
(قال أبو هريرة : كأنى أنظر إلى النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم يمص
إصبعه) فيه المبالغة فى إيضاح الخبر بتمثيله بالفعل (ثم مر) مبنياً للمفعول
(بأمة) زاد وهب بن جرير عند أحمد : تضرب . وفى رواية الأعرج عن
أبى هريرة : تجرر ويلعب بها (فقالت : اللهم لاتجعل ابنى مثل هذه) المرأة
(فترك ثديها فقال : اللهم اجعلنى مثلها ، فقالت) أى الأم لابنها و (لم)
قلت (ذاك) أى سألته عن سبب كلامه (فقال) الابن : أما (الراكب)
فهو (جبار من الجبابرة) وفى رواية الأعرج : فإنه كافر (و) أما (هذه
الأمة) فهم (يقولون سرقت زنيت) بكسر التاء فيهما على المخاطبة للمؤنث
وسكونها على الخبر (و) الحال أنها (لم تفعل) شيئاً من السرقة والزنا . وفى
رواية أحمد : سرقت ولم تسرق ، وزنيت ولم تزن ، وهى تقول : حسبى
الله . وفى رواية الأعرج : يقولون لها : تزنى ، وتقول : حسبى الله ،
ويقولون لها : تسرق ، وتقول : حسبى الله . وفى رواية : إنها كانت حبشية
أو زنجية ، وأنها ماتت فجروها حتى ألقوها . وهذا معنى قوله « تجرر » .
قال فى الفتح : وفى الحديث أن نفوس أهل الدنيا تقف مع الخيال الظاهر
فتخاف سوء الحال ، بخلاف أهل التحقيق فوقوفهم مع الحقيقة الباطنة ،
فلا يبالون بذلك مع حسن السريرة ، كما قال تعالى حكاية عن أصحاب قارون
حيث خرج عليهم فقالوا : « ياليت لنا مثل ما أُوتى قارون ، وقال الذين أُوتوا

العلم : ويلكم ثواب الله خير » . وفيه أن البشر طبعوا على إيثار الأولاد على الأنفس بالخير لطلب المرأة الخير لابنها ودفع الشر عنه ، ولم تذكر نفسها . والرابع : شاهد يوسف ، قال تعالى : « وشهد شاهد من أهلها » وفسر بأنه كان ابن خال زليخا صبياً تكلم فى المهد ، وهو منقول عن ابن عباس وسعيد ابن جبير والضحاك . والخامس : الصبى المرضع الذى قال لأمه وهى ماشطة بنت فرعون لما أراد فرعون إلقاء أمه فى النار : اصبرى يا أماه فإنا على الحق . رواهما أحمد والبزار وابن حبان والحاكم من حديث ابن عباس بلفظ : لم يتكلم فى المهد إلا أربعة ، فذكرها ولم يذكر الثالث الذى هنا ، لكنه اختلف فى شاهد يوسف ، فروى ابن أبى حاتم عن ابن عباس ومجاهد أنه كان ذا لحية وعن قتادة والحسن أيضاً أنه كان حكيماً من أهلها ، ورجح بأنه لو كان طفلا لكان مجرد قوله « إنها كاذبة » كافياً وبرهاناً قاطعاً لأنه من المعجزات ، ولما احتيج أن يقول « من أهلها » فرجح كونه رجلا لا طفلا ، وشهادة القريب على قريبه أولى بالقبول من شهادته له . السادس : ما فى قصة الأخدود لما أتى بالمرأة ليلقى بها فى النار لتكفر ومعها صبى مرضع ، فتقاعست ، فقال : يا أماه اصبرى فإنك على الحق . رواه مسلم من حديث صهيب . السابع : زعم الضحاك فى تفسيره أن يحيى بن زكريا عليهما السلام تكلم فى المهد . أخرجه الثعلبى . وفى سيرة الواقدى : إن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم تكلم فى أوائل ما ولد . وعن ابن عباس قال : كانت حليمة تحدث أنها أول ما فطمت رسول الله تكلم فقال : الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ، الحديث رواه البيهقى . وعن معيقيب اليمانى قال : حججت حجة الوداع فدخلت داراً فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ورأيت منه عجباً : جاءه رجل من أهل اليمامة بغلام يوم ولد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ياغلام من أنا ؟ قال : أنت رسول الله . قال : صدقت ، بارك الله فيك . ثم إن الغلام لم يتكلم بعد حتى شبّ ، فكنا نسميه مبارك اليمامة . رواه البيهقى من حديث معرض بالضاد المعجمة . وقد جمع بعضهم من تكلم فى المهد بقوله :

تكلم فى المهد النبى محمد * وموسى وعيسى والخليل ومريم ومبرىء جريج ، ثم شاهد يوسف * وطفل لدى الأخدود ، يرويه مسلم . وماشطة فى عهد فرعون طفلها * وفى زمن الهادى المبارك يختم .

الحديث الثالث والثمانون

عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قالَ : قالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : رَأَيْتُ عِيسى وَمُوسى وَإِبْرَاهِيمَ ، فَأَمَّا عِيسى فَأَحْمَرُ جَعْدٌ عَرِيضُ الصَّدْرِ ، وَأَمَّا مُوسى فَآدَمُ جَسِيمٌ سَبْطٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ الزُّطِّ .

(عن ابن عمر رضى الله عنهما) تعقبه الحافظ أبو ذر ، ونقله عنه غير واحد من الأئمة بأن الصواب ابن عباس بدل ابن عمر ، فالغلط من الفربرى أو البخارى ، حدث به كذا ، وجزم به الغسانى والتيمى وغيرهما وهو المحفوظ ، واحتج لذلك بأنه فى جميع الطرق عن محمد بن كثير وغيره عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما . وتفصيل ذلك فى الفتح فراجعه أنه (قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : رأيت عيسى وموسى وإبراهيم) عليهم الصلاة والسلام (فأما عيسى فأحمر) اللون ، وهو عند العرب الشديد البياض مع الحمرة (جعد) بفتح الجيم وسكون العين ، أى جعد الشعر ضد السبط (عريض الصدر ، وأما موسى فآدم) بالمد ، أى أسمر كأحسن ما ترى (جسيم) اعترضه التيمى بأن الجسيم إنما ورد فى صفة الدجال . وأجيب بأن الجسامة تطلق على السمن وعلى الطول ، والمراد هنا طويل (سبط) بفتح السين وسكون الموحدة وكسرها وفتحها (كأنه من رجال الزط) بضم الزاى وتشديد الطاء المهملة : جنس من السودان أو نوع من الهنود طوال الأجساد مع نحافة ، وهذا يؤيد أن معنى قوله « جسيم طويل » قال فى القاموس الزط بالضم : جيل من الهند معرب جت بالفتح ، والقياس يقتضى فتح معربه أيضاً ، الواحد زطى . انتهى . وفى المغرب : الزط جيل من الهند إليهم تنسب الثياب الزطية . وفى قانون المسعودى لأبى ريحان محمد بن أحمد البيرونى : لو هاور هو مدينة الزط بين نهرى جندرامقه وبيـاه . وفى لوامع النجوم : الزط جيل من السودان من السند . انتهى . وجت : يقال لهم بالهندية اليوم : جات ، وهم كثير وقع بهم التشبيه فى حديث الباب فى طول القامة وجسامة البدن والسمن والقوة ، والله أعلم .

الحديث الرابع والثمانون

وَعَنْهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : أَرَانى اللَّيْلَةَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ فى المَنَام فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ كَأَحْسَنِ مايُرَى مِنْ أُدْمِ الرِّجالِ، تَضْرِبُ لِمَّتُهُ بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ ، رَجِلُ الشَّعَرِ ، يَقْطُرُ رَأْسُهُ ماءً ، وَاضِعاً يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَىْ رَجُلَيْنِ وَهْوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ ، فَقُلْتُ : مَنْ هذا ؟ فَقَالُوا : هَذَا المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ، ثُمَّ رَأَيْتُ رَجُلاً وَرَاءَهُ جَعْداً قَطِطاً أَعْوَرَ عَيْنِ الْيُمْنَى كَأَشْبَهِ مَنْ رَأَيْتُ بِابْنِ قَطَنٍ ، وَاضِعاً يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَىْ رَجُلٍ يَطُوفُ بالْبَيْتِ ، فَقُلْتُ : مَنْ هذَا ؟ قالُوا : المَسِيحُ ٱلدَّجَّالُ .

(وعنه) أى عن ابن عمر رضى الله عنهما (قال : أرانى الليلة) أى أرى نفسى فى الليلة (عند الكعبة فى المنام) ذكره بلفظ المضارع مبالغة فى استحضار صورة الحال (فإذا رجل آدم) بالمد ، أسمر (كأحسن ما يرى من أدم الرجال ، تضرب لمته بين منكبيه) بكسر اللام وتشديد الميم ، وهى الشعر إذا جاوز شحمتى الأذنين وألم بالمنكبين ، فإذا جاوز المنكبين فجمة ، وإن قصر عنهما فوفرة (رجل الشعر) بكسر الجيم ، قد سرحه ودهنه (يقطر رأسه ماء) حقيقة فيكون من الماء الذى سرح به ، أو كنى به عن مزيد النظافة والنضارة ، حال كونه (واضعاً يديه على منكبى رجلين) قال فى الفتح : لم أقف على اسمهما . وفى رواية مالك : متكئاً على عواتق رجلين . والعواتق ، جمع عاتق : وهو ما بين المنكب والعنق (وهو يطوف بالبيت) الحرام (فقلت من هذا) الطائف (فقالوا : هذا المسيح) عيسى (ابن مريم) عليهما السلام (ثم رأيت رجلا وراءه جعداً قططاً) بفتح الطاء وكسرها : شديد جعودة الشعر (أعور عين اليمنى) بإضافة أعور لتاليه من إضافة الموصوف إلى صفته ، وهو عند الكوفيين ظاهر ، وعند البصريين تقديره عين صفحة وجهه اليمنى (كأشبه من رأيت) بضم التاء وفتحها (بابن قطن) بفتح القاف والطاء : عبد العزى ، هلك فى الجاهلية حال كونه (واضعاً يديه على منكبى رجل يطوف بالبيت ، فقلت : من هذا) الذى يطوف (قالوا المسيح الدجال) وهذا الحديث أخرجه مسلم فى الأيمان وفى الفتن.

الحديث الخامس والثمانون

وَعَنْهُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِى رِوَايَةٍ أُخْرَى ، قالَ : لَا وَٱللَّهِ ماقالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لِعِيسى أَحْمَرُ ، وَلكِنْ قالَ : بَيْنَما أَنَا نَائِمٌ أَطُوف بِالْكَعْبَةِ فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبطُ الشَّعْرِ ، يَهادَى بَيْنَ رَجُلَيْن ، يَنْطِفُ رَأْسُهُ ماءً ، أَوْ يُهَرَاقُ رَأْسُهُ ماءً ، فَقُلْتُ : مَنْ هذَا ؟ قالُوا : ابْنُ مَرْيَمَ ، فَذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ ، جَعْدُ الرَّأْسِ ، أَعْوَرُ عَيْنِهِ الْيُمْنَى ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ ، قُلْتُ : مَنْ هذَا ؟ قالُوا : هذَا ٱلدَّجَّالُ ، وَأَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهاً ٱبْنُ قَطَنٍ .

(وعنه رضى الله عنه فى رواية أخرى قال : لا والله ما قال النبى صلى الله عليه وسلم لعيسى) أى عن عيسى (أحمر) أقسم على غلبة ظنه أن الوصف اشتبه على الراوى ، وأن الموصوف بكونه أحمر إنما هو الدجال لا عيسى ، وكأنه سمع ذلك سماعاً جزماً فى وصف عيسى بأنه آدم كما فى الحديث السابق ، فساغ له الحلف على ذلك لما غلب على ظنه أن من وصفه بأنه أحمر فقد وهم ، وقد وافق أبو هريرة على أن عيسى أحمر ، فظهر أن ابن عمر أنكر ما حفظ غيره (ولكن قال : بينما) بالميم (أنا نائم) رأيت أنى (أطوف بالكعبة فإذا رجل آدم) أسمر (سبط الشعر) أى مسترسل الشعر غير جعد (يهادى بين رجلين) بضم الياء وفتح الدال ، أى يمشى متمايلا بينهما (ينطف) بضم الطاء المهملة ، ولأبى ذر بكسرها ، أى يقطر (رأسه ماء) نصب على التمييز (أو يهراق رأسه ماء) بضم الياء وفتح الهاء وتسكن ، والشك من الراوى (فقلت : من هذا ؟ قالوا : ابن مريم ، فذهبت ألتفت فإذا رجل أحمر) اللون (جسيم جعد) شعر (الرأس أعور عينه اليمنى) بالإضافة وعينه بالجر واليمنى صفته (كأن عينه عنبة طافية) بغير همز ، بارزة خرجت عن نظائرها (قلت : من هذا ؟ قالوا : هذا الدجال) . استشكل بأن الدجال لايدخل مكة ولا المدينة . وأُجيب بأن المراد لايدخلهما زمن خروجه (وأقرب الناس به شبهاً ابن قطن) عبد العزى .

الحديث السادس والثمانون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ ، وَالْأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ .

(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يقول : أنا أولى الناس بابن مريم) قال البيضاوى : الموجب لكونه أولى الناس به أنه كان أقرب المرسلين إليه ، وأن دينه متصل بدينه ليس بينهما نبي ، وأن عيسى كان مبشراً به ، ممهداً لقواعد دينه ، داعي الخلق إلى تصديقه ، فقال الكرمانى : التوفيق بين هذا الحديث وبين قوله : « إن أولى الناس بإبراهيم الذين اتبعوه » : وهذا النبي أن الحديث وارد فى كونه صلى الله عليه وآله وسلم متبوعاً ، والآية واردة فى كونه تابعاً . كذا قال . وسياق الحديث كمساق الآية ، فلا دليل على هذه التفرقة ، والحق أنه لامنافاة فيحتاج إلى الجمع ، فكما أنه أولى الناس بإبراهيم ، كذلك هو أولى الناس بعيسى ، ذاك من جهة قوة الاقتداء به ، وهذا من جهة قرب العهد به ، كذا فى الفتح (والأنبياء) عليهم الصلاة والسلام (أولاد علات) بفتح العين وتشديد اللام . والعلة : الضرة ، مأخوذ من العلل وهى الشربة الثانية بعد الأولى ، وكان الزوج قد عل منها بعدما كان ناهلا من الأخرى . وأولاد العلات : أولاد الضرات من رجل واحد ، يريد أن الأنبياء أصل دينهم واحد وفروعهم مختلفة ، فهم متفقون فى الاعتقاديات المسماة بأصول الدين كالتوحيد ، ومختلفون فى الفروع وهى الفقهيات . وعبارة الفتح : معنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع . وقيل : المراد أن أزمنتهم مختلفة وأن عيسى (ليس بينى وبينه نبى) وهو كالشاهد لقوله : « أنا أولى الناس بابن مريم » لايقال إنه ورد أن الرسل الثلاثة الذين أرسلوا إلى أصحاب القرية المذكورة قصتهم فى سورة يس كانوا من أتباع عيسى عليه السلام ، وأن جرجيس وخالد بن سنان كانا نبيين وكانا بعد عيسى ، لأن هذا الحديث الصحيح يضعف ماورد من ذلك ،

فإنه صحيح بلا تردد ، وفى غيره مقال ، أو المراد أنه لم يبعث بعد عيسى نبى بشريعة مستقلة ، وإنما بعث بعده بتقرير شريعة عيسى . وقصة خالد بن سنان أخرجها الحاكم فى المستدرك من حديث ابن عباس ، ولها طرق جمعها فى ترجمته فى كتابه فى الصحابة . وهذا الحديث من إفراد البخارى .

الحديث السابع والثمانون

وَعَنْهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسى ابْنِ مَرْيَمَ فى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، والْأَنْبِياءُ إِخْوَةٌ لِعَلاَّتٍ ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ .

(وعنه) أى عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أنه (قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : أنا أولى الناس بعيسى بن مريم فى الدنيا والآخرة) لكونه مبشراً بى قبل بعثتى ، وممهداً لقواعد ملتى فى آخر الزمان ، تابعاً لشريعتى ، ناصراً لدينى ، فكأننا واحد (والأنبياء إخوة لعلات) استئناف فيه دليل على الحكم السابق ، وكان سائلا سأل عما هو المقتضى لكونه أولى الناس به ، فأجاب بذلك (أمهاتهم شتى ودينهم) فى التوحيد (واحد) ومعنى الحديث : أن حاصل أمر النبوة والغاية القصوى من البعثة التى بعثوا جميعاً لأجلها دعوة الخلق إلى معرفة الحق وإرشادهم إلى ما به ينتظم معاشهم ويحسن معادهم ، فهم متفقون فى هذا الأصل وإن اختلفوا فى تفاريع الشرع التى هى كالوصلة المؤدية والأوعية الحافظة له ، نعبر عما هو الأصل المشترك بين الكل بالأب ونسبهم إليه ، وعبر عما يختلفون فيه من الأحكام والشرائع المتفاوتة بالصورة والمتقاربة بالغرض بالأمهات ، وهو معنى قوله « أمهاتهم شتى ودينهم واحد » أو أن المراد أن الأنبياء وإن تباينت أعصارهم وتباعدت أيامهم فالأصل الذى هو السبب فى إخراجهم وإبرازهم كلا فى عصره أمر واحد وهو الدين الحق ، فعلى هذا فالمراد بالأمهات الأزمنة التى اشتملت عليهم .

الحديث الثامن والثمانون

وَعَنْهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : رَأَى عِيسى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَجُلاً يَسْرِقُ ، فَقَالَ لَهُ : أَسَرَقْتَ ؟ قالَ : كَلاَّ وَٱللهِ الَّذِي لَا إِلهَ إِلاَّ هُوَ ، فَقَالَ عِيسى : آمَنْتُ باللهِ وَكَذَّبْتُ عَيْنِي .

(وعنه) أى عن أبى هريرة (رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم) أنه (قال : رأى عيسى بن مريم رجلا يسرق) لم يسم الرجل ولا المسروق (فقال له : أسرقت ؟ قال : كلا) نفى للسرقة أكده بقوله (والله الذى لا إله إلا هو ، فقال عيسى : آمنت بالله) أى صدقت من حلف بالله (وكذبت عينى) بالإفراد والتثنية . وعند مسلم : وكذبت نفسى . وفى رواية : وكذبت بصرى . قال ابن التين : قال عيسى ذلك على المبالغة فى تصديق الحالف ، ولم يرد حقيقة التكذيب وإنما أراد كذبت عينى فى غير هذا . قاله ابن الجوزى : وفيه بعد . وقيل : إنه أراد بالتصديق والتكذيب ظاهر الحكم لا باطن الأمر ، وإلا فالمشاهدة أعلى اليقين ، فكيف يكذب عينه ويصدق قول المدعى . ويحتمل أن يكون رآه مد يده إلى الشىء فظن أنه تناوله ، فلما حلف له رجع عن ظنه . وقال القرطبى : ظاهر قول عيسى للرجل « سرقت » أنه خبر جازم عما فعل الرجل من السرقة لكونه رآه أخذ مالا من حرز وفى خفية . وقول الرجل « كلا » نفى لذلك ثم أكده باليمن . وقول عيسى « آمنت بالله وكذبت عينى » أى صدقت من حلف بالله وكذبت ما ظهر لى من كون الأخذ المذكور سرقة ، فإنه يحتمل أن يكون الرجل أخذ ماله فيه حق ، أو ما أذن له صاحبه فى أخذه ، أو أخذه ليقلبه وينظر فيه ، ولم يقصد الغصب والاستيلاء ، قال : ويحتمل أن يكون عيسى كان غير جازم بذلك ، وإنما أراد استفهامه بقوله « سرقت » وتكون أداة الاستفهام محذوفة ، وهو شائع كثير جداً . انتهى . واحتمال الاستفهام بعيد مع جزمه صلى الله عليه وآله وسلم بأن عيسى رأى رجلا سرق ، واحتمال كونه أخذ ما يحل له بعيد أيضاً لهذا الجزم بعينه ، والأول مأخوذ من كلام القاضى عياض . وقد تعقبه الحافظ ابن القيم فى كتاب « إغاثة اللهفان » فقال : هذا

تأويل متكلف ، والحق أن الله كان فى قلبه أجل من أن يحلف به أحد كاذباً فدار الأمر بين تهمة الحالف وتهمة بصره ، فرد التهمة إلى بصره ، كما ظن آدم صدق إبليس لما حلف له أنه له ناصح . قال فى الفتح : وليس بدون تأويل القاضى فى التكلف والتشبيه غير مطابق ، والله أعلم . واستدل به على درء الحد بالشبهة وعلى منع القضاء بالعلم . والراجح عند المالكية والحنابلة منعه مطلقاً ، وعند الشافعية جوازه إلا فى الحدود ، وهذه الصورة من ذلك . انتهى . وهذا الحديث أخرجه مسلم أيضاً .

الحديث التاسع والثمانون

عَنْ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : لَا تُطْرُونى كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ ، فَقُولُوا : عَبْدُ ٱللهِ وَرَسُولُهُ .

(عن عمر رضى الله عنه قال) على المنبر (سمعت رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يقول : لا تطرونى) بضم التاء وسكون الطاء ، من الإطراء ، أى لا تمدحونى بالباطل أو لاتجاوزوا الحد فى مدحى ، يقال : أطريت فلاناً : مدحته فأطرطت فى مدحه (كما أطرت النصارى) عيسى (ابن مريم) عليهما السلام ، أى فى دعواهم فيه الإلهية وغير ذلك (فإنما أنا عبده) ورسوله (فقولوا : عبد الله ورسوله) وهذا مدح ليس فيه إطراء ولا مدح فوق العبودية . ولنعم ما قيل :

الرب رب وإن تنزل   والعبد عبد وإن ترقى

وقد بالغ الشعراء فى قصائدهم فى مدحه صلى الله عليه وآله وسلم بما لايجوز شرعاً بل ولا عقلا ، وهو من باب الإطراء المنهى عنه ، وابتلى به أكثر أهل العلم قديماً وحديثاً إلا من عصمه الله تعالى ، فليحذر المسلم التابع للسنة عن أن يمدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما لا يرضى به الله ولارسوله بل نهى عنه ، ولكن أنى لهم التناوش من مكان بعيد . قال القسطلانى : فإن قلت : هل ادعى أحد فى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ما ادعى فى عيسى ؟ أجيب بأنهم قد كادوا أن يفعلوا نحو ذلك حين قالوا له صلى الله عليه وآله وسلم أفلا نسجد لك ؟ فقال : لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها . فنهاهم عما عساه أن يبلغ بهم العبادة . انتهى . قال الشوكانى رحمه الله فى الدر النضيد فى إخلاص كلمة التوحيد : وقد وقع فى البردة والهمزية شىء كثير من هذا الجنس . ووقع أيضاً لمن تصدى لمدح نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولمدح الصالحين والأئمة الهادين مالا يأتى عليه الحصر . قال : وانظر رحمك الله ما وقع من كثير من هذه الأمة من

الغلو المنهى عنه المخالف لما فى كتاب الله وسنة رسوله ، كما يقوله صاحب البردة :

يا أكرم الخلق من ألوذ به   سواك عند حدوث الحادث العمم

فانظر كيف نفى كلا ملاذ ماعدا عبد الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وغفل عن ذكر ربه ورب رسول الله ، إنا لله وإنا إليه راجعون . وهذا باب واسع قد تلاعب الشيطان بجماعة من أهل الإسلام حتى ترقوا إلى خطاب غير الأنبياء بمثل هذا الخطاب ، ودخلوا من الشرك فى أبواب بكثير من الأسباب . انتهى . وهذا الحديث طرف من حديث السقيفة ، وقد ساقه البخارى مطولا فى كتاب المحاربين .

الحـديث التسعون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمامُكُمْ مِنْكُمْ .

(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم) فى الصلاة (منكم) كما فى مسلم أنه يقال له : صـــل لنا ، فيقول : لا ، إن بعضكم على بعض أُمراء تكرمة لهـــذه الأمة . قال ابن الجوزى : لو تقدم عيسى إماماً لوقع فى النفس إشكال ، ولقيل : أتراه نائباً أو مبتدئاً شرعاً ، فصلى مأموماً لئلا يتدنس بغبار الشبهة ، وجه قوله : لا نبى بعدى . وقال الطيبى : معنى الحديث أن يؤمكم عيسى حال كونكم فى دينكم . وصحح سعد الدين التفتازانى أنه يؤمهم ويقتدى به المهدى لأنه أفضل ، فإمامته أولى . وهذا يعكر عليه حديث مسلم السابق . وقال الحافظ أبو ذر الهروى : حدثنا الجوزقى عن بعض المتقدمين أن معناه أنه يحكم بالقرآن لا بالإنجيل . وهذا الحديث أخرجه مسلم فى الإيمان . وفى حديث ابن عمر عند مسلم أن مدة إقامة عيسى بالأرض بعد نزوله سبع سنين . وفى حديث ابن عباس عند نعيم بن حماد فى كتاب الفتن : إنه يتزوج فى الأرض ويقيم بها تسع عشرة سنة . وعنده بإسناد فيه منهم عن أبى هريرة : يقيم بها أربعين ســـنة . وعند أحمد من حديث جابر : فإذا هم بعيسى ، فيقال : تقدم ياروح الله ، فيقول : ليتقدم إمامكم فليصل بكم . ولابن ماجه فى حديث أبى أُمامة فى الدجال قال : وكلهم — أى المسلمون — ببيت المقدس وإمامهم رجل صالح قد تقدم ليصلى بهم إذ نزل عيسى ، فرجع الإمام ينكص ليتقدم عيسى ، فيقف عيسى بين كتفيه ثم يقول : تقدم فإنها لك أُقيمت . وقال أبو الحسن الجشعى : ألا ترى تواترت الأخبار بأن المهدى من هذه الأمة وأن عيسى يصلى خلفه . ذكر ذلك رداً للحديث الذى أخرجه ابن ماجه عن أنس وفيه : ولا مهدى إلا عيسى . وقال ابن التين : معنى قوله « وإمامكم منكم » أن الشريعة المحمدية متصلة إلى يوم القيامة وإن كان كل قرن طائفة من أهل العلم . وهذا والذى قبله لا يبين

كون عيسى إذا نزل يكون إمامكم أو مأموماً ، وعلى تقدير أن يكون عيسى إماماً فمعناه أنه يصلى معكم بالجماعة من هذه الأمة . وفى صلاة عيسى عليه السلام خلف رجل من هذه الأمة مع كونه فى آخر الزمان وقرب قيام الساعة دلالة للصحيح من الأقوال : إن الأرض لاتخلو عن قائم لله بحجة ، والله أعلم .

الحديث الحادى والتسعون

عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : إنَّ مَعَ الدَّجَّال إِذَا خَرَجَ ماءً وَنَاراً ، فَأَمَّا الَّذِى يَرَى النَّاسُ أَنَّهَا النَّارُ فَمَاءٌ بَارِدٌ ، وَأَمَّا الَّذِى يَرَى النَّاسُ أَنَّهُ ماءٌ بَارِدٌ فَنَارٌ تُحْرِقُ ، فَمَنْ أَدْرَكَ مِنْكُمْ فَلْيَقَعْ فى الَّذِى يَرَى أَنَّهَا نَارٌ فَإِنَّهُ عَذْبٌ بَارِدٌ .

(عن حذيفة) بن اليمان (رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يقول : إن مع الدجال إذا خرج ماء وناراً ، فأما الذى يرى الناس أنها النار فماء بارد ، وأما الذى يرى الناس أنه ماء بارد فنار تحرق ، فمن أدرك) ذلك (منكم فليقع فى الذى يرى أنها نار فإنه) ماء (عذب بارد) وفى مسلم عن أبى هريرة : وإنه يجىء معه مثل الجنة والنار ، فالتى يقول إنها جنة هى النار ، وهذا من فتنته التى امتحن الله بها عباده ، ثم يفضحه الله تعالى ويظهر عجزه .

الحديث الثانى والتسعون

وَعَنْهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : إنَّ رَجُلاً حَضَرَهُ المَوْتُ ، فَلَمَّا يَئِسَ مِنَ الحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ : إذا أَنَا مُتُّ فَاجْمَعُوا لِى حَطَباً كَثِيرًا وَأَوْقِدُوا فِيهِ نَاراً ، حَتَّى إِذَا أَكَلَتْ لَحْمِى ، وَخَلَصَتْ إِلَى عَظْمِى ، فَامْتَحَشَتْ فخُذُوهَا فَاطْحَنُوهَا ، ثُمَّ ٱنْظُروا يَوْماً رَاحاً فَاذْرُوهُ فى الْيَمِّ ، فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللهُ، فَقَالَ لَهُ : لِمَ فَعَلْتَ ذلِكَ ؟ قالَ : مِنْ خَشْيَتِكَ ، فَغَفَرَ ٱللهُ لَه .

(وعنه) أى عن حذيفة (رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يقول : إن رجلا)كان فيمن كان قبلكم أتاه الملك ليقبض روحه ، فقيل له : هل عملت من خير ؟ قال : ما أعلم ، قيل له : انظر ، قال : ما أعلم شيئاً غير أنى كنت أُبايع الناس فى الدنيا وأُجازيهم ، فأنظر الموسر وأتجاوز عن المعسر ، فأدخله الله الجنة . وقال : سمعته صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إن رجلا لم يسم (حضره الموت ، فلما يئس من الحياة أوصى أهله : إذا أنا مت فاجمعوا لى حطباً كثيراً وأوقدوا) لى (فيه) فى الحطب (ناراً) وألقونى فيها (حتى إذا أكلت) أىالنار (لحمى وخلصت) أى وصلت (إلى عظمى فامتحشت) أى احترقت (فخذوها) أى العظام المحترقة (فاطحنوها ثم انظروا يوماً راحاً) : كثير الريح (فاذروه) أى طيروه (فى اليم) فى البحر (ففعلوا) ما أوصاهم به (فجمعه الله فقال له ، لم فعلت ذلك ؟ قال : من خشيتك فغفر الله له) .

الحديث الثالث والتسعون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : كانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِىٌّ ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ ، قالُوا : فَمَا تَأْمُرُنَا ، قالَ : فُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَالأَوَّلِ ، أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ ، فَإِنَّ ٱللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا ٱسْتَرْعاهُمْ .

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء) تتولى أمورهم ، كما يفعل الولاة برعاياهم حال كونهم (كلما هلك نبى خلفه) قام مقامه (نبى) يقيم لهم أمرهم ويزيل ما غيروا من أحكام التوراة ، إلى غير ذلك ، كإنصاف الظالم من المظلوم . وفيه إشارة إلى أنه لابد للرعية من قائم بأمورها يحمله على الطريق الحسنة (وأنه لا نبى بعدى) يجيء فيفعل ما كانوا يفعلون (وسيكون خلفاء) بعدى (فيكثرون) بالمثلثة المضمومة . وحكى عياض أن منهم من ضبطه بالموحدة . قال الحافظ : وهو تصحيف . ووجه بأن المراد إكبار قبيح فعلهم (قالوا : فما تأمرنا) أى إذا كثر بعدك الخلفاء فوقع التشاجر والتنازع بينهم فما تأمرنا نفعل (قال) صلى الله عليه وآله وسلم (فوا) بضم الفاء أمر من الوفاء (ببيعة الأول فالأول) الفاء للتعقيب والتكرير والاستمرار ولم يرد به فى زمان واحد ، بل الحكم هذا عند تجدد كل زمان وبيعة . قاله الطيبى . وقال فى الفتح : أى إذا بويع لخليفة بعد خليفة ، فبيعة الأول صحيحة يجب الوفاء بها ، وبيعة الثانى باطلة . قال النووى : سـواء عقدوا للثانى عالمين بالأول أم لا ، سواء كانوا فى بلد واحد أو أكثر ، سواء كانوا فى بلد الإمام المتصل أم لا . هذا هو الصواب الذى عليه الجمهور . وقيل : تكون لمن عقدت له فى بلد الإمام دون غيره . وقيل : يقرع بينهما : قال : وهما قولان فاسدان . وقال القرطبى : فى هذا الحديث حكم بيعة الأول وأنه يجب الوفاء بها ، وسكت عن بيعة الثانى . وقد نص عليه فى حديث

عرفجة فى صحيح مسلم حيث قال : فاضربوا عنق الآخر (أعطوهم حقهم) من السمع والطاعة ، فإن فى ذلك إعلاء كلمة الدين وكف الفتن والشر ، وهمزة أعطوهم مفتوحة . قال فى شرح المشكاة : وهو كالبدل من قوله : فوا ببيعة الأول (فإن الله سائلهم) يوم القيامة (عما استرعاهم) ويثيبكم بما لكم عليهم من الحقوق . وهذا كحديث ابن عمر : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » . وهذا الحديث أخرجه مسلم فى المغازى ، وابن ماجه فى الجهاد .

الحديث الرابع والتسعون

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قالَ : لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْراً بِشِبْرٍ وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ : قُلْنَا : يَارَسُولَ ٱللهِ ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى . قال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : فَمَنْ ؟

(عن أبى سعيد) سعد بن مالك الخدرى (رضى الله عنـــه أن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : لتتبعن) بتشديد التاء الثانية وكسر الباء وضم العين وتشديد النون (سنن من قبلكم) بفتح السين : سبيلهم ومنها جهم وطريقهم ومهيعهم (شبراً بشبر وذراعاً بذراع) أى اتباعاً بشبر متلبس بشبر وذراع متلبس بذراع ، وهو كناية عن شدة الموافقة لهم فى المخالفات والمعاصى لافى الكفر ، وكذا قوله (حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه) بضم الجيم وسكون الحاء . والضب : حيوان برى معروف يشبه الورل . قال ابن خالويه : إنه يعيش سبعمائة سنة فصاعداً ولا يشرب الماء . وقيل : إنه يبول فى كل أربعين يوماً قطرة ولا يسقط له سن ، ويقال له قاضى البهائم . وفى كتاب العقوبات لابن أبى الدنيا عن أنس : أن الضب ليموت فى جحره هزالا من ظلم بنى آدم . وفى الفتح : وخص جحر الضب بذلك لشدة ضيقه ورداءته ، ومع ذلك فإنهم لاقتفائهم آثارهم واتباعهم طرائقهم لو دخلوا فى مثل هذا الضيق الردىء لوافقوهم (قلنا : يارسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : فمن) استفهام إنكارى ، أى ليس المراد غيرهم .

الحـديث الخـامس والتسعون

عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قالَ : بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً ، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ .

(عن عبد الله بن عمرو) بن العاص (رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : بلغوا عنى ولو آية) من القرآن ، والمراد العلامة الظاهرة ، أى ولو كان المبلغ فعلا أو إشارة ونحوهما . قال المعافى الهروانى فى كتاب الجليس له : الآية فى اللغة تطلق على ثلاثة معان : العلامة الفاصلة ، والأعجوبة الحاصلة ، والبلية النازلة . فمن الأول قوله تعالى : « آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً » . ومن الثانى : « إن فى ذلك لآية » . ومن الثالث : جعل الأمير فلاناً اليوم آية . قال : ويجمع بين هذه المعانى الثلاثة لأنه قيل لها آية لدلالتها وفصلها وأمانتها . وقال فى الحديث : ولو آية ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآى ولو قل ليتصل بذلك نقل جميع ما جاء به صلى الله عليه وآله وسلم . انتهى (وحدثوا عن بنى إسرائيل) بما وقع لهم من الأعاجيب وإن استحال مثلها فى هذه الأمة ، كنزول النار من السماء لأكل القربان مما لا تعلمون كذبه . قاله القسطلانى (ولا حرج) أى لاضيق عليكم فى الحديث عنهم . قال الحافظ ابن حجر : لأنه كان تقدم منه صلى الله عليه وآله وسلم الزجر عن الأخذ عنهم والنظر فى كتبهم ، ثم حصل التوسع فى ذلك ، وكان النهى وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة ، ثم لما زال المحذور وقع الإذن فى ذلك لما فى سماع الأخبار التى كانت فى زمانهم من الاعتبار . وقيل : المعنى : لا تضيق صدوركم بما تسمعونه عنهم من الأعاجيب ، فإن ذلك وقع لهم كثيراً . وقيل : لاحرج أن لاتحدثوا عنهم ، لأن قوله أولا « حدثوا عنهم » صيغة أمر تقتضى الوجوب ، فأشار إلى عدم الوجوب ، وأن الأمر فيه للإباحة بقوله « ولا حرج » أى فى ترك التحديث عنهم . وقيل : المراد رفع الحرج عن حاكى ذلك لما فى أخبارهم من الألفاظ المستبشعة ، نحو قولهم : « اذهب أنت وربك فقاتلا » . وقولهم : « اجعل لنا

إلهاً » . وقيل : المراد ببنى إسرائيل أولاد إسرائيل نفسه ، وهم أولاد يعقوب ، والمراد : حدثوا عنهم بقصتهم مع أخيهم يوسف . وهذا أبعد الأوجه . وقال مالك : المراد جواز التحديث عنهم بما كان من أمر حسن ، أما ما علم كذبه فلا . وقيل : المعنى : حدثوا عنهم بمثل ماورد فى القرآن والحديث الصحيح . وقيل : المراد جواز التحديث عنهم بأى صيغة وقعت من انقطاع أو بلاغ لتعذر الاتصال فى التحديث عنهم ، بخلاف الأحكام الإسلامية فإن الأصل فى التحديث بها الاتصال ولا يتعذر ذلك لقرب العهد. وقال الشافعى : من المعلوم أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لا يجيز التحديث بالكذب ، فالمعنى : حدثوا عن بنى إسرائيل بما لا تعلمون كذبه ، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم فى التحديث عنهم ، وهو نظير قولهم : إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، ولم يرد الإذن ولا المنع من التحديث بما يقطع بصدقه . انتهى (ومن كذب علىّ متعمداً فليتبوّأ) بسكون اللام : فليتخذ (مقعده من النار) أى فيها ، والأمر هنا معناه الخبر ، أى أن الله تعالى يبوئه مقعده من النار ، أو أمر على سبيل التهكم ، أو دعاء على معنى بوّأه الله ، ولو نقل العالم معنى قوله بلفظ غير لفظه ، لكنه مطابق لمعنى لفظه ، فهو جائز عند المحققين كما ذكر فى محله . قال فى الفتح : اتفق العلماء على تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإنه من الكبائر ، حتى بالغ الشيخ أبو محمد الجوينى فحكم بكفر من وقع منه ذلك ، وكلام القاضى أبى بكر بن العربى يميل إليه ، وجهل من قال من الكرامية وبعض المتزهدة أن الكذب على النبى صلى الله عليه وآله يجوز فيما يتعلق بتقوية أمر الدين وطريقة أهل السنة والترغيب والترهيب ، واعتلوا بأن الوعيد ورد فى حق من كذب عليه لا فى الكذب له ، وهو اعتلال باطل ، لأن المراد بالوعيد من نقل عنه الكذب ، سواء كان له أو عليه ، والدين بحمد الله كامل غير محتاج إلى تقوية بالكذب . انتهى . وهذا الحديث أخرجه الترمذى فى العلم .

الحديث السادس والتسعون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبُغُونَ فَخَالِفُوهُمْ .

(عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : إن اليهود والنصارى لا يصبغون) شيب اللحية والرأس (فخالفوهم) أى واصبغوا بغير السواد لما فى مسلم من حديث جابر أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : غيروه وجنبوه السواد . واختار النووى تحريم الصبغ بالسواد نعم يستثنى المجاهد . اتفاقاً . وعبارة الفتح : والحديث يقتضى مشروعية الصبغ ، والمراد صبغ شيب اللحية والرأس . ولا يعارضه ما ورد من النهى عن إزالة الشيب ، لأن الصبغ لا يقتضى الإزالة ، ثم إن المأذون فيه مقيد بغير السواد لحديث جابر المتقدم . ولأبى داود وصححه ابن حبان من حديث ابن عباس مرفوعاً : يكون قوم آخر الزمان يخضبون كحواصل الحمام لا يجدون ريح الجنة . وإسناده قوى ، إلا أنه اختلف فى رفعه ووقفه . وعلى تقدير ترجيح وقفه ، فمثله لايقال بالرأى ، فحكمه الرفع . وعن الحليمى أن الكراهة خاصة بالرجال دون النساء ، فيجوز ذلك للمرأة لأجل زوجها . وقال مالك : الحناء والكتم واسع والصبغ بغير السواد أحب إلىّ . وليس المراد بالصبغ فى هذا الحديث صبغ الثياب ولا صبغ اليدين والرجلين بالحناء مثلا ، لأن اليهود والنصارى لا يتركون ذلك . وقد صرح الشافعية بتحريم لبس الثياب المزعفرة للرجل ، وبتحريم خضب الرجال أيديهم وأرجلهم إلا للتداوى . انتهى . ولهذه المسألة بسط ذكرناه فى كتابنا « هداية السائل إلى أدلة المسائل » بالفارسية فراجعه . وهذا الحديث أخرجه النسائى فى الزينة .

الحديث السابع والتسعون

عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : كَانَ فِيمَنْ كانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ فَجَزِعَ ، فَأَخَذَ سِكِّيناً فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ ، فَمَا رَقَأَ ٱلدَّمُ حَتَّى ماتَ . قالَ اللهُ تَعالَى : بَادَرَنِى عَبْدِى بِنَفْسِهِ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ .

(عن جندب بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : كان فيمن كان قبلكم) من بنى إسرائيل أو غيرهم (رجل) قال فى الفتح : لم أقف على اسمه (به جرح) بضم الجيم وسكون الراء ، فى يده (فجزع) أى لم يصبر على ألمه (فأخذ سكيناً فحز) أى قطع (بها يده) من غير إبانة (فما رقأ) أى لم ينقطع (الدم حتى مات ، قال الله تعالى : بادرنى عبدى بنفسه) أى استعجل الموت . (حرمت عليه الجنة) لأنه استحل ذلك فكفر به فيكون مخلداً بكفره لا بقتله ، أو كان كافراً فى الأصل ، وعوقب بهذه المعصية زيادة على كفره أو حرمت عليه الجنة فى وقت ما ، كالوقت الذى يدخل فيه السابقون ، أو الوقت الذى يعذب فيه الموحدون ، ثم يخرجون ، أو جنة معينة كالفردوس مثلا ، أو أن ذلك ورد على سبيل التغليظ والتخويف . وظاهره غير مراد . قال النووى : يحتمل أن يكون ذلك شرع من مضى أن أصحاب الكبائر يكفرون بفعلها ، أو غير ذلك مما يطول ذكره . قال الطيبى : ليس فى قوله « حرمت عليه الجنة » ما يدل على الدوام والإقناط الكلى ، ولما كان الإنسان بصدد أن يحمله الضجر والغضب على إتلاف نفسه ويسول له الشيطان أن الخطب فيه يسير ، وأنه أهون من قتل نفس أُخرى محرمة أعلم صلى الله عليه وآله وسلم أن ذلك فى التحريم كقتل سائر النفوس المحرمة . انتهى . قال القاضى أبو بكر : قضاء الله مطلق ومقيد بصفة ، فالمطلق يمضى على الوجه بلا صارف ، والمقيد على وجهين ، مثاله أن يقدر لواحد أن يعيش سنة إن قتل نفسه ، وثلاثين إن لم يقتل . وهذا بالنسبة إلى مايعلم به المخلوق كملك الموت مثلا ،

وأما بالنسبة إلى علم الله فإنه لايقع إلا ما علمه . ونظير ذلك الواجب المخير الواقع منه معلوم عند الله ، والعبد مخير فى أى الخصال يفعل . واستشكل قوله « بادرنى بنفسه » إذ مقتضاه أن من قتل فقد مات قبل أجله ، وليس أحد يموت بأى سبب كان إلا بأجله . وقد علم الله أنه يموت بالسبب المذكور وما علمه لا يتغير . وأجيب بأنه لما وجدت منه صورة المبادرة بقصده ذلك واختياره له ، والله جلّ وعلا لم يطلعه على انقضاء أجله ، فاختار هو قتل نفسه ، فاستحق المعاقبة بعصيانه . والحديث أصل كبير فى تعظيم قتل النفس ، سواء كانت نفس الإنسان أو غيره ، لأن نفسه ليست ملكه أيضاً فيتصرف فيها على حسب اختياره . قال الحافظ : وفى الحديث تحريم قتل النفس ، سواء كانت نفس القاتل أم غيره . وقيل : الغير يؤخذ تحريمه من هذا الحديث بطريق الأولى . وفيه الوقوف عند حقوق الله ورحمته بخلقه حيث حرّم عليهم قتل نفوسهم وأن الأنفس ملك الله . وفيه التحدث عن الأمم الماضية ، وفضيلة الصبر على البلاء ، وترك التضجر من الآلام لئلا يفضى إلى أشد منها . وفيه تحريم تعاطى الأسباب المفضية إلى قتل النفس . وفيه التنبيه على أن حكم السراية على ما يترتب عليه ابتداء القتل . وفيه الاحتياط فى التحديث وكيفية الضبط له والتحفظ فيه بذكر المكان ، والإشارة إلى ضبط المحدث وتوقيفه لمن حدثه ليركن السامع لذلك . والله أعلم .

الحديث الثامن والتسعون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ وَأَعْمَى وَأَقْرَعَ ، بَدَا لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكاً ، فَأَتَى الْأَبْرَصَ فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قالَ : لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ ، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ. قالَ : فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ فَأُعْطِيَ لَوْناً حَسَناً وَجِلْداً حَسَناً . فَقَالَ : أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قالَ : الْإِبِلُ ، فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ ، فَقَالَ : يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا . وَأَتَى الْأَقْرَعَ فَقالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ فَقَالَ : شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هذَا ، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ . قالَ : فَمَسَحَه فَذَهَبَ ، وَأُعْطِيَ شَعَراً حَسَناً . قال : فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قالَ : الْبَقَرُ . قالَ : فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حامِلاً وَقالَ : يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا . وَأَتَى الْأَعْمَى فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قالَ : يَرُدُّ ٱللهُ إِلَيَّ بَصَرِي ، فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ . قالَ : فَمَسَحَهُ فَرَدَّ ٱللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ . قالَ : فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قالَ : الْغَنَمُ ، فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِداً ، فَأُنْتِجَ هذَانِ وَوَلَّدَ هذَا ، فَكانَ لِهذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ ، وَلِهذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ ، ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى بِالْأَبْرَصِ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ ، فَقَالَ : رَجُلٌ مِسْكِينٌ ، تَقَطَّعَتْ بِيَ ٱلْحِبَالُ فِي سَفَرِي ، فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ، ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ وَالْجِلْدَ الحَسَنَ وَالمَالَ ، بَعِيراً أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ الحُقُوقَ كَثِيرَةٌ ، فَقَالَ لَهُ : كَأَنِّي أَعْرِفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسَ فَقِيراً فَأَعْطَاكَ ٱللهُ . فَقَالَ : لَقَدْ وَرِثْتُ لِكابِرٍ عَنْ كابِرٍ . فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ كاذِباً فَصَيَّرَكَ ٱللهُ إِلَى ما كُنْتَ ، وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ما قَالَ لِهَذَا ، فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مارَدَّ عَلَيْهِ هذَا ، فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ كاذِباً فَصَيَّرَكَ ٱللهُ إِلَى ما كُنْتَ .

وَأَتَى الْأَعْمَى فى صُورَتِهِ فَقَالَ : رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَٱبْنُ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِىَ ٱلْحِبَالُ فى سَفَرِى فَلا بَلاغَ الْيَوْمَ إِلاَّ بِاللهِ ثُمَّ بِكَ ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِى رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فى سَفَرِى ، فَقَالَ : قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ ٱللهُ بَصَرِى وَفَقِيراً فَقَدْ أَغْنَانى ، فَخُذْ ما شِئْتَ ، فَوَٱللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَىْءٍ أَخَذْتَهُ لِلهِ . فَقَالَ : أَمْسِكْ مالَكَ فَإِنَّمَا ٱبْتُلِيتُمْ ، فَقَدْ رَضِىَ ٱللهُ عَنْكَ وَسَخِطَ على صَاحِبَيْكَ .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم يقول : إن ثلاثة فى بنى إسرائيل : أبرص) وهو الذى ابيضّ ظاهر بدنه لفساد مزاجه (وأعمى) وهو الذى ذهب بصره (وأقرع) وهو الذى ذهب شعر رأسه بآفة ولم يسموا (بدا لله) أى سبق فى علمه ، فأراد إظهاره ، لا إنه ظهر له بعد أن كان خافياً ، لأن ذلك محال فى حق الله تعالى . وخطأ هذا الكرمانى فى شرحه تبعاً لابن قرقول ، ولفظه فى مطالعه ضبطناه عن متقنى شيوخنا بالهمز ، أى ابتدأ الله أن يبتليهم ، قال : ورواه أكثر الشيوخ بغير همز ، وهو خطأ . انتهى . وقد سبقه إلى التخطئة الخطابى ، وليس كذلك ، فقد ثبتت الرواية به ، ووجه ، وأولى ما يحمل عليه كما فى الفتح أن المراد قضى الله أن يبتليهم . وفى مسلم عن شيبان بن فروخ عن همام بهذا الإسناد : أراد الله أن يبتليهم . وقال البرماوى تبعاً للكرمانى : بدأ بالهمز : الله رفع فاعل ، أى حكم وأراد (عز وجل أن يبتليهم) أى يختبرهم (فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص) الذى ابيضّ جسده (فقال) له (أى شىء أحب إليك ؟ قال : لون حسن وجلد حسن ، قد قذرنى الناس) بفتح القاف وكسر الذال ، أى اشمأزوا من رؤيتى وعدّونى مستقذراً وكرهونى . وفى رواية ذكرها الكرمانى : قذرونى ، وهى على لغة أكلونى البراغيث (قال : فمسحه) الملك (فذهب عنه) البرص (فأعطى لوناً حسناً وجلداً حسناً ، فقال) له الملك أيضاً (أى المال أحب إليك ؟ قال) أحبه إلى (الإبل ، أو قال البقر ، هو) أى الراوى وهو إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة المذكور فى إسناد هذا الحديث شك فى ذلك أن الأبرص أو الأقرع ، قال أحدهما الإبل ، وقال الآخر

البقر ، (فأعطى) الذى تمنى الإبل (ناقة عشراء) بضم العين والراء ممدود : الحامل التى أتى عليها فى حملها عشرة أشهر من يوم طرقها الفحل ، وهى من أنفس الإبل (فقال) له الملك (يبارك لك فيها ، وأتى) الملك (الأقرع) الذى ذهب شعر رأسه (فقال) له (أى شىء أحب إليك ؟ قال شعر حسن ، ويذهب عنى هذا) القرع (قد قذرنى الناس) أى كرهونى (قال : فمسحه) الملك على رأسه (فذهب) قرعه (وأُعطى) بضم الهمزة (شعراً حسناً) ثم (قال) له (فأى المال أحب إليك ؟ قال : البقر ، قال : فأعطاه بقرة حاملا وقال) له (يبارك لك فيها ، وأتى الأعمى فقال) له (أى شىء أحب إليك ؟ قال : يرد الله إلى بصرى ، فأبصر به الناس ، قال : فمسحه) الملك على عينيه (فرد الله إليه بصره) ثم (قال) له (فأى المال أحب إليك ؟ قال) له (الغنم ، فأعطاه شاة والداً) ذات ولد أو حاملا (فأنتج) بهمزة مضمومة ، وهى لغة قليلة . قال فى الفتح : وأنتج فى مثل هذا شاذ ، والمشهور فى اللغة : نتجت الناقة بضم النون ، ونتج الرجل الناقة : أى حمل عليها الفحل ، وقد سمع : أنتجت الفرس ، إذا ولدت فهو نتوج (هذان) أى صاحبا الإبل والبقر (وولد) بفتح الواو وتشديد اللام (هذا) أى صاحب الشاة . قال الكرمانى : وقد راعى عرف الاستعمال حيث قال فيهما أنتج وفى الشاة ولد (فكان لهذا) الذى اختار الإبل (واد) قد امتلأ (من إبل) ولأبى ذر : من الإبل (ولهذا) الذى اختار البقر (واد) قد امتلأ (من بقر ، ولهذا) الذى اختار الغنم (واد) قد امتلأ (من الغنم) ولأبى ذر : من غنم (ثم إنه) أى الملك (أتى الأبرص) الذى كان مسحه فذهب برصه (فى صورته وهيئته) التى كان عليها لما اجتمع به وهو أبرص ليكون ذلك أبلغ فى إقامة الحجة عليه (فقال) له : إنى (رجل مسكين) زاد ابن شيبان : وابن سبيل (تقطعت بى الحبال) جمع حبل ، والمراد الأسباب التى يقطعها فى طلب الرزق ، أو المستطيل من الرمل ، أو العقبات . ولبعض رواة مسلم : الحيال جمع حيلة ، أى لم يبق لى حيلة . ولبعض رواة البخارى : الجبال جمع جبل ، وهو تصحيف كما فى الفتح . قال ابن التين : قول الملك « رجل إلى آخره » أراد أنك كنت هكذا ، وهو من المعاريض ، والمراد به ضرب المثل ليتيقظ المخاطب (فى سفرى) ولأبى ذر : فى سفره (فلا بلاغ) فلا كفاية (اليوم إلا بالله) أى ليس لى ما أبلغ به غرضى إلا بالله (ثم بك)

ثم هنا المرتبة فى التنزل لا للترقى ، وهذا ونحوه من الملائكة معاريض لا إخبار كما فى قول إبراهيم : هذا ربى وأختى (أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال) الكثير (بعيراً أتبلغ عليه فى سفرى) من البلغة وهى الكفاية ، والمعنى : أتوصل به إلى مرادى (فقال له : إن الحقوق كثيرة ، فقال له) الملك (كأنى أعرفك ، ألم تكن أبرص يقذرك الناس) من باب علم يعلم حال كونك (فقيراً فأعطاك الله ، فقال) له (لقد ورثت) هذا المال (لكابر عن كابر) أى عن آبائى وأجدادى حال كون كل واحد منهم كبيراً ورث عن كبير ، فكذب وجحد نعمة الله (فقال) له الملك (إن كنت كاذباً) فى مقالتك هذه (فصيرك الله) عز وجل (إلى ما كنت) من البرص والفقر ، أورده بلفظ الفعل الماضى لأنه أراد المبالغة فى الدعاء عليه ، والشرط ليس على حقيقته ، لأن الملك لم يشك فى كذبه ، بل هو مثل قول العامل إذا سوّف فى عمـالته : إن كنت عملت فاعطنى حق (وأتى) الملك (الأقرع) الذى كان مسح رأسه فذهب قرعه (فى صورته وهيئته) التى كان عليها أولا (فقال له مثل ما قال لهذا) الأبرص : رجل مسكين تقطعت بى الحبال فى سفرى إلى آخره ، وسأله بقرة (فرد عليـه) أى فرد الرجل الأقرع على الملك (مثل ما رد عليه هذا) الأبرص ، فقال : إن الحقوق كثيرة .... إلخ (فقال) له الملك (إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت) عليه من القرع والفقر (وأتى) الملك (الأعمى) الذى مسح عينيه فعاد بصره (فى صورته) التى كان عليها (فقال : رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذى رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها فى سفرى ، فقال : قد كنت أعمى فرد الله) على (بصرى ، وفقيراً فقد أغنانى ، فخذ ما شئت) زاد شيبان : ودع ما شئت (فوالله لا أجهدك اليوم بشىء أخذته لله) أى لا أجهدك على ترك شىء تحتاج إليه من مالى ، كقوله :

* وليس على طول الحياة تندم *

أى على فوت طول الحياة ، وهو رواية كريمة ، وأكثر روايات مسلم ، أى لا أشق عليك فى رد شىء تطلبه منى أو تأخذه . وادعى القاضى عياض أنه لم يختلف رواة البخارى فى أنها بالحاء والميم ، وما ذكر يرد دعواه ، وأما ما حكاه القاضى أن بعضهم لما أشكل عليه معناه أسقط الميم فصار : لا أحدك

بتشديد الدال ، أى لا أمنعك ، فقال فى المصابيح : إنه تكلف وإيثار غير الرواية ، وإنه جرأة عظيمة لا يقدم عليها من يتق الله (فقال) الملك له (أمسك مالك فإنما ابتليتم) اختبركم الله (فقد رضى الله عنك ، وسخط) بكسر الخاء (على صاحبيك) بالتثنية . قال الكرمانى ما محصله : كان مزاج الأعمى أصح من مزاج رفيقيه ، لأن البرص مرض يحصل من فساد المزاج وخلل الطبيعة ، وكذلك الأقرع ، بخلاف الأعمى فإنه لا يستلزم ذلك بل قد يكون من أمر خارج ، فلهذا حسنت طباع الأعمى وساءت طباع الآخرين . وفى الحديث جواز ذكر ما اتفق لمن مضى ليتعظ به من سمعه ولا يكون ذلك غيبة فيهم ، ولعل هذا هو السر فى ترك تسميتهم ، ولم يفصح بما اتفق لهم بعد ذلك ، والذى يظهر أن الأمر فيهم وقع كما قال الملك . وفيه التحذير من كفران النعم والترغيب فى شكرها والاعتراف بها وحمد الله عليها . وفيه فضل الصدقة والحث على الرفق بالضعفاء وإكرامهم وتبليغهم مآربهم . وفيه الزجر عن البخل لأنه حمل صاحبه على الكذب وعلى جحد نعمة الله تعالى .

الحـديث التـاسع والتسعون

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : كانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَاناً ، ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ ، فَأَتَى رَاهِباً فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ لَهُ : هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ قالَ : لَا ، فَقَتَلَهُ فَجَعَلَ يَسْأَلُ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : ائْتِ قَرْيَةَ كَذَا وَكَذَا ، فَأَدْرَكَهُ المَوْتُ ، فَنَاءَ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ ، وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَى هذهِ أَنْ تَقَرَّبِي ، وَأَوْحَى إِلَى هذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي ، وَقالَ : قِيسُوا ما بَيْنَهُمَا ، فَوُجِدَ إِلَى هذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ ، فَغُفِرَ لَهُ .

(عن أبي سعيد) الخدرى (رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم) أنه (قال : كان فى بنى إسرائيل رجل) قال فى الفتح : لم أقف على اسمه ولا على اسم أحد من الرجال ممن ذكر فى القصة (قتل تسعة وتسعين إنساناً) زاد الطبرانى من حديث معاوية بن أبى سفيان : كلهم ظلماً (ثم خرج يسأل) وعند مسلم من طريق همام عن قتادة : يسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب (فأتى راهباً) من النصارى لم يسم ، وفيه إشعار بأن ذلك وقع بعد رفع عيسى ، فإن الرهبانية إنما ابتدعها أتباعه كما نص عليه القرآن الكريم (فسأله ، فقال له : هل) لى (من توبة ؟) بعد هذه الجريمة العظيمة . وفى الحديث إشكال ، لأنا إن قلنا لا فقد خالفنا نصوصنا ، وإن قلنا نعم فقد خالفنا نصوص الشرع ، فإن حقوق بنى آدم لا تسقط بالتوبة ، بل توبتها أداؤها إلى مستحقيها أو الاستحلال منها . والجواب : إن الله تعالى إذا رضى عنه وقبل توبته يرضى عنه خصمه (قال) له الراهب (لا) توبة لك بعد أن قتلت تسعة وتسعين إنساناً ظلماً (فقتـله) وكمل به مائة (فجعل يسأل) هل لى من توبة أو عن أعلم أهل الأرض ليسأله عن ذلك (فقال له رجل) راهب لم يسم أيضاً بعد أن سأله : نعم ومن يحول بينك وبين التوبة (ائت قرية كذا وكذا) زاد فى رواية هشام : فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ولاترجع إلى أرضك فإنها أرض السوء ، فانطلق حتى إذا كان نصف الطريق أتاه

الموت ، ووقفت على تسمية القريتين المذكورتين من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص مرفوعاً فى المعجم الكبير للطبرانى ، قال فيه : إن اسم القرية الصالحة « نصرة » واسم الأخرى « كفرة » كذا فى الفتح (فأدركه الموت فناء) بنون ومد وهمز ، أى بعد ، أو المعنى : مال أو نهض مع تثاقل ، فعلى هذا فالمعنى : فمال إلى الأرض التى طلبها ، هذا هو المعروف فى هذا الحديث ، وحكى بعضهم فيه : فنأ بغير مد قبل الهمز وبإشباعها بوزن سعى ، أى بعد ، والمعنى : فبعد عن الأرض التى أُخرج منها (بصدره نحوها) نحو القرية « نصرة » التى توجه إليها للتوبة (فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب) وزاد هشام عند مسلم : فقالت ملائكة الرحمة : جاءنا تائباً مقبلا بقلبه إلى الله تعالى ، وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خير قط ، فأتاهم ملك فى صورة آدمى ، فجعلوه بينهم ، فقال : قيسوا ما بين الأرض فإلى أيهما كان أدنى فهو لها (فأوحى الله إلى هذه) القرية نصرة (أن تقربى) منه (وأوحى) الله (إلى هذه) القرية كفرة (أن تباعدى ، وقال) للملائكة (قيسوا ما بينهما) فقيس (فوجد) مبنياً للمفعول (إلى هذه) القرية نصرة (أقرب بشبر) وفى رواية هشام : فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد . وعند الطبرانى فى حديث معاوية : فوجدوه أقرب إلى دير التوابين بأنملة (فغفر له) وفى رواية معاوية عن شعبة : فجعل من أهلها . وفى رواية هشام أيضاً : فقبضته ملائكة الرحمة . قال القسطلانى : واستنبط منه أن التائب ينبغى له مفارقة الأحوال التى اعتادها فى زمان المعصية والتحول عنها كلها والاشتغال بغيرها ، وغير ذلك مما يطول . انتهى . وفى الفتح فيه مشروعية التوبة من جميع الكبائر حتى من قتل الأنفس ، ويحمل على أن الله تعالى إذا قبل توبة القاتل تكفل برضا خصمه . وفيه أن المفتى قد يجيب بالخطأ ، وغفل من زعم أنه إنما قتل الأخير على سبيل التأويل لكونه أفتاه بغير علم ، لأن السياق يقتضى أنه كان غير عالم بالحكم حتى استمر يستفتى ، وأن الذى أفتاه استبعد أن تصح توبته بعد قتله لمن ذكر أنه قتله بغير حق ، وأنه إنما قتله بناء على العمل بفتواه ، لأن ذلك اقتضى عنده أن لانجاة له فيئس من الرحمة ثم تداركه الله فندم على ما صنع فرجع يسأل . وفيه إشارة إلى قلة فطنة الراهب ، لأنه كان من حقه التحرز ممن اجترأ على القتل حتى صار له عادة بأن لا يواجهه بخلاف مراده ، وأن يستعمل معه المعاريض

مداراة عن نفسه ، هذا لو كان الحكم عنده صريحاً فى عدم قبول توبة القاتل ، فضلا عن أن الحكم لم يكن عنده إلا مظنوناً . وفيه أن الملائكة الموكلين ببنى آدم يختلف اجتهادهم فى حقهم بالنسبة إلى من يكتبونه مطيعاً أو عاصياً ، وأنهم يختصمون فى ذلك حتى يقضى الله تعالى بينهم . وفيه فضل العالم على العابد ، لأن الذى أفتاه أولا بأن لا توبة له غلبت عليه العبادة فاستعظم وقوع ما وقع من ذلك القاتل من استجرائه على قتل هذا العدد الكثير . وأما الثانى فغلب عليه العلم فأفتاه بالصواب ودله على طريق النجاة . قال عياض : وفيه أن التوبة تنفع من القتل كما تنفع من سائر الذنوب ، وهو وإن كان شرعاً لمن قبلنا ، وفى الاحتجاج به خلاف ، لكن ليس هذا من موضوع الخلاف إذا لم يرد فى شرعنا تقريره وموافقته ، فأما إذا ورد فهو شرعنا بلا خلاف ، ومن الوارد فى ذلك قوله تعالى : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » . وحديث عبادة بن الصامت ففيه بعد قوله : « ولا تقتلوا النفس » وغير ذلك من المنهيات ، فمن أصاب من ذلك شيئاً فأمره إلى الله ، إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عذبه . متفق عليه . ويؤخذ من ذلك أيضاً من جهة تخفيف الآصار عن هذه الأمة بالنسبة إلى من قبلهم من الأمم ، فإذا شرع لهم قبول توبة القاتل فمشروعيتها لنا بطريق الأولى . وفيه حجة لمن أجاز التحكيم وأن من رضى الفريقان بتحكيمه فحكمه جائز عليهم . وفيه أن للحاكم إذا تعارضت عنده الأحوال أو تعذرت البينات أن يستدل بالقرائن على الترجيح . وهذا الحديث أخرجه مسلم فى التوبة ، وابن ماجه فى الديات .

الحديث المائة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ : قالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَاراً لَهُ ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِى ٱشْتَرَى الْعِقَارَ فى عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ ، فَقَالَ لَهُ الَّذِى ٱشْتَرَى الْعَقَارَ : خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّى ، إِنَّمَا ٱشْتَرَيْتُ مِنْكَ ٱلْأَرْضَ وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ ٱلذَّهَبَ ، وَقالَ الَّذِى لَهُ الْأَرْضُ : إِنَّمَا بِعْتُكَ الْأَرْضَ وَما فِيهَا ، فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ ، فقَالَ الذِى تَحَاكَمَا إِلَيْهِ : أَلَكُمَا وَلَدٌ ؟ قالَ أَحَدُهُمَا : لِى غُلَامٌ ، وَقالَ الآخَرُ : لِى جارِيَةٌ ، قالَ : أَنْكِحُوا الْغُلَامَ الجَارِيَةَ ، وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ ، وَتَصَدَّقَا .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم : اشترى رجل من رجل) قال فى الفتح : لم أقف على اسمهما ولا على اسم أحد ممن ذكر فى هذه القصة (عقاراً له) بفتح العين . قال فى القاموس : المنزل والقصر أو المتهدم منه والبناء المرتفع والضيعة ومتاع البيت ونضده الذى لا يبتذل إلا فى الأعياد ونحوها . انتهى . والمراد به هنا الدار . وصرح بذلك فى حديث وهب بن منبه (فوجد الرجل الذى اشترى العقار فى عقاره جرة فيها ذهب ، فقال له الذى اشترى العقار : خذ ذهبك منى إنما اشتريت منك الأرض ولم أبتع) لم أشتر (منك الذهب ، وقال الذى) كانت (له لأرض : إنما بعتك الأرض وما فيها) ظاهره أنهما اختلفا فى صورة العقد ، فالمشترى يقول : لم يقع تصريح ببيع الأرض وما فيها بل ببيع الأرض خاصة ، والبائع يقول : وقع التصريح بذلك أو وقع بينهما على الأرض خاصة ، فاعتقد البائع دخول ما فيها ضمناً ، واعتقد المشترى عدم الدخول (فتحاكما إلى رجل) هو داود النبى عليه السلام كما فى المبتدإ لوهب بن منبه ، وفى المبتدإ لإسحاق بن بشر أن ذلك وقع فى زمن ذى القرنين من بعض قضاته . قال فى الفتح : وصنيع البخارى يقتضى ترجيح ما وقع عند وهب لكونه أورده فى ذكر بنى إسرائيل (فقال الذى تحاكما إليه : ألكما ولد) بفتح الواو والمراد

الجنس ، والمعنى : ألكل منكما ولد ، لأنه يستحيل أن يكون للرجلين جميعاً ولد واحد ، ويجوز أن يكون قوله « ألكما ولد » بضم الواو وسكون اللام ، وهي صيغة جمع ، أي أولاد (قال أحدهما) وهو المشترى (لى غلام ، وقال الآخر) وهو البائع (لى جارية ، قال) الحاكم (أنكحوا) أنتما والشاهدان (الغلام والجارية وأنفقوا) أنتما ومن تستعينان به كالوكيل (على أنفسهما منه) أي على الزوجين من الذهب (وتصدقا) منه بأنفسكما بغير واسطة لما فيه من الفضل . ومذهب الشافعية أنه إذا باع أرضاً لا يدخل فيها ذهب مدفون فيها كالكنوز ، كبيع دار فيها أمتعة ، بل هو باق على ملك البائع . وفى رواية إسحاق بن بشر أن المشترى قال : إنه اشترى داراً فعمرها فوجد فيها كنزاً وأن البائع قال له لما دعاه إلى أخذه : ما دفنت ولا علمت ، وأنهما قالا للقاضى : ابعث من يقبضه ويدعه حيث رأيت فامتنع . وعلى هذا فحكم هذا المال حكم الركاز فى هذه الشريعة إن عرف أنه من دفين الجاهلية ، وإلا فإن عرف أنه من دفين المسلمين فهو لقطة ، وإن جهل فحكمه حكم المال الضائع يوضع فى بيت المال . ولعله لم يكن فى شرعهم هذا التفصيل ، فلهذا حكم القاضى بما حكم به . وهذا الحديث أخرجه مسلم فى القضاء .

الحديث الحادى بعد المائة

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا ، قِيلَ لَهُ : ماذَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم فى الطَّاعُونِ ؟ فَقَالَ أُسَامَةُ : قالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : الطَّاعُونُ رِجْسٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ أَوْ عَلَى مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بها فَلَا تَخْرُجُوا فِرَاراً مِنْهُ .

(عن أُسامة بن زيد رضى الله عنه عنهما قيل له : ماذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم فى) شأن (الطاعون) وهو كما قال الجوهرى على وزن فاعول من الطعن ، عدلوا به عن أصله ووضعوه دالا على الموت العام كالوباء (فقال أُسامة : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : الطاعون رجس) بالسين ، أى عذاب . وفى رواية : رجز بالزاى أى بدل السين ، والمحفوظ بزاى ، ووجهه القاضى بأن الرجس يقع على العقوبة أيضاً ، وقد قال الفارابى والجوهرى : الرجس : العذاب (أُرسل على طائفة) هم قوم فرعون (من بنى إسرائيل) لما كثر طغيانهم (أو) قال عليه السلام (على من كان قبلكم) شك الراوى (فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه) بسكون القاف وفتح الدال (وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا) منها (فراراً) أى لأجل الفرار (منه) أى من الطاعون ، لأنه إذا خرج الأصحاء وهلك المرضى فلا يبقى من يقوم بأمرهم ، وقيل غير ذلك . قال الكرمانى : المراد منه الحصر ، يعنى الخروج المنهى عنه هو الذى لمجرد الفرار لا لغرض آخر فيباح للتجارة ونحوها . وقد نقل ابن جرير الطبرى أن أبا موسى الأشعرى كان يبعث بنيه إلى الأعراب من الطاعون ، وكان الأسود بن هلال ومسروق يفران منه . وعن عمرو بن العاص أنه قال : تفرقوا من هذا الرجز فى الشعاب والأودية ورءوس الجبال ، وهل يأتى هنا قول عمر : نفر من قدر الله تعالى إلى قدر الله تعالى أم لا . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى ترك الحيل ، ومسلم والنسائى فى الطب ، والترمذى فى الجنائز .

الحديث الثانى بعد المائة

عَنْ عائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَتْ : سَأَلْتُ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ الطَّاعُونِ فَأَخْبَرَنِى أَنَّهُ عَذَابٌ يَبْعَثُهُ ٱللهُ عَلى مَنْ يَشَاءُ ، وَإِنَّ ٱللهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ، لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ، فَيَمْكُثُ فى بَلَدِهِ صَابِراً مُحْتَسِباً ، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُصِيبُهُ إِلاَّ مَا كَتَبَ ٱللهُ لَهُ إِلاَّ كانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ .

(عن عائشة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم عن الطاعون ، فأخبرنى أنه عذاب يبعثه الله) عز وجل (على من يشاء) من الكفار (وأن الله جعله رحمة للمؤمنين) وشهادة كما فى حديث آخر (ليس من أحد يقع الطاعون فيمكث فى بلده) الذى وقع به الطاعون ولايخرج منه حال كونه (صابراً محتسباً يعلم أنه لايصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد) وإن مات بغير الطاعون ولو فى غير زمنه ، وقد علم أن درجات الشهداء متفاوتة ، فيكون كمن خرج من بيته على نية الجهاد فى سبيل الله فمات بسبب آخر غير القتل ، وفضل الله واسع ، ونية المرء أبلغ من عمله . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى التفسير والطب والقدر ، والنسائى فى الطب .

الحديث الثالث بعد المائة

عَنِ ٱبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : كَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَى النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم يَحْكِى : نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمَهُ فَأَدْمَوْهُ وَهْوَ يَمْسَحُ ٱلدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِقَوْمِى فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .

(عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : كأنى أنظر إلى النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم يحكى : نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه) قال فى الفتح : لم أقف على اسم هذا النبى صريحاً ، ويحتمل أن يكون هو نوحاً عليه السلام . وقد ذكر ابن إسحاق فى المبتدإ وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسير سورة الشعراء من طريق ابن إسحاق قال حدثنى من لا أتهم عن عبيد بن عمير الليثى أنه بلغه أن قوم نوح كانوا يبطشون به فيخنقونه حتى يغشى عليه ، فإذا أفاق قال : اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون . قال الحافظ : فإن صح ذلك فكأن ذلك كان فى ابتداء الأمر ، ثم لما يئس منهم قال : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً » . وقد ذكر مسلم بعد تخريج هذا الحديث حديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال فى قصة أُحد : كيف يفلح قوم دموا وجه نبيهم . فأنزل الله : « ليس لك من الأمر شىء » . ومن ثم قال القرطبى : إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم هو الحاكى وهو المحكى عنه . قال الحافظ وكأنه أوحى إليه بذلك قبل وقوع القضية ، ولم يسم ذلك النبى ، فلما وقع له ذلك تعين أنه هو المعنى بذلك ، قال : لكن يعكر عليه أن الترجمة لبنى إسرائيل ، فتعين الحمل على بعض أنبيائهم . انتهى . (ويقول) إذا أفاق (اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون) وهذا الحديث أخرجه البخارى أيضاً فى استتابة المرتدين ، وأخرجه مسلم فى المغازى ، وابن ماجه فى الفتن .

الحديث الرابع بعد المائة

عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قالَ : بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنَ الخُيَلَاءِ خُسِفَ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِى الْأَرْضِ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

(عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : بينما رجل) ذكر أبو بكر الكلاباذى فى معانى الأخبار أنه قارون ، وكذا هو فى صحاح الجوهرى ، وزاد مسلم : ممن كان قبلكم ((يجر إزاره من الخيلاء) من التكبر عن تخيل فضيلة تراءت له من نفسه ، وجواب بينما قوله (خسف به) مبنياً للمفعول (فهو يتجلجل) يسيخ (فى الأرض) مع اضطراب شديد وتدافع من شق إلى شق (إلى يوم القيامة) وهذا الحديث أخرجه النسائى فى الزينة .

مناقب قريش

الحديث الأول

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ : تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ خِيَارُهُمْ فى الجَاهِلِيَّةِ ، خِيَارُهُمْ فى الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا ، وَتَجِدُونَ خَيْرَ النَّاسِ فى هذَا الشَّأْنِ أَشَدَّهُمْ لَهُ كَرَاهِيَةً ، وَتَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِى يَأْتِى هؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَيَأْتِى هؤُلَاءِ بِوَجْهٍ .

---

* (مناقب قريش) *

فى القاموس : المنقبة : المفخرة ، وقال التبريزى : المناقب : المكارم ، واحدها منقبة ، كأنها تنقب الصخرة من عظمها ، وتنقب قلب الحسود . وفى أساس البلاغة : ومناقب ، وهى المفاخر والمآثر .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) أنه (قال : تجدون الناس معادن) زاد الطيالسى : فى الخير والشر (خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا) بضم القاف ، ولأبى ذر بكسرها ، أى فى الدين ، ووجه التشبيه اشتمال المعادن على جواهر مختلفة من نفيس وخسيس ، وكذلك الناس ، فمن كان شريفاً فى الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شرفاً . وفى قوله « إذا فقهوا » إشـارة إلى أن الشرف الإسلامى لا يتم إلا بالتفقه فى الدين ، وهو علم الكتاب والسنة وفهمهما والعمل بموجبهما ، وليس الرأى فى شىء من العلم بل هو الجهل كله ، أعاذنا الله تعالى منه بمنه وكرمه . قال فى الفتح : وعلى هذا فينقسم الناس أربعة أقسام مع ما يقابلها ، الأول : شريف فى الجاهلية أسلم وتفقه ، ومقابله مشروف فى الجاهلية لم يسلم ولم يتفقه . والثانى : شريف فى الجاهلية أسلم ولم يتفقه ، ومقابله مشروف فى الجاهلية لم يسلم وتفقه . الثالث : شريف فى الجاهلية لم يسلم ولم يتفقه ، ومقابله مشروف فى الجاهلية أسلم وتفقه . والرابع : شريف فى الجاهلية لم يسلم وتفقه ، ومقابله مشروف فى

الجاهلية أسلم ولم يتفقه . فأرفع الأقسام من شرف فى الجاهلية ثم أسلم وتفقه ، ويليه من كان مشروفاً ثم أسلم وتفقه ، ويليه من كان شريفاً فى الجاهلية ثم أسلم ولم يتفقه ، ويليه من كان مشروفاً ثم أسلم ولم يتفقه . وأما من لم يسلم فلا اعتبار به ، سواء كان شريفاً أو مشروفاً ، وسواء تفقه أو لم يتفقه ، والله أعلم. والمراد بالخيار : الشرف وغير ذلك ممن كان متصفاً بمحاسن الأخلاق كالكرم والعفة والحلم وغيرها ، متوقياً لمساويها كالبخل والعجز والظلم وغيرها (وتجدون خير الناس) أى من خيرهم (فى هذا الشأن) أى فى الولاية خلافة أو إمارة (أشدهم له كراهية) لما فيه من صعوبة العمل بالعدل ، وحمل الناس على رفع الظلم ، وما يترتب عليه من مطالبة الله تعالى للقائم بذلك من حقوقه وحقوق عباده ، ولايخفى خيرية من خاف مقام ربه (وتجدون شر الناس ذا الوجهين) وهو المنافق (الذى يأتى هؤلاء بوجه ويأتى هؤلاء بوجه) قال الله تعالى : « مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء » فإن قيل : هذا يقتضى الذم على ترك طريقة المؤمنين وطريقة الكفار ، والذم على ترك طريقة الكفار غير جائز ، أُجيب بأن طريقة الكفار وإن كانت خبيثة إلا أن طريقة النفاق أخبث منها ، ولذا ذم الله تعالى المنافقين فى تسع عشرة آية . وهذا الحديث أخرجه مسلم فى الفضائل بتمامه ، وفى الأدب بقصة ذى الوجهين .

الحديث الثانى

وَعَنْهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قالَ : النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ فى هذَا الشَّأْنِ ، مُسْلِمُهُمْ تَبَعٌ لِمُسْلِمِهِمْ ، وَكَافِرُهُمْ تَبَعٌ لِكافِرِهِمْ ، وَالنَّاسُ مَعَادِنٌ ، خِيَارُهُمْ فى الجَاهِلِيَةِ ، خِيَارُهُمْ فى الْإِسْلَامِ إذا فَقُهُوا ، تَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّهُمْ كَرَاهِيَةً لِهَذَا الشَّأْنِ حَتَّى يَقَعَ فِيهِ .

(وعنه) أى عن أبى هريرة (رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : الناس تبع لقريش فى هذا الشأن) الخلافة والإمرة ، لفضلهم على غيرهم . قيل : وهو خبر بمعنى الأمر . ويدل له قوله فى حديث آخر : « قدموا قريشاً ولا تقدموها » أخرجه عبد الرزاق بإسناد صحيح ولكنه مرسل وله شواهد . وقيل : هو خبر على ظاهره ، والمراد بالناس بعض الناس وهم سائر العرب من غير قريش . قال الحافظ ابن حجر فى الفتح : وقد جمعت فى ذلك تأليفاً سميته « لذة العيش بطرق حديث الأئمة من قريش » . انتهى . وذكر مقاصده فى كتاب الأحكام من الفتح مع إيضاح هذه المسألة . قال عياض : استدل الشافعية بهذا الحديث على إمامة الشافعي وتقديمه على غيره ، ولا حجة فيه لأن المراد هنا الخلفاء . وقال القرطبي : صحبت المستدل بهذا غفلة مقارنة لصميم التعليل ، وتعقب بأن مراد المستدل أن القرشية من أسباب الفضل والتقديم ، كما أن من أسباب التقديم الورع مثلا ، فالمستويات فى خصال الفضل إذا تميز أحدهما بالورع مثلا كان مقدماً على رفيقه ، فكذلك القرشية ، فثبت الاستدلال به على تقديم الشافعي ومزيته على من سواه فى العلم والدين لمشاركته له فى الصفتين وتميزه عليه بالقرشية ، وهذا واضح . ولعل الغفلة والعصبية صحبت القرطبي فلله الأمر . كذا فى الفتح (مسلمهم تبع لمسلمهم) فلا يجوز الخروج عليهم (وكافرهم تبع لكافرهم) قال الكرمانى : وهو إخبار عن حالهم فى متقدم الزمان ، يعنى أنهم لم يزالوا متبوعين فى زمان الكفر . زاد فى الفتح : ووقع مصداق ذلك لأن العرب كانت تعظم قريشاً فى الجاهلية لسكناها الحرم ، فلما بعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم ودعا إلى الله توقف غالب العرب عن اتباعه وقالوا : ننظر ما يصنع قومه ، فلما فتح النبى صلى الله

عليه وآله وسلم مكة وأسلمت قريش تبعتهم العرب ودخلوا فى دين الله أفواجاً ، واستمرت خلافة النبوّة فى قريش ، فصدق إن كافرهم كان تبعاً لكافرهم وصار مسلمهم تبعاً لمسلمهم (والناس معادن ، خيارهم فى الجاهلية) أى من اتصف منهم بمحاسن الأخلاق كالكرم والعفة والحلم (خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا تجدون من خير الناس أشدهم) أى أشد الناس (كراهية لهذا الشأن) الولاية لما فيه من صعوبة العمل بالعدل وحمل الناس على رفع الظلم ، ومايترتب عليه من مطالبة الله تعالى للقائم بذلك من حقوقه وحقوق عباده (حتى يقع فيه) فتزول عنه الكراهية لما يرى من إعانة الله له على ذلك لكونه غير راغب ولا سائل ، وحينئذ فيأمن على دينه مما كان يخاف عليه ، أو المراد أنه إذا وقع لاتجوز له الكراهية . قال الحافظ : وقيل معناه أن من لم يكن حريصاً على الإمرة ، غير راغب فيها إذا حصلت له بغير سؤال ، تزول عنه الكراهية فيها لما يرى من إعانة الله له عليها ، فيأمن على دينه ، كما كان يخاف عليه منها قبل أن يقع فيها ، ومن ثم أحب من أحب استمرار الولاية من السلف الصالح حتى قاتل عليها . وصرح بعض من عزل منهم بأنه لم تسره الولاية بل ساءه العزل . وقيل : معنـاه أن العادة جرت بذلك ، وأن من حرص على الشىء ورغب فى طلبه قل أن يحصل له ، ومن أعرض عنه وقلت رغبته فيه يحصل له غالباً . والله أعلم . انتهى . وهذا الحديث أخرجه مسلم فى المغازى والفضائل ، والله أعلم .

الحديث الثالث

عَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّ عَبْدَ ٱللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ ٱلْعَاصِي رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَيَكُونُ مَلِكٌ مِنْ قَحْطَانَ ، فَغَضِبَ مُعَاوِيَةُ فَقَامَ فَأَثْنَى عَلَى ٱللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالاً مِنْكُمْ يَتَحَدَّثُونَ أَحَادِيثَ لَيْسَتْ فِي كِتَابِ ٱللهِ وَلَا تُؤْثَرُ عَنْ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلمَ فَأُولَئِكَ جُهَّالُكُمْ ، فَإِيَّاكُمْ وَالْأَمَانِيَّ الَّتِي تُضِلُّ أَهْلَهَا ، فَإِنِي سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : إِنَّ هٰذَا الْأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ لا يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ إِلاَّ أَكَبَّهُ ٱللهُ عَلَى وَجْهِهِ مَا أَقَامُوا ٱلدِّينَ .

(عن معاوية رضى الله عنه وقد بلغه أن عبد الله بن عمرو بن العاصى رضى الله عنهما يحدث أنه سيكون ملك) قيل : اسمه جهجاه بن قيس الغفارى (من قحطان) هم جماع اليمن (فغضب معاوية) من قوله ذلك (فقام) خطيباً (فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد فإنه بلغنى أن رجالا منكم يتحدثون أحاديث ليست فى كتاب الله ولا تؤثر) تروى (عن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فأولئك جهالكم ، فإياكم والأمانى التى تضل أهلها) بتشديد الياء ، جمع أُمنية ، وهى المتمنيات . وما حكاه العينى من أن الأمانى بمعنى التلاوة ، وقال : كأن المعنى : إياكم وقراءة ما فى الصحف التى تؤثر عن أهل الكتاب . وكان ابن عمرو قد قرأ التوراة ويحكى عن أهلها وإلا فلو حدث عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم ينكر عليه معاوية ، لأنه لم يكن متهماً معارض بما فى البخارى من حديث أبى هريرة مرفوعاً من خروج القحطانى ، لكن سكوت عبد الله بن عمرو يشعر بأنه لم يكن عنده فى ذلك حديث معروف . قال فى الفتح : وفى إنكار معاوية ذلك نظر ، لأن الحديث الذى استدل به مقيد بإقامة الدين ، فيحتمل أن يكون خروج القحطانى إذا لم تقم قريش أمر الدين فيدال عليهم فى آخر الزمان ، وقد وجد ذلك فإن الخلافة لم تزل فى قريش والناس فى طاعتهم ، إلى أن استخفوا بأمر الدين ، فضعف أمرهم فتلاشى إلى أن لم يبق لهم من الخلافة سوى اسمها المجرد فى بعض الأقطار

دون أكثرها . وجاء مصداق قول عبد الله بن عمرو فى حديث أبى هريرة عند البخارى ولفظه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى يخرج رجـل من قحطان يسوق الناس بعصاه . وقول ابن عمرو : يكون ملك من قحطان ، بين نعيم بن حماد فى كتاب الفتن من وجه قوى عن عمرو ابن عقبة بن أوس عن ابن عمرو أنه ذكر الخلفاء ، ثم قال : ورجل من قحطان . وأخرجه بإسناد جيد أيضاً من حديث ابن عباس قال فيه : ورجل من قحطان كلهم صالح . وروى أحمد والطبرانى من حديث ذى مخير الحبشى مرفوعاً : كان الملك قبل قريش فى حمير وسيعود إليهم . وقال ابن التين : إنكار معاوية على ابن عمرو لأنه حمل على ظاهر الخبر ، وقد يخرج القحطانى فى ناحيته لا أن حكمه يشمل الأقطار . وهذا الذى قال بعيد من ظاهر الخبر (فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يقول إن هذا الأمر) أى الخلافة (فى قريش) يستحقونها دون غيرهم (لايعاديهم أحد) فى ذلك (إلا كبه الله على وجهه) وفى نسخة : أكبه بالهمزة ، وهذا الفعل من النوادر ، فإن ثلاثيه متعد ، فإذا دخلت عليه الهمزة صار لازماً على عكس المعهود فى الأصل (ما أقاموا) أى مدة إقامتهم (الدين) أو إنهم إذا لم يقيموا الدين لا يسمع لهم . قال القسطلانى : واستحقاق قريش الخلافة لا يمنع وجودها فى غيرهم ، فحديث عبد الله فى خروج القحطانى حكاية عن الواقع ، وحديث معاوية فى الاستحقاق مقيد بإقامة الدين ، وقول الكرمانى : فإن قلت : فما قولك فى زماننا حيث ليس الحكومة لقريش ؟ قلت : فى بلاد المغرب الخـلافة فيهم ، وكذا فى مصر خليفة ، اعترضه العينى بأنه لم يكن فى المغرب خليفة ، وليس فى مصر إلا الاسم ، وليس له حل ولا ربط ، ثم قال : ولئن سلمنا صحة ما قاله فيلزم منه تعداد الخلافة ، ولا يجوز إلا خليفة واحد ، لأن الشارع أمر ببيعة الإمام والوفاء ببيعته ، ثم من نازعه يضرب عنقه . قال الحافظ : وحينئذ هو خبر بمعنى الأمر ، وإلا فقد خرج هذا الأمر عن قريش فى أكثر الأرض ، ويحتمل حمله على ظاهره ، وأن المتغلبين على النظر فى أمر الرعية فى معظم الأقطار وإن كانوا من غير قريش لكنهم معترفون بأن الخلافة فى قريش ، ويكون المراد بالأمر مجرد التسمية بالخلافة لا الاستقلال بالحكم ، والأول أظهر . انتهى . وهذا الحديث أخرجه البخارى أيضاً فى الأحكام ، والنسائى فى التفسير .

الحديث الرابع

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم: قُرَيْشٌ وَالْأَنْصارُ وَجُهَيْنَةُ وَمُزَيْنَةُ وَأَسْلَمُ وَأَشْجَعُ وَغِفارُ مَوالِيَّ ، لَيْسَ لَهُمْ مَوْلًى دُونَ ٱللهِ وَرَسُولِهِ .

(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : قريش) بنو النضر بن كنانة ، وبذلك جزم أبو عبيدة أو فهر بن مالك بن النضر ، وهـذا قول الأكثر ، وبه جزم مصعب ، قال : ومن لم يلده فهر فليس قرشياً . وفي الفتح تفصيل لذلك فراجعه (والأنصار) الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة الأزدي ، وليسوا من قريش في شيء ، وأصلهم من اليمن من قبيلة الأزد ويقال لها الأسد (وجهينة) بن زفر بن ليث بن سويد (ومزينة) قبيلة من مضر (وأسلم) بلفظ أفعل التفضيل : قبيلة أيضاً (وأشجع) قبيلة من غطفان (وغفار) بكسر الغين من كنانة (موالِيّ) بفتح الميم وتشديد التحتية ، أي أنصاري المختصون بي ، وهو خبر المبتدأ الذي هو قريش ، وما بعده عطف عليه (ليس لهم مولى) متكفل بمصالحهم متول لأمورهم (دون الله) أي غير الله (ورسوله) صلى الله عليه وآله وسلم .

الحديث الخامس

عَن ٱبْن عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ: لا يَزَالُ هذَا الْأَمْرُ فى قُرَيْشٍ مابَقِيَ مِنْهُمُ ٱثْنَانِ .

(عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : لا يزال هذا الأمر) أى الخلافة (فى قريش) يستحقونها (ما بقى منهم اثنان) ولمسلم : ما بقى فى الناس اثنان . قال النووى : فيه دليل على أن الخلافة مختصة بقريش لا يجوز عقدها لغيرهم ، وعلى هذا انعقد الإجماع فى زمان الصحابة ومن بعدهم ، ومن خالف فيه من أهل البدع فهو محجوج بإجماع الصحابة . وقد بين صلى الله عليه وآله وسلم أن الحكم مستمر إلى آخر الزمان ما بقى من الناس اثنان . وقد ظهر ما قاله صلى الله عليه وآله وسلم من زمنه وإلى الآن ، وإن كان المتغلبون من غير قريش ملكوا البلاد وقهروا العباد ، لكنهم معترفون بأن الخلافة فى قريش ، فاسم الخلافة باق فيهم ، فالمراد من الحديث مجرد التسمية بالخلافة ، لا الاستقلال بالحكم ، أو أن قوله « لايزال » إلى آخره ، خبر بمعنى الأمر ، وإلا فقد خرج هذا الأمر عن قريش فى أكثر البلاد . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى الأحكام ، ومسلم فى المغازى .

الحديث السادس

عَنْ جُبَيْرِ بْن مُطْعِمٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : مَشَيْتُ أَنَا وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، فَقَالَ : يَارَسُولَ ٱللهِ أَعْطَيْتَ بَنِي المُطَّلِبِ وَتَرَكْتَنَا وَإِنَّمَا نَحْنُ وَهُمْ مِنْكَ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ . فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : إِنَّمَا بَنُو هاشِمٍ وَبَنُو المُطَّلِبِ شَيْءٌ وَاحِدٌ .

(عن جبير بن مطعم) النوفلي (رضى الله عنه قال : مشيت أنا وعثمان بن عفان) وهو من بني عبد شمس (فقال) أي عثمان (يا رسول الله أعطيت بني المطلب وتركتنا) من العطاء (وإنما نحن وهم منك بمنزلة واحدة) في الانتساب إلى عبد مناف ، لأن عبد شمس ونوفلا وهاشماً والمطلب بنوه (فقال النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم : إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد) .

الحديث السابع

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ٱدَّعى لِغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ كَفَرَ ، وَمَنِ ٱدَّعى قَوْماً لَيْسَ لَهُ فِيهِمْ نَسَبٌ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ .

(عن أبى ذر رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم يقول : ليس من رجل) والتعبير بالرجل للغالب وإلا فالمرأة كذلك حكمها (ادعى لغير أبيه) أى انتسب له واتخذه أباً (وهو) والحال أنه (يعلمه) غير أبيه (إلا كفر) أى النعمة . ولأبى ذر : إلا كفر بالله . وليست هذه الزيادة فى غير روايته ولا فى رواية مسلم ولا الإسماعيلى ، فحذفها أوجه لما لا يخفى ، وعلى ثبوتها فهى مؤولة بالمستحيل لذلك مع علمه بالتحريم ، أو ورد على سبيل التغليظ لزجر فاعله ، أو المراد بإطلاق الكفر أن فاعله فعل فعلاً شبيهاً بفعل أهل الكفر (ومن ادعى قوماً) أى انتسب إلى قوم (ليس له فيهم نسب) قرابة أو نحوها (فليتبوأ مقعده) أى ليتخذ منزلا (من النار) خبر بلفظ الأمر ، أى هذا جزاؤه ، وقد يعفى عنه أو يتوب فيسقط عنه أو دعاء ، وقيد بالعلم لأن الإثم إنما يترتب على العالم بالشىء المتعمد له ، فلا بد منه فى الحالتين إثباتاً ونفياً . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى الأدب ، ومسلم فى الإيمان . وفى الحديث تحريم الانتفاء من النسب المعروف والادعاء إلى غيره . وفيه جواز إطلاق الكفر على المعاصى لقصد الزجر كما قرره الحافظ . ويؤخذ من رواية مسلم تحريم الدعوى بشىء ليس هو للمدعى ، فتدخل فيه الدعاوى الباطلة كلها مالا وعلماً وتعليماً ونسباً وحالا وصلاحاً ونعمة وولاء وغير ذلك ، ويزداد التحريم بزيادة المفسدة المترتبة على ذلك . واستدل به ابن دقيق العيد للمالكية فى تصحيحهم الدعوى على الغائب بغير مسخر لدخول المسخر فى دعوى ماليس له وهو يعلم أنه ليس له ، والقاضى الذى يقيمه أيضاً يعلم أن دعواه باطلة ، قال : وليس هذا القانون منصوصاً فى الشرع حتى يخص به عموم هذا الوعيد ، وإنما المقصود إيصال الحق لمستحقه ، فترك مراعاة هذا القدر وتحصيل المقصود من إيصال الحق لمستحقه أولى من الدخول تحت هذا الوعيد العظيم . انتهى ما فى الفتح .

الحديث الثامن

عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : إنَّ مِنْ أَعْظَمِ الفِرَا أَنْ يَدَّعِيَ الرَّجُلُ إلَى غَيْرِ أَبِيهِ أَوْ يُرِىَ عَيْنَهُ ما لَمْ تَرَهُ ، أَوْ يَقُولَ على رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم ما لَمْ يَقُلْ .

(عن واثلة بن الأسقع) بن كعب الليثى (رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : إن من أعظم الفرا) بكسر الفاء وفتح الراء مقصوراً ويمد ، جمع فرية : أى من أعظم الكذب والبهت (أن يدعى الرجل) ينتسب (إلى غير أبيه أو يرى عينه ما لم تره) كأن يقول : رأيت فى منامى كذا وكذا ولا يكون قد رآه ، يتعمد الكذب ، وإنما زيد التشديد فى هذا على الكذب فى اليقظة . قال فى المصابيح كالطيبى : لأنه فى الحقيقة كذب عليه تعالى ، فإنه الذى يرسل ملك الرؤيا ليريه المنام . وقال فى الكواكب : لأن الرؤيا جزء من النبوّة ، والنبوّة لا تكون إلا وحياً ، والكاذب فى الرؤيا يدعى أن الله أراه ما لم يره وأعطاه جزءاً من النبوّة لم يعطه ، والكاذب على الله أعظم فرية ممن يكذب على غيره (أو يقول) وفى رواية : تقول ، أى افترى (على رسول الله صلى الله عليه) وآله و (سلم ما لم يقل) وقد يكون فى كذبه نسبة شرع إليه صلى الله عليه وآله وسلم ، والشرع غالباً إنما هو على لسان الملك ، فيكون الكاذب فى ذلك كاذباً على الله وعلى الملك . قال فى الفتح : وفى الحديث تشديد الكذب فى هذه الأمور الثلاثة ، والحكمة فى التشديد فى الكذب على النبى صلى الله عليه وآله وسلم واضحة ، فإنه إنما يخبر عن الله عز وجل . وقد اشتد النكير على من كذب على الله تعالى فى قوله تعالى : « فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته » . فسوّى بين من كذب على الله وبين الكافر ، وقال : « ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودّة » . والآيات فى ذلك متعددة . وقد تمسك بعض أهل الجهل . بقول الله تعالى : « فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم » . وجاء فى بعض طرق الحديث : من كذب علىّ . انتهى . وهذا الحديث من عوالى البخارى وإفراده ، وفيه رواية القرين عن القرين .

الحديث التاسع

عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ عَلَى الْمِنْبَرِ : غِفَارُ غَفَرَ ٱللَّهُ لَهَا ، وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا ٱللَّهُ ، وَعُصَيَّةُ عَصَتِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ .

(عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم قال على المنبر : غفار) غير مصروف باعتبار القبيلة (غفر الله لها) ذنب سرقة الحاج فى الجاهلية ، وفيه إشعار بأن ما سلف منها مغفور . قال فى الفتح : هو لفظ خبر يراد به الدعاء ، ويحتمل أن يكون خبراً على بابه ، ويؤيده قوله فى آخره : وعصية عصت الله ورسوله (وأسلم سالمها الله) عز وجل بفتح اللام ، من المسالمة وترك الحرب (وعصية) بضم العين ، وهم بطن من بنى سليم ينتسبون إلى عصية مصغراً (عصت الله ورسوله) بقتلها القراء ببئر معونة ، وهذا إخبار ولا يجوز حمله على الدعاء . نعم فيه إشعار بإظهار الشكاية منهم ، وهى تستلزم الدعاء عليهم بالخذلان لا بالعصيان . وانظر ما أحسن هذا الجناس فى قوله : « غفار غفر الله لها » إلى آخر الحديث . وألذه على السمع وأعلقه بالقلب وأبعده عن التكلف ، وهو من الاتفاقات اللطيفة ، وكيف لا يكون كذلك ومصدره عمن لا ينطق عن الهوى ، ففصاحة لسانه صلى الله عليه وآله وسلم غاية لا يدرك مداها ولا يدانى منتهاها . وهذا الحديث أخرجه مسلم فى الفضائل .

الحديث العاشر

عَنْ أَبِى بَكْرَةَ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّ الْأَقْرَعَ بْنَ حابِسٍ قالَ لِلنَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم : إِنَّمَا تَابَعَكَ سُرَّاقُ الحَجِيجِ مِنْ أَسْلَمَ وَغِفارَ وَمُزَيْنَةَ وَأَحْسِبُهُ وَجُهَيْنَةَ . قالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم : أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ أَسْلَمُ وَغِفَارُ وَمُزَيْنَةُ وَجُهَيْنَةُ خَيْراً مِنْ بَنِى تَمِيمٍ وَمِنْ بَنِى عامِرٍ وَأَسَدٍ وَغَطَفَانَ خابُوا وَخَسِرُوا . قالَ : نَعَمْ . قالَ : وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنَّهُمْ لَخَيْرٌ مِنْهُمْ .

(عن أبى بكرة) نفيع (رضى الله عنه أن الأقرع بن حابس) التميمى (قال للنبى صلى الله عليه) وآله (وسلم : إنما تابعك سراق الحجيج) وفى رواية : بايعك (من أسلم وغفار ومزينة وأحسبه وجهينة ، قال النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم) للأقرع (أرأيت إن كان أسلم وغفار ومزينة وجهينة خيراً من بنى تميم ومن بنى عامر وأسد وغطفان خابوا أو خسروا) من الخيبة والخسران (قال) الأقرع (نعم) خابوا وخسروا (قال) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (والذى نفسى بيده إنهم) أى أسلم وغفار ومزينة وجهينة (لخير منهم) وفى رواية : لأخير . وفى رواية الترمذى : لخير ، وإنما كانوا خيراً منهم لأنهم سبقوهم إلى الإسلام ، والمراد الأكثر الأغلب .

الحديث الحادى عشر

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : أَسْلَمُ وَغِفَارُ وَشَىْءٌ مِنْ مُزَيْنة وَجُهَيْنَةَ ، أَوْ قالَ شَىْءٌ مِنْ جُهَيْنَةَ أَوْ مُزَيْنَةَ ، خَيْرٌ عِنْدَ ٱللهِ ، أَوْ قالَ يَوْمَ الْقِيامَةِ ، مِنْ أَسَدٍ وَتَمِيمٍ وَهَوَازِنَ وَغَطَفَانَ .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أسلم وغفار وشىء) أى بعض (من مزينة وجهينة ، أو قال شىء من جهينة أو مزينة) ، شك من الراوى ، جمع بينهما أو اقتصر على أحدهما ، وفى قوله « شىء » تقييد لما أطلق فى حديث أبى بكرة السابق (خير عند الله ، أو قال يوم القيامة) بالشك أيضاً وهو أيضاً تقييد لما أطلق فى الحديث السابق ، لأن ظهور الخيرية إنما يكون فى ذلك الوقت (من أسد وتميم وهوازن وغطفان) .

الحديث الثانى عشر

وَعَنْهُ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ .

(وعنه) أى عن أبى هريرة (رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان) قال فى الفتح : لم أقف على اسمه ، وجوّز القرطبى أنه جهجاه المذكور فى مسلم (يسوق الناس بعصاه) كالراعى الذى يسوق غنمه ، كناية عن الملك ، وخروجه يكون بعد المهدى ويسير على سيرته . رواه أبو نعيم بن حماد فى الفتن . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى الفتن قال فى الفتح : وهذا الحديث يدخل فى علامات النبوة من جملة ما أخبر به صلى الله عليه وآله وسلم قبل وقوعه ، ولم يقع بعد .

الحديث الثالث عشر

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا وَكانَ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَّابٌ ، فَكَسَعَ أَنْصارِيًا ، فَغَضِبَ الْأَنْصارِيُّ غَضباً شَدِيداً حَتَّى تَداعَوْا ، وَقالَ الْأَنْصارِيُّ: يَا لَلْأَنْصارِ ، وَقالَ المُهاجِرِيُّ : يَا لَلْمُهَاجِرِينَ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : ما بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ ، ثُمَّ قالَ : ما شَأْنُهُمْ ؟ فَأُخْبِرَ بِكَسْعَةِ المُهَاجِرِيِّ الْأَنْصارِيَّ . قالَ : فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ . وَقالَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ أُبَيٍّ ٱبْنُ سَلُول : أَقَدْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا ، لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ . فَقَالَ عُمَرُ : أَلَا نَقْتُلُ يَا نَبِيَّ ٱللهِ هذَا الخَبِيثَ لِعَبْدِ اللهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ .

(عن جابر رضى الله عنه قال : غزونا مع النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم) غزوة المريسيع سنة ست (وقد ثاب) اجتمع أو رجع (معه ناس من المهاجرين حتى كثروا وكان من المهاجرين رجل) هو جهجاه بن قيس الغفارى (لعاب) أى مزاح بصيغة المبالغة من اللعب ، وقيل : كان يلعب بالحراب كالحبشة ، وكان أجير عمر بن الخطاب (فكسع) ضرب (أنصارياً) هو سنان بن وبرة حليف بنى سالم الخزرجى على دبره (فغضب الأنصارى غضباً شديداً حتى تداعوا) أى استغاثوا بالقبائل يستنصرون بهم على عادة الجاهلية (وقال الأنصارى : يا للأنصار ، وقال المهاجرى : يا للمهاجرين ، فخرج النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم) عليهم (فقال : ما بال دعوى أهل الجاهلية ، ثم قال : ما شأنهم ، فأخبر بكسعة المهاجرى الأنصارى ، قال) جابر (فقال النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم : دعوها) يعنى دعوة الجاهلية ، وقيل الكسعة ، والأول هو المعتمد (فإنها خبيثة) قبيحة منكرة مؤذية لأنها

تؤدى إلى الغضب والتقاتل فى غير الحق وتؤول إلى النار(وقال عبد الله ابن أُبى ابن سلول) وسلول أُمه رأس المنافقين (أقد) بهمزة الاستفهام (تداعوا علينا) أى استغاث المهاجرون علينا (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعز) يريد نفسه (منها الأذل) يريد النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه (فقال عمر) رضى الله عنه (ألا تقتل) فى رواية بالنون (يا رسول الله هذا الخبيث لعبد الله) بن أُبى (فقال النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم : لا) تقتل (يتحدث الناس أنه) يريد نفسه الشريفة (كان يقتل أصحابه) إذ فى ذلك كما قال أبو سليمان تنفير الناس عن الدخول فى الدين بأن يقولوا لإخوانهم ما يؤمنكم إذا دخلتم فى دينه أن يدعى عليكم كفر الباطن ، فيستبيح بذلك دماءكم وأموالكم . وهذا الحديث من إفراد البخارى .

قصة خزاعة

الحديث الأول

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ : عَمْرُو بْنُ لُحَىٍّ بْن قَمْعَةَ بْن خِنْدَفَ أَبُو خُزَاعَةَ .

---

* قصة خـزاعة *

بضم الخاء المعجمة . قال فى الفتح : واختلف فى نسبهم مع الاتفاق على أنهم من ولد عمرو بن لحى . قال ابن الكلبى : لما تفرق أهل سبأ بسبب سيل العرم نزل بنو مازن على ماء يقال له غسان ، فمن أقام به منهم فهو غسانى ، وانخزعت منهم بنو عمرو بن لحى عن قومهم ، فنزلوا مكة وما حولها ، فسموا خزاعة ، وتفرق سائر الأزد . وفى ذلك يقول حسان :

ولما نزلنا بطن مرّ تخزعت   خـزاعة منا فى جموع كراكر

(عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : عمرو بن لحى) بفتح العين ، ولحى مصغر اسمه ربيعة (بن قمعة) بفتح القاف وسكون الميم وبفتحها للأكثر ، وعن ابن ماهان بكسر القاف وتشديد الميم وكسرها (ابن خندف) بكسر الخاء غير مصروف لأنها أُم القبيلة وهى ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، ولقبت بخندف لأن زوجها الياس بن مضر والد قمعة لما مات حزنت عليه خزناً شديداً بحيث هجرت أهلها ودارها وساحت فى الأرض حتى ماتت ، فكان من رأى أولادها الصغار يقول : من هؤلاء ؟ فيقال : بنو خندف ، إشارة إلى أنهم ضيعتهم ، واشتهر بنوها بالنسب إليها دون أبيهم (أبو خزاعة) وهذا يؤيد قول من قال : إن خزاعة من مضر ، وقيل : إن خزاعة من اليمن ، وجمع بعضهم بين القولين فقال : هو من مضر بالولادة ، ومن اليمن بالتبنى .

السؤال الثانى

وَعَنْهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عامِرٍ الخُزَاعِيِّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فى النَّارِ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ .

(وعنه) أى عن أبى هريرة (رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم : رأيت عمرو بن عامر الخزاعى) وهذا مغاير لما سبق من نسب عمرو بن لحى إلى مضر ، فإن عامراً هو ابن ماء السماء بن سبأ وهو جد عمرو بن لحى عند من ينسبه إلى اليمن ، ويحتمل أن يكون نسب إليه بطريق التبنى كما سبق (يجر قصبه) بضم القاف وسكون الصاد : أمعاءه (فى النار وكان) أى عمرو (أول من سيب السوائب) أى أول من ابتدع هذا الرأى الخبيث وجعله ديناً ، وأورده ابن إسحق فى السيرة الكبرى عن أبى صالح بأتم من هذا ولفظه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لأكثم ابن الجون : رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه فى النار ، لأنه أول من غير دين إسماعيل ، فنصب الأوثان وسيب السوائب وبحر البحيرة ووصل الوصيلة وحمى الحامى .

قصة اسلام أبى ذر رضى الله عنه وقصة زمزم

الحديث الأول

عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قالَ : قالَ أَبُو ذَرٍّ : كُنْتُ رَجُلاً مِنْ غِفَارَ فَبَلَغَنَا أَنَّ رَجُلاً قَدْ خَرَجَ بِمَكَّةَ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، فَقُلْتُ لِأَخِي : انْطَلِقْ إِلَى هذَا الرَّجُلِ كَلِّمْهُ ، وَٱئْتِنِي بِخَبَرِهِ ، فَانْطَلَقَ فَلَقِيَهُ ثُمَّ رَجَعَ ، فَقُلتُ : مَا عِنْدَكَ ؟ فَقَالَ : وَٱللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً يَأْمُرُ بِالْخَيْرِ ، وَيَنْهَى عَنِ الشَّرِّ ، فَقُلْتُ لَهُ : لَمْ تَشْفِنِى مِنَ الْخَبَرِ ، فَأَخَذْتُ جِرَاباً وَعَصاً ثُمَّ أَقْبَلْتُ إِلَى مَكَّةَ ، فَجَعَلْتُ لا أَعْرِفُهُ وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْأَلَ عَنْهُ ، وَأَشْرَبُ مِنْ ماءِ زَمْزَمَ وَأَكُونُ فى المَسْجِدِ ، قالَ : فَمَرَّ بى عَلِيٌّ ، فَقَالَ : كَأَنَّ الرَّجُلَ غَرِيبٌ ؟ قالَ قُلْتُ : نعَمْ ، قالَ : فَانْطَلِقْ إِلَى المَنْزِلِ ، قالَ : فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ لا يَسْأَلُنِى عَنْ شَيْءٍ وَلَا أُخْبِرُهُ ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوتُ إِلى المَسْجِدِ لِأَسْأَلَ عَنْهُ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُخبِرُنى عَنْهُ بشَىءٍ ، قالَ : فَمَرَّ بى عَلِيٌّ ، فقَالَ : أَما نَالَ لِلرَّجُلِ يَعْرِفُ مَنْزِلَهُ بَعْدُ ؟ قالَ : قُلْتُ لَا ، قالَ : انْطَلِقْ مَعِى ، قالَ : فَقَالَ ما أَمْرُكَ وَما أَقْدَمَكَ هذِهِ الْبَلْدَةَ ؟ قالَ: فَقُلْت لَهُ : إِنْ كَتَمْتَ عَلَيَّ أَخْبَرْتُكَ ، قالَ : فَإِنِّى أَفْعَلُ ، قالَ : قُلْتُ لَهُ : بَلَغَنَا أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ هاهُنَا رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، فَأَرْسَلْتُ أَخِي لِيُكَلِّمَهُ ، فَرَجَعَ وَلَمْ يَشْفِنِى مِنَ الخَبَرِ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَلْقَاهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَما إِنَّكَ قَدْ رُشِدْتَ هذَا وَجْهِى إِلَيْهِ فَاتَّبِعْنى ، ٱدْخُلْ حَيْثُ أَدْخُلُ فَإِنِّى إِنْ رَأَيْتُ أَحَداً أَخافُهُ عَلَيْكَ ، قُمْتُ إِلَى الحَائطِ كَأَنِّى أُصْلِحُ نَعْلِي وَٱمْضِ أَنْتَ ، فَمَضَى وَمَضَيْتُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ وَدَخَلْتُ مَعَهُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم. فَقُلْتُ لَهُ : أَعْرِضْ عَلَيَّ الإِسْلَامَ ، فَعَرَضَهُ ، فَأَسْلَمْتُ مَكَانى ، فَقَالَ لِي:

يَا أَبَا ذَرٍّ اكْتُمْ هذَا الْأَمْرَ وَارْجِعْ إِلَى بَلَدِكَ ، فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورُنَا فَأَقْبِلْ ، فَقُلْتُ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ ، فَجَاءَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَقُرَيْشٌ فِيهِ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَقَالُوا : قُومُوا إِلَى إِلى هذَا الصَّابِىءِ ، فَقَامُوا ، فَضُرِبْتُ لِأَمُوتَ ، فَأَدْرَكَنِي الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ : وَيْلَكُمْ ، تَقْتُلُونَ رَجُلاً مِنْ غِفَارَ وَمَتْجَرُكُمْ وَمَمَرُّكُمْ عَلَى غِفَارَ ، فَأَقْلَعُوا عَنِّي ، فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحْتُ الْغَدَ رَجَعْتُ فَقُلْتُ مِثْلَ ما قُلْتُ بِالْأَمْسِ ، فَقالُوا : قُومُوا إِلَى هذَا الصَّابِىءِ ، فَصُنِعَ مِثْلُ ما صُنِعَ بِالْأَمْسِ ، وَأَدْرَكَنِي الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ ، وَقالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ بِالْأَمْسِ ، قالَ : فَكانَ هذَا أَوَّلَ إِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ رَحِمَهُ اللهُ .

---

* (قصة إسلام أبى ذر رضى الله عنه وقصة زمزم) *

كذا فى النسخ التى بيدى من المتن ، وفى الغزى : قصة زمزم ، قال ، ولأبى ذر : قصة إسلام أبى ذر ، وعند العينى : باب قصة زمزم ، وفيه إسلام أبى ذر ، وفى القسطلانى : باب قصة زمزم وجهل العرب ، وكذا لأبى ذر ولغيره : باب جهل العرب ، وهو أولى ، إذ لم يجر فى حديث الباب لزمزم ذكر ، والله أعلم .

(عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال أبو ذر : كنت رجلا من غفار فبلغنا أن رجلا قد خرج بمكة يزعم أنه نبى ، فقلت لأخى : انطلق إلى هذا الرجل كلمه واتنى بخبره ، فانطلق فلقيه ، ثم رجع ، فقلت : ما عندك ؟ فقال : والله لقد رأيت رجلا يأمر بالخير وينهى عن الشر ، فقلت له : لم تشفنى من الخبر ، فأخذت جراباً وعصاً ثم أقبلت إلى مكة ، فجعلت لا أعرفه وأكره أن أسأل عنه وأشرب من ماء زمزم وأكون فى المسجد ، قال : فمر بى علىّ فقال : كأن الرجل غريب ، قال : قلت نعم ، قال : فانطلق إلى المنزل ، قال : فانطلقت معه لا يسألنى عن شىء ولا أخبره ، فلما أصبحت

غدوت إلى المسجد لأسأل عنه ، وليس أحد يخبرنى عنه بشيء ، قال : فمر بى على فقال : أما نال) أى أما آن (للرجل يعرف منزله بعد) أى أما جاء الوقت الذى يعرف الرجل فيـــه منزله بأن يكون له منزل معين يسكنه ، أو أراد — وهو الظاهر اللائق بكرم الإمام عليّ — دعوته إلى بيته للضيافة ، وتكون إضافة المنزل إليه على عادة الكرماء يقولون للضيف : أنت رب المنزل ونحن الضيوف عندك ، ونحو ذلك مما هو معروف لمن خالطهم (قال : قلت لا ، قال : انطلق معى ، قال : فقال ما أمرك وما أقدمك هذه البلدة ؟ قال فقلت له : إن كتمت على أخبرتك ، قال : فإنى أفعل) ما ذكرته (قال قلت له : بلغنا أنه قد خرج ها هنا رجل يزعم أنه نبى فأرسلت أخى ليكلمه فرجع ولم يشفنى من الخبر فأردت أن ألقاه ، فقال له : أما إنك قد رشدت) بضم الراء وكسر المعجمة ، والذى فى اليونينية فتح الراء ، ولأبى ذر : رشدت بفتحهما (هذا وجهى) أى توجهى (إليه فاتبعنى أدخل) بضم الهمزة مجزوم بالأمر (حيث أدخل فإنى إن رأيت أحداً أخافه عليك قمت إلى الحائط كأنى أصلح نعلى وامض أنت ، فمضى ومضيت معـه حتى دخل ودخلت معه على النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فقلت له : أعرض عليّ الإسلام ، فعرضه ، فأسلمت مكانى ، فقال لى : يا أبا ذر اكتم هذا الأمر وارجع إلى بلدك فإذا بلغك ظهورنا فأقبل ، فقلت : والذى بعثك بالحق لأصرخن بها بين أظهرهم ، فجاء إلى المسجد وقريش فيه ، فقال : يا معشر قريش إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فقالوا : قوموا إلى هذا الصابئ ، فقاموا ، فضربت لأموت ، فأدركنى العباس فأكبّ عليّ ، ثم أقبل عليهم فقال : ويلكم تقتلون رجلا من غفار ومتجركم وممركم على غفار ، فأقلعوا عنى ، فلما أن أصبحت الغد رجعت فقلت مثل ما قلت بالأمس فقالوا : قوموا إلى هذا الصابئ ، فصنع مثل ما صنع بالأمس ، وأدركنى العباس فأكبّ عليّ وقال مثل مقالته بالأمس ، قال : فكان هذا أول إسلام أبى ذر رضى الله تعالى عنه) .

الحديث الثانى

وَعَنْهُ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُ قالَ : لَمَّا نَزَلَتْ : « وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ » جَعَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَدْعُوهُمْ قَبَائِلَ قَبَائِلَ يُنَادِي: يَا بَنِي فِهْرٍ ، يَابَنِي عَدِيٍّ بِبُطُونِ قُرَيْشٍ .

(وعنه) أى عن ابن عباس (رضى الله عنه قال : لما نزلت : « وأنذر عشيرتك الأقربين » جعل النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم يدعوهم) أى عشيرته (قبائل قبائل) يا بنى فلان ، يابنىفلان ، كل قبيلة بما تعرف به (ينادى : يا بنى فهر) بكسر الفاء ابن مالك بن النضر (يابنى عدى) بفتح العين وكسر الدال ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر (ببطون قريش) ولأبى ذر : لبطون باللام ، ونداؤه للقبائل من قريش قبل عشيرته الأدنين ليتكرر إنذار عشيرته ولدخول قريش كلها فى أقاربه ، ولأن إنذار العشيرة يقع بالطبع وإنذار غيرهم يكون بطريق الأولى . وأوضح من هذا حديث أبى هريرة حيث ناداهم طبقة بعد طبقة ، إلى أن انتهى إلى عمته صفية بنت عبد المطلب ، وهى أم الزبير بن العوام ، وإلى ابنته فاطمة عليها السلام . وهذه القصة إن كانت وقعت فى صدر الإسلام بمكة فلم يدركها ابن عباس لأنه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، ولا أبو هريرة لأنه إنما أسلم بالمدينة . وفى نداء فاطمة يؤمئذ أيضاً ما يقتضى تأخر القصة لأنها حينئذ كانت صغيرة أو مراهقة ، وإن كان أبو هريرة حضرها فلا يناسب الترجمة ، لأنه إنما أسلم بعد الهجرة بمدة ، والذى يظهر أن ذلك وقع مرتين : مرة فى صدر الإسلام ومره بعده . ورواية ابن عباس وأبى هريرة لها من مرسل الصحابة ، وبذلك جزم الإسماعيلى .

الحديث الثالث

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالَتْ : اسْتَأْذَنَ حَسَّانُ النَّبىَّ صلى الله عليه وسلم فى هِجَاءِ المُشْرِكِينَ ، قالَ : كَيْفَ بِنَسَبِى ؟ قالَ حَسَّانُ : لَأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كما تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ .

(عن عائشة رضى الله عنها قالت : استأذن حسان) بن ثابت الشاعر الأنصارى الخزرجى (النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم فى هجاء المشركين ، قال : كيف بنسبي) أى كيف تهجوهم ونسبي مجتمع بهم (فقال حسان : لأسلنك) لأخلصن نسبك (منهم) من نسبهم بحيث يختص الهجو بهم دونك (كما تسل الشعرة) مبنياً للمفعول (من العجين) لأن الشعرة إذا سلت منه لا يعلق بها منه شيء لنعومتها ، وفى هذا إشارة إلى أن معظم طريق الهجو الغض من الآباء . قال فى الفتح : وسبب هذا الاستئذان مبين عند مسلم من طريق أبى سلمة عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اهجوا المشركين فإنه أشد عليهم من رشق النبل ، فأرسل إلى ابن رواحة فقال : اهجهم ، فهجاهم ، فلم يرض ، فأرسل إلى كعب بن مالك ثم أرسل إلى حسان قال : قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه ، ثم أدلع لسانه فجعل يحركه ، ثم قال : والذى بعثك بالحق لأفرينهم بلسانى فرى الأديم ، قال : لا تعجل . وروى أحمد من حديث كعب بن مالك قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اهجوا المشركين بالشعر فإن المؤمن يجاهد بنفسه وماله ، والذى نفس محمد بيده كأنما تنضحونهم بالنبل . وروى أحمد والبزار من حديث عمار بن ياسر قال : هجانا المشركون قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قولوا لهم كما يقولون لكم .

الحديث الرابع

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ : أَنا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ ، وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحو ٱللهُ بِي الْكُفْرَ ، وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ .

(عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : لى خمسة أسماء) أختص بها لم يسم بها أحد قبلى ، أو خمسة أسماء مشهورة عند الأمم السابقة أو معظمة (أنا محمد) اسم مفعول منقول من الصفة على سبيل التفاؤل إنه سيكثر حمده ، إذ المحمد فى اللغة هو الذى يحمد حمداً بعد حمد ولا يكون مفعل مثل ممدح ، إلا لمن تكرر منه الفعل مرة بعد أخرى ، وهذا الاسم قد تكرر فى القرآن الكريم (وأحمد) منقول من الصفة التى معناها التفضيل ، ومعناه أنه أحمد الحامدين لربه ، وهى صيغة تنبئ عن الانتهاء إلى غاية ليس وراءها منتهى ، والاسمان اشتقا من أخلاقه المحمودة التى لأجلها استحق أن يسمى بهما . قال الأعشى يمدح بعضهم :

إليك أبيت اللعن كأن وجيفها   إلى الماجد والقرم الجواد المحمد

أى الذى تكاملت فيه الخصال المحمودة ، أو هو من اسمه تعالى المحمود ، كما قال حسان :

وشق له من اسمه ليجله   فذو العرش محمود وهذا محمد

وهل سمى بأحمد قبل محمد أو بمحمد قبل أحمد قال عياض بالأول ، لأن أحمد وقع فى الكتب السابقة ومحمد فى القرآن ، وذلك أنه حمد ربه قبل أن يحمده الناس . وإليه ذهب السهيلى وغيره ، وقال بالثانى الحافظ ابن القيم . وقد خص بسورة الحمد ولواء الحمد وبالمقام المحمود ، وشرع له الحمد بعد الأكل والشرب ، وبعد الدعاء ، وبعد القدوم من السفر ، وسميت أمته الحمادين ، فجمعت له معانى الحمد وأنواعه . وفى الصحيح : إنه يفتح عليه فى المقام المحمود بمحامد لم يفتح بها على أحد قبله . قال عياض : حمى الله هذه الأسماء

أن يسمى بها أحد قبله ، وإنما سمى بعض العرب محمداً قرب ميلاده لما سمعوا من الكهان والأحبار أن نبياً سيبعث فى ذلك الزمان يسمى محمداً ، فرجوا أن يكونوا هم ، فسموا أبناءهم بذلك . قال : وهم ستة لا سابع لهم . وقال السهيلى فى الروض : لا يعرف فى العرب من سمى محمداً قبل النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلا ثلاثة : محمد بن سفيان بن مجاشع ، ومحمد بن أحيحة بن الجلاح ومحمد بن حمران بن ربيعة . وسبق السهيلى إلى هذا القول أبو عبد الله بن خالويه فى كتاب ليس وهو حصر مردود . قال فى الفتح : وقد جمعت أسماء من سمى بذلك فى جزء مفرد فبلغوا نحو العشرين ، لكن مع تكرر فى بعضهم ، ووهم فى بعضهم ، فتخلص منهم خمسة عشر نفساً ، وأشهرهم محمد بن عدى ابن ربيعة ، روى حديثه البغوى وابن سعد وابن شاهين وابن السكن وغيرهم ، قال : فعرف بهذا وجه الرد على الحصر الذى ذكره السهيلى ، وكذا الذى ذكره القاضى عياض . وعجبت من السهيلى كيف لم يقف على ما ذكره عياض مع كونه كان قبله (وأنا الماحى) بالحاء المهملة (الذى يمحو الله بى الكفر) أى يزيله لأنه بعث والدنيا مظلمة بغياهب الكفر . فأتى صلى الله عليه وآله وسلم بالنور الساطع حتى محاه . قيل : ولما كانت البحار هى الماحية للأدران كان اسمه صلى الله عليه وآله وسلم فيها الماحى (وأنا الحاشر الذى يحشر الناس) يوم القيامة (على قدمى) بكسر الميم ، أى على أثرى ، لأنه أول من تنشق عنه الأرض ، وأنه يحشر قبل الناس ، وهو موافق لقوله فى الرواية الأخرى : يحشر الناس على عقبى ، أو المراد بالقدم الزمان ، أى وقت قيامى على قدمى بظهور علامات الحشر ، إشارة إلى أنه ليس بعده نبى ولا شريعة . وقيل : المراد على مشاهدتى قائماً لله شاهداً على الأمم . وفى رواية نافع بن جبير : وأنا حاشر بعثت مع الساعة ، وهو يرجح الأول (وأنا العاقب) لأنه جاء عقب الأنبياء ، فليس بعده نبى . وفى الباب عن نافع بن جبير وأبى موسى الأشعرى وحذيفة وابن عباس وأبى الطفيل ، وفيها زيادات على حديث الباب ، ففى رواية نافع بن جبير أنها ستة ، فذكر الخمسة المذكورة ، وزاد الخاتم . رواه ابن سعد . وفى حديث حذيفة : أحمد ومحمد والحاشر والمقفى ونبى الرحمة . رواه الترمذى وابن سعد ، وقد سماه الله تعالى « رءوفاً رحيماً » . ومما وقع من أسمائه فى القرآن بالاتفاق الشاهد

البشير النذير المبين الداعى إلى الله ، السراج المنير المذكر الرحمة النعمة الهادى الشهيد الأمين المزمل المدثر . وتقدم فى حديث ابن عمرو بن العاصى : المتوكل . ومن أسمائه المشهورة : المختار والمصطفى والشفيع المشفع ، الصادق المصدوق ، وغير ذلك . قال ابن دحية فى تصنيف له : مفرد فى الأسماء النبوية . قال بعضهم : أسماء النبى صلى الله عليه وآله وسلم عدد أسماء الله الحسنى : تسعة وتسعون اسماً ، قال : ولو بحث عنها باحث لبلغت ثلاثمائة اسم ، وذكر فى مصنفه المذكور من القرآن والأخبار وضبط ألفاظها وشرح معانيها ، واستطرد كعادته إلى فوائد كثيرة . قال فى الفتح : وغالب الأسماء التى ذكرها وصف بها صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يرد الكثير منها على سبيل التسمية ، مثل عده اللبنة لحديث : إلا موضع لبنة فكنت أنا اللبنة . ونقل ابن العربى فى شرح الترمذى عن بعض الصوفية . إن لله ألف اسم ولرسوله ألف اسم . انتهى . وفى القسطلانى : وقد جمعت من أسمائه صلى الله عليه وآله وسلم فى كتاب « المواهب اللدنية بالمنح المحمدية » أكثر من أربعمائة مرتبة على حروف المعجم . انتهى . وهو كقول ابن دحية المتقدم . وقد ذكر السيد العلامة البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير اليمانى رحمه الله تعالى فى بعض فوائده ما نصه : قال الشيخ ، يعنى أبا الحسن السندى : وكذا المختار فى أسماء النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنها توقيفية . أقول : والحق أنه لا يطلق عليه صلى الله عليه وآله وسلم إلا ما سماه الله من نحو : محمد رسول الله فى سورة الفتح ، والنبى الأمى فى سورة الأعراف ، ونحو : مبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ، ونحو : وأنه لما قام عبد الله ، ونحوه مما أطلقه عليه من أوصافه بأنه بشير ونذير نحو : عبده ورسوله كما فى التشهد . وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : لى أسماء ، وعدّ خمسة ، ولا يطلق عليه ما ورد به السمع إن لم يكن مدحاً ، فلا يقال : صاحب قريش من قوله تعالى : « ما صاحبكم بمجنون » . وأما إطلاق ألفاظ عليه لم يرد بها كتاب ولا سنة ، مثل ما فى كتاب « دلائل الخيرات » ومثل : يا قنديل عرش الله ، ونحوها ، فما أظنه إلا داخلا فى النهى عن الإطراء فى قوله : لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى وقولوا : عبد الله ورسوله . والحاصل إنه قد نهى عن الإطراء فينبغى أو يجب الاقتصار على ما سمى به نفسه وسماه الله به ، وهؤلاء الذين

ذكرهم الشيخ أيضاً جمعوا الألوف فى أسمائه ، وما أدرى ما مستندهم ، وما أرى ذلك إلا من الغلو المنهى عنه ، وتعظيمه صلى الله عليه وآله وسلم ، وإكرام شريعته يكون باتباعه والتقييد بما جاء به ونشر سنته وإحياء طريقته ودعاء العباد إلى ذلك ، ففى ذلك النجاة فى المعاد .

وخير الأمور السالفات على الهدى　　وشر الأمور المحدثات البدائع

رزقنا الله اتباع طريقته ، ونشر سنته ، والاهتداء بهديه ، والتخلق بأخلاقه ، والحشر تحت لوائه ، والشرب من حوضه ، والفوز بشفاعته ، آمين . انتهى كلامه رحمه الله .

الحديث الخامس

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : أَلا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ ٱللهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ ؟ يَشْتِمُونَ مُذَمَّماً وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّماً ، وَأَنَا مُحَمَّدٌ .

(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم) كفار (قريش ولعنهم) بسكون العين (يشتمون) بكسر التاء الفوقية (مذمماً ويلعنون مذمماً) يريد بذلك تعريضهم إياه بمذمم مكان محمد ، وكانت العوراء زوجة أبي لهب تقول : مذمم قلينا ، ودينه أبينا ، وأمره عصينا (وأنا محمد) كثير الخصال الحميدة التي لا غاية لها ، فمذمم ليس باسمه ولا يعرف به ، فكان الذي يقع منهم مصروفاً إلى غيره . قال في الفتح : كان الكفار من قريش لشدة كراهتهم في النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لا يسمونه باسمه الدال على المدح ، فيعدلون إلى ضده ، فيقولون : مذمماً . وإذا ذكروه بسوء قالوا : فعل الله بمذمم . ومذمم ليس هو اسمه ، فكان الذي يقع منهم في ذلك مصروفاً إلى غيره . قال ابن التين : استدل بهذا الحديث من أسقط حد القذف بالتعريض وهم الأكثر ، خلافاً لمالك ، وأجاب بأنه لم يقع في الحديث أنه لا شيء عليه في ذلك ، بل الواقع إنهم عوقبوا على ذلك بالقتل وغيره . انتهى . والتحقيق أنه لا حجة في ذلك إثباتاً ولا نفياً . واستنبط منه النسائي أن من تكلم بكلام مناف لمعنى الطلاق ومطلق الفرقة وقصد به الطلاق لا يقع ، كمن قال لزوجته : كلي ، وقصد الطلاق ، فإنها لا تطلق ، لأن الأكل لا يصح بأن يفسر به الطلاق بوجه من الوجوه ، كما أن مذمماً لا يمكن أن يفسر به محمد بوجه من الوجوه .

الحديث السادس

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قالَ : قالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَرَجُلٍ بَنَى دَاراً فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ وَيَقُولُونَ لَوْلَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ ، وَفِى رِوَايَةٍ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ زِيَادَةُ : إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ ، وَقَالَ فى آخِرِهِ : فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ .

(عن جابر بن عبد الله) الأنصارى (رضى الله عنهما قال : قال النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم : مثلى ومثل الأنبياء) قبلى (كرجل بنى داراً فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة) بفتح اللام وكسر الموحدة : قطعة طين تعجن وتيبس ويبنى بها من غير إحراق (فجعل الناس يدخلونها) أى الدار (ويتعجبون) من حسنها (ويقولون : لولا موضع اللبنة) أى لكان بناء الدار كاملا . وزاد الإسماعيلى : وأنا موضع اللبنة ، جئت فختمت الأنبياء . وقد أورد بعضهم سؤالا فقال : فإن قلت : المشبه به هنا رجل والمشبه متعدد ، فكيف صح التشبيه . وأجاب بأنه جعل الأنبياء كلهم كواحد فيما قصد فى التشبيه ، وهو أن المقصود من بعثهم ما تم إلا باعتبار الكل ، فكذلك الدار لا تتم إلا بجميع اللبنات ، أو أن التشبيه ليس من باب تشبيه المفرد بالمفرد بل هو تشبيه تمثيل ، فيؤخذ وصف من جميع أحوال المشبه ويشبه بمثله من أحوال المشبه به ، فيقال : شبه الأنبياء وما بعثوا به من الهدى والعلم وإرشاد الناس إلى مكارم الأخلاق بقصر أسس قواعده ورفع بنيانه وبقى منه موضع لبنة ، فنبينا صلى الله عليه وآله وسلم بعث لتتميم مكارم الأخلاق ، كأنه هو تلك اللبنة التى بها إصلاح ما بقى من الدار . انتهى. وهذا الحديث أخرجه البخارى فى باب خاتم النبيين أيضاً ، ومسلم فى الفضائل . قال فى الفتح : المراد بالخاتم فى أسمائه أنه خاتم النبيين ، ولمح بما وقع فى القرآن ، وأشار إلى ما أخرجه فى التاريخ من حديث العرباض بن سارية رفعه : « إنى عبد الله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل فى طينه » . وأخرجه أيضاً أحمد وصححه ابن حبان والحاكم (وفى

رواية عن أبي هريرة رضى الله عنه زيادة : إلا موضع لبنة من زاوية) ولمسلم : من زواياه ، وهذا يرد قول من قال : إن اللبنة المشار إليها كانت فى أس الدار المذكورة ، وإنه لولا وضعها لانقضت تلك الدار ، فإن الظاهر كما فى فتح البارى أن المراد بها مكملة محسنة وإلا لاستلزم أن يكون الأمر بدونها ناقصاً ، وليس كذلك ، فإن شريعة كل نبى بالنسبة إليه كاملة ، فالمراد هنا النظر إلى الأكمل بالنسبة إلى الشريعة المحمدية مع مامضى من الشرائع (وقال فى آخره) أى آخر الحديث المذكور (فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين) ومكمل شرائع الدين . وهذا الحديث أخرجه النسائى فى التفسير . وفى الحديث ضرب الأمثال للتقريب للأفهام ، وفضل النبى صلى الله عليه وآله وسلم على سائر النبيين ، وأن الله ختم به المرسلين وأكمل به شرائع الدين .

الحديث السابع

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم تُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ .

(عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم توفى وهو ابن ثلاث وستين) سنة ، ويأتى نقل الخلاف فى سنه صلى الله عليه وآله وسلم وما فى ذلك من المباحث فى محله إن شاء الله تعالى .

الحديث الثامن

عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ : وَهْوَ ٱبْنُ أَرْبَعٍ وَتِسْعِين ، جَلْداً مُعْتَدِلاً ، قَدْ عَلِمْتُ ما مُتِّعْتُ بِهِ سَمْعِي وَبَصَرِى إِلاَّ بِدُعاءِ رَسُول ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، إِنَّ خالَتِي ذَهَبَتْ بِى إِلَيْهِ فَقالَتْ : يَا رَسُولَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱبْنَ أُخْتِي شَاكٍ فَادْعُ اللهَ لَهُ ، قالَ : فَدَعا لِي .

(عن السائب بن يزيد رضى الله عنه قال : وهو ابن أربع وتسعين) سنة . قال فى الفتح : يشعر بأنه رآه سنة اثنتين وتسعين ، لأنه كان له يوم مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثمان سنين كما ثبت من حديثه ، ففيه رد لقول الواقدى أنه مات سنة إحدى وتسعين ، على أنه يمكن توجيه قوله ، وأبعد منه من قال : مات قبل التسعين . وقد قيل : إنه مات سنة ست وتسعين ، وهو أشبه . قال ابن أبي داود : هو آخر من مات من الصحابة بالمدينة ، وقال غيره : بل محمود بن ربيع ، وقيل : بل محمود بن لبيد ، فإنه مات سنة تسع وتسعين (جلداً) بفتح الجيم وسكون اللام ، أى قوياً (معتدلا) غير منحن مع كبر سنه (فقال : قد علمت) بتاء المتكلم (ما متعت به) بضم الميم وتاء المتكلم أيضاً مبنياً للمفعول (سمعي وبصرى إلا بدعاء رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) وذلك (إن خالتى) قال فى الفتح : لم أقف على اسمها (ذهبت بى إليه) صلى الله عليه وآله وسلم (فقلت) له (يارسول الله إن ابن أختى شاك) من الشكوى وهــو المرض (فادع الله له ، قال) السائب (فدعا لى) صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيه أن الأدب أن يقال : يارسول الله ، يا نبي الله كما خاطبته خالة السائب .

الحديث التاسع

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ الحَارِثِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ : صَلَّى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الْعَصْرَ ، ثُمَّ خَرَجَ يَمْشِي فَرَأَى الحَسَنَ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ ، فَحَمَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ وَقَالَ : بِأَبِي شَبِيهٌ بالنَّبِيِّ لَا شَبِيهٌ بعَلِيٍّ وَعَلِيٌّ يَضْحَكُ .

(عن عقبة بن الحارث) بن عامر القرشي (رضى الله عنه قال : صلى أبو بكر) الصديق (رضى الله عنه العصر ثم خرج يمشى) زاد الإسماعيلى : بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بليال وعلىّ رضى الله عنه يمشى إلى جانبه (فرأى) أى أبو بكر (الحسن) بن علىّ (يلعب مع الصبيان) وكان عمره إذ ذاك سبع سنين ، وقد سمع من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحفظ عنه ، ولعبه محمول على اللائق به إذ ذاك من الأشياء المباحة ، بل على ما فيه تمرين وتنشيط ونحو ذلك ، والله أعلم (فحمله على عاتقه وقال : بأبى شبيه بالنبي) صلى الله عليه وآله وسلم (لاشبيه بعلىّ) يعنى أباه (وعلىّ يضحك) فيه إشعار بتصديقه له . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى فضل الحسن ، والنسائى فى المناقب . قال فى الفتح : وقد وافق أبا بكر على أن الحسن كان يشبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبو جحيفة كما سيأتى .

الحديث العاشر

عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ : رَأَيْتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم وَكَانَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يُشْبِهُهُ ، فَقِيلَ لَهُ : صِفْهُ لَنَا ، فَقَالَ : كانَ أَبْيَضَ قَدْ شَمِطَ، وَأَمَرَ لَنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِثَلَاثَ عَشْرَةَ قَلُوصاً ، قالَ : فَقُبِضَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم قَبْلَ أَنْ نَقْبِضَهَا .

(عن أبي جحيفة) بضم الجيم وفتح الحاء ، وهب بن عبد الله السوائي (رضي الله عنه قال : رأيت النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم ، وكان الحسن) بن عليّ (يشبهه) وفي حديث أنس أن الحسين بضم الحاء كان أشبههم بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وجمع بينهما بأن الحسن كان يشبهه بما بين الصدر إلى الرأس ، والحسين أسفل من ذلك (فقيل له) أي لأبي جحيفة (صفه لنا ، فقال : كان أبيض) اللون (قد شمط) بفتح الشين وكسر الميم : صار سواد شعره مخالطاً للبياض . ولمسلم من حديثه : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذه منه بيضاء ، وأشار إلى عنفقته (وأمر لنا النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم) أي لأبي جحيفة وقومه من بني سواء على سبيل جائزة الوفد (بثلاث عشرة قلوصاً) بفتح القاف : الأنثى من الإبل (قال) أبو جحيفة (فقبض) بضم القاف : توفي (النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم قبل أن نقبضها) زاد الإسماعيلي من طريق محمد بن فضيل : فذهبنا نقبضها ، فأتانا موته ، فلم يعطونا شيئاً ، فلما قام أبو بكر قال : من كانت له عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عدة فليجيء ، فقمت إليه فأخبرته فأمر لنا بها .

الحديث الحادى عشر

عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ بُسْرٍ صَاحِبِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَرَضِيَ عَنْهُ ، قِيلَ لَهُ : أَرَأَيْتَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ شَيْخاً ، قالَ : كَانَ فى عَنْفَقَتِهِ شَعَرَاتٌ بيضٌ .

(عن عبد الله بن بسر) المازنى (صاحب النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم ورضى عنه ، قيل له : أرأيت النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم ، كان شيخاً ؟) أم شاباً (قال : كان فى عنفقته شعرات بيض) لا تزيد على عشرة لإيراده بصيغة جمع القلة ، وقيل : إنها كانت سبع عشرة شعرة . وهـذا الحديث هو الثالث عشر من ثلاثياته ، وهو من إفراده .

الحديث الثانى عشر

عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : كانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم رَبْعَةً مِنَ الْقَوْمِ ، لَيْسَ بالطَّوِيلِ وَلَا بالْقَصِير ، أَزْهَرَ اللَّوْنِ ، لَيْسَ بأَبْيَضَ أَمْهَقَ وَلا آدَمَ ، لَيْسَ بجَعْدٍ قَطِطٍ وَلَا سَبْطٍ رَجِلٍ . أُنْزِلَ عَلَيْهِ وَهُوَ ٱبْنُ أَرْبَعِينَ ، فَلَبِثَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ ، وَبِالمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ ، وَقُبِضَ وَلَيْسَ فى رأسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعْرَةً بِيضاً .

وَفى رِوَايَةٍ عَنْهُ قالَ : كَانَ رَسُولُ ٱللهُ صلى الله عليه وسلم لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ ، وَلَا بالْقَصِيرِ ، وَلَا بِالأَبْيَضِ الأَمْهَقِ وَلَيْسَ بِالآدَمِ ، وَلَيْسَ بِالْجَعْدِ الْقَطِطِ ، وَلَا بِالسَّبِطِ ، بَعَثَهُ ٱللهِ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَذَكَرَ تَمَامَ الحَدِيثِ .

(عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كان النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم ربعة من القوم) بفتح الراء وسكون الباء : أى مربوعاً ، والتأنيث باعتبار النفس ، وفسره بقوله (ليس بالطويل ولا بالقصير) وزاد البيهقى عن علىّ : وهو إلى الطول أقرب . وعن عائشة : لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد ، وكان ينسب إلى الربعة إذا مشى وحده ، ولم يكن على حال يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولها ، فإذا فارقاه نسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الربعة . رواه ابن عساكر والبيهقى (أزهر اللون) أبيض مشرباً بحمرة ، كما صرح به فى حديث أنس من وجه آخر عند مسلم . والأشراب : خلط لون بلون كأن أحد اللونين سقى الآخر ، يقال : بياض مشرب بحمرة بالتخفيف ، فإذا شدد كان للتكثير والمبالغة ، وهو أحسن الألوان (ليس بأبيض أمهق) أى شديد البياض كلون الجص (ولا آدم) بالمد ، أى ولاشديد السمرة ، وإنما يخالط بياضه الحمرة . والعرب تطلق على كل من كان كذلك أسمر كما فى حديث أنس المروى عند أحمد والبزار وابن منده بإسناد صحيح أن

النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان أسمر ، والمراد بالسمرة الحمرة التى تخالط البياض (ليس) شعره (بجعد) بفتح الجيم وسكون العين ، ولا (قطط) ولا شديد الجعودة كشعر السودان (ولا سبط) بفتح السين وكسر الباء ، من السبوطة ضد الجعودة ، أى ولا مسترسل ، فهو متوسط بين الجعودة والسبوطة (رجل) بفتح الراء وكسر الجيم ، أى هو رجل ، يعنى مسترسلا (أُنزل عليه) الوحى (وهو ابن أربعين) سنة سواء وذلك إنما يستقيم على القول بأنه ولد فى شهر ربيع الأول وهو المشهور وبعث فيه (فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه) الوحى (وبالمدينة عشر سنين) قيل : مقتضاه أنه عاش ستين سنة . قال الزركشى : هــذا قول أنس ، والصحيح أنه أقام بمكة ثلاث عشرة ، لأنه توفى وعمره ثلاث وستون سنة ، وأجاب فى المصابيح بأن أنساً لم يقتصر على قوله : « فلبث بمكة عشر سنين » بل قال : « فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه الوحى » وهذا لا ينافى أن يكون أقام بها أكثر من هذه المدة ، ولكنه لم ينزل عليه إلا فى العشر . ولا يخفى أن الوحى فتر فى ابتدائه سنتين ونصفاً وأنه أقام ستة أشهر فى ابتدائه يرى الرؤيا الصالحة ، فهذه ثلاث سنين لم يوح إليه فى بعضها أصلا ، وأوحى إليه فى بعضها مناماً ، فيحمل قول أنس لبث بمكة ينزل عليه الوحى فى اليقظة عشر سنين ، واستقام الكلام ، ولكن يقدح فى هذا الجمع قوله فى حديث أنس من طريق آخر : وتوفاه على رأس ستين سنة (وقبض وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاً) أى بل دون ذلك . وفى رواية : إلا سبع عشرة شعرة أو ثمانى عشرة (وفى رواية عنه) أى عن أنس (قال : كان رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ليس بالطويل البائن) قال البيضاوى : أى الظاهر البين طوله ، من بان إذا ظهر . وقال ابن الأثير : أى المفرط طولا (ولا بالقصير ولا بالأبيض الأمهق (الكريه البياض ، بل كان أزهر اللون ، أى أبيض مشرباً بحمرة (وليس بالآدم) بالمد ، أى الشديد السمرة (وليس) شعره (بالجعد القطط) الشديد الجعودة (ولا بالسبط) أى المسترسل ، بل كان وسطاً بينهما (بعثه الله على رأس أربعين سنة) وهذا يتجه على القول بأنه ولد فى ربيع الأول وبعث فى رمضان ، فيكون له تسع وثلاثون ونصف سنة ، ويكون قد ألغى الكسر (وذكر تمام الحديث) وهو قوله : فأقام بمكة عشر سنين ، وبالمدينة عشر سنين ، فتوفاه الله وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء .

الحديث الثالث عشر

عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : كانَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهاً وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقاً ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلَا بِالْقَصِيرِ.

(عن البراء) بن عازب (رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم أحسن الناس وجهاً وأحسنه) وفى بعض النسخ : وأحسنهم (خلقاً) بضم الخاء : الطبع والسجية (ليس بالطويل البائن) المفرط فى الطول فهو اسم فاعل من بان ، أى ظهر على غيره ، أو بان بمعنى فارق من سواه بإفراط طوله (ولا بالقصير) بل كان ربعة . وهذا الحديث أخرجه مسلم فى فضائل النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

الحديث الرابع عشر

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سُئِلَ : هَلْ خَضَبَ النَّبىُّ صلى الله عليه وسلم ؟ قالَ : لَا إِنَّمَا كانَ شَىْءٌ فى صُدْغَيْهِ .

(عن أنس رضى الله عنه أنه سئل : هل خضب النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم) شعره (قال : لا) لم يخضب (إنما كان شىء) قليل من الشيب (فى صدغيه) وهذا كما نبه عليه فى الفتح مغاير للحديث السابق أن الشيب كان فى عنفقته ، وجمع بينهما بحديث مسلم عن أنس : لم يخضب صلى الله عليه وآله وسلم ، وإنما كان البياض فى عنفقته وفى الصدغين وفى الرأس نبذاً ، أى متفرقاً ، قال : وعرف من مجموع ذلك أن الذى شاب من عنفقته أكثر مما شاب من غيرها . وهذا الحديث أخرجه النسائى فى الزينة .

الحديث الخامس عشر

عَن الْبَرَاءِ بْن عازِب رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قالَ : كانَ النَّبىُّ صلى الله عليه وسلم مَرْبُوعاً ، بَعِيدَ مابَيْنَ المَنْكِبَيْنِ ، لَهُ شَعَرٌ يَبْلُغُ شحْمَةَ أُذُنَيْه ، رَأَيْتُهُ فى حُلَّةٍ حَمْرَاءَ ، لَمْ أَرَ شَيْئاً قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ .

(عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال : كان النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم مربوعاً بعيد ما بين المنكبين) أى عريض أعلى الظهر (له شعر) فى رأسه (يبلغ شحمة أُذنيه ، رأيته فى حلة) قال فى القاموس : الحلة بالضم : إزار ورداء ، ولا تكون حلة إلا من ثوبين أو ثوب له بطانة (حمراء) أى منسوجة بخطوط حمر مع سواد كسائر البرود اليمنية ، وليست كلها حمراء ، لأن الأحمر البحت منهى عنه (لم أر شيئاً قط أحسن منه) إذ حقيقة الحسن الكامل فيه ، لأنه الذى تم معناه دون غيره .

الحديث السادس عشر

وَفى رِوَايَةٍ عَنْهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : أَكانَ وَجْهُ النَّبىِّ صلى الله عليه وسلم مِثْلَ السَّيْفِ ، قالَ : لَا ، بَلْ مِثْلَ الْقَمَر .

(وفى رواية عنه) أى عن أنس (رضى الله عنه أنه قيل له : أكان وجه النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم مثل السيف) فى الطول واللمعان ، ولما لم يكن السيف شاملا للطرفين ، قاصراً فى تمام المرأى عن الاستدارة والإشراق الكامل والملاحة ردّه رداً بليغاً حيث (قال : لا ، بل مثل القمر) فى الحسن والملاحة والتدوير ، وعدل إلى القمر لجمعه الصفتين : التدور واللمعان . وعند مسلم من حديث جابر بن سمرة قال : لا بل مثل الشمس ، أى فى نهاية الإشراق ، والقمر أى فى الحسن . وزاد : وكان مستديراً تنبيهاً على أنه أراد التشبيه بالصفتين معاً : الحسن والاستدارة ، لأن التشبيه بالقمر إنما يراد به الملاحة فقط . وهذا الحديث أخرجه الترمذى فى المناقب .

الحديث السابع عشر

عَنْ أَبِى جُحَيْفَةَ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّهُ رَأَى النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّى بِالْبَطْحَاء وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَنَزَةٌ ، قَدْ تَقَدَّمَ هذَا الحَدِيثُ . وَفى هذِهِ الرِّوَايَةِ ، قالَ : فَجَعَلَ النَّاسُ يَأْخُذُونَ يَدَيْهِ فَيَمْسَحُونَ بِهَا وُجُوهَهُمْ ، قالَ : فَأَخَذْت بِيَدِهِ فَوَضَعْتُهَا عَلَى وَجْهِى فَإِذَا هِىَ أَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ وَأَطْيَبُ رَائِحَةً مِنَ الْمِسْكِ .

(عن أبى جحيفة رضى الله عنه أنه رأى النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم يصلى بالبطحاء) المسيل الواسع الذى فيه دقاق الحصى فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين قصراً للسفر (وبين يديه عنزة) بفتحات : أقصر من الرمح وأطول من العصا فيها زج (قد تقدم هذا الحديث) فى أوائل الصلاة فى الوضوء (وفى هذه الرواية قال) أى أبو جحيفة (فجعل الناس يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم) تبركاً (قال) أبو جحيفة (فأخذت بيده فوضعتها على وجهى فإذا هى أبرد من الثلج) لصحة مزاجه الشريف وسلامته من العلل (وأطيب رائحة من المسك) وكانت هذه صفته صلى الله عليه وآله وسلم وإن لم يمس طيباً حتى كان كما رواه أبو نعيم والبزار بإسناد صحيح : إذا مرّ فى طريق من طرق المدينة وجدوا منه رائحة الطيب وقالوا : مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذا الطريق . ولله درّ القائل :

* فمن طيبه طابت له طرقاته *

وقالت عائشة : « كان عرقه فى وجهه مثل الجمان ، أطيب من المسك الإذفر » رواه أبو نعيم . ووقع مثل حديث الباب فى حديث يزيد بن الأسود عند الطبرانى بإسناد قوى . وفى حديث جابر بن سمرة عند مسلم فى أثناء حديث قال : فمسح صدرى فوجدت ليده برداً أو ريحاً كأنما أخرجها من جونة عطار . وفى الباب أحاديث .

الحديث الثامن عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ : بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْناً فَقَرْناً حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِى كُنْتُ فِيهِ .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : بعثت من خير قرون بنى آدم قرناً فقرناً) بفتح القاف : الطبقة من الناس المجتمعين فى عصر واحد . وقيل : سمى قرناً لأنه يقرن أمة بأمة وعالماً بعالم ، وهو مصدر قرنت ، وجعل اسماً للوقت أو لأهله . وقيل : القرن ثمانون سنة ، وقيل أربعون ، وقيل تسعون ، وقيل مائة وعشرون . وتعقب الحربى الجميع وقال : الذى أراه أن القرن كل أُمة هلكت حتى لم يبق منها أحد (حتى كنت من القرن الذى كنت فيه) والمراد بالبعث تقلبه فى أصلاب الآباء أباً فأباً قرناً فقرناً حتى ظهر فى القرن الذى وجد فيه ، أى انتقلت أولا من صلب ولد إسماعيل ثم من كنانة ثم من قريش ثم من بنى هاشم ، فالفاء فى قوله « قرناً فقرناً » للترتيب فى الفضل على سبيل الترقى من الآباء من الأبعد إلى الأقرب ، فالأقرب كما فى قولهم : « خذ الأفضل فالأكمل واعمل الأحسن فالأجمل » . وهذا الحديث من إفراده .

الحديث التاسع عشر

عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَسْدِلُ شَعَرَهُ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرِقُونَ رُءُوسَهُمْ ، وَكَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَسْدِلُونَ رُءُوسَهُمْ ، وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ بِشَيْءٍ ، ثُمَّ فَرَقَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم رَأْسَهُ .

(عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم كان يسدل شعره) أى يرسل شعرناصيته على جبهته . قال النووى : المراد إرساله على الجبين واتخاذه كالقصة بضم القاف بعدها مهملة (وكان المشركون يفرقون رءوسهم) أى يلقون شعر رءوسهم إلى جانبيه ولا يتركون منه شيئاً على جبهتهم (فكان أهل الكتاب يسدلون رءوسهم) يرسلون شعر نواصيهم على جباههم (وكان صلى الله عليه) وآله (وسلم يحب موافقة أهل الكتاب) لأنهم كانوا على بقية من دين الرسل ، فكانت موافقتهم أحب إليه من موافقة عباد الأوثان (فيما لم يؤمر فيه بشىء) أى فيما لم يخالف شرعه (ثم فرق رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم رأسه) أى شعر رأسه ، أى ألقاه إلى جانبى رأسه فلم يترك منه شيئاً على جبهته بعد ما سدل لأمر أُمر به . واستدل بالحديث على أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يجىء فى شرعنا ما يخالفه . وتعقب بأنه عبر بالمحبة ولو كان كذلك لعبر بالوجوب وعلى التسليم ، فغى نفس الحديث أنه رجع عن ذلك آخراً ، والله أعلم . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى الهجرة واللباس ، ومسلم فى الفضائل ، وأبو داود فى الترجل ، والترمذى فى الشمائل ، والنسائى فى الزينة ، وابن ماجه فى اللباس .

الحديث العشرون

عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قالَ : لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَاحِشاً وَلَا مُتَفَحِّشاً ، وَكانَ يَقُولُ : إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحسَنَكُمْ أَخْلاقاً .

(عن عبد الله بن عمرو) بن العاص (رضى الله عنهما قال : لم يكن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم فاحشاً) ناطقاً بالفحش وهوالزيادة على الحدّ فى الكلام السيء (ولا متفحشاً) متكلفاً للفحش ، نفى عنه صلى الله عليه وآله وسلم قول الفحش والتفوه به طبعاً وتكلفاً (وكان يقول : إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً) حسن الخلق اختيار الفضائل واجتناب الرذائل ، وهل هو غريزة أو مكتسب . واستدل للأول بحديث ابن مسعود عند البخارى : إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم . وللثانى بما أخرج أحمد من حديث أبى هريرة يرفعه : إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق . وروى البزار : مكارم بدل صالح . وأخرج الطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن عن صفية بنت حيي قالت : ما رأيت أحداً أحسن خلقاً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وعند مسلم من حديث عائشة : كان خلقه القرآن ، يغضب لغضبه ، ويرضى لرضاه . وحديث الباب أخرجه أيضاً فى الأدب ، ومسلم فى الفضائل ، والترمذى فى البر .

الحديث الحادى والعشرون

عَن عائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قالَتْ : ما خُيِّرَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ أَمْرَيْنِ إلاَّ أَخذَ أَيْسَرَهُمَا ما لَمْ يَكُنْ إثْماً ، فَإنْ كانَ إثْماً كانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ ، وَما ٱنْتَقَمَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم لِنَفْسِهِ إلاَّ أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ ٱللهِ فَيَنْتَقِمَ لِلهِ بِهَا .

(عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما خير رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم بين أمرين) من أُمور الدنيا (إلا أخذ أيسرهما) أسهلهما ، وأبهم فاعل خير ليكون أعم من قبل الله أو من قبل المخلوقين (ما لم يكن) أيسرهما (إثماً) أى يفضى إلى الإثم (فإن كان) الأيسر (إثماً كان) صلى الله عليه وآله وسلم (أبعد الناس منه) كالتخيير بين المجاهدة فى العبادة والاقتصاد فيها فإن المجاهدة إن كانت بحيث تجر إلى الهلاك لا تجوز ، أو التخيير بين أن يفتح عليه من كنوز الأرض ما يخشى من الاشتغال به أن لايتفرغ للعبادة ، وبين أن لا يؤتيه من الدنيا إلا الكفاف ، وإن كانت السعة أسهل منه . قال فى الفتح : والإثم على هذا أمر نسبى لا يراد منه معنى الخطيئة لثبوت العصمة (وما انتقم رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم لنفسه) خاصة كعفوه عن الرجل الذى جفا فى رفع صوته عليه ، وقال : إنكم يابنى عبد المطلب مطل . رواه الطبرانى . وعن الآخر الذى جبذ بردائه حتى أثر فى كتفه . رواه البخارى . وحمل الداودى عدم الانتقام على ما يختص بالمال ، قال : وأما العرض فقد اقتص ممن نال منه ، قال : واقتص ممن لده فى مرضه بعد نهيه عن ذلك بأن أمر بلدهم مع أنهم كانوا فى ذلك تأولوا أنه إنما نهاهم على عادة البشرية من كراهة النفس للدواء . كذا فى الفتح (إلا أن تنتهك) أى لكن إذا انتهكت (حرمة الله) عز وجل (فينتقم لله) لا لنفسه ممن ارتكب انتهاك تلك الحرمة (بها) أى بسببها ، لا يقال إنه انتقم لنفسه حيث أمر بقتل عبد الله بن خطل وعقبة بن أبى معيط وغيرهما ممن كان يؤذيه ، لأنهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله . وزاد الطبرانى عن أنس : وإن انتهكت حرمة الله كان أشد الناس غضباً لله . وفى الحديث الحث على ترك الأخذ بالشىء العسير والاقتناع باليسير

وترك الإلحاح فيما لا يضطر إليه . ويؤخذ من ذلك الندب إلى الأخذ بالرخص ما لم يظهر الخطأ ، والحث على العفو إلا فى حقوق الله تعالى ، والندب إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومحل ذلك ما لم يفض إلى ما هو أشد منه . وفيه ترك الحكم للنفس وإن كان الحاكم متمكناً من ذلك بحيث يؤمن فيه الحيف على المحكوم عليه ، لكن لحسم المادة ، والله أعلم . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى الأدب ، ومسلم فى الفضائل ، وأبو داود فى الأدب .

الحديث الثانى والعشرون

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : مامَسِسْتُ حَرِيراً وَلَا دِيبَاجاً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، وَلَا شَمِمْتُ رِيحاً قَطُّ أَوْ عَرْفاً قَطُّ أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ أَوْ عَرْفِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم .

(عن أنس رضى الله عنه قال : ما مسست حريراً ولا ديباجاً) هذا من عطف الخاص على العام ، لأن الديباج نوع من الحرير ، وهو بكسر الدال وفتحها . قال أبو عبيدة : الفتح مولد ، أى ليس بعربى (ألين من كف النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم) وهذا يخالف ما وقع فى حديث أنس أنه كان ضخم اليدين . وفى رواية له : والقدمين . وفى أخرى له : شثن القدمين والكفين ، أى غليظهما فى خشونة ، والجمع بينهما أن المراد ألين فى الجلد والغلظ فى العظام ، فيجتمع له نعومة البدن وقوته ، أو حيث وصف باللين واللطافة حيث لا يعمل بهما شيئاً كان بالنسبة إلى أصل الخلقة ، وحيث وصف بالغلظ والشثونة ، فهو بالنسبة إلى انتهائهما بالعمل ، فإنه تعاطى كثيراً من أموره صلى الله عليه وآله وسلم (ولا شممت ريحاً قط أو) قال (عرفاً قط أطيب من ريح) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أو) قال (عرف النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم) وهـذا الحديث من إفراده ، نعم أخرجه مسلم بمعناه .

الحديث الثالث والعشرون

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الخُدْرِىِّ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : كانَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِى خِدْرِهَا .

وَفى رِوَايَةٍ : وَإِذَا كَرِهَ شَيْئاً عُرِفَ فى وَجْهِهِ .

(عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : كان النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها) الحياء : تغير وانكسار عند خوف ما يعاب أو يذم ، والعذراء : البكر ، لأن عذرتها وهى جلدة البكارة باقية إذا دخل عليها ، والخدر : الستر الذى يكون فى جنب البيت ، وهو من باب التتميم ، لأن العذراء فى الخلوة يشتد حياؤها أكثر مما تكون خارجة عنها ، لكون الخلوة مظنة وقوع الفعل بها ، ومحل وجود الحياء منه صلى الله عليه وآله وسلم فى غير حدود الله . وأخرج البزار من حديث أنس : وكان يقول : الحياء خير كله . وأخرج من حديث ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يغتسل من وراء الحجرات ، وما رأى أحد عورته قط . إسناده حسن . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى الأدب ، ومسلم فى فضائل النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

(وفى رواية : وإذا كره) صلى الله عليه وآله وسلم (شيئاً عرف فى وجهه) لتغيره بسبب ذلك . وفيه أنه لم يكن يواجه أحداً بما يكرهه ، بل يتغير وجهه ، فيفهم أصحابه كراهيته لذلك .

الحديث الرابع والعشرون

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : مَا عَابَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم طَعَاماً قَطُّ ، إِنِ ٱشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِلاَّ تَرَكَهُ .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : ما عاب النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم طعاماً) مباحاً (قط) كأن يقول لمالح : قليل الملح ، ونحوها (إن اشتهاه أكله وإلا) أى وإن لم يشتهه (تركه) فإن كان حراماً عابه وذمه ونهى عنه ، وأما قوله للضب : لا آكله ، ولم يكن بأرض قومى فأجدنى أعافه ، فبيان لكراهته لا إظهار لعيبه . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى الأطعمة ، وكذا مسلم وأبو داود وابن ماجه ، وأخرجه الترمذى فى السير .

الحديث الخامس والعشرون

عَنْ عائِشَةَ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم كانَ يُحَدِّثُ حَدِيثاً لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لَأَحْصَاهُ .

(عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم كان يحدث حديثاً لوعدّه العادّ لأحصاه) لمبالغته صلى الله عليه وآله وسلم فى الترتيل والتفخيم بحيث لو أراد المستمع عدّ كلماته أو حروفه لأمكنه ذلك لوضوحه وبيانه . وهذا الحديث أخرجه أبو داود .

الحديث السادس والعشرون

وَعَنْهَا رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا قالَتْ : إنَّ رَسُولَ ٱللهِ صلى اللهُ عليه وسلم لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ .

(وعنها) أى عن عائشة (رضى الله عنها قالت : إن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم لم يكن يسرد الحديث كسردكم) أى لم يكن يتابع الحديث بحديث استعجالا ، بل كان يتكلم بكلام واضح مفهوم على سبيل التأنى خوف التباسه على المستمع ، وكان يعيد الكلمة ثلاثاً لتفهم عنه . زاد الإسماعيلى من رواية ابن المبارك عن يونس : إنما كان حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصلا فهماً تفهمه القلوب . واعتذر عن أبى هريرة بأنه كان واسع الرواية كثير المحفوظ ،فكان لا يتمكن من المهل عند إرادة التحديث ، كما قال بعض البلغاء : أُريد أن أقتصر فتتزاحم القوافى علىّ .

الحديث السابع والعشرون

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ يُحَدِّثُ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِىَ بِالنَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ : جاءَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أَنْ يُوحى إِلَيْهِ وَهُوَ نائِمٌ فى مَسْجِدِ الحَرَام ، فَقَالَ أَوَّلُهُمْ : أَيُّهُمْ هُوَ؟ فَقَالَ أَوْسَطُهُمْ: هُوَ خَيْرُهُمْ ، وَقَالَ آخِرُهُمْ : خُذُوا خَيْرَهُمْ ، فَكانَتْ تِلْكَ ، فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى جاءُوا لَيْلَةً أُخْرَى فِيمَا يَرَى قَلْبُهُ وَالنَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم نَائِمَةٌ عَيْنَاهُ وَلا يَنَامُ قَلْبُهُ ، وَكَذلِكَ الأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ ، فَتَوَلَّاهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ .

(عن أنس رضى الله عنه يحدث عن ليلة أُسرى بالنبي صلى الله عليه) وآله (وسلم من مسجد الكعبة) إلى بيت المقدس أنه (جاء ثلاثة نفر) من الملائكة . قال فى الفتح : لم أتحقق أسماءهم . وقال غيره : هم جبريل وميكائيل وإسرافيل ولم يذكر لذلك مستنداً يعوّل عليه (قبل أن يوحى إليه) استشكل بأن الإسراء كان بعد المبعث بلا ريب ، فكيف يقول قبل أن يوحى إليه ، فهو غلط من شريك الراوى عن أنس لم يوافق عليه ، وليس هو بالحافظ ، لا سيما وقد انفرد بذلك عن أنس ، ولم يرو ذلك غيره من الحفاظ . وأُجيب على تقدير الصحة بأنه لم يؤت عقب تلك الليلة بل بعد سنتين ، لأنه إنما أُسرى به قبل الهجرة بثلاث سنين ، وقيل غير ذلك (وهو) صلى الله عليه وآله وسلم (نائم فى مسجد الحرام ، فقال أولهم) أول النفر (أيهم هو) أىُّ الثلاثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو مشعر بأنه كان نائماً بين اثنين أو أكثر ، وقد قيل : إنه كان نائماً بين عمه حمزة وابن عمه جعفر بن أبى طالب (فقال : أوسطهم هو خيرهم) يعنى النبيصلى الله عليه وآله وسلم (وقال آخرهم) أى آخر النفر الثلاثة (خذوا خيرهم) للعروج به إلى السماء (فكانت تلك) أى القصة ، أى لم يقع فى تلك الليلة غير ما ذكر من الكلام (فلم يرهم) صلى الله عليه وآله وسلم (حتى جاءوا) إليه (ليلة أخرى فيما يرى قلبه والنبى صلى الله عليه) وآله (وسلم نائمة عيناه ولاينام قلبه) تمسك بهذا من قال : إنه رؤيا منام ، ولا حجة

فيه ، إذ قد يكون ذلك حاله أول وصول الملك إليه ، وليس فى الحديث ما يدل على كونه نائماً فى القصة كلها ، وقد قال عبد الحق : رواية شريك إنه كان نائماً زيادة مجهولة (وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ، فتولاه) صلى الله عليه وآله وسلم (جبريل ثم عرج به إلى السماء) كذا ساقه هنا مختصراً . وقد أخرجه مسلم فى الأيمان .

الحديث الثامن والعشرون

وَعَنْه رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : أُتِيَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِإِنَاءٍ وَهُوَ بالزَّوْرَاءِ فَوَضَعَ يَدَهُ فى الْإِنَاءِ ، فَجَعَلَ الماءُ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابعِهِ صلى الله عليه وسلم فَتَوَضَّأَ الْقَوْمُ . قِيلَ لِأَنَسٍ : كَمْ كُنْتُمْ ؟ قالَ : ثَلَاثمِائَةٍ أَوْ زُهَاءَ ثَلاثِمَائَةٍ .

(وعنه) أى عن أنس (رضى الله عنه قال : أُتى النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم بإناء) فيه ماء (وهو بالزوراء) موضع بسوق المدينة (فوضع يده فى) ذلك (الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه) من نفس لحمه الكائن بين أصابعه ، أو من بينهما بالنسبة إلى رؤية الرائى ، وهو فى نفس الأمر للبركة الحاصلة فيه يفور ويكثر ، والأول أوجه (فتوضأ القوم ، قيل) القائل قتادة (لأنس : كم كنتم ؟ قال) كنا (ثلثمائة أو زهاء) بضم الزاى ممدوداً ، أى قدر (ثلثمائة) وهذا الحديث أخرجه مسلم فى فضائل النبى صلى الله عليه وآله وسلم . قال عياض : هذه القصة رواها الثقات من العدد الكثير عن الجم الغفير عن الكافة ومتصلة بالصحابة ، وكان ذلك فى مواطن اجتماع الكثير منهم فى المحافل ومجمع العساكر ، ولم يرو عن أحد منهم إنكار على راوى ذلك ، فهذا النوع ملحق بالقطعى من معجزاته . وقال القرطبى : قصة نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وآله وسلم تكررت عنه فى عدة مواطن فى مشاهد عظيمة ، ووردت من طرق كثيرة ، يفيد مجموعها العلم القطعى المستفاد من التواتر المعنوى . قال الحافظ : قلت : أخذ كلام عياض وتصرف فيه ، قال : ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا صلى الله عليه وآله وسلم . وحديث نبع الماء جاء من رواية أنس عند الشيخين وأحمد وغيرهم من خمسة طرق ، وعن جابر من أربعة طرق ، وعن ابن مسعود عند البخارى والترمذى ، وعن ابن عباس عند أحمد والطبرانى من طريقين ، وعن ابن أبى ليلى والد عبد الرحمن عند الطبرانى ، فعدد هؤلاء الصحابة ليس كما يفهم من إطلاقهما ، وأما تكثير الماء بأن يلمسه بيده أو يتفل فيه أو يأمر بوضع شىء فيه كسهم من كنانته فجاء من حديث عمران بن حصين فى الصحيحين ، وعن

البراء بن عازب عند البخارى وأحمد من طريقين ، وعن أبى قتادة عند مسلم ، وعن أنس عند البيهقى فى الدلائل ، وعن زياد بن حارث الصدائى عنده ، وعن حبان بن بح بضم الموحدة وتشديد الحاء المهملة الصدائى أيضاً ، فإذا ضم هذا إلى هذا بلغ الكثرة المذكورة أو قاربها . وأما من رواها من أهل القرن الثانى فهم أكثر عدداً وإن كان شطر طرقه أفراداً . وفى الجملة يستفاد منه الرد على ابن بطال حيث قال : هذا الحديث شهده جماعة كثيرة من الصحابة ، إلا أنه لم يرو إلا من طريق أنس لطول عمره ، وتطلب الناس العلو فى السند . انتهى . وهذا ينادى عليه بقلة الاطلاع والاستحضار لأحاديث الكتاب الذى شرحه . قال القرطبى : ولم يسمع بمثل هذه المعجزة من غير نبينا صلى الله عليه وآله وسلم حيث نبع الماء من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه . وقد نقل ابن عبد البر عن المزنى أنه قال : نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وآله وسلم أبلغ فى المعجزة من نبع الماء من الحجر حيث ضربه موسى بالعصا فتفجرت منه المياه ، لأن خروج الماء من الحجارة معهود ، بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم . انتهى . وحديث الباب أخرجه مسلم فى فضائل النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

الحديث التاسع والعشرون

عَنْ عَبْدِ ٱللهِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : كُنَّا نَعُدُّ الايَاتِ بَرَكَةً ، وَأَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا تَخْوِيفاً ، كُنَّا مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم فى سَفَرٍ فَقَلَّ ٱلْمَاءُ، فَقَالَ : ٱطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ ماءٍ ، فَجَاءُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ ماءٌ قَلِيلٌ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فى الْإِنَاءِ ، ثُمَّ قالَ : حَيَّ عَلَى الطَّهُورِ الْمُبَارَكِ ، وَالْبَرَكَةُ مِنَ ٱللهِ ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ المَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابعِ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم ، وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ .

(عن عبد الله) بن مسعود (رضى الله عنه) أنه (قال : كنا نعدّ الآيات) التى هى خوارق العادات (بركة) من الله تعالى (وأنتم تعدّونها) كلها (تخويفاً) مطلقاً ، والتحقيق أن بعضها بركة كشبع الجيش الكثير من الطعام القليل ، وبعضها تخويف ككسوف الشمس والقمر ، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوّف بهما عباده ،وكأنهم تمسكوا بظاهر قوله : « وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً » أى من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له (كنا مع رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم فى سفر) فى الحديبية كما جزم به البيهقى ، أو خيبر كما عند أبى نعيم فى الدلائل . وقد وقع مثل ذلك فى تبوك ، فدل على تكرر وقوع ذلك حضراً وسفراً (فقل الماء ، فقال) صلى الله عليه وآله وسلم (اطلبوا فضلة من ماء) لئلا يظن أنه صلى الله عليه وآله وسلم موجد للماء (فجاءوا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده) المباركة (فى الإناء ثم قال : حى على الطهور) بفتح الياء والطاء ، أى هلموا إلى الماء ، مثل حى على الصلاة ، ويجوز ضم الطاء ، والمراد الفعل ، أى تطهروا (المبارك) الذى أمدّه الله ببركة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم (والبركة من الله) عز وجل. قال ابن مسعود (فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) أى من نفس اللحم الذى بينها (ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل) أى فى حالة الأكل فى عهده صلى الله عليه وآله وسلم غالباً . وعند الإسماعيلى : كنا نأكل مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم الطعام

ونحن نسمع تسبيح الطعام . وله شاهد أورده البيهقى فى الدلائل من طريق قيس ابن أبى حازم قال : كان أبو الدرداء وسلمان إذا كتب أحدهما إلى الآخر قال له بآية الصحفة ، وذلك أنهما بينا هما يأكلان فى صحفة إذ سبحت وما فيها . وذكر عياض عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : مرض النبى صلى الله عليه وآله وسلم فأتاه جبريل بطبق فيه عنب ورطب فأكل منه فسبح . قال الحافظ : وقد اشتهر تسبيح الحصا ، ففى حديث أبى ذر قال : تناول النبى صلى الله عليه وآله وسلم سبع حصيات ، فسبحن ، ثم وضعهن فى يده حتى سمعت لهنّ حنيناً ، ثم وضعهنّ فى يد أبى بكر فسبحن ، ثم وضعهنّ فى يد عمر فسبحن ، ثم وضعهنّ فى يد عثمان فسبحن ، أخرجه البزار والطبرانى فى الأوسط . وفى رواية للطبرانى : فسمع تسبيحهنّ من فى الحلقة . وفيه : ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن مع أحد منا . قال البيهقى فى الدلائل : كذا رواه صالح بن أبى الأخضر ، ولم يكن بالحافظ عن الزهرى عن سويدى بن يزيد السلمى عن أبى ذر ، والمحفوظ ما رواه شعيب بن أبى حمزة عن الزهرى قال : ذكر الوليد بن سويد أن رجلا من بنى سليم كان كبير السن ممن أدرك أبا ذر بالربذة ذكر له عن أبى ذر بهذا . وذكر ابن الحاجب عن بعض الشيعة أن انشقاق القمر وتسبيح الحصا وحنين الجذع وتسليم الغزالة مما نقل آحاداً مع توفير الدواعى على نقله ، ومع ذلك لم يكذب روائها . وأجاب بأنه استغنى عن نقلها تواتراً بالقرآن . وأجاب غيره بمنع نقلها آحاداً ، وعلى تسليمه فمجموعها يفيد القطع . قال فى الفتح : والذى أقول : إنها كلها مشتهرة عند الناس ، وأما من حيث الرواية فليست على حدّ سواء ، فإن حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضاً يفيد القطع عند من يطلع على طرق ذلك من أئمة الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة له فى ذلك . وأما تسبيح الحصا فليست له إلا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها . وأما تسليم الغزالة فلم أجد له إسناداً لا من وجه قوى ولا من وجه ضعيف ، والله أعلم . اه . وقد ذكر القسطلانى فى المواهب اللدنية من مباحث ذلك ما يكفى . وحديث الباب أخرجه الترمذى فى المناقب .

الحديث الثلاثون

عنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُ عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْماً نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الحَدِيثُ بطُولِهِ ، وَقالَ في آخِرِ هذهِ الرِّوَايَةِ : وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ زَمانٌ لأَنْ يَرَانى أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ أَهْلِهِ وَمالِهِ .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر) يعنى يجعلون نعالهم من حبال ضفرت من الشعر ، أو المراد طول شعورهم حتى تصير أطرافها فى أرجلهم موضع النعال . ولمسلم : يلبسون الشعر ويمشون فى الشعر . وقال ابن دحية : المراد القندس الذى يلبسونه فى الشرابيش ، قال : وهو جلد كلب الماء (وقد تقدم الحديث بطوله) وهذا الحديث قد اشتمل على أربعة أحاديث: أحدها : قتال الترك . وثانيها : حديث « تجدون من خير الناس أشدهم كراهية لهذا الأمر حتى يقع فيه » . وثالثها : حديث « الناس معادن ، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام » (وقال آخر هذه الرواية) وهو الحديث الرابع (وليأتينّ على أحدكم زمان) أى بعد موته صلى الله عليه وآله وسلم (لأن يرانى) فيه (أحب إليه من أن يكون له مثل أهله وماله) فكل واحد من الصحابة فمن بعدهم من المؤمنين يتمنى رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم ولو فقد أهله وماله . قال فى الفتح : والأحاديث الأربعة تدخل فى علامات النبوّة لإخباره فيها عما لم يقع فوقع .

الحديث الحادى والثلاثون

وَعَنْهُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم: لا تَقُومُ الساعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا خُوزًا وَكِرْمانَ مِنَ الْأَعاجِمِ ، حُمْرَ الْوُجُوهِ فُطْسَ الْأُنُوفِ ، صِغَارَ الْأَعْيُنِ ، كَأَنَّ وَجُوهَهُمُ الْمِجَانُّ الْمُطْرَقَةُ ، نِعَالُهُمُ الشعَرُ .

(وعنه) أى عن أبى هريرة (رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزا) بضم الخاء وسكون الواو بالزاى . قال فى الفتح : قوم من العجم (وكرمان من الأعاجم) بفتح الكاف وبكسرها وسكون الراء . واستشكل هذا مع ما سبق من قتال الترك ، لأن خوزا وكرمان ليسا من بلاد الترك ، أما خوز فمن بلاد الأهواز ، وهى من عراق العجم ، وأما كرمان فبلدة من بلاد العجم أيضاً بين خراسان وبحر الهند . وروى بعضهم : خوز كرمان بالإضافة ، والإشكال باق، ويمكن أن يجاب بأن هذا الحديث غير حديث قتال الترك، ولامانع من اشتراك الصنفين فى الصفات المذكورة ، أعنى قوله (حمر الوجوه ، فطس الأنوف) جمع أفطس . والفطوسة : تطامن قصبة الأنف وانتشارها (صغار الأعين ، كأن وجوههم المجان المطرقة) قال الكرمانى : فإن قلت : أهل هذين الإقليمين ، أى خوز وكرمان ليسوا على هذه الصفات . وأجاب بأنه إما بأن بعضهم كانوا بهذه الأوصاف فى ذلك الوقت أو سيصيرون كذلك فيما بعد ، أو أنهم بالنسبة إلى العرب كالتوابع للترك . وقيل : إن بلادهم فيها موضع اسمه كرمان ، وقيل ذلك لأنهم يتوجهون من هاتين الجهتين . وقال فى شرح المشكاة : لعل المراد بهما صنفان من الترك ، كأن أحد أصول أحدهما من خوز ، وأحد أصول الآخر من كرمان ، فسماهم صلى الله عليه وآله وسلم باسمه ، وإن لم يشتهر ذلك عندنا ، كما نسبهم إلى قنطورا ، وهى أمة كانت لإبراهيم عليه السلام . وقال فى الفتح : بلادهم ما بين مشارق خراسان إلى مغارب الصين وشمالى الهند إلى أقصى المعمور . قال البيضاوى : شبه وجوههم بالترس لبسطها وتدويرها ، وبالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها (نعالهم الشعر) تقدم القول فيه ، وقاتل المسلمون

الترك فى خلافة بنى أُمية ، وكان الطريق ما بينهم وبين المسلمين مسدوداً إلى أن فتح ذلك شيئاً بعد شىء منهم ، وتنافس فيهم الملوك لما فيهم من الشدة والبأس حتى كان أكثر عسكر المعتصم منهم ، ثم غلب الأتراك على الملك فقتلوا ابنه المتوكل ثم أولاده واحداً بعد واحد ، إلى أن خالط المملكة الديلم ، ثم كان الملوك السامانية من الترك أيضاً ، فملكوا بلاد العجم ، ثم غلب على تلك الممالك سبكتكين ثم آل سلجوق ، وامتدت مملكتهم إلى العراق والشام والروم ، ثم كان بقايا أتباعهم بالشام وهم آل زنكى وأتباع هؤلاء وهم بيت أيوب ، واستكثر هؤلاء أيضاً من الترك فغلبوهم على المملكة بالديار المصرية والشامية والحجازية ، وخرج على آل سلجوق فى المائة الخامسة الغز فخربوا البلاد وفتكوا فى العباد ، ثم جاءت الطامة الكبرى المعروفة بالتتر فكان خروج جنكزخان بعد الستمائة ، فاستعرت بهم الدنيا ناراً ، خصوصاً المشرق بأسره ، حتى لم يبق بلد منه حتى دخله شرهم ، ثم كان خراب بغداد وقتل الخليفة المستعصم آخر خلفائهم على أيديهم فى سنة ست وخمسين وستمائة ، ثم لم تزل بقاياهم يخرجون ، إلى أن كان اللنك ومعناه الأعرج واسمه تمر ، فطرق الديار الشامية وعاث فيها ، وخرب دمشق حتى صارت خاوية على عروشها ، ودخل الروم والهند وما بين ذلك ، وطالت مدته إلى أن أخذه الله ، وتفرق بنوه البلاد ، وأخذوا ممالك كثيرة ، وظهر مصداق ما أخبر به صلى الله عليه وآله وسلم ، ومنهم ملوك الهند المغلية ، وكان لهم صولة وشوكة فى بلاد الهند إلى آخر سنة ألف ومائتين حتى غلب على تلك البلاد النصارى البرطانية ، وتلاشت حكومتهم ودولتهم على أيدى هؤلاء الظلمة الكفرة ، وقيدوا آخرهم وهو أبو المظفر سراج الدين بهادر شاه فى سنة ١٢٧٣ الهجرية ، فلم يبق لهم عين ولا أثر ، ولله الأمر من قبل ومن بعد . وهذه المائة الثالثة عشر قد قربت بالانصرام ، وكثرت الفتن فى هذه الأيام بين الروم والروس وما بين ذلك . ولعل المائة الآتية مقدمة لظهور المهدى المنتظر الموعود الذى أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم فى الأحاديث الكثيرة الصحيحة التى بلغت حدّ التواتر ، والله أعلم بما كان وما يكون ، وإلى الله ترجع الأمور ، ختم الله لنا بالحسنى فى هذه الفتن والشرور ، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير .

الحديث الثانى والثلاثون

وَعَنْهُ أَيْضاً رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : يُهْلِكُ النّاسَ هذَا الحَيُّ مِنْ قُرَيْشٍ . قالُوا : فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ قالَ : لَوْ أَنَّ النَّاسَ ٱعْتَزَلُوهُمْ .

(وعنه) أى عن أبى هريرة (رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : يهلك) بضم الياء وكسر اللام ، من الإهلاك (الناس هذا الحى من) بعض (قريش) وهم الأحداث منهم لا كلهم بسبب طلبهم الملك والحرب لأجله (قالوا : فما تأمرنا) يارسول الله (قال : لو أن الناس اعتزلوهم) بأن لا يداخلوهم ولا يقاتلوا معهم ، ويفروا بدينهم من الفتن ، لكان خيراً لهم . وهذا الحديث أخرجه مسلم فى الفتن .

الحديث الثالث والثلاثون

وَعَنْهُ أَيْضاً فى رِوَايَةٍ قالَ : سَمِعْتُ الصَّادِقَ المَصْدُوقَ يَقُولُ : هَلاكُ أُمَّتِى عَلى يَدَىْ غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، إِنْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيَهُمْ بَنِى فُلَان وَبَنِى فُلان .

(وعنه) أى عن أبى هريرة (رضى الله عنه فى رواية قال : سمعت الصادق المصدوق صلى الله عليه) وآله (وسلم يقول : هلاك أُمتى) الموجودين إذ ذاك ومن قاربهم لا كل الأمة إلى يوم القيامة (على يدى غلمة) بكسر الغين المعجمة وسكون اللام ، جمع غلام : وهو الطار الشارب (من قريش إن شئت أن أُسميهم بنى فلان وبنى فلان) وكان أبو هريرة يعرف أسماءهم ، وكان ذلك من الجراب الذى لم يحدث به . وزاد فى الفتن : فكنت أخرج مع جدى إلى بنى مروان حين ملكوا الشام فإذا رآهم غلماناً أحداثاً قال لنا : عسى هؤلاء أن يكونوا منهم . قلنـا : أنت أعـلم وقائل . فكنت أخرج مع جدى عمرو بن يحيى . وعند ابن أبى شيبة : إن أبا هريرة رضى الله عنه كان يمشى فى السوق ويقول : اللهم لا تدركنى سنة ستين ولا إمارة الصبيان . قال فى الفتح : وفى هذا إشارة إلى أن أول الأغيلمة كان فى سنة ستين ، وهو كذلك ، فإن يزيد بن معاوية استخلف فيها وبقى إلى سنة أربع وستين فمات ثم ولى ولده معاوية ومات بعد الشهر . وقال الطيبى : رآهم صلى الله عليه وآله وسلم فى منامه يلعبون على منبره صـلى الله عليه وآله وسلم . وقد جاء فى تفسير قوله تعالى : « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس » أنه رأى فى المنام أن ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة .

الحديث الرابع والثلاثون

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُ قالَ : كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ ٱللّٰهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللّٰهِ إِنَّا كُنَّا فى جاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا ٱللّٰهُ بِهَذَا الْخَيْرِ ، فَهَلْ بَعْدَ هذا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ، قالَ : نَعَمْ ، قُلْتُ : وَهَلْ بَعْدَ هذَا الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ ؟ قالَ : نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ ، قُلْتُ : وَما دَخَنُهُ ؟ قالَ : قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِى تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ ، قُلْتُ : فَهَلْ بَعْدَ ذلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ قالَ : نَعَمْ دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللّٰهِ صِفْهُمْ لَنَا ، فَقَالَ : هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللّٰهِ فَمَا تَأْمُرُنِى إِنْ أَدْرَكَنِى ذلِكَ ، قالَ : تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ ، قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمامٌ ، قالَ : فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا ، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذلِكَ .

(عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال : كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى) والشر : الفتنة ووهن عرا الإسلام واستيلاء الضلال وفشو البدعة ورفض السنة ، والخير عكسه يدل عليه قوله (فقلت : يارسول الله إنا كنا فى جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير) أى يبعثك وتشييد مبانى الإسلام وهدم قواعد الكفر والضلال (فهل بعد هذا الخير من شر؟) أى فتنة (قال) صلى الله عليه وآله وسلم (نعم ، قلت) يارسول الله (وهل بعد هذا الشر من خير ؟ قال : نعم وفيه) أى الخير (دخن) بفتح الدال والخاء ، أى كدر غير صاف ولا خالص . قال النووى كالقاضى عياض : قيل : المراد بالخير بعد الشر أيام عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، قال حذيفة (قلت) يا رسول الله (وما دخنه) أى كدره (قال : قوم يهدون) الناس (بغير هديى) قال

القسطلانى : أى لايستنون بسنتى . وللأصيلى : هدى بضم الهاء (تعرف منهم وتنكر) أى تعرف منهم الخير فتشكره والشر فتنكره ، وهو من المقابلة المعنوية ، فهو راجع إلى قوله « وفيه دخن » والخطاب من الخطاب العام (قلت : فهل بعد ذلك الخير) المشوب بالكدر (من شر ؟ قال : نعم ، دعاة) جمع داع (إلى أبواب جهنم) أى باعتبار ما يؤول إليه شأنهم ، أى يدعون الناس إلى الضلالة والبدعة ، ويصدونهم عن الهدى والسنة بأنواع من التلبيس ، فلذا كان بمنزلة أبواب جهنم (من أجابهم إليها) أى إلى النار ، أى إلى الخصال التى تؤول إليها (قذفوه فيها) أعاذنا الله من ذلك ومن جميع المهالك بمنه وكرمه . قيل : المراد بالشر بعد الخير الأمراء بعد عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه (قلت : يارسول الله صفهم) أى الدعاة (لنا ، فقال) صلى الله عليه وآله وسلم (هم من جلدتنا) بكسر الجيم وسكون اللام ، أى من أنفسنا وعشيرتنا من العرب أو من أهل ملتنا (ويتكلمون بألسنتنا) قال القابسى : أى من أهل لساننا من العرب . وقيل : يتكلمون بما قال الله ورسوله من المواعظ والحكم وليس فى قلوبهم شىء من الخير ، « يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم » . قال حذيفة (قلت) يارسول الله (فما تأمرنى إن أدركنى ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم) أى أميرهم ولو جار . وعند مسلم : تسمع وتطيع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك (قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام) يجتمعون على طاعته (قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض) بفتح العين وتشديد الضاد (بأصل شجرة) فلا تعدل عنها (حتى يدركك الموت وأنت على ذلك) العض . قال التوربشتى : أى تتمسك بما تقوى به عزيمتك على اعتزالهم ولو بما لا يكاد يصح أن يكون متمسكاً . وقال الطيبى : هذا شرط تعقب به الكلام تتميما ومبالغة ، أى اعتزال الناس اعتزالا لا غاية بعده ، ولوقنعت فيه بعض أصل الشجرة افعل فإنه خير لك . وقال البيضاوى : المعنى : إذا لم يكن فى الأرض خليفة فعليك بالعزلة والصبر على تحمل شدة الزمان ، وعض أصل الشجرة كناية عن مكابدة المشقة ، كقولهم : فلان يعض الحجارة من شدة الألم ، أو المراد اللزوم كقوله فى الحديث الآخر : عضوا عليها بالنواجذ . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى الفتن ، ومسلم فى الإمارة الجماعة ، وابن ماجه فى الفتن .

الحديث الخامس والثلاثون

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُ قالَ : إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ ٱللّٰهِ صلى الله عليه وسلم فَلَأَنْ أَخِرَّ مِنْ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ ، وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فَإِنَّ الحَرْبَ خُدْعَةٌ ، سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللّٰهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : يَأْتِي فى آخِرِ الزَّمانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ ، يَقُولُون مِنْ قَوْلِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ .

(عن عليّ رضى الله عنه قال : إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم فلأن أخرّ من السماء أحب إليّ من أن أكذب عليه ، وإذا حدثتكم فيما بينى وبينكم فإن الحرب خدعة) بفتح الخاء وضمها ، وتكون بالتورية وبخلف الوعد ، وذلك من المستثنى الجائز المخصوص من المحرم المأذون فيه رفقاً بالعباد ، وليس للعقل فى تحريمه ولا تحليله أثر إنما هو إلى الشارع (سمعت رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يقول : يأتى فى آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان) أى صغارها (سفهاء الأحلام) أى ضعفاء العقول (يقولون من خير قول البرية) وهو القرآن كما فى حديث أبى سعيد ، يقرأون القرآن ، وكان أول كلمة خرجوا بها قولهم : لا حكم إلا لله ، وانتزعوها من القرآن ، لكنهم حملوها على غير محملها (يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية) إذا رماه رام قوى الساعد فأصابه فنفذ منه بسرعة بحيث لايعلق بالسهم ولا بشىء منه من المرمى شىء (لايجاوز إيمانهم حناجرهم) جمع حنجرة بوزن قسورة ، وهى رأس الغلصمة ، منتهى الحلقوم ، حيث تراه بارزاً من خارج الحلق ، والحلقوم : مجرى الطعام والشراب ، وقيل : الحلقوم : مجرى النفس ، والمرىء : مجرى الطعام والشراب ، وهو تحت الحلقوم ، والمراد أنهم مؤمنون بالنطق لا بالقلب(فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة) لسعيهم فى الأرض بالفساد . واحتج السبكى لتكفيرهم بأنهم كفروا أعلام الصحابة لتضمنه تكذيب النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى شهادته لهم بالجنة . واحتج القرطبى فى المفهم بقوله : إنهم يخرجون من الإسلام ولم يتعلقوا منه بشىء كما خرج السهم من الرمية .

الحديث السادس والثلاثون

عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ : شَكَوْنَا إلى رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم وَهْوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فى ظِلِّ الْكَعْبَة ، قُلْنا لَهُ : أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا ، أَلَا تَدْعُو اللهَ لَنَا ، قالَ : كانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فى الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَما يَصُدُّهُ ذلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ ما دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَما يَصُدُّهُ ذلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَٱللهِ لَيَتِمَّنَّ هذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ ، لَا يَخَافُ إلاَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوِ ٱلذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ .

(عن خباب بن الأرت) بفتح المعجمة وتشديد الموحدة ، والأرت بهمزة وراء وتاء فوقية مشددة (رضى الله عنه قال : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة ، قلنا له) يا رسول الله (ألا تستنصر) تطلب (لنا) من الله عز وجل النصر على الكفار (ألا تدعو الله لنا ، قال : كان الرجل فيمن قبلكم) من الأنبياء وأممهم (يحفر له فى الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار) بكسر الميم والياء أو النون ، يقال : نشرت الخشبة وأنشرتها (فيوضع على رأسه فيشق باثنتين ، وما يصده ذلك) أى وضع المنشار على مفرق رأسه (عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد) جمع مشط بضم الميم وتكسر (ما دون لحمه) أى تحته أو عنده (من عظم أو عصب ، وما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمنّ) من الإتمام والإكمال (هذا الأمر) أى أمر الإسلام (حتى يسير الراكب من صنعاء) قاعدة اليمن ومدينته العظمى (إلى حضرموت) بلدة باليمن أيضاً ، بينها وبين صنعاء مسافة بعيدة ، قيل : أكثر من أربعة أيام ، أو المراد صنعاء الشام ، فيكون أبلغ فى البعد ، والأول أقرب ، قال ياقوت : هى قرية على باب دمشق عند باب الفراديس تتصل بالعقبية . قال فى الفتح : سميت باسم من نزلها من أهل صنعاء اليمن ، والمراد نفى الخوف من الكفار على المسلمين كما قال (لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه) عطف على الجلالة الشريفة (ولكنكم تستعجلون) وهذا الحديث أخرجه فى الإكراه ، وفى باب ما لقى النبى صلى الله عليه وآله وسلم من المشركين بمكة ، وأبو داود فى الجهاد ، والنسائى فى العلم والزينة .

الحديث السابع والثلاثون

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ٱفْتَقَدَ ثابِتَ بْنَ قَيْسٍ ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ ٱللهِ أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ ، فَأَتَاهُ الرَّجُلُ فَوَجَدَهُ جالِساً فِى بَيْتِهِ مُنَكِّساً رَأْسَهُ ، فَقَالَ : ما شَأْنُكَ ؟ قالَ : شَرٌّ كانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَأَتَى الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قالَ كَذَا وَكَذَا ، فَرَجَعَ المَرَّةَ الآخِرَةَ بِبِشَارَةٍ عَظِيمَةٍ ، فَقَالَ : اذْهَبْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ : إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَلكِنْ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ .

(عن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم افتقد ثابت بن قيس) بن شماس خطيبه صلى الله عليه وآله وسلم وخطيب الأنصار (فقال رجل) فى الفتح : هو سعد بن معاذ . رواه مسلم ، وإسماعيل القاضى فى أحكام القرآن . ورواه الطبرانى لعاصم بن عدى العجلانى ، والواقدى لأبى مسعود البدرى ، وابن المنذر لسعد بن عبادة ، وهو أقوى وأشبه بالصواب (يارسول الله أنا أعلم لك) أى لأجلك (علمه) أى خبره (فأتاه) الرجل (فوجده) حال كونه (جالساً فى بيته منكساً رأسه) بكسر الكاف المشددة (فقال : ما شأنك ؟) أى ما حالك (فقال) ثابت حالى (شركان يرفع صوته) التفات من الحاضر إلى الغائب ، وكان الأصل أن يقول : كنت أرفع صوتى (فوق صوت النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم فقد حبط عمله) أى بطل ، والأصل أن يقول : عملى كما مر (وهو من أهل النار ، فأتى الرجل) النبي صلى الله عليه وآله وسلم (فأخبره أنه) أى ثابتاً (قال كذا وكذا) يعنى أنه قد حبط عمله فهو من أهل النار ، فقال موسى بن أنس الراوى (فرجع) الرجل إلى ثابت (المرة الآخرة) من عنده صلى الله عليه وآله وسلم (ببشارة عظيمة ، فقال) له النبي صلى الله عليه وآله وسلم (اذهب إليه) أى إلى ثابت (فقل له : إنك لست من أهل النار ولكن من أهل الجنة) وعند ابن سعد من مرسل عكرمة أنه لما كان يوم اليمامة انهزم المسلمون ، فقال ثابت : أفٍّ لهؤلاء وما يعبدون ولهؤلاء

وما يصنعون، قال: ورجل قائم على ثلمة فقتله وقتل . وعند ابن أبى حاتم فى تفسيره عن ثابت عن أنس فى آخر قصة ثابت بن قيس : فكنا نراه يمشى بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة، فلما كان يوم اليمامة كان فى بعضنا بعض الانكشاف ، فأقبل وقد تكفن وتحنط ، فقاتل حتى قتل ، وظهر بذلك مصداق قوله صلى الله عليه وآله وسلم : إنه من أهل الجنة ، لكونه استشهد ، وبهذا تحصل المطابقة ، وليس هذا مخالفاً لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : أبو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة ، إلى آخر العشرة ، لأن التخصيص بالعدد لا ينافى الزائد .

الحديث الثامن والثلاثون

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عازِبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ : قَرَأَ رَجُلٌ الْكَهْفَ وَفى ٱلدَّارِ ٱلدَّابَّةُ فَجَعَلَتْ تَنْفِرُ ، فَسَلَّمَ الرَّجُلُ فَإِذَا ضَبَابَةٌ أَوْ سَحَابَةٌ غَشِيَتْهُ ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فقَالَ : ٱقْرَأْ فُلَانُ فَإِنَّهَا السَّكِينَةُ نَزَلَتْ لِلْقُرْآنِ أَوْ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ .

(عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : قرأ رجل) هو أُسيد بن حضير (الكهف ، وفى الدار الدابة) أى فرسه (فجعلت تنفر ، فسلم الرجل) قال الكرمانى : دعا بالسلامة ، كما يقال : اللهم سلم أو فوّض الأمر إلى الله تعالى ، ورضى بحكمه ، أو قال سلام عليك (فإذا ضبابة) سحابة تغشى الأرض كالدخان . وقال الداودى : الغمام : الذى لا مطر فيه (أو) قال (سحابة غشيته) شك الراوى (فذكره) أى ما وقع له (للنبى صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فقال : اقرأ فلان) قال النووى: معناه : كان ينبغى أن تستمر على القرآن وتغتنم ما حصل لك من نزول السكينة والملائكة، وتستكثر من القراءة التى هى سبب بقائهما . انتهى . فليس أمراً له بالقراءة فى حالة التحديث ، وكأنه استحضر صورة الحال فصار كأنه حاضر لما رأى ما رأى . وفى حديث أبى سعيد عند البخارى فى فضائل القرآن أن أُسيد بن حضير كان يقرأُ من الليل سورة البقرة ، فظاهره التعدد ، ويحتمل أن يكون قرأ البقرة والكهف جميعاً أو من كل منهما (فإنها) أى الضبابة (السكينة) وهى ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان . رواه الطبرى وغيره عن علىّ . وقيل : لها رأسان . وعن مجاهد : رأس كرأس الهر . وعن الربيع بن أنس : لعينها شعاع . وعن وهب هى روح من روح الله . وقيل غير ذلك .قال القسطلانى : واللائق هنا الأول. انتهى . قلت : الأولى حمل السكينة على معناها اللغوى . وهذه الأقوال كلها لامستند لها من السنة ولا من اللغة (نزلت للقرآن أو) قال (تنزلت للقرآن) ومطابقة الحديث للترجمة فى إخباره صلى الله عليه وآله وسلم عن نزول السكينة عند القراءة . وأخرجه أيضاً فى الصلاة ، والترمذى فى فضائل القرآن .

الحديث التاسع والثلاثون

عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ ، فَقَالَ وَكَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ قالَ : لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ ٱللهُ ، فَقَالَ لَهُ : لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى ، قالَ قُلْتَ : طَهُورٌ ، كَلَّا بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ أَوْ تَثُورُ عَلى شَيْخٍ كَبِيرٍ تُزِيرُهُ الْقُبُورَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: فَنَعَمْ إِذاً .

(عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم دخل على أعرابى) قيل: هو قيس بن أبى حازم كما فى ربيع الأبرار للزمخشرى . قال فى الفتح : ولم أر تسميته بغيره ، فهذا إن كان محفوظاً فهو غير قيس ابن أبى حازم أحد المخضرمين، لأن صاحب القصة مات فى زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقيس لم ير النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى حال إسلامه، ولا صحبة له ، ولكن أسلم فى حياته ، ولأبيه صحبة، وعاش بعده دهراً طويلا (يعوده ، فقال ، وكان النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم إذا دخل على مريض يعوده قال : لا بأس طهور) لك من ذنوبك ، أى مطهرة (إن شاء الله) يدل على أن قوله دعاء لا خــبر (فقال) صلى الله عليه وآله وســلم (له) أى للأعرابى (لا بأس طهور إن شاء الله تعالى، قال) الأعرابى مخاطباً له صلى الله عليه وآله وسلم (قلت: طهور ، كلا) ليس بطهور (بل هى حمى) أى المرض حمى (تفور) أى يظهر حرها ووهجها وغليانها (أو) قال (تثور) شك من الراوى (على شيخ كبير تزيره القبور) من أزاره إذا حمله على الزيارة (فقال النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم : فنعم إذن) بالتنوين ، يعنى أرشدتك بقولى : لا بأس عليك إلى أن الحمى تطهرك وتنقى ذنوبك ، فاصبر واشكر الله

عليها ، فأبيت إلا اليأس والكفران ، فكان كما زعمت ، وما اكتفيت بذلك بل رددت نعمة الله . قاله غضباً عليه . قاله فى شرح المشكاة . وزاد الطبرانى من حديث شرحبيل والد عبد الرحمن : أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال للأعرابى : إذا أبيت فهى كما تقول وقضاء الله كائن ، فما أمسى من الغد إلا ميتاً . قال فى الفتح : وبهذه الزيادة يظهر دخول هذا الحديث فى الباب ، وأخرجه الدولابى فى الكنى بلفظ : فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ما قضى الله فهو كائن ، فأصبح الأعرابى ميتاً.وحديث الباب أخرجه البخارى أيضاً فى الطب والتوحيد ، والنسائى فى الطب وفى اليوم والليلة .

الحديث الأربعون

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : كانَ رَجُلٌ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ ، وَقَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ ، فَكانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليـــه وسلم ، فَعَادَ نَصْرَانِيًّا ، فَكانَ يَقُولُ : ما يَدْرِي مُحَمَّدٌ إِلاَّ ما كَتَبْتُ لَهُ ، فَأَماتَهُ اللهُ ، فَدَفَنُوهُ ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ ، فَقَالُوا : هذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ، لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا فَأَلْقَوْهُ فَحَفَرُوا لَهُ فَأَعْمَقُوا ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ ، فَقَالُوا : هـــذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ فَأَلْقَوْهُ خارِجَ الْقَبْرِ فَحَفَرُوا لَهُ . فَأَعْمَقُوا لَهُ فِي الْأَرْضِ ما اسْتَطَاعُوا ، فَأَصْبَحَ قَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مَنْ النَّاسِ فَأَلْقَوْهُ .

(عن أنس رضى الله عنه قال : كان رجل نصرانياً) قال فى الفتح : لم أقف على اسمه . وقال فى القسطلانى : لم يسم . وفى مسلم : إنه من بنى النجار (فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران ، فكان يكتب للنبى صلى الله عليه) وآله (وسلم) الوحى (فعاد نصرانياً) كما كان . ولمسلم : فانطلق هارباً حتى لحق بأهل الكتاب فرفعوه (فكان يقول) لعنه الله (ما يدرى محمد إلا ما كتبت له ، فأماته الله) ولمسلم فما لبث أن قصم الله عنقه فيهم (فدفنوه فأصبح وقد لفظته الأرض) أى طرحته ورمته من داخل القبر إلى خارجه لتقوم الحجة على من رآه ويدل على صدقه صلى الله عليه وآله وسلم (فقالوا) أى أهل الكتاب (هذا) الرمى (فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم) وللإسماعيلى : لما لم يرض دينهم (نبشوا عن صاحبنا) قبره (فألقوه) خارجه (فحفروا له فأعمقوا) أى أبعدوا (فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا : هذا فعل محمد وأصحابه ، نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه خارج القبر ، فحفروا له ، فأعمقوا له فى الأرض ما استطاعوا ، فأصبح قد لفظته الأرض ، فعلموا أنه ليس من الناس) بل من رب الناس (فألقوه) وعند مسلم : فتركوه منبوذاً .

الحديث الحادى والأربعون

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم : هَلْ لَكُمْ مِنْ أَنْمَاطٍ ؟ قُلْتُ : وَأَنَّى يَكُونُ لَنَا الْأَنْمَاطُ ؟ قالَ : أَمَا إِنَّهُ سَيَكُونَ لَكُمُ الْأَنْمَاطُ ، فَأَنَا أَقُولُ لَهَا أَخِّرِى عَنَّا أَنْمَاطَكِ ، فَتَقُولُ : أَلَمْ يَقُلِ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم إِنَّهَا سَتَكُونُ لَكُمُ الْأَنْمَاطُ فَأَدَعُهَا .

(عن جابر رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم : هل لكم من أنماط ؟) بفتح الهمزة : ضرب من البسط له خمل رقيق واحده نمط . قال فى الفتح إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال له ذلك لما تزوج (قلت : وأنى يكون لنا الأنماط ؟ قال : أما إنه سيكون لكم الأنماط) قال جابر (فأنا أقول لها) يعنى امرأته سهلة بنت مسعود بن أوس بن مالك الأنصارية الأوسية كما ذكره ابن سعد (أخرى عنا أنماطك ، فتقول : ألم يقل النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم أنها ستكون لكم الأنماط) قال فى الفتح : فى استدلالها على اتخاذ الأنماط بإخباره صلى الله عليه وآله وسلم بأنها ستكون نظر ، لأن الإخبار بأن الشيء سيكون لا يقتضى إباحته إلا إن استند المستدل به إلى التقرير ، فيقول : أخبر الشارع بأنه سيكون ولم ينه عنه فكأنه أقره . انتهى . وفى مسلم من حديث عائشة قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى غزاته ، فأخذت نمطاً فنشرته على الباب ، فلما قدم فرأى النمط عرفت الكراهية فى وجهه ، فجذبه حتى هتكه ، فقال : إن الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين ، قالت : فقطعت منه وسادتين ، فلم يعب ذلك علىّ ، فيؤخذ منه أن الأنماط لا يكره اتخاذها لذاتها بل لما يصنع بها . قال جابر (فأدعها) أى أترك الأنماط بحالها مفروشة .

الحديث الثاني والأربعون

عَنْ سَعْدِ بْن مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قالَ لِأُمَيَّةَ بْنِ خَلفٍ : إِنِّى سمِعْتُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وسلم يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلُكَ ، قالَ : إِيَّايَ ؟ قالَ : نَعَمْ ، قالَ : وَٱللهِ ما يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ إِذَا حَدَّثَ ، فَقَتَلَهُ ٱللهُ بِبَدْرٍ ، وَفِى الحَدِيثِ قِصَّةُ هذَا مَضْمُونُ الحَدِيثِ مِنْهَا .

(عن سعد بن معاذ) الأنصارى الأشهلى من المدينة (رضى الله عنه أنه قال لأمية بن خلف) أبى صفوان وكان من كبار المشركين (إنى سمعت محمداً صلى الله عليه) وآله (وسلم يزعم أنه قاتلك ، قال : إياى ، قال) سعد (نعم) إياك (قال) أُمية (والله ما يكذب محمد إذا حدّث ، فقتله الله ببدر) أى فى وقعتها (وفى الحديث قصة هذا مضمون الحديث منها) وفيه علامة من علامات النبوّة حيث أخبر بما يقع ، فوقع ولله الحمد .

الحديث الثالث والأربعون

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ فَجَعَلَ يُحَدِّثُ ، ثُمَّ قامَ فَقَالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم لِأُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا : مَنْ هذَا ؟ أَوْ كَمَا قَالَ ، قالَتْ : هذَا دِحْيَةُ . قالَتْ : أَيْمُ ٱللهِ ما حَسِبْتُهُ إلاَّ إِيَّاهُ حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ نَبِيِّ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم يُخْبِرُ عَنْ جِبْرِيلَ ، أَوْ كَمَا قَالَ .

(عن أُسامة بن زيد رضى الله عنهما أن جبريل عليه السلام أتى النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم وعنده أم سلمة فجعل يحدث) رجلا عنده (ثم قام) الرجل (فقال النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم لأم سلمة) يستفهمها عن الذى كان يحدثه : هل عرفت أنه ملك أم لا (من هذا ؟ أو كما قال) شك الراوى فى اللفظ مع بقاء المعنى (قالت : هذا دحية) بن خليفة الكلبى ، وكان جبريل عليه السلام يأتى كثيراً فى صورته (قالت) أم سلمة (أيم الله ما حسبته إلا إياه حتى سمعت خطبة نبى الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يخبر عن جبريل أو كما قال) قال فى الفتح : ولم أقف فى شىء من الروايات على بيان هذا الخبر فى أى قصة ، ويحتمل أن يكون فى قصة بنى قريظة ، فقد وقع فى الدلائل للبيهقى عن عائشة أنها رأت النبى صلى الله عليه وآله وسلم يكلم رجلا وهو راكب ، فلما دخل قلت : من هذا الرجل الذى كنت تكلمه ؟ قال : بمن تشبهينه ؟ قلت : بدحية بن خليفة ، قال : ذلك جبريل أمرنى أن أمضى إلى بنى قريظة . انتهى . فليتأمل .

الحديث الرابع والأربعون

عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْن عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ : رَأَيْتُ النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ فى صَعِيدٍ ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فَنَزَعَ ذَنُوباً أَوْ ذَنُوبَيْن ، وَفى نَزْعِهِ ضَعْفٌ ، وَٱللهُ يَغْفِرُ لَهُ ، ثُمَّ أَخَذَهَا عُمَرُ فَاسْتَحَالَتْ بِيَدِهِ غَرْباً ، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا فى النَّاسِ يَفْرِى فَرِيَّهُ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بعَطَن .

(عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : رأيت الناس مجتمعين فى صعيد ، فقام أبو بكر فنزع ذنوباً) دلواً مملوءاً ماءاً (أو ذنوبين) ليست أو لشك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما رأى ، بل لشك الراوى ، فقد جاء ذنوبين بلا شك (وفى نزعه ضعف ، والله يغفر له) وليس فى هذا حط لفضل أبى بكر ولكنه إشارة لقلة الفتوحات فى زمنه لاشتغاله بقتال أهل الردة مع قصر مدة خلافته (ثم أخذها عمر فاستحالت بيده) أى انقلبت (غرباً) دلواً أكبر من الذنوب ، ففيه إشارة إلى عظم الفتوحات فى زمنه وكثرتها ، وكان كذلك (فلم أر عبقرياً فى الناس) كاملا قوياً رئيساً (يفرى فريه) يعمل عمله ويقوى قوته (حتى ضرب الناس بعطن) هو للإبل كالوطن للناس ، لكن غلب على مبركها حول الحوض . وقال ابن الأنبارى : معناه : حتى رووا إبلهم وأبركوها وضربوا لها عطناً ، أى لتشرب عللا بعد نهل وتستريح فيه .

الحديث الخامس والأربعون

وَعَنْهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّ الْيَهُودَ جاءُوا إِلَى رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ رَجُلاً مِنْهُمْ وَٱمْرَأَةً زَنَيَا ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : ما تَجِدُونَ فى التَّوْرَاةِ فى شَأْنِ الرَّجْمِ ، فَقَالُوا : نَفْضَحُهُمْ وَيُجْلَدُونَ ، فَقَالَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ سَلَامٍ : كَذَبْتُمْ إِنَّ فِيهَا الرَّجْمَ ، فَأَتَوْا بِالتَّوْرَاةِ فَنَشَرُوهَا ، فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ فَقَرَأَ ما قَبْلَهَا وَما بَعْدَهَا ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ سَلَامٍ : ارْفَعْ يَدَكَ ، فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ ، فَقَالُوا : صَدَقَ يَامُحَمَّدُ ، فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ ، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم فَرُجِمَا .

(وعنه) أى عن عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما أن اليهود جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فذكروا له أن رجلا منهم) من اليهود ، لم يسم (وامرأة) منهم أيضاً (زنيا) واسم المرأة بسرة بضم الباء . وذكر أبو داود السبب فى ذلك من طريق الزهرى ولفظه : سمعت رجلا من مزنية ممن يتبع العلم ، وكان عند سعيد بن المسيب يحدث عن أبى هريرة ، قال : زنى رجل من اليهود بامرأة ، فقال بعضهم لبعض : اذهبوا بنا إلى هذا النبى فإنه بعث بالتخفيف ، فإن أفتانا بفتيا دون الرجم قبلناها واحتجبنا بها عند الله وقلنا : فتيا نبى من أنبيائك ، قال : فأتوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو جالس فى المسجد فى أصحابه ، فقالوا : يا أبا القاسم ما ترى فى رجل وامرأة منهم زنيا (فقال لهم رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) ليلزمهم ما يعتقدون فى كتابهم (ماتجدون فى التوراة فى شأن الرجم) فى حكمه ، ولعله أوحى إليه أن حكم الرجم فيها ثابت على ما شرع له لم يلحقه تبديل (فقالوا : نفضحهم) من الفضيحة ، أى نكشف مساويهم للناس ونبينها (ويجلدون) مبنياً للمفعول (فقال عبد الله ابن سلام) الخزرجى من بنى يوسف بن يعقوب عليهما السلام ، وشهد له النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالجنة (كذبتم إن فيها الرجم) أى على الزانى المحصن (فأتوا بالتوراة فنشروها ، فوضع أحدهم)

هو عبد الله بن صوريا الأعور (يده على آية الرجم ، فقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال له عبد الله بن سلام : ارفع يدك ، فرفع يده فإذا فيها آية الرجم ، فقالوا) أى اليهود (صدق) ابن سلام (يامحمد ، فيها) فى التوراة (آية الرجم ، فأمر بهما) بالزانيين (رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم فرجما) وفى حديث جابر عند أبى داود : فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالشهود فى أربعة ، فشهدوا أنهم رأوا ذكره فى فرجها مثل المرود فى المكحلة ، فأمر بهما فرجما ، قال ابن عمر : فرأيت الرجل يجنأ ، بالجيم الساكنة والهمزة آخره ، أى يكب . وفى رواية لأبى ذر عن الحموى والمستملى : يحنى بالحاء المهملة وكسر النون من غير همز ، أى يعطف على المرأة يقيها الحجارة ، وقد أخرجه فى المحاربين ، ومسلم فى الحدود ، وكذا الترمذى ، وأخرجه النسائى فى الرجم .

الحديث السادس والأربعون

عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم شِقَّتَيْنِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : ٱشْهَدُوا .

(عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه) أنه (قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) زمنه وفى أيامه (شقتين) بكسر الشين وتفتح ، أى نصفين ، وزاد أبو نعيم فى الدلائل من طريق عتبة بن عبد الله : قال ابن مسعود : فلقد رأيت أحد شقيه على الجبل الذى بمنى ونحن بمكة (فقال النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم : اشهدوا) من الشهادة ، وإنما قال ذلك لأنها معجزة عظيمة لا يكاد يعدلها شىء من آيات الأنبياء . وهذا الحديث أخرجه البخارى فى سؤال المشركين أن يريهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم آية ، أى معجزة خارقة للعادة ، فأراهم انشقاق القمر . وحديث الباب أخرجه أيضاً فى التفسير ، ومسلم فى التوبة ، والترمذى فى التفسير ، وكذا النسائى . قال القسطلانى : وانشقاق القمر من أُمهات المعجزات ، وأجمع عليه المفسرون وأهل السنة ، وروى عن جماعة كثيرة من الصحابة . انتهى . وفى الفتح : وقد ورد انشقاق القمر أيضاً فى حديث علىّ وحذيفة وجبير بن مطعم وابن عمر وغيرهم .

الحديث السابع والأربعون

عَنْ عُرْوَةَ الْبَارِقِيِّ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَعْطَاهُ دِينَاراً يَشْتَرِي لَهُ بِهِ شَاةً ، فَاشْتَرَى لَهُ بِهِ شَاتَيْنِ ، فَبَاعَ إِحْدَاهُمَا بِدِينَارٍ وَجاءَهُ بِدِينارٍ وَشَاةٍ ، فَدَعا لَهُ بِالْبَرَكَةِ فِى بَيْعِهِ، فَكانَ لَوِ ٱشْتَرَى التُّرَابَ لَرَبِحَ فِيهِ .

(عن عروة) بن الجعد أو ابن أبى الجعد ، وقيـــل اسم أبيه عياض (البارقى) الصحابى الكوفى ، وهو أول قاض بها (رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم أعطاه ديناراً يشترى له به شاة ، فاشترى له به) بالدينار (شاتين ، فباع إحداهما) أى إحدى الشاتين (بدينار وجاء بدينار وشاة ، فدعا) صلى الله عليه وآله وسلم (له بالبركة فى بيعه) وفى رواية أحمد: فقال : اللهم بارك فى صفقة يمينه ، وفيه أنه أمضى له ذلك وارتضاه (وكان لو اشترى التراب لربح فيه) ولأحمد قال : فلقد رأيتنى أقف بكناسة الكوفة فأربح أربعين ألفاً قبل أن أصل إلى أهلى . واستدل بهذا الحديث على جواز بيع الفضولى ، ووجه الدلالة منه كما قال ابن الرفعة أنه باع الشاة الثانية من غير إذن ، وأقره صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك ، وهو مذهب مالك فى المشهور عنه وأبى حنيفة ، وتوقف الشافعى فيه ، فتارة قال : لا يصح لأن هذا الحديث غير ثابت ، وهذه رواية المزنى عنه ، وتارة قال : إن صح الحديث قلت به ، وهذه رواية البويطى . وقد أجاب من لم يأخذ به بأنها واقعة عين ، فيحتمل أن يكون عروة كان وكيلا فى البيع والشراء معاً ، وهذا بحث قوى تعقب به الاستدلال بهذا الحديث على جواز تصرف الفضولى . وأطال القسطلانى فى بيان المسألة ، فارجع إليه .

فضائل اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم

وَمَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم
أَوْ رَآهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِهِ

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *
* سقط الباب لأبى ذر *

(فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم ورضى عنهم) أى بطريق الإجمال (ومن صحب النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم) فى زمن نبوّته ولو ساعة (أو رآه) فى حال حياته ولو لحظة مع زوال المانع من الرؤية كالعمى حال كونه فى وقت الصحبة أو الرؤية (من المسلمين) العقلاء ، ولو أنثى أو عبداً أو غير بالغ أو جنياً أو ملكاً على القول ببعثته إلى الملائكة (فهو من أصحابه) والاكتفاء بمجرد الرؤية من غير مجالسة ولا مماشاة ولا مكالمة مذهب الجمهور من المحدثين والأصوليين لشرف منزلته صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنه كما صرح به غير واحد إذا رآه مسلم أو رأى مسلماً لحظة طبع قلبه على الاستقامة ، إذ أنه بإسلامه متهيىء للقبول ، فإذا قابل ذلك النور المحمدى أشرق عليه فظهر أثره فى قلبه وعلى جوارحه . والصحبة لغة تتناول ساعة فأكثر ، وأهل الحديث كما قال النووى قد نقلوا الاستعمال فى الشرع والعرف على وفق اللغة وإليه ذهب الآمدى ، واختاره ابن الحاجب ، فلو حلف لا يصحبه حنث بلحظة ، وعد فى الإصابة من حضر معه صلى الله عليه وآله وسلم حجة الوداع من أهل مكة والمدينة والطائف وما بينهما من الأعراب ، وكانوا أربعين ألفاً ، لحصول رؤيتهم له صلى الله عليه وآله وسلم وإن لم يرهم هو ، بل ومن كان مؤمناً به زمن الإسراء إن ثبت أنه صلى الله عليه وآله وسلم كشف له فى ليلته عن جميع من فى الأرض فرآه وإن لم يلقه لحصول الرؤية من جانبه صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا كغيره يرد على ما قاله صاحب المصابيح : ليس الضمير المستتر فى قول البخارى « أو رآه يعود على النبى

صلى الله عليه وآله وسلم » لأنه يلزم عليه أن يكون من وقع عليه بصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم صحابياً ، وإن لم يكن هو وقع بصره على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا قائل به . انتهى . وأما ابن أم مكتوم وغيره ممن كان من الصحابة أعمى فيدخل فى قوله « ومن صحب » وكذا قوله « أورآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم » على ما لا يخفى . وقول الحافظ الزين العراقى فى شرح ألفيته : إن فى دخول الأعمى الذى جاء إليه صلى الله عليه وآله وسلم ولم يصحبه ولم يجالسه فى قول البخارى فى صحيحه : من صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورآه نظراً ظاهره أن فى نسخته التى وقف عليها ، ورآه بواو العطف من غير ألف فيكون التعريف مركباً من الصحبة والرؤية معاً ، فلا يدخل الأعمى كما قال ، لكن فى جميع ما وقفت عليه من الأصول المعتمدة أو التى للتقسيم ، وهو الظاهر لا سيما وقد صرح غير واحد بأن البخارى تبع فى هذا التعريف شيخه ابن المدينى ، والمنقول عنه أو بالألف ، وأما الصغير الذى لا يميز كعبد الله ابن الحارث بن نوفل ، وعبد الله بن أبى طلحة الأنصارى ممن حنكه صلى الله عليه وآله وسلم ودعا له ، ومحمد بن أبى بكر الصديق المولود قبل وفاته صلى الله عليه وآله وسلم بثلاثة أشهر وأيام ، فهو وإن لم تصح نسبة الرؤية إليه صحابى من حيث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رآه ، كما مشى عليه غير واحد ممن صنف فى الصحابة ، وأحاديث هؤلاء من قبيل مراسيل كبار التابعين ، ثم أن التقييد بالإســـلام يخرج من رآه فى حال الكفر فليس بصاحب على المشهور ، ولو أسلم كرسول قيصر ، وإن أخرج له الإمام أحمد فى مسنده . وقد زاد الحافظ ابن حجر كشيخه الزين العراقى فى التعريف : ومات على الإسلام ليخرج من ارتد بعد أن رآه مؤمناً ، ومات على الردة كابن خطل ، فلا يسمى صحابياً ، بخلاف من مات بعد ردته مسلماً فى حياته صلى الله عليه وآله وسلم أو بعده ، سواء لقيه ثانياً أم لا . وتعقب بأنه يسمى قبل الردة صحابياً ، ويكفى ذلك فى صحة التعريف ، إذ لايشترط فيه الاحتراز عن المنافى العارض ، ولذا لم يحترزوا فى تعريف المؤمن عن الردة العارضة لبعض أفراده ، فمن زاد فى التعريف أراد تعريف من يسمى صحابياً بعد انقراض الصحابة لا مطلقاً ، وإلا لزمه أن لا يسمى الشخص صحابياً فى حال حياته ، ولا يقول بهذا أحد . كذا قرره الجلال المحلى ، لكن انتزع بعضهم من قول

الأشعرى : إن من مات مرتداً تبين أنه لم يزل كافراً لأن الاعتبار بالخاتمة صحة إخراجه ، فإنه يصح أن يقال لم يره مؤمناً ، لكن فى هذا الانتزاع نظر ، لأنه حين رؤيته كان مؤمناً فى الظاهر ، وعليه مدار الحكم الشرعى فيسمى صحابياً قال القسطلانى : قاله شيخنا فى فتح المغيث . انتهى . وإن شئت تفصيل الكلام وتحقيق المرام على وجهه فعليك بكتاب توضيح الأفكار فى شرح تنقيح الأنظار للسيد العلامة البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير اليمانى ، بلّ الله ثراه ، وجعل جنة الفردوس منزله ومأواه ، فإنه كتاب نفيس جداً ، أتى فيه بتحقيقات لم يسبق إليها ، ولم يحم أحد حواليها . وذكر فى الفتح اختلاف أهل العلم فى تعريف الصحابى ، ثم قال : وقد بسطت هذه المسألة فيما جمعته من علوم الحديث . وهذا القدر فى هذا المكان كاف . انتهى .

الحديث الأول

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: خَيْرُ أُمَّتِي أَهْلُ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ . قَالَ عِمْرَان : فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يَسْتَشْهَدُونَ ، وَيَخُونُونَ ولا يُؤْتَمَنُونَ ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يَفُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِم السِّمَنُ .

(عن عمران بن حصين رضى الله عنهما يقول : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : خير أمتى أهل قرنى) ذكر صاحب المحكم أن القرن من عشر إلى تسعين ، وهو القدر المتوسط من أعمار أهل كل زمن . قال فى الفتح: وهذا أعدل الأقوال ، وبه صرح ابن الأعرابى . وقال صاحب المطالع : القرن أمة هلكت فلم يبق منهم أحد ، والمراد بقرن النبى صلى الله عليه وآله وسلم الصحابة ، وقد ظهر أن الذى بين البعثة وآخر من مات من الصحابة مائة سنة وعشرون سنة أو دونها أو فوقها بقليل على الاختلاف فى وفاة أبى الطفيل ، وإن اعتبر ذلك من بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم ، فيكون مائة سنة أو تسعين أو سبعاً وتسعين ، وأما قرن التابعين فإن اعتبر من سنة مائة كان نحو سبعين أو ثمانين ، وأما الذين بعدهم فإن اعتبر منها كان نحواً من خمسين ، وقد ظهر بذلك أن مدة القرن تختلف باختلاف أعمار أهل كل زمان ، واتفق أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله « من عاش إلى حدود العشرين ومائتين » . وفى هذا الوقت ظهرت البدع ظهوراً فاشياً ، وأطلقت المعتزلة ألسنتها ، ورفعت الفلاسفة رءوسها ، وامتحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن ، وتغيرت الأحوال تغيراً شديداً ، ولم يزل الأمر فى نقص إلى الآن ، وظهر قوله صلى الله عليه وآله وسلم : ثم يفشو الكذب ظهوراً بيناً حتى يشمل الأقوال والأفعال والمعتقدات . قال فى الفتح : وضبط أهل الحديث آخر من مات من الصحابة وهو على الإطلاق أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثى كما جزم به مسلم فى صحيحه ، وكان موته سنة مائة ، وقيل سنة سبع ومائة ، وقيل سنة عشر ومائة ، وهو مطابق لقوله صلى الله عليه وآله وسلم قبل وفاته بشهر :

على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها اليوم أحد . انتهى.
(ثم الذين يلونهم) أى يقربون منهم وهم التابعون (ثم الذين يلونهم) وهم أتباع التابعين وهذا الحديث يقتضى أن تكون الصحابة أفضل من التابعين والتابعون أفضل من أتباع التابعين ، لكن هذه الأفضلية بالنسبة إلى المجموع أو الأفراد محل بحث ، وإلى الثانى نحا الجمهور ، والأول قول ابن عبد البر ، والذى يظهر أن من قاتل مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو فى زمانه بأمره أو أنفق شيئاً من ماله بسببه لا يعدله فى الفضل أحد بعده كائناً من كان ، وأما من لم يقع له ذلك فهو محل البحث. وفى الفتح بسط تلك المسألة فراجعه (قال عمران: فلا أدرى أذكر) صلى الله عليه وآله وسلم (بعد قرنه قرنين أو ثلاثاً) قال فى الفتح : وقع مثل هذا الشك فى حديث ابن مسعود وأبى هريرة عند مسلم ، وفى حديث بريدة عند أحمد ، وجاء فى أكثر الطرق بغير شك ، واستدل به على جواز المفاضلة بين الصحابة . قاله المازرى (ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يفون) بنذرهم (ويظهر فيهم السمن) بكسر السين وفتح الميم ، أى يعظم حرصهم على الدنيا والتمتع بلذاتها حتى تسمن أجسادهم . قال فى الفتح : واستدل بهذا الحديث على تعديل أهل القرون الثلاثة وإن تفاوتت منازلهم فى الفضل . وهذا محمول على الغالب والأكثرية ، فقد وجد فيمن بعد الصحابة من القرنين من وجدت فيه الصفات المذكورة المذمومة ، لكن بقلة بخلاف من بعد القرون الثلاثة ، فإن ذلك أكثر فيهم واشتهر ، وفيه بيان من ترد شهادتهم ، وهم من اتصف بالصفات المذكورة ، وإلى ذلك الإشارة بقوله « ثم يفشو الكذب » أى يكثر .

الحديث الثانى

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَتِ ٱمْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ ، قالَتْ : أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ ، كَأَنَّهَا تَقُولُ المَوْتَ ، قالَ صلى الله عليه وسلم : إِنْ لَمْ تَجِدِينِى فَأْتِ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ .

(عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال : أتت امرأة) قال فى الفتح : لم أقف على اسمها (النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم فأمرها أن ترجع إليه ، قالت : أرأيت) أى أخبرنى . وفى الاعتصام : فكلمته فى شيء فأمرها بأمر ، فقالت : أرأيت يا رسول الله (إن جئت ولم أجدك) قال جبير بن مطعم : أو من بعده (كأنها تقول الموت) أى إن جئت فوجدتك قد متّ ماذا أفعل ؟ (قال صلى الله عليه) وآله (وسلم : إن لم تجديني فأت أبا بكر) رضى الله عنه . وفى الحديث إشارة إلى أن أبا بكر هو الخليفة بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا يعارض هذا جزم عمر أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يستخلف ، لأن مراده نفى النص على ذلك صريحاً . وفى الطبرانى حديث : قلنا : يا رسول الله إلى من ندفع صدقات أموالنا بعدك ؟ قال : إلى أبى بكر الصديق ، وهذا لو ثبت كان أصرح من حديث الباب فى الإشارة إلى أن الخليفة بعده أبو بكر ، لكن إسناده ضعيف . قال فى الفتح : وفى الحديث أن مواعيد النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان على من يتولى الخلافة بعده تنجيزها ، وفيه رد على الشيعة فى زعمهم أنه نص على استخلاف عليّ والعباس . انتهى .

الحديث الثالث

عَنْ عَمَّارٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم وَما مَعَهُ إلاَّ خَمْسَةُ أَعْبُدٍ وَٱمْرَأَتَانِ وَأَبُو بَكْرٍ .

(عن عمار) بن ياسر (رضى الله عنه يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم وما معه) ممن أسلم (إلا خمسة أعبد) بلال وزيد بن حارثة وعامر بن فهيرة وأبو فكيهة مولى صفوان بن أمية بن خلف وعبيد بن زيد الحبشيّ ، وذكر بعضهم عمار بن ياسر بدل أبى فكيهة (وامرأتان) خديجة أم المؤمنين وأم أيمن أو سمية (وأبو بكر) الصديق ، وكان أول من أسلم من الأحرار البالغين مطلقاً . قال فى الفتح : مراد عمار بذلك ممن أظهر إسلامه وإلا فقد كان حينئذ جماعة ممن أسلم ، لكنهم كانوا يخفونه من أقاربهم » انتهى . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى إسلام أبى بكر ، وفيه ثلاثة من التابعين .

الحديث الرابع

عَنْ أَبِي ٱلدَّرْدَاءِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ : كُنْتُ جالِساً عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذاً بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غامَرَ فَسَلَّمَ ، وَقالَ : يَا رَسُولَ ٱللهِ إِنَّهُ كانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ٱبْنِ الخَطَّابِ شَيْءٌ فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ نَدِمْتُ ، فَسَأَلْتُهُ أَن يَغْفِرَ لى ، فَأَبَى عَلَيَّ ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ ، فَقَالَ : يَغْفِرُ ٱللهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ثلاثاً ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ ، فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ فَسَأَلَ : أَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ ؟ فَقَالُوا : لَا ، فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَتَمَعَّرُ حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ ٱللهِ وَٱللهِ أَنا كُنْتُ أَظْلَمَ مَرَّتَيْنِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ ٱللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ ، وَقالَ أَبُو بَكْرٍ : صَدَقَ وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي ؟ مَرَّتَيْنِ ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا .

(عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال : كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى) أى أظهر (عن ركبته ، فقال النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم) لما رآه (أما صاحبكم) يعنى أبا بكر (فقد غامر) أى خاصم ولابس الخصومة . قال فى الفتح : والمعنى : دخل فى الخصومة . والغامر : الذى يرمى بنفسه فى الأمر العظيم كالحرب وغيره ، وقيل : هو من الغمر بكسر المعجمة ، وهو الحقد ، أى صنع أمراً اقتضى له أن يحقد على من صنعه معه ويحقد الآخر عليه . انتهى . وقسيم « أما صاحبكم » محذوف تقديره نحو قوله : وأما غيره فلا أعلمه (فسلم) رضى الله عنه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم . ولم يقع فى الحديث ذكر الرد ، وهو مما يحذف للعلم به . وفى رواية محمد بن المبارك عن صدقة بن خالد عند أبى نعيم فى الحلية : حتى سلم على النبي صلى الله عليه

وآله وسلم (وقال : يا رسول الله إنه كان بيني وبين ابن الخطاب) عمر رضي الله عنه (شيء) في التفسير : محاورة ، أي مراجعة . وعند أبي يعلى من حديث أبي أمامة : معاتبة (فأسرعت إليه) وفي التفسير : فأغضب أبو بكر عمر ، فانصرف مغضباً فاتبعه أبو بكر (ثم ندمت) زاد ابن المبارك : على ما كان (فسألته أن يغفر لي) ما وقع مني (فأبى عليّ) وعند أبي نعيم في الحلية : فتبعته إلى البقيع حتى خرج من داره (فأقبلت إليك ، فقال) النبي صلى الله عليه وآله وسلم (يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثاً) أي أعاد هذه الكلمة ثلاث مرات (ثم إن عمر) رضي الله عنه (ندم) عليّ ذلك (فأتى منزل أبي بكر) ليزيل ما وقع بينه وبين الصديق العتيق (فسأل) أهله (أثم أبو بكر؟) أي أهنا هو (فقالوا) مجيبين له (لا ، فأتى إلى النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم فسلم عليه ، فجعل وجه النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم يتمعر) بالعين المهملة المشددة ، أي تذهب نضارته من الغضب (حتى أشفق) أي خاف (أبو بكر؟) زاد محمد ابن المبارك : أن يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى عمر ما يكره (فجثا) أي برك أبو بكر (على ركبتيه فقال : يارسول الله أنا كنت أظلم) منه في ذلك (مرتين) وإنما قال ذلك لأنه الذي بدأ (فقال النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم : إن الله بعثني إليكم فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدق ، وواساني) من المواساة (بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟) بإضافة تاركوا إلى صاحبي وفصل بين المضاف والمضاف إليه بالجار والمجرور عناية بتقديم لفظ الإضافة ، وفي ذلك جمع بين إضافتين إلى نفسه تعظيماً للصديق ، ونظيره قراءة ابن عامر ، وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم ، بنصب أولادهم وخفض شركائهم ، وفصل بين المضافين بالمفعول . وفي التفسير : هل أنتم تاركون بالنون في موضع الإضافة ولا إضافة هنا . قال أبو البقاء : وهو الوجه لأن الكلمة ليست مضافة لأن حرف الجر منع الإضافة ، وربما يجوز حذف النون في موضع الإضافة ولا إضافة هنا . قال : والأشبه أن حذفها من غلط الرواة . انتهى . ولا ينبغي نسبة الرواة إلى الخطأ مع ما ذكر وورود أمثلة لذلك (مرتين فما أوذي) أبو بكر (بعدها) أي بعد هذه القصة لما أظهره النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تعظيمه . وهذا الحديث أخرجه في التفسير وهو من إفراده . وفي الحديث من الفوائد فضل أبي بكر

على جميع الصحابة ، وأن الفاضل لا ينبغى له أن يغاضب من هو أفضل منه . وفيه جواز مدح المرء فى وجهه ، ومحله إذا أمن عليه الافتتان والاغترار . وفيه ما طبع عليه الإنسان من البشرية حتى يحمله الغضب على ارتكاب خلاف الأولى ، ولكن الفاضل فى الدين يشرع له الرجوع إلى الأولى ، كقوله تعالى : « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا » . وفيه أن غير النبى ولو بلغ فى الفضل الغاية ليس بمعصوم . وفيه استحباب سؤال الاستغفار والتحلل من المظلوم . وفيه أن من غضب على صاحبه نسبه إلى أبيه أو جده ولم يسمه باسمه ، ونظيره قوله صلى الله عليه وآله وسلم : إلا إن كان ابن أبى طالب يريد أن ينكح ابنتهم . وفيه أن الركبة ليست عورة .

الحديث الخامس

عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ ، قالَ : فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ : أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قالَ : عائِشَةُ ، فَقُلْتُ : مِنَ الرِّجالِ ، فَقَالَ : أَبُوهَا ، فَقُلْتُ : ثُمَّ مَنْ ، قالَ : ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ، فَعَدَّ رِجالاً .

(عن عمرو بن العاص رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل) سنة سبع ، سمى المكان بذلك لأنه كان به رمل بعضه على بعض كالسلسلة ، وضبطها ابن الأثير بالضم ، قال : وهو بمعنى السلسال ، أى السهل (فأتيته فقلت) وقع عند ابن سعد أنه وقع فى نفس عمر ولما أمره صلى الله عليه وآله وسلم على الجيش فى هذه الغزوة وفيهم أبو بكر وعمر أنه مقدم عنده فى المنزلة عليهم ، فسأله فقال : يارسول الله (أى الناس أحب إليك ؟ قال) صلى الله عليه وآله وسلم (عائشة) قال عمرو (فقلت : من الرجال ؟ فقال : أبوها) أبو بكر (فقلت : ثم من) أحب إليك بعده (قال : ثم عمر بن الخطاب ، فعد رجالا) زاد فى المغازى من وجه آخر : فسكت مخافة أن يجعلنى فى آخرهم . وفى حديث عبد الله بن شقيق عند الترمذى وصححه من حديث عائشة قالت : قلت لعائشة : أى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أحب إليه ؟ قالت : أبو بكر ، قلت : ثم من ؟ قالت : عمر ، قلت : ثم من ؟ قالت : أبو عبيدة بن الجراح ، قلت : ثم من؟ فسكتت . قال فى الفتح : فيمكن أن يفسر بعض الرجال الذين أُبهموا فى الحديث بأبى عبيدة . وأخرج أحمد وأبو داود والنسائى بسند صحيح عن النعمان ابن بشير قال : استأذن أبو بكر على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فسمع صوت عائشة عالياً وهى تقول : والله لقد علمت أن علياً أحبُّ إليك من أبى ... الحديث ، فيكون علىّ ممن أبهمه عمرو بن العاص أيضاً ، وهو وإن كان فى الظاهر يعارض حديث عمرو ، لكن يرجح حديث عمرو أنه من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وهذا من تقريره ، ويمكن الجمع باختلاف جهة المحبة ، فيكون فى حق أبى بكر على عمومه بخلاف علىّ ، ويصح حينئذ

دخوله فيمن أبهمه عمرو ، ومعاذ الله أن نقول كما تقول الرافضة من إبهام عمرو فيما روى لما كان بينه وبين عليّ رضى الله عنهما ، فقد كان النعمان مع معاوية على عليّ ، ولم يمنعه ذلك من التحديث بمنقبة على ، ولا ارتياب فى أن عمراً أفضل من النعمان . وحديث الباب أخرجه أيضاً فى المغازى ، ومسلم فى الفضائل ، والترمذى والنسائى فى المناقب .

الحديث السادس

عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قالَ : قالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عَلَيْهِ وسلم : مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ ٱللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّ أَحَدَ شِقَّيْ ثَوْبِي يَسْتَرْخِي إِلاَّ أَنْ أَتَعَاهَدَ ذٰلِكَ مِنْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّكَ لَسْتَ تَصْنَعُ ذٰلِكَ خُيَلَاءَ .

(عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : من جرّ ثوبه خيلاء) أى كبراً ، أى لأجله (لم ينظر الله إليه) نظر رحمة (يوم القيامة ، فقال أبو بكر : إن أحد شقى) أى جانبى (ثوبى يسترخى) وكان سببه نحافة جسم أبى بكر (إلا أن أتعاهد ذلك منه) أى إذا غفلت عنه استرخى (فقال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : إنك لست تصنع ذلك خيلاء) فيه أنه لا حرج على من انجر إزاره بغير قصده مطلقاً ، وهل كراهة ذلك للتحريم أو للتنزيه ؟ فيه خلاف ، والراجح الأول .

الحديث السابع

عَنْ أَبِي مُوسى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ ٱللهُ عَنهُ أَنَّهُ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ ، قالَ فَقُلْتُ : لَأَلْزَمَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم وَلَأَكُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هذا قالَ : فَجَاءَ المَسْجِدَ فَسَأَلَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالُوا : خَرَجَ وَوَجَّهَ هَاهُنَا ، فَخَرَجْتُ عَلَى إِثْرِهِ أَسْأَلُ عَنْهُ حَتَّى دَخَلَ بِئْرَ أَرِيسٍ ، فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ ، وَبَابُهَا مِنْ جَرِيدٍ ، حَتَّى قَضَى رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم حاجَتَهُ فَتَوَضَّأَ ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ جالِسٌ على بِئْرِ أَرِيس وَتَوَسَّطَ قُفَّهَا ، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ وَدَلَّاهُمَا فِي الْبِئْرِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ ٱنْصَرَفْتُ ، فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ ، فَقُلْتُ : لَأَكُونَنَّ بَوَّابَ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم الْيَوْمَ ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ فَدَقَّ الْبَابَ ، فَقُلْتُ : مَنْ هذا ؟ فَقَالَ : أَبُو بَكْرٍ ، فَقُلْتُ : عَلَى رِسْلِكَ ، ثُمَّ ذَهَبْتُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ هذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ ؟ فَقَالَ : ٱئْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ ، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى قُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ : ادْخُلْ ورسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُبَشِّرُكَ بِالجَنَّةِ ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَجلَسَ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم مَعَهُ فِي الْقُفِّ ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبِئْرِ ، كَمَا صَنَعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقُنِي ، فَقُلْتُ : إِنْ يُرِدِ ٱللهُ بِفُلَانٍ خَيْراً — يُرِيدُ أَخاهُ — يَأْتِ بِهِ ، فَإِذَا إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ ، فَقُلْتُ : مَنْ هذَا ؟ فَقَالَ : عُمَرُ بْنُ الخطابِ ، فَقُلْتُ : عَلَى رِسْلِكَ ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ ٱللهِ صلى ٱلله عليه وسلم فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ : هذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ يَسْتَأْذِنُ ؟ فَقَالَ : ٱئْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ ، فَجِئْتُ فَقُلْتُ لَهُ : ٱدْخُلْ ، وَبَشَّرَكَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم بِالجَنَّةِ ، فَدَخَلَ فَجَلَسَ مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم فِي الْقُفِّ عَنْ يَسَارِهِ وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي

الْبِئْرِ ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ ، فَقُلْتُ : إِنْ يُرِدِ ٱللهُ بِفُلَانٍ خَيْراً يَأْتِ بِهِ ، فَجَاءَ إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ ، فَقُلْتُ : مَنْ هٰذَا ؟ فَقَالَ : عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، فَقُلْتُ : عَلَى رِسْلِكَ ، فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ : ٱئْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ ، فَجِئْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ : ادْخُلْ ، وَبَشَّرَكَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم بِالجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُكَ ، فَدَخَلَ فَوَجَدَ الْقُفَّ قَدْ مُلِئَ ، فَجَلَسَ وِجَاهَهُ مِنَ الشِّقِّ الآخَرِ .

(عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أنه توضأ فى بيته ثم خرج) منه ، قال أبو موسى (فقلت : لألزمنّ رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ولأكونن معه يومى هذا ، قال : فجاء) أبو موسى (المسجد ، فسأل عن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فقالوا) له (خرج ووجه) أى توجه ، أى وجه نفسه (ها هنا) أى جهة كذا ، قال أبو موسى (فخرجت) من المسجد (على إثره) بكسر الهمزة (أسأل عنه) صلى الله عليه وآله وسلم (حتى) وجدته (دخل بئر أريس) بستان بالقرب من قباء معروف ، يجوز فيه الصرف وعدمه ، وفى بئرها سقط خاتم النبى صلى الله عليه وآله وسلم من إصبع عثمان رضى الله عنه ، قال أبو موسى (فجلست عند الباب ، وبابها من جريد ، حتى قضى رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم حاجته ، فتوضأ ، فقمت إليه فإذا هو جالس على بئر أريس وتوسط قفها) بضم القاف وتشديد الفاء : حافة البئر أو الدكة التى حولها ، وأصله ما غلظ من الأرض وارتفع ، والجمع قفاف . ووقع فى رواية عثمان بن غياث عن أبى عثمان عند مسلم : بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى حائط من حوائط المدينة وهو متكىء ينكت يعود معه بين الماء والطين (وكشف عن ساقيه) الكريمتين (ودلاهما) أى أرسلهما (فى البئر ، فسلمت عليه ثم انصرفت ، فجلست عند الباب فقلت : لأكونن بواب رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم اليوم) وظاهره أنه اختار ذلك وفعله من تلقاء نفسه . وقد صرح بذلك فى رواية محمد بن جعفر عن شريك فى الأدب فزاد فيه : ولم يأمرنى . قال ابن التين : فيه أن المرء

يكون بواباً للإمام وإن لم يأمره . كذا قال . وفى رواية أبى عثمان فى مناقب عثمان عن أبى موسى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل حائطاً وأمره بحفظ باب الحائط . وفى رواية : فقال : يا أبا موسى أملك علىّ الباب . أخرجه أبو عوانة فى صحيحه ، والرويانى فى مسنده . وفى رواية الترمذى : فلا يدخلن علىّ أحد . قال الحافظ : فيجمع بينهما بأنه لما حدث نفسه بذلك صادف أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن يحفظ عليه الباب . وأما قوله « ولم يأمرنى » فيريد أنه لم يأمره أن يستمر بواباً وإنما أمره بذلك قدر ما يقضى حاجته ، وتوضأ ثم استمر من قبل نفسه ، فبطل أن يستدل به لما قاله ابن التين ، والعجب أنه نقل ذلك بعد عن الداودى ، وهذا من مختلف الحديث ، وكأنه خفى عليه وجه الجمع الذى قررته . انتهى (فجاء أبو بكر) الصديق (رضى الله عنه) (فدفع الباب) مستأذناً فى الولوج (فقلت : من هذا ؟ فقال : أبو بكر ، فقلت : على رسلك) بكسر الراء ، أى تمهل وتأن (ثم ذهبت فقلت : يارسول الله هذا أبو بكر يستأذن) فى الدخول عليك (فقال : ائذن له وبشره بالجنة ، فأقبلت حتى قلت لأبى بكر : ادخل ورسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يبشرك بالجنة ، فدخل أبو بكر) رضى الله عنه (فجلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم معه فى القف ، ودلى رجليه فى البئر كما صنع النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم ، وكشف عن ساقيه) موافقة له صلى الله عليه وآله وليكون أبلغ فى بقائه على حالته وراحته ، بخلاف ما إذا لم يفعل ذلك ، فربما استحيا منه فرفع رجليه الشريفتين ، قال أبو موسى (ثم رجعت فجلست) على الباب (وقد) كنت قبل (تركت أخى) أبابردة عامراً أو أخى أبا رهم (يتوضأ ويلحقنى ، فقلت : إن يرد الله بفلان خيراً — يريد أخاه) أبا بردة ، أو أبا رهم (يأت به ، فإذا إنسان يحرك الباب) مستأذناً ، فيه حسن الأدب فى الاستئذان (فقلت : من هذا ؟ فقال : عمر بن الخطاب ، فقلت) له (على رسلك ، ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم فسلمت عليه ، فقلت : هذا عمر بن الخطاب يستأذن ، فقال : ائذن له وبشره بالجنة ، فجئت فقلت له : ادخل وبشرك رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم بالجنة) زاد فى رواية : فحمد الله ، وكذا قال فى عثمان (فدخل فجلس مع رسول الله صلى الله عايه) وآله (وسلم فى القف عن يساره ودلى

رجايه فى البئر ، ثم رجعت فجلست فقلت : إن يرد الله بفلان خيراً يأت به) يريد به أخاه (فجاء إنسان يحرك الباب) مستأذناً (فقلت) له (من هذا ؟ فقال : عثمان بن عفان ، فقلت) له (على رسلك ، فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم فأخبرته) زاد أبو عثمان : فسكت هنيهة (فقال : ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه) هى البلية التى صار بها شهيداً يوم الدار من أذى المحاصرة والقتل وغيره . وقد ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم أصرح من هذا . وروى أحمد من طريق كليب بن وائل عن ابن عمر قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتنة ، فمر رجل فقال : يقتل فيها هذا يومئذ ظلماً ، قال : فنظرت فإذا هو عثمان . إسناده صحيح (فجئته فقلت له : ادخل وبشرك رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم بالجنة على بلوى تصيبك) زاد فى رواية أبى عثمان : فحمد الله ثم قال : الله المستعان . وفى رواية عند أحمد : فجعل يقول : اللهم صبراً حتى جلس ، وفيه تصديق النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخبره به (فدخل فوجد القف قد ملىء) بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم والعمرين (فجلس وجاهه) صلى الله عليه وآله وسلم ، أى مقابله (من الشق الآخر) قال سعيد بن المسيب : فأولتها قبورهم ، أى جمعية الصاحبين معه صلى الله عليه وآله وسلم فى الدفن ومقابلة عثمان له . قال النووى : وهذا من باب الفراسة الصادقة . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى الفتن ، ومسلم فى الفضائل .

الحديث الثامن

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الخُدْرِىِّ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم : لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِى ، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً ما بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ .

(عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم : لا تسبوا أصحابى) شامل لمن لابس الفتن منهم وغيره ، لأنهم مجتهدون فى تلك الحروب متأولون ، فسبهم حرام من محرمات الفواحش ، ومذهب الجمهور أن من سبهم يعزر ، وقال بعض المالكية : يقتل ، وخص بعض الشافعية ذلك بالشيخين ، وحكى القاضى حسين فى ذلك وجهين ، وقواه السبكى فى حق من كفر الشيخين ، وكذا من كفر من صرح النبى صلى الله عليه وآله وسلم بإيمانه أو تبشيره بالجنة إذا تواتر الخبر بذلك عنه لما تضمن من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . كذا فى الفتح . قال القسطلانى : ونقل عياض فى الشفاء عن مالك بن أنس وغيره : إن من أبغض الصحابة وسبهم فليس له فى فىء المسلمين حق . ونوزع بآية الحشر : « والذين جاءوا من بعدهم » الآية ، وقال : من غاظ أصحاب محمد فهوكافر ، قال تعالى : « ليغيظ بهم الكفار » وروى حديث : من سب أصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلا . وقال سعد الدين التفتازانى : إن سبهم والطعن فيهم إن كان مما يخالف الأدلة القطعية فكفر ، كقذف عائشة رضى الله عنها ، وإلا فبدعة وفسق . وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : الله الله فى أصحابى ، لا تتخذوهم غرضاً من بعدى ، فمن أحبهم فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله ، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه . انتهى . (فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهباً) زاد البرقانى فى المصافحة من طريق أبى بكر بن عياش عن الأعمش : كل يوم ، قال : وهى زيادة حسنة (ما بلغ) من الفضيلة والثواب (مدّ أحدهم) من الطعام الذى أنفقه ، وقال فى الفتح : من كل شىء (ولا نصيفه) بوزن رغيف ، وهو الصنف ، كما يقال :

عشر وعشير وثمن وثمين ، وقيل : النصيف : مكيال دون المد ، والمد بضم الميم : مكيال معروف . وحكى الخطابى أنه روى بفتح الميم ، قال : والمراد به الفضل والطول . انتهى . وذلك لما يقارنه من مزيد الإخلاص وصدق النية وكمال النفس . وقال الطيبي : ويمكن أن يقال : فضيلتهم بحسب فضيلة إنفاقهم وعظم موقعها ، كما قال تعالى : « لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح » أى قبل فتح مكة ، وهذا فى الإنفاق ، فكيف بمجاهدتهم وبذلهم أرواحهم ومهجهم . والمخاطب بهذا الحديث : خالد بن الوليد ، حيث كان بينه وبين عبد الرحمن بن عوف شيء ، فسبه خالد وهو من الصحابة الموجودين إذ ذاك باتفاق . وفيه إشعار بأن المراد بقوله أولا « أصحابى » أصحاب مخصوصون ، وإلا فالخطاب كان أولا للصحابة ، فهى من أدرك النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وخاطبه بذلك عن سب من سبقه ، وهو يقتضى زجر من لم يدرك النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولم يخاطبه عن سب من سبقه من باب أولى . كذا فى الفتح . وتعقبه فى العمدة بأن الحديث الذى فى قصة خالد لا يدل على أنه المخاطب بذلك ، فإن الخطاب لجماعة ، ولئن سلمنا أنه المخاطب فلا نسلم أنه كان إذ ذاك صحابياً بالاتفاق ، إذ يحتاج إلى دليل ، ولا يظهر ذلك إلا بالتاريخ. انتهى . قال القسطلانى : وليس فى النسخة التى عندى من الانتقاض جواب عن ذلك .

الحديث التاسع

عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم صَعِدَ أُحُداً وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ ، فَرَجَفَ بِهِمْ ، فَقَالَ : اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ .

(عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم صعد) بكسر العين : علا (أُحداً) هو الجبل المعروف بالمدينة ، وفى رواية لمسلم ولأبى يعلى من وجه آخر عن سعيد : حراء ، والأول أصح . قال الحافظ : ولولا اتحاد المخرج لجوزت تعدد القصة (وأبو بكر وعمر وعثمان) أى صعدوا معه (فرجف) أى اضطرب (بهم) أُحد (فقال) له صلى الله عليه وآله وسلم (اثبت أُحد) أى يا أُحد ، ونداؤه خطابه ، وهو يحتمل المجاز والحقيقة ، لكن الظاهر الحقيقة ، كقوله : أُحد جبل يحبنا ونحبه (فإنما عليك نبى وصديق) أبو بكر (وشهيدان) عمر وعثمان ، قال ابن المنير : قيل : الحكمة فى ذلك أنه لما رجف أراد النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يبين أن هذه الرجفة ليست من جنس رجفة الجبل بقوم موسى لما حرفوا الكلم ، وأن تلك رجفة الغضب ، وهذه هزة الطرب ، ولهذا نص على مقام النبوة والصديقية والشهادة التى توجب سرورما اتصلت به لارجفانه ، فأقر الجبل بذلك فاستقر ، وما أحسن قول بعضهم :

ومـــال حـراء تحتـــه فرحاً بـه فلولا مقال اسكن تضعضع وانقضى

انتهى . قلت وقصة ميل حراء أخرجها أحمد من حديث بريدة وإسناده صحيح ، وأخرجها أبو يعلى من حديث سهل بن سعد بلفظ أُحد ، وإسناده صحيح . قال فى الفتح : فقوى احتمال تعدد القصة ، وفى حديث عثمان أيضاً حراء . وأخرج مسلم من حديث أبى هريرة ما يؤيد تعدد القصة ، فذكر أنه كان على حراء ومعه المذكورون هنا ، وزاد : معهم غيرهم ، والله أعلم . انتهى . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى فضل عمر وأبو داود فى السنة ، والترمذى والنسائى فى المناقب .

الحديث العاشر

عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُمَا قالَ : إِنِّى لَوَاقِفٌ فى قَوْمٍ نَدْعُو الله لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ وَقَدْ وُضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ إِذَا رَجُلٌ مِنْ خَلْفِى قَدْ وَضَعَ مِرْفَقَهُ عَلَى مَنْكِبِى يَقُولُ : رَحِمَكَ ٱللّٰهُ إِنِّى كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ ٱللّٰهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ ، لِأَنِّى كَثِيراً مِمَّا كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ ٱللّٰهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : كُنْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَفَعَلْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَٱنْطَلَقْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، فَإِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ ٱللّٰهُ مَعَهُمَا ، فَٱلْتَفَتُّ فَإِذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُ .

(عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إنى لواقف فى قوم ندعو الله لعمر بن الخطاب وقد وضع على سريره) لما مات ، والجملة حالية من عمر (إذا رجل من خلفى قد وضع مرفقه على منكبى يقول) لعمر بن الخطاب (رحمك الله إنى كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك) النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأبى بكر رضى الله عنه ، تدفن معهما (لأنى كثيراً ما كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يقول : كنت وأبو بكر وعمر ، وفعلت وأبو بكر وعمر ، وانطلقت وأبو بكر وعمر ، فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما) فى الحجرة (فالتفت فإذا هو على بن أبى طالب رضى الله عنه) . ومطابقة الحديث للترجمة من حيث أنه يدل على فضيلة الصديق كما لا يخفى . قال فى الفتح : مات أبو بكر بمرض السلّ على ما قاله الزبير بن بكار . وعن الواقدى : إنه اغتسل فى يوم بارد فحم خمسة عشر يوماً . وقيل : بل سمته اليهود فى حريرة أو غيرها ، وذلك على الصحيح لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، فكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر وأياماً ، وقيل غير ذلك ، ولم يختلفوا أنه استكمل سنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو ابن ثلاث وستين ، والله أعلم .

الحديث الحادى عشر

عَنْ جابِرِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قالَ : قالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ وَسَمِعْتُ خَشَفَةً ، فَقُلْتُ : مَنْ هذَا ؟ فَقَالَ : هذَا بِلَالٌ ، وَرَأَيْتُ قَصْراً بِفِنَائِهِ جارِيَةٌ ، فَقُلْتُ : لِمَنْ هذَا ؟ فَقَالَ : لِعُمَرَ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ ، فَقَالَ عُمَرُ : بِأَبِي وَأُمِّي يَارَسُولَ ٱللهِ ، أَعَلَيْكَ أَغَارُ ؟

(عن جابر بن عبد الله رضيالله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم : رأيتنى) بضمير المتكلم وهو من خصائص أفعال القلوب ، أى رأيت نفسى فى المنام (دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء) مصغراً : سهلة بنت ملحان الأنصارية (امرأة أبى طلحة) زيد بن سهل الأنصارى . والرميصاء صفة لها لرمص كان بعينها ، وقيل : هو اسمها ، وقيل : هو اسم أُختها أُم حرام . وقال أبو داود : هو اسم أُخت أُم سليم من الرضاعة . وجوز ابن التين أن يكون المراد امرأة أُخرى لأبى طلحة (وسمعت خشفة) بفتح المعجمتين ، أى حركة وزناً ومعنى : أى صوتاً ليس شديداً ، وهو حركة وقع القدم وحسه ، وأصله صوت دبيب الحية . ومعنى الحديث هنا : ما يسمع من حس رفع القدم (فقلت : من هذا ؟ فقال) جبريل أو غيره من الملائكة (هذا بلال) ويحتمل أن يكون القائل هذا بلال نفسه (ورأيت) فيها (قصراً) زاد الترمذى من حديث أنس : من ذهب (بفنائه) بكسر الفاء والمد : ما امتد خارجه من جوانبه (جارية ، فقلت : لمن هذا) القصر (فقال) أى الملك (لعمر) ابن الخطاب (فأردت أن أدخله فأنظر إليه ، فذكرت غيرتك) وفى رواية : فلم يمنعنى إلا علمى بغيرتك (فقال عمر) وفى رواية : فبكى عمر وقال : أفديك (بأبى وأمى يارسول الله ، أعليك أغار ؟) الأصل :

أعليها أغار منك ؟ فهو من باب القلب . وهذا الحديث أخرجه مسلم فى الفضائل ، والنسائى فى المناقب . قال ابن بطال : فيه الحكم لكل رجل بما يعلم من خلقه ، قال : وبكاء عمر يحتمل أن يكون سروراً ، ويحتمل أن يكون شوقاً أو خشوعاً . ووقع فى رواية أبى بكر بن عياش عن حميد من الزيادة : فقال عمر : وهل رفعنى الله إلا بك ، وهل هدانى الله إلا بك . قال فى الفتح : رويناه فى فوائد عبد العزيز الحرقى من هذا الوجه ، وهى زيادة غريبة .

الحديث الثانى عشر

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَن السَّاعَةِ ، فَقَالَ : مَتَى السَّاعَة ؟ قالَ : وَماذَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟ قالَ : لَا شَيْءَ، إلاَّ أَنِّى أُحِبُّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ : أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ . قالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم : أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ . قالَ أَنَسٌ ؛ فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّى إِيَّاهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ .

(عن أنس رضى الله عنه أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم) هو ذوالخويصرة اليمانى . وزعم ابن‌بشكوال أنه أبو موسى الأشعرى أو أبو ذر . ثم ساق من حديث أبى موسى : قلت : يا رسول الله المرء يحب القوم ولما يلحق بهم . ومن حدىث أبى ذر : أليس الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل بعملهم . وسؤال هذين إنما وقع عن العمل . والسؤال فى حديث الباب إنما وقع عن الساعة . قال الحافظ : فدل على التعدد . وسيأتى فى الأدب من طريق أخرى عن أنس : إن السائل عن الساعة أعرابى . وكذا وقع عند الدارقطنى من حديث ابن مسعود أن الأعرابى الذى بال فى المسجد قال : يا محمد متى الساعة ؟ فقال : وما أعددت لها . فدل على أن السائل فى حديث أنس الأعرابى الذى بال فى المسجد . وتقدم فى الطهارة أنه ذو الخويصرة اليمانى كما أخرجه أبو موسى المدينى فى دلائل معرفة الصحابة . انتهى . (عن الساعة ، فقال : متى الساعة) تقوم (قال) صلى الله عليه وآله وسلم له (وماذا أعددت لها) قال الطيبى : سلك مع السائل أسلوب الحكيم لأنه سأل عن وقت الساعة (قال) الرجل (لا شىء إلا أنى أحب الله ورسوله) صلى الله عليه وآله وسلم (فقال : أنت مع من أحببت) بحسن نيتك من غير زيادة عمل فى الجنة ، أى بحيث يتمكن كل واحد منهما من رؤية الآخر وإن بعد المكان ، لأن الحجاب إذا زال شاهد بعضهم بعضاً ، وإذا أرادوا الرؤية والتلاقى قدروا على ذلك .

هذا هو المراد من هذه المعية لا كونهما فى درجة واحدة (قال أنس : فما فرحنا بشيء فرحنا) أى كفرحنا (بقول النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم : أنت مع من أحببت ، قال أنس : فأنا أحب النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم) والمراد منه ذكر أبى بكر وعمر فى هذا الحديث ، وأنه قرنهما فى العمل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والله أعلم . قلت : وما أحسن هذا الحديث وأكثره فائدة للمحبين الذين يحبون الله ورسوله وحزبه وجنده ، وهم المفلحون إن شاء الله تعالى . وأنا أحبهم وأحب من أحب النبي وآله وأصحابه وأهل حديثه ومتبعيهم بالإحسان ، وبالله التوفيق ، وهو المستعان . اللهم احشرنا فى زمرة المحدثين الكرام ، وجنبنا عن أهل البدعة الطغام ، واجمعنا بهم فى دار السلام ، إنك على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير .

الحديث الثالث عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : لَقَدْ كانَ فيمَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رِجَالٌ يُكَلَّمُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ ، فَإِنْ يَكُ مِنْ أُمَّتِي أَحَدٌ مِنْهُمْ فَعُمَرُ .

(عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم : لقد كان فيمن قبلكم من الأمم محدثون) بفتح الدال المشددة ، أى ملهمون ، وبه قال الأكثر ، أو يلقى فى روعهم الشىء قبل الإعلام به فيكون كالذى حدثه غيره به . وبهذا جزم أبو أحمد العسكرى ، أو يجرى الصواب على لسانهم من غير قصد ، وقيل : مكلم تكلمه الملائكة بغير نبوّة ، وفسره ابن التين بالتفرس ، وقيل : مفهمون (فإن يكن فى أمتى أحد) منهم (فإنه عمر) بن الخطاب . ويؤيده حديث : « إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه » أخرجه الترمذى من حديث ابن عمر ، وأحمد من حديث أبى هريرة ، والطبرانى من حديث بلال ، وأخرجه فى الأوسط من حديث معاوية ، وفى حديث أبى ذر عند أحمد وأبى داود يقول به بدل قوله « وقلبه » وصححه الحاكم ، وكذا أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث عمر نفسه . قال فى الفتح : لم يورد هذا القول مورد الترديد وإنما أورده مورد التأكيد ، وقيل : الحكمة فيه أن وجودهم فى بنى إسرائيل كان قد تحقق وقوعه ، وسبب ذلك احتياجهم حيث لايكون حينئذ منهم نبى ، واحتمل عنده صلى الله عليه وآله وسلم أن لا تحتاج هذه الأمة إلى ذلك لاستغنائها بالقرآن عن حدوث نبى . وقد وقع الأمر كذلك حتى أن المحدث منهم إذا تحقق وجوده لا يحكم بما يقع له ، بل لابد من عرضه على القرآن ، فإن وافقه أو وافق السنة عمل به وإلا ترك ، وهذا وإن جاز أن يقع لكنه نادر ممن يكون أمره منهم مبنياً على اتباع الكتاب والسنة ، وتمحضت الحكمة فى وجودهم وكثرتهم بعد العصر الأول فى زيادة شرف هذه الأمة بوجود أمثالها فيهم ، وقد تكون الحكمة فى تكثيرهم مضاهاة بنى إسرائيل فى كثرة الأنبياء فيهم ، فلما فات هذه الأمة كثرة الأنبياء فيهم لكون نبيها خاتم الأنبياء عوضوا بكثرة الملهمين . وقال الطيبى : المراد

بالمحدث : الملهم البالغ فى ذلك مبلغ النبى فى الصدق . والمعنى : لقد كان فيما كان قبلكم من الأنبياء ملهمون ، وإن يلك فى أُمتى أجد هذا شأنه فهو عمر ، فكأنه جعله فى انقطاع قرينه فى ذلك ، هل نبى أم لا ، فلذلك أتى بلفظ « إن » ويؤيده حديث : لو كان بعدى نبى لكان عمر . ف « لو » فيه بمنزلة « إن » فى الآخر على سبيل الفرض والتقدير . انتهى . والحديث المشار إليه أخرجه أحمد والترمذى وحسنه وابن حبان والحاكم من حديث عقبة بن عامر . وأخرجه الطبرانى من حديث أبى سعيد ، ولكن فى تقرير الطيبى نظر ، لأنه وقع فى نفس الحديث من غير أن يكونوا أنبياء ، ولا يتم مراده إلا بفرض أنهم كانوا أنبياء .

الحديث الرابع عشر

عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصرَ ، وَحَجَّ الْبَيْتَ ، فَرَأَى قَوْمًا جُلُوسًا ، فَقَال : مَنْ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ ؟ قَالَ : هَؤُلاءِ قُرَيْش ، قَالَ : فَمَنِ الشَّيْخُ فِيهِمْ ؟ قَالُوا : عَبْدُ اللهِ بْنِ عُمَرَ ، قَالَ : يَا ابْنَ عُمَرُ إِنِّى سَائِلُكَ عَنْ شَىْءٍ فَحَدِّثْنِى عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ : هَــلْ تَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُــدٍ ؟ قالَ : نَعَمْ . فَقَالَ : تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَدْرٍ وَلَمْ يَشْــهَدْ ؟ قالَ : نَعَمْ ، قالَ : تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَلَمْ يَشْهَدْهَا ؟ قالَ : نَعَمْ ، قالَ : ٱللهُ أَكْبَرُ . قالَ ٱبْنُ عُمَرَ : تَعَالَ أُبَيِّنْ لَكَ . أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحِدٍ فَأَشْهَدُ أَنَّ ٱللهَ عَفَا عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ ، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ فَإِنَّهُ كانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم وَكانَتْ مَرِيضَةً ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْراً وَسَهْمَهُ ، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَلَوْ كانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكانَهُ ، فَبَعَثَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم عُثْمَانَ ، وَكانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَ ما ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلى مَكَّةَ ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم بِيَدِهِ الْيُمْنَى : هٰذِهِ يَدُ عُثْمَانَ ، فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ ، فَقَالَ : هٰذِهِ لِعُثْمَانَ ، فَقَالَ لَهُ ٱبْنُ عُمَرَ : اذْهَبْ بِهَا الآنَ مَعَكَ .

(عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه جاءه رجل من أهل مصر وحج البيت) الحرام . قال فى الفتح : لم أقف على اسمه ولا على اسم من أجابه من القوم ولا على أسماء القوم ، قال : وسيأتى فى تفسير قوله تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » من سورة البقرة ما قد يقرب أنه العلاء بن عرار بمهملات ،

وكذا فى مناقب علىّ بعد هذا، ويأتى فى سورة الأنفال أن الذى باشر السؤال اسمه حكيم ، وعليه اقتصر شيخنا ابن الملقن ، وهذا كله بناء على أن الحديثين فى قصة واحدة . انتهى . نعم قال الحافظ فى المقدمة : قيل : إنه يزيد بن بسر السكسكى . انتهى . (فرأى قوماً جلوساً ، فقال : من هؤلاء القوم ؟ قال) لم يسم المجيب أيضاً (هؤلاء قريش ، قال : فمن الشيخ فيهم) أى الذى يرجعون إلى قوله (قالوا : عبد الله بن عمر) بن الخطاب (قال : يا ابن عمر إنى سائلك عن شىء فحدثنى عنه ، هل تعلم أن عثمان فرّ يوم) غزوة (أُحد) الذى يظهر من سياقه أن السائل كان ممن يتعصب على عثمان ، فأراد بالمسائل الثلاث أن يقرر معتقده فيه ، ولذلك كبر مستحسناً لما أجابه ابن عمر رضى الله عنهما (قال) ابن عمر (نعم ، قال) الرجل (هل تعلم أنه تغيب عن) غزوة (بدر ولم يشهد) وقعتها (قال) ابن عمر (نعم ، قال الرجل : هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان) تحت الشجرة فى الحديبية (فلم يشهدها ، قال) ابن عمر (نعم ، قال) الرجل (الله أكبر) مستحسناً لجواب ابن عمر لكونه مطابقاً لمعتقده (قال ابن عمر) مزيلا اعتقاده (تعال أُبين لك) بالجزم (أما فراره يوم أُحد فأشهد أن الله) عز وجل (عفا عنه وغفر له) فى قوله : « إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم » (وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) رقية (وكانت مريضة) فأمره النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالتخلف ، فتخلف هو وأُسامة بن زيد كما فى مستدرك الحاكم ، وإنها ماتت حين وصل زيد بن حارثة بالبشارة ، وكان عمرها عشرين سنة . قال ابن إسحاق : ويقال : إن ابنها عبد الله بن عثمان مات بعدها سنة أربع من الهجرة وله ست سنين . كذا فى الفتح (فقال له رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه) فقد حصل له المقصود الأخروى والدنيوى (وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه) صلى الله عليه وآله وسلم (مكانه) أى مكان عثمان (فبعث رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم عثمان) إلى أهل مكة ليعلم قريشاً أنه صلى الله عليه وآله وسلم إنما جاء معتمراً لا محارباً (وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة) فشاع فى غيبة عثمان أن المشركين تعرضوا لحرب

المسلمين ، فاستعد المسلمون ، وبايعهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم حينئذ تحت الشجرة أن لا يفروا (فقال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم بيده اليمنى) أى مشيراً بها (هذه يد عثمان) أى بدلها (فضرب بها على يده) اليسرى (فقال) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (هذه) البيعة (لعثمان) أى عنه ، ولا ريب أن يده صلى الله عليه وآله وسلم لعثمان خير من يده لنفسه (فقال له) أى للرجل (ابن عمر : اذهب بها) أى بالأجوبة التى أجبتك بها (الآن معك) حتى يزول عنك ما كنت تعتقده من عيب عثمان . قال الطيبى : قال له ابن عمر تهكماً به : أى توجه بما تمسكت به فإنه لا ينفعك بعد ما بينت لك .

الحديث الخامس عشر

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّ فاطِمَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا شَكَتْ ما يلقَى مِنْ أَثَرِ الرَّحَا ، فَأَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم سَبْيٌ ، فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ ، فَوَجَدَتْ عائِشَةَ ، فَأَخْبَرَتْهَا ، فَلَمَّا جاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَخْبَرَتْهُ عائِشَةُ بِمَجِيءِ فاطِمَةَ . قالَ : فَجَاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِلَيْنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا ، فَذَهَبْتُ لِأَقُومَ ، فَقَالَ : عَلَى مَكَانِكُمَا ، فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِى ، وَقالَ : أَلَا أُعَلِّمُكُمَا خَيْراً مِمَّا سَأَلْتُمَانِى ؟ إِذَا أَخَذْتمَا مَضَاجِعَكُمَا تُكَبِّرَا أَرْبَعاً وَثَلَاثِينَ ، وَتُسَبِّحَا ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ ، وَتَحْمَدَا ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ .

(عن علىّ) بن أبى طالب (رضى الله عنه) وكناه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأبى تراب ، وهو ابن عم النبى صلى الله عليه وآله وسلم لأبويه ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وهى أول هاشميـة ولدت هاشمياً . أسلمت وتوفيت بالمدينة . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلىّ : أنت منى وأنا منك . وقال عمر : توفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنه راض ، وقال : لأعطين الراية رجلا يفتح الله على يديه ، فأعطاه الراية وقال : أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى . أخرجها البخارى. ومناقبه أكثر من أن تحصى وأوفر من أن تستقصى (أن فاطمة) عليها السلام (شكت ما تلقى) فى يدها (من أثر الرحى) بغير همز مقصور ، وزاد شعبة فى النفقات : مما تطحن (فأتى النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم سبى فانطلقت) إليه فاطمة تسأله خادماً (فلم تجده فوجدت عائشة) رضى الله عنها (فأخبرتها) بذلك (فلما جاء النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم أخبرته عائشة بمجىء فاطمة) إليه تسأله خادماً (قال) علىّ (فجاء النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم إلينا وقد أخذنا مضاجعنا ، فذهبت لأقوم ، فقال) صلى الله عليه وآله وسلم (على مكانكما) أى الزما مكانكما (فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدرى ، وقال : ألا أعلمكما خيراً مما سألتمانى) زاد فى رواية السائب عن علىّ عند

أحمد : قالا : بلى ، قال : كلمات علمنيهم جبريل عليه السلام (إذا أخذتما مضاجعكما) زاد مسلم : من الليل (تكبرا) بلفظ المضارع وحذف النون ، أو أن « إذا » تعمل عمل الشرط ، ولأبى ذر عن الحموى والمستملى : تكبران بإثباتها ، ولابن عساكر بلفظ الأمر (أربعاً) ولأبى ذر : ثلاثاً (وثلاثين ، وتسبحا ثلاثاً وثلاثين ، وتحمدا ثلاثاً وثلاثين ، فهو خير لكما من خادم) قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى : إن من واظب على هذا الذكر عند النوم لم يصبه إعياء ، لأن فاطمة شكت التعب من العمل فأحالها صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك . وقال عياض : معنى الخيرية أن عمل الآخرة أفضل من عمل الدنيا . قال فى الفتح : وفيه ما يقال عند النوم ، ووجه دخوله فى مناقب علىّ من جهة منزلته من النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ودخول النبى صلى الله عليه وآله وسلم معه فى فراشه بينه وبين امرأته وهى ابنته صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن جهة اختيار النبى صلى الله عليه وآله وسلم له ما اختار لابنته من إيثار أمر الآخرة على أمر الدنيا ، ورضاهما بذلك . انتهى . قال القسطلانى : وفى الحديث منقبة ظاهرة لعلىّ وفاطمة رضى الله عنهما .

الحديث السادس عشر

عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قالَ : كُنْتُ يَوْمَ الْأَحْزَابِ جُعِلْتُ أَنَا وَعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ فِي النِّسَاءِ ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِالزُّبَيْرِ عَلَى فَرَسِهِ يَخْتَلِفُ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً ، فَلَمَّا رَجَعْتُ قُلْتُ : يَا أَبَتِ رَأَيْتُكَ تَخْتَلِفُ ، قالَ : أَوَ هَلْ رَأَيْتَنِي يَابُنَيَّ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قالَ : كانَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ : مَنْ يَأْتِ بَنِي قُرَيْظَةَ فَيَأْتِينِي بِخَبَرِهِمْ ، فَٱنْطَلَقْتُ ، فَلَمَّا رَجَعْتُ جَمَعَ لِي رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم أَبَوَيْهِ ، فَقَالَ : فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي .

(عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما قال : كنت يوم الأحزاب) لما حاصر قريش ومن معهم المسلمين بالمدينة وحفر الخندق لذلك (جعلت أنا وعمر بن أبي سلمة) القرشي المخزومي المدنى ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمه أم سلمة (فى النساء) يعنى نسوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم (فنظرت فإذا أنا بالزبير) أبيه (على فرسه يختلف) أى يجيء ويذهب (إلى بنى قريظة) اليهود (مرتين أو ثلاثاً) بالشك (فلما رجعت قلت : يا أبت) قال الحافظ ابن حجر : إنه مدرج كما وقع مبيناً فى مسلم من طريق على بن مسهر عن هشام حيث ساقه إلى قوله « إلى بنى قريظة » ثم قال : قال هشام وأخبرنى عبد الله بن عروة عن عبد الله بن الزبير قال : فذكرت ذلك لأبى ، إلى آخره ، ثم ساقه من طريق أبى أسامة عن هشام قال : لما كان يوم الخندق ، فساق الحديث نحوه ، ولم يذكر عبد الله بن عروة ، ولكن أدرج القصة فى حديث هشام عن أبيه عن الزبير . انتهى . قال الحافظ : ويؤيده أن النسائى أخرج القصة الأخيرة من طريق عبدة عن هشام عن أخيه عبد الله بن عروة عن عبد الله بن الزبير عن أبيه ، والله أعلم . انتهى (رأيتك تختلف ، قال) مستفهماً استفهام تقرير (أو هل رأيتنى يا بنى ؟ قلت : نعم) رأيتك (قال : كان رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : من يأت بنى قريظة فيأتينى بخبرهم ، فانطلقت) إليهم (فلما رجعت) بخبرهم (جمع لى رسول الله صلى الله

عليـه) وآله (وسلم بين أبويه) فى الفـداء تعظيماً وإعلاء لقـدرى ، لأن الإنسان لا يفدى إلا من يعظمه ، فيبذل نفسه له (فقال : فداك أبى وأمى) وزبير يجتمع مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى قصى وينسب إلى أسد ، فيقال : القرشى الأسدى ، وأمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أسلمت وهاجرت ، وأسلم وهو ابن خمس عشرة سـنة . وعند الحاكم بسند صحيح : وهو ابن ثمان سنين ، وحضر يوم اليرموك ، وفتح مصر مع عمرو بن العاص ، وشهد الجمل مع عائشة ، وقتل بوادى السباع راجعاً عن حرب أهل الجمل سنة ست وثلاثين ، رضى الله عنه . وقال ابن عباس : هو حوارىّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم . وقال عثمان : أما والذى نفسى بيده إنه لخيرهم ما علمت وإن كان لأحبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وفيه صحة سماع الصغير ، وأنه لا يتوقف على أربع أو خمس ، لأن ابن الزبير كان يومئذ ابن سنتين وأشهر أو ثلاث وأشهر بحسب الاختلاف فى وقت مولده وفى تاريخ الخندق . قال فى الفتح : وعلى كل حال فقد حفظ من ذلك ما يستغرب حفظ مثله . وذكر الحافظ البحث فى ذلك فى باب متى يصح سماع الصغير من كتاب العلم ، فراجعه .

الحديث السابع عشر

عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ ٱللهِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : لَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم فى بَعْضِ تِلْكَ الْأَيَّامِ الَّتِى قاتَلَ فِيهِنَّ غَيْرِى وَغَيْرُ سَعْدٍ .

(عن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه قال : لم يبق مع النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم فى بعض تلك الأيام) أيام وقعة أُحد (التى قاتل فيهن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) المشركين (غير طلحة وسعد) وفيه منقبة ظاهرة لهما ، وطلحة يجتمع مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى مرة ابن كعب ، ومع أبى بكر الصديق فى كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب ، وكان يقال له : طلحة الخير وطلحة الجود ، وأُمه الصعبة بنت الحضرمى أُخت العلاء ، أسلمت وهاجرت وعاشت بعد ابنها قليلا ، وقتل طلحة يوم الجمل سنة ست وثلاثين . وذكر أن علياً لما وقف على مصرع طلحة بكى حتى أخضل لحيته بدموعه ، ثم قال : إنى لا أرجو أن أكون أنا وأنت ممن قال الله تعالى فيهم : « ونزعنا ما فى صدورهم من غلّ إخواناً على سرر متقابلين » قال فى الفتح : رمى – أى طلحة – بسهم ، جاء من طرق كثيرة أن مروان ابن الحكم رماه فأصاب ركبته ، فلم يزل ينزف الدم منها حتى مات ، وكان يومئذ أول قتيل، واختلف فى سنه على أقوال أكثرها أنه خمس وسبعون، وأقلها ثمان وخمسون ، وستأتى منقبة سعد فى الحديث الذى بعد هذا .

الحديث الثامن عشر

وَعَنْهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّهُ وَقَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بِيَدِهِ ، فَضُرِبَ فِيهَا حَتَّى شَلَّتْ .

(وعنه) أى عن طلحة (رضى الله عنه أنه وقى النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم بيده) لما أراد بعض المشركين أن يضربه يوم أُحد (فضرب فيها حتى شلت) والشلل : نقص فى الكف وبطلان لعملها ، وليس معناه القطع كما زعم بعضهم . وفى الترمذى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : من سره أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله ، وكان ممن أنزل الله عز وجل فيه : « فمنهم من قضى نحبه » . وعنده أيضاً من حديث علىّ قال : سمعت أذنى من فى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول : طلحة والزبير جاراى فى الجنة .

الحديث التاسع عشر

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُ قالَ : جَمَعَ لِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَبَوَيْهِ يَوْمَ أُحُدٍ .

(عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : جمع لى النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم أبويه يوم أُحد) أى قال : فداك أبى وأمى ، كما فعل ذلك للزبير : وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى المغازى ، ومسلم فى الفضائل ، والترمذى فى الاستئذان والمناقب ، والنسائى فى السنة ، وهو سعد بن مالك ، يجتمع مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى كلاب بن مرة ، وأهيب جد سعد عم آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أخو أبيها وهب ، وأُم وهب حمنة بنت سفيان بن أُمية بن عبد شمس بنت عم أبى سفيان بن حرب ، وشهد بدراً والحديبية وسائر المشاهد ، وهو أحد الستة الذين جعل عمر فيهم الشورى ، وكان مجاب الدعوة مشهوراً بذلك ، تجاب دعوته وترجى ، وتوفى سنة خمس وخمسين عن ثلاث وثمانين سنة .

الحديث العشرون

عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ عَلِيًّا خَطَبَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ، فَسَمِعَتْ بِذٰلِكَ فاطِمَةُ ، فَأَتَتْ رَسُولَ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ : يَزْعُمُ قَوْمُكَ أَنَّكَ لَا تَغْضَبُ لِبَنَاتِكَ ، وَهذَا عَلِيٌّ نَاكِحٌ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ ، فَقَامَ رَسُولُ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَسَمِعْتُهُ حِينَ تَشَهَّدَ يَقُولُ : أَمَّا بَعْدُ أَنْكَحْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنَ الرَّبِيعِ فَحَدَّثَنِي وَصَدَقَنِي ، وَإِنَّ فاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسُوءَهَا ، وَٱللَّهِ لَا تَجْتَمِعَ بِنْتُ رَسُولِ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَبِنْتُ عَدُوِّ ٱللَّهِ عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَتَرَكَ عَلِيٌّ ٱلْخِطْبَةَ .

(عن المسور بن مخرمة رضى الله عنه أن علياً خطب بنت أبى جهل) جويرية بضم الجيم وهو الأشهر ، وقيل : الغوراء ، أخرجه ابن طاهر ،وقيل: الحيفاء ، ذكره ابن جرير الطبرى ، وقيل : جهدمة ، حكاه السهيلى ، وقيل: جميلة ، ذكره ابن الملقن فى شرحه (فسمعت بذلك فاطمة) رضى الله عنها (فأتت رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فقالت) له (يزعم قومك أنك لاتغضب لبناتك) إذا أوذين (وهذا علىّ ناكح) أى يريد أن ينكح (بنت أبى جهل) وأطلق عليه اسم ناكح مجازاً باعتبار قصده له (فقام رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) خطيباً ليشيع الحكم الذى سيقرره ويأخذوا به على سبيل الوجوب أو الأولوية . قال فى الفتح : وغفل الشريف المرتضى عن هذه النكتة ، فزعم أن هذا الحديث موضوع ، لأنه من رواية المسور ، وكان فيه انحراف عن علىّ ، وجاء من رواية ابن الزبير ، وهو أشد فى ذلك ، ورد كلامه بإطباق أصحاب الصحيح على تخريجه . انتهى. وبسط الحافظ ما يتعلق بذلك فى كتاب النكاح ، قال المسور (فسمعته حين تشهد يقول : أما بعد فإنى ، أنكحت أبا العاص) لقيط (بن الربيع) أى ابنته صلى الله عليه وآله وسلم زينب أكبر بناته ، وكان ذلك قبل النبوّة (فحدثنى وصدقنى) أى فى حديثه ولعله كان شرط عليه أن لايتزوج على زينب فلم يتزوج عليها ، وكذلك علىّ ، فإن يكن كذلك فيحتمل أن يكون نسى ذلك الشرط ، فلذلك

أقدم على الخطبة ، أو لم يقع عليه شرط ، إذ لم يصرح بالشرط ، لكن كان ينبغى له أن يراعى هذا القدر ، فلذلك وقعت المعاتبة ، وكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قل أن يواجه أحداً بما يعاب به ، ولعله إنما جهر بمعاتبة علىّ مبالغة فى رضا فاطمة عليها السلام . كذا فى الفتح (وإن فاطمة بضعة منى وإنى أكره أن يسوءها) أحد علىّ أو غيره (والله لاتجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم وبنت عدوالله) أبى جهل أو غيره (عند رجل واحد ، فترك علىّ الخطبة) بكسر المعجمة ، وكانت هذه الواقعة بعد فتح مكة ، ولم يكن حينئذ تأخر من بنات النبى صلى الله عليه وآله وسلم غيرها ، فكانت أُصيبت بعد أُمها بأخواتها ، فكان إدخال الغيرة عليها مما يزيد حزنها . كذا فى الفتح . قال ابن داود فيما ذكره المحب الطبرى : حرم الله عز وجل على علىّ أن ينكح على فاطمة فى حياتها لقوله تعالى : « وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وقال أبو على السنجى فى شرح التلخيص : يحرم التزوج على بنات النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

الحديث الحادى والعشرون

وَعَنْهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم ذَكَرَ صِهْراً لَهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ ، فَأَثْنى عَلَيْهِ فى مُصاهَرَتِهِ إِيَّاهُ ، فَأَحْسَنَ، قالَ : حَدَّثَنى فَصَدَقَنِي ، وَوَعَدَنِي فَوَفَى لِي .

(وعنه) أى عن المسور بن مخرمة (رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ذكر صهراً له من بنى عبد شمس) وهو أبو العاص بن الربيع ، والصهر : يطلق على جميع أقارب المرأة والرجل ، ومنهم من يخصه بأقارب المرأة ، والأصهار : هم الذين تزوجوا إليه (فأثنى عليه) خيراً (فى مصاهرته إياه فأحسن) الثناء (قال : حدثنى فصدقنى ووعدنى) أن يرسل إلى زينب ، أى لما أُسر ببدر مع المشركين وفدى وشرط عليه صلى الله عليه وآله وسلم أن يرسلها إليه (فوفى لى) بذلك ، وأُسر أبو العاص مرة أُخرى وأجارته زينب فأسلم وردها إليه النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى نكاحه ، وولدت له أُمامة التى كان يحملها النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصلى، وولدت له أيضاً ابناً اسمه على كان فى زمن النبى صلى الله عليه وآله وسلم مراهقاً ، فيقال : إنه مات قبل وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وأما أبو العاص فمات سنة اثنتى عشرة .

الحديث الثاني والعشرون

عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قالَ : بَعَثَ النَّبِيُّ صلى الله عَلَيْهِ وسلم بَعْثاً وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فى إمارَتِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : إنْ تَطْعُنُوا فى إمارَتِهِ فَقَدْ كُنْتُم تَطْعُنُونَ فى إمارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ ، وَٱيْمُ ٱللهِ إنْ كانَ لَخَلِيقاً لِلْإمارَةِ ، وَإنْ كانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إلَيَّ ، وَإنَّ هذا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إلَيَّ بَعْدَهُ .

(عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : بعث النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم بعثاً) إلى أطراف الروم حيث قتل زيد بن حارثة والد أُسامة المذكور ، وهو البعث الذى أمر بتجهيزه عند موته صلى الله عليه وآله وسلم وأنفذه أبو بكر رضى الله عنه بعده (وأمر عليهم أُسامة بن زيد ، فطعن بعض الناس فى إمارته) بكسر الهمزة ، وكان ممن انتدب مع أُسامة كبار المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد وسعيد وقتادة بن النعمان وسلمة ابن أسلم فتكلم قوم فى ذلك ، وكان أشدهم فى ذلك كلاماً عياش بن أبى ربيعة المخزومى ، فقال : يستعمل هذا الغلام على المهاجرين والأنصار ، فكثرت المقالة فى ذلك ، فسمع عمر بن الخطاب بعض ذلك ، فرده على من تكلم ، وجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره بذلك ، فغضب صلى الله عليه وآله وسلم غضباً شديداً ، فخطب (فقال النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم : إن تطعنوا فى إمارته فقد كنتم تطعنون فى إمارة أبيه) زيد (من قبل) فى غزوة مؤتة . قال الطيبى : هذا الجزاء إنما يترتب على الشرط بتأويل التنبيه والتوبيخ ، أى طعنكم الآن فيه سبب لأن أُخبركم أن ذلك من عادة الجاهلية وهجيراهم ، ومن ذلك طعنكم فى أبيه من قبل ، نحو قوله تعالى : « إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل » . وقال التوربشتى : إنما طعن من طعن فى إمارتهما ، لأنهما كانا من الموالى ، وكانت العرب لاترى تأمير الموالى وتستنكف عن اتباعهم كل الاستنكاف ، فلما جاء الله عز وجل بالإسلام ورفع قدر من لم يكن له عندهم قدر بالسابقة والهجرة والعلم والتقى عرف حقهم المحفوظون من أهل

الدين ، فأما المرتهنون بالعادة والممتحنون بحب الرياسة من الأعراب ورؤساء القبائل ، فلم يزل يختلج فى صدورهم شيء من ذلك ، لا سيما أهل النفاق فإنهم كانوا يسارعون إلى الطعن وشدة النكير عليه ، وكان صلى الله عليه وآله وسلم قد بعث زيداً أميراً على عدة سرايا وأعظمها جيش مؤتة ، وسار تحت رايته فيها نجباء الصحابة ، وكان خليقاً بذلك لسوابقه وفضله وقربه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم أمر أسامة فى مرضه على جيش فيهم جماعة من مشيخة الصحابة وفضلائهم ، وكأنه رأى فى ذلك سوى ما توسم فيه من النجابة أن يمهد الأرض ، وتوطئة لمن يلى الأمر بعده لئلا ينزع أحد يداً من طاعة ، وليعلم كل منهم أن العادات الجاهلية قد عميت مسالكها وخفيت معالمها (وايم الله إن كان) زيد (لخليقاً للإمارة) أى حقيقاً بها (وإن كان لمن أحب الناس إلى وإن هذا) أُسامة بن زيد (لمن أحب الناس إلى بعده) أى بعد أبيه زيد . وفى الحديث جواز إمارة المولى وتولية الصغير على الكبير والمفضول على الفاضل . والحديث من إفراده ، وكان زيد من بنى كلب ، أُسر فى الجاهلية ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة ، فاستوهبه النبى صلى الله عليه وآله وسلم منها وخيره لما طلب أبوه وعمه أن يفدياه : بين المقام عنده أو يذهب معهما ، فقال : يا رسول الله لا أختار عليك أحداً أبداً ، وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم له : أنت أخونا ومولانا . واستشهد زيد فى غزوة مؤتة ، ومات أُسامة ابن زيد بالمدينة أو بوادى القرى سنة خمس وأربعين ، وقيل قبل ذلك ، وكان قد سكن المزة من عمل دمشق مدة .

الحديث الثالث والعشرون

عنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَتْ : دَخلَ عَلَيَّ قائِفٌ وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم شَاهِدٌ وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَزَيْدُ بْنُ حارِثَةَ مُضْطَجِعَانِ ، فَقَالَ : إنَّ هذِهِ الأَقْدَامَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ، فَسُرَّ بِذلِكَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَأَعْجَبَهُ ، فَأَخْبَرَ بِهِ عَائِشَةَ .

(عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخل عليّ قائف) قبل نزول الحجاب أو بعده وهى محتجبة . والقائف : هو الذى يلحق الفروع بالأصول بالشبه والعلامات ، والمراد به هنا مجزز المدلجى (والنبي صلى الله عليه) وآله (وسلم شاهد وأسامة بن زيد وزيد بن حارثة مضطجعان) تحت كساء وأقدامهما ظاهرة (فقال) القائف (إن هذه الأقدام) أقدام أسامة وأبيه (بعضها من بعض ، قال : فسر بذلك) الذى قاله القائف (النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم وأعجبه ، فأخبر به عائشة) رضى الله عنها . قال الخطابى : فى هذا الحديث دليل على ثبوت العمل بالقافة ، وصحة الحكم بقولهم فى إلحاق الولد ، وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لايظهر السرور إلا بما هو حق عنده ، وكان الناس قد ارتابوا فى زيد بن حارثة وابنه أسامة ، وكان زيد أبيض وأسامة أسود كما وقع فى بعض الروايات ، فتمارى الناس فى ذلك ، وتكلموا بقول كان يسوء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما سمع قول المدلجى فرح به وسرى عنه . قال الشوكانى فى نيل الأوطار : وقد أثبت الحكم بالقافة عمر بن الخطاب وابن عباس وعطاء والأوزاعى ومالك والشافعى ، وذهبت العترة والحنفية إلى أنه لا يعمل بقول القائف ، بل يحكم بالولد الذى ادعاه اثنان لهما ، واحتج لهم صاحب البحر بحديث الولد للفراش ، ووجه الاستدلال به أن تعريف المسند إليه واللام الداخلة على المسند للاختصاص يفيدان الحصر ، ويجاب بأن حديث الباب بعد تسليم الحصر المدعى مخصص لعمومه ، فيثبت به النسب فى مثل الأمة المشتركة إذا وطئها المالكون لها . وروى عن الإمام يحيى أن حديث القافة منسوخ ، ويجاب بأن الأصل عدم النسخ ، ومجرد دعواه بلا برهان كما لا تنفع المدعى لا تضر خصمه ،

وأما ما قيل من أن حديث مجزز لا حجة فيه ، لأنه إنما يعرف القائف بزعمه أن هذا الشخص من ماء ذاك لا إنه طريق شرعى فلا يعرف إلا بالشرع ، فيجاب بأن فى استبشاره صلى الله عليه وآله وسلم من التقرير ما لا يخالف فيه مخالف ، ولو كان مثل ذلك لا يجوز فى الشرع لقال له إن ذلك لا يجوز ، لايقال إن أسامة قد ثبت فراش أبيه شرعاً وأنه لما وقعت القالة بسبب اختلاف اللون ، وكان قول المدلجى المذكور دافعاً لها ، لاعتقادهم فيه الإصابة وصدق المعرفة ، استبشر صلى الله عليه وآله وسلم بذلك ، فلا يصلح التعلق بمثل هذا التقرير على إثبات أصل النسب ، لأنا نقول : لو كانت القيافة لا يجوز العمل بها إلا فى مثل هذه الواقعة المتفقة مع مثل أولئك الذين قالوا مقالة السوء لما قرره صلى الله عليه وآله وسلم على قوله « هذه الأقدام بعضها من بعض » وهو فى قوة هذا ابن هذا ، فإن ظاهره أنه تقرير للإلحاق بالقافة مطلقاً لا إلزام للخصم بما يعتقده ولا سيما والنبى صلى الله عليه وآله وسلم لم ينقل عنه إنكار كونها طريقاً يثبت بها النسب حتى يكون تقريره لذلك من باب التقرير على مضى كافر إلى كنيسة ونحوه مما ثبت منه صلى الله عليه وآله وسلم إنكاره قبل السكوت عنه ، ومن الأدلة المقوية للعمل بالقافة حديث الملاعنة حيث أخبر صلى الله عليه وآله وسلم بأنها إن جاءت به على كذا فهو لفلان ، وإن جاءت به على كذا فهو لفلان ، فإن ذلك يدل على اعتبار المشابهة ، لا يقال : لو كان ذلك معتبراً لما لاعن بعد أن جاءت بالولد مشابهاً لأحد الرجال ، وتبين له صلى الله عليه وآله وسلم ذلك حتى قال : لولا الإيمان لكان لى ولها شأن . لأنا نقول إن النسب كان ثابتاً بالفراش ، وهو أقوى مايثبت به ، فلا تعارضه القافة ، لأنها إنما تعتبر مع الاحتمال فقط ، ولا سيما بعد وجود الأيمان التى شرعها الله بين المتلاعنين ، ولم يشرع فى اللعان غيرها ، ولهذا جعلها صلى الله عليه وآله وسلم مانعة من العمل بالقافة ، وفى ذلك إشعار بأنه يعمل بقول القائف مع عدمها ، ومن المؤيدات للعمل بالقافة ما تقدم من جوابه صلى الله عليه وآله وسلم على أم سليم حيث قالت : أو تحتلم المرأة ؟ فقال : فبم يكون الشبه ، وقال : إن ماء الرجل إذا سبق ماء المرأة كان الشبه له ... الحديث ، كما تقدم لا يقال : إن بيان الشبه لا يدل على اعتباره فى الإلحاق ، لأنا نقول : إن إخباره صلى الله عليه وآله وسلم بذلك يستلزم أنه

مناط شرعى وإلا لما كان للإخبار فائدة يعتد بها ، وأما عدم تمكينه صلى الله عليه وآله وسلم لمن ذكر أن ولده أسود من اللعان فلمخالفته لما يقتضيه الفراش الذى لا يعارضه العمل بالشبه . انتهى . وبهذا تعلم أن قول العينى لم تظهر المطابقة بين الحديث والترجمة بناء على مذهبه من عدم اعتماد قول القافة المخالف لأكثر علماء الحديث والمذاهب ، فلا يهولنك ذلك ، والله أعلم . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى النكاح .

الحديث الرابع والعشرون

وَعَنْهَا رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا أَنَّ ٱمْرَأَةً مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ سَرَقَتْ ، فَقَالُوا : مَنْ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فِيهَا ، فَلَمْ يَجْتَرِىءْ أَحَدٌ أَنْ يُكَلِّمَهُ ، فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، فَقَالَ : إنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كانَ إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ قَطَعُوهُ ، لَوْ كَانَتْ فاطِمَةَ لَقَطَعْتُ يَدَهَا .

(وعنها) أى عن عائشة (رضى الله عنها أن امرأة من بنى مخزوم) تسمى فاطمة (سرقت) حلياً (فقالوا : من يكلم فيها النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم) حتى لايقطع يدها (فلم يجترىء) يجسر أحد (أن يكلمه) فى ذلك (فكلمه أُسامة بن زيد ، فقال) صلى الله عليه وآله وسلم له ولغيره (إن بنى إسرائيل كان إذا سرق فيهم الشريف تركوه) فلم يقطعوا يده (وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه ، لوكانت) أى السارقة (فاطمة) بنته صلى الله عليه وآله وسلم سرقت (لقطعت يدها) وخص المثل بفاطمة رضى الله عنها لأنها كانت أعز أهله ، وفيه منقبة عظيمة ظاهرة لأسامة .

الحديث الخامس والعشرون

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَـأْخُذُهُ وَالحَسَنَ ، فَيَقُولُ : اللَّهُمَّ أَحِبَّهُمَا فَإِنِّى أُحِبُّهُمَا .

(عن أُسامة بن زيد رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم كان يأخذه والحسن) بن علىّ بن أبى طالب (فيقول : اللهم أحبهما) بفتح الهمزة وكسر الحاء (فإنى أُحبهما) بضم الهمزة والباء ، وهذه منقبة عظيمة لأسامة والحسن . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى فضائل الحسن والأدب ، والنسائى فى المناقب .

الحديث السادس والعشرون

عَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قالَ لَهَا : إِنَّ عَبْدَ ٱللهِ رَجُلٌ صَالِحٌ .

(عن حفصة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم قال لها : إن عبد الله) بن عمر بن الخطاب أخاك (رجل صالح) وكان يكنى أبا عبد الرحمن أسلم مع إسلام أبيه بمكة صغيراً ، وهاجر مع أبيه وأمه زينب ويقال رايطة بنت مظعون أخت عثمان وقدامة بن مظعون ، وهو ابن عشر ، وشهد المشاهد كلها بعد بدر وأحد ، واستصغر يوم أحد ، وشهد الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة ، وكان عالماً مجتهداً لزوماً للسنة ، فروراً من البدعة ، ناصحاً للأمة . وروى ابن وهب عن مالك قال : بلغ عبد الله بن عمر ستاً وثمانين سنة ، وأفتى فى الإسلام ستين سنة ، ونشر نافع عنه علماً جماً . وقال سفيان النورى : كان من عادة ابن عمر أنه إذا أعجبه شىء من ماله تصدق به ، وكان رقيقه عرفوا ذلك ، فربما شمر أحدهم ولزم المسجد والإقبال على الطاعة ، فإذا رآه ابن عمر على تلك الحال أعتقه ، فقيل له : إنهم يخدعونك ، فقال : من خدعنا بالله انخدعنا له . وقال نافع : ما مات ابن عمر حتى أعتق ألف إنسان أو زاد عليه ، وكان مولده فى السنة الثانية أو الثالثة من المبعث ، وتوفى فى أوائل سنة ثلاث وسبعين ، وكان سبب موته أن الحجاج دس له رجلا قد سم زج رمحه ، فزحمه فى الطريق وطعنه فى ظهر قدمه ، فمرض بها إلى أن مات . وأكثر الشاه ولى الله المحدث الدهلوى رحمه الله من ذكر فضائله فى أول المصفى شرح الموطإ بالفارسية . وقال فى الفتح : هو أحد العبادلة وفقهاء الصحابة والمكثرين منهم . زاد القسطلانى : وكان له من الولد : عبد الله وأمه صفية بنت أبى عبيد ، وسالم أمه أم ولد ، وعبيد الله وعبد الرحمن وعاصم وحمزة وواقد وزيد وبلال .

الحديث السابع والعشرون

عَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ رَضِىَ ٱللّٰهُ عَنْهُ أَنَّهُ جَلَسَ إِلَى جَنْبِهِ غُلَامٌ فى مَسْجِدٍ بِالشَّامِ ، وَكانَ قَدْ قالَ اللَّهُمّ يَسِّرْ لِى جَلِيساً صَالِحاً ، فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: مِمَّنْ أَنْتَ ؟ قالَ : مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، قالَ : أَلَيْسَ فِيكُمْ صَاحِبُ السِّرِّ الَّذِى لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ ، يَعْنِى حُذَيْفَةَ ، قالَ : بَلَى ، قالَ : أَلَيْسَ فِيكُمُ الَّذِى أَجَارَهُ اللّٰهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الشَّيْطَانِ ، يَعْنِى عَمَّاراً ، قالَ : بَلَى ، قالَ : أَلَيْسَ فِيكُمْ صَاحِبُ السِّوَاكِ أَوِ السِّرَارِ ؟ قالَ : بَلَى ، قالَ : كَيْفَ كانَ عَبْدُ ٱللّٰهِ يَقْرَأُ : « وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى » ؟ قالَ : وَٱلذَّكَرِ وَالْأُنْثَى ، قالَ : مازالَ بِى هؤلاءِ حَتَّى كادُوا يَسْتَنْزِلُونى عَنْ شَىْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ ٱللّٰهِ صلى الله عليه وسلم .

(عن أبى الدرداء رضى الله عنه أنه جلس إلى جنبه غلام) وهو علقمة بن قيس (فى مسجد بالشام ، وكان قد قال) هذا الغلام (اللهم يسر لى جليساً صالحاً ، فقال أبو الدرداء : ممن أنت ؟ قال) علقمة (من أهل الكوفة ، قال : أليس فيكم صاحب السر الذى لا يعلمه غيره ، يعنى حذيفة) بن اليمان (قال : بلى ، قال : أليس فيكم الذى أجاره الله على لسان نبيه صلى الله عليه) وآله (وسلم من الشيطان ، يعنى عماراً) بن ياسر (قال : بلى ، قال : أليس فيكم صاحب السواك أو السرار) بكسر السين ، من السر ، يعنى عبد الله بن مسعود ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يحجبه إذا جاء ولا يخفى عنه سره (قال : بلى ، قال) أبو الدرداء (كيف كان عبد الله يقرأ « والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى » ؟ قال) أى علقمة (والذكر والأنثى ، قال) أبو الدرداء (مازال بى هؤلاء) أى أهل الشام (حتى كادوا يستنزلونى عن شىء سمعته من رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) وهو قوله « والذكروالأنثى » بغير « وما خلق » والقراءة المتواترة بإثباتها ، لكنها لم تبلغهما ، فاقتصرا على ما سمعاه . وفى الحديث منقبة عمار وحذيفة ، وكم لهما من مناقب عظيمة شهيرة لا تخفى على من مارس صحف السنن المطهرة وكتب السيرة الحسنة .

الحديث الثامن والعشرون

عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ رضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم قالَ : لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَإِنَّ أَمِينَنَا أَيَّتُهَا الْأُمَّةُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ .

(عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : لكل أُمة) من الأمم (أمين) أى ثقة رضى (وأن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح) يجتمع مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى فهر ، وأُمه من بنى الحارث بن فهر ، أسلمت ، وقتل أبوه كافراً يوم بدر ، ويقال : إنه هو قتله ، وتوفى أبو عبيدة وهو أمير على الشام من قبل عمر بالطاعون سنة ثمان عشرة ، وكان طويلا نحيفاً ، أثرم الثنيتين ، خفيف اللحية . والأثرم : الساقط الثنية ، وسبب ثرمه أنه كان انتزع سهمين من جبهة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أُحد بثنيتيه فسقطتا ، وهذه الصفة وإن كانت مشتركة بين أبى عبيدة وغيره من الصحابة ، إذ كل أمين بلا ريب ، لكن السياق مشعر بأن له مزيداً فى ذلك ، فإذا خص صلى الله عليه وآله وسلم أحداً من أجلاء الصحابة بفضيلة وصفه بها أشعر بقدر زائد فى ذلك على غيره ، كوصفه عثمان رضى الله عنه بالحياء . وهذا الحديث أخرجه مسلم فى الفضائل ، والنسائى فى المناقب .

الحديث التاسع والعشرون

عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَالحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَى عاتِقِهِ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّى أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ .

(عن البراء) بن عازب (رضى الله عنه قال : رأيت النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم والحسن بن علىّ) بن أبى طالب (على عاتقه) بين منكبه وعنقه (يقول : اللهم إنى أُحبه فأحبه) وهذا الحديث أخرجه مسلم فى الفضائل ، والترمذى فى المناقب ، وكذا النسائى ، وكان مولده فى رمضان سنة ثلاث من الهجرة عند الأكثر ، وقيل بعد ذلك ، ومات بالمدينة مسموماً سنة خمسين ، ويقال قبلها ، ويقال بعدها .

الحديث الثلاثون

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَشْبَهَ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِنَ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا .

(عن أنس رضى الله عنه قال : لم يكن أحد أشبه بالنبى صلى الله عليه) وآله (وسلم من الحسن بن علىّ) وهذا الحديث أخرجه الترمذى فى المناقب . قال فى الفتح : هذا يعارض رواية ابن سيرين فى حق الحسين : كان أشبههم بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم . رواه البخارى . ويمكن الجمع بأن يكون أنس قال : ما وقع فى رواية الزهرى فى حياة الحسن ، لأنه يومئذ كان أشد شبهاً بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم من أخيه الحسين . وأما ما وقع فى رواية ابن سيرين فكان بعد ذلك كما هو ظاهر من سياقه ، والمراد بمن فضل الحسين عليه فى الشبه كان من عدا الحسن . ويحتمل أن يكون كل منهما أشد شبهاً به فى بعض أعضائه ، فقد روى الترمذى وابن حبان من طريق هانىء بن هانىء عن علىّ قال : الحسن أشبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بين الرأس إلى الصدر ، والحسين أشبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما كان أسفل من ذلك . ووقع فى رواية عبد الأعلى عن معمر عند الإسماعيلى فى رواية الزهرى هذه : وكان أشبههم وجهاً بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم . وهو يؤيد حديث علىّ هذا . والذين كانوا يشبهون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم غير الحسن والحسين : جعفر بن أبى طالب وابنه عبد الله بن جعفر ، وقثم بن العباس بن عبد المطلب ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، ومسلم بن عقيل بن أبى طالب ، ومن غير بنى هاشم : السائب بن يزيد المطلبي الجد الأعلى للإمام الشافعى ، وعبد الله بن عامر بن كرز العبشمى ، وكابس بن ربيعة بن عدى . فهؤلاء عشرة نظمهم أبو الفتح بن سيد الناس ، والحافظ أبو الفضل بن الحسين ، والحافظ ابن حجر . قال الحافظ : ووجدت بعد ذلك أن فاطمة عليها السلام كانت تشبهه ، فالجميع أحد عشر ، ثم وجدت أن إبراهيم ولده كان يشبهه ثم وجدت فى قصة جعفر بن أبى طالب أن ولديه عبد الله وعوناً كانا يشبهانه . ونظم أبو الوليد بن الشحنة قاضى حلب خمس عشرة نفساً كانوا يشبهونه صلى

الله عليه وآله وسلم . والمهدى الذى يخرج فى آخر الزمان جاء أنه يشبهه ، ويواطىء اسمه واسم أبيه اسم النبى صلى الله عليه وآله وسلم واسم أبيه . وذكر أبو يونس فى تاريخ مصر عبد الله بن أبى طلحة الخولانى ، و أنه شهد فتح مصر ، وأمره عمر بأن لا يمشى إلا مقنعاً لأنه كان يشبه النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : وكان له عبادة وفضل . قال القسطلانى : المراد أشبهه فى بعض الأعضاء، وإلا فتمام حسنه صلى الله عليه وآله وسلم منزه عن الشريك كما قال الأبوصيرى رحمه الله :

منزه عن شريك فى محاسنه — فجوهر الحسن فيه غير منقسم

الحديث الحادى والثلاثون

عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ الْمُحْرِمِ يَقْتُلُ الذُّبَابَ ، فَقَالَ : أَهْلُ الْعِرَاقِ يَسْأَلُونَ عَنِ ٱلذُّبَابِ ، وَقَدْ قَتَلُوا ٱبْنَ ٱبْنَةِ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم ، وَقَدْ قالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ ٱلدُّنْيَا .

(عن ابن عمر رضى الله عنهما وسأله رجل) من أهل العراق كما عند الترمذى (عن المحرم يقتل الذباب) ما يلزمه إذا قتلها وهو محرم . وفى رواية جرير بن حازم : سئل ابن عمر عن دم البعوض يصيب الثوب . وكذا فى رواية مهدى بن ميمون . قال فى الفتح : يحتمل أن يكون السؤال وقع عن أمرين (فقال) أى ابن عمر متعجباً من كونهم يسألون عن الشىء الحقير ويفرطون فى الشىء الخطير (أهل العراق يسألون عن الذباب) ما يلزم المحرم إذا قتله (وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) الحسين (وقال النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم : هما) أى الحسنان (ريحانتاى من الدنيا) ووجه التشبيه أن الولد يشم ويقبل . وعند الترمذى من حديث أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يدعو الحسن والحسين فيشمهما ويضمهما إليه . وعند الطبرانى بعد قوله « من الدنيا أشمهما » وقوله « من الدنيا » كقوله صلى الله عليه وآله وسلم : حبب إلىّ من دنياكم الطيب والنساء ، أى نصيبى . قال القسطلانى : ويحتمل أن يكون ابن عمر أجاب السائل عن خصوص ما سأل عنه ، لأنه لا يحل له كتمان العلم إلا إن حمل على أن السائل كان متعنتاً . انتهى . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى الأدب ، والترمذى فى المناقب . وكان مولد الحسين فى شعبان سنة أربع فى قول الأكثر ، وقتل يوم عاشوراء سنة إحدى وستين بكربلاء من أرض العراق ، وكان أهل الكوفة لما مات معاوية واستخلف يزيد كاتبوا الحسين بأنهم فى طاعته ، فخرج الحسين إليهم ، فسبقه عبد الله بن زياد إلى الكوفة ، فخذل غالب الناس عنه ، فتأخروا رغبة ورهبة ، وقتل ابن عمه مسلم بن عقيل ، وكان الحسين قد قدمه قبله ليبايع له الناس ، ثم جهز إليه عسكراً فقاتلوه إلى أن قتل هو وجماعة من أهل

بيته . والقصة مشهورة فلا نطيل بشرحها . وللشاه عبد العزيز الدهلوى كتاب فى ذلك سماه سر « الشهادتين » وهو نفيس مختصر جيد جداً ، وقد طبع بالهند مراراً وترجم بالهندية ، ولهما رضى الله عنهما مناقب كثيرة لا يسع المقام بسطها ، منها حديث أبى بكرة عند البخارى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول : ابنى هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين . انتهى : ووقع ذلك كما قاله صلى الله عليه وآله وسلم لما وقع بينه وبين معاوية بسبب الخلافة ، وكان المسلمون يومئذ فرقتين : فرقة مع الحسن ، وفرقة مع معاوية ، وكان الحسن يومئذ أحق الناس بالخلافة ، فدعاه ورعه وشفقته على المسلمين إلى ترك الملك والدنيا رغبة فيما عند الله عز وجل ، ولم يكن ذلك لقلة ولا ذلة ، فقد بايعه على الموت أربعون ألفاً ، وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : ارقبوا محمداً فى أهل بيته . رواه البخارى . أى احفظوه . والمراد أولاده وأزواجه والحسن والحسين وعلىّ منهم ، لأنه كان من أهل بيته لمعاشرته فاطمة بنته وملازمته له .

الحديث الثانى والثلاثون

عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قالَ : ضَمَّنِى رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى صَدْرِهِ وَقالَ : اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ ٱلْحِكْمَةَ ، وَفى رِوَايَةٍ : اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ .

(عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ضمنى رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم إلى صدره وقال : اللهم علمه الحكمة . وفى رواية : اللهم علمه الكتاب) والحكمة هى الإصابة فى غير النبوّة ، وقيل : معرفة الدين والتفقه فيه والاتباع له . وقال الشافعى : الحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ويؤيده قوله تعالى : « يعلمهم الكتاب والحكمة » . وقيل : هى الفهم عن الله . وقيل : ما يشهد العقل بصحته . وقيل : نور يفرق به بين الإلهام والوسواس . وقيل : سرعة الجواب بالصواب . وقيل : هى الفصل بين الحق والباطل . وأولى الأقوال وأحكمها قول الشافعى المذكور . وقد بسط ابن عادل الكلام على تفسير الحكمة فليراجع . وعند البغوى فى معجمه أنه صلى الله عليه وآله وسلم دعا لابن عباس فقال : اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل . ورواه أحمد والطبرانى والبزار . وعند الضحاك : علمه تأويل القرآن . وعند أبى زرعة الدمشقى فى تاريخه عن ابن عمر أنه قال : ابن عباس أعلم الناس بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وآله وسلم . وأخرج ابن أبى خيثمة نحوه بإسناد حسن . وعن أبى وائل قال : قرأ ابن عباس سورة النور ثم جعل يفسرها ، فقال رجل : لوسمعت هذا الديلم لأسلمت . رواه يعقوب بن أبى سفيان فى تاريخه بإسناد صحيح . ورواه أبو نعيم فى الحلية من وجه آخر بلفظ سورة البقرة ، وزاد : إنه كان على الموسم سنة خمس وثلاثين ، كان عثمان أرسله لما حصر . وعنده عن ابن مسعود قال : لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عاشره منا رجل . وإسناده صحيح . وكان يقول : نعم ترجمان القرآن ابن عباس . وروى هذه الزيادة ابن سعد من وجه آخر عنه . وبالجملة فقد كان رضى الله عنه من أعلم الصحابة بتفسير القرآن . والصحيح من تفسيره ما رواه البخارى فى الصحيح والذى يتداوله الناس اليوم ، وهو فى مجلد ضخيم ، وفيه تفسير

كل آية من آى القرآن ، فلم يثبت أنه من كلامه رضى الله عنه أو جمعه وفيه ما لا ينبغى نسبته إليه ، فتأمل . وهو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ابن عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين بالشعب قبل خروج بنى هاشم منه ، وحنكه صلى الله عليه وآله وسلم بريقه ، وكان طويلا أبيض جسيماً وسيماً صبيح الوجه . قال مسروق : كنت إذا رأيت ابن عباس قلت : أجمل الناس ، فإذا تكلم قلت : أفصح الناس ، وإذا تحدث قلت : أعلم الناس . وقال عطاء : كان ناس يأتون ابن عباس فى الشعر والأنساب ، وناس يأتون لأيام العرب ووقائعها ، وناس يأتون للعلم والفقه ، فما منهم صنف إلا ويقبل عليهم بما شاءوا . وقال فيه عمر بن الخطاب : عبد الله فتى كهول ، له لسان سيول وقلب عقول . وقال طاوس : أدركت نحو خمسمائة من الصحابة إذا ذكروا ابن عباس فخالفوه لم يزل يقررهم حتى ينتهوا إلى قوله . وتوفى رضى الله عنه بالطائف بعد أن عمى سنة ثمان وستين وهو ابن سبعين سنة ، وصلى عليه محمد بن الحنفية . قال فى الفتح : وكان من علماء الصحابة حتى كان عمر يقدمه مع الأشياخ وهو شاب .

الحديث الثالث والثلاثون

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم نَعى زَيْداً وَجعْفرًا وَٱبْنَ رَوَاحَةَ ، وَذَكَرَ بَاقِيَ الحَدِيثِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ، ثُمَّ قالَ : فَأَخَذَهَا - يَعْنِي الرَّايَةَ - سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ ٱللهِ حَتَّى فَتَحَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ .

(عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم نعى زيداً) أى ابن حارثة (وجعفراً) أى ابن أبى طالب (وابن رواحة) عبد الله (للناس) أى أخبرهم بموتهم فى غزوة مؤتة (قبل أن يأتيهم خبرهم) وذلك أنه صلى الله عليه وآله وسلم أرسل سرية إليها واستعمل عليهم زيداً وقال : إن أُصيب فجعفر ، وإن أُصيب فابن رواحة ، فخرجوا وهم ثلاثة آلاف ، فتلاقوا مع الكفار فاقتتلوا فكان كما قال صلى الله عليه وآله وسلم (فقال : أخذ الراية زيد فأصيب) أى قتل (ثم أخذ جعفر فأصيب ، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب) قال ذلك (وعيناه تذرفان) تسيلان بالدموع (حتى أخذ سيف من سيوف الله) عز وجل . وفى الجنائز : فأخذها خالد بن الوليد من غير إمرة منه صلى الله عليه وآله وسلم ، لكنه رأى المصلحة فى ذلك فأخذ الراية (حتى فتح الله عليهم) على يد خالد ، فانحاز بالمسلمين حتى رجعوا سالمين . وفى حديث أبى قتادة : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اللهم إنه سيف من سيوفك فأنت تنصره . فمن يومئذ سمى سيف الله . وفى حديث عبد الله بن أبى أوفى مما أخرجه الحاكم وابن حبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لا تؤذوا خالداً فإنه سيف من سيوف الله صبه على الكفار ، وهو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب ، يجتمع مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم ومع أبى بكر فى مرة بن كعب ، ويكنى أبا سليمان ، أسلم فى هدنة الحديبية ، وعزماته يوم مؤتة وفى الردة وبدء فتوح العراق وجميع فتوح الشام أكثر من أن تحصى ، إذ كان له فيه العناء العظيم الحفيل والبلاء الحسن الجميل . وتوفى بحمص سنة إحدى وعشرين حتف أنفه وعمره بضع وأربعون سنة فى خلافة عثمان رضى الله عنه . وبذلك جزم ابن نمير .

الحديث الرابع والثلاثون

عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: ٱسْتَقْرِءُوا الْقُرْآن مِنْ أَرْبَعَةٍ : مِنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ـ فَبَدَأَ بِهِ ـ وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ، وَمُعَاذِ ابْنِ جَبَلٍ .

(عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يقول : استقرءوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود) ابن غافل بن حبيب بن شمخ الهذلى ، وكان إسلامه قديماً فى أول الإسلام وكان سادس ستة فيه ، وهو من القراء المشهورين وممن جمع القرآن على عهد النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وهاجر الهجرتين وصلى إلى القبلتين ، وشهد بدراً والحديبية ، وشهد له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالجنة ، وكان قصيراً نحيفاً يكاد طوال الرجال يوازونه جلوساً وهو قائم ، توفى سنة اثنتين وثلاثين وقد جاوز الستين ودفن بالبقيع ، وصلى عليه عثمان رضى الله عنهما ، وكان له من الولد : عبد الرحمن وبه يكنى ، وعتبة ، وأبو عبيدة واسمه عامر. قال فى الفتح : وولى بيت المال بالكوفة لعمر وعثمان ، وقدم فى آخر عمره المدينة ، وكان من علماء الصحابة وممن انتشر علمه بكثرة أصحابه والآخذين عنه . وقد روى الحاكم وغيره عن حذيفة قال : لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن ابن أم عبد من أقربهم إلى الله وسيلة يوم القيامة (و) من (سالم مولى أبى حذيفة و) من (أبى بن كعب و) من (معاذ بن جبل) رضى الله عنهم ورضوا عنه . وعن أبى موسى الأشعرى قال : قدمت أنا وأخى من اليمن فمكثنا حيناً ما نرى إلا أن عبد الله بن مسعود رجل من أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما نرى من دخوله ودخول أمه على النبى صلى الله عليه وآله وسلم . رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى . وكان ابن مسعود يلج على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ويلبسه نعليه ويمشى أمامه ومعه ويستره إذا اغتسل . وقال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إذنك على أن ترفع الحجاب وأن تسمع سوادى حتى أنهاك . أخرجه مسلم . وقال صلى الله عليه وآله وسلم : من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما نزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد . وقال فيه عمر : كنيف ملىء علماً .

الحديث الخامس والثلاثون

عَن عائِشَةَ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهَا أَنَّهَا ٱسْتَعَارَتْ مِنْ أَسْماءَ قِلَادَةً فَهَلَكَتْ ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ ٱللّٰهِ صلى الله عليه وسلم نَاساً مِنْ أَصْحَابِهِ فِى طَلَبِهَا ، فَأَدْرَكَتْهُمُ الصَّلَاةُ ، فَصَلَّوْا بِغَيْرِ وُضُوءٍ ، فَلَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم شَكَوْا ذٰلِكَ إِلَيْهِ ، فَنَزَلَتْ آيَةُ التَّيَمُّمِ ، ثُمَّ ذَكَرَ بَاقِيَ الحَدِيثِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِى كِتَابِ التَّيَمُّمِ .

(عن عائشة رضى الله عنها أنها استعارت من أسماء) بنت أبى بكر الصديق وهى أُختها (قلادة) بكسر القاف ، قيل : كان ثمنها اثنى عشر درهماً (فهلكت) أى ضاعت (فأرسل رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ناساً من أصحابه فى طلبها) وفى التيمم : رجلا ،وفسر بأنه أُسيد بن حضير (فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء) لم أقف على تعيين هذه الصلاة (فلما أتوا النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم شكوا ذلك) الذى وقع لهم من فقد الماء وصلاتهم بغير وضوء (إليه) صلى الله عليه وآله وسلم (فنزلت آية التيمم) التى فى سورة المائدة (ثم ذكر باقى الحديث ، وقد تقدم فى كتاب التيمم) فلا حاجة إلى إعادته . والغرض من هذا الحديث هنا منقبة عائشة التى جعل الله بها للمسلمين بركة ومخرجاً من مضايقة وكربة ، وهى الصديقة بنت الصديق القرشية التيمية ، وأُمها أُم رومان ابنة عامر بن عويمر ، وولدت فى الإسلام قبل الهجرة بثمان سنين أو نحوها ، ومات النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولها نحو ثمانية عشر عاماً ، وقد حفظت عنه شيئاً كثيراً حتى قيل : إن ربع الأحكام الشرعية منقول عنها . قال عطاء بن أبى رباح : كانت أفقه الناس وأعلمهم وأحسنهم رأياً فى العامة . وقال ابن الزبير : ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة . وقال الزهرى : لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل . ومن خصائصها أنها كانت أحب أزواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وبرأها الله مما رماها به أهل الإفك ، وأنزل فى عذرها وبراءتها وحياً يتلى فى محاريب المسلمين إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين ، وتوفيت سنة ثمان وخمسين

من الهجرة فى خلافة معاوية وقد قاربت السبعين ، وذلك ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان ، وصلى عليها أبو هريرة رضى الله عنه . وعند البخارى عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً : ياعائش ، هذا جبريل يقرئك السلام ، فقلت : عليه السلام ورحمة الله وبركاته ، ترى ما لا أرى . وعنده عن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ... الحديث . وفيه فضل عائشة على النساء ، أى نساء هذه الأمة ، كفضل الثريد على سائر الطعام . قال الشيخ تقى الدين السبكى : هذا الأمر لا صارف لحمله عن الوجوب ، وحكمه صلى الله عليه وآله وسلم على الواحد حكمه على الجماعة ، فيلزم من هذا وجوب محبتها على كل أحد . وقال صلى الله عليه وآله وسلم فيها ما لا يحصى من الفضل ، ونطق القرآن العزيز فى شأنها بما لم ينطق به فى غيرها . وأما بقية أزواجه غير خديجة فلا يبلغن هذه المرتبة ، لكنا نعلم لحفصة بنت عمر من الفضائل كثيراً ، فما أشبه أن تكون هى بعد عائشة . والكلام فى التفضيل صعب ، ولا ينبغى التكلم إلا بما ورد والسكوت عما سواه وحفظ الأدب . وقال المتولى : والأولى بالعاقل أن لا يشتغل بمثل ذلك . وقال عمار ابن ياسر فى خطبته بالكوفة : إنى لأعلم إنها زوجته فى الدنيا والآخرة ، ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها كما فى البخارى . وفيه عن عروة بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما كان فى مرضه ، أى الذى توفى فيه ، جعل يدور فى نسائه ويقول : أين أنا غداً ، أين أنا غداً ، حرصاً على بيت عائشة . قالت عائشة : فلما كان يومى سكن . وعن هشام عن أبيه عروة قال : كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة ... الحديث ، وفيه : يا أُم سلمة لا تؤذينى فى عائشة فإنه والله ما نزل علىّ الوحى وأنا فى لحاف امرأة منكنّ غيرها . رواه البخارى . وكفاها بهذا شرفاً وفخراً . قال فى الفتح : وفى هذا الحديث منقبة عظيمة لعائشة . وقد استدل به على فضل عائشة على خديجة ، وليس ذلك بلازم ، ثم ذكر وجوهاً لذلك . وقال السبكى الكبير : الذى ندين الله به أن فاطمة أفضل ثم خديجة ثم عائشة ، والخلاف شهير ، ولكن الحق أحق أن يتبع . وقال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله : جهات الفضل بين خديجة وعائشة متقاربة ، وكأنه رأى التوقف . وقال الحافظ ابن القيم رحمه الله : إن أُريد بالتفضيل كثرة الثواب عند الله فذاك أمر لا يطلع

عليه ، فإن عمل القلوب أفضل من عمل الجوارح ، وإن أريد كثرة العلم فعائشة لا محالة ، وإن أريد شرف الأصل ففاطمة لا محالة ، وهى فضيلة لا يشارك فيها غير أخواتها ، وإن أريد شرف السيادة فقد ثبت النص لفاطمة وحدها . قال الحافظ ابن حجر : قلت : امتازت فاطمة عن أخواتها بأنهنّ متن فى حياة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وأما ما امتازت به عائشة من فضل العلم فإن لخديجة ما يقابله وهى أنها أول من أجاب إلى الإسلام و دعا إليه وأعان على نبوّته بالنفس والمال والتوجه التام ، فلها أجر مثل من جاء بعدها ، ولا يقدر ذاك إلا الله تعالى . وقد انعقد الإجماع على أفضلية فاطمة ، وبقى الخلاف بين عائشة وخديجة . انتهى .

الحديث السادس والثلاثون

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا قالَتْ : كَانَ يَوْمُ بُعَاثَ يَوْماً قَدَّمَهُ ٱللهُ لِرَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقَدِمَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم وَقَدِ ٱفْتَرَقَ مَلَأُهُمْ ، وَقُتِلَتْ سَرَوَاتُهُمْ وَجُرِّحُوا ، فَقَدَّمَهُ ٱللهُ لِرَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم فى دُخُولِهِمْ فى الْإِسْلَامِ .

(عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان يوم بعاث) بضم الموحدة وتخفيف العين المهملة وبعد الألف مثلثة ، وروى بالغين المعجمة . قال الحافظ : وهو تصحيف غير مصروف للتأنيث والعلمية لأنه اسم بقعة . قال ابن قرقول : على ميلين من المدينة ، وقع فيها حرب بين الأوس والخزرج ، وكان سبب ذلك أن من قاعدتهم أن الأصيل لا يقتل بالحليف ، فقتل رجل من الأوس حليفاً للخزرج ، فأرادوا أن يقيدوه ، فامتنعوا ، فوقعت الحرب بينهم ، لذلك ، قيل : بقيت الحرب بينهم مائة وعشرين سنة حتى جاء الإسلام ، وكان رئيس الأوس فيه حضيراً والد أُسيد ، وكان أيضاً فارسهم . قال أبو أحمد العسكرى : قال بعضهم : كان يوم بعاث قبل قدومه صلى الله عليه وآله وسلم المدينة بخمس سنين ، وقتل حضير وكثير من رؤسائهم وأشرافهم ، وكان ذلك اليوم (يوماً قدمه الله لرسوله صلى الله عليه) وآله (وسلم) إذ لو كانوا أحياء لاستكبروا عن متابعته صلى الله عليه وآله وسلم ولمنع حب رياستهم عن حب دخول رئيس عليهم (فقدم رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) المدينة (و) الحال إنه (قد افترق ملأهم) أى جماعتهم (وقتلت) مبنياً للمفعول (سرواتهم) خيارهم وأشرافهم (وجرحوا) من الجرح ، وقيل : حرجوا من الحرج ، وعن المستملى : بالخاء المعجمة من الخروج ، أى خرجوا من أوطانهم ، وصوب ابن الأثير الأول وغيره الثالث ، والله أعلم (فقدمه الله) بتشديد الدال ، أى ذلك اليوم (لرسوله صلى الله عليه) وآله (وسلم فى دخولهم فى الإسلام) فكان فى قتل من قتل من أشرافهم ممن كان يأنف أن يدخل فى الإسلام مقدمات الخير ، وقد كان بقى منهم من هذا النحو عبد الله ابن أُبى ابن سلول ، وقصته فى أنفته وتكبره مشهورة لا تخفى ، أورد البخارى

هذا الحديث فى باب مناقب الأنصار ، وهو جمع نصير والنسبة أنصارى ، وليس نسبة لأب ولا أُم ، بل سموا بذلك لما فازوا به دون غيرهم من نصرته صلى الله عليه وآله وسلم وإيوائه وإيواء من معه ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم . والأنصار : هم ولد الأوس والخزرج وحلفاؤهم أبناء حارثة وهو اسم إسلامى ، واسم أُمهم قيلة . قال فى الفتح : وأبوهم حارثة بن عمرو بن عامر الذى يجمع أنساب الأزد . انتهى . فهما فى الأصل من اليمن من قبيلة أزد ، وتسمى أسد ، وليسوا من قريش قوم النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، كما حقق ذلك أهل السير فى كتبهم .

الحديث السابع والثلاثون

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ ٱمْرَءاً مِنَ الْأَنْصَار .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : لولا الهجرة) أمر دينى وعبادة مأمور بها التى لايجوز تبديلها (لكنت امرءاً من الأنصار) أى لانتسبت إلى دارهم المدينة ، ولتسميت باسمهم وانتسبت إليهم كما كانوا يتناسبون بالحلف ، لكن خصوص الهجرة سبقت فمنعت من ذلك ، وهى أعلى وأشرف ، فلا تتبدل بغيرها ، وليس المراد الانتقال عن نسب آبائهم ، لأنه ممتنع قطعاً لاسيما ونسبه صلى الله عليه وآله وسلم أشرف الأنساب ، وكذا ليس المراد النسب الاعتقادى ، فإنه لامعنى للانتقال إليه ، فالمراد النسبة البلادية ، وكانت المدينة دار الأنصار والهجرة إليها أمراً واجباً ، أى لولا أن النسبة الهجرية لا يسعنى هجرها لانتسبت إلى داركم ، ويحتمل أنه لما كانوا أخواله لكون أم عبد المطلب منهم أراد أن ينتسب إليهم لهذه الولادة لولا مانع الهجرة . قاله محيى السنة ، وتلخيصه : لولا فضلى على الأنصار لكنت واحداً منهم . وهذا تواضع منه صلى الله عليه وآله وسلم ، وحث للناس على إكرامهم واحترامهم ، والمراد تآلفهم واستطابة نفوسهم والثناء عليهم فى دينهم حتى رضى أن يكون واحداً منهم ، لولا ما يمنعه من الهجرة التى لا يجوز تبديلها ، وأطال الخطابى فى ذلك بما لا طائل تحته .

الحديث الثامن والثلاثون

عَنْ الْبَرَاءِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ : قالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : الْأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلاَّ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَبْغُضُهُمْ إِلاَّ مُنَافِقٌ ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ ٱللَّهُ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ ٱللَّهُ .

(عن البراء رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم : الأنصار لايحبهم) كلهم (إلا مؤمن) كامل الإيمان (ولا يبغضهم) كلهم من جهة نصرتهم للرسول صلى الله عليه وآله وسلم (إلا منافق) وفى مستخرج أبى نعيم من حديث البراء : من أحب الأنصار فبحبى أحبهم ، ومن أبغض الأنصار فببغضى أبغضهم . وهو يؤيد مامر من تقدير من جهة نصرتهم للرسول . وعن أنس يرفعه : آية الإيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار . رواه البخارى . قال ابن التين : المراد حب جميعهم وبغض جميعهم ، لأن ذلك إنما يكون للدين ، ومن أبغض بعضهم لمعنى يسوغ البغض فليس داخلا فى ذلك . قال فى الفتح : وهو تقرير حسن (فمن أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله) وإنما خصوا بذلك لما فازوا به دون غيرهم من القبائل من إيوائه صلى الله عليه وآله وسلم ومواساته بأنفسهم وأموالهم ، فكان صنعهم لذلك موجباً لمعاداتهم جميع الفرق الموجودين إذ ذاك من عرب وعجم ، والعداوة تجر البغض ، ثم إن ما اختصوا به موجب للحسد ، والحسد يجر إلى البغض أيضاً ، فمن ثم حذر صلى الله عليه وآله وسلم من بغضهم ورغب فى حبهم حتى جعله من الإيمان ، والنفاق تنويهاً بفضلهم . وهذا جار باطراد فى أعيان الصحابة لتحقق الاشتراك فى الإكرام لما لهم من حسن الغناء فى الدين ، وإن وقع من بعضهم لبعض بغض بسبب الحروب الواقعة بينهم ، فذاك من غير هذه الجهة ، بل لما طرأ من المخالفة ، ومن ثم لم يحكم بعضهم على بعض بالنفاق ، وإنما حالهم فى ذلك حال المجتهدين فى الأحكام : للمصيب أجران وللمخطىء أجر واحد . وهذا الحديث أخرجه مسلم فى الأيمان والترمذى والنسائى فى المناقب ، وابن ماجه فى السنة .

الحديث التاسع والثلاثون

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : رَأَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ مُقْبِلِينَ مِنْ عُرْسٍ ، فَقَامَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مُمْثِلاً ، فَقَالَ : اللَّهُمْ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ . قالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .

(عن أنس رضى الله عنه قال : رأى النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم النساء والصبيان مقبلين من عرس) بضم العين (فقام النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم ممثلا) أى منتصباً قائماً . قال السفاقسي وابن التين : كذا وقع رباعياً ، والذى ذكره أهل اللغة : مثل الرجل بفتح الميم وضم المثلثة ، مثولا إذا انتصب قائماً ثلاثى . انتهى . وقال العيني : كان غرضه الإنكار على الذى وقع هنا وليس بموجبه ، لأن ممثلا معناه مكلفاً نفسه ذلك ، وطالباً ذلك ، فلذلك عدى فعله ، وأما مثل الثلاثى فهو لازم غير متعد ، وفى النكاح قام ممتناً ، أى قام قياماً طويلا ، أو هو من الامتنان ، لأن من قام له صلى الله عليه وآله وسلم فقد امتن عليه بشىء لا أعظم منه ، فكأنه قال : يمتن عليهم بمحبته ، ويؤيده قوله بعد (فقال : اللهم أنتم من أحب الناس إلىّ . قالها ثلاث مرات) وتقديم لفظ « اللهم » للتبرك أو للاستشهاد بالله فى صدقه . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى النكاح ، ولا ينافى أحبية أحد إليه غير الأنصار ، لأن الحكم للكل بشىء لا ينافى الحكم به لفرد من أفراده ، فلا تعارض بينه وبين قوله « أبو بكر » فى جواب من قال : من أحب الناس إليك ؟ قال : أبو بكر .

الحديث الأربعون

وَعَنْهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ فى رِوَايَةٍ قالَ : جَاءَتِ ٱمْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا ، فَكَلَّمَهَا رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ : وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنَّكُمْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَىَّ ، مَرَّتَيْنِ .

(وعنه) أى عن أنس (رضى الله عنه فى رواية) أخرى (قال : جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ومعها صبى لها) قال فى الفتح : لم أقف على اسمهما (فكلمها رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) ابتدأها بالكلام تأنيساً لها أو أجابها عما سألته عنه (فقال) النبى صلى الله عليه وآله وسلم (والذى نفسى بيده إنكم) أيها الأنصار (أحب الناس إلى) قال ذلك القول (مرتين) وهذا الحديث أخرجه فى النكاح والنذور ، ومسلم فى الفضائل ، والنسائى فى المناقب .

الحديث الحادى والأربعون

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : قالَتِ الْأَنْصَارُ : يَارَسُولَ ٱللهِ لِكُلِّ نَبِيٍّ أَتْبَاعٌ ، وَأَنَّا قَدِ ٱتَّبَعْنَاكَ ، فَادْعُ ٱللهَ أَنْ يَجْعَلَ أَتْبَاعَنَا مِنَّا ، فَدَعا بِهِ .

(عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : قالت الأنصار : يارسول الله لكل نبي أتباع وإنا قد اتبعناك ، فادع الله أن يجعل أتباعنا منا) فيقال لهم الأنصار ليدخلوا فى الوصية لنا بالإحسان وغيره (فدعا) صلى الله عليه وآله وسلم (به) أى بالذى سألوا ، فقال كما فى الرواية الأخرى : اللهم اجعل أتباعهم منهم . وفيه التنبيه على شرف صحبة الأخيار ، وصح المرء مع من أحب ، وتأمل تأثير الصحبة فى كل شيء ، حتى فى البواشق بالصحبة رفعت على أيدى الملوك ، وحتى فى الحطب بصحبة النجار يعتق من النار ، فعليك بصحبة الأخيار .

الحديث الثاني والأربعون

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : إِنَّ خَيْرَ دُورِ الأَنْصارِ ، فَذَكَرَ الحَدِيثَ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ، ثُمَّ قالَ : قالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم : يَا رَسُولَ ٱللهِ خُيِّرَ دُورُ الأَنْصارِ فَجُعِلْنَا آخِراً ، فَقَالَ : أَوَ لَيْسَ بِحَسْبِكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ ٱلْخِيَارِ .

(عن أبي حميد) مصغراً الساعدى (رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : إن خير دور الأنصار ، فذكر الحديث ، وقد تقدم ، ثم قال : قال سعد بن عبادة للنبي صلى الله عليه) وآله (وسلم : يا رسول الله خير دور الأنصار فجعلنا آخراً ، فقال : أوليس بحسبكم أن تكونوا من الخيار) جمع خير الذى بمعنى أفعل التفضيل ، وهو تفضيلهم على سائر القبائل . قال فى الفتح : أى الأفاضل لأنهم بالنسبة إلى من دونهم أفضل ، وكانت المفاضلة بينهم وقعت بحسب السبق إلى الإسلام وبحسب مساعيهم فى إعلاء كلمة الله ، ونحو ذلك .

الحديث الثالث والأربعون

عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً مِنَ الْأَنْصَار قالَ : يَارَسُولَ ٱللّٰهِ أَلاَ تَسْتَعْمِلُنِى كما ٱسْتَعْمَلْتَ فُلَاناً ، قالَ : سَتَلْقَوْنَ بَعْدِى أُثْرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنى عَلَى الحَوْضِ، وَفى رِوَايةٍ عَنْ أَنَس: وَمَوْعِدُكُمْ الْحَوْضُ .

(عن أُسيد بن حضير رضى الله عنـه أن رجلا من الأنصـار) قيل : هو أُسيد الراوى . وقال فى الفتح : لم أقف على اسمـه . زاد مسلم : فخلا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (قال : يارسول الله ألا تستعملنى) أى ألا تجعلنى عاملا على الصدقة أو على بلد (كما اسعملت فلاناً) قيل : هوعمرو ابن العاص . كذا ذكره فى المقدمة فى السائل والمستعمل . وقال فى الشرح : لا أدرى الآن من أين نقلته (قال : ستلقون بعدى أثرة) أى من يستأثر عليكم بأمور الدنيا ويفضل عليكم غيركم . قال فى الفتح : أشار بذلك إلى أن الأمر يصير فى غيرهم فيختصون دونهم بالأموال وكان الأمر كما وصف صلى الله عليه وآله وسلم وهو معدود فيما أخبر به من الأمور الآتية فوقع كما قال (فاصبروا) على ذلك (حتى تلقونى على الحوض) أى حوض النبى صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة . وهذا الحديث أخرجه البخارى أيضاً والترمذى فى الفتن ، ومسلم فى المغازى ، والنسائى فى القضاء والمناقب (وفى رواية عن أنس : وموعدكم الحوض) أى الذى ترد عليه أُمته صلى الله عليه وآله وسلم ، آنيته عدد النجوم كما فى مسلم .

الحديث الرابع والأربعون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ، فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ ، فَقُلْنَ : ما مَعَنَا إِلاَّ المَاءُ ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ يَضُمُّ أَوْ يَضِيفُ هذَا ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى ٱمْرَأَتِهِ فَقَالَ : أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَتْ : ما عِنْدَنَا إِلاَّ قُوتُ صِبْيَانِي ، فَقَالَ : هَيِّئِي طَعَامَكِ ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ ، وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً ، فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا ، وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا ، وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا ، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ فَجَعَلَا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : ضَحِكَ ٱللهُ اللَّيْلَةَ أَوْ عَجِبَ مِنْ فِعَالِكُمَا ، فَأَنْزَلَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ : « وَيُؤْثِرُونَ على أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ » .

(عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم) قال الحافظ : لم أقف على اسمه ، وورد أنه أنصارى ، وسيأتى تحقيق الكلام آنفاً (فبعث إلى نسائه) أمهات المؤمنين يطلب منهنّ ما يضيفه به (فقلن : ما معنا) أى ما عندنا (إلا الماء ، فقال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : من يضم) إليه فى طعامه (أويضيف هذا) الرجل بالشك من الراوى (فقال رجل من الأنصار) يا رسول الله (أنا) أضيفه ، زعم ابن التين أنه ثابت بن قيس بن شماس ، وقد أورد ذلك ابن يشكول من طريق أبى جعفر بن النحاس بسند له عن أبى المتوكل التاجى مرسلا ، ورواه إسماعيل القاضى فى أحكام القرآن ، ولكن سياقه يشعر بأنها قصة أخرى ، لأن لفظه : إن رجلا من الأنصار غبر عليه ثلاثة أيام لا يجد ما يفطر عليه ويصبح صائماً حتى فطن له رجل من الأنصار يقال له ثابت بن قيس ، فقص القصة . وهذا يمنع التعدد فى الصنيع مع الضيف ، وفى نزول الآية قال ابن بشكوال :

وقيل هو عبد الله بن رواحة ، ولم يذكر لذلك مستنداً ، وروى أبو البحترى القاضى أحد الضعفاء المتروكين فى كتاب صفة النبى صلى الله عليه وآله وسلم له أنه أبو هريرة راوى الحديث . قال الحافظ : والصواب الذى يتعين الجزم به فى حديث أبى هريرة ما وقع عند مسلم من طريق محمد بن فضيل بن غزوان عن أبيه بإسناد البخارى . فقام رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة ، وبذلك جزم الخطيب ، لكنه قال : أظنه غير أبى طلحة زيد بن سهل المشهور ، وكأنه استبعد ذلك من وجهين : أحدهما أن أبا طلحة زيد بن سهل مشهور لا يحسن أن يقال فيه ، فقام رجل يقال له أبو طلحة . والثانى : أن سياق القصة يشعر بأنه لم يكن عنده ما يتعشى به هو وأهله حتى احتاج إلى إطفاء المصباح . وأبو طلحة زيد بن سهل كان أكثر أنصارى بالمدينة مالا ، فيبعد أن يكون بتلك الصفة من التقلل ، ويمكن الجواب عن الاستبعادين . انتهى . والله أعلم .

وأقول : أما الجواب عن استبعاد الخطيب الأول بأن أبا طلحة زيد بن سهل مشهور لا يحسن أن يقال فيه ، فقام رجل يقال له أبو طلحة ، فبأن يقال قوله : فقام رجل يقال له أبو طلحة ، يعنى أنه مشهور بهذا الاسم كما فى قوله : فقام رجل يقال له ذو اليدين سواء بسواء . وأما استبعاده كون سياق القصة يشعر بأنه لم يكن عند المضيف ما يتعشى به هو وأولاده حتى احتاج إلى إطفاء المصباح . وأبو طلحة زيد بن سهل كان أكثر أنصارى بالمدينة مالا ، فيبعد أن يكون بتلك الصفة من التقلل ، فجوابه بأنه مع كونه — يعنى أبا طلحة — أكثر أنصارى بالمدينة مالا ، لا مانع بأن يكون لكثرة ما ينفقه فى وجوه الخير ، صادف فى وقت ضيافته للرجل المذكور تلك الليلة بتلك الحالة من التقلل ، أو أن غناه بالمال كان متأخراً عن ذلك . وهذا ظاهر لمن تأمل بإنصاف وتبرأ عن اللدد والاعتساف ، والله أعلم (فانطلق به إلى امرأته فقال) لها (أكرمى ضيف رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فقالت) له (ماعندنا إلا قوت صبيانى) وفى مسلم : فقام رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة ، وعلى هذا فالمرأة أم سليم والأولاد أنس وإخوته (فقال) لها (هيئى طعامك وأطفئى سراجك ونومى صبيانك إذا أرادوا عشاء) وفى رواية لمسلم : عليهم بشىء . قال فى المصابيح : ففيه نفوذ فعل الأب على الابن وإن كان منطوياً على ضرر إذا كان ذلك من طريق النظر ، وأن القول فيه قول الأب والفعل

فعله ، لأنهم نوموا الصبيان جياعاً إيثاراً لقضاء حق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى إجابة دعوته والقيام بحق ضيفه . قال فى الفتح : وهو محمول على ما إذا عرف بالعادة من الصغير الصبر على مثل ذلك، والعلم عند الله (فهيأت) زوجة الأنصارى (طعامها وأصبحت) أى أوقدت (سراجها ونومت صبيانها) بغير عشـــاء (ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته ، فجعلا) الأنصارى وزوجته (يريانه) بضم أوله (أنهما) أى كأنهما (يأكلان ، فباتا طاويين) أى بغير عشاء وأكل الضيف (فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) أى أقبل عليه (فقال) له صلى الله عليه وآله وسلم (ضحك الله الليلة أو) قال (عجب من فعالكما) الحسنة ، أى رضى بصنيعكما (فأنزل الله) عز وجل (« ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة») قال فى النهاية : الخصاصة : الجوع والضعف ، وأصلها الفقر والحاجة إلى الشيء (« ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ») قال فى الفتح : وهذا هو الأصح فى سبب نزول هذه الآية . انتهى . وهذا الحديث أخرجه البخارى أيضاً ، والترمذى والنسائى فى التفسير ، ومسلم فى الأطعمة .

الحديث الخامس والأربعون

عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ : مَرَّ أَبُو بَكْرٍ وَالْعَبَّاسُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُما بِمَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْأَنْصارِ وَهُمْ يَبْكُونَ ، فَقَالَ : ما يُبْكِيكُمْ ؟ قالُوا : ذَكَرْنَا مَجْلِسَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِنَّا ، فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرَهُ بِذلِكَ ، قالَ : فَخَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَقَدْ عَصَبَ عَلَى رَأْسِه حَاشِيَةَ بُرْدٍ ، قالَ : فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ ، وَلَمْ يَصْعَدْهُ بَعْدَ ذلِكَ الْيَوْمِ ، فَحَمِدَ ٱللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قالَ : أُوصِيكُمْ بِالْأَنْصارِ فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي وَقَدْ قَضَوُا الَّذِى عَلَيْهِمْ وَبَقِيَ الَّذِى لَهُمْ ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ ، وَتَجَاوَزُا عَنْ مُسِيئِهِمْ .

(عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : مر أبو بكر والعباس رضى الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار) والنبي صلى الله عليه وآله وسلم فى مرض موته (وهم يبكون ، فقال) العباس أو الصديق لهم (ما يبكيكم ؟ قالوا : ذكرنا مجلس النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم منا) أى الذى كنا نجلسه معه ، ونخاف أن يموت ونفقد مجلسه ، فبكينا لذلك (فدخل) العباس أو أبو بكر (على النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم فأخبره بذلك) الذى وقع من الأنصار (قال) أنس (فخرج النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم) والحال أنه (قد عصب على رأسه حاشية برد) بضم أوله : نوع من الثياب معروف (قال : فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أُوصيكم بالأنصار فإنهم كرشي) بفتح الكاف وكسر الراء (وعيبتي) بفتح العين وسكون التحتية . قال القزاز : ضرب المثل بالكرش لأنه مستقر غذاء الحيوان الذى يكون فيه نماؤه ، والعيبة : ما يحرز فيها الرجل نفيس ما عنده ، يعنى أنهم موضع سرى وأمانتى . وفى الفتح : أى بطانتى وخاصتى . قال ابن دريد : هذا من كلامه صلى الله عليه وآله وسلم الموجز الذى لم يسبق إليه . وقال غيره : الكرش بمنزلة المعدة للإنسان . والعيبة : مستودع الثياب . والأول أمر باطن ، والثانى أمر ظاهر ، فكأنه ضرب المثل بهما فى إرادة

اختصاصهم بأموره الباطنة والظاهرة ، والأول أولى ، وكل من الأمرين مستودع كما لا يخفى . واستنبط منه بعض الأئمة أن الخلافة لا تكون فى الأنصار ، لأن من فيهم الخلافة يوصون ولا يوصى بهم . قال فى الفتح : ولا دلالة فيه ، إذ لا مانع من ذلك . انتهى . (وقد قضوا الذى عليهم) من الإيواء والنصرة له صلى الله عليه وآله وسلم ، كما بايعوه ليلة العقبة على أن لهم الجنة ، فوفوا بذلك (وبقى الذى لهم) وهو دخول الجنـة كما وعدهم به صلى الله عليه وآله وسلم إن آووه ونصروه (فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم) فى غير الحدود . وهذا الحديث أخرجه النسائى أيضاً .

الحديث السادس والأربعون

عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قالَ : خَرَجَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلَّمَ وَعَلَيْهِ مِلْحَفَةٌ مُنْعَطِفًا بِهَا عَلَى مَنْكِبَيْهِ وَعَلَيْهِ عِصَابَةٌ دَسْمَاءُ حَتَّى جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَحَمِدَ ٱللهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قالَ : أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّ النَّاسَ يَكْثُرُونَ وَتَقِلُّ الْأَنْصَارُ ، حَتَّى يَكُونُوا كالْمِلْحِ فى الطَّعَامِ ، فَمَنْ وَلِىَ مِنْكُمْ أَمْراً يَضُرُّ فِيهِ أَحَداً أَوْ يَنْفَعُهُ ، فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ ، وَيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ .

(عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : خرج رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم وعليه ملحفة) بكسر الميم (منعطفاً) أى مرتدياً متوشحاً . والمعطاف : الرداء ، سمى بذلك لوضعه على العطفين ، وهما ناحيتا العنق ، ويطلق على الأردية المعاطف . كذا فى الفتح (بها على منكبيه وعليه عصابة) قد عصب بها رأسه من وجعها ، وهى ما يشد به الرأس . وقيل فى الرأس بالتاء ، وفى غير الرأس يقال عصاب . وهذا يرده قوله فى الحديث الذى أخرجه مسلم : عصب بطنه بعصابة (دسماء) أى سوداء : صفة لعصابة ، أى لونها كلون الدسم وهو الدهن . قال فى الفتح : قيل : المراد أنها سوداء لكن ليست خالصة السواد . قال : ويحتمل أن تكون اسودت من العرق أو من الطيب كالغالية ، وقد تبين من حديث أنس أنها كانت حاشية البرد ، والحاشية غالباً تكون من لون غير لون الأصل . وقيل : المراد بالعصابة : العمامة . ومنه حديث : مسح على العصاب (حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس فإن الناس يكثرون) وفيه إشارة إلى دخول قبائل العرب والعجم فى الإسلام ، وهم أضعاف أضعاف قبيلا الأنصار ، فمهما فرض فى الأنصار من الكثرة كالتناسل فرض فى كل طائفة من أولئك ، فهم أبداً بالنسبة إلى غيرهم قليل ، ويحتمل أن يكون صلى الله عليه وآله وسلم اطلع على أنهم يقلون مطلقاً فأخبر بذلك كما قال (وتقل الأنصار) فكان كما أخبر ، لأن الموجودين الآن من ذرية علىّ بن أبى طالب ممن يتحقق

نسبه إليه أضعاف من يوجد من قبيلتى الأوس والخزرج ممن يتحقق نسبه ، وقس على ذلك ، ولا التفات إلى كثرة من يدعى أنه منهم بغير برهان . قال التوربشتى : يريد أن أهل الإسلام يكثرون وتقل الأنصار ، لأن الأنصار هم الذين آووه صلى الله عليه وآله وسلم ونصروه ، وهذا أمر قد انقضى زمانه ، لايلحقهم اللاحق ولا يدرك شأوهم السابق ، وكلما مضى منهم واحد مضى من غير بدل ، فيكثر غيرهم ويقلون (حتى يكونوا كالملح) بكسر الميم (فى الطعام) من القلة ، ووجه التشبيه أن الملح بالنسبة إلى جملة الطعام جزء يسير منه بالنسبة للمهاجرين وأولادهم الذين انتشروا فى البلاد وملكوا الأقاليم (فمن ولى منكم) أيها المهاجرون (أمراً يضر فيه) أى فى ذلك الأمر (أحداً أو ينفعه فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم) مخصوص بغير الحدود وحقوق الناس كما سبق . قيل : فيه إشارة إلى أن الخلافة لا تكون فى الأنصار . قال فى الفتح : قلت : وليس صريحاً فى ذلك ، إذ لا يمتنع التوصية على تقدير أن يقع الجور ولا التوصية للمتبوع ، سواء كان منهم أم من غيرهم .

الحديث السابع والأربعون

عَنْ جابِرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : ٱهْتَزَّ الْعَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعاذٍ .

(عن جابر رضى الله عنه قال : سمعت النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم يقول : اهتز العرش لموت سعد بن معاذ) أى تحرك حقيقة فرحاً بقدوم روحه ، وخلق الله تعالى فيه تمييزاً ، إذ لا مانع من ذلك ، أو المراد اهتزاز أهل العرش وهم حملته ، فحذف المضاف . ويؤيده حديث الحاكم إن جبريل عليه السلام قال : من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء واستبشرت به أهلها ، أو المراد باهتزازه ارتياحه لروحه واستبشاره بصعودها لكرامته . ومنه قولهم : فلان يهتز للمكارم ، ليس مرادهم اضطراب جسمه وحركته ، وإنما يريدون ارتياحه إليها وإقباله عليها . وقيل : جعل الله تعالى اهتزاز العرش علامة للملائكة على موته ، أو المراد الكناية عن تعظيم شأن وفاته ، والعرب تنسب الشىء العظيم إلى أعظم الأشياء ، فتقول : أظلمت الأرض لموت فلان ، وقامت له القيامة ، والأول أولى . وهذا الحديث أخرجه مسلم فى المناقب أيضاً ، وابن ماجه فى السنة . وفى حديث جابر أيضاً عند البخارى : سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : اهتز عرش الرحمن لموت سعد . فالتصريح بعرش الرحمن يرد ما تأوله البراء وغيره من اهتزاز السرير الذى حمل عليه ، وإنما قال جابر ذلك إظهاراً للحق واعترافاً بالفضل لأهله . وقد أنكر ابن عمر ما أنكره البراء ، ثم رجع عن ذلك وجزم باهتزاز عرش الرحمن . وعند الترمذى وصححه من حديث أنس قال : لما حملت جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون : ما أخف جنازته ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : إن الملائكة كانت تحمله . وفى هذا منقبة عظيمة لسعد . قال فى الفتح : وقد جاء حديث اهتزاز العرش لسعد بن معاذ عن عشرة من الصحابة أو أكثر . وثبت فى الصحيحين فلامعنى لإنكاره . انتهى . قلت : وهو ابن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن عبد الأشهل ، وهو كبير الأوس ، كما أن سعد بن عبادة كبير الخزرج ، وإياهما أراد الشاعر بقوله :

فإن يسلم السعدان يصبح محمد بمكة لا يخشى خلاف المخالف

وفى حديث البراء عند البخارى يرفعه : لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة خير منها ، أى من الحلة أو ألين . ورواه مسلم أيضاً فى الفضائل . وعن أبى سعيد الخدرى . أن أناساً نزلوا على حكم سعد بن معاذ ، فأرسل إليه ، فجاء على حمار ، فلما بلغ قريباً من المسجد قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : قوموا إلى خيركم أو سيدكم .... الحديث . وفيه : حكمت فيهم بحكم الله . رواه البخارى .

الحديث الثامن والأربعون

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ : قالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لِأُبَيٍّ : إِنَّ ٱللَّهَ أَمَرَنِى أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ : « لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا » . قالَ : وَسَمَّانى ؟ قالَ : نَعَمْ ، فَبَكَى .

(عن أنس رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم لأبى) بن كعب بن قيس بن عبيد الأنصارى الخزرجى النجارى ، شهد العقبة وبدراً ، كان عمر يقول : أُبيّ سيد المسلمين ، وتوفى سنة ثلاثين ، رضى الله عنه ، وهو من الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم : خذوا القرآن من أربعة كما تقدم . وفى الترمذى مرفوعاً : وأقرأهم أُبيّ بن كعب . وعن الواقدى : أول من كتب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقدمه المدينة أُبيّ بن كعب ، وهو أول من كتب فى آخر الكتاب : وكتبه فلان ابن فلان (إن الله أمرنى أن أقرأ عليك) سورة (لم يكن الذين كفروا) قراءة إبلاغ وإنذار لا قراءة تعلم واستذكار (قال) أُبى (وسمانى) الله لك يارسول الله (قال) صلى الله عليه وآله وسلم (نعم) سماك لى . وعند الطبرانى من وجه آخر عن أبى قال : نعم باسمك ونسبك فى الملإ الأعلى (قال) أنس رضى الله عنه (فبكى) أُبى فرحاً وسروراً أو خوفاً أن لا يقوم بشكر تلك النعمة . قال القرطبى : خص هذه السورة بالذكر لما احتوت عليه من التوحيد والرسالة والإخلاص والصحف والكتب المنزلة على الأنبياء ، وذكر الصلاة والزكاة والمعاد وبيان أهل الجنة والنار مع وجازتها . قال فى الفتح : ويؤخذ من هذا الحديث مشروعية التواضع فى أخذ الإنسان العلم من أهله . انتهى . وفيه نظر لا يخفى . قال أبو عبيد : المراد بالعرض على أبى ليتعلم أبى منه القراءة ويستثبت فيها ، ليكون عرض القرآن سنة ، وللتنبيه على فضل أُبى وتقدمه فى حفظ القرآن . وهذا الحديث ذكره البخارى فى الفضائل والتفسير ، والترمذى والنسائى فى المناقب .

الحديث التاسع والأربعون

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ : أُبَيٌّ ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَأَبُو زَيْدٍ ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، فَقِيلَ لِأَنَسٍ : مَنْ أَبُو زَيْدٍ ؟ قالَ : أَحَدُ عُمُومَتِي .

(عن أنس رضى الله عنه قال : جمع القرآن) الكريم (على عهد النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم أربعة) أى استظهره حفظاً (كلهم من الأنصار : أُبى ، ومعاذ بن جبل) الخزرجى (وأبو زيد) أوس ، أو ثابت بن زيد ، أو سعد بن عبيد بن النعمان (وزيد بن ثابت ، فقيل) القائل قتادة (لأنس : من أبو زيد ؟) المذكور (قال) هو (أحد عمومتى) واسمه أوس . قاله علىّ ابن المدينى . أو ثابت بن زيد . قاله ابن معين. أو هو سعد بن عبيد . جزم به الدارقطنى . أو قيس بن السكن بن قيس بن زعور بن حرام الأنصارى النجارى . قاله الواقدى . ويرجحه قول أنس : أحد عمومتى ، فإنه من قبيلة بنى حرام ، وليس فى هذا ما يعارض حديث عبد الله بن عمرو : واستقرأُوا القرآن من أربعة ، فذكر اثنين من الأربعة ولم يذكر اثنين . قال الحافظ : لأنه إما أن يقال : لا يلزم من الأمر بأخذ القراءة عنهم أن يكونوا كلهم استظهروه جميعه ، وإما أن لا يؤخذ بمفهوم حديث أنس ، لأنه لا يؤخذ من قوله « جمعه أربعة » أن لا يكون جمعه غيرهم ، فلعله أراد أنه لم يقع جمعه من قبيلة واحدة إلا لهذه القبيلة وهى الأنصار . انتهى . وهذ الحديث أخرجه مسلم فى الفضائل .

الحديث الخمسون

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : لَمَّا كانَ يَوْمَ أُحُدٍ ٱنْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مَجُوبٌ عَلَيْهِ بِحَجفَةٍ لَهُ ، وَكانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلاً رَامِياً شَدِيدَ الْقِدِّ يَكْسِرُ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً ، وَكانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ وَمَعَهُ الجَعْبَةُ مِنَ النَّبْلِ ، فَيَقُولُ : ٱنْثُرْهَا لِأَبِي طَلْحَةَ ، فَأَشْرَفَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ : يَانَبِيَّ ٱللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَا تُشْرِفْ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ عائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ ، أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا تَنْقُزَانِ الْقِرَبَ عَلَى مُتُونِهِمَا ، تُفْرِغانِهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلَآنِهَا ثُمَّ تَجِيئَانِ فَتُفْرِغانِهَا فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ ، وَلَقَدْ وَقَعَ السَّيْفُ مِنْ يَدَيْ أَبِي طَلْحَةَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً .

(عن أنس رضى الله عنه قال : لما كان يوم) وقعة (أُحد انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم وأبو طلحة بين يدى النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم مجوب) أى مترس (عليه) زاده الله شرفاً لديه (بحجفة) بترس (له) من جلد لا خشب فيه (وكان أبو طلحة رجلا رامياً) بالقوس (شديد القد) قال فى الفتح : كذا للأكثر بنصب شديد أو بعدها لقد بلام ثم قد ، ولبعضهم : شديد القد بسكون اللام وكسر القاف . والقد : سير من جلد مدبوغ ، يريد أنه شديد وتر القوس . وبهذا جزم الخطابى وتبعه ابن التين : وقد روى بالميم المفتوحة بدل القاف . انتهى . (يكسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً) من شدته . قال الكرمانى وتبعه البرماوى : وفى بعضها اليد بالياء بدل القاف (وكان الرجل يمر) بأبى طلحة (ومعه الجعبة) بفتح الجيم : الكنانة (من النبل) بفتح النون وسكون الباء : السهام (فيقول) النبى صلى الله عليه وآله وسلم (انثرها لأبى طلحة) يرمى بها (فأشرف النبى صلى الله عليه)

وآله (وسـلم) أى اطلع من فوق حال كونه (ينظر إلى القوم) وهم يرمون (فيقول) له (أبو طلحة : يا نبى الله) أفديك (بأبى أنت وأُمى لا تشرف) بالجزم على النهى ، أى لاتطلع (يصبك) بالجزم فى جواب الطلب على رأى الخليل وسيبويه والفارسى والسيرافى ، ومذهب الجمهور أنه مجزوم بشرط مقدر بعد الطلب مدلول عليه بذلك الطلب (سهم من سهام القوم) من الأعداء (نحرى دون نحرك) قال الكرمانى : النحر : الصدر ، أى صدرى عند صدرك ، أى أقف أنا بحيث يكون صدرى كالترس لصدرك . انتهى . قال أنس (ولقد رأيت عائشة بنت أبى بكر و) أُمى (أُم سليم) زوج أبى طلحة رضى الله عنهم (وإنهما لمشمرتان) أثوابهما (أرى) بفتح الهمزة أبصر (خدم سوقهما) بضم السين : جمع ساق ، وخدم : جمع الخدمة ، وهى الخلخال أو أصل الساق ، وكان قبل نزول الحجاب ، حال كونهما (تنقزان القرب) أى تثبان وتقفزان من سرعة السير . والكشميهنى : تنقلان باللام (على متونهما) ظهورهما (تفرغانه) بضم التاء ، أى الماء (فى أفواه القوم) من المسلمين (ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانها فى أفواه القوم ، ولقد وقع السيف من يدى أبى طلحة إما مرتين وإما ثلاثاً) زاد مسلم : من النعاس . وعند البخارى فى المغازى عن أبى طلحة أنه قال : كنت فيمن يغشاه النعاس يوم أُحد حتى سقط سيفى من يدى مراراً ، يسقط وآخذه ، ويسقط وآخذه . ورجال حديث الباب كلهم بصريون . أخرجه فى مناقب أبى طلحة ، وهو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام الأنصارى الخزرجى النجارى ، عقبى بدرى نقيب ، وأُمه عبادة بنت مالك بن عدى ، وهو مشهور بكنيته ، وكان زوج أُم سليم بنت ملحان أُم أنس بن مالك . وفى أُسد الغابة : لما خطب أُم سـليم قالت له : يا أبا طلحة ما مثلك يرد ، لكنك امرؤ كافر وأنا امرأة مسلمة ، ولا يحـل لى أن أتزوجك ، فإن تسلم فذلك مهرى لاأسألك غيره ، فأسلم ، فكان ذلك مهرها . قال ثابت : فما سمعت بامرأة كانت أكرم الناس مهراً من أُم سليم ، توفى سنة اثنتين وثلاثين أو أربع وثلاثين . وقال المدائنى : سنة إحدى وخمسين . وقيل : إنه كان لايكاد يصوم فى عهد النبى صـلى الله عليه وآله وسلم من أجل الغزو ، فلما توفى صلى الله عليه وآله وسلم صام أربعين سنة لم يفطر إلا أيام العيد وهو يؤيد قول من قال : إنه توفى سنة إحدى وخمسين رضى الله عنه .

الحديث الحادى والخمسون

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِى وَقَّاصٍ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ : ما سَمِعْتُ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ لِأَحَدٍ يَمْشِى عَلَى الْأَرْضِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ إِلاَّ لِعَبْدِ ٱللهِ بْنِ سَلَامٍ ، وَفِيهِ نَزَلَتْ : « وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ » الآيَةَ .

(عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : ما سمعت النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم يقول : لأحد يمشى على الأرض) الآن بعد موت العشرة المبشرة الذين منهم سعد بن أبى وقاص (إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام) بتخفيف اللام ابن الحارث الإسرائيلى من بنى قينقاع ، وهم من ذرية يوسف الصديق عليه السلام ثم الأنصارى ، كان حليفاً لهم ، وكان اسمه فى الجاهلية « الحصين » فسماه النبى صلى الله عليه وآله وسلم حين أسلم عبد الله . أخرجه ابن ماجه . وكان إسلامه لما قدم النبى صلى الله عليه وآله وسلم المدينة مهاجراً . وفى الترمذى : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : إنه عاشر عشرة فى الجنة ، وتوفى سنة ثلاث وأربعين . وقد استشكل بأنه صلى الله عليه وآله وسلم قد قال لجماعة : إنهم من أهل الجنة غير عبد الله بن سلام ، ويبعد أن لايطلع سعد على ذلك . قال الحافظ : وأجيب بأنه كره تزكية نفسه لأنه أحد العشرة المبشرة بذلك . وتعقب بأنه لا يستلزم ذلك أن ينفى سماعه مثل ذلك فى حق غيره ، ويظهر لى فى الجواب أنه قال ذلك بعد موت المبشرين لأن عبد الله بن سلام عاش بعدهم ولم يتأخر معه من العشرة غير سعد وسعيد ، ويؤخذ هذا من قوله « يمشى على الأرض » . ووقع فى رواية إسحاق بن الطباع عن مالك عند الدارقطنى : ما سمعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول لحىّ يمشى إنه من أهل الجنة ... الحديث . وفى رواية عاصم بن مهجع عن مالك عنه : يقول لرجل حىّ . وهو يؤيد ما قلته ، لكن وقع عند الدارقطنى من طريق سعيد بن داود عن مالك ما يعكر على هذا التأويل ، فإنه أورده بلفظ : سمعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول : لا أقول لأحد من الأحياء إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام . وبلغنى أنه قال : وسلمان الفارسى . لكن هذا السياق منكر ، فإن كان محفوظاً حمل على أنه صلى الله عليه وآله وسلم

قال ذلك قديماً قبل أن يبشر غيره بالجنة . وقد أخرج ابن حبان من طريق مصعب بن سعد عن أبيه سبب هذا الحديث بلفظ : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : يدخل عليكم رجل من أهل الجنة ، فدخل عبد الله بن سلام . وهذا يوضح رواية الجماعة ويضعف رواية سعيد بن داود . انتهى .
(قال) سعد (وفيه) أى فى عبد الله بن سلام (نزلت هذه الآية : « وشهد شاهد من بنى إسرائيل » ... الآية) كذا قال الجمهور : إن الشاهد هو عبد الله المذكور . وسورة الأحقاف وإن كانت مكية إلا أن هاتين الآيتين مدنيتان . وبهذا جزم أبو العباس فى مقامات التنزيل . قال فى الفتح : ولا مانع أن تكون جميعها مكية ، وتقع الإشارة إلى ما سيقع بعد الهجرة من شهادة ابن سلام . وحديث الباب أخرجه مسلم فى الفضائل .

الحديث الثانى والخمسون

عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : رَأَيْتُ رُؤْيَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ ، رَأَيْتُ كَأَنِّى فى رَوْضَةٍ – ذَكَرَ مِنْ سَعَتِهَا وَخُضْرَتِهَا – وَسْطَهَا عَمُودٌ مِنْ حَدِيدٍ أَسْفَلُهُ فى الْأَرْضِ وَأَعْلَاهُ فى السَّمَاءِ فى أَعْلَاهُ عُرْوَةٌ ، فَقِيلَ لَهُ : ارْقَهْ ، قُلْتُ : لَا أَسْتَطِيعُ ، فَأَتَانِى مِنْصَفٌ فَرَفَعَ ثِيَابِى مِنْ خَلْفِى ، فَرَقِيتُ حَتَّى كُنْتُ فى أَعْلَاهَا ، فَأَخَذْتُ بِالْعُرْوَةِ ، فَقِيلَ لِى : ٱسْتَمْسِكْ ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَإِنَّهَا لَفِى يَدِى ، فَقَصَصْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قالَ : تِلْكَ الرَّوْضَةُ ، رَوْضَةُ الْإِسْلَامِ ، وَذٰلِكَ الْعَمُودُ عَمُودُ الْإِسْلَامِ وَتِلْكَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى ، فَأَنْتَ عَلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى تَمُوتَ .

(عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال : رأيت رؤيا على عهد النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم فقصصتها عليه) وهى أنى (رأيت كأنى فى روضة ، ذكر) ابن سلام الرائى (من سعتها) بفتح السين (وخضرتها ،وسطها) بسكون السين (عمود من حديد أسفله فى الأرض وأعلاه فى السماء ، فى أعلاه عروة) بضم العين وسكون الراء المهملتين (فقيل له : ارقه) بهاء السكت (قلت : لا أستطيع) أن أرقاه (فأتانى منصف) أى خادم (فرفع ثيابى من خلفى ، فرقيت) بكسر القاف (حتى كنت فى أعلاها فأخذت بالعروة ، فقيل لى استمسك) بها (فاستيقظت) من منامى (و) الحال (إنها) أى العروة (لفى يدى) قبل أن أتركها ،وليس المراد أنه استيقظ وهى فى يده وإن كانت القدرة صالحة لذلك (فقصصتها على النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم ، قال : تلك الروضة روضة الإسلام) أى جميع ما يتعلق بالدين (وذلك العمود عمود الإسلام) أى أركانه الخمسة أو كلمة الشهادة وحدها (وتلك العروة الوثقى) أى الإيمان ، قال تعالى : « فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى » (فأنت على الإسلام حتى تموت) وذاك الرجل عبد الله بن

سلام ، وليس فى هذا نص بقطع النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه من أهل الجنة كما نص على غيره ، فلذا أنكر عليهم فى أول هذا الحديث وهو قوله عن قيس بن عباد قال : كنت جالساً فى مسجد المدينة فدخل رجل على وجهه أثر الخشوع ، فقالوا : هذا رجل من أهل الجنة ، فصلى ركعتين تجوّز فيهما ، ثم خرج ، وتبعته فقلت : إنك حين دخلت المسجد قالوا : هـذا رجل من أهل الجنة ، قال : والله ما ينبغى لأحد أن يقول ما لا يعلم وسأحدثك لم ذلك ، وذكر الحديث ، ويحتمل أن يكون قوله « ما ينبغى » إنكاراً منـه على من سأله عن ذلك لكونه فهم منه التعجب من خبرهم بأن ذلك لا عجب فيه لما ذكره من قصة المنام ، وأشار بذلك القول إلى أنه لا ينبغى لأحد إنكار ما لا علم له به إذا كان الذى أخبره به من أهل الصدق ، ويحقق هذا قوله « فاستيقظت وإنها لفى يدى » أى حقيقة من غير تأويل كما هو ظاهر اللفظ ، وتكون رؤياه هذه كشفاً كشفه الله تعالى له كرامة . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى التعبير ، ومسلم فى الفضائل .

الحديث الثالث والخمسون

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالَتْ : ماغِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ وَمارَأَيْتُهَا وَلكِنْ كانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُكْثِرُ ذِكْرَهَا ، وَرُبَّمَا ذَبحَ الشَّاةَ ، ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ثُمَّ يَبْعَثُهَا فى صَدَائِقِ خَدِيجَةَ ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فى ٱلدُّنْيَا ٱمْرَأَةٌ إلاَّ خَدِيجَةَ، فَيَقُولُ : إِنَّهَا كانَتْ وَكانَتْ وَكانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ .

(عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما غرت على أحد من نساء النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم ، ما غرت) من الغيرة وهى الحمية والأنفة ، والمعنى : مثل غيرتى أو مثل التى غرتها (على خديجة) فيه ثبوت الغيرة ، وأنها غير مستنكر وقوعها من فاضلات النساء فضلا عمن دونهن ، وأن عائشة كانت تغار من نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لكن من خديجة أكثر . وقد بينت سبب ذلك وأنه لكثرة ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إياها . قال القرطبي : مرادها بالذكر لها مدحها والثناء عليها . ووقع عند النسائى من رواية النضر بن شميل عن هشام : من كثرة ذكره إياها وثنائه عليها ، فعطف الثناء على الذكر من عطف الخاص على العام ، وهو يقتضى حمل الحديث على أعم مما قاله القرطبي (وما رأيتها) وقد كانت رؤيتها لها ممكنة ، لأنه كان لها عند موتها ست سنين ، فيحتمل النفى بقيد اجتماعهما عنده صلى الله عليه وآله وسلم ، أى لم أرها وأنا عنده . وزاد مسلم : ولم أُدركها . وعند أبي عوانة : ولقد هلكت قبل أن يتزوجنى (ولكن) سبب الغيرة (كان النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم يكثر ذكرها) ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره (وربما ذبح) صلى الله عليه وآله وسلم (الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها فى صدائق خديجة ، فربما قلت له : كأنه لم يكن فى الدنيا) أى (امرأة إلا خديجة ، فيقول : إنها كانت وكانت) كرر مرتين ولم يرد به التثنية ، ولكن يتعلق بالتكرير كل مرة من خصائلها ما يدل على فضلها وتقديره : كانت فاضلة وكانت عاقلة ، ونحو ذلك (وكان لى منها ولد) وعند أحمد عن

عائشة : آمنت بى إذا كفر بى الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس ، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى الله ولدها إذ حرمنى أولاد النساء ... الحديث. وقد كان جميع أولاده صلى الله عليه وآله وسلم منها إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية . وهذا الحديث أخرجه مسلم فى الفضائل ، والترمذى فى البر . قال فى الفتح : والمتفق على أولاده صلى الله عليه وآله وسلم منها القاسم، وبه كان يكنى ، ومات صغيراً قبل البعث أو بعده ، وبناته الأربع : زينب ثم رقية ثم أم كلثوم ثم فاطمة ، وقيل : كانت أم كلثوم أصغر من فاطمة ، وعبدالله ولد بعد البعث ، فكان يقال له الطاهر والطيب ويقال : هما إخوان له ، ومات الذكور صغاراً باتفاق . قال القرطبى : كان حبه صلى الله عليه وآله وسلم لها لأسباب كثيرة ، كل منها كان فى إيجاد المحبة قوياً ، ومما كافأ النبى صلى الله عليه وآله وسلم به خديجة فى الدنيا أنه لم يتزوج عليها حتى ماتت ، وهذا مما لا اختلاف فيه بين أهل الأخبار ، وفيه دليل على عظم قدرها عنده وعلى مزيد فضلها، لأنها أغنته عن غيرها واختصت به بقدر ما اشترك فيه غيرها مرتين ، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم عاش بعد أن تزوجها ثمانية وثلاثين عاماً ،انفردت خديجة منها بخمسة وعشرين عاماً وهى نحو الثلثين من المجموع ، ومع طول المدة صان قلبها فيها من الغيرة ومن نكد الضرائر الذى ربما حصل له هو منه ما يشوش عليه بذلك ، وهى فضيلة لم يشاركها فيها غيرها ، ومما اختصت به سبقها نساء هذه الأمة إلى الإيمان ، فسنت ذلك لكل من آمن بعدها ، فيكون لها مثل أجرهن، لما ثبت أن من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ، وقد شاركها فى ذلك أبو بكر الصديق بالنسبة إلى الرجال ، وما يعرف قدر ما لكل منهما من الثواب بسبب ذلك إلا الله عز وجل . انتهى . وهى بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى القرشية ، تجتمع مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى قصى ، وهى من أقرب نسائه إليه فى النسب ، ولم يتزوج من ذرية قصى غيرها إلا أم حبيبة ، وتزوجها سنة خمس وعشرين من مولده فى قول الجمهور ، زوّجه إياها أبوها خويلد . ذكره البيهقى من حديث الزهرى بإسناده عن عمار بن ياسر ، وقيل : عمها عمرو بن أسد . ذكره ابن الكلبى ، وقيل أخوها عمرو بن خويلد . ذكره ابن إسحاق . وكانت قبله عند أبى هالة ابن النباش بن زرارة التيمى حليف بنى عبد الدار ، واختلف فى اسم أبى

هالة ، فقيل : مالك ، قاله الزبير ، وقيل : زرارة ، حكاه ابن منده ، وقيل : هند ، جزم به العسكرى ، وقيل : النباش ، وجزم به أبو عبيد وابنه هند . روى عنه الحسن بن علىّ فقال : حدثنى خالى ، لأنه أخو فاطمة لأمها ، ولهند هذا ولد اسمه هند . ذكره الدولابى وغيره . فعلى قول العسكرى فهو ممن اشترك مع أبيه وجده فى الاسم ، ومات أبوها فى الجـاهلية ، وكانت خديجة قبله عند عتيق بن عابد المخزومى ، وكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يتزوج خديجة قد سافر فى مالها مقارضاً إلى الشام ، فرأى منه ميسرة غلامها ما رغبها فى تزوّجه ، وكانت خديجة تدعى فى الجاهلية الطاهرة ، وماتت على الصحيح بعد النبوّة بعشر سنين فى شهر رمضان ، وقيل بثمان ، وقيل بسبع ، فأقامت معه صلى الله عليه وآله وسلم خمساً وعشرين سنة على الصحيح . وقال ابن عبد البر : أربعاً وعشرين سنة وأربعة أشهر . وفى حديث عائشة ما يؤيد الصحيح فى أن موتها قبل الهجرة بثلاث سنين ، وذلك بعد المبعث على الصواب بعشر سنين ، وصدقت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى أول وهلة ، فهى أول خلق الله إسلاماً اتفاقاً ، وكانت له صلى الله عليه وآله وسلم وزير صدق عندما بعث ، فكان لا يسمع من المشركين شيئاً يكرهه من رد عليه وتكذيب له إلا فرج الله بها عنه ، تثبته وتصدقه وتخفف عنه وتهون عليه ما يلقى من قومه . واختارها الله تعالى له صلى الله عليه وآله وسلم لما أراد به من كرامته ، وأمره الله أن يبشرها ببيت فى الجنة من قصب ، أى لؤلؤ مجوف كما هو عند البخارى من حديث عائشة ، ومن ثباتها فى الأمر ما يدل على قوة يقينها ووفور عقلها وصحة عزمها ، لا جرم كانت أفضل نسائه على الراجح .

الحديث الرابع والخمسون

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : يَارَسُولَ ٱللهِ هذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ ، فَإِذَا هِىَ أَتَتْكَ فَاقْرأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّى وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِى الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أتى جبريل) عليه السلام (النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم) وعند الطبرانى فى رواية سعيد بن كثير أن ذلك كان وهو بحراء (فقال : يارسول الله هذه خديجة قد أتت) أى إليك (معها إناء فيه إدام أو طعام) وفى رواية الطبرانى المذكورة أنه كان حيساً (أو) قال (شراب) والشك من الراوى (فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها) جل وعلا (ومنى) وزاد الطبرانى فى روايته المذكورة : فقالت هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام . زاد النسائى من حديث أنس : وعليك يا رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته . فجعلت مكان ردّ السلام على الله الثناء عليه تعالى ، ثم غايرت بين ما يليق بالله وما يليق بغيره . وهذا يدل على وفور عقلها كما لايخفى . قال القسطلانى : وهذا لعمر الله خاصة لم يكن لسواها . وفى الفتح : قال العلماء : فى هذه القصة دليل على وفور فقهها ، لأنها لم تقل : وعليه السلام ، وقالت : إن الله هو السلام ، فعرفت لصحة فهمها أن الله لا يرد عليه السلام كما يرد على المخلوقين ، لأن السلام اسم من أسماء الله ، وهو أيضاً دعاء للسلامة ، وكلاهما لا يصلح أن يردّ به على الله ، فجعلت مكان رد السلام عليه الثناء عليه ، ثم غايرت بين ما يليق بالله وما يليق بغيره ، فقالت : وعلى جبريل السلام . ويستفاد منه ردّ السلام على من أرسل السلام وعلى من بلغه . والذى يظهر أن جبريل عليه السلام كان حاضراً عند جوابها فردت عليه . قال السهيلى : استدل بهذه القصة أبو بكر بن داود على أن خديجة أفضل من عائشة ، لأن عائشة سلم عليها جبريل من قبل نفسه وخديجة أبلغها السلام من ربها . وزعم الغزالى أنه لا خلاف فى أن خديجة أفضل من عائشة ، ورد بأن الخلاف ثابت قديماً وإن كان الراجح أفضلية خديجة بهذا

وبما تقدم . قلت : ومن صريح ما جاء فى تفضيل خديجة ما أخرجه أبو داود والنسائى وصححه الحاكم من حديث ابن عباس رفعه : أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد . قال السبكى الكبير : لعائشة من الفضائل ما لا يحصى ، ولكن الذى نختاره وندين به أن فاطمة أفضل ثم خديجة ثم عائشة . واستدل لفضل فاطمة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : إنها سيدة نساء المؤمنين . وقال بعضهم : الذى يظهر أن الجمع بين الحديثين أولى وأن لا تفضل إحداهما على الأخرى . وسئل السبكى : هل قال أحد إن أحداً من نساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم غير خديجة وعائشة أفضل من فاطمة ؟ فقال : قال به من لا يعتد به ، وهو من فضل نساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم على جميع الصحابة لأنهن فى درجته فى الجنة ، قال : وهو قول ساقط مردود . انتهى . وقائله هو أبو محمد بن حزم وفساده ظاهر . قال السبكى : ونساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعد خديجة وعائشة متساويات فى الفضل ، وهنّ أفضل النساء لقول الله تعالى : « لستن كأحد من النساء ، إن اتقيتنّ » . ولا يستثنى من ذلك إلا من قيل إنها بنية كريم . ومما نبه عليه أنه وقع عند الطبرانى من رواية عائشة أنه وقع لها نظير ما وقع لخديجة من السلام والجواب ، وهى رواية شاذة ، والعلم عند الله تعالى (وبشرها ببيت فى الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب) وقد أبدى السهيلى لنفى هاتين الصفتين حكمة لطيفة فقال : لأنه صلى الله عليه وآله وسلم لما دعا إلى الإيمان أجابت خديجة رضى الله عنها طوعاً ، فلم تحوجه إلى رفع الصوت من غير منازعة ولا تعب ، بل أزالت عنه كل تعب ، وآنسته من كل وحشة ، وهوّنت عليه كل عسير ، فناسب أن يكون منزلها الذى بشرها به ربها بالصفة المقابلة لفعلها وصورة حالها . ومن خواصها أنها لم تسؤه قط ولم تغاضبه . انتهى . كذا فى الفتح والقسطلانى . قلت : وما أبرد هذه الحكمة ، فإن فى الجنة لكل مؤمنة ومؤمن بيتاً لا صخب فيه ولا نصب ، ولا يختص ذلك بها رضى الله عنها ، وإنما الحكمة فى نفيهما امتياز بيت الجنة من بيوت الدنيا الفانية الرديئة المشوشة ، فأين الآخرة وأمكنتها من الدنيا وربوعها . ولهذا قال أبو بكر بن الإسكاف فى فوائد الأخبار : المراد بيت زائد على ما أعد الله لها من ثواب عملها ، ولهذا قال : لا نصب فيه ، أى لم تتعب بسببه . ثم قال

السهيلى : لذكر البيت معنى لطيف ، لأنها كانت ربة بيت قبل البعث ، ثم صارت ربة بيت فى الإسلام منفردة به ، فلم يكن على وجه الأرض فى أول يوم بعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم بيت الإسلام إلا بيتها ، وهى فضيلة ما شاركها فيها أيضاً غيرها . قال : وجزاء الفعل يذكر غالباً بلفظه ، وإن كان أشرف منه ، فلهذا جاء فى الحديث بلفظ البيت دون لفظ القصر . انتهى . وهذه أبرد من الأولى . وقال الحافظ فى الفتح : وفى ذكر البيت معنى آخر لأن مرجع أهل البيت إليها لما ثبت فى تفسير قوله تعالى : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت » . قالت أم سلمة : لما نزلت دعا النبى صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة وعلياً والحسن والحسين فجللهم بكساء فقال : اللهم هؤلاء أهل بيتى ... الحديث أخرجه الترمذى وغيره . ومرجع أهل البيت هؤلاء إلى خديجة ، لأن الحسنين من فاطمة ، وفاطمة بنتها ، وعلىّ نشأ فى بيت خديجة وهو صغير ثم تزوّج بنتها بعدها فظهر رجوع أهل البيت النبوى إلى خديجة دون غيرها . انتهى . وهذه أشد برداً من الحكمتين الأولتين ، وفيها من التكلف البعيد ما لا يخفى . والصخب بفتحتين : الصياح والمنازعة برفع الصوت . والنصب : التعب . وأغرب الداودى فقال : الصخب : العيب ، والنصب : العوج . قال فى الفتح : وهو تفسير لا تساعد عليه اللغة . انتهى . وهذا الحديث من المراسيل ، لأن أبا هريرة لم يدرك خديجة وأيامها .

الحديث الخامس والخمسون

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا قالَتْ : اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَعَرَفَ ٱسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ ، فَارْتَاعَ لِذلِكَ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ هَالَةَ ، قالَتْ : فَغِرْتُ ، فَقُلْتُ : ما تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْش حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ هَلَكَتْ فى الدَّهْرِ ، قَدْ أَبْدَلَكَ ٱللهُ خَيْراً مِنْهَا .

(عن عائشة رضى الله عنها قالت : استأذنت هالة بنت خويلد) زوج الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس والد أبى العاص بن الربيع زوج زينب بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد ذكروها فى الصحابة ، وهو ظاهر هذا الحديث (أُخت خديجة) عليها السلام (على رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) فى الدخول عليه بالمدينة ، وكانت قد هاجرت إلى المدينة ، ويحتمل أن تكون دخلت عليه بمكة حيث كانت عائشة معه فى بعض سفراته (فعرف استئذان خديجة) أى صفة استئذان خديجة لشبه صوتها بصوت أُختها فتذكر خديجة بذلك (فارتاع لذلك) أى فزع ، والمراد لازمه ، أى تغير . قال فى الفتح : وفى بعض الروايات : فارتاح بالحاء المهملة ، أى اهتز لذلك سروراً(فقال: اللهم) اجعلها (هالة) وفى الحديث : إن من أحب شيئاً أحب محبوباته ومايشبهه وما يتعلق به (قالت : فغرت ، فقلت : ما) أى أى شىء (تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين) الشدق بكسر الشين : جانب الفم وصفتها بالدرد وهو سقوط الأسنان من الكبر فلم يبق بشدقيها بياض إلا حمرة اللثات . وبهذا جزم النووى وغيره . قال فى الفتح :وهو الذى يتبادر. قال القرطبي :معناه بيضاء الشدقين . والعرب تطلق الأحمر على الأبيض كراهة لاسم البياض لكونه يشبه البرص ، ولهذا كان صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعائشة : يا حميراء ، استبعد القرطبي هذا لكون عائشة أوردت هذه المقالة مورد التنقيص ، فلو كان الأمر كما قيل لنصت على البياض ، لأنه كان أبلغ فى مرادها . قال : والذى عندى أن المراد بذلك نسبتها إلى كبر السن ،

لأن من دخل فى سن الشيخوخة مع قوة فى بدنه يغلب على لونه غالباً الحمرة المائلة إلى السمرة . كذا قال ، والأول أولى (هلكت فى الدهر قد أبدلك الله خيراً منها) وفى حديث عائشة من طريق أبى نجيح عند أحمد والطبرانى بلفظ : قد أبدلك الله بكبيرة السن حديثة السن ، فغضب حتى قلت : والذى بعثك بالحق لا أذكرها بعد هذا إلا بخير . وهذا يرد ما قال ابن التين : سكوته صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك دليل على فضل عائشة على خديجة ، إلا أن يكون المراد بالخيرية هنا حسن الصورة وصغر السن . انتهى . قال فى الفتح : ولا يلزم من كونه لم ينقل فى هذه الطريق أنه صلى الله عليه وآله وسلم رد عليها عدم ذلك ، بل الواقع أنه صدر منه رد لهذه المقالة . وذكر حديث أحمد المذكور ، ثم قال : وهذا يؤيد ما تأوله ابن التين فى الخيرية المذكورة . والحديث يفسر بعضه بعضاً . قال الطبرى وغيره من العلماء : الغيرة يسامح للنساء ما يقع فيها ولا عقوبة عليهن فى تلك الحالة لما جبلن عليه منها ، ولهذا لم يزجر النبى صلى الله عليه وآله وسلم عائشة عن ذلك . وتعقبه عياض بأن ذلك جرى من عائشة لصغر سنها وأول شبيبتها ، فلعلها لم تكن بلغت حينئذ . قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : قلت : قلت : هو محتمل مع ما فيه من نظر . قال القرطبى : لاتدل قصة عائشة هذه على أن الغيرى لاتؤاخذ بما يصدر منها ، لأن الغيرة هنا جزء سبب ، وذلك أن عائشة اجتمع فيها حينئذ الغيرة وصغر السن والإدلال . قال : فإحالة الصفح عنها على الغيرة وحدها تحكم ، نعم الحامل لها على ما قالت الغيرة ، لأنها هى التى نصت عليها بقولها « فغرت » وأما الصفح فيحتمل أن يكون لأجل الغيرة وحدها ، ويحتمل أن يكون لها ولغيرها من الشباب والإدلال . قال الحافظ ابن حجر : قلت : الغيرة محققة بتنصيصها عليها ، والشباب محتاج إلى دليل ، فإنه صلى الله عليه وآله وسلم دخل عليها وهى بنت تسع ، وذلك فى أول زمن البلوغ ، فمن أين لك أن ذلك القول وقع فى أوائل دخوله عليها ، وأما إدلال المحبة فليس موجباً للصفح عن حق الغير ، بخلاف الغيرة فإنها يقع الصفح بها ، لأن من يحصل لها الغيرة لا تكون فى كمال من عقلها ، فلهذا تصدر منها أمور لا تصدر منها فى حال عدم الغيرة ، والله أعلم . انتهى . وهذا الحديث أخرجه مسلم فى الفضائل .

الحديث السادس والخمسون

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا قالَتْ : جاءَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ فَقالَتْ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ما كَانَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنْ أَهْلِ خِبَاءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ يَذِلُّوا مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ ، ثُمَّ ما أَصْبَحَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنْ أَهْلِ خِبَاءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ يَعِزُّوا مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ، وقالَ أَيْضاً: وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ... وَبَاقِى الحَدِيثِ قَدْ تَقَدَّمَ .

(عن عائشة رضى الله عنها قالت : جاءت هند بنت عتبة) بن ربيعة بن عبد شمس القرشية الهاشمية ، والدة معاوية بن أبى سفيان ، أسلمت فى الفتح بعد إسلام زوجها أبى سفيان ، وأقرّها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على نكاحها ، وكانت امرأة ذات أنفة ورأى وعقل ، وشهدت أُحداً كافرة ، فلما قتل حمزة مثلت به وشقت كبده فلاكتها ، فلم تطق لكونه قتل عمها شيبة وشرك فى قتل أبيها عتبة ، فقتله وحشى بن حرب ، وكانت قبل أبى سفيان عند الفاكه بن مغيرة المخزومى ، ثم طلقها فى قصة جرت ، فتزوجها أبو سفيان ، فأقامت عنده ، وتوفيت فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى اليوم الذى مات فيــه أبو قحافة والد أبى بكر الصديق ، وهى القائلة للنبى صلى الله عليه وآله وسلم لما شرط على النساء فى المبايعة ولا يسرقن ولا يزنين : وهل تزنى الحرة (فقالت : يارسول الله ما كان على ظهر الأرض من أهل خباء أحب إلىّ أن يذلوا من أهل خبائك) خيمة من وبر أو صوف ، ثم أطلقت على البيت كيف كان (ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلىّ أن يعزوا من أهل خبائك ، قالت) أى هند: قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم (وأيضاً والذى نفسى بيده . وباقى الحديث قد تقدم) وهو أن أبا سفيان رجل مسيك ، فهل علىّ من حرج أن أطعم من الذى له عيالنا ؟ قال : لا أراه إلا بالمعروف . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى النفقات والأيمان والنذور . قال فى الفتح : وفى الحديث دلالة على وفور عقل هند وحسن تأنيها فى المخاطبة ، ويؤخذ منه أن صاحب الحاجة يستحب له أن يقدم بين يدى

نجواه اعتذاراً إذا كان فى نفس الذى يخاطبه عليه موجدة ، وأن المعتذر يستحب له أن يقدم مايتأكد به صدقه عند من يعتذر إليه ، لأن هند قدمت الاعتراف بذكر ما كانت عليه من البغض ليعلم صدقها فيما ادعته من الحب ، وقد كانت هند فى منزلة أُمهات نساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم لأن أُم حبيبة إحدى زوجاته صلى الله عليه وآله وسلم بنت زوجها أبى سفيان والد معاوية ، رضى الله عنهم أجمعين .

الحديث السابع والخمسون

عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لَقِيَ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ بِأَسْفَلِ بَلْدَحٍ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الْوَحْيُ ، فَقُدِّمَتْ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم سُفْرَةٌ ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا ، ثُمَّ قالَ زَيْدٌ : إِنِّي لَسْتُ آكُلُ مِمَّا تَذْبَحُونَ عَلَى أَنْصَابِكُمْ ، وَلَا آكُلُ إِلَّا ما ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللهِ عَلَيْهِ ، وَأَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو كانَ يَعِيبُ عَلَى قُرَيْشٍ ذَبَائِحَهُمْ ، وَيَقُولُ : الشَّاةُ خَلَقَهَا ٱللهُ ، وَأَنْزَلَ لَهَا مِنَ السَّمَاءِ الْمَاءَ ، وَأَنْبَتَ لَهَا مِنَ الْأَرْضِ ثُمَّ تَذْبَحُونَهَا عَلَى غَيْرِ ٱسْمِ ٱللهِ إِنْكاراً لِذلِكَ وإِعْظَاماً لَهُ .

(عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم لقى زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح) بفتح الباء وسكون اللام وفتح الدال : واد قبل مكة من جهة الغرب ، وفيه الصرف وعدمه . قال القسطلانى . وقال فى الفتح : هو مكان فى طريق التنعيم ، ويقال : هو واد . انتهى . وفى القاموس : واد قبل مكة أو جبل بطريق جدة (قبل أن ينزل على النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم الوحى ، فقدمت) بضم القاف (إلى النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم سفرة) بضم السين ، قال ابن الأثير : السفرة طعام يتخذه المسافر ، وأكثر ما يحمل فى جلد مستدير ، فنقل اسم الطعام إلى الجلد ، وسمى به كما سميت المزادة رواية ، وغير ذلك من الأسماء المنقولة . قال ابن بطال : وكانت هذه السفرة لقريش ، قدموها للنبى صلى الله عليه وآله وسلم (فأبى) زيد بن عمرو (أن يأكل منها ، ثم قال زيد) مخاطباً للذين قدموا السفرة (إنى لست آكل مما تذبحون على أنصابكم) جمع نصب بضمتين ، وهى أحجار كانت حول الكعبة يذبحون عليها للأصنام (ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه) واستشكل بأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان أولى بذلك . وأُجيب بأنه ليس فى الحديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم أكل منها ، وعلى تقدير كونه صلى الله عليه وآله وسلم أكل منها فزيد إنما فعل ذلك برأى رآه لا بشرع

بلغه ، وإنما كان عند أهل الجاهلية بقايا من دين إبراهيم ، وكان فى شرع إبراهيم تحريم الميتة لا تحريم مالم يذكر اسم الله عليه ، وتحريم مالم يذكر اسم الله عليه إنما نزل فى الإسلام ، والأصح أن الأشياء قبل الشرع لا توصف بحل ولا حرمة . قاله السهيلى . قال الحافظ : مع أن الذبائح لها أصل فى تحليل الشرع ، واستمر ذلك إلى نزول القرآن ، ولم ينقل أن أحداً بعد البعث كف عن الذبائح حتى نزلت الآية . وقوله : إن زيداً فعل ذلك برأيه ، أولى من قول الداودى : إنه تلقاه عن أهل الكتاب ، فإن حديث الباب بين فيما قال السهيلى ، فإن ذلك قاله زيد باجتهاده لا بنقل عن غيره ، ولا سيما وزيد يصرح عن نفسه بأنه لم يتبع أحداً من أهل الكتابين . وقد قال القاضى عياض فى المسألة المشهورة فى عصمة الأنبياء قبل النبوّة : إنها كالممتنع ، لأن النواهى إنما تكون بعد تقرير الشرع ، والنبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن متعبداً قبل أن يوحى إليه بشرع من قبله على الصحيح ، فعلى هذا فالنواهى إذا لم تكن موجودة فهى معتبرة فى حقه ، والله أعلم . وقول ابن بطال : كانت السفرة لقريش ، قدموها للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فأبى النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يأكل منها وقدمها لزيد ابن عمرو ، فأبى أن يأكل منها ، تعقبه فى الفتح فقال : هو محتمل ، لكن لا أدرى من أين له هذا الجزم بذلك ، فإنى لم أقف عليه فى رواية أحد . وقد تبعه على ذلك ابن المنير ، وفيه ما فيه . وقال الخطابى : كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم لا يأكل مما يذبحون للأصنام ويأكل ما عدا ذلك وإن كانوا لا يذكرون اسم الله عليه ، لأن الشرع لم يكن نزل بمنع أكل ما لم يذكر اسم الله عليه إلا بعد البعث بمدة . قال الحافظ : وهذا الجواب أولى مما ارتكبه ابن بطال . وعلى تقدير أن يكون زيد بن حارثة ذبح على الحجر فإنما يحمل على أنه ذبح لغير الأصنام . وأما قوله تعالى : « وما ذبح على النصب » فالمراد به ماذبح عليها للأصنام ، ثم قال الخطابى : وقيل : لم ينزل على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى تحريم ذلك شىء . قلت : وفيه نظر لأنه كان قبل البعث ، فهو من تحصيل الحاصل . وقد وقع فى حديث سعيد بن زيد الذى قدمته وهو عند أحمد : وكان زيد بن عمرو يقول : عذت بما عاذ به إبراهيم ، ثم يخر ساجداً للكعبة ، قال : فمر بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وزيد بن حارثة وهما يأكلان من سفرة لهما ، فدعياه ، فقال : يا ابن أخى لا آكل مما ذبح على

النصب ، فقال : فما رؤى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يأكل مما ذبح على النصب من يومه ذلك ، وفى حديث زيد بن حارثة عند أبى يعلى والبزار وغيرهما قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يوماً من مكة وهو مردفى ، فذبحنا شاة على بعض الأنصاب فأنضجناها ، فلقينا زيد بن عمرو، فذكر الحديث مطولا وفيه : فقال زيد : إنى لا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه . قال الداودى : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل البعث يجانب المشركين فى عاداتهم ، لكن لم يكن يعلم ما يتعلق بأمر الذبح ، وكان زيد قد علم ذلك من أهل الكتاب الذين لقيهم . انتهى . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى كتاب الصيد (وأن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم) التى يذبحونها لغير الله (ويقول) لهم (الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء) لتشربه (وأنبت لها من الأرض) الكلأ لتأكله (ثم تذبحونها على غير اسم الله إنكاراً لذلك) الفعل (وإعظاماً له) وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى الذبائح ، والنسائى فى المناقب ، وزيد هذا هو ابن عم عمر بن الخطاب بن نفيل ، وهوَ والد سعيد بن زيد أحد العشرة ، وكان ممن طلب التوحيد وخلع الأوثان وجانب الشرك ، لكنه مات قبل المبعث . وعند الفاكهى من حديث عامر بن ربيعة قال : قال لى زيد بن عمرو : إنى خالفت قومى واتبعت ملة إبراهيم وإسماعيل وما كانا يعبدان ، وأنا أنتظر نبياً من بنى إسماعيل ولا أرانى أدركه ، وأنا أُومن به وأُصدق وأشهد أنه نبي ، وإن طالت بك حياة فاقرئه منى السلام . قال عامر : فلما أسلمت أعلمت النبي صلى الله عليه وآله وسلم خبره ، فردّ عليه السلام وترحم عليه وقال : لقد رأيته فى الجنة يسحب ذولا . وفى رواية أُسامة : وسئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن زيد ، فقال : يبعث يوم القيامة أُمة وحده بينى وبين عيسى بن مريم . وروى أبو عمر أنه كان يقول : يامعشر قريش إياكم والربا فإنه يورث الفقر . وروى الزبير بن بكار عن هشام بن عروة قال : بلغنا أن زيداً كان بالشام فيبلغه مخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فأقبل يريده ، فقتل بميفعة من أرض البلقاء . وقال ابن إسحاق : لما توسط بلاد لخم قتلوه ، وقيل : إنه مات قبل المبعث بخمس سنين عند بناء قريش الكعبة .

الحديث الثامن والخمسون

وَعَنْهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : أَلَا مَنْ كَانَ حالِفاً فَلا يَحْلِفْ إلاَّ بِاللهِ ، فَكانَتْ قُرَيْشٌ تَحْلِفُ بِآبَائِهَا ، فَقَالَ : لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ .

(وعنه) أى عن عبد الله بن عمر (رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : ألا من كان حالفاً) أى من أراد أن يحلف (فلا يحلف) بالجزم (إلا بالله) أى كوالله وبالله وتالله ، ورب العالمين ، والحى الذى لا يموت ، ومن نفسى بيده ، وبصفته الذاتية ، كعظمته وعزته وكبريائه وكلامه ، لا بغيره ، لأن الحلف يقتضى تعظيم المحلوف به . وحقيقة العظمة مختصة به تعالى ، فلا يضاهى به غيره (فكانت قريش تحلف بآبائها) بأن يقول الواحد منهم : وأبى أفعل هذا ولا أفعل هذا ، أو وحق أبى ، أو وتربة أبى (فقال) لهم صلى الله عليه وآله وسلم (لا تحلفوا بآبائكم) لأنه من أيمان الجاهلية . وهذا الحديث أخرجه النسائى وأورده البخارى فى باب أيام الجاهلية ، أى أيام الفترة ، وسميت بها لكثرة جهالاتهم . وفى الفتح : هى ما كان بين المولد النبوى والمبعث ، وهذا هو المراد هنا ، ويطلق غالباً على ماقبل البعثة ، ومنه يظنون ظن الجاهلية ، وقوله : « ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » .

الحديث التاسع والخمسون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قالَ: أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قالَها الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ :

* أَلَا كُلُّ شَيْءٍ ماخَلَا ٱللهُ بَاطِلُ *

وَكادَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يُسْلِمَ .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم : أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد) من إطلاق الكلمة على الكلام، وهو مجاز محتمل عند النحويين مستعمل عند المتكلمين ، وهو من باب تسمية الشىء باسم جزئه على سبيل التوسع . ولمسلم من طريق شعبة وزائدة عن عبد الملك : إن أصدق بيت وله من رواية شريك عن عبد الملك: أشعر كلمة تكلمت بهـا العرب . وقال فى الفتح : يحتمـل أن يريد بالكلمة البيت الذى ذكر شطره ، ويحتمل أن يريد القصيدة كلها ، ويؤيد الأول رواية مسلم من طريق شعبة وزائدة كلاهما عن عبد الملك : إن أصدق بيت قاله الشاعر ، وليس فى رواية شعبة « إن » ووقع عنده فى رواية شريك عن عبد الملك بلفظ : أشعر كلمة تكلمت بها العرب ، فلولا أن فى حفظ شريك مقالا لدفع هذا اللفظ الإشكال الذى أبداه السهيلى على لفظ رواية الصحيح بلفظ « أصدق » إذ يلزم من لفظ « أشعر » أن يكون « أصدق » نعم السؤال باق فى التعبير بوصف كل شىء بالبطلان مع اندراج الطاعات والعبادات فى ذلك ، وهى حق لا محالة ، وكذا قوله صلى الله عليه وآله وسلم فى دعائه بالليل : أنت الحق وقولك الحق والجنة والنار حق ... إلخ . وأُجيب عن ذلك بأن المراد بقول الشاعر : ما خلا الله ، أى ماعداه وعدا صفاته الذاتية والفعلية من رحمته وعذابه وغير ذلك ، فلذلك ذكر الجنة والنار ، أو المراد فى البيت بالبطلان الفناء لا الفساد ، فكل شىء سوى الله جائز عليه الفناء لذاته حتى الجنة والنار ، وإنما يبقيان بإبقاء الله لها وخلق الدوام لأهلهما ، والحق على الحقيقة من لايجوز عليه الزوال لذاته ، ولعل هذا هو السر فى إثبات الألف

واللام فى قوله « أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق » وحذفهما عند ذكر غيرهما ، والله أعلم . كذا فى الفتح . وذكر قصة جرت لعثمان بن مظعون مع لبيد بن ربيعة فى ذلك ، فراجعها منه إن أردت . ولبيد : هو ابن ربيعة ابن عامر بن مالك من فحول الشعراء مخضرم ، وفد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سنة وفد قومه بنو جعفر فأسلم وحسن إسلامه (ألا كل شىء) يفيد استغراق إفرادها نحو : كل نفس ذائقة الموت ، وألا استفتاحية (ماخلا الله باطل) بالتنوين ، والنصف الأخير لهذا البيت : وكل نعيم لا محالة زائل .

وهو من قصيدة من البحر الطويل وجملتها عشرة أبيات . توفى بالكوفة فى إمارة الوليد بن عقبة عليها فى خلافة عثمان رضى الله عنه عن مائة وأربعين سنة ، وقيل : وسبع وخمسين سنة ، وهو القائل :

ولقد سئمت من الحياة وطولها   وسؤال هذا الناس كيف لبيد

وقال له عمر بن الخطاب : أنشدنى شيئاً من شعرك ، فقال : ماكنت لأقول شعراً بعد أن علمنى الله البقرة وآل عمران (وكاد أُمية بن أبى الصلت) بضم الهمزة والميم وتشديد الياء ، والصلت بفتح الصاد الثقفى ، أى قارب (أن يسلم) أى فى شعره ، فى حديث مسلم عن الشريد قال : ردفت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : هل معك من شعر أُمية ؟ قلت : نعم ، فأنشدته مائة بيت ، فقال : لقد كاد يسلم فى شعره ، وكان أُمية يتعبد فى الجاهلية ويؤمن بالبعث ، وأدرك الإسلام ولم يسلم ، وقيل : إنه دخل فى النصرانية ، وأكثر فى شعره من ذكر التوحيد . قال فى الفتح : اسم أبى الصلت : ربيعة ابن عوف . وزعم الكلاباذى أنه كان يهودياً ، أى أُمية . وذكر أبو الفرج الأصفهانى أنه قال عند موته : أنا أعلم أن الحنيفية حق ولكن الشك يداخلنى فى محمد . وروى الفاكهى وابن منده من حديث ابن عباس أن الفارعة بنت أبى الصلت أُخت أُمية أتت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فأنشدته من شعره ، فقال : آمن شعره وكفر قلبه . وروى ابن مردويه بإسناد قوى عن ابن عمرو ابن العاص ، قال فى قوله تعالى : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها » نزلت فى أُمية بن أبى الصلت . وروى من أوجه أخرى أنها نزلت فى بلعام الإسرائيلى ، وهو المشهور ، وعاش أُمية حتى أدرك وقعة بدر ، ورأى من قتل بها من الكفار ، ولموته قصة طويلة أخرجها البخارى فى تاريخه والطبرانى وغيرهما .

باب مبعث النبي صلى الله عليه وسلم

الحديث الأول

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيٍّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مالِكِ ابْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ ابْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ .

---

* (باب مبعث النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم) *

مصدر ميمى من البعث وهو الإرسال ، وأصله الإثارة ، يقال : بعثت البعير إذا أثرته من مكانه ، ويطلق على التوجيه فى أمر ، يقال : بعثت العسكر إذا وجهته للقتال ، وبعثت النائم من نومه إذا أيقظته ، وساق هذا النسب الشريف.

(محمد) ذكر البيهقى فى الدلائل بإسناد مرسل أن عبد المطلب لما ولد النبى صلى الله عليه وآله وسلم عمل له مأدبة ، فلما أكلوا سألوا : ما سميته قال : محمداً ، قالوا : فما رغبت به عن أسماء أهل بيته ، قال : أردت أن يحمده الله فى السماء وخلقه فى الأرض (ابن عبد الله) لم يختلف فى اسمه ، واختلف متى مات ، فقيل : مات قبل أن يولد النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وقيل : بعد أن ولد . قال فى الفتح : والأول أثبت . واختلف فى مقدار عمره صلى الله عليه وآله وسلم متى مات أبوه ، والراجح أنه دون السنة . قال القسطلانى : وتوفى أبوه بعد شهرين من حمله ، أو وهو فى المهد ، أو وهو ابن شهرين ، والأول أشهر . انتهى (ابن عبد المطلب) اسمه شيبة الحمد عند الجمهور ، لأنه ولد وفى رأسه شيبة ، وزعم ابن قتيبة أن اسمه عامر ، ولقب أو سمى بعبد المطلب واشتهر بها ، لأن أباه مات بغزة كان خرج إليها تاجراً فترك أم عبد المطلب بالمدينة ، فأقامت عند أهلها من الخزرج ، فكبر عبد المطلب ، فجاء عمه المطلب فأخذه ودخل به مكة ، فرآه الناس مردفه فقالوا : هذا عبد المطلب ، فغلبت عليه ، وعاش مائة وأربعين سنة . ذكره ابن إسحاق وغيره فى قصة طويلة (ابن هاشم) اسمه عمرو ، وقيل له هاشم لأنه أول من هشم الثريد بمكة لأهل الموسم ولقومه أولا فى سنة المجاعة (ابن عبد مناف) بفتح الميم وتخفيف النون ، اسمه المغيرة ، رواه السراج فى تاريخه من طريق أحمد بن

حنبل عن الشافعى (ابن قصى) بضم القاف ، تصغير قصى ، أى بعد ، لأنه بعد عن ديار قومه وعشيرته فى بلاد قضاعة حين احتملته أمه فى قصة طويلة ذكرها ابن إسحاق ، واسمه يزيد ، وقيل مجمع (ابن كلاب) بكسر الكاف ، قال السهيلى : هو منقول من المصدر الذى فى معنى المكالبة ، تقول : كالبت فلاناً مكالبة وكلاباً ، أو هو بلفظ جمع كلب ، كما تسمت العرب بسباع وأنمار وغير ذلك . انتهى . وذكر القسطلانى : أنه لقب به لمحبته الصيد ، وكان أكثر صيده بالكلاب . قاله المهلب وغيره زاد فى الفتح : وكان يجمعها ، فمن مرت به فسأل عنها ، قيل له : هذه كلاب بن مرة ، فلقب كلاباً . وذكر ابن سعد أن اسمه المهذب . وزعم محمد بن سعد أن اسمه حكيم ، وقيل عروة (ابن مرة) منقول من اسم الحنظلة ، قاله السهيلى ، أو الهاء للمبالغة ، والمراد أنه قوى (ابن كعب) قال السهيلى : سمى بذلك لستره على قومه ولين جانبه لهم ، منقول من كعب القدم ، وقال ابن دريد : من كعب القناة ، وكذا قال غيره ، سمى بذلك لارتفاعه على قومه وشرفه فيهم ، فلذلك كانوا يخضعون له حتى أرخوا بموته ، وهو أول من جمع قومه يوم الجمعة ، وكانوا يسمونه يوم العروبة حتى جاء الإسلام ، وكان فصيحاً خطيباً (ابن لؤى) بالهمزة فى الأكثر ، قال ابن الأنبارى : هو تصغير اللأى بوزن عصا ، وهو الثور الوحشى . وقال السهيلى : هو عندى تصغير لاى بوزن عبد وهو البط . وقال الأصمعى : هو تصغير لواء الجيش ، زيدت فيه همزة (ابن غالب) لا إشكال فيه ، كما لا إشكال فى مالك والنضر (ابن فهر) بكسر الفاء وسكون الهاء ، وهو من الحجارة الطويل والأملس ، قيل : واسمه قريش ، وهو أبو قريش ، فمن لم يكن من ولده فليس بقرشى . قال الزهرى : إن أمه سمته به وسماه أبوه فهراً ، وقيل : فهر لقبه ، وقيل بالعكس . وقال آخرون : أصل قريش النضر ، محتجين بحديث الأشعث بن قيس الكندى قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى وفد كندة فقلت : ألستم منا يا رسول الله ؟ قال : لا ، نحن بنو النضر بن كنانة ، لا نقفوا أمنا ولا ننتفى من أبينا . ذكره أبو عمر . وزاد فى رواية أبى نعيم فى الرياضة : قال أشعث : والله لا أسمع أحداً نفى قريشاً من النضر بن كنانة إلا جلدته (ابن مالك بن النضر) بفتح النون وسكون المعجمة ، سمى به لوضاءته وجماله وإشراق وجهه (ابن كنانة)

بلفظ وعاء السهام إذا كانت من جلود . قاله ابن دريد . ونقل عن أبى عامر العدوانى أنه قال : رأيت كنانة شيخاً مسناً ، عظيم القدر ، وتحج إليه العرب لعلمه وفضله بينهم (ابن خزيمة) بضم الخاء وفتح الزاى المعجمتين ، تصغير خزمة بفتحتين ، وهى مرة واحدة من الخزم ، وهو شد الشىء وإصلاحه . وقال الزجاجى : يجوز أن يكون من الخزم بفتح ثم سكون ، تقول : خزمته فهو مخزوم إذا أدخلت فى أنفه الخزام (ابن مدركة) بضم الميم وسكون الدال وكسر الراء اسمه عمرو عند الجمهور . وقال ابن إسحاق : عامر (ابن إلياس) بكسر الهمزة عند ابن الأنبارى أفعال من قولهم أليس : للشجاع الذى لا يفر . وقال غيره : هو بهمزة وصل ، وهو ضد الرجاء ، واللام فيه للمح الصفة . قاله قاسم بن ثابت (ابن مضر) بضم الميم وفتح المعجمة ، قيل : سمى بذلك لأنه كان يحب شرب اللبن الماضر وهو الحامض ، أو لأنه كان يمضر القلوب لحسنه وجماله أو لبياضه (ابن نزار) بكسر النون وفتح الزاى ، من النزر ، وهو القليل . قال أبو الفرج الأصبهانى : لأنه كان فريد قومه ووحيد عصره (ابن معد) بفتح الميم المهملة وتشديد الدال . قال ابن الأنبارى : يحتمل أن يكون مفعلا من العداء أو هو من معد فى الأرض إذا أفسد ، وقيل غير ذلك (ابن عدنان) بوزن فعلان ، من العدن ، تقول : عدن أقام . وقد روى أبو جعفر بن حبيب فى تاريخه المحبر من حديث ابن عباس قال : كان عدنان ومعد وربيعة ومضر وخزيمة وأسد على ملة إبراهيم فلا تذكروهم إلا بخير . وروى الزبير بن بكار من وجه آخر قوى مرفوعاً : لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كانا مسلمين . وله شاهد عند ابن حبيب من مرسل سعيد ابن المسيب . قال فى الفتح : اقتصر البخارى من النسب الشريف على عدنان . زاد القسطلانى : لما وقع من الاختلاف فيمن بين عدنان وبين إبراهيم الخليل وفيمن بين إبراهيم وآدم . وأخرج ابن سعد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا انتسب لم يجاوز فى نسبة معد بن عدنان . وقالت عائشة : ماوجدنا من يعرف ما وراء عدنان إلى ما وراء قحطان . وقال ابن جريج عن القاسم بن أبى مرة عن عكرمة : أضلت نزار نسبها من عدنان . قال فى الفتح : زاد ابن إسحاق بعد عدنان ابن أدد بن المقوم بن تارخ بن يشجب بن يعرب بن ثابت بن إسماعيل بن إبراهيم .

الحديث الثانى

عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُمَا قالَ : أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَهْوَ ٱبْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً ثُمَّ أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ ، فَهَاجَرَ إِلَى المَدِينَةِ فَمَكَثَ بِهَا عَشْرَ سِنِينَ ، ثُمَّ تُوُفِّيَ صلى الله عليه وسلم .

(عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أُنزل على النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم) الوحى (وهو ابن أربعين سنة) هذا هو المقصود من هذا الحديث فى هذا الباب ، وهو متفق عليه . وفى حديث أنس أنه صلى الله عليه وآله وسلم بعث على رأس أربعين . وفى بدء الوحى أنه أُنزل عليه فى شهر رمضان . فعلى الصحيح المشهور أن مولده فى شهر ربيع الأول يكون حين أُنزل عليه ابن أربعين سنة وستة أشهر . وكلام بن الكلبى يؤذن بأنه ولد فى رمضان ، فإنه قال : مات وله اثنتان وستون سنة ونصف سنة . وقد أجمعوا على أنه مات فى ربيع الأول ، فيستلزم ذلك أن يكون ولد فى رمضان . وبه جزم الزبير بن بكار ، وهو شاذ . وفى مولده صلى الله عليه وآله وسلم أقوال أخرى أشد شذوذاً من هذا . كذا فى الفتح (فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة) بعد الوحى منها مدة الفترة والرؤيا الصالحة فى النوم . قال فى الفتح : هذا أصح مما رواه مسلم عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أقام بمكة خمس عشرة سنة (ثم أُمر بالهجرة فهاجر إلى المدينة فمكث بها عشر سنين ، ثم توفى صلى الله عليه) وآله (وسلم) عن ثلاث وستين سنة .

السؤال الثالث

عَنِ ٱبْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُمَا ، وَقَدْ سُئِلَ عَنْ أَشَدِّ ما صَنَعَهُ الْمُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قالَ : بَيْنَا النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّى فى حِجْرِ الْكَعْبَةِ إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبى مُعيْطٍ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فى عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ خَنْقاً شَدِيداً ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَقالَ : « أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ ٱللّٰهُ » الآيَةَ .

(عن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما وقد سئل عن أشد ما صنعه المشركون بالنبي صلى الله عليه) و آله (وسلم قال) وهذا الذى أجاب به يخالف ما فى حديث عائشة أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لها : وكان أشد ما لقيت من قومك ... فذكر قصته بالطائف مع ثقيف . والجمع بينهما أن ابن عمرو استند إلى مارآه ، ولم يكن حاضراً للقصة التى وقعت بالطائف (بينا النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم يصلى فى حجر الكعبة إذ أقبل عقبة ابن أبى معيط) المقتول كافراً بعد بدر (فوضع ثوبه) أى ثوب النبى صلى الله عليه وآله وسلم (فى عنقه) المكرم (فخنقه) به (خنقاً) بسكون النون (شديداً ، فأقبل أبو بكر) الصديق رضى الله عنه (حتى أخذ بمنكبه) بفتح الميم وكسر الكاف ، أى بمنكب عقبة (ودفعه عن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم وقال : « أتقتلون رجلا) كراهية (أن يقول ربى الله » الآية) وهذا الاستفهام على سبيل الإنكار ، وفيه ما يدل على حسن هذا الإنكار ، لأنه مازاد على أن قال : ربى الله ، وقد جاءكم بالبينات ، وذلك لا يوجب القتل ألبتة . وهذا الحديث رواه البخارى أيضاً فى مناقب أبى بكر .

الحديث الرابع

عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ، وَقَدْ سُئِلَ : مَنْ آذَنَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بِالْجِنِّ لَيْلَةَ ٱسْتَمَعُوا الْقُرْآنَ ، فَقَالَ : آذَنَتْ بِهِمْ شَجَرَةٌ .

(عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وقد سئل : من آذن) أى أعلم (النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم بالجن ليلة استمعوا القرآن، فقال : آذنت) بالمد : أعلمت (بهم شجرة) وفى مسند ابن راهويه « سمرة » بدل قوله « شجرة » وتقدم الكلام على الجن فى أوائل بدء الخلق بما يغنى عن إعادته .

الحديث الخامس

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ كانَ يَحْمِلُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِدَاوَةً لِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ ، قَدْ تَقَدَّمَ ، وَزَادَ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ قَوْلَهُ صلى الله عليه وسلم: إِنَّهُ أَتَانِي وَفْدُ جِنٍّ نَصِيبِينَ وَنِعْمَ الجِنُّ، فَسَأَلُونِي الزَّادَ، فَدَعَوْتُ اللهَ لَهُمْ أَنْ لَا يَمُرُّوا بِعَظْمٍ وَلَا رَوْثَةٍ إِلَّا وَجَدُوا عَلَيْهَا طَعَاماً .

(عن أبي هريرة رضى الله عنــه أنه قال : كان يحمل مع النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم إداوة) إناء صغير من جلد يتخذ للماء (لوضوئه وحاجته ، قد تقدم) هذا الحديث (وزاد فى هذه الرواية قوله صلى الله عليه) وآله (وسلم: إنه أتاني وفــد جن نصيبين) بلدة مشهورة بالجزيرة ، وقال السفاقسى : بالشام .قال فى الفتح : وفيه تجوّز ، فإن الجزيرة بين الشام والعراق (ونعم الجنّ ،فسألوني الزاد) يحتمل أن يكون وقع فى هذه الليلة أو فيما مضى (فدعوت الله لهم أن لا يمروا بعظم ولا روثة إلا وجدوا عليها طعاماً) وفى رواية « طعما » بضم الطاء وسكون العين من غير ألف ، والذى تحصل من الأخبار أن وفادة الجنّ عليه صلى الله عليــه وآله وسلم مرات ببطن نخلة وهو يقرأ القرآن ، فلما حضروه قالوا : انصتوا ، وكانوا سبعة أحدهم زوبعة بالحجون وأخرى ببقيع الغرقد ، وفى هــذه الليالى حضر ابن مسعود وخط عليه وخارج المدينــة وحضرها الزبير بن العوام ، وفى بعض أسفاره حضرها بلال بن الحارث .

الحديث السادس

عَنْ أُمِّ خالِدٍ بِنْتِ خالِدٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا قالَتْ : قَدِمْتُ مِنَ الحَبَشَةِ وَأَنَا جُوَيْرِيَةٌ ، فَكَسَانِي رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم خَمِيصَةً لَهَا أَعْلَامٌ ، فَجَعَلَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم يَمْسَحُ الأَعْلَامَ بِيَدِهِ وَيَقُولُ : سَنَاهْ . سَنَاهْ .

(عن أُم خالد بنت خالد رضى الله عنها) وهو ابن سعيد بن العاص بن أُمية ، وكان أبوها ممن هاجر فى الهجرة الثانية إلى الحبشة ، وولدت له هناك ، فسماها أمة بفتح الهمزة والميم المخففة وبالهاء ، وكناها أم خالد ، وأُمها أُمينة بالتصغير ، ويقال : همينة بالهاء بدل الهمزة بنت خلف الخزاعية (قالت : قدمت من) أرض (الحبشة وأنا جويرية فكسانى رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم خميصة) أى كساء من خز (لها أعلام ، فجعل رسول الله صلى الله عليه) آله (وسلم يمسح الأعلام بيده) الكريمة (ويقول : سناه سناه) بفتح السين والنون وبعد الألف هاء ساكنة فيهما مرتين . قال الحميدى : يعنى حسن حسن . وكانت الهجرة مرتين : الأولى فى رجب سنة خمس من المبعث ، وكان عدد من هاجر اثنى عشر رجلا وأربع نسوة ، خرجوا مشاة إلى البحر فاستأجروا سفينة بنصف دينار . وذكر ابن إسحاق أن السبب فى ذلك أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لأصحابه لما رأى المشركين يؤذونهم ولا يستطيع أن يكفهم : إن بالحبشة ملكاً لا يظلم عنده أحد ، فلوخرجتم إليه حتى يجعل الله لكم فرجاً ، قال : أول من خرج منهم عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وأخرج يعقوب ابن سفيان بسند موصول إلى أنس قال : أبطأ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خبرهما فقدمت امرأة فقالت له : قدر رأيتهما وقد حمل عثمان امرأته على حمار ، فقال : صحبهم الله ، إن عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط ، ثم رجعوا عند ما بلغهم عن المشركين سجودهم معه صلى الله عليه وآله وسلم عند قراءة سورة النجم ، فلقوا من المشركين أشد مما عهدوا ، فهاجروا ثانية ، وكانوا ثلاثة وثمانين رجلا وثمانى عشر امرأة .

الحديث السابع

عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم : ما أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ فَإِنَّهُ كانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ ، قالَ : هُوَ فى ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ ، وَلَوْلَا أَنَا لَكانَ فى ٱلدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ .

(عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه أنه قال للنبى صلى الله عليه) وآله (وسلم : ما أغنيت عن عمك) أبى طالب ، أى أى شىء دفعته عنه (فوالله إنه كان يحوطك) يصونك ويحفظك ويذب عنك (ويغضب لك ، قال : هو فى ضحضاح) يبلغ كعبه (من نار) وأصله مارق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين فاستعير للنار (ولولا أنا) شفعت فيه (لكان فى الدرك الأسفل من النار) أى أقصى قعرها . قال ابن مسعود : الدرك الأسفل : توابيت من حديد مقفلة فى النار . وقال أبو هريرة رضى الله عنه : بيت يقفل عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى الأدب ، ومسلم فى الأيمان . وفى حديث ابن عباس عند مسلم : إن أهون أهل النار عذاباً أبو طالب ، له نعلان يغلى منهما دماغه . ولأحمد من حديث أبى هريرة مثله ، لكن لم يسم أبا طالب . وللبزار من حديث جابر : قيل للنبى صلى الله عليه وآله وسلم : هل نفعت أبا طالب ؟ قال : أخرجته من النار إلى ضحضاح منها . وفى حديث النعمان بن بشير نحوه . وفى آخره : كما يغلى المرجل بالقمقم . والمرجل : الإناء الذى يغلى فيه الماء وغيره . والقمقم معروف ، وهو الذى يسخن فيه الماء . وروى أبو داود والنسائى وابن خزيمة وابن الجارود من حديث علىّ قال : لما مات أبو طالب قلت : يارسول الله إن عمك الشيخ الضال قد مات ، قال : اذهب فواره ، قلت : إنه مات مشركاً ، قال : اذهب فواره ... الحديث . قال فى الفتح : ووقفت على جزء جمعه بعض أهل الرفض أكثر فيه من الأحاديث الواهية الدالة على إسلام أبى طالب ، ولا يثبت من ذلك شىء ، وبالله التوفيق . وقد لخصت ذلك فى ترجمة أبى طالب من كتاب الإصابة . انتهى . واسم أبى طالب عند الجميع عبد مناف ، وشذّ من قال عمران ، بل هو قول باطل نقله شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتاب الرد على الرافضى ، إن

بعض الروافض زعم أن قوله تعالى : « إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران » أن آل عمران هم آل أبي طالب ، وأن اسمه عمران ، واشتهر بكنيته ، وكان شقيق عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولذلك أوصى به عبد المطلب عند موته إليه ، فكفله إلى أن كبر ، واستمر على نصره بعد أن بعث إلى أن مات ، ومات بعد خروجهم من الشعب ، وذلك فى آخر السنة العاشرة من المبعث ، وكان يذب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويرد عنه كل من يؤذيه ، وهو مقيم مع ذلك على دين قومه ، وأخباره فى حياطته والذب عنه معروفة مشهورة .

الحديث الثامن

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الخُدْرِىِّ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ ، فَقَالَ : لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُجْعَلُ فى ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ ، يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ ، يَغْلِى مِنْهُ دِمَاغُهُ .

(عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم وذكر عنده عمه) أبو طالب (فقال : لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه) وفى رواية : أم دماغه ، والمراد أم رأسه ، وأطلق على الرأس الدماغ من تسمية الشىء بما يقاربه ويجاوره . وفى رواية ابن إسحاق : حتى يسيل على قدمه . قال فى الفتح : وفى الحديث جواز زيارة القريب المشرك وعيادته ، وأن التوبة مقبولة ولو فى شدة مرض الموت حتى يصل إلى المعاينة فلا تقبل لقوله تعالى : « فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا » وأن الكافر إذا شهد شهادة الحق نجا من العذاب ، لأن الإسلام يجبّ ما قبله ، وأن عذاب الكفار متفاوت ، والنفع الذى حصل لأبى طالب من خصائصه ببركة النبى صلى الله عليه وآله وسلم . وعن ابن المسيب عن أبيه : إن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعنده أبو جهل ، يعنى عمرو بن هشام بن المغيرة عدو الله ، فرعون هذه الأمة ، فقال : أى عمّ ، قل لا إله إلا الله كلمة أحاج. وفى رواية : أشهد لك بها عند الله . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أُمية بن المغيرة ، وقد أسلم عبد الله هذا يوم الفتح واستشهد فى غزوة حنين : ياأبا طالب ترغب عن ملة عبد المطلب . فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شىء كلمهم به : أنا على ملة عبد المطلب . فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لأستغفرن لك كما استغفر إبراهيم لأبيه ما لم أنه عنه ، فنزلت : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم » . ونزلت : « إنك لا تهدى من أحببت » رواه البخارى ، أى هدايته ، أو أحببته لقرابته ، أى ليس ذلك إليك ، إنما عليك البلاغ ، والله يهدى من يشاء ، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة . قال القسطلانى :

وقد كان أبو طالب يحوطه صلى الله عليه وآله وسلم وينصره ويحبه حباً طبيعياً لا شرعياً ، فسبق القدر فيه واستمر على كفره ، ولله الحجة السامية ، ولاتنافى بين هذه الآية وبين قوله : « وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم » لأن الذى أثبته وأضافه إليه الدعوة ، والذى نفى عنه هداية التوفيق وشرح الصدر . قال فى الفتح : وإنما عرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول : لا إله إلا الله ولم يقل فيها محمداً رسول الله ، لأن الكلمتين صارتا كالكلمة الواحدة ، ويحتمل أن يكون أبو طالب كان يتحقق أنه رسول الله ولكن كان لا يقر بتوحيد الله ، ولهذا قال فى الأبيات النونية :

ودعوتنى وعلمت أنك صادق ولقد صدقت وكنت قبل أمينا

فاقتصر على قوله له بقوله : لا إله إلا الله ، فإذا أقر بالتوحيد لم يتوقف على الشهادة بالرسالة ، قال : ومن عجائب الاتفاق أن الذين أدركهم الإسلام من أعمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم أربعة ، لم يسلم منهم اثنان وأسلم اثنان ، وكان اسم من لم يسلم ينافى أسامى المسلمين وهما أبو طالب واسمه عبد مناف ، وأبو لهب واسمه عبد العزى ، بخلاف من أسلم وهما حمزة والعباس .

حديث الاسراء والمعراج

* (حديث الإسراء والمعراج) *

إنما أفرد البخارى كلا منهما بترجمة ، لأن كلا منهما يشتمل على قصة منفردة وإن كانا وقعا معاً : قال فى الفتح : قد اختلف السلف بحسب اختلاف الأخبار الواردة ، فنهم من ذهب إلى أن الإسراء والمعراج وقعا فى ليلة واحدة فى اليقظة بجسد النبى صلى الله عليه وآله وسلم وروحه بعد البعث . وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين ، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة ، ولا ينبغى العدول عن ذلك ، إذ ليس فى العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل ، نعم جاء فى بعض الأخبار ما يخالف بعض ذلك ، فجنح لأجل ذلك بعض أهل العلم منهم إلى أن ذلك كله وقع مرتين : مرة فى المنام توطئة وتمهيداً ، ومرة ثانية فى اليقظة ، كما وقع نظير ذلك فى ابتداء مجىء الملك بالوحى . وذكر أبو ميسرة التابعى الكبير وغيره أن ذلك وقع فى المنام ، وأنهم جمعوا بينه وبين حديث عائشة بأن ذلك وقع مرتين . وإلى هذا ذهب المهلب شارح البخارى ، وحكاه عن طائفة ، وأبو نصر بن القشيرى ، ومن قبلهم أبو سعيد فى شرف المصطفى ، قال : كان للنبى صلى الله عليه وآله وسلم معاريج ، منها ماكان فى اليقظة ، ومنها ما كان فى المنام . وحكاه السهيلى عن ابن العربى واختاره ، وجوّز بعض قائلى ذلك أن تكون قصة المنام وقعت قبل البعث لأجل قول شريك فى روايته عن أنس ، وذلك قبل أن يوحى إليه. وقال بعض المتأخرين : كانت قصة الإسراء فى ليلة والمعراج فى ليلة متمسكاً بما ورد فى حديث أنس من رواية شريك من ترك ذكر الإسراء ، وكذا فى ظاهر حديث مالك بن صعصعة هذا ، ولكن لا يستلزم التعدد ، بل هو محمول على أن بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الآخر . وذهب بعضهم إلى أن الإسراء كان فى اليقظة والمعراج كان فى المنام ، أو أن الاختلاف فى كونه يقظة أو مناماً خاص بالمعراج لا بالإسراء ، ولذلك لما أخبر به قريشاً كذبوه فى الإسراء واستبعدوا وقوعه ولم يتعرضوا للمعراج . وأيضاً فإن الله سبحانه قال : «سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » فلو وقع

المعراج فى اليقظة لكان ذلك أبلغ فى الذكر ، فلما لم يقع ذكره فى هذا الموضع مع كون شأنه أعجب وأمره أغرب من الإسراء بكثير دل على أنه كان مناماً ، وأما الإسراء فلو كان مناماً لما كذبوه ولا استنكروه لجواز وقوع مثل ذلك وأبعد منه لآحاد الناس . وقيل : كان الإسراء مرتين فى اليقظة ، فالأولى رجع من بيت المقدس وفى صبحه أخبر قريشاً بما وقع ، والثانية أُسرى به إلى بيت المقدس ثم عرج به من ليلته إلى السماء إلى آخر ما وقع ، ولم يقع لقريش فى ذلك اعتراض ، لأن ذلك عندهم من جنس قولهم : إن الملك يأتيه من السماء فى أسرع من طرفة عين ، وكانوا يعتقدون استحالة ذلك مع قيام الحجة على صدقه بالمعجزات الباهرة ، لكنهم عاندوا فى ذلك واستمروا على تكذيبه فيه ، بخلاف إخباره أنه جاء بيت المقدس فى ليلة واحدة ورجع ، فإنهم صرحوا بتكذيبه فيه ، فطلبوا منه نعت بيت المقدس لمعرفتهم به وعلمهم بأنه ما كان رآه قبل ذلك ، فأمكنهم استعلام صدقه فى ذلك بخلاف المعراج . ويؤيد وقوع المعراج عقب الإسراء فى ليلة واحدة رواية ثابت عن أنس عند مسلم : ففى أوله : أُتيت بالبراق فركبت حتى أُتيت بيت المقدس ، فذكر القصة ، إلى أن قال : ثم عرج بنا إلى السماء الدنيا . وفى رواية أبى سعيد الخدرى عند ابن إسحاق : فلما فرغت مما كان فى بيت المقدس أُتى بالمعراج ، فذكر الحديث. ووقع فى أول حديث مالك بن صعصعة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم حدثهم عن ليلة أُسرى به ، فذكر الحديث ، فهو وإن لم يذكر فيه الإسراء إلى بيت المقدس فقد أشار إليه وصرح به فى روايته ، فهو المعتمد . واحتج من زعم بأن الإسراء وقع مفرداً بما أخرجه البزار والطبرانى وصححه البيهقى فى الدلائل من حديث شداد بن أوس قال قلنا : يارسول الله كيف أُسرى بك ؟ قال : صليت صلاة العتمة بمكة فأتانى جبريل بدابة ، فذكر الحديث فى مجيئه بيت المقدس وما وقع له فيه ، قال : ثم انصرف بى فمررنا بعير لقريش بمكان كذا ، فذكره ، قال : ثم أتيت أصحابى قبل الصبح بمكة . وفى حديث أُم هانىء عند ابن إسحاق وأبى يعلى نحو ما فى حديث أبى سعيد هذا ، فإن ثبت أن المعراج كان مناماً على ظاهر رواية شريك عن أنس فينتظم من ذلك أن الإسراء وقع مرتين : مرة على انفراده ، ومرة مضموماً إليه المعراج ، وكلاهما فى اليقظة ، والمعراج وقع مرتين : مرة فى المنام على انفراده توطئة وتمهيداً ، ومرة فى اليقظة مضموماً إلى الإسراء ، وأما كونه قبل البعث فلا

يثبت . وجنح الإمام أبو شامة إلى وقوع المعراج مراراً ، واستند إلى ما أخرجه البزار وسعيد بن منصور من طريق أبي عمران الجونى عن أنس رفعه قال : بينا أنا جالس إذ جاء جبريل فوكز بين كتفى فقمنا إلى شجرة فيها مثل وكرى الطائر فقعدت فى أحدهما وقعد جبريل فى الآخرة فارتفعت حتى سدت الخافقين ... الحديث . وفيه : ففتح لى باب من السماء ورأيت النور الأعظم وإذا دونه حجاب رفرف الدر والياقوت . ورجاله لا بأس بهم ، إلا أن الدارقطنى ذكر له علة تقتضى إرساله . وعلى كل حال فهى قصة أخرى الظاهر أنها وقعت بالمدينة ، ولا بعد فى وقوع أمثالها ، وإنما المستبعد وقوع التعدد فى قصة المعراج التى وقع فيها سؤاله عن كل نبى ، وسؤال أهل كل باب هل بعث إليه ، وفرض الصلوات الخمس وغير ذلك ، فإن تعدد ذلك فى اليقظة لا يتجه ، فيتعين رد بعض الروايات المختلفة إلى بعض أو الترجيح ، إلا أنه لابعد فى وقوع جميع ذلك فى المنام توطئة ثم وقوعه فى اليقظة على وفقه . ومن المستغرب قول ابن عبد السلام : كان الإسراء فى النوم واليقظة ووقع بمكة والمدينة ، فإن كان يريد تخصيص المدينة بالنوم ويكون كلامه على طريق اللف والنشر الغير المرتب ، فيحتمل أن يكون الإسراء الذى اتصل به المعراج وفرضت فيه الصلوات فى اليقظة بمكة والآخر فى المنام بالمدينة ، وينبغى أن يزاد فيه أن الإسراء فى المنام تكرر فى المدينة النبوية . وفى الصحيح فى حديث سمرة الطويل المذكور فى البخارى فى الجنائز . وفى غيره حديث عبد الرحمن بن سمرة . وفى الصحيح حديث ابن عباس فى رؤياه الأنبياء . وحديث ابن عمر فى ذلك وغير ذلك ، والله أعلم . قال القسطلانى : المعراج بكسر الميم . قال فى النهاية : مفعال من العروج وهو الصعود كأنه آلة له . وقال فى الصحاح : عرج فى الدرجة والسلم يعرج عروجاً ، أى ارتقى . والمعراج : السلم . ومنه ليلة المعراج ، والجمع معارج ومعاريج ، مثل مفاتح ومفاتيح . قال الأخفش : إن شئت جعلت الواحد معرج ومعرج ، مثل مرقاة ومرقاة . والمعارج : المصاعد . انتهى . وسميت بليلة المعراج لصعود النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيها . قال فى الفتح : وقد اختلف فى وقت المعراج ، فقيل : كان قبل المبعث ، وهو شاذ ، إلا إن حمل على أنه وقع حينئذ فى المنام كما تقدم . وذهب الأكثر إلى أنه كان بعد المبعث ، ثم اختلفوا فقيل : قبل الهجرة بسنة . قاله ابن سعد وغيره ، وبه جزم النووى ، وبالغ ابن حزم فنقل الإجماع فيه ، وهو

مردود ، فإن فى ذلك اختلافاً كثيراً يزيد على عشرة أقوال : منها ماحكاه ابن الجوزى أنه كان قبلها بثمانية أشهر ، وقيل بستة أشهر . وحكى هذا الثانى أبو الربيع بن سالم ، وحكى ابن حزم نقيض الذى قبله ، لأنه قال : كان فى رجب سنة اثنتى عشرة من النبوّة ، وقيل : بأحد عشر شهراً ، جزم به إبراهيم الحربى حيث قال : كان فى ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة . ورجحه ابن المنير فى شرح السيرة لابن عبد البر . وقيل : قبل الهجرة بسنة وشهرين : حكاه ابن عبد البر . وقيل : قبلها بسنة وثلاثة أشهر . حكاه ابن فارس . وقيل : بسنة وخمسة أشهر . قاله السدى . وأخرجه من طريقه الطبرى والبيهقى . فعلى هذا كان فى شوّال أو فى رمضان على إلغاء الكسرين منه ، ومن ربيع الأول جزم به الواقدى ، وعلى ظاهره ينطبق ماذكره ابن قتيبة ، وحكاه ابن عبد البر أنه كان قبلها بثمانية عشر شهراً . وعند ابن سعد عن ابن أبى سيرة أنه كان فى رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً . وقيل : كان فى رجب . حكاه ابن عبد البر ، وجزم به النووى فى الروضة ، وقيل : قبل الهجرة بثلاث سنين . حكاه ابن الأثير . وحكى عياض وتبعه القرطبى والنووى عن الزهرى أنه كان قبل الهجرة بخمس سنين . ورجحه عياض ومن تبعه . واحتج بأنه لاخلاف أن خديجة صلت معه بعد فرض الصلاة . ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة إما بثلاث أو نحوها وإما بخمس . ولا خلاف أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء . قلت : فى جميع ما نفاه من الخلاف نظر . أما أولا : فإن العسكرى حكى أنها ماتت قبل الهجرة بسبع سنين ، وقيل : بأربع . وعن ابن الأعرابى أنها ماتت عام الهجرة . وأما ثانياً فإن فرض الصلاة اختلف فيه ، فقيل : كان من أول البعثة ، وكان ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى ، وإنما الذى فرض ليلة الإسراء الصلوات الخمس . وأما ثالثاً فقد جزمت عائشة بأن خديجة ماتت قبل أن تفرض الصلاة ، فالمعتمد أن مراد من قال بعد أن فرضت الصلاة ما فرض قبل الصلاة الخمس إن ثبت ذلك ، ومراد عائشة بقولها : ماتت قبل أن تفرض الصلاة ، أى الخمس ، فيجمع بين القولين بذلك ، ويلزم منه أنها ماتت قبل الإسراء . وأما رابعاً : فى سنة موت خديجة اختلاف آخر ، فحكى العسكرى عن الزهرى أنها ماتت لسبع مضين من البعثة . وظاهره أن ذلك قبل الهجرة بست سنين فرعه العسكرى على قول من قال : إن المدة بين البعثة والهجرة كانت عشراً .

الحديث الأول

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : لَمَّا كَذَّبَنِى قُرَيْشٌ قُمْتُ فِى الْحِجْرِ فَجلاَ ٱللهُ لِى بَيْتَ المَقْدِسِ . فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ .

(عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يقول : لما كذبنى قريش) أى إذ أخبرهم أنه جاء بيت المقدس فى ليلة واحدة ورجع (قمت فى الحجر) بكسر الحاء وسكون الجيم (فجلا الله) أى كشف (إلى بيت المقدس) بأن أزال الحجاب بينى وبينه (فطفقت أخبرهم عن آياته) علاماته (وأنا أنظر إليه) وفى حديث ابن عباس : فجىء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع عند دار عقيل فنعتة وأنا أنظر إليه . رواه البزار . وفى الدلائل للبيهقى من طريق صالح بن كيسان عن الزهرى عن أبى سلمة قال : افتتن ناس ، يعنى عقب الإسراء ، فجاء ناس إلى أبى بكر رضى الله عنه فذكروا له ، فقال : أشهد أنه صادق ، فقالوا : أو تصدقه أنه أتى الشأم فى ليلة واحدة ثم رجع إلى مكة ؟ قال : نعم أصدقه بأبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء . قال : فسمى بذلك الصديق . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى التفسير ، ومسلم فى الأيمان ، والترمذى والنسائى فى التفسير .

الحديث الثانى

عَنْ مالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا أَنَّ نَبِيَّ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةَ أُسْرِىَ بِهِ ، قَالَ : بَيْنَما أَنَا فى الحَطِيمِ ، وَرُبَّمَا قالَ فى ٱلْحِجْرِ مُضْطَجِعاً ، إِذْ أَتَانى آتٍ فَقَدَّ ، قالَ : وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : فَشَقَّ ما بَيْنَ هذِهِ إِلَى هَذِهِ . قالَ الرَّاوِى : مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى نِعْرَتِهِ ، فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِى ، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيماناً ، فَغُسِلَ قَلْبِى ثُمَّ حُشِىَ ثُمَّ أُعِيدَ ثُمَّ أُتِيتُ بِدابَّةٍ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ ٱلْحِمَارِ أَبْيَض ، قالَ الرَّاوِى : وَهُوَ الْبُرَاقُ يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصى طَرْفِهِ فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ ، فَانْطَلَقَ بى جِبْرِيلُ حَتَّى أَتى السَّماءَ ٱلدُّنْيَا ، فَاسْتَفْتَحَ ، فَقِيلَ : مَنْ هذَا ؟ قالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قالَ : نَعَمْ ، قيلَ : مَرْحَباً بِهِ فَنِعْمَ المَجِئُ جاءَ ، فَفَتَحَ ، فَلَما خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ فَقَالَ : هذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ السَّلَامَ ، ثُمَّ قالَ : مَرْحَباً بِالابْنِ الصَّالِحِ ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ . ثُمَّ صَعِدَ بى حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَاسْتَفْتَحَ ، قِيلَ : مَنْ هذَا ؟ قالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قالَ : نَعَمْ ، قِيلَ : مَرْحَباً بِهِ فَنِعْمَ المَجِئُ جاءَ ، فَفَتَحَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يَحْيَى وَعِيسى وَهُمَا ٱبْنَا الخَالَةِ ، قالَ : هذَا يَحْيَى وَعِيسى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا ، فَسَلَّمْتُ ، فَرَدَّا ، ثُمَّ قالَا : مَرْحَباً بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ . ثُمَّ صَعِدَ بى إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ ، قِيلَ : مَنْ هذَا ؟ قالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قالَ : نَعَمْ ، قِيلَ : مَرْحَباً بِهِ فَنِعْمَ المَجِئُ جاءَ ، فَفُتِحَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ ، قالَ : هذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ ، ثُمَّ قالَ : مَرْحَباً بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ . ثُمَّ صَعِدَ بى حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ

قِيلَ : مَنْ هذَا ؟ قالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قالَ : نَعَمْ ، قِيلَ : مَرْحَباً بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جاءَ فَفُتِحَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا إِدْرِيسُ ، قالَ : هذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ ، ثُمَّ قالَ : مَرْحَباً بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ ، قِيلَ : مَنْ هذَا ؟ قالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قالَ : مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم ، قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قالَ : نَعَمْ ، قِيلَ : مَرْحَباً بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جاءَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونَ ، قالَ : هذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ ، ثُمَّ قالَ : مَرْحَباً بِالْأَخِ الصَّالِحِ والنَّبِيِّ الصَّالِحِ . ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ ، قِيلَ : مَنْ هذَا ؟ قالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : مَنْ مَعَكَ ؟ قالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قالَ : نَعَمْ ، قالَ : مَرْحَباً بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جاءَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسى ، قالَ : هذَا مُوسى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ ، ثُمَّ قالَ : مَرْحَباً بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكى ، قيلَ لَهُ : مايُبْكِيكَ ؟ قالَ : أَبْكِي لِأَنَّ غُلَاماً بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي . ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، قِيلَ : مَنْ هذَا ؟ قالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قالَ : نَعَمْ ، قالَ : مَرْحَباً بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جاءَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ ، فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ ، قالَ : هذَا أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ السَّلَامَ ، فَقَالَ : مَرْحَباً بِالابْنِ الصَّالِحِ والنَّبِيِّ الصَّالِحِ ، ثُمَّ رُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ المُنْتَهى ، فَإِذَا نَبِقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيلَةِ ، قالَ : هذِهِ سِدْرَةُ المُنْتَهى ، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ : نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ ، وَنَهْرَان بَاطِنَان ، فَقُلْتُ : ما هذَا

يَاجِبْرِيلُ ؟ قالَ : أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فى الجَنَّةِ ، وأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنيلُ وَالْفُرَاتُ ، ثُمَّ رُفِعَ لِى الْبَيْتُ المَعْمُورُ ، فَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلفَ مَلَكٍ ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ ، وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ ، فَقَالَ : هِىَ الْفِطْرَةُ الَّتِى أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ على مُوسى ، فَقَالَ : بِمَ أُمِرْتَ ؟ قُلْتُ : أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ ، قالَ : إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ ، وَإِنِّى وَاللهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ ، وَعَالَجْتُ بَنِى إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّى عَشْراً ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى ، فَقَالَ مِثْلَهُ ، فَرَجَعْتُ ، فَوَضَعَ عَنِّى عَشْراً ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسى ، فَقَالَ مِثْلَهُ ، فَرَجَعْتُ ، فَوَضَعَ عَنِّى عَشْراً ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسى ، فَقَالَ مِثْلَهُ ، فَرَجَعْتُ ، فَوَضَعَ عَنِّى عَشْراً ، فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ ، فَرَجَعْتُ ، فَقَالَ مِثْلَهُ ، فَرَجَعْتُ ، فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسى ، فَقَالَ : بِمَ أُمِرْتَ ؟ قُلْتُ : أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ ، قالَ : إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ ، وَإِنِّى قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ ، وَعَالَجْتُ بَنِى إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ ، قُلْتُ : سَأَلْتُ رَبِّى حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ وَلكِنْ أَرْضى وَأُسَلِّمُ ، قالَ : فَلَمَّا جاوَزْتُ نَادَانِى مُنَادٍ ، أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِى ، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِى ، وَقَدْ تَقَدَّمَ حَدِيثُ الْإِسْرَاءِ عَنْ أَنَسٍ فى أَوَّلِ كِتَابِ الصَّلَاةِ ، وَفى كُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مالَيْسَ فى الآخَرِ .

(عن مالك بن صعصعة) الأنصارى (رضى الله عنهما) من بنى النجار ماله فى البخارى ولا فى غيره سوى هذا الحديث ، ولا يعرف روى عنه إلا

أنس بن مالك (أن نبي الله صلى الله عليه) وآله (وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به) فيها بضم الهمزة مبنياً للمفعول أنه (قال : بينما أنا) كائن (فى الحطيم) أى فى الحجر (وربما قال فى الحجر) بدل الحطيم ، والشك من قتادة ، وفى بدء الخلق : بينا أنا عند البيت وهو أعم (مضطجعاً إذ أتانى آت) هو جبريل عليه السلام (فقدّ) أى شق طولا (قال) قتادة (وسمعته) أى أنساً (يقول : فشق ما بين هذه إلى هذه ، قال الراوى : من ثغرة نحره) الموضع المنخفض بين الترقوتين (إلى نعرته) عانته أو منبت شعرها . وفى رواية مسلم : إلى أسفل بطنه . وفى بدء الخلق : من النحر إلى مراق بطنه (فاستخرج قلبى ، ثم أتيت بطست من ذهب) قبل تحريم استعماله فى هذه الشريعة ، ولا يقال : إن المستعمل ممن لم يحرم عليه ذلك من الملائكة ، لأنه لو كان قد حرم عليه استعماله لنزه أن يستعمله غيره فى أمر يتعلق ببدنه المكرم ، ويمكن أن يقال: إن تحريم استعماله مخصوص بأحوال الدنيا ، وما وقع فى تلك الليلة كان الغالب إنه من أحوال الغيب فيلحق بأحكام الآخرة . قال فى الفتح : خص الطست لكونه أشهر آلات الغسل عرفاً ، والذهب لكونه أغلى أنواع الأوانى الحسية وأصفاها ولأن فيه خواص ليست لغيره ، ويظهر لها هنا مناسبات ، منها أنه من أوانى الجنة ، ومنها أنه لا تأكله النار ولا التراب ولا يلحقه الصدأ ، ومنها أنه أثقل الجواهر فناسب ثقل الوحى . وقال السهيلى وغيره إن نظر إلى لفظ الذهب ناسب من جهة إذهاب الرجس عنه ، ولكونه وقع عند الذهاب إلى ربه ، وإن نظر إلى معناه فلوضاءته وبقائه وصفائه ولثقله ورسوبته والوحى ثقيل . قال تعالى : « إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا » . « ومن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون » ولأنه أعز الأشياء فى الدنيا ، والقرآن هو الكتاب العزيز (مملوءة إيماناً) قال النووى : إن الطست كان فيها شيء يحصل به زيادة فى كمال الإيمان وكمال الحكمة ، وهذا الملء يحتمل أن يكون على حقيقته وتجسيد المعانى جائز ، كما جاء إن سورة البقرة تجيء يوم القيامة كأنها ظلة ، والموت فى صورة كبش ، وكذلك وزن الأعمال وغير ذلك من أحوال الغيب . وقال البيضاوى : لعل ذلك من باب التمثيل ، إذ تمثيل المعانى قد وقع كثيراً كما مثلت له الجنة والنار فى عرض الحائط ، وفائدته كشف المعنوى بالمحسوس . وقال ابن أبى جمرة : فيه أن الحكمة ليس بعد الإيمان أجل منها ، ولذلك قرنت معه ،

ويؤيده قوله تعالى : « ومن يؤت الحكمة فقد أُوتى خيراً كثيراً » . وأصح ما قيل فى الحكمة أنها وضع الشىء فى محله أو الفهم فى كتاب الله ، وعلى التفسير الثانى قد توجد الحكمة دون الإيمان ، وقد لاتوجد ، وعلى الأول فقد يتلازمان ، لأن الإيمان يدل على الحكمة (فغسل قلبى) فى رواية مسلم : فاستخرج قلبى فغسل بماء زمزم . وفيه فضيلة ماء زمزم على جميع المياه ، وفيه تقوية القلب . قال ابن أبى جمرة : وإنما لم يغسل بماء الجنة لما اجتمع فى زمزم من كون أصل مائها من الجنة ثم استقر فى الأرض ، فأريد بذلك بقاء بركة النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الأرض . وقال السهيلى : لما كانت زمزم هزمة جبريل روح القدس لأم إسماعيل جد النبى صلى الله عليه وآله وسلم ناسب أن يغسل بمائها عند دخوله حضرة القدس ومناجاته . قال فى الفتح : ومن المناسبات المستبعدة قول بعضهم : إن الطست يناسب « طس تلك آيات القرآن » . انتهى . وعندى أن هذه المناسبات المذكورة كلها ظن وتخمين وتكلف وبعد وتأويل ، والله أعلم بحكمته ومراده بذلك ، ولا سبيل للعقل إلى إدراك حقائق تلك الأمور (ثم حشى) أى إيماناً وحكمة . وفى الصلاة : ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيماناً فأفرغه فى صدرى ثم أطبقه . وفى رواية شريك : فحشى به صدره ولغاديده ، أى عروق حلقه (ثم أعيد) موضعه من الصدر المقدس . وقد أنكر القاضى عياض شق الصدر المقدس ليلة الإسراء وقال : إنما كان ذلك وهو صغير فى بنى سعد عند مرضعته حليمة . قال فى الفتح : ولا إنكار فى ذلك ، فقد تواردت الروايات به وثبت شق الصدر أيضاً عند البعثة ، كما أخرجه أبو نعيم فى الدلائل ، ولكل منهما حكمة ، فالأول وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم من حديث أنس فأخرج علقة فقال : هذا حظ الشيطان منك ، وكان هذا فى زمن الطفولية ، أى عند حليمة ، فنشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان ، ثم وقع شق الصدر عند البعث زيادة فى إكرامه ليتلقى مايوحى إليه بقلب قوى فى أكمل الأحوال من التطهير ، ثم وقع شق الصدر عند إرادة العروج إلى السماء ليتأهب للمناجاة ، ويحتمل أن تكون الحكمة فى هذا الغسل لتقع المبالغة فى الإسباغ بحصول المرة الثالثة ، كما تقرر فى شرعه صلى الله عليه وآله وسلم ، ويحتمل أن تكون الحكمة فى انفراج سقف بيته الإشارة إلى ماسيقع من شق صدره وأنه

سيلتئم بغير معالجة يتضرر بها . قال القسطلانى : روى الطيالسى والحارث فى مسنديهما من حديث عائشة رضى الله عنها أن الشق وقع مرة أخرى عند مجىء جبريل عليه السلام له بالوحى فى غار حراء لزيادة الكرامة وليتلقى الوحى بقلب قوى على أكمل الأحوال من التقديس . انتهى . وفى الفتح : وجميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة ، فلا يستحيل شىء من ذلك . قال القرطبى فى المفهم : لا يلتفت لإنكار الشق ليلة الإسراء لأن رواته ثقات مشاهير ، ثم ذكر نحو ما تقدم ، وقد اشتملت هذه القصة من خوارق العادة على ما يدهش سامعه فضلا عن مشاهدته ، فقد جرت العادة بأن من شق بطنه وأخرج قلبه يموت لامحالة ، ومع ذلك فلم يؤثر فيه ذلك ضرراً ولا وجعاً ، فضلا عن غير ذلك . قال ابن أبى جمرة : الحكمة فى شق بطنه مع القدرة على أن يمتلىء قلبه إيماناً وحكمة بغير شق الزيادة فى قوة اليقين ، لأنه أعطى برؤية شـق بطنه وعدم تأثره بذلك ما أمن معه من جميع المخاوف العادية ، فلذلك كان أشجع الناس وأعلاهم حالا ومقالا ، ولذلك وصف بقوله تعالى : « ما زاغ البصر وما طغى » . قال القسطلانى : سبيلنا الإيمان به والتسليم من غير أن نتكلف إلى التوفيق بين المنقول والمعقول للتبرى مما يتوهم أنه محال من شـق البطن وإخراج القلب المؤدّيين إلى الموت لامحالة ونحن بحمد الله لا نرى العدول عن الحقيقة إلى المجاز فى خبر الصادق إلا فى الأمر المحال على القدرة . انتهى . واختلف هل كان شق صدره وغسله مختصاً به أو وقع لغيره من الأنبياء . وقد وقع عند الطبرى فى قصة تابوت بنى إسرائيل أنه كان فيه الطست التى يغسل فيها قلوب الأنبياء ، وهذا مشعر بالمشاركة (ثم أُتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض) اللون . وعند الثعلبى بسند ضعيف من حديث ابن عباس : لها خد كخد الإنسان وعرف كالفرس وقوائم كالإبل وأظلاف وذنب كالبقر ، وكأن صدره ياقوتة حمراء . قيل : الحكمة فى الإسراء به راكباً مع القدرة على طىّ الأرض له إشارة إلى أن ذلك وقع تأنيساً له بالعادة فى مقام خرق العادة ، لأن العادة جرت بأن الملك إذا استدعى من يختص به بعث إليه ما يركبه . والحكمة فى كونه بهذه الصفة الإشارة إلى أن الركوب كان فى سلم وأمن لا فى حرب وخوف ،

أو لإظهار المعجزة بوقوع الإسراع الشديد بدابة لا توصف بذلك فى العادة (قال الراوى : وهو البراق) بضم الموحدة وتخفيف الراء ، مشتق من البريق ، فقد جاء فى لونه أنه أبيض ، أو من البرق لأنه وصف بسرعة ، ويحتمل أن لايكون مشتقاً . كذا فى الفتح (يضع خطوه) بفتح المعجمة (عند أقصى طرفه) أى عند منتهى ما يرى بصره ، وهو يدل على أنه كان يمشى على وجه الأرض . وروى ابن سعد عن الواقدى بأسانيده : له جناحان . قال الحافظ فى الفتح : ولم أرها لغيره . انتهى . ولعله يشعر بأنه يطير بين السماء والأرض . وفى حديث ابن مسعود عند أبى يعلى والبزار : إذا أتى على جبل ارتفعت رجلاه وإذا هبط ارتفعت يداه . قال الحافظ : ويؤخذ من ترك تسمية سير البراق طيراناً أن الله إذا أكرم عبداً بتسهيل الطريق له حتى قطع المسافة الطويلة فى الزمن اليسير أن لا يخرج بذلك عن اسم السفر ويجرى عليه أحكامه . قال ابن أبى جمرة : خص البراق بذلك إشارة إلى الاختصاص به لأنه لم ينقل أن أحداً ملكه بخلاف غير جنسه من الدواب ، قال : والقدرة كانت صالحة لأن يصعد بنفسه من غير براق ، لكن ركوب البراق كان زيادة له فى تشريفه ، لأنه لو صعد بنفسه كان فى صورة ماش ، والراكب أعز من الماشى (فحملت عليه) مبنياً للمفعول . وفى رواية لابن سعد فى شرف المصطفى : فكان الذى أمسك بركابه جبريل وبزمام البراق ميكائيل . وفى رواية معمر عن قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة أسرى به أتى بالبراق مسرجاً ملجماً فاستصعب عليه ، فقال له جبريل : ما حملك على هذا ؟ فوالله ما ركبك خلق قط أكرم على الله منه ، قال : فارفضّ عرقاً . أخرجه الترمذى وقال حسن غريب ، وصححه بن حبان . وذكر ابن إسحق عن قتادة أنه لما شمس وضع جبريل يده على معرفته ، فقال : أما تستحيى . فذكر نحوه مرسلا ، لم يذكر أنساً . وفى رواية وثيمة عن ابن إسحق : فارتعشت حتى لصقت بالأرض فاستويت عليها . وللنسائى وابن مردويه من طريق يزيد بن أبى مالك عن أنس نحوه موصولا ، وزاد : وكانت تسخر للأنبياء قبله . ونحوه فى حديث أبى سعيد عند ابن إسحق . وفيه دلالة على أن البراق كان معداً لركوب الأنبياء ، خلافاً لمن نفى ذلك كابن دحية ، وأول قول جبريل : فما ركبك أكرم على الله منه ، أى ما ركبك قط

فكيف يركبك أكرم منه وقد جزم السهيلى أن البراق إنما استعصب عليه لبعده بركوب الأنبياء قبله . قال النووى : قال الزبيدى فى مختصر العين وتبعه صاحب التحرير : كان الأنبياء يركبون البراق ، قال : وهذا يحتاج إلى نقل صحيح . قال الحافظ : يؤيده ظاهر قوله : فربطته بالحلقة التى تربط بها الأنبياء . ووقع فى المبتدإ لابن إسحق من رواية وثيمة فى ذكر الإسراء : فاستعصب البراق ، وكانت الأنبياء تركبها قبلى ، وكانت بعيدة العهد بركوبهم ، لم تكن تركب فى الفترة ، وفى مغازى ابن عائذ من طريق الزهرى عن سعيد بن المسيب قال : البراق هى الدابة التى كان يزور إبراهيم عليها إسماعيل . وعند أبى يعلى والحاكم من حديث ابن مسعود وفيه : أُتيت بالبراق فركبت خلف جبريل . وفى حديث حذيفة عند الترمذى والنسائى : فما زايلا ظهر البراق . وفى كتاب مكة للفاكهى والأزرقى أن إبراهيم كان يحج على البراق . وفى أوائل الروض للسهيلى أن إبراهيم حمل هاجر على البراق لما سار إلى مكة بها وبولدها . فهذه آثار يشد بعضها بعضاً . وجاءت آثار أخرى تشهد لذلك لم أر الإطالة بها . كذا فى الفتح (فانطلق بى جبريل) وفى رواية بدء الخلق : فانطلقت مع جبريل . ولا مغايرة بينهما ، بخلاف ما نحا إليه بعضهم مع أن رواية بدء الخلق تشعر بأنه ما احتاج إلى جبريل فى العروج ، بل كانا معاً بمنزلة واحدة ، لكن معظم الروايات جاء باللفظ الأول . وفى حديث أبى ذر فى أول الصلاة : ثم أخذ بيدى فعرج بى . قال فى الفتح : والذى يظهر أن جبريل فى تلك الحالة كان دليلا فيما قصد له ، فلذلك جاء سياق الكلام يشعر بذلك (حتى أتى السماء الدنيا) ظاهره أنه استمر على البراق حتى عرج إلى السماء . قال القسطلانى : فيه حذف صرح به البيهقى فى دلائله من حديث أبى سعيد ولفظه : فإذا أنا بدابة كالبغل يقال له البراق ، وكانت الأنبياء تركبه قبلى ، فركبته ثم دخلت أنا وجبريل بيت المقدس فصليت ثم أُتيت بالمعراج . وعند ابن إسحق : ولم أرقط شيئاً أحسن منه ، وهو الذى يمد إليه الميت عينيه إذا احتضر ، فأصعدنى صاحبى فيه حتى انتهى إلى باب من أبواب السماء . وفى رواية كعب : فوضعت له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب حتى عرج هو وجبريل . وعند ابن أبى حاتم من رواية يزيد بن أبى مالك عن أنس : فلم ألبث إلا يسيراً حتى اجتمع ناس كثير ثم أذن مؤذن

فأقيمت الصلاة فأخذ بيدى جبريل فقدمنى فصليت بهم . وعند أحمد من حديث ابن عباس : فلما أتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم المسجد الأقصى قام يصلى فإذا النبيون أجمعون يصلون معه ، والأظهر أن صلاتهم ببيت المقدس كانت قبل العروج ، ثم عرج به إلى السماء الدنيا فى حديث أبى سعيد فى ذكر الأنبياء عند البيهقى إلى باب من أبواب الدنيا يقال له باب الحفظة وعليه ملك يقال له إسماعيل تحت يده اثنا عشر ألف ملك (فاستفتح) جبريل (فقيل : من هذا) الذى يقرع الباب (قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال) جبريل معى (محمد ، قيل : وقد أُرسل إليه) للعروج به (قال) جبريل (نعم) أُرسل إليه ، وفيه دليل على أن الاسم أولى فى التعريف من الكنية (قيل : مرحباً به) استنبط منه ابن المنير جواز رد السلام بغير لفظ السلام وتعقب بأن قول الملك هذا ليس رداً للسلام فإنه كان قبل أن يفتح الباب ، والسياق يرشد إليه ، وقد نبه على ذلك ابن أبى جمرة ، ووقع هنا أن جبريل قال له عند كل واحد منهم : سلم عليه ، قال : فسلمت عليه فرد على السلام ، وفيه إشارة إلى أنه رآهم قبل ذلك (فنعم المجىء جاء ، ففتح) خازنها الباب (فلما خلصت) بفتح اللام ، أى وصلت (فإذا فيها آدم ، فقال) له جبريل (هذا أبوك آدم فسلم عليه) لأن المار يسلم على القاعد ، وإن كان المار أفضل من القاعد (فسلمت عليه فرد) علىّ (السلام ثم قال) له آدم (مرحباً بالابن الصالح) فيه إشارة إلى افتخاره بأبوّة النبى صلى الله عليه وآله وسلم (والنبى الصالح) قيل : اقتصر الأنبياء على وصفه بهذه الصفة وتواردوا عليها ، لأن الصلاح صفة تشمل خلال الخير ، ولذلك كررها كل منهم عند كل صفة ، والصالح هو الذى يقوم بما يلزمه من حقوق الله وحقوق العباد ، فمن ثم كانت كلمة جامعة لمعانى الخير (ثم صعد) جبريل (حتى أتى السماء الثانية فاستفتح) جبريل بابها (قيل : من هذا) الذى يقرع الباب (قال : جبريل : ومن معك ؟ قال) معى (محمد ، قيل : وقد أُرسل إليه ؟ قال) جبريل (نعم) أُرسل إليه (قيل : مرحباً به فنعم المجىء) الذى (جاء) أو نعم المجىء مجىء (ففتح) الخازن الباب (فلما خلصت إذا يحيى) بن زكريا (وعيسى ابن مريم ، وهما ابنا الخالة) لأن أُم يحيى إيشاع بنت فاقوذ أُخت حنة بنت فاقوذ أُم مريم ، وذلك أن عمران بن ماثان تزوج حنة ، وزكريا تزوج إيشاع ،

فولدت إيشاع يحيي ، وولدت حنة مريم ، فتكون إيشاع خالة مريم وحنة خالة يحيي ، فهما ابنا خالة بهذا الاعتبار ، وليس عمران هذا أبا موسى ، إذ بينهما فيما قيل ألف وثمانمائة سنة . قال ابن السكيت : يقال : ابنا خالة ولا يقال ابنا عمة ، ويقال : ابنا عم ولا يقال ابنا خال . انتهى . حكاه النووى قال الحافظ : ولم يبين سبب ذلك ، والسبب فيه أن ابنى الخالة أم كل منهما خالة الآخر لزوماً بخلاف ابنى العمة (قال) جبريل له صلى الله عليه وآله وسلم (هذا يحيي وعيسى فسلم عليهما ، فسلمت) عليهما (فردا) علىّ السلام (ثم قالا) لى (مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد) جبريل (بى إلى السماء الثالثة فاستفتح) جبريل الباب (قيل) له (من هذا) الذى يستفتح (قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال) جبريل : معى (محمد ، قيل : وقد أُرسل إليه) للعروج به (قال : نعم ، قيل : مرحباً به فنعم المجىء) مجىء (جاء ، ففتح ، فلما خلصت إذا يوسف ، قال) لى جبريل (هذا يوسف فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد) علىّ السلام) ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد بى) جبريل (حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح) جبريل (قيل) له (من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : أو قد أُرسل إليه ؟ قال : نعم) أُرسل إليه (قيل : مرحباً به فنعم المجىء) الذى (جاء ، ففتح ، فلما خلصت إذا إدريس ، قال) جبريل (.هذا إدريس فسلم عليه ، فسلمت غليه ، فرد) علىّ السلام (ثم قال) لى (مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح) فيه رد على النسابة فى قولهم : إن إدريس جد نوح ، وإلا لقال : والابن الصالح ، كما قال آدم (ثم صعد) جبريل (بى حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح) جبريل (قيل) له (من هذا) الذى يستفتح (قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال) جبريل (محمد صلى الله عليه) وآله (وسلم ، قيل : وقد أُرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به فنعم المجىء جاء ، فلما خلصت فإذا هارون ، قال : هذا هارون فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد) السلام علىّ (ثم قال) له (مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد بى) جبريل (حتى أتى السماء السادسة ، فاستفتح) جبريل (قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : من معك ؟ قال) معى (محمد ، قيل : وقد أُرسل إليه ؟ قال : نعم ، قال : مرحباً به فنعم المجىء جاء ، فلما

خلصت فإذا موسى) قال فى المصابيح : إن الفاء فيه وفى « فإذا إبراهيم » زائدة (قال) جبريل (هذا موسى فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد) علىّ السلام (ثم قال) له (مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح ، فلما تجاوزت) أى موسى (بكى ، قيل له : ما يبكيك) يا موسى (قال : أبكى لأن غلاماً) يريد أنه صغير السن بالنسبة إليه ، وقد أنعم الله عليه بما لم ينعم به عليه مع طول عمره (بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر من يدخلها من أمتى) ليس بكاؤه حسداً ، حاشاه الله ، بل أسفاً على ما فاته من الأجر المترتب عليه رفع درجته بسبب ما حصل من أمته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص أجورهم المستلزم ذلك لنقص أجره ، لأن لكل نبى مثل أجر جميع من اتبعه (ثم صعد بى) جبريل (إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم ، قال : مرحباً به فنعم المجىء جاء ، فلما خلصت فإذا إبراهيم) الخليل (قال) جبريل (هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه قال : فسلمت عليه ، فرد السلام ، قال : مرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح) قال فى الفتح : قد توافقت هذه الرواية مع رواية ثابت عن أنس عند مسلم : إن فى الأولى آدم ، وفى الثانية يحيى وعيسى ، وفى الثالثة يوسف ، وفى الرابعة إدريس ، وفى الخامسة هارون ، وفى السادسة موسى ، وفى السابعة إبراهيم . وخالف ذلك الزهرى فى روايته عن أنس عن أبى ذر أنه لم يثبت أسماؤهم ، وقال فيه : وإبراهيم فى السماء السادسة . ووقع فى رواية شريك عن أنس : إن إدريس فى الثالثة ، وهارون فى الرابعة ، وآخر فى الخامسة ، وسياقه يدل على أنه لم يضبط منازلهم أيضاً كما صرح به الزهرى ، ورواية من ضبط أولى ولا سيما مع اتفاق قتادة وثابت ، وقد وافقهما يزيد بن أبى مالك عن أنس ، إلا أنه خالف فى إدريس وهارون فقال : هارون فى الرابعة ، وإدريس فى الخامسة ، ووافقهم أبو سعيد ، إلا أن فى رروايته : يوسف فى الثانية وعيسى ويحيى فى الثالثة ، والأول أثبت . وقد استشكل رؤية الأنبياء فى السموات مع أن أجسادهم مستقرة فى قبورهم بالأرض . وأجيب بأن أرواحهم تشكلت بصور أجسادهم ، أو أحضرت أجسادهم لملاقاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم تلك الليلة تشريفاً له وتكريماً . ويؤيده حديث عبد الرحمن بن هاشم عن أنس ففيه : وبعث

له آدم فمن دونه من الأنبياء فأمهم (ثم رفعت لى) أى لأجلى (سدرة المنتهى) التى ينتهى إليها ما يعرج من الأرض فيقبض منها . وفى رواية : ثم رفعت بسكون العين وضم الفوقية ، وجمع بين الروايتين بأنه رفع إليها وظهرت له كل الظهور حتى اطلع عليها كل الاطلاع (فإذا نبقها) بكسر الموحدة : ثمر السدرة (مثل قلال هجر) بكسر القاف ، وهجر بفتح الهاء والجيم : اسم بلد ، ومراده أن ثمرها فى الكبر كالجرار التى تصنع بها ، وكانت معروفة عند المخاطبين ، فلذا وقع التمثيل بها (وإذا ورقها مثل آذان الفيلة) بكسر الفاء وفتح الياء ، جمع فيل (قال) لى جبريل (هـذه سدرة المنتهى) قال ابن دحية : اختيرت السدرة دون غيرها لأن فيها ثلاثة أوصاف : ظل ممدود وطعام لذيذ ورائحة ذكية ، فكانت بمنزلة الإيمان الذى يجمع القول والعمل والنية ، فالظل بمنزلة العمل ، والطعم بمنزلة النية ، والرائحة بمنزلة القول (وإذا أربعة أنهار) تخرج من أصلها (نهران باطنان ونهران ظاهران ، فقلت : ما هذان يا جبريل؟ قال : أما الباطنان فنهران) يجريان (فى الجنة) ويجريان من أصل سدرة المنتهى ثم يسيران حيث يشاء الله ثم ينزلان إلى الأرض ثم يسيران فيها . وقال مقاتل : الباطنان : السلسبيل والكوثر (وأما الظاهران فالنيل) نهر مصر (والفرات) نهر بغداد . وفى رواية شريك فى التوحيد أنه رأى فى السماء الدنيا نهرين يطردان ، فقال له جبريل : هما النيل والفرات عنصرهما ، والجمع بينهما أنه رأى هذين النهرين عند سدرة المنتهى مع نهرى الجنة ، ورآهما فى السماء الدنيا دون نهرى الجنة ، وأراد بالعنصر امتيازهما بسماء الدنيا . كذا قال ابن دحية . ووقع فى حديث شريك أيضاً : ومضى يرقى فى السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد ، فضرب بيده فإذا هو مسك إذفر ، فقال : ما هذا ياجبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذى خبأ لك ربك . وفى رواية أنس عند ابن أبى حاتم أنه بعدأن رأى إبراهيم قال : ثم انطلق بى على ظهر السماء السابعة حتى انتهى إلى نهر عليه خيام اللؤلؤ والياقوت والزبرجد وعليه طير خضر أنعم طير رأيت ، قال جبريل : هذا الكوثر الذى أعطاك الله ، فإذا فيه آنية الذهب والفضة يجرى على رضراض من الياقوت والزمرد ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن ، قال : فأخذت من آنيته فاغترفت من ذلك الماء فشربت فإذا هو أحلى من العسل وأشد رائحة من المسك . وفى حديث أبى سعيد : فإذا فيها

عين تجرى يقال لها السلسبيل فينشق منها نهران أحدهما الكوثر والآخر يقال له نهر الرحمة . قال فى الفتح : قلت : فيمكن أن يفسر بهما النهران الباطنان المذكوران فى حديث الباب . وكذا روى عن مقاتل قال : الباطنان : السلسبيل والكوثر وأما الحديث الذى أخرجه مسلم بلفظ : سيحان وجيحان والنيل والفرات من أنهار الجنة ، فلا يعارض هذا لأن المراد به أن فى الأرض أربعة أنهار وأصلها من الجنة ، وحينئذ لم يثبت سيحون وجيحون أنهما ينبعان من أصل سدرة المنتهى ، فيمتاز النيل والفرات عليهما بذلك ، وأما الباطنان المذكوران فى حديث الباب فهما غير سيحون وجيحون ، والله أعلم . قال النووى : فى هذا الحديث أن أصل النيل والفرات من الجنة وأنهما يخرجان من أصل سدرة المنتهى ثم يسيران حيث شاء الله ثم ينزلان إلى الأرض ثم يسيران فيها ثم يخرجان منها ، وهذا لا يمنعه العقل ، وقد شهد به ظاهر الخبر ، فليعتمد . وأما قول عياض : إن الحديث يدل على أصل سدرة المنتهى فى الأرض لكونه قال إن النيل والفرات يخرجان من أصلها ، وهما بالمشاهدة يخرجان من الأرض ، فيلزم منه أن يكون أصل السدرة فى الأرض ، وهو متعقب ، فإن المراد بكونهما يخرجان من أصلها غير خروجها بالنبع من الأرض ، والحاصل أن أصلها فى الجنة ، وهما يخرجان أولا من أصلها ثم يسيران إلى أن يستقرا فى الأرض ثم ينبعان . واستدل به على فضيلة ماء النيل والفرات لكون منبعهما من الجنة وكذا سيحان وجيحان . قال القرطبي : لعل ترك ذكرهما فى حديث الإسراء لكونهما ليسا أصلا برأسهما ، وإنما يحتمل أن يتفرعا عن النيل والفرات ، قال : وقيل : إنما أطلق على هذه الأنهار أنها من الجنة تشبيهاً لها بأنهار الجنة لما فيها من شدة العذوبة والحسن والبركة ، والأول أولى ، والله أعلم .

(ثم رفع لى البيت المعمور) زاد الكشميهنى : يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، وزاد فى بدء الخلق : إذا خرجوا لم يعودوا آخر ما عليهم . كذا وقع مضموماً إلى رواية قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة . قال الحافظ : وقد بينت فى بدء الخلق أنه مدرج ، وذكرت من فصله من رواية قتادة عن الحسن عن أبى هريرة . ووقعت هذه الزيادة أيضاً عند مسلم من طريق ثابت عن أنس . وفيه أيضاً : ثم لا يعودون إليه . واستدل به على أن الملائكة أكثر المخلوقات ، لأنه لا يعرف من جميع العوالم من يتجدد من جنسه فى كل يوم

ألفاً غير ما ثبت عن الملائكة فى هذا الخبر (ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل ، فأخذت اللبن) فشربت منه (فقال) جبريل (هى الفطرة) الإسلامية (التى أنت عليها وأمتك) قال القرطبى : يحتمل أن يكون تسمية اللبن فطرة لأنه أول شىء يدخل بطن المولود ويشق أمعاءه . وفى الأشربة من حديث أبى هريرة رضى الله عنه : ولو أخذت الخمر لغوت أمتك . وعند البيهقى عن أنس : ولو شربت الماء غرقت وغرقت أمتك . وفى مسلم : إن إتيانه بالآنية كان ببيت المقدس قبل المعراج ، ويحتمل أن الآنية عرضت عليه مرتين مرة عند فراغه من الصلاة ببيت المقدس ، ومرة عند وصوله إلى سدرة المنتهى (ثم فرضت) بالبناء للمفعول (علىّ الصلوات خمسين صلاة كل يوم) وزاد فى الصلاة : ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام ، قال ابن حزم : وفى رواية أنس بن مالك قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ففرض الله عز وجل على أمتى خمسين صلاة (فرجعت فمررت على موسى فقال : بما أمرت ؟ قال) نبينا صلى الله عليه وآله وسلم : قلت له (أمرت بخمسين صلاة كل يوم) وليلة (قال) موسى عليه السلام (إن أمتك لا تستطيع) أن تصلى (خمسين صلاة كل يوم) وليلة (وإنى والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك) قال صلى الله عليه وآله وسلم (فرجعت) إلى ربى (فوضع عنى عشراً) من الخمسين (فرجعت إلى موسى) فأخبرته (فقال مثله) إن أمتك لا تستطيع ... إلى آخره (فرجعت فوضع عنى عشراً) من الأربعين (فرجعت إلى موسى ، فقال مثله ، فرجعت فوضع عنى عشراً) من الثلاثين (فرجعت إلى موسى ، فقال مثله ، فرجعت فوضع عنى عشراً ، فأمرت بعشر صلوات كل يوم) وليلة (فرجعت) إلى موسى (فقال) موسى (مثله ، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم) وليلة (فرجعت إلى موسى ، فقال : بما أمرت ؟ قلت : أمرت بخمس صلوات كل يوم ، قال : إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإنى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، قال) صلى الله عليه وآله وسلم : فقلت له (سألت ربى حتى استحييت) فلا أراجع ، فإنى إن رجعت صرت غير راض ولا مسلم (ولكن أرضى وأسلم) قال عليه الصلاة والسلام (فلما جاوزت نادانى مناد : أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى) وهذا من أقوى

ما يستدل به على أنه صلى الله عليه وآله وسلم كلمه ربه ليلة الإسراء بغير واسطة كما قاله فى الفتح (وقد تقدم حديث الإسراء عن أنس فى أول كتاب الصلاة، وفى كل واحد منهما ما ليس فى الآخر) .

قال فى الفتح : وفى الحديث من الفوائد أن للسماء أبواباً حقيقة وحفظة موكلين بها . وفيه إثبات الاستئذان ، وأنه ينبغى لمن يستأذن أن يقول : أنا فلان ، ولا يقتصر على أنا ، لأنه ينافى مطلوب الاستفهام ، وأن المار يسلم على القاعد وإن كان المار أفضل من القاعد . وفيه استحباب تلقى أهل الفضل بالبشر والترحيب والثناء والدعاء ، وجواز مدح الإنسان المأمون عليه الافتتان فى وجهه . وفيه جواز الاستناد إلى القبلة بالظهر وبغيره مأخوذ من استناد إبراهيم إلى البيت المعمور ، وهو كالكعبة فى أنه قبلة من كل جهة . وفيه جواز نسخ الحكم قبل وقوع الفعل . وفيه فضل السير فى الليل على السير بالنهار لما وقع من الإسراء بالليل ، ولذلك كانت أكثر عبادته صلى الله عليه وآله وسلم بالليل ، وكان أكثر سفره صلى الله عليه وآله وسلم بالليل ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم : عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل . وفيه أن التجربة أقوى فى تحصيل المطلوب ، ومن المعرفة الكثيرة يستفاد ذلك من قول موسى للنبى صلى الله عليه وآله وسلم : إنه عالج الناس قبله وجربهم ، ويستفاد منه تحكيم العادة والتنبيه بالأعلى على الأدنى ، لأن من سلف من الأمم كانوا أقوى أبداناً من هذه الأمة . وقد قال موسى فى كلامه : إنه عالجهم على أقل من ذلك فما وافقوه . أشار إلى ذلك ابن أبى جمرة ، قال : ويستفاد منه أن مقام الخلة مقام الرضا والتسليم ، ومقام التكليم مقام الإدلال والانبساط ، ومن ثم استبد موسى بأمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم بطلب التخفيف دون إبراهيم عليه السلام ، مع أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم من الاختصاص بإبراهيم أزيد ماله من موسى لمقام الأبوة ورفعة المنزلة والاتباع فى الملة . وقال غيره : الحكمة فى ذلك ما أشار إليه موسى فى نفس الحديث من سبقه إلى معالجة قومه فى هذه العبادة بعينها ، وأنهم خالفوه وعصوه . وفيه أن الجنة والنار قد خلقتا ، لقوله فى بعض طرقه : عرضت على الجنة والنار . وفيه استحباب الإكثار من سؤال الله تعالى وتكرير الشفاعة عنده لما وقع منه صلى الله عليه وآله وسلم فى إجابة مشورة موسى فى سؤال التخفيف . وفيه فضيلة بذل النصيحة لمن يحتاج إليها وإن لم يستشر الناصح فى ذلك .

الحديث الثالث

عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا فِى قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ » ، قالَ : هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ أُرِيها رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ ، قالَ : وَالشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِى الْقُرْآنِ ، هِيَ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ .

(عن ابن عباس رضى الله عنهما فى) تفسير (قوله تعالى : « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس» قال : هى رؤيا عين أُريها رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ليلة أُسرى به إلى بيت المقدس) إيراد هذا الحديث فى باب المعراج مما يؤيد أن البخارى يرى اتحاد ليلة الإسراء والمعراج ، بخلاف ما فهم عنه من إفراد الترجمتين . قال الحافظ : وقد قدمت أن ترجمته فى أول الصلاة تدل على ذلك حيث قال : فرضت الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الإسراء ، وقدتمسك بكلام ابن عباس هذا من قال : إن الإسراء كان فى المنام ، ومن قال : إنه كان فى اليقظة ، فالأول أخذ من لفظ الرؤيا ، قال : لأن هذا اللفظ مختص برؤيا المنام . وأما من قال بالثانى فمن قوله : أُريها ليلة الإسراء ، والإسراء إنما كان فى اليقظة ، لأنه لو كان مناماً ما كذبه الكفار فيه ولا فيما هو أبعد منه ، وإذا كان ذلك فى اليقظة وكان المعراج فى تلك الليلة تعين أن يكون فى اليقظة أيضاً ، إذ لم يقل أحد أنه نام لما وصل إلى بيت المقدس ثم عرج به وهو نائم ، وإذا كان فى اليقظة فإضافة الرؤيا إلى العين للاحتراز عن رؤيا القلب . وقد أثبت الله تعالى فى القرآن رؤيا القلب فقال : « ما كذب الفؤاد ما رأى» . ورؤيا العين فقال : « مازاغ البصر وما طغى ، لقد رأى » . روى الطبرانى فى الأوسط بإسناد قوى عن ابن عباس قال : رأى محمد ربه مرتين . ومن وجه آخر قال : نظر محمد إلى ربه ، جعل الكلام لموسى والخلة لإبراهيم ، والنظر لمحمد . فإذا تقرر ذلك ظهر أن مراد ابن عباس هنا برؤيا العين المذكورة جميع ما ذكر صلى الله عليه وآله وسلم فى تلك الليلة من الأشياء . وفى ذلك رد لمن قال : المراد بالرؤيا فى هذه

الآية رؤياه صلى الله عليه وآله وسلم أنه دخل المسجد الحرام المشار إليها بقوله تعالى : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق » . قال هذا القائل ، والمراد بقوله : « فتنة الناس » ما وقع من صد المشركين له فى الحديبية عن دخول المسجد الحرام . انتهى . وهذا وإن كان يمكن أن يكون مراد الآية ، لكن الاعتماد فى تفسيرها على ترجمان القرآن أولى ، والله أعلم . واختلف السلف هل رأى ربه فى تلك الليلة أم لا ، على قولين مشهورين . وأنكرت ذلك عائشة وطائفة ، وأثبتها ابن عباس وطائفة (قال) ابن عباس (والشجرة الملعونة فى القرآن ، قال : هى شجرة الزقوم) واختاره ابن جرير لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك ، أى فى الرؤيا والشجرة . فإن قلت : ليس فى القرآن ذكر لعن شجرة الزقوم . أجيب بأن المعنى : والشجرة الملعون آكلوها وهم الكفار ، لأنه قال : « فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون » فوصفت بلعن أهلها على المجاز ، ولأن العرب تقول : لكل طعام مكروه وضار ملعون ، ولأن اللعن هو الإبعاد من الرحمة ، وهى فى أصل الجحيم فى أبعد مكان من الرحمة .

الحديث الرابع

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا قَالَتْ : تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا بِنْتُ سِتٍّ سِنِينَ ، فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ ، فَنَزَلْنَا فى بَنِي الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ ، فَوُعِكْتُ فَتَمَزَّقَ شَعَرِي فَوَفَى جُمَيْمَةً ، فَأَتَتْنِي أُمِّي أُمُّ رُومانَ ، وَإِنِّي لَفِي أُرْجُوحَةٍ وَمَعِي صَوَاحِبُ لِي ، فَصَرَخَتْ بِي ، فَأَتَيْتُهَا لَا أَدْرِي ما تُرِيدُ بِي ، فَأَخَذَتْ بِيَدِي حَتَّى أَوْقَفَتْنِي عَلَى بَابِ الدَّارِ ، وَإِنِّي لَأَنْهَجُ حَتَّى سَكَنَ بَعْضُ نَفَسِي ، ثُمَّ أَخَذَتْ شَيْئاً مِنْ ماءٍ فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي ، ثُمَّ أَدْخَلَتْنِي الدَّارَ فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فى الْبَيْتِ ، فَقُلْنَ : عَلَى الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ وَعلى خَيْرِ طَائِرٍ ، فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِنَّ ، فَأَصْلَحْنَ مِن شَأْنِي ، فَلَمْ يَرُعْنِي إِلاَّ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم ضُحًى ، فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ .

(عن عائشة رضى الله عنها قالت : تزوجنى النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم) أى عقد علىّ (وأنا بنت ست سنين ، فقدمنا المدينة)أنا وأمى أم رومان وأختى أسماء بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأبى بكر رضى الله عنه (فنزلنا فى بنى الحارث بن خزرج ، فوعكت) أى حممت (فتمرق) بالراء المهملة ، أى انتتف (شعرى) وبالزاى بمعنى انقطع (فوفى) أى كثر ، أى فصلت من الوعك ، فتربى شعرى فكثر (جميمة) مصغر الجمة وهى مجتمع شعر الناصية ، ويقال للشعر إذا سقط عن المنكبين : جمة ، وإذا كان إلى شحمة الأذنين : وفرة (فأتتنى أمى أم رومان) زينب الفراسية (وإنى لفى أرجوحة) حبل يشد فى كل من طرفيه خشبة ، فيجلس واحد على طرف وآخر على الآخر ويحركان فيميل أحدهما بالآخر ، نوع من لعب الصغار (ومعى صواحب لى ، فصرخت بى ، فأتيتها لا أدرى ما تريد بى ، فأخذت بيدى حتى أوقفتنى على باب الدار ، وإنى لأنهج) أى أتنفس نفساً عالياً من الإعياء (حتى سكن بعض نفسى ، ثم أخذت شيئاً من ماء فمسحت به وجهى ورأسى ، ثم أدخلتنى الدار فإذا

نسوة من الأنصار) لم أعرف أسماءهن (فى البيت ، فقلن : على الخير والبركة وعلى خير طائر) أى على خير حظ ونصيب (فأسلمتنى إليهن فأصلحن من شأنى ، فلم يرعنى) أى فلم يفجأنى (إلا رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) قد دخل علىّ (ضحى) على غير علم (فأسلمتنى) النسوة الأنصاريات (إليه) وعند أحمد من وجه آخر : فوقفت بى عند الباب حتى سكنت نفسى ... الحديث . وفيه : فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس على سرير وعنده رجال ونساء من الأنصار ، فأجلستنى فى حجره ثم قالت : هؤلاء أهلك يارسول الله ، بارك الله لك فيهم ، فوثب الرجال والنساء . وبنى بى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى بيتنا (وأنا يومئذ بنت تسع سنين) وكان ذلك فى شوال من السنة الأولى أو الثانية . وقولها فى حديث أحمد رضى الله عنه « وبنى بى » يرد قول الجوهرى فى الصحاح : العامة تقول : بنى بأهله . وهو خطأ ، وإنما يقال : بنى على أهله . والأصل فيه أن الداخل على أهله يضرب عليه قبة ليلة الدخول، ثم قيل لكل داخل بأهله : بان . انتهى . وهذا الحديث أخرجه ابن ماجه فى النكاح .

الحديث الخامس

وَعَنْهَا رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ لَهَا : أُرِيتُكِ فى المَنَامِ مَرَّتَيْنِ ، أَرَى أَنَّكِ فى سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ ، وَيُقَالُ هٰذِهِ ٱمْرَأَتُكَ ، فَأَكْشِفُ عَنْهَا فَإِذَا هِيَ أَنْتِ ، فَأَقُولُ : إِنْ يَكُ هٰذَا مِنْ عِنْدِ ٱللهِ يُمْضِهِ .

(وعنها) أى عن عائشة (رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم قال لها : أُريتك) بضم الهمزة (فى المنام مرتين) وفى رواية : ثلاث مرات (أرى أنك فى سرقة) قطعة (من حرير) والمراد أنه يريد صورتها (ويقول) أى جبريل (هذه امرأتك فأكشف) عن وجهك (فإذا هى أنت) أى مثل الصورة التى رأيتها فى المنام ، وهو تشبيه بليغ حيث حذف المضاف وأُقيم المضاف إليه مقامه ، كقوله : كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هى ، أى فإذا الزنبور مثل العقرب ، فحذف الأداة مبالغة ، فحصل التشابه (فأقول : إن يك هذا من عند الله يمضه) بضم أوله . قال القاضى عياض : يحتمل أن يكون ذلك قبل البعثة فلا إشكال فيه ، وإن كان بعدها ففيه ثلاثة احتمالات : التردد هل هى زوجته فى الدنيا والآخرة ، أو فى الآخرة فقط ، أو أنه لفظ شك لا يراد به ظاهره ، وهو نوع من البديع عند أهل البلاغة يسمونه تجاهل العارف ، وسماه بعضهم مزج الشك باليقين ، أو وجه التردد هل هى رؤيا وحى على ظاهرها وحقيقتها ، أو رؤيا وحى لها تعبير ، وكلا الأمرين جائز فى حق الأنبياء . انتهى . قال فى الفتح : الأخير هو المعتمد ، وبه جزم السهيلى عن ابن العربى ، ثم قال : وتعبيره باحتمال غيرها لا أرضاه ، والأول يرده أن السياق يقتضى أنها كانت قد وجدت ، فإن ظاهر قوله : « فإذا هى أنت » يشعر بأنه كان قد رآها وعرفها قبل ذلك ، والواقع أنها ولدت قبل البعثة . ويرد أول الاحتمالات الثلاثة رواية ابن حبان فى آخر حديث الباب : هى زوجتك فى الدنيا والآخرة . والثانى بعيد .

هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم الى المدينة

* (هجرة النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم) *

بإذن الله عز وجل له فى ذلك بقوله : « قل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً » أخرجه الترمذى عن ابن عباس وصححه هو والحاكم ، وذكر الحاكم أن خروجه صلى الله عليه وآله وسلم من مكة كان بعد بيعة العقبة بثلاثة أشهر أو قريباً منها . وقال القسطلانى : وكانت بعد بيعة العقبة بشهرين وبضعة عشر يوماً . انتهى . وذكره ابن إسحاق أيضاً وزاد : خرج أول يوم من ربيع الأول . وكذا جزم به الأموى فى المغازى ، قال : وقدم المدينة لاثنتى عشرة خلت من ربيع الأول . قال فى الفتح : وعلى هذا خرج يوم الخميس (وأصحابه رضى الله عنهم إلى المدينة) فتوجه معه منهم : أبو بكر الصديق وعامر بن فهيرة ، وتوجه قبل ذلك بين العقبتين جماعة منهم ابن أم مكتوم ، ويقال : إن أول من هاجر إلى المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومى زوج أم سلمة ، وذلك أنه أوذى لما رجع من الحبشة ، فعزم على الرجوع إليها ، ثم بلغه قصة الإثنى عشر من الأنصار فتوجه إلى المدينة . ذكر ذلك ابن إسحاق ، وأسند عن أم سلمة أن أبا سلمة أخذها معه فردها قومها فحبسوها سنة ، ثم انطلقت فتوجهت إليه فى قصة طويلة وفيها : فقدم أبو سلمة المدينة بكرة ، وقدم بعده عامر بن ربيعة حليف بنى عدى عشية ، ثم توجه مصعب بن عمير .

الحديث الأول

عَنْ عائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَرَضِيَ عَنْهَا قالَتْ : لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلاَّ وَهُمَا يَدِينَانِ ٱلدِّينَ ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم طَرَفَيِ النَّهارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً ، فَلَمَّا ٱبْتُلِيَ المُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهاجِراً نَحْوَ أَرْضِ الحَبَشَةِ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الْغِمادِ لَقِيَهُ ٱبْنُ ٱلدَّغِنَةِ ، وَهْوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ ، فَقالَ : أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَخرَجَنِى قَوْمِى فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فى الْأَرْضِ وَأَعْبُدَ رَبِّى ، فَقَالَ ٱبْنُ ٱلدَّغِنَةِ : فَإِنَّ مِثْلَكَ لَا يَخْرُجُ وَلا يُخْرَجُ ، إِنَّكَ تَكْسِبُ المَعْدُومَ ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتَقْرِى الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ ، فَأَنَا لَكَ جارٌ ، ارجِعْ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ بِبَلَدِكَ ، فَرَجَعَ وَٱرْتَحَلَ مَعَهُ ٱبْنُ ٱلدَّغِنَةِ ، فَطَافَ ٱبْنُ ٱلدَّغِنَةِ عَشِيَّةً فى أَشْرَافِ قُرَيْش ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ مِثْلُهُ وَلَايُخْرَجُ ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلاً يَكْسِبُ المَعْدُومَ ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ ، وَيَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَيَقْرِى الضَّيْفَ ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ ؟ فَلَمْ تُكَـذِّبْ قُرَيْشٌ بِجِوَارِ ابْنِ الدَّغِنَةِ ، وَقالُوا لِابْنِ ٱلدَّغِنَةِ : مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فى دَارِهِ فَلْيُصَلِّ فِيهَا وَلْيَقْرَأْ ماشَاءَ وَلَا يُؤْذِينَا بِذلِكَ وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِهِ ، فَإِنَّا نَخْشى أَنْ يَفْتِنَ نِساءَنَا وَأَبْنَاءَنَا ، فَقَالَ ذلِكَ ابْنُ الدَّغِنَةِ لِأَبى بَكْرٍ ، فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ بِذلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فى دَارِهِ ، وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِصَلَاتِهِ ، وَلَا يَقْرَأُ فى غَيْرِ دَارِهِ ، ثُمَّ بَدَا لِأَبى بَكْر فَابْتَنَى مَسْجِداً بِفِنَاءِ دَارِهِ ، وَكانَ يُصَلِّى فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، فَيَنْقَذِفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ المُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، وَكانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلاً بَكَّاءً ، لَا يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ ، وَأَفْزَعَ ذلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ المُشْرِكِينَ ، فَأَرْسَلُوا إِلَى ٱبْنِ الدَّغِنَةِ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالُوا : إِنَّا كُنَّا أَجَرْنَا أَبَا بَكْرٍ بِجِوَارِكَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فى دَارِهِ ، فَقَدْ جاوَزَ ذلِكَ ، فَابْتَنَى مَسْجِداً بِفِنَاءِ دَارِهِ ، فَأَعْلَنَ

الصَّلَاةَ وَالقِرَاءَةَ فِيهِ ، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا ، فَانْهَهُ ، فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فى دَارِهِ فَعَلَ ، وَإِنْ أَبى إِلاَّ أَنْ يُعْلِنَ بِذلِكَ ، فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ، فإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ، وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لِأَبى بَكْرٍ الاِسْتِعْلَانَ ، قالَتْ عائِشَةُ : فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ إِلَى أَبى بَكْرٍ ، فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتَ الَّذِى عاقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ ، فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذلِكَ ، وَإِمَّا أَنْ تُرْجِعَ إِلَيَّ ذِمَّتِى ، فَإِنِّى لَا أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّى أُخْفِرْتُ فى رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَإِنِّى أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ ، وَأَرْضى بِجِوَارِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالنَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ ، فَقَالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم لِلْمُسْلِمِينَ : إِنِّى أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ وَهُمَا الحَرَّتَانِ ، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ المَدِينَةِ وَرَجَعَ عامَّةُ مَنْ كانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ إِلَى المَدِينَةِ ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قِبَلَ المَدِينَةِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم: عَلَى رِسْلِكَ فَإِنِّى أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِى ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَهَلْ تَرْجُو ذلِكَ ، بِأَبى أَنْتَ وَأُمى ؟ قالَ نَعَمْ ، فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم لِيَصْحَبَهُ ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ وَهْوَ الخَبْطُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، قالَتْ عائِشَةُ : فَبَيْنَما نَحْنُ يَوْماً جُلُوسٌ فى بَيْتِ أَبى بَكْرٍ فى نَحْرِ الظَّهِيرَةِ ، قالَ قائِلٌ لِأَبى بَكْرٍ : هذَا رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم مُتَقَنِّعاً فى سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينا فِيهَا ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : فِدَاءٌ لَهُ أَبى وَأُمى ، وَاللهِ ماجاءَ بِهِ فى هذِهِ السَّاعَةِ إِلاَّ أَمْرٌ ، قالَتْ عائِشَةُ : فَجَاءَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم فَاسْتَأْذَنَ ، فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ ، فَقَالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم لِأَبى بَكْرٍ : أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ ، بِأَبى أَنْتَ يَا رَسُولَ ٱللهِ ؟ قالَ : فَإِنِّى قَدْ أُذِنَ لِى فى الخُرُوجِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : الصُّحْبَةَ بِأَبى أَنْتَ يَا رَسُولَ ٱللهِ ، قالَ رَسُولُ ٱللهِ

صلى الله عليه وسلم : نَعَمْ ، قالَ أَبو بَكْرٍ : فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ ٱللهِ إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ ، قالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : بِالثَّمَنِ ، قالَتْ عائِشَةُ : فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ ٱلْجِهَازِ ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ ٱلْجِرَابِ ، فَبِذلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ ، قالَتْ : ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَبُو بَكْرٍ بغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ ، فَكَمَنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ ٱللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَهْوَ غُلَامٌ شَابٌّ ثَقِيفٌ لَقِنٌ ، فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِت ، فَلَا يَسْمَعُ أَمْراً يُكْتَادَانِ بِهِ إِلاَّ وَعَاهُ حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ ، وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ ، فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ وَهْوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا حَتَّى يَنْعِقَ بِهَا عامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ ، يَفْعَلُ ذلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ ، وَٱسْتَأْجَرَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلاً مِنْ بَنِي ٱلدِّيلِ ، وَهْوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ ، هَادِياً خِرِّيتاً ، وَٱلْخِرِّيتُ المَاهِرُ بِالهِدَايَةِ قَدْ غَمَسَ حِلْفاً فِي آلِ العَاصِ ابْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ وَهْوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْش فَأَمِنَاهُ ، فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا وَوَاعَدَاهُ غارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلَاثٍ ، وَٱنْطَلَقَ مَعَهُمَا عامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ وَٱلدَّلِيلُ ، فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ ، قالَ سُرَاقَةُ بْنُ جُعْشُمٍ : جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَبِي بَكْرٍ دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِمَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسَرَهُ ، فَبَيْنَمَا أَنَا جالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ فَقَالَ : يَا سُرَاقَةُ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنِفاً أَسْوِدَةً بِالسَّاحِلِ أُرَاهَا مُحَمَّداً وَأَصْحَابَهُ ، قالَ سُرَاقَةُ : فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ ،

فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ ، وَلكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَاناً وَفُلَاناً انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا ، ثُمَّ لَبِثْتُ فى المَجْلِسِ سَاعَةً ، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ ، فَأَمَرْتُ جَارِيَتِى أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِى ، وَهِىَ مِنْ وَرَاءِ أَكَمَةٍ فَتُحَبِّسُهَا عَلَىَّ ، وَأَخَذْتُ رُمْحِى فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ ، فَحَطَطْتُ بِزُجِّهِ الْأَرْضَ وَخَفَضْتُ عالِيَهُ حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِى فَرَكِبْتُهَا فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِى حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ ، فَعَثَرَتْ بِى فَرَسِى ، فَخَرَرْتُ عَنْهَا ، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِى إِلَى كِنَانَتِى فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا أَضُرُّهُمْ أَمْ لَا ، فَخَرَجَ الَّذِى أَكْرَهُ ، فَرَكِبْتُ فَرَسِى وَعَصَيْتُ الْأَزْلَامَ تُقَرِّبُ بِى حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الالْتِفَاتَ سَاخَتْ يَدَا فَرَسِى فى الْأَرْضِ حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ ، فَخَرَرْتُ عَنْهَا ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ ، فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا ، فَلَمَّا ٱسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذْ لِأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ سَاطِعٌ فى السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخانِ فَاسْتَقْسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ فَخَرَجَ الَّذِى أَكْرَهُ ، فَنَادَيْتُهُمْ بِالْأَمانِ ، فَوَقَفُوا ، فَرَكِبْتُ فَرَسِى حَتَّى جِئْتُهُمْ ، وَوَقَعَ فى نَفْسِى حِينَ لَقِيتُ مالَقِيتُ مِنَ الحَبْسِ عَنْهُمْ أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ ٱلدِّيَةَ وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مايُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمْ الزَّادَ وَالمَتَاعَ ، فَلَمْ يَرْزَآنِى وَلَمْ يَسْأَلَانِى إِلَّا أَنْ قالاَ أَخْفِ عَنَّا ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِى كِتَابَ أَمْنٍ ، فَأَمَرَ عامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فى رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم فَلَقِىَ الزُّبَيْرَ فى رَكْبٍ مِنَ المُسْلِمِينَ كانُوا تِجَاراً قافِلِينَ مِنَ الشَّأْمِ ، فَكَسَا الزبَيْرُ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَبَا بَكْرٍ ثِيَابَ بِيضٍ ، وَسَمِعَ المُسْلِمُونَ بِالمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ مَكَّةَ ، فَكانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَداةٍ إِلَى الحَرَّةِ فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ ، فَانْقَلَبُوا يَوْماً بَعْدَ ما أَطَالُوا

ٱنْتِظَارَهُمْ ، فَلَمَّا أَوَوْا إِلَى بُيُوتِهِمْ أَوْفَى رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِهِمْ لِأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فَبَصُرَ بِرَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابِهِ مُبَيَّضِينَ يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ ، فَلَمْ يَمْلِكِ الْيَهُودِيُّ أَنْ قالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ هذَا جَدُّكُمُ الَّذِى تَنْتَظِرُونَ، فَثَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى السِّلَاحِ ، فَتَلَقَّوْا رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم بِظَهْرِ الحَرَّةِ ، فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فى بَنِى عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، وَذلِكَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ ، وَجَلَسَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم صَامِتاً ، فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الْأَنْصَارِ مِمَّنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم يُحَيِّى أَبَا بَكْرٍ حَتَّى أَصَابَتِ الشَّمْسُ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ ، فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم عِنْدَ ذلِكَ ، فَلَبِثَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم فى بَنِى عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً ، وَأَسَّسَ الْمَسْجِدَ الَّذِى أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى ، وَصَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ ، فَسَارَ يَمْشِى مَعَهُ النَّاسُ حَتَّى بَرَكَتْ عِنْدَ مَسْجِدِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم بِالْمَدِينَةِ ، وَهُوَ يُصَلِّى فِيهِ يَوْمَئِذٍ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ مِرْبَداً لِلتَّمْرِ لِسُهَيْلٍ وَسَهْلٍ غُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فى حَجْرِ سَعْدِ بْنِ زُرَارَةَ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ بَرَكَتْ بِهِ راحِلَتُهُ : هذَا إِنْ شَاءَ ٱللهُ الْمَنْزِلُ ، ثُمَّ دَعا رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم الْغُلَامَيْنِ فَسَاوَمَهُمَا بِالْمِرْبَدِ لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِداً ، فَقَالَا : بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ ٱللهِ ، فَأَبَى رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً حَتَّى ٱبْتَاعَهُ مِنْهُمَا ، ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِداً ، وَطَفِقَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبِنَ فى بُنْيَانِهِ وَيَقُولُ وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ :

هذَا ٱلْحِمَالُ لَا حِمَالُ خَيْبَرْ ... هـذَا أَبَرُّ رَبَّنَـا وَأَطْهَرْ

وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنَّ الْأَجْرَ أَجْرُ الآخِرَهْ ... فَارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ

(عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم) أنها (قالت : لم لم أعقل أبوى) أى أبا بكر وأم رومان (قط إلا وهما يدينان الدين) أى دين الإسلام (ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم طرفى النهار بكرة وعشية ، فلما ابتلى المسلمون) بأذى الكفار من قريش بحصرهم بنى هاشم والمطلب فى شعب أبى طالب ، وأذن صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه فى الهجرة إلى الحبشة (خرج أبو بكر) رضى الله عنه (مهاجراً نحو أرض الحبشة) ليلحق من سبقه من المسلمين ممن هاجر إليها . قال فى الفتح : وإن الذين هاجروا إلى الحبشة أولا ساروا إلى جدة ، وهى ساحل مكة ، فركبوا منها البحر إلى الحبشة (حتى بلغ برك الغماد) بكسر الغين وقد تضم : موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن . قاله ابن فارس . وحكى الهمدانى فى أنساب اليمن : هو فى أقصى اليمن والأول أولى . وقال البكرى : فى أقاصى هجر . قيل : هو عند بئر برهوت التى يقال إن أرواح الكفار تكون فيها . انتهى . وقال ابن دريد : هو بقعة فى جهنم . واستبعده بعض المتأخرين ، وقال : القول بأنه موضع باليمن أنسب ، لأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لا يدعوهم إلى جهنم . قال الحافظ : وخفى عليه أن هذا بطريق المبالغة فلا يراد الحقيقة : ثم ظهر لى أن لا تنافى بين القولين ، فيحمل قوله « جهنم » على مجاز المجاورة بناء على القول بأن برهوت مأوى أرواح الكفار وهم أهل النار (لقيه ابن الدغنة) بفتح الدال وكسر المعجمة . وروى بضم الدال ، وهو اسم أمه ، واسمه الحارث بن يزيد كما عند البلاذرى . وحكى السهيلى أن اسمه مالك . ووقع فى شرح الكرمانى أن ابن إسحاق سماه ربيعة بن رفيع ، وهو وهم من الكرمانى ، فإن ربيعة المذكور آخر يقال له ابن الدغنة ، لكنه سلمى ، والمذكور هنا من القارة ، فاختلفا ، وأيضاً السلمى إنما ذكره ابن إسحاق فى غزوة حنين ، وأنه صحابى قتل دريد بن الصمة ، ولم يذكره ابن إسحاق فى قصة الهجرة ، وفى الصحابة ثالث يقال له ابن الدغنة ، لكن اسمه حابس ، وهو كلبى له قصة فى سبب إسلامه ، وأنه رأى شخصاً من الجن فقال له : ياحابس بن دغنة ... فى أبيات . وهو مما يرجح رواية التخفيف . انتهى . كذا فى الفتح . ومعنى الدغنة : المسترخية ، وأصلها الغمامة الكثيرة المطر (وهو سيد القارة) بتخفيف الراء : قبيلة مشهورة من بنى الهون بالضم

ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، وكانوا حلفاء بنى زهرة من قريش ، وكانوا يضرب بهم المثل فى قوة الرمى (فقال) له (أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال) له (أبو بكر : أخرجنى قومى) أى تسببوا فى إخراجى (فأريد أن أسيح فى الأرض وأعبد ربى) ولم يذكر له وجه مقصده لأنه كان كافراً ، وإلا فقد تقدم أنه قصد التوجه إلى أرض الحبشة ، ومن المعلوم أنه لا يصل إليها من الطريق التى قصدها ، حتى يسير فى الأرض وحده زماناً فيصدق أنه سائح ، لكن حقيقة السياحة أن لايقصد موضعاً بعينه يستقر فيه (فقال) له (ابن الدغنة : فإن مثلك يا أبا بكر لايخرج) بفتح أوله ، من الخروج (ولا يخرج) بضم ثم فتح ، من الإخراج (إنك تكسب المعدوم) أى تعطى الناس مما لايجدونه عند غيرك (وتصل الرحم) أى القرابة (وتحمل الكل) الذى لايستقل بأمره أو الثقل (وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق) أى حوادثه ، فوصفه بما وصفت خديجة رضى الله عنها به النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو يدل على عظيم فضل أبى بكر الصديق وإنصافه واشتهاره بالصفات البالغة فى أنواع الكمال (فأنا لك جار) أى مجير ، أمنع من يؤذيك (ارجع واعبد ربك ببلدك) مكة (فرجع) أبو بكر رضى الله عنه (وارتحل معه ابن الدغنة) إلى مكة (فطاف ابن الدغنة عشية فى أشراف قريش فقال لهم : إن أبا بكر لا يخرج مثله) من وطنه باختياره على نية الإقامة فى غيره مع ما فيه من النفع المتعدى لأهل بلده (ولا يخرج) بضم أوله وفتح ثالثه ، أى لايخرجه أحد بغير اختياره لما ذكر . واستنبط بعض المالكية من هذا أن من كانت فيه منفعة متعدية لا يمكن من الانتقال عن البلد إلى غيره بغير ضرورة راجحة (أتخرجون رجلا) استفهام إنكارى (يكسب المعدوم ، ويصل الرحم ، ويحمل الكل ، ويقرى الضيف ، ويعين على نوائب الحق ، فلم تكذب قريش) أى لم ترد عليه قوله فى أمان أبى بكر ، وكل من كذبك فقد رد قولك ، فأطلق التكذيب وأراد لازمه (بجوار ابن الدغنة) بكسر الجيم (وقالوا لابن الدغنة : مر أبا بكر فليعبد ربه فى داره فليصلّ فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك) الذى يقرؤه ويتعبد به (ولا يستعلن به) بل يخفيه (فإنا نخشى أن يفتن) بكسر التاء (نساءنا وأبناءنا ، فقال ذلك) القول الذى قالوه (ابن الدغنة لأبى بكر ، فلبث أبو بكر بذلك) أى مكث على ما شرطوا عليه (يعبد

ربه فى داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ فى غير داره) قال فى الفتح : ولم يقع لى قدر زمان المدة التى أقام فيها أبو بكر على ذلك (ثم بدا لأبى بكر) رضى الله عنه ، أى ظهر له رأى غير الرأى الأول (فابتنى مسجداً بفناء داره) بكسر الفاء والمد ، أى أمامها (وكان يصلى فيه ويقرأُ القرآن) كله أو بعضه (فينقذف) ولأبى ذر : فيتقذف ، أى يتدافعون على أبى بكر فيقذف بعضهم بعضاً فيتساقطون عليه . ويروى : فيتقصف ، أى يزدحمون عليه حتى يسقط بعضهم على بعض فيكاد ينكسر . قال الخطابى : وهو المحفوظ . وللجرجانى : فينقصف ، أى يسقط (عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلا بكاء) كثير البكاء رضى الله عنه (لا يملك عينيه) من رقة قلبه (إذا قرأ القرآن ، فأفزع ذلك) أى أخاف ما فعله أبو بكر من صلاته وقراءته (أشراف قريش من المشركين) على نسائهم وأبنائهم أن يميلوا إلى الإسلام لما يعلمون من رقة قلوبهم (فأرسلوا إلى ابن الدغنة ، فقدم عليهم) أى على قريش من المشركين . ولأبى ذر عن الكشميهنى : فقدم عليه ، أى على أبى بكر رضى الله عنه (فقالوا) أى كفار قريش (إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك) وروى أجزنا ، أى أبحنا . قال فى الفتح : والأول أوجه (على أن يعبد ربه فى داره ، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه ، وأنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا ، فانهه) عن ذلك (فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل وإن أبى) امتنع (إلا أن يعلن بذلك ، فسله أن يرد إليك ذمتك) أى أمانك له (فإنا قد كرهنا أن نخفرك) رباعى من الإخفار ، أى تنقض عهدك ، يقال : خفرة إذا حفظه ، وأخفره إذا غدر به (ولسنا مقرين لأبى بكر الاستعلان) خوفاً على نسائنا وأبنائنا (قالت عائشة : فأتى ابن الدغنة إلى أبى بكر فقال) له (قد علمت الذى عاقدت لك عليه) بتاء المتكلم (فإما أن تقتصر على ذلك) الذى عاقدت لك عليه (وإما أن ترجع إلى) بتشديد الياء (ذمتى) عهدى (فإنى لا أُحب أن تسمع العرب أنى أُخفرت فى رجل عقدت له ، فقال أبو بكر : فإنى أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل) أى بحمايته وأمانه ، وفيه جواز الأخذ بالأشد فى الدين وقوة يقين أبى بكر . قال فى الفتح : فى هذا الفصل من فضائل الصديق أشياء كثيرة قد امتاز بها عمن سواه ظاهرة لمن تأملها (والنبى

صلى الله عليه) وآله (وسلم يومئذ بمكة ، فقال النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم للمسلمين : إنى أُريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان) هذا مدرج فى الخبر وهو من تفسير الزهرى . والحرة : أرض حجارتها سود ، وهذه الرؤيا غير الرؤيا السابقة أول الباب . قال ابن التين : كان صلى الله عليه وآله وسلم أُرى دار الهجرة بصفة تجمع المدينة وغيرها ، ثم أُرى الصفة المختصة بالمدينة فتعينت (فهاجر من هاجر قبل المدينة) أى جهتها (ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة) لما سمعوا استيطان المسلمين بها (وتجهز أبو بكر رضى الله عنه قبل المدينة) أى أراد الخروج طالباً للهجرة جهة المدينة . وفى رواية هشام بن عروة عن أبيه عند ابن حبان : استأذن أبو بكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى الخروج من مكة (فقال له رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : على رسلك) على مهلك . ولابن حبان : فقال : اصبر . والرسل : السير الرفيق (فإنى أرجو أن يؤذن لى) فى الهجرة (فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك) أى الإذن (بأبى أنت) زاد الكشميهنى : وأُمى (قال : نعم) أرجوه (فحبس) أى منع (أبو بكر نفسه) من الهجرة (على رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) أى لأجله (ليصحبه) فى الهجرة (وعلف) أبو بكر (راحلتين) تثنية راحلة من الإبل القوى على السير وحمل الأثقال (كانتا عنده ورق السمر) قال الزهرى (وهو الخبط) ما يخبط بالعصا فيسقط من ورق الشجر (أربعة أشهر) فيه بيان المدة التى كانت بين ابتداء هجرة الصحابة بين العقبة الأولى والثانية ، وهى هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان بينهما شهران وبعض شهر على ما سبق من التحرير (قالت عائشة : فبينما نحن يوماً جلوس فى بيت أبى بكر فى نحر الظهيرة) أول الزوال عند شدة الحر (قال قائل) قال فى المقدمة : يحتمل أن يفسر بعامر بن فهيرة مولى أبى بكر . وفى الطبرانى : إن قائل ذلك أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما (لأبى بكر : هذا رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم متقنعاً) أى مغطياً رأسه (فى ساعة لم يكن يأتينا فيها ، فقال أبو بكر : فداء له أبى وأُمى ، والله ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمر) حدث (قالت عائشة : فجاء رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم فاستأذن) فى الدخول (فأذن له) أبو بكر (فدخل ، فقال النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم لأبى بكر : أخرج من عندك ، فقال أبو بكر :

إنما هم أهلك) يريد عائشة وأمها (بأبى أنت يارسول الله ، قال : فإنى قد أُذن لى فى الخروج ، فقال أبو بكر) أُريد (الصحبة ، بأبى أنت يا رسول الله ، قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : نعم) الصحبة التى تطلبها . زاد ابن إسحاق فى روايته : قالت عائشة : فرأيت أبى يبكى وما كنت أحسب أحداً يبكى من الفرح (قال أبو بكر : فخذ بأبى أنت يارسول الله إحدى راحلتىّ هاتين ، قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : بالثمن) أى لا آخذ إلا بالثمن . وعند الواقدى : أن الثمن كان ثمانمائة وأن الراحلة هى القصواء وأنها كانت من بنى قشير . وعند ابن إسحاق أنها الجدعاء . وزاد : لا أركب بعـــيراً ليس هو لى ، قال : هو لك ، قال : لا ولكن بالثمن الذى ابتعتها به ، قال : أخذتها بكذا وكذا ، قال : قد أخذتها بذلك ، قال : هى لك . وفى حديث أسماء بنت أبى بكر عند الطبرانى : فقال : بثمنها يا أبا بكر فقال : بثمنها إن شئت . وأفاد الواقدى أن الثمن ثمانمائة . ونقل السهيلى فى الروض عن بعض شيوخ المغرب أنه سئل عن امتناعه من أخذ الراحلة مع أن أبا بكر أنفق عليه ماله ، فقال : أحب أن لاتكون هجرته إلا من مال نفسه . قيل : إنها عاشت بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم قليلا ، وماتت فى خلافة أبى بكر ، وكانت مرسلة ترعى بالبقيع (قالت عائشة : فجهزناهما أحث الجهاز) أفعل تفضيل من الحث ، أى أسرعه . وفى رواية : أحب ، والجهاز بفتح الجيم وكسرها : مايحتاج إليه فى السفر ونحوه (وصنعنا لهما سفرة) أى زاداً ، لأن أصل السفرة فى اللغة : الزاد الذى يصنع للمسافر ، ثم استعمل فى وعاء الزاد ، ومثله المزادة للماء ، وكذلك الراوية ، فاستعملت السفرة فى هذا الخبر على أصل اللغة (فى جراب) بكسر الجيم . وعن الواقدى : إنه كان فى السفرة شاة مطبوخة (فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها) بكسر النون : ما يشد به الوسط ، وقيل : هو إزار فيه تكة ، وقيل : ثوب تلبسه المرأة ثم تشدّ وسطها بحبل ثم ترسل الأعلى على الأسفل . قاله الهروى (فربطت به على فم الجراب ، فبذلك سميت ذات النطاقين) والمحفوظ أنها شقت نطاقها نصفين ، فشدت بأحدهما الزاد ، وشدت فم القربة بالآخر . قال الحافظ : فمن قيل لها ذات النطاق وذات النطاقين بالتثنية والإفراد بهذين الاعتبارين . اهـ. (قالت) عائشة (ثم لحق رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم وأبو بكر

بغار فى جبل ثور) وكان خروجهما من مكة يوم الخميس (فكمنا فيه ثلاث ليال) وخرجا منه يوم الاثنين (يبيت) فى الغار (عندهما عبد الله بن أبى بكر) الصديق رضى الله عنه (وهو غلام شاب ثقف) حاذق (لقن) سريع الفهم (فيدلج) يخرج (من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت) بها لشدة رجوعه بغلس (فلايسمع أمراً يكتادان به) يفتعلان من الكيد مبنى للمفعول ، أى يطلب لهما ما فيه المكروه (إلا وعاه) حفظه (حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ، ويرعى) يحفظ (عليهما عامر بن فهيرة) مصغراً (مولى أبى بكر) الصديق (منحة) شاة تحلب إناء بالغداة وإناء بالعشى (من غنم) كانت لأبى بكر رضى الله عنه (فيريحها) أى الشاة أو الغنم (عليهما حين تذهب ساعة من العشاء) كل ليلة فيحلبان ويشربان (فيبيتان فى رسل ، وهو لبن منحتهما) الطرى (ورضيفهما) وهو الموضوع فيه الحجارة المحماة لتذهب وخامته وثقله (حتى ينعق بها) أى يصيح بالغنم ويزجرها . ولأبى ذر : بهما ، أى ليسمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصديق رضى الله عنه صوته إذا زجر غنمه (عامر بن فهيرة بغلس) هو ظلام آخر الليل (يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث) التى أقاما فيها بالغار . وعند ابن عائذ من حديث ابن عباس : فيصبح فى رعيان الناس كبائت فلا يفطن له (واستأجر رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم وأبو بكر رجلا) هو عبد الله ابن أُريقط مصغراً (من بنى الديل ، وهو) أى الرجل الذى استؤجر (من بنى عبد بن عدى) أى ابن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وقيل من بنى عدى بن عمرو (هادياً) يهديهما إلى الطريق (خريتاً) قال الزهرى (والخريت) هو (الماهر بالهداية ، قد غمس حلفاً فى آل العاص بن وائل السهمى) يعنى أنه حليف لهم وأخذ بنصيب من عقدهم ، وكانوا إذا تحالفوا غمسوا أيديهم فى دم أو خلوق أو شىء يكون فيه تلوين ، فيكون ذلك تأكيداً للحلف (وهو) أى الرجل الذى استأجراه (على دين كفار قريش ، فأمناه) أى ائتمناه (فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال) فأتاهما (براحلتيهما صبح ثلاث ، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل) عبد الله بن أُريقط (فأخذ بهم طريق الساحل) وذلك أسفل من عسفان (قال سراقة بن جعشم : جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فى رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم و) فى (أبى بكر دية) أى

مائة ناقة (كل واحد منهما من قتله أو أسره ، فبينما أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مدلج إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال : يا سراقة إني قد رأيت آنفاً أسودة) أشخاصاً (بالساحل أراها) أظنها (محمداً وأصحابه ، قال سراقة : فعرفت أنهم هم ، فقلت له : إنهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً) لم أعرف اسمهما (انطلقوا بأعيننا) أى فى نظرنا معاينة يبتغون ضالة لهم (ثم لبثت فى المجلس ساعة ، ثم قمت فدخلت) منزلى (فأمرت جاريتى) لم يعرف ابن حجر اسمها (أن تخرج بفرسى) وزاد موسى بن عقبة : ثم أخذت قداحى ، أى الأزلام ، فاستقسمت بها ، فخرج الذى أكره لا تضره ، وكنت أرجو أن أرده وآخذ المائة ناقة (وهى من وراء أكمة) رابية مرتفعة (فتحبسها علىّ وأخذت رمحى فخرجت به من ظهر البيت فحطط بزجه الأرض) الحديد الذى فى أسفل الرمح ، أى أمكنت أسفله (وخفضت عاليه) لئلا يظهر بريقه لمن بعد منه فينذر به وينكشف أمره ، لأنه كره أن يتبعه أحد فيشركه فى الجعالة (حتى أتيت فرسى فركبتها ، فرفعتها تقرب بى حتى دنوت منهم ، فعثرت بى فرسى فخررت عنها) عن فرسى (فقمت فأهويت يدى) أى بسطتها (إلى كنانتى) كيس السهام (فاستخرجت منها الأزلام) جمع زلم : أقلام كانوا يكتبون على بعضها « نعم » وعلى بعضها « لا » وكانوا إذا أرادوا أمراً استقسموا بها ، فإذا خرج السهم الذى عليه « نعم » خرجوا وإذا خرج الآخر لم يخرجوا ، ومعنى الاستقسام معرفة قسم الخير والشر (فاستقسمت بها : أضرهم أم لا) طلبت معرفة النفع والضر بالأزلام ، أى التفاؤل (فخرج الذى أكره) لا تضرهم (فركبت فرسى وعصيت الأزلام) أى فلم ألتفت إلى ماخرج من الذى أكره (تقرب بى) فرسى (حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر) رضى الله عنه (يكثر الالتفات ساخت) أى غاصت (يدا فرسى فى الأرض) زاد الطبرانى عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها : لمنخريها (حتى بلغتا الركبتين ، فخررت عنها ثم زجرتها) على القيام (فنهضت فلم تكد تخرج يديهـا) بضم أوله من الأرض (فلما استوت قائمة إذ لأثر يديها عثان) بالعين المهملة المضمومة فمثلثة مفتوحة وبعد الألف نون . دخان من غير نار (ساطع) منتشر فى السماء (مثل الدخان ، فاستقسمت بالأزلام ، فخرج الذى أكره)

لا تضرهم (فناديتهم بالأمان) وعند ابن إسحاق : فناديت القوم : أنا سراقة بن مالك بن جعشم ، انظرونى أكلمكم ، فو الله لا يأتيكم منى شيء تكرهونه (فوقفوا فركبت فرسى حتى جئتهم ، ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فقلت له : إن قومك) قريشاً (قد جعلوا فيك الدية) يدفعونها لمن يقتلك أو يأسرك (وأخبرتهم إخبار مايريد الناس) قريش (بهم) من الحرص على الظفر بهم وغير ذلك (وعرضت عليهم الزاد والمتاع ، فلم يرزآنى) لم ينقصانى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر شيئاً (ولم يسألانى) شيئاً مما معى (إلا أن قال) لى النبي صلى الله عليه وآله وسلم (أخف عنا) أمر من الإخفاء . قال سراقة (فسألته) صلى الله عليه وآله وسلم (أن يكتب لى كتاب أمن) بسكون الميم (فأمر عامر بن فهيرة فكتب فى رقعة من أديم) جلد مدبوغ . زاد ابن إسحاق : فأخذته فجعلته فى كنانتى ثم رجعت (ثم مضى رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) ومن معه إلى جهة مقصده (فلقى الزبير فى ركب من المسلمين كانو تجاراً قافلين) راجعين (من الشام ، فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم وأبا بكر ثياب بياض) وقول الدمياطى : إن الذى كسا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبا بكر إنما هو طلحة بن عبيد الله وكان جائياً من الشام فى عير ، متمسكاً فى ذلك بأن أهل السير لم يذكروا أن الزبير لقى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى طريق الهجرة ، وإنما هو طلحة ، ليس فيه دلالة على ذلك ، فالأولى الجمع بينهما ، وإلا فما فى الصحيح أصح لاسيما والرواية التى فيها طلحة من طريق ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة والتى فى الصحيح من طريق عقيل عن الزهرى عن عروة . وعند ابن أبى شيبة من طريق هشام بن عروة عن أبيه نحورواية أبى الأسود ، فتعين تصحيح القولين ، وحينئذ فيكون كل من الزبير وطلحة كساهما (وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم من مكة فكانوا يغدون) يخرجون (كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حرّ الظهيرة ، فانقلبوا) رجعوا (يوماً بعد ما أطالوا انتظارهم) له (فلما أووا إلى بيوتهم أوفى) أى طلع (رجل من يهود) لم يسم (على أطم) حصن (من آطامهم لأمر ينظر إليه فبصر برسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم وأصحابه مبيضين) عليهم الثياب

البيض . وقال السفاقسي : يحتمل أن يريد متعجلين . قال ابن فارس: يقال : بايض ، أي متعجل (يزول بهم السراب) المرئى فى شدة الحر كأنه ماء حتى إذا جئته لم تجده شيئاً كما قال الله تعالى (فلم يملك اليهودى) نفسه (أن قال بأعلى صوته : يامعاشر العرب هذا جدكم) بالفتح ، أى حظكم وصاحب دولتكم (الذى تنتظرون) السعادة بمجيئه (فثار المسلمون إلى السلاح ، فتلقوا رسول الله صلى الله عليه) وآله (سلم بظهر الحرة) الأرض التى عليها الحجارة السود (فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف) أى ابن مالك بن الأوس ومنازلهم بقباء (وذلك يوم الإثنين) وهذا هو المعتمد ، وشذّ من قال يوم الجمعة ، والأكثر أنه قدم نهاراً . وفى رواية لمسلم : ليلا ، ويجمع بأن القدوم كان آخر الليل فدخل نهاراً (من شهر ربيع الأول) أوله أو لليلتين خلتا منه ، أو لاثنتى عشرة ليلة خلت منه ، أو لثلاث عشرة خلت منه (فقام أبو بكر للناس) يتلقاهم (وجلس رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم صامتاً) ساكناً (فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يحيي أبا بكر) أى يسلم عليه يظنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم (حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فأقبل أبو بكر) رضى الله عنه (حتى ظلل عليه) صلى الله عليه وآله وسلم (بردائه ، فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم عند ذلك ، فلبث رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذى أُسس على التقوى) وهو مسجد قباء عند الجمهور ، وهو ظاهر الآية . وعند مسلم وأحمد والترمذى أنه مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : والحق أن كلا منهما أُسس على التقوى ، والسر فى جوابه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه مسجده رفع توهم أن ذلك خاص بمسجد قباء . اهـ . وبه قال الداودى والسهيلى وغيرهما (وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) أيام مقامه بقباء (ثم ركب راحلته) من قباء يوم الجمعة ، فأدركته الجمعة فى بنى سالم بن عوف (فسار يمشى معه الناس حتى بركت راحلته عند مسجد الرسول صلى الله عليه) وآله (وسلم بالمدينة) وعند سعيد بن منصور : حتى استناخت عند موضع المنبر من المسجد (وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان) موضع المسجد (مربداً)

بكسر الميم (للتمر لسهيل) بالتصغير (وسهل) ابنى رافع بن عمرو (غلامين يتيمين فى حجر أسعد بن زرارة) وكان أسعد من السابقين إلى الإسلام من الأنصار ، وأما أخوه سعد فتأخر إسلامه (فقال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم حين بركت به راحلته : هذا إن شاء الله تعالى المنزل ، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم الغلامين فساومهما بالمربد ، ليتخذه مسجداً ، فقالا : بل نهبه لك يا رسول الله ، فأبى رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما) أى اشتراه (ثم بناه مسجداً ، وطفق رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ينقل معهم اللبن) بفتح اللام وكسر الموحدة : الطوب النيىء (فى بنيانه ويقول) وهو ينقل اللبن (هذا الحمال) أى هذا المحمول من اللبن أبر عند الله وأطهر عند الله (لا حمال خيبر) الذى يحمل منها من التمر والزبيب ونحوهما الذى يغتبط به حاملوه . قال عياض ورواه المستملى : جمال بالجيم ، قال : وله وجه ، والأول أظهر (هذا أبر) أى أبقى ذخراً عند الله عز وجل وأكثر ثواباً وأدوم نفعاً يا (ربنا وأطهر) أى أشد طهارة من حمال خيبر (ويقول :

اللهم إن الأجر أجر الآخره   فارحم الأنصار والمهاجره

فتمثل صلى الله عليه وآله وسلم بشعر رجل من المسلمين لم يسم لى ، هو عبد الله بن رواحة ، قال ابن شهاب الزهرى : ولم يبلغنا فى الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذا البيت ، وتعقب عليه بأنه رجز وليس بشعر ، ولذا يقال لصاحبه راجز لا شاعر وأنه ليس بموزون . قاله فى التنقيح . وبه قال ابن التين . وتعقبه فى المصابيح بأن بين الوجهين تنافياً ، لأن الأول يقتضى تسليم كون الكل موزوناً ضرورة أنه جعله رجزاً ولا بد فيه من وزن خاص ، سواء قلنا هو شعر أم لا ، والثانى مصرح بنفى الوزن ، ولقائل أن يمنع كون الرجز غير شعر وكون قائله غير شاعر ، وهو الصحيح عند العروضيين ، سلمنا أن الرجز ليس شعراً ، لكنا لا نسلم أن قوله :

هذا الحمال لا حمال خيبر   هذا أبر ربنا وأطهر

من بحر الرجز ، وإنما هو من مشطور السريع ، دخله الكشف والخبن .

وأما قوله « ليس بموزون » فإنما يتم فى قوله :

إن الأجر أجــر الآخره   فارحم الأنصار المهاجره   اه .

قال القسطلانى : والممنوع عليـه صلى الله عليه وآله وســلم إنشاء الشعر لا إنشاده . قال فى الفتح : وفى الحـديث جواز قول الشعر وأنواعه خصوصاً الرجز فى الحرب ، والتعاون على سائر الأعمال الشاقة لما فيه من تحريك الهمم وتشجيع النفوس وتحركها على معالجة الأمور الصعبة . اه . وهذا الحديث أخرجه البخارى فى مواضع مختصراً وبتمامه هنا فقط . قاله القسطلانى . وفى الفتح أخرجه المصنف بطوله فى التاريخ الصغير بهذا السند .

الحديث الثانى

عَنْ أَسْمَاءَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا أَنَّهَا حَمَلَتْ بِعَبْدِ ٱللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، قالَتْ: فَخَرَجْتُ وَأَنَا مُتِمٌّ فَأَتَيْتُ المَدِينَةَ ، فَنَزَلْتُ بِقُبَاءَ فَوَلَدْتُهُ بِهَا ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم فَوَضَعْتُهُ فى حَجْرِهِ ، ثُمَّ دَعَا بتَمْرَةٍ فَمَضَغَهَا ، ثُمَّ تَفَلَ فى فِيهِ ، فَكانَ أَوَّلَ شَيْءٍ دَخَلَ جَوْفَهُ رِيقُ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم ، ثُمَّ حَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ ، ثُمَّ دَعَا لَهُ وَبَرَّكَ عَلَيْهِ، وَكانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ وُلِدَ فى الْإِسْلَامِ .

(عن أسماء رضى الله عنها أنها حملت بعبد الله بن الزبير) بن العوام رضى الله عنه بمكة (قالت: فخرجت) من مكة مهاجرة إلى المدينة (وأنا متم) أى وإنى قد أتممت مدة الحمل الغالبة وهى تسعة أشهر (فأتيت المدينة فنزلت بقباء) بالصرف (فولدته بقباء ثم أتيت به) بعبد الله (النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم) بالمدينة (فوضعته فى حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل) رمى من ريقه (فى فيه) أى فى فى عبد الله (فكان أول شىء دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ، ثم حنكه بتمرة) بأن مضغها ودلك بها حنكه (ثم دعا له وبرك عليه) بأن قال : بارك الله فيك، أو اللهم بارك فيه (وكان) عبد الله (أول مولود ولد فى الإسلام) من المهاجرين بالمدينة . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى العقيقة ، ومسلم فى الاستئذان . وأما من ولد بغير المدينة من المهاجرين فقيل : عبد الله بن جعفر بالحبشة ، وأما من الأنصار بالمدينة فكان أول مولود ولد لهم بعد الهجرة مسلمة بن مخلد كما رواه ابن أبى شيبة ، وقيل : النعمان بن بشير . قال فى الفتح : وفى الحديث أن مولد ابن الزبير كان فى السنة الأولى ، وهو المعتمد ، بخلاف ما جزم به الواقدى ومن تبعه بأنه ولد فى السنة الثانية بعد عشرين شهراً من الهجرة . وعند الإسماعيلى من الزيادة بعد قوله « فى الإسلام » : ففرح المسلمون فرحاً شديداً لأن اليهود كانوا يقولون قد سحرناهم حتى لا يولد لهم .

الحديث الثالث

عَنْ أَبِى بَكْرٍ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : كُنْتُ مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم . فى الْغَارِ فَرَفَعْتُ رَأْسِى فَإِذَا أَنَا بِأَقْدَامِ الْقَوْمِ ، فَقُلْتُ : يَارَسُولَ ٱللهِ لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ طَأْطَأَ بَصَرَهُ رَآنَا ، قَالَ : ٱسْكُتْ يَا أَبَا بَكْرٍ ، اثْنَانِ ٱللهُ ثالِثُهُمَا .

(عن أبى بكر رضى الله عنه قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم فى الغار) بجبل ثور (فرفعت رأسى فإذا أنا بأقدام القوم) كفار قريش (فقلت : يانبى الله لو أن بعضهم طأطأ رأسه) أى أماله إلى تحت (رآنا ، قال : اسكت يا أبا بكر) نحن (اثنان الله ثالثهما) فى معاونتهما وتحصيل مرادهما ، وإلا فهو مع كل اثنين بعلمه ، كما قال تعالى : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم » الآية . وهذا الحديث أخرجه البخارى أيضاً فى مناقب أبى بكر .

الحديث الرابع

عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ : أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَٱبْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ، وَكانَا يُقْرِئَانِ النَّاسَ ، فَقَدِمَ بِلَالٌ وَسَعْدٌ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ ، ، ثُمَّ قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ فى عِشْرِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، ثُمَّ قَدِمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ، فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ المَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى جَعَلَ الْإِمَاءُ يَقُلْنَ : قَدِمَ رَسُولُ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَمَا قَدِمَ حَتَّى قَرَأْتُ : « سَبِّحِ ٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى » فى سُوَرٍ مِنَ المُفَصَّلِ .

(عن البراء) بن عازب (رضى الله عنه قال : أول من قدم علينا) بالمدينة من المهاجرين (مصعب بن عمير) القرشى العبدرى ، ونزل على خبيب ابن عدى كما قاله موسى بن عقبة ، وكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد أمره بالهجرة والإقامة وتعليم من أسلم من أهل المدينة (و) بعده (ابن أُمّ مكتوم) عمرو الأعمى المؤذن بعد مصعب واسم أُمه عاتكة (وكانا يقرئان الناس) القرآن (فقدم بلال) المؤذن ابن رباح وأُمه حمامة مولى أبى بكر الصديق (وسعد) بن أبى وقاص أحد العشرة (وعمار بن ياسر) وقد اختلف فى عمار : هل هاجر الحبشة أم لا ، فإن يكن فهو ممن هاجر الهجرتين (ثم قدم عمر بن الخطاب) رضى الله عنه (فى عشرين من أصحاب النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم) وفى رواية ابن رجاء : فى عشرين راكباً ، وقد سمى ابن إسحاق منهم : زيد بن الخطاب ، وسعيد بن زيد بن عمرو ، وعمرو بن سراقة وأخاه عبد الله ، وواقد بن عبد الله ، وخالداً وإياساً وعامراً وعاقلا بنى البكير ، وخنيس بن حذافة ، وعياش بن أبى ربيعة ، وخولى بن خولى وأخاه هلالا ، كلهم من أقارب عمر وحلفائهم . قال فى الفتح : وكان بقية العشرين من أتباعهم (ثم قدم النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم) وأبو بكر وعامر بن فهيرة ، ونزلوا على كلثوم بن الهدم فيما قاله ابن شهاب فيما حكاه الحاكم ورجحه (فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشىء فرحهم برسول الله صلى الله عليه) وآله

(وسلم حتى جعل الإماء) جمع أمة (يقلن : قدم رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) وعند الحاكم عن أنس رضى الله عنه : فخرجت جوار من بنى النجار يضربن بالدف وهنّ يقلن :

نحن جوار من بنى النجـار يا حبـذا محمد من جـار

وأخرج أبو سعد فى شرف المصطفى . قال فى الفتح : ورويناه فى فوائد الخلعى عن عبيد الله بن عائشة منقطعاً : لما دخل النبى صلى الله عليه وآله وسلم جعلن الولائد يقلن :

طلع البـدر علينـا من ثنيـات الوداع
وجب الشـكر علينا ما دعـا لله داع

وهو سند معضل ، ولعل ذلك كان فى قدومه من غزوة تبوك (فما قدم حتى قرأت) سورة (« سبح اسم ربك الأعلى » فى سور) أخرى معها (من المفصل) وأوله الحجرات كما صححه النووى فى دقائق منهاجه وغيرها . وجزم ابن كثير أن سورة « سبح اسم ربك الأعلى » مكية كلها لحديث الباب . قال فى الفتح : وفيه نظر ، لأن ابن أبى حاتم أخرج من طريق جيدة أن قوله تعالى : « قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى » نزلت فى صلاة العيد وزكاة الفطر . وسنده حسن . وكل منهما شرع فى السنة الثانية ، فيمكن أن يكون نزول هاتين منها وقع بالمدينة . وأقوى منه أن يتقدم نزول السورة كلها بمكة ، ثم بين النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن المراد بـ : « صلى » صلاة العيد ، و« يتزكى » زكاة الفطر ، فإن تأخير البيان عن وقت الخطاب جائز . اهـ .

الحديث الخامس

عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ الحَضْرَمِيِّ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : ثَلَاثٌ لِلْمُهَاجِرِ بَعْدَ الصَّدَرِ .

(عن العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه) اسمه عبد الله بن عمار ، وكان حليف بنى أمية ، وكان العلاء صحابياً جليلا ، ولاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم البحرين ، وكان مجاب الدعوة ، ومات فى خلافة عمر ، وما له فى البخارى إلا هذا الحديث (قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : ثلاث) أى ثلاث ليال ترخص الإقامة فيها (للمهاجر بعد) طواف (الصدر) وهو بعد الرجوع من منى من غير زيادة ، وجوز بعضهم الإقامة بعد الفتح . وهذا الحديث أخرجه مسلم فى الحج . قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : وفقه هذا الحديث أن الإقامة بمكة كانت حراماً على من هاجر منها قبل الفتح ، لكن أُبيح لمن قصدها منهم بحج أو عمرة أن يقيم بعد قضاء نسكه ثلاثة أيام لا يزيد عليها ، ولهذا رثى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لسعد بن خولة إن مات بمكة . ويستنبط من ذلك أن إقامة ثلاثة أيام لا تخرج صاحبها عن حكم المسافر . وفى كلام الداودى اختصاص ذلك بالمهاجرين الأولين ، ولا معنى لتقييده بالأولين . قال النووى : معنى هذا الحديث أن الذين هاجروا يحرم عليهم استيطان مكة . وحكى عياض أنه قول الجمهور ، قال : وأجازه لهم جماعة – يعنى بعد الفتح – فحملوا هذا القول على الزمن الذى كانت الهجرة المذكورة واجبة فيه . قال : واتفق الجميع على أن الهجرة قبل الفتح كانت واجبة عليهم ، وأن سكنى المدينة كان واجباً لنصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومواساته بالنفس ، وأما غير المهاجرين فيجوز له سكنى أى بلد أراد ، سواء مكة وغيرها بالاتفاق . اهـ . كلام القاضى . ويستثنى من ذلك من أذن له النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالإقامة فى غير المدينة . واستدل بهذا الحديث على أن طواف الوداع عبادة مستقلة ليس من مناسك الحج ، وهو أصح الوجهين فى المذهب لقوله فى هذا الحديث بعد قضاء نسكه ، لأن طواف الوداع لا إقامة بعده ، ومتى أقام بعده خرج عن كونه طواف

وداع قد سماه قبله قاضياً لمناسكه ، فخرج طواف الوداع عن أن يكون من مناسك الحج . والله أعلم . وقال القرطبي : المراد بهذا الحديث من هاجر من مكة إلى المدينة لنصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا يعنى به من هاجرمن غيرها ، لأنه خرج جواباً عن سؤالهم لما تحرجوا من الإقامة بمكة ، إذ كانوا قد تركوها لله تعالى ، فأجابهم بذلك وأعلمهم أن إقامة الثلاث ليست بإقامة ، قال : والخلاف الذى أشار إليه عياض كان فيمن مضى ، وهل يبنى عليه خلاف فيمن فر بدينه من موضع يخاف أن يفتن فيه فى دينه ، فهل له أن يرجع إليه بعد انقضاء تلك الفتنة ، يمكن أن يقال : إن كان تركها لله تعالى كما فعله المهاجرون فليس له أن يرجع لشيء من ذلك ، وإن كان تركها فراراً بدينه ليسلم له ، ولم يقصد تركها لذاتها ، فله الرجوع إلى ذلك . اه . وهو حسن متجه ، إلا أنه خص ذلك بمن ترك رباعاً أو دوراً ، ولا حاجة إلى تخصيص المسألة بذلك ، والله أعلم .

الحديث السادس

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ :
لَوْ آمَنَ بِي عَشْرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ لآمَنَ بِي الْيَهُود.

(عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : لو آمن بى عشرة من اليهود لآمن بى اليهود) كلهم . وعند الإسماعيلى : لم يبق يهودى إلا أسلم . وزاد أبو سعد فى شرف المصطفى : قال كعب : هم الذين سماهم الله فى سورة المائدة ، وعلى هذا المراد عشرة مختصة وإلا فقد آمن به أكثر من عشرة . وقيل المعنى :لو آمن بى فى الزمان الماضى كالزمن الذى قبل قدوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة أو حال قدومه . قال الحافظ : والذى يظهر أنهم كانوا حينئذ رؤساء فى اليهود ومن عداهم كان تبعاً لهم ، فلم يسلم منهم إلا القليل ، كعبد الله بن سلام ، وكان من المشهورين بالرياسة فى اليهود عند قدوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن بنى النضير : أبوياسر ابن أخطب وأخوه حيي بن أخطب ، وكعب بن الأشرف ، ورافع بن أبي الحقيق ، ومن بنى قينقاع : عبد الله بن حنيف ، وفنحاص ، ورفاعة ابن زيد ، ومن قريظة : الزبير بن باطيا ، وكعب بن أسد ، وشمويل بن زيد ، فهؤلاء لم يثبت إسلام أحد منهم ، وكان كل منهم رئيساً فى اليهود ، ولو أسلم لاتبعه جماعة منهم ، فيحتمل أن يكونوا المراد . وقد روى أبو نعيم فى الدلائل من وجه آخر الحديث بلفظ : لو آمن بى الزبير بن باطيا وذووه من رؤساء يهود لأسلموا كلهم . وأغرب السهيلى فقال : لم يسلم من أحبار يهود إلا اثنان ، يعنى عبد الله بن سلام وعبد الله بن صوريا ، كذا قال ، ولم أر لعبد الله ابن صوريا إسلاماً من طريق صحيحه ، وإنما نسبه السهيلى فى موضع آخر لتفسير النقاش . ووقع عند ابن حبان قصة إسلام جماعة من الأحبار كزيد بن سعيد مطولا . وروى البيهقى أن يهودياً سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ سورة يوسف فجاء ومعه نفر من اليهود فأسلموا كلهم ، لكن يحتمل أن

لا يكونوا أحباراً . وأخرج يحيي بن سلام فى تفسيره من وجه آخر عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة هذا الحديث ، فقال : قال كعب : إنما الحديث اثنا عشر ، لقول الله تعالى : « وبعثنا منهم اثنى عشر نقيباً » . فسكت أبو هريرة . قال ابن سيرين : أبو هريرة عندنا أولى من كعب . قال يحيي بن سلام : وكعب أيضاً صدوق ، لأن المعنى عشرة بعد الاثنين ، وهما عبد الله ابن سلام ومخيريق . كذا قال ، وهو معنوى . اه .

كتاب المغـــازى

غزوة العشيرة

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قِيلَ لَهُ : كَمْ غَزَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مِنْ غَزْوَةٍ ؟ قالَ تِسْعَ عَشْرَةَ ، قِيلَ كَمْ غَزَوْتَ أَنْتَ مَعَهُ ؟ قالَ سَبْعَ عَشْرَةَ ، قِيلَ : فَأَيُّهُمْ كانَتْ أَوَّلَ ؟ قالَ الْعُسَيْرَةُ أَوِ الْعُشَيْرُ .

---

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

* (كتاب المغازى) *

قال فى القاموس : غزاه غزواً : أراده وطلبه كاغتزاه . والعدو سار إلى قتالهم وانتهابهم غزواً وغزواناً وغزاوة ، وهو غاز ، الجمع غزا ، وغزى كدلى ، والغزى كغنى : اسم جمع ، وأغزاه : حمله عليه كغزاه . ومغزى الكلام : مقصده . والمغازى : مناقب الغزاة . وغزوى كذا : قصدى . وقال غيره : المغازى : جمع مغزى . والمغزى يصلح أن يكون مصدراً ، تقول : غزا يغزو غزواً ومغزى ومغزاة ، ويصلح أن يكون موضع الغزو ، ولكن كونه مصدراً متعين هنا ، والمراد هنا ما وقع من قصد النبى صلى الله عليه وآله وسلم الكفار بنفسه أو بجيش من قبله وقصدهم أعمّ من أن يكون إلى بلادهم أو إلى الأماكن التى حلوها حتى دخل ، مثل أُحد والخندق .

* (غزوة العشيرة) *

بضم العين المهملة وفتح الشين المعجمة ، أو العسيرة .

(عن زيد بن أرقم رضى الله عنه ، قيل له) القائل له هو أبو إسحاق السبيعى (كم غزا النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم من غزوة ؟ قال : تسع عشرة) غزوة خرج فيها بنفسه الشريفة وذاته الكريمة ، سواء قاتل أم لم يقاتل ، لكن روى أبو يعلى بإسناد صحيح من طريق أبى الزبير عن جابر رضى الله عنه أن عدد غزواته صلى الله عليه وآله وسلم إحدى وعشرون غزوة وإسناده صحيح ،

وأصله فى مسلم ، فعلى هذا فات زيد بن أرقم ذكر ثنتين منها، ولعلهما الأبواء وبواط ، وكأن ذلك خفى عليه لصغره . قال الحافظ : ويؤيد ماقلته ما فى مسلم بلفظ : قلت : ما أول غزوة غزاها ؟قال : ذات العشير أو العسيرة . ا هـ . والعشير هى الثالثة . وأما قول ابن التين : يحمل قول زيد بن أرقم على أن العشيرة أول ما غزا هو ، أى زيد بن أرقم ، والتقدير : فقلت : ما أول غزوة غزاها ، أى وأنت معه ، وهو محتمل أيضاً ، ويكون قد خفى عليه ثنتان مما بعد ذلك ، أو عد الغزوتين واحدة ، فقد قال موسى بن عقبة : قاتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه فى ثمان : بدر ثم أُحد ثم الأحزاب ثم المصطلق ثم خيبر ثم مكة ثم حنين ثم الطائف . اهـ . وأهمل عدّ قريظة لأنه ضمها إلى الأحزاب لكونها كانت فى أثرها ، وأفردها غيره لكونها وقعت منفردة بعد هزيمة الأحزاب ، وكذا وقع لغيره ، عدّ الطائف وحنين واحدة لتقاربهما. فيجتمع على هذا قول زيد وقول جابر . وقد توسع ابن سعد فبلغ عدد المغازى التى خرج فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه سبعاً وعشرين ، وتبع فى ذلك الواقدى ، وهو مطابق لما عده ابن إسحاق ، إلا أنه لم يفرد وادى القرى من خيبر ، أشار إلى ذلك السهيلى وكان الستة الزائدة من هذا القبيل ، وعلى هذا يحمل ما أخرجه عبد الرزاق بإسناد صحيح عن سعيد بن المسيب قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعاً وعشرين . اهـ . وقال الحافظ بن حجر أيضاً : وأما البعوث والسرايا فعد ابن إسحاق ستاً وثلاثين وعدّ الواقدى ثمانياً وأربعين . وحكى ابن الجوزى فى التلقيح ستاً وخمسين : وعدّ المسعودى ستين . وبلغها شيخنا فى نظم السيرة زيادة على التسعين . ووقع عند الحاكم فى الإكليل أنها تزيد على مائة فلعله أراد ضم المغازى إليها (قيل) أى قال أبو إسحاق السبيعى لزيد بن أرقم (كم غزوت أنت معه ؟ قال : سبع عشرة) غزوة (قيل : فأيهم كانت أول) كذا للجميع . قال ابن مالك : والصواب : فأيها أو أيهنّ . ووجهه بعضهم على أن المضاف محذوف . والتقدير : أى فأى غزوتهم . وفى الترمذى : فأيتهنّ . قال فى الفتح : فدل على أن التغيير من البخارى أو من شيخه أو من شيخ شيخه ، حدثه مرة الصواب ، ومرة على غيره إن لم يصح له توجيه (قال : العسيرة أو العشير) بالتصغير فيهما وبالمهملة مع الهاء فى الأولى ، وبالمعجمة بلا هاء فى الثانية .

وقال فى الفتح : الأول بالمعجمة بلا هاء ، والثانية بالمهملة وبالهاء . وقال ابن إسحاق ، أول ما غزا النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأبواء ثم بواط ثم العشيرة . والأبواء : قرية من عمل الفرع ، بينها وبين الجحفة من جهة المدينة ثلاثة وعشرون ميلا ، وهى ودّان ، وكانت فى صفر على رأس اثنى عشر شهراً من مقدمه المدينة . وبواط : جبل من جبال جهينة بقرب ينبع ، وكانت فى ربيع الأول سنة اثنتين . والعشيرة ببطن ينبع ، وكانت فى جمادى الأول سنة اثنتين أيضاً . وذكر الواقدى أن هذه السفرات الثلاث كان عليه السلام يخرج فيها ليلتقى تجار قريش حين يمرون إلى الشام ذهاباً وإياباً ، وبسبب ذلك كانت وقعة بدر ، ولم يقع فى الغزوات الثلاث المذكورة حرب .

قصة غزوة بدر

الحديث الأول

عَنِ ٱبْنِ مَسْعُودٍ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : شَهِدْتُ مِنَ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ مَشْهَداً لَأَنْ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ ، أَتَى النَّبِىّ صلى الله عليه وسلم وَهْوَ يَدْعُو عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، فَقَالَ : لَا نَقُولُ كَمَا قالَ قَوْمُ مُوسى : ٱذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ ، وَلكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمالِكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفَكَ ، ، فَرَأَيْتُ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ .

---

* (قصة غزوة بدر) *

قرية مشهورة نسبت إلى بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة ، كان نزلها ، أو بدر اسم بئر بها ، سميت بذلك لاستدارتها أو لصفاء مائها ، فكان البدر يرى فيها . وحكى الواقدى إنكار ذلك كله عن غير واحد من شيوخ بنى غفار ، وإنما هى ماؤنا ومنازلنا ، وما ملكها أحد يقال له بدر ، وإنما هو علم عليها كغيرها من البلاد .

(عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : شهدت من المقداد بن الأسود) رضى الله عنه (مشهداً) نسب إلى الأسود لأنه كان تبناه فى الجاهلية ، وإلا فاسم أبيه عمرو بن ثعلبة الكندى (لأن أكون صاحبه) أى صاحب المشهد (أحب إلى مما عدل) أى وزن (به) من شىء يقابله من الدنيويات أو الثواب أو أعمّ من ذلك ، والمراد المبالغة فى عظمة ذلك المشهد ، وأنه كان لو خير بين أن يكون صاحبه وبين أن يحصل له ما يقابل ذلك كائناً ما كان لكان حصوله أحب إليه (أتى النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم وهو يدعو على المشركين فقال) يا رسول الله (لانقول كما قال قوم موسى) له (اذهب أنت وربك فقاتلا) قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما (ولكنا نقاتل) عدوك (عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك ، فرأيت النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم أشرق وجهه) أى استنار (وسره) يعنى قول المقداد .

الحديث الثانى

عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : كَانَ عِدَّةُ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم مِمَّنْ شَهِدَ بَدْراً عِدَّةَ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهَرَ بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلاثَمِائَةٍ ، قَالَ الْبَرَاءُ : لَا وَٱللهِ ما جَاوَزَ مَعَهُ النَّهْرَ إِلاَّ مُؤْمِنٌ .

(عن البراء رضى الله عنه قال : كان عدة أصحاب محمد صلى الله عليه) وآله (وسلم ممن شهد بدراً) أى وقعتها (عدّة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر) وهو نهر فلسطين (بضعة عشر وثلثمائة . قال البراء : لا والله ماجاوز معه النهر إلا مؤمن) وإنما حلف تأكيداً للخبر ، وكان طالوت بن قس من ذرية بنيامين بن يعقوب شقيق يوسف عليهما السلام وقصته مذكورة فى القرآن فى البقرة . وذكر أهل العلم بالإخبار أن المراد بالنهر نهر الأردن ، وأن جالوت كان رأس الجبارين ، وأن طالوت وعد من قتل جالوت أن يزوجه ابنته ويقاسمه الملك ، فقتله داود عليه السلام ، فوفى له طالوت ، وعظم قدر داود فى بنى إسرائيل حتى استقل بالمملكة بعد أن كانت نية طالوت تغيرت لداود وهم بقتله فلم يقدر عليه ، فتاب ، وانخلع من الملك ، وخرج مجاهداً هو ومن معه حتى ماتوا كلهم شهداء .

الحديث الثالث

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ يَنْظُرُ ما صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ ، فَانْطَلَقَ ٱبْنُ مَسْعُودٍ فَوَجَدَهُ قَدْ ضَرَبَهُ ٱبْنَا عَفْرَاءَ حَتَّى بَرَدَ ، قالَ : أَأَنْتَ أَبُو جَهْلٍ ؟ قالَ : فَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ ، قالَ : وَهَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ أَوْ رَجُلٍ قَتَلَهُ قَوْمُهُ .

(عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : من ينظر ما صنع أبو جهل ؟ فانطلق ابن مسعود رضى الله عنه فوجده قد ضربه ابنا عفراء) معاذ ومعوذ . وفى مسلم : أن اللذين قتلاه معاذ بن عمرو ابن الجموح ومعاذ بن عفراء ، وهو ابن الحارث ، وعفراء أمه ، وهى ابنة عبيد بن ثعلبة النجارية (حتى برد) أى مات أو صار فى حال من مات ، ولم يبق فيه سوى حركة المذبوح . ويؤيد هذا التفسير الأخير قوله (قال : أأنت أبو جهل) بواو الرفع . ولابن عساكر والأصيلى وأبى ذر عن الحموى والكشميهنى : أبا جهل بالألف بدل الواو على لغة من يثبت الألف فى الأسماء الستة فى كل حال ، أو أنت المصروع يا أبا جهل . وهذا هو المعتمد من جهة الرواية ، فقد صرح إسماعيل بن علية عن سليمان التيمى بأنه هكذا نطق بها أنس ، فكان الرفع من إصلاح بعض الرواة (قال) أنس (فأخذ) ابن مسعود (بلحيته) متشفياً منه بالقول والفعل ، لأنه كان يؤذيه بمكة أشد الأذى (قال) أبو جهل (وهل فوق رجل قتلتموه) أى لا عار على فى قتلكم إياى . قاله النووى (أو) قال هل فوق (رجل قتله قومه) .

الحديث الرابع

عَنْ أَبِى طَلْحَةَ رَضِىَ ٱللّٰهُ عَنْهُ قالَ : إِنَّ نَبِىَّ ٱللّٰهِ صلى الله عليه وسلم أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلاً مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ فَقُذِفُوا فى طوِىٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ مُخْبِثٍ ، وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرْصَةِ ثَلَاثَ لَيَال ، فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرٍ الْيَوْمَ الثَّالِثَ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشُدَّ عَلَيْهَا رَحْلُهَا ، ثُمَّ مَشَى وَتَبِعَهُ أَصْحَابُهُ ، وَقالُوا : مانَرَى يَنْطَلِقُ إِلاَّ لِبَعْضِ حاجَتِهِ حَتَّى قامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِىِّ فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ : يَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ ، وَيَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ ، أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمُ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا ما وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ، قالَ : فَقَالَ عُمَرُ : يَارَسُولَ ٱللّٰهِ ما تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللّٰهِ صلى الله عليه وسلم : وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ .

(عن أبى طلحة) زيد بن طلحة الأنصارى (رضى الله عنه أن نبى الله صلى الله عليه) وآله (وسلم أمر يوم بدر) بعد الفراغ من القتال (بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش) بل كفار ساداتهم وشجعانهم ممن قتله الله تعالى من السبعين . قال فى الفتح : ولم أقف على تسمية هؤلاء جميعهم ، بل ورد تسمية بعضهم ويمكن إكمالهم مما سرده ابن إسحاق من أسماء من قتل من الكفار ببدر بأن يضيف على من كان يذكر منهم بالرياسة ولو بالتبعية لأبيه . وفى حديث البراء : أن قتلى بدر كانوا سبعين ، وكان الذين طرحوا فى القليب الرؤساء منهم من قريش ، وخصوا بالمخاطبة المذكورة لما كان تقدم منهم من المعاندة . اهـ (فقذفوا فى طوى) بئر مطوية مبنية بالحجارة (من أطواء بدر خبيث) غير طيب (مخبث) من أخبث إذا اتخذ أصحاباً خبثاء ، وطرح باقى السبعين فى مواضع أخرى . وعند الواقدى كما نبه عليه فى الفتح أن القليب المذكور كان قد حفره رجل من بنى النار ، فناسب أن يلقى

فيه هؤلاء الكفار (وكان) النبي صلى الله عليه وآله وسلم (إذا ظهر) أى غلب (على قوم أقام بالعرصة) كل موضع واسع لا بناء فيه (ثلاث ليال ، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر) صلى الله عليه وآله وسلم (براحلته فشد عليها رحلها ، ثم مشى وتبعه أصحابه ، وقالوا مانرى) أى نظن (ينطلق) صلى الله عليه وآله وسلم (إلا لبعض حاجته حتى قام على شفة الركى) أى طرف البئر. والركى : البئر قبل أن تطوى ، ويجمع بينه وبين السابق بأنها كانت مطوية فاستهدمت فصارت كالركى (فجعل يناديهم) أى قتلى كفار قريش (بأسمائهم وأسماء آبائهم) توبيخاً لهم (يا فلان بن فلان ، ويا فلان بن فلان) وفى رواية حميد عن أنس عند أحمد وابن إسحاق : فنادى : ياعتبة بن ربيعة ، وياشيبة بن ربيعة ، ويا أُمية بن خلف ، ويا أبا جهل ابن هشام ، فسمى الأربعة ، ولم يكن أُمية بن خلف فى القليب ، لأنه كان ضخماً فانتفخ فألقوا عليه من الحجارة والتراب ما غيبه ، فالظاهر أنه كان قريباً من القليب فناداه مع من نادى من رؤسائهم (أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا) من الثواب (حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم) من العذاب (حقاً ، قال) أبو طلحة (فقال عمر) بن الخطاب رضى الله عنه مستفهماً (يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها ، فقال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : والذى نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم) من القتلى الذين أُلقوا فى القليب ، والمقصود تبكيتهم فى هذه الحالة التى انكشف فيها الغطاء وتعليم أصحابه ، أن الموتى لا يستطيعون المكالمة فقط ، وأما السمع فهو بحاله . قال قتادة بالإسناد السابق : أحياهم الله حتى أسمعهم قوله صلى الله عليه وآله وسلم توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وندماً . قال الحافظ : ومراد قتادة بهذا التأويل الرد على من أنكر أنهم لايسمعون ، كما جاء عن عائشة أنها استدلت بقوله تعالى : « إنك لا تسمع الموتى » . قال الإسماعيلى : كان عند عائشة من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم ما لا مزيد عليه ، لكن لاسبيل إلى رد رواية الثقة إلا بنص مثله يدل على نسيخه أو تخصيصه أو استحالته ، فكيف والجمع بين الذى أنكرته وأثبته غيرها ممكن لأن قوله تعالى : « إنك لاتسمع الموتى » لا ينافى قوله : إنهم الآن يسمعون ، لأن الإسماع هو إبلاغ الصوت من المسمع فى أذان السامع ، فالله تعالى هو الذى

أسمعهم بأن أبلغهم صوت نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وأما جوابها بأنه إنما قال أنهم ليعلمون فإن كانت سمعت ذلك فلا ينافى رواية يسمعون بل يؤيدها وروى الطبرانى من حديث ابن مسعود بإسناد صحيح ومن حديث عبد الله بن شدّاد نحو حديث أبى طلحة وفيه : قالوا : يا رسول الله وهل يسمعون ؟ قال : يسمعون كما تسمعون ، ولكن لا يجيبون . وفى حديث ابن مسعود : ولكنهم اليوم لا يجيبون . ومن الغريب أن فى المغازى لابن إسحاق من رواية يونس بن بكير بإسناد جيد عن عائشة مثل حديث أبى طلحة وفيه : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم. وأخرجه أحمد بإسناد حسن ، فإن كان محفوظاً فكأنها رجعت عن الإنكار لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة لكونها لم تشهد القصة . كذا فى الفتح . وفى الحديث دلالة على سماع الموتى . وكم من حديث يدل عليه ، والبحث طويل .

الحديث الخامس

عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ ، وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْراً ، قالَ : جاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : ما تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ ؟ قالَ : مِنْ أَفْضَلِ المُسْلِمِينَ ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا ، قالَ : وَكَذلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْراً مِنَ المَلَائِكَةِ .

(عن رفاعة بن رافع الزرقى) الأنصارى (وكان ممن شهد بدراً ، قال : جاء جبريل إلى النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم فقال : ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال) النبى صلى الله عليه وآله وسلم (من أفضل المسلمين ، أو) قال (كلمة نحوها ، قال) جبريل عليه السلام (وكذلك من شهد بدراً من الملائكة) من أفضل الملائكة وخيارهم . وعند البخارى فى فضل من شهد بدراً من حديث علىّ فى قصة حاطب بن أبى بلتعة مرفوعاً : لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة ، وقد غفرت لكم . اهـ . وكلمة « لعل » فى كلام الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم للوقوع . وللحديث ألفاظ تدل على أن المراد عدم المؤاخذة بما يصدر منهم بعد ذلك ، وأنهم خصوا بذلك لما حصل لهم من الحال العظيمة التى اقتضت محو ذنوبهم السالفة وتأهلوا لأن تغفر لهم الذنوب اللاحقة إن وقعت ، أى كل ما عملتموه بعد هذه الوقعة من أى عمل كان فهو مغفور . وقيل غير ذلك فى معنى هذا الحديث . وفيه نظر . والذى ذكرته هو المعتمد إن شاء الله تعالى .

الحديث السادس

عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قالَ : قالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ بَدْرٍ : هذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ عَلَيْهِ أَدَاةُ الحَرْبِ .

(عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم يوم بدر : هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب) قال فى الفتح : هذا الحديث من مراسيل الصحابة ، ولعل ابن عباس حمله عن أبى بكر ، فقد ذكر ابن إسحاق أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم خفق خفقة ثم انتبه فقال : أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه الغبار . قال الشيخ تقى الدين السبكى : سئلت عن الحكمة فى قتال الملائكة مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه ، فقلت : وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبى صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وتكون الملائكة مدداً على عادة مدد الجيوش ، رعاية لصورة الأسباب وسنتها التى أجراها الله تعالى فى عباده ، والله تعالى هو فاعل الجميع ، والله أعلم .

الحديث السابع

عَن الزُّبَيْرِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : لَقِيتُ يَوْمَ بَدْرٍ عُبَيْدَةَ بْنَ سَعِيدِ بْن الْعَاصِ وَهْوَ مُدَجَّجٌ لَا يُرَى مِنْهُ إلاَّ عَيْنَاهُ ، وَهْوَ يُكْنَى أَبُو ذَاتِ الْكَرِشِ ، فَقَالَ : أَنَا أَبُو ذَاتِ الْكَرِشِ ، فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ بِالْعَنَزَةِ فَطَعَنْتُهُ فى عَيْنِهِ فَمَاتَ ، قالَ : لَقَدْ وَضَعْتُ رِجْلى عَلَيْهِ ، ثُمَّ تَمَطَّأْتُ ، فَكَانَ الجَهْدَ أَنْ نَزَعْتُهَا وَقَدِ ٱنْثَنَى طَرَفَاهَا ، فَسَأَلَهُ إِيَّاهَا رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم أَخَذَهَا ، ثُمَّ طَلَبَهَا أَبُو بَكْرٍ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا ، فَلَمَّا قُبِضَ أَبُو بَكْرٍ سَأَلَهَا إِيَّاهُ عُمَرُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا ، فَلَمَّا قُبِضَ عُمَرُ أَخَذَهَا ، ثُمَّ طَلَبَهَا عُثْمَانُ مِنْهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا ، فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ وَقَعَتْ عِنْدَ آلِ عَلِيٍّ فَطَلَبَهَا عَبْدُ ٱللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فَكَانَتْ عِنْدَهُ حَتَّى قُتِلَ .

(عن الزبير رضى الله عنه قال : لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج) بالتشديد ، أى مغطى بالسلاح بحيث (لايرى منه إلا عيناه) قال فى القاموس : المدجج : الشاكى السلاح (وهو يكنى أبو ذات الكرش) وهو لذات الظلف والخف ، وهو كل مجتر كالمعدة للإنسان ، ويطلق على العيال والجماعة (فقال : أنا أبو ذات الكرش ، فحملت عليه بالعنزة) كالحربة (فطعنته فى عينه فمات ، قال : لقد وضعت رجلى عليه ثم تمطأت ، فكان الجهد أن نزعتها) أى العنزة (وقد انثنى طرفاها) أى انعطفا (فسأله إياها رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) أى فسأل صلى الله عليه وآله وسلم الزبير أن يعطيه العنزة عارية (فأعطاه إياها) الزبير العنزة عارية (فلما قبض رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم أخذها) الزبير لأنها كانت عارية (ثم طلبها) منه (أبو بكر) الصديق رضى الله عنه عارية (فأعطاه إياها ، فلما قبض أبو بكر سألها إياه عمر) رضى الله عنه عارية (فأعطاه إياها ، فلما قبض عمر أخذها) الزبير (ثم طلبها عثمان منه) عارية (فأعطاه إياها ، فلما قتل عثمان وقعت عند آل على) أى عند علىّ نفسه ، فآل مقحمة ، ثم كانت بعد علىّ عند أولاده (فطلبها عبد الله بن الزبير) من أولاد علىّ (فكانت عنده حتى قتل) والغرض منه قوله : يوم بدر .

الحديث الثامن

عَنِ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالَتْ : دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم غَدَاةَ بُنِيَ عَلَيَّ فَجَلَسَ عَلَى فِرَاشِي كَمَجْلِسُكَ مِنِّى وَجُوَيْرِيَاتٌ يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ يَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِهِنَّ يَوْمَ بَدْرٍ حَتَّى قَالَتْ جارِيَةٌ : وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ ما فى غَدٍ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : لَا تَقُولِى هكَذَا ، وَقُولِى ما كُنْتِ تَقُولِينَ .

(عن الربيع بنت معوذ رضى الله عنها قالت : دخل على النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم غداة بنى علىّ) أى غداة دخل عليها زوجها إياس بن بكير (فجلس على فراشى كمجلسك منى وجويريات يضربن بالدف يندبن) يذكرن (من قتل من آبائهن يوم بدر) بأحسن أوصافهم بما يهيج البكاء والشوق ، وكان قتل أبوها معوذ وعمها عوف أو معاذ ، قتلهما عكرمة بن أبى جهل ، وأطلقت على عملها الأبوة تغليباً (حتى قالت جارية) منهنّ (وفينا نبى يعلم ما) يكون (فى غد ، فقال) لها (النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم : لا تقولى هكذا) فيه كراهية نسبة الغيب للخلق (وقولى ما كنت تقولين) وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى النكاح ، وأبو داود فى الأدب ، والترمذى وابن ماجه فى النكاح .

الحديث التاسع

عَنْ أَبِى طَلْحَةَ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ ـ وَكَانَ قَدْ شَهِدَ بَدْراً مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم ـ أَنَّهُ قالَ : لَا تَدْخُلُ المَلَائِكَةُ بَيْتاً فِيــهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ .

(عن أبى طلحة رضى الله عنه ـ وكان قد شهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ـ أنه قال : لا تدخل الملائكة) غير الحفظة (بيتاً فيه كلب) لا يحل اقتناؤه أو أعم ، قيل : وامتناعهم من الدخول لأكله النجاسة وقبح رائحته (ولا صورة) قال ابن عباس رضى الله عنهما : يريد التماثيل التى فيها الأرواح ، أى لما فيها من مضاهاة الخالق جل وعلا . والجمهور على التحريم ، أما صورة الشجر ورحال الإبل فليس بحرام ، لكن يمنع دخول ملائكة الرحمة ذلك البيت . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى باب بدء الخلق ، وشرحه الحافظ فى الفتح فى باب اللباس ، وأورده هنا لقوله فيه : وكان قد شهد بدراً .

الحديث العاشر

عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قالَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ ، وَكانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَدْ شَهِدَ بَدْراً تُوُفِّيَ بِالمَدِينَةِ ، قالَ عُمَرُ : فَلَقِيتُ عُثْمانَ بْنَ عَفَّانَ ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ ، فَقُلْتُ : إنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ ، قالَ : سَأَنْظُرُ فى أَمْرِى ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ، فَقَالَ : قَدْ بَدَا لِى أَنْ لا أَتَزَوَّجَ يَوْمِى هذَا ، قالَ عُمَرُ : فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ ، فَقُلْتُ : إنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئاً ، فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّى عَلَى عُثْمَانَ ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ، ثُمَّ خَطَبَهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ، فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ ، فَلَقِيَنِى أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ : لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قالَ : فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِى أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ ، إلاَّ أَنِّى قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَدْ ذَكَرَهَا ، فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم ، وَلَوْ تَرَكَهَا لَقَبِلْتُهَا .

(عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : تأيمت حفصة بنت عمر) أى صارت أيماً ، وهى من مات زوجها (من خنيس بن حذافة) بن قيس بن عدى ابن سعد بن سهم بن عمرو القرشى (السهمى ، وكان) خنيس (من أصحاب رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم قد شهد بدراً ، توفى بالمدينة) من جراحة أصابته فى وقعة أُحد . قاله فى الإصابة . وقيل : بل بعد بدر . قال فى الفتح : ولعله أولى ، فإنهم قالوا : إنه صلى الله عليه وآله وسلم تزوجها بعد خمسة وعشرين شهراً من الهجرة . وفى رواية : بعد ثلاثين شهراً . وفى أخرى بعد عشرين شهراً . وكانت أُحد بعد بدر بأكثر من ثلاثين شهراً . وجزم ابن سعد بأنه مات بعد قدومه صلى الله عليه وآله وسلم من بدر . وبه جزم ابن سيد الناس (قال عمر : فلقيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة ، فقلت) له

(إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر ، قال) عثمان (سأنظر) أى أتفكر (فى أمرى ، فلبثت ليالى) أى ثم لقيت عثمان (فقال : قد بدا لى أن لا أتزوج يومى هذا ، قال عمر : فلقيت أبا بكر فقلت) له (إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر ، فصمت أبو بكر) أى سكت (فلم يرجع إلى شيئاً فكنت عليه أوجد) أى أشد موجدة ، أى غضباً (منى على عثمان) أى لكونه أجابه أولا ثم اعتذر له ثانياً ، بخلاف أبى بكر فإنه لم يجبه بشىء . قال فى الفتح : وإنما قال عمر ذلك لما كان لأبى بكر عنده وله عند أبى بكر من مزيد المحبة والمنزلة ، فلذلك كان غضبه أشد من غضبه من عثمان (فلبثت ليالى ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم فأنكحتها إياه ، فلقينى أبو بكر فقال : لعلك وجدت) أى غضبت (على حين عرضت على حفصة فلم أرجع) أى فلم أعد (إليك) جواباً (قلت : نعم ، قال : فإنه لم يمنعنى أن أرجع إليك) جواباً (فيما عرضت) علىّ (إلا أنى قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم قد ذكرها ولم أكن لأفشى سر رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ، ولو تركها لقبلتها) وفيه فضل كتمان السر ، فإذا أظهره صاحبه ارتفع الحرج . وذكر مباحث هذا الحديث الحافظ فى النكاح ، والغرض من ذكره هنا قوله « قد شهد بدراً » وقد أخرجه البخارى أيضاً فى النكاح ، وكذا النسائى .

الحديث الحادى عشر

عَنْ أَبِى مَسْعُودٍ الْبَدْرِىِّ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : الآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا فى لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ .

(عن أبى مسعود البدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما فى ليلة كفتاه) وهما قوله تعالى : « آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه » إلى آخر السورة ، والمعنى : كفتاه من شر الإنس والجن ، أو أغنتاه عن قيام الليل بالقرآن ، والغرض منه إثبات كون أبى مسعود شهد بدراً . واختلف فى شهوده بدراً ، فالأكثر على أنه لم يشهدها ، ولم يذكره محمد بن إسحاق ومن اتبعه من أصحاب المغازى فى البدريين . وقال الواقدى وإبراهيم الحربى : لم يشهد بدراً وإنما نزل بها فنسب إليها ، وكذا قال الإسماعيلى : لم يصح شهود أبى مسعود بدراً وإنما كانت مسكنه ، فقيل له البدرى ، فأشار إلى أن الاستدلال بأنه شهدها بما يقع فى الروايات أنه بدرى ليس بقوى ، لأنه يستلزم أن يقال لكل من شهد بدراً بدرى ، وليس ذلك مطرداً . واختار أبو عبيد القاسم بن سلام أنه شهدها ذكره البغوى فى معجمه عن عمه على بن عبد العزيز عنه . وبذلك جزم ابن الكلبى ومسلم فى الكنى . وقال الطبرانى وأبو أحمد الحاكم : يقال : إنه شهدها . وقال ابن البرقى : لم يذكره ابن إسحاق فى البدريين . وفى غير حديث أنه شهدها . وبه جزم البخارى . قال فى الفتح : والقاعدة أن المثبت مقدم على النافى ، وإنما رجح من نفى شهوده بدراً باعتقاده أن عمدة من أثبت ذلك وصفه بالبدرى ، وأن تلك نسبة إلى نزول بدر لا إلى شهودها ، لكن يضعف ذلك تصريح من صرح منهم بأنه شهدها ، كما فى الحديث الثانى عشر حيث قال فيه : فدخل عليه أبو مسعود عقبة بن عمرو الأنصارى جد زيد بن حسن ، شهد بدراً . انتهى . وهذا الحديث فيه أربعة من التابعين فى نسق ، وكلهم كوفيون . وأخرجه البخارى أيضاً فى فضائل القرآن ، ومسلم وأبو داود فى الصلاة ، والترمذى والنسائى فى فضائل القرآن ، وابن ماجه فى الصلاة .

الحديث الثاني عشر

عَنِ المِقْدَادِ بْنِ عَمْرٍو الْكِنْدِيِّ حَلِيفِ بَنِي زُهْرَةَ ، وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْراً ، قالَ : قُلْتُ لِرَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلاً مِنَ الْكُفَّارِ فَاقْتَتَلْنَا ، فَضَرَبَ إِحْدَى يَدَيَّ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهَا ثُمَّ لَاذَ مِنِّي بشَجَرَةٍ ، فقَالَ : أَسْلَمْتُ للهِ ، آقْتُلُهُ يَارَسُولَ ٱللهِ بَعْدَ أَنْ قالَهَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : لَا تَقْتُلْهُ . قُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ إِنَّهُ قَطَعَ إِحْدَى يَدَيَّ ثُمَّ قالَ ذلِكَ بَعْدَ ماقَطَعَهَا ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : لَا تَقْتُلْهُ ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قبلَ أَنْ تَقْتُلَهُ ، وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قالَ .

(عن المقداد بن عمرو الكندى) بكسر الكاف (وكان حليفاً لبنى زهرة) بضم الزاى (وكان ممن شهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : قلت : يارسول الله أرأيت) أخبرنى (إن لقيت رجلا من الكفار فاقتتلنا فضرب إحدى يدى بالسيف فقطعها ثم لاذ) أى التجأ واحتضن (منى بشجرة فقال : أسلمت لله) أى دخلت فى الإسلام . وعن الزهرى عند مسلم أنه قال : لا إله إلا الله (آقتله يارسول الله بعد أن قالها) أى كلمة أسلمت لله (فقال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : لاتقتله ، فقال : يارسول الله إنه قطع إحدى يدى ثم قال ذلك بعدما قطعها ، فقال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : لاتقتله ، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله) لأنه صار مسلماً معصوم الدم ، قد جب الإسلام ما كان منه من قطع يدك (وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته) أسلمت لله (التى قال) ها ، أى أن دمك صار مباحاً بالقصاص ، كما أن دم الكافر مباح بحق الدين ، فوجه الشبه إباحة الدم وإن كان الموجب مختلفاً ، أو أنك تكون آثماً كما كان هو آثماً فى حال كفره ، فيجمعكما اسم الإثم وإن كان سبب الإثم مختلفاً ، أو المعنى : إن قتلته مستحلا ، وتعقب بأن استحلاله للقتل إنما هو بتأويل كونه أسلم خوفاً من القتل ، ومن ثم لم يوجب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوداً ولا دية ، وإنما ذلك والله أعلم

حيث كان عن اجتهاد ساعده المعنى ، وبين صلى الله عليه وآله وسلم أن من قالها فقد عصم دمه وماله ، وقال : « هلا شققت عن قلبه » إشارة إلى نكتة الجواب . والمعنى والله أعلم : أن هذا الظاهر مضمحل بالنسبة إلى القلب ، لأنه لا يطلع على ما فيه إلا الله ، ولعل هذا أسلم حقيقة وإن كان تحت السيف ، ولا يمكن دفع هذا الاحتمال ، فحيث وجدت الشهادتان حكم بمضمونهما بالنسبة إلى الظاهر ، وأمر الباطن إلى الله تعالى ، فالإقدام على قتل المتلفظ بهما مع احتمال أنه صادق فيما أخبر به عن ضميره فيه ارتكاب ما لعله يكون ظلماً له ، فالكف عن القتل أولى ، والشارع عليه السلام ليس له غرض فى إزهاق الروح بل فى الهداية والإرشاد، فإن تعذرت بكل سبيل تعين إزهاق الروح لزوال مفسدة الكفر من الوجود ، ومع التلفظ بكلمة الحق لم تتعذر الهداية ، حصلت أو تحصل فى المستقبل ، فمادة الفساد الناشىء عن كلمة الكفر قد زالت بانقياده ظاهراً ولم يبق إلا الباطن ، وهو مشكوك ومرجو مآلا، وإن لم يكن حالا فقد لاح من حيث المعنى وجه قبول الإسلام . ذكره فى المصابيح فيما نقله عن التاج ابن السبكى . كذا فى القسطلانى . وهذا الحديث فى إسناده ثلاثة من التابعين فى نسق وهم مدنيون ، والغرض من إيراده هنا قوله « وكان ممن شهد بدراً » . وشرحه الحافظ فى الديات .

الحديث الثالث عشر

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قالَ فى أُسَارَى بَدْرٍ : لَوْ كانَ المُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا ، ثُمَّ كَلَّمَنِى فى هؤلاء النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ .

(عن جبير بن مطعم رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم قال فى أسارى بدر : لو كان المطعم بن عدى حياً ثم كلمنى فى هؤلاء النتنى) جمع نتن كزمن ، يجمع على زمنى ، والمراد أسارى بدر من المشركين ، وقوله (لتركتهم له) أى أحياء ، من غير فداء إكراماً له واحتراماً وقبولا لشفاعته لما كانت له عنده صلى الله عليه وآله وسلم من اليد حين رجع من الطائف فى جواره . وقد ذكر ابن إسحاق القصة فى ذلك مبسوطة . ولذلك أورده الفاكهى بإسناد حسن مرسل ، وفيه أن المطعم أمر أربعة من أولاده فلبسوا السلاح ، وقام كل واحد منهم عند ركن من الكعبة ، فبلغ ذلك قريشاً ، فقالوا له : أنت الرجل الذى لا تخفر ذمتك . وقيل : المراد باليد المذكورة أنه كان من أشد من قام فى نقض الصحيفة التى كتبتها قريش على بنى هاشم ومن معهم من المسلمين حين حصروهم فى الشعب . وروى الطبرانى من طريق محمد بن صالح التمار عن الزهرى عن محمد بن جبير عن أبيه قال : قال المطعم لقريش : إنكم فعلتم بمحمد ما فعلتم فكونوا أكف الناس عنه ، وذلك بعد الهجرة ، ثم مات المطعم قبل وقعة بدر وله بضع وستون سنة . وذكر الفاكهى بإسناد مرسل أن حسان بن ثابت رثاه لما مات مجازاة له على ما صنع للنبي صلى الله عليه وآله وسلم . وروى الترمذى و النسائى وابن حبان والحاكم بإسناد صحيح عن علىّ رضى الله عنه قال : جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : خير أصحابك فى الأسرى ، إن شاءوا القتل ، وإن شاءوا الفداء ، على أن يقتل منهم عاماً مقبلا مثلهم . قالوا : الفداء ويقتل منا . وأخرج مسلم هذه القصة مطوّلة من حديث عمر ، ذكر فيها السبب وهو أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : ما ترون فى هؤلاء الأسرى ؟ فقال أبو بكر : أرى أن تأخذ منهم فدية تكون قوة لنا ، وعسى الله أن يهديهم . فقال عمر :

أرى أن تمكنا منهم فنضرب أعناقهم فإن هؤلاء أئمة الكفر ،فهوى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ما قال أبو بكر ... الحديث . وفيه نزول قوله تعالى : « ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض » .
قال فى الفتح : وقد اختلف السلف فى أى الرأيين كان أصوب ، فقال بعضهم : كان رأى أبي بكر ، لأنه وافق ما قدر الله فى نفس الأمر ولما استقر الأمر عليه ولدخول كثير منهم فى الإسلام إما بنفسه وإما بذريته التى ولدت له بعد الوقعة ، لأنه وافق غلبة الرحمة على الغضب ، كما ثبت ذلك عن الله فى حق من كتب له الرحمة ، وأما العقاب على الأخذ ففيه إشارة إلى ذم من آثر شيئاً من الدنيا على الآخرة ولو قل . والله أعلم .

حديث بنى النضير

الحديث الأول

عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قالَ : حارَبَتِ النَّضِيرُ وَقُرَيْظَةُ ، فَأَجْلَى بَنِى النَّضِيرِ وَأَقَرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ حَتَّى حارَبَتْ قُرَيْظَةُ فَقَتَلَ رِجالَهُمْ وَقَسَمَ نِساءَهُمْ وَأَوْلادَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بَيْنَ المُسْلِمِينَ ، إلاَّ بَعْضَهُمْ لَحِقُوا بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فَآمَنَهُمْ وَأَسْلَمُوا ، وَأَجْلَى يَهُودَ الْمَدِينَةِ كُلَّهُمْ بَنِى قَيْنُقاعَ ، وَهُمْ رَهْطُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلامٍ وَيَهُودَ بَنِى حارِثَةَ وَكُلَّ يَهُودِ المَدِينَةِ .

---

* (حديث بنى النضير) *

بفتح النون وكسر الضاد المعجمة : قبيلة كبيرة من اليهود . قال فى الفتح : كان الكفار بعد الهجرة مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم على ثلاثة أقسام : قسم وادعهم على أن لا يحاربوه ولا يمالئوا عليه عدوه، وهم طوائف اليهود الثلاثة : قريظة والنضير وقينقاع ، وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة كقريش ، وقسم تاركوه وانتظروا ما يؤول إليه أمره كطوائف من العرب ، فنهم من كان يحب ظهوره فى الباطن كخزاعة وبالعكس كبنى بكر ، ومنهم من كان معه ظاهراً ومع عدوه باطناً وهم المنافقون ، فكان أول من نقض العهد من اليهود بنوقينقاع ، فحاربهم فى شوال بعد وقعة بدر ، فنزلوا على حكمه ، فأراد قتلهم ، فاستوهبهم منه عبد الله بن أُبى وكانوا حلفاءه ، فوهبهم له وأخرجهم من المدينة إلى أذرعات ، ثم نقض العهد بنو النضير ، وكان رئيسهم حيي بن أخطب ، ثم نقضت قريظة .

(عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : حاربت النضير وقريظة) بالظاء المعجمة (فأجلى) أى أخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (بنى النضير) من أوطانهم مع أهلهم وأولادهم (وأقر قريظة) فى منازلهم (ومنّ عليهم) ولم

يأخذ منهم شيئاً (حتى حاربت) أى إلىأن حاربته صلى الله عليه وآله وسلم (قريظة) فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب ، فنزلوا على حكمه صلى الله عليه وآله وسلم (فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين) بعد أن أخرج الخمس ، فأعطى الفارس ثلاثة أسهم ، وكانت الخيل ستة وثلاثين (إلا بعضهم) أى بعض قريظة (لحقوا بالنبى صلى الله عليه) وآله (وسلم فآمنهم) أى جعلهم آمنين (وأسلموا ، وأجلى) صلى الله عليه وآله وسلم (يهود المدينة كلهم بنى قينقاع وهم رهط عبد الله بنسلام) بالتخفيف (ويهود بنى حارثة و) أجلى (كل يهود المدينة) ذكر الواقدى أن إجلاءهم كان فى شوال سنة اثنتين ، يعنى بعد بدر بشهر . ويؤيده ما روى ابن إسحاق بإسناد حسن عن ابن عباس قال : لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قريشاً يوم بدر جمع يهود فى سوق بنى قينقاع فقال : يامعشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم ما أصاب قريشاً يوم بدر ، فقالوا : إنهم لا يعرفون القتال ، ولو قاتلتنا لعرفت أنا الرجال ، فأنزل الله : « قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون » إلى قوله : « لأولى الأبصار » . وأغرب الحاكم فزعم أن إجلاء بنى قينقاع وإجلاء بنى النضير كانا فى زمن واحد ، ولم يوافق على ذلك ، لأن إجلاء بنى النضير كان بعد بدر بستة أشهر على قول عروة ، أو بعد ذلك بمدة طويلة على قول ابن إسحاق .

الحديث الثانى

وَعَنْهُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ : حَرَّقَ رَسُولُ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ وَقَطَعَ وهْيَ الْبُوَيْرَةُ ، فَنَزَلَتْ : « مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ » .

(وعنه) أى عن ابن عمر (رضى الله عنه قال : حرّق رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم نخل بنى النضير وقطع) الأشجار ، وفيه جواز قطع شجر الكفار وإحراقه ، وبه قال عبد الرحمن بن القاسم ونافع مولى ابن عمر ومالك والثورى والشافعى وأحمد وإسحاق والجمهور . قاله النووى فى شرح مسلم (وهى البويرة) موضع نخل بنى النضير بقرب المدينة الشريفة (فنزل : « ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ») وتفسير هذه الآية ذكرناه فى تفسيرنا « فتح البيان » فراجعه ، ولها يقول حسان بن ثابت :

وهان على سراة بنى لؤى ... حريق بالبويرة مستطير

فأجابه أبو سفيان بن الحارث ابن عم النبى صلى الله عليه وآله وسلم بقوله :

أدام الله ذلك من صنيع ... وحرّق فى نواحيها السعير
ستعلم أينا منها بنزه ... وتعلم أىّ أرضينا تضير

فهو دعاء على المسلمين لا لهم لأنه كان كافراً إذ ذاك . والنزه : البعد من الشىء وزناً ومعنى . وتضير : من الضير ، أى تتضرر بذلك .

الحديث الثالث

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا قالَتْ : أَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم عُثْمَانَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ يَسْأَلْنَهُ ثُمُنَهُنَّ مِمَّا أَفَاءَ ٱللهُ عَلَى رَسُولِهِ ، فَكُنْتُ أَنَا أَرُدُّهُنَّ ، فَقُلْتُ لَهُنَّ : أَلا تَتَّقِينَ ٱللهَ ، أَلَمْ تَعْلَمْنَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كانَ يَقُولُ لَا نُورَثُ، ما تَرَكْنَا صَدَقَةٌ ، يُرِيدُ بِذلِكَ نَفْسَهُ ، إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ فى هذَا المَال ، فَانْتَهى أَزْوَاجُ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم إِلَى ما أَخْبَرْتُهُنَّ .

(عن عائشة رضى الله عنها قالت : أرسل أزواج النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم عثمان إلى أبي بكر يسألنه ثمنهن مما أفاء الله على رسوله) صلى الله عليه وآله وسلم (فكنت أنا أردهن ، فقلت لهن : ألا تتقين الله ، ألم تعلمن أن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم كان يقول : لانورث ماتركنا صدقة ، يريد بذلك نفسه ، إنما يأكل آل محمد صلى الله عليه) وآله (وسلم فى هذا المال) من جملة من يأكل منه لا إنه لهم بخصوصهم على وجه الميراث (فانتهى أزواج النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم إلى ما أخبرتهنّ) وحرفت الإمامية هذا الحديث فقالوا « لا يورث » بالتحتية بدل النون ، فجعلوا المعنى : إن مايترك صدقة لايورث . فأخرجوا الكلام عن نمط الاختصاص ، إذ آحاد الأمة إذا وقفوا أموالهم وجعلوها صدقة انقطع حق الورثة عنها .

قتل كعب بن الأشرف

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قالَ : قالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى ٱللهَ وَرَسُولَهُ ، فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ ٱللهِ أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ ؟ قالَ : نَعَمْ ، قالَ : فَأْذَنْ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئاً ؟ قالَ قُلْ : فَأَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ : إِنَّ هذَا الرَّجُلَ قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً وَإِنَّهُ قَدْ عَنَّانَا وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ ، قالَ : وَأَيْضاً وَٱللهِ لَتَمُلَّنَّهُ ، قالَ : إِنَّا قَدِ ٱتَّبَعْنَاهُ ، فَلَا نُحِبُّ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ ، وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تُسْلِفَنَا وَسْقاً أَوْ وَسْقَيْنِ ، فَقَالَ : نَعَمْ أَرْهَنُونِي ، قالُوا : أَيَّ شَيْءٍ تُرِيدُ ؟ قالَ : ارْهَنُونِي نِسَاءَكُمْ ، قالُوا : كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا ، وَأَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ ، قالَ : فَارْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ ، قالُوا : كَيْفَ نَرْهَنُكَ أَبْنَاءَنَا فَيُسَبُّ أَحَدُهُمْ ، فَيُقَالُ : رُهِنَ بِوَسْقٍ أَوْ وَسْقَيْنِ ، هذَا عارٌ عَلَيْنَا ، وَلكِنَّا نَرْهَنُكَ اللَّأْمَةَ ، فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ ، فَجَاءَهُ لَيْلاً وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ ، وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنَ الرَّضَاعَةِ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى ٱلْحِصْنِ ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَتْ لَهُ ٱمْرَأَتُهُ : أَيْنَ تَخْرُجُ هذِهِ السَّاعَةَ ، فَقَالَ : إِنَّمَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَأَخِي أَبُو نَائِلَةَ ، قالَتْ : إِنِّي أَسْمَعُ صَوْتاً كَأَنَّهُ يَقْطُرُ مِنْهُ ٱلدَّمُ ، قالَ : إِنَّمَا هُوَ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَرَضِيعِي أَبُو نَائِلَةَ ، إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ بِلَيْلٍ لَأَجَابَ ، قالَ : وَيُدْخِلُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ ، وَفِي رِوَايَةٍ : أَبُو عَبْسِ بْنُ جَبْرٍ وَالحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ ، وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ ، فَقَالَ : إِذَا مَاجَاءَ فَإِنِّي قَائِلٌ بِشَعَرِهِ فَأَشَمُّهُ فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي ٱسْتَمْكَنْتُ

مِنْ رَأْسِهِ فَدُونَكُمْ فَاضْرِبُوهُ وَقَالَ مَرَّةً : ثُمَّ أُشِمُّكُمْ ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ مُتَوَشِّحاً ، وَهْوَ يَنْفَحُ مِنْهُ رِيحُ الطِّيبِ ، فَقَالَ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رِيحاً أَيْ أَطْيَبَ ، فَقَالَ : عِنْدِى أَعْطَرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ وَأَكْمَلُ الْعَرَبِ ، فَقَالَ : أَتَأْذَنُ لِى أَنْ أَشَمَّ رَأْسَكَ ؟ قالَ : نَعَمْ ، فَشَمَّهُ ، ثُمَّ أَشَمَّ أَصْحَابَهُ ، ثُمَّ قالَ : أَتَأْذَنُ لِى ؟ قالَ : نَعَمْ ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ مِنْهُ قالَ : دُونَكُمْ ، فَقَتَلُوهُ ، ثُمَّ أَتَوُا النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرُوهُ .

---

* (قتل كعب بن الأشرف) *

اليهودى ، وكان فى ربيع الأول من السنة الثالثة كما عند ابن سعد ، وكان شاعراً يهجو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويحرض عليه كفار قريش .

(عن جابر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : من لكعب بن الأشرف) أى من الذى يستعد وينتدب إلى قتله (فإنه قد آذى الله ورسوله) بهجائه له وللمسلمين ، ويحرض قريشاً عليهم كما عند ابن عائذ من طريق أبى الأسود عن عروة . وفى الإكليل للحاكم من طريق محمد ابن محمود بن محمد بن مسلمة عن جابر : فقد آذانا بشعره وقوى المشركين . قال فى الفتح : ووجدت فى فوائد عبد الله بن إسحاق الخراسانى من مرسل عكرمة بسند ضعيف إليه لقتل كعب سبباً آخر وهو أنه صنع طعاماً وواطأ جماعة من اليهود إنه يدعو النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى الوليمة ، فإذا حضر فتكوا به ، ثم دعاه ، فجاء ومعه بعض أصحابه ، فأعلمه جبريل بما أضمروه بعد أن جالسه ، فقام فستره جبريل بجناحه ، فخرج ، فلما فقدوه تفرقوا ، فقال حينئذ : من ينتدب لقتل كعب ، ويمكن الجمع بتعدد الأسباب (فقام محمد بن مسلمة) الأنصارى أخو بنى عبد الأشهل (فقال : يارسول الله أتحب أن أقتله) استفهام استخبارى (قال) صلى الله عليه وآله وسلم (نعم) أحب ذلك (قال : فأذن لى أن أقول شيئاً) مما يسر كعباً (قال) صلى الله عليه وآله وسلم (قل) ومن ثم بوب عليه البخارى الكذب فى الحرب (فأتاه) أى كعباً

(محمد بن مسلمة فقال) له يا كعب (إن هذا الرجل) يعنى النبى صلى الله عليه وآله وسلم (قد سألنا صدقة) زاد الواقدى : ونحن لانجد ما نأكل (وإنه قد عنانا) أى أتعبنا وكلفنا المشقة (وإنى قد أتيتك أستسلفك ، قال) كعب (وأيضاً) أى زيادة على ما ذكرت (والله لتملنه) أى لتزيدن ملالتكم وضجركم (قال) محمد بن مسلمة (إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه) أى نتركه (حتى ننظر إلى أى شىء يصير شأنه) أى حاله ومآله (وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين) والوسق كما فى القاموس وغيره : حمل بعير ، وهو ستون صاعاً ، والصاع أربعة أمداد ، كل مد رطل وثلث . والشك من الراوى على بن المدينى كما قاله فى الفتح ، أو سفيان كما قاله الكرمانى (فقال : نعم ارهنونى) أى أعطونى رهناً على التمر الذى تريدونه (قالوا : أى شىء تريد) أن نرهنك (قال : ارهنونى نساءكم . قالوا : كيف نرهنك نساءنا) بفتح حرف المضارعة لأن ماضيه رهن ثلاثى ، قيل : وفيه لغة أرهن (وأنت أجمل العرب) والنساء يملن إلى الصور الجميلة . زاد ابن سعد من مرسل عكرمة : ولا نأمنك ، وأى امرأة تمتنع منك لجمالك (قال : فارهنونى أبناءكم . قالوا : كيف نرهنك أبناءنا ، فيسب أحدهم ، فيقال : رهن بوسق أو وسقين ، هذا عار علينا ، ولكنا نرهنك اللأمة) قال سفيان : يعنى السلاح ، والذى قاله أهل اللغة إنها الدرع ، فيكون إطلاق السلاح عليها من إطلاق اسم الكل على البعض ، ومراده أن لاينكر كعب السلاح عليهم إذا أتوه وهو معهم كما فى رواية الواقدى (فواعده أن يأتيه ، فجاءه) محمد بن مسلمة (ليلا ومعه أبو نائلة) سلكان ابن سلامة (وهو أخو كعب من الرضاعة) ونديمه فى الجاهلية (فدعاهم إلى الحصن ، فنزل إليهم ، فقالت له امرأته) اسمها عقيلة كما فى الفتح (أين تخرج هذه الساعة ؟ فقال : إنما هو محمد بن مسلمة وأخى أبو نائلة ، قالت : إنى أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم) كناية عن طالب شر وعند ابن إسحاق : فقالت : والله إنى لأعرف فى صوته الشر (قال : إنما هو أخى محمد بن مسلمة ورضيعى أبو نائلة ، إن الكريم لو) وفى رواية لأبى ذر عن الحموى والمستملى : إذا (دعى إلى طعنة بليل لأجاب ، قال : ويدخل محمد بن مسلمة معه برجلين ، وفى رواية أبو عبس بن جبر) اسمه عبد الرحمن ، وجبر ضد الكسر ، الأنصارى الأشهلى (والحارث بن أوس) واسم جده معاذ (وعباد

ابن بشر) ابن وقش (فقال : إذا ما جاء) كعب (فإنى قائل بشعره) أى آخذ به والعرب تطلق القول على غير الكلام مجازاً (فأشمه فإذا رأيتمونى استمكنت من رأسه فدونكم) فخذوه بأسيافكم (فاضربوه ، وقال مرة : ثم أشمكم) أى أمكنكم من الشم (فنزل إليهم) كعب من حصنه حال كونه (متوشحاً) بثوبه (وهو ينفح) أى يفوح (من ريح الطيب ، فقال) محمدبن مسلمة (مارأيت كاليوم ريحاً ، أى أطيب) وكان حديث عهد بعرس (فقال) كعب (عندى أعطر نساء العرب) وعنـد الواقدى : إن كعباً كان يدهن بالمسك الفتيت والعنبر حتى يتلبد فى صدغيه (وأكمل العرب) وعند الأصيلى : أجمل . قال الحافظ : وهى أشبه (فقال) ابن مسلمة لكعب (أتأذن لى أن أشم رأسك ؟ قال : نعم ، فشمه ثم أشم أصحابه ، ثم قال) له مرة ثانية (أتأذن لى) أن أشم رأسك (قال : نعم ، فلما استمكن منه) محمد بن مسلمة (قال) لأصحابه (دونكم) خذوه بأسيافكم (فقتلوه ، ثم أتوا النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم فأخبروه) بقتله ، فحمد الله تعالى . وفى رواية ابن سعد : فلما بلغوا بقيع الغرقد كبروا ، وقد قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلك الليلة يصلى ، فلما سمع تكبيرهم كبر وعرف أن قد قتلوه ، ثم انتهوا إليه ، فقال : أفلحت الوجوه ، قالوا : ووجهك يارسول الله ، ورموا رأسه بين يديه ، فحمد الله على قتله . وفى مرسل عكرمة : فأصبحت يهود مذعورين ، فأتوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا : قتل سيدنا ، فذكرهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم صنيعه وما كان يحرض عليه ويؤذى المسلمين . زاد ابن سعد : فخافوا فلم ينطقوا . قال السهيلى : فى قصة كعب بن الأشرف قتل المعاهد إذا سب الشارع خلافاً لأبى حنيفة . قلت : وفيه نظر . وصنيع البخارى فى الجهاد يعطى أن كعباً كان محارباً حيث ترجم لهذا الحديث : الفتك بأهل الحرب ، وترجم له أيضاً : الكذب فى الحرب . قال فى الفتح : وفيه جواز قتل المشرك بغير دعوة إذا كانت الدعوة العامة قد بلغته ، وفيه جواز الكلام الذى يحتاج إليه فى الحرب ولو لم يقصد قائله إلى حقيقته ، وفيه دلالة على قوة فطنة امرأته وصحة حديثها وبلاغتها فى إطلاقها : إن الصوت يقطر منه الدم .

قتل أبى رافع عبد الله بن أبى الحقيق ويقال سلام بن أبى الحقيق

عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : بَعَثَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى أَبِى رَافِعٍ الْيَهُودِىِّ رِجَالاً مِنَ الْأَنْصار ، فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ ٱللهِ بْنَ عَتِيكٍ ، وَكانَ أَبُو رَافِعٍ يُؤْذِى رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم وَيُعِينُ عَلَيْهِ ، وَكانَ فى حِصْنٍ لَهُ بِأَرْض ٱلْحِجَازِ ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ وَقَدْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ وَرَاحَ النَّاس بِسَرْحِهِمْ ، فَقَالَ عَبْدُ ٱللهِ لِأَصْحَابِهِ : اجْلِسُوا مَكانَكُمْ فَإِنِّى مُنْطَلِقٌ وَمُتَلَطِّفٌ لِلْبَوَّابِ لَعَلِّى أَنْ أَدْخُلَ ، فَأَقْبَلَ حَتَّى دَنَا مِنَ الْبَابِ ، ثُمَّ تَقَنَّعَ بِثَوْبِهِ كَأَنَّهُ يَقْضِى حاجَةً وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ ، فَهَتَفَ بِهِ الْبَوَّابُ : يَا عَبْدَ ٱللهِ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ فَادْخُلْ فَإِنِّى أُرِيدُ أَنْ أُغْلِقَ الْبَابَ ، فَدَخَلْتُ فَكَمَنْتُ ، فَلَمَّا دَخَلَ النَّاس أَغْلَقَ الْبَابَ ، ثُمَّ عَلَّقَ الْأَغَالِيقَ عَلَى وَتِدٍ ، قَالَ : فَقُمْتُ إِلَى الْأَغَالِيقِ فَأَخَذْتُهَا فَفَتَحْتُ الْبَابَ ، وَكانَ أَبُو رَافِعٍ يُسْمَرُ عِنْدَهُ ، وَكَانَ فى عَلَالِىَّ لَهُ ، فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْهُ أَهْلُ سَمَرِهِ صَعِدْتُ إِلَيْهِ فَجَعَلْتُ كُلَّمَا فَتَحْتُ بَاباً أَغْلَقْتُ عَلَىَّ مِنْ دَاخِلٍ ، قُلْتُ : إِنِ الْقَوْمُ نَذِرُوا بى لَم يَخْلُصُوا إِلَىَّ حَتَّى أَقْتُلَهُ ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ فى بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَسْطَ عِيَالِهِ ، لَاأَدْرِى أَيْنَ هُوَ مِنَ الْبَيْتِ ، فَقُلْتُ : أَبَا رَافِعٍ ، فَقَالَ : مَنْ هذا ؟ فَأَهْوَيْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ وَأَنَا دَهِشٌ ، فَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئاً ، وَصَاحَ فَخَرَجْتُ مِنَ الْبَيْتِ فَأَمْكُثُ غَيْرَ بَعِيدٍ ، ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : ما هذَا الصَّوْتُ يَا أَبَا رَافِعٍ ؟ فَقَالَ : لِأُمِّكَ الْوَيْلُ ، إِنَّ رَجُلاً فى الْبَيْتِ

ضَرَبَنِى قَبْلُ بِالسَّيْفِ ، قالَ : فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أَثْخَنَتْهُ وَلَمْ أَقْتُلْهُ ، ثُمَّ وَضَعْتُ ظُبَةَ السَّيْفِ فى بَطْنِهِ حَتَّى أَخَذَ فى ظَهْرِهِ ، فَعَرَفْتُ أَنِّى قَتَلْتُهُ ، فَجَعَلْتُ أَفْتَحُ الْأَبْوَابَ بَاباً بَاباً حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى دَرَجَةٍ لَهُ فَوَضَعْتُ رِجْلِى وَأَنَا أَرَى أَنِّى قَدِ انْتَهَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَوَقَعْتُ فى لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ فَانْكَسَرَتْ سَاقِى ، فَعَصَبْتُهَا بِعِمَامَةٍ ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ حَتَّى جَلَسْتُ عَلَى الْبَابِ ، فَقُلْتُ : لَا أَخْرُجُ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَعْلَمَ أَقَتَلْتَهُ ، فَلَمَّا صَاحَ الدِّيكُ قَامَ النَّاعِى عَلَى السُّورِ فَقَالَ : أَنْعِى أَبَا رَافِعٍ تَاجِرَ أَهْلِ الحِجَازِ ، فَانْطَلَقْتُ إِلَى أَصْحَابِى ، فَقُلْتُ : النَّجَاءَ فَقَدْ قَتَلَ اللهُ أَبَا رَافِعٍ ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم فَحَدَّثْتُهُ فَقَالَ لِى : ابْسُطْ رِجْلَكَ ، فَبَسَطْتُ رِجْلِى ، فَمَسَحَهَا ، فَكَأَنَّهَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ .

---

* (قتل أبى رافع عبد الله بن أبى الحقيق
ويقال سلام ابن أبى الحقيق) *

كان بخيبر ، ويقال : كان فى حصن له بأرض الحجاز . قال ابن سعد : قتل فى رمضان سنة ست ، وقيل : فى ذى الحجة سنة خمس ، وقيل فيها سنة أربع ، وقيل : فى رجب سنة ثلاث . وقال الزهرى : هو بعد قتل كعب ابن الأشرف .

(عن البراء رضى الله عنه قال : بعث رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم إلى أبى رافع اليهودى رجالا من الأنصار) سمى منهم فى هذا الباب اثنين (فأمر عليهم عبد الله بن عتيك) بن قيس ابن الأسود بن سلمة بكسر اللام (وكان أبو رافع يؤذى رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ويعين عليه) وهو الذى حزب الأحزاب يوم الخندق . وعند ابن عائذ من طريق أبى الأسود عن عروة أنه كان ممن أعان غطفان وغيرهم من بطون العرب بالمال الكثير على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (وكان) أبو رافع (فى حصن له بأرض الحجاز ، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس

بسرحهم) ، أى رجعوا بمواشيهم التى ترعى وتسرح ، وهى الساعة من الإبل والبقر والغنم (فقال عبد الله) ابن عتيك (لأصحابه : اجلسوا مكانكم فإنى منطلق) إلى حصن أبى رافع (ومتلطف للبواب لعلى أن أدخل) إلى الحصن (فأقبل) ابن عتيك (حتى دنا من الباب ثم تقنع) تغطى (بثوبه) ليخفى شخصه كى لا يعرف (كأنه يقضى حاجة ، وقد دخل الناس فهتف به) أى ناداه (البواب : يا عبد الله) ولم يرد به العلم ، بل المعنى الحقيقى لأن الناس كلهم عبيد الله (إن كنت تريد أن تدخل فادخل ، فإنى أُريد أن أغلق الباب ، فدخلت فكمنت) أى اختبأت (فلما دخل الناس أغلق الباب ، ثم علق الأغاليق) أى المفاتيح التى يغلق بها ويفتح (على وتد ، قال) ابن عتيك (فقمت إلى الأقاليد) أى المفاتيح (فأخذتها ففتحت الباب ، وكان أبو رافع يسمر) أى يتحدث (عنده) بعد العشاء (وكان فى علالى له) جمع علية وهى الغرفة (فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت على من داخل ، قلت : إن القوم نذروا) أى علموا (بى لم يخلصوا إلى حتى أقتله ، فانتهيت إليه فإذا هو فى بيت مظلم وسط) بسكون السين (عياله لا أدرى أين هو من البيت ، فقلت : أبا رافع ، فقال : من هذا ؟ فأهويت) أى قصدت (نحو) صاحب (الصوت فأضربه) لما وصلت إليه (ضربة بالسيف وأنا دهش ، فما أغنيت شيئاً) أى فلم أقتله (وصاح) أبو رافع (فخرجت من البيت فأمكث غير بعيد ، ثم دخلت إليه فقلت : ما هذا الصوت يا أبا رافع ؟ فقال : لأمك الويل) وهو دعاء عليه (إن رجلا فى البيت ضربنى قبل بالسيف ، قال) ابن عتيك (فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله ، ثم وضعت ظبة السيف) أى حده . قال فى المحكم : الظبة : حد السيف والسنان والنعلى والخنجر وما أشبه ذلك ، والجمع ظبات وظبون وظبا (فى بطنه حتى أخذ فى ظهره فعرفت) حينئذ (أنى قتلته ، فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجة له فوضعت رجلى وأنا أرى) أى أظن (أنى قد انتهيت إلى الأرض) وكان ضعيف البصر (فوقعت فى ليلة مقمرة فانكسرت ساق ، فعصبتها بعمامة ثم انطلقت حتى جلست على الباب فقلت : لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته) أم لا (فلما صاح الديك قام الناعى) خبر موته (على السور فقال : أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز) قال السفاقسى :

أنعي نعية ، والمعروف أنعو (فانطلقت إلى أصحابى فقلت) لهم (النجاء فقد قتل الله أبا رافع ، فانتهيت إلى النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم فحدثته ، فقال لى : أبسط رجلك) التى انكسرت ساقها (فبسطت رجلى فمسحها) بيده المباركة (فكأنها) أى فكأن رجلى (لم أشتكها قط) قال فى الفتح : وفى هذا الحديث من الفوائد جواز اغتيال المشرك الذى بلغته الدعوة وأصر ، وقتل من أعان على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده أو ماله أو لسانه ، وجواز التجسس على أهل الحرب وتطلب غرتهم ، والأخذ بالشدة فى محاربة المشركين ، وجواز إبهام القول للمصلحة ، وتعرض القليل من المسلمين للكثير من المشركين ، والحكم بالدليل والعلامة ، لاستدلال ابن عتيك على أبى رافع بصوته ، واعتماده على صوت الناعى بموته ، والله أعلم .

غزوة أحـد

الحديث الأول

عَنْ جابِرِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَجُلٌ لِلنَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ أُحُدٍ : أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فَأَيْنَ أَنا ؟ قالَ : فى الجَنَّةِ ، فَأَلْقى تَمَرَاتٍ فى يَدِهِ ، ثُمَّ قاتَلَ حَتَّى قُتِلَ .

---

* (غزوة أُحد) *

بضم الهمزة والمهملة : جبل معروف ، بينه وبين المدينة أقل من فرسخ ، وهو الذى قال فيه صلى الله عليه وآله وسلم : جبل يحبنا ونحبه . ونقل السهيلى عن الزبير بن بكار فى فضل المدينة : إن قبر هارون عليه السلام بأحد ، وإنه قدم مع موسى فى جماعة من بنى إسرائيل حاجاً فمات هناك . قال فى الفتح : وسند الزبيرى فى ذلك ضعيف جداً مع شيخه محمد بن الحسن بن زبالة ، ومنقطع أيضاً ليس بمرفوع ، وكانت عنده الواقعة العظيمة فى شوال سنة ثلاث باتفاق . وشذ من قال : سنة أربع . قال ابن إسحق : لإحدى عشرة ليلة خلت منه ، وقيل لسبع ليال ، وقيل لثمان ، وقيل لتسع ، وقيل فى نصفه.

(عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رجل) قال فى الفتح : لم أقف على اسمه (للنبى صلى الله عليه) وآله (وسلم يوم) غزوة (أُحد : أرأيت) أى أخبرنى (إن قتلت فأين أنا ؟ قال) صلى الله عليه وآله وسلم : (فى الجنة ، فألقى) الرجل (تمرات) كانت (فى يده ثم قاتل حتى قتل) وقد زعم ابن بشكوال أن اسم هذا الرجل عمير بن الحمام محتجاً بحديث أنس عند مسلم : إن عمير بن الحمام أخرج تمرات فجعل يأكل منهن ، ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه إنها لحياة طويلة ، ثم قاتل حتى قتل . وانتقد بما فى أُسد الغابة أن عميراً هذا قتل ببدر ، وهو أول قتيل قتل من الأنصار فى الإسلام فى حرب . وأما قصة الباب فوقع التصريح فيها بأنها يوم أُحد ، فالظاهر كما فى الفتح أنهما قضيتان وقعتا لرجلين . وفيه ما كان الصحابة عليه من حب نصرة الإسلام ، والرغبة فى الشهادة ابتغاء مرضاة الله .

الحديث الثانى

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِى وَقَّاصٍ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ أُحُدٍ وَمَعَهُ رَجُلَانِ يُقَاتِلَانِ عَنْهُ ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ كَأَشَدِّ الْقِتَالِ ، ما رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ .

(عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يوم أُحد ومعه رجلان) هما جبريل وميكائيل كما فى مسلم (يقاتلان) الكفار (عنه) عليه السلام (عليهما ثياب بيض ، كأشد القتال) أى قتال بنى آدم (ما رأيتهما قبل ولا بعد) وهذا يرد قول من قال إن الملائكة لم تقاتل معه إلايوم بدر ، وكانوا يكونون فيما سواه عدداً ومدداً .

الحديث الثالث

وَعَنْهُ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : نَثَلَ لِى رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم كِنَانَتَهُ يَوْمَ أُحُدٍ ، فَقَالَ : ارْمِ فِدَاكَ أَبِى وَأُمِّى .

(وعنه) أى عن سعد بن أبى وقاص (رضى الله عنه قال : نثل لى رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) أى استخرج (كنانته) بكسر الكاف : جعبة النبل (يوم أُحد فقال) لى صلى الله عليه وآله وسلم (ارم فداك أبى وأمى) أى لو كان لى إلى الفداء سبيل لفديتك بأبوى اللذين هما عزيزان عندى ، والمراد من التفدية لازمها وهو الرضا ، أى ارم مرضياً ، وفى رواية عند البخارى بلفظ . قال سعد : جمع لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبويه يوم أُحد ، وفى لفظ : أبويه كليهما .

الحديث الرابع

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ : شُجَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ أُحُدٍ ، فَقَالَ : كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ ، فَنَزَلَتْ : « لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ » .

(عن أنس رضى الله عنه قال : شج النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم يوم أُحد) فى رأسه (فقال : كيف يفلح قوم شجوا نبيهم) وهو يدعوهم إلى الله تعالى (فنزلت : « ليس لك من الأمر شىء ») والحديث له ألفاظ وطرق ، وورد مختصراً ومطولا فى البخارى وغيره .

الحديث الخامس

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ ٱللَّهِ صــلى الله عليه وسلم إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ مِنَ الرَّكْعَةِ الْأَخِيرَةِ مِنَ الْفَجْرِ يَقُولُ : اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلاناً وَفُلَاناً ، بَعْدَ ما يَقُولُ : سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ، رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ ، فَأَنْزَلَ ٱللَّهُ عَزَّ وَجَــلَّ : « لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ » إِلَى قَوْلِهِ : « فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ » .

(عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم إذا رفع رأسه من الركوع من الركعة الأخيرة من الفجر) بعد أن شج وكسرت رباعيته يوم أُحد (يقول : اللهم العن فلاناً وفلاناً وفلاناً) صفوان ابن أمية ، وسهيل بن عمرو ، والحارث بن هشام ، يقول ذلك (بعدما يقول : سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد ، فأنزل الله) عز وجل (« ليس لك من الأمر شىء » إلى قوله « فإنهم ظالمون ») زاد أحمد والترمذى : فتيب عليهم كلهم . وحديث الباب أخرجه البخارى أيضاً فى التفسير والاعتصام ، والنسائى فى الصلاة والتفسير ، والثلاثة المسمون أسلموا يوم الفتح وحسن إسلامهم ، ولعل هذا هو السر فى نزول الآية المذكورة ، وقد ذكر البخارى فى هذا الباب سببين لنزول الآية ، والثانى مرسل ، ويحتمل أن الآية نزلت فى الأمرين جميعاً فإنهما كانا فى قصة واحدة ، وقيل غير ذلك . ذكرها القسطلانى .

قتل حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه

الحديث الأول

عَنْ عُبَيْدِ ٱللهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ ٱلْخِيَارِ أَنَّهُ قالَ لِوَحْشِيٍّ : أَلَا تُخْبِرُنَا بِقَتْلِ حَمْزَةَ ؟ قالَ : نَعَمْ إِنَّ حَمْزَةَ قَتَلَ طُعَيْمَةَ بْنَ عَدِيِّ بْنِ ٱلْخِيَار بِبَدْرٍ ، فَقَالَ لى مَوْلَاىَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ : إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ بعَمِّى فَأَنْتَ حُرٌّ ، قالَ : فَلَمَّا أَنْ خَرَجَ النَّاسُ عامَ عَيْنَيْنِ - وَعَيْنَيْنِ جَبَلٌ بِحِيَالِ أُحُدٍ ، بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَادٍ - خَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ إِلَى الْقِتَالِ ، فَلَمَّا أَنِ اصْطَفُّوا لِلْقِتَالِ خَرَجَ سِبَاعٌ ، فَقَالَ : هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ ، قالَ : فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ :يَاسِبَاعُ يَاٱبْنَ أُمِّ أَنْمَارٍ مُقَطِّعَةِ الْبُظُورِ ، أَتُحَادُّ ٱللهَ وَرَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم . قالَ : ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ فَكَانَ كَأَمْسِ ٱلذَّاهِبِ . قالَ : وَكَمَنْتُ لِحَمْزَةَ تَحْتَ صَخْرَةٍ ، قالَ : فَلَمَّا دَنَا مِنِّى رَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِى فَأَضَعُهَا فى ثُنَّتِهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ وَرِكَيْهِ ، قالَ : فَكَانَ ذَاكَ الْعَهْدَ بِهِ ، فَلَمَّا رَجَعَ النَّاسُ رَجَعْتُ مَعَهُمْ فَأَقَمْتُ بِمَكَّةَ ، حَتَّى فَشَا فِيهَا الْإِسْلَامُ ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى الطَّائِفِ ، فَأَرْسَلُوا إِلَى رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم رَسُولاً ، فَقِيلَ لِى : إِنهُ لَا يَهِيجُ الرُّسُلَ ، قالَ : فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَلَمَّا رَآنِى قالَ : آنْتَ وَحْشِىٌّ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قالَ : أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ ؟ قُلْتُ : قَدْ كانَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ بَلَغَكَ ، قالَ : فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ وَجْهَكَ عَنِّى ؟ قالَ : فَخَرَجْتُ ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم فَخَرَجَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ ، فَقُلْتُ : لَأَخْرُجَنَّ إِلَى مُسَيْلَمَةَ لَعَلِّى أَقْتُلُهُ فَأُكَافِئَ بِهِ حَمْزَةَ . قالَ : فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ ، فكانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فى

ثَلْمَةِ جِدَار كَأَنَّهُ جَمَلٌ أَوْرَقُ ثَائِرُ الرَّأْسِ ، فَرَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِى فَأَضَعُهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ ، قالَ : وَوَثَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى هَامَتِهِ .

---

* (قتل حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه) *

وفى طبقات ابن سعد عن عمير بن إسحاق قال : كان حمزة بن عبد المطلب يقاتل بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أُحد بسيفين ويقول : أنا أسد الله ، وجعل يقبل ويدبر ، فبينما هو كذلك إذ عثر عثرة فوقع على ظهره وبصر به الأسود فزرقه بحربة فقتله . وفيها أيضاً: أن هنداً لما لاكت كبده ولم تستطع أكلها قال صلى الله عليه وآله وسلم : أأكلت منها شيئاً ؟ قالوا : لا . قال : ما كان الله ليدخل شيئاً من حمزة النار . ذكره القسطلانى .

(عن عبيد الله بن عدى بن الخيـار) بكسر المعجمة (أنه قال لوحشى) ابن حرب الحبشى مولى جبير بن مطعم (ألا تخبرنا بقتل حمزة ؟ قال : نعم إن حمزة قتل طعيمة بن عدى بن الخيار ببدر) فى وقعتها ، وطعيمة هو ابن عدى بن الخيار بن عدى بن نوفل بن عبد مناف ، وأما عدى بن الخيار فهو ابن أخى طعيمة ، لأنه عدى بن الخيار بن عدى بن نوفل بن عبد مناف (فقال لى مولاى جبير بن مطعم : إن قتلت حمزة بعمى) أى طعيمة بن عدى (فأنت حرّ ، قال : فلما أن خرج الناس) يعنى قريشاً (عام عينين) تثنية عين ، أى عام وقعة أُحد (وعينين جبل بحيال) جبل (أُحد) أى من ناحيته (بينه وبينه واد) وهذا تفسير من بعض الرواة (خرجت مع الناس) قريش (إلى القتال ، فلما أن اصطفوا للقتال خرج سباع) بكسر السين ابن عبد العزى الخزاعى (فقال : هل من مبارز ؟ قال : فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال) له (يا سباع ياابن أم أنمار) هى أمه ، وكانت مولاة لشريق بن عمرو الثقفى والد الأخنس (مقطعة) بكسر الطاء المهملة وفتحها خطأ (البظور) جمع بظر وهو اللحمة التى تقطع من فرج المرأة الكائنة بين اسكتيها عند ختانها ، وكانت ختانة تختن النساء بمكة ، فعيره بذلك (أتحاد الله ورسوله صلى الله عليه) وآله (وسلم) أى أتعاندهما وتعاديهما . وفى القاموس : وحاده :

غاضبه . وعاداه : خالفه (قال) وحشىّ (ثم شد) حمزة (عليه) أى على سباع فقتله (فكان كأمس الذاهب) فى العدم (قال) وحشى (وكمنت) اختبأت (لحمزة) أى لأجل أن أقتله (تحت صخرة) وفى مرسل عمير بن إسحاق : أنه انكشف الدرع عن بطنه (فلما دنا) أى قرب (منى رميته بحربتى فأضعها فى ثنته) بضم الثاء وتشديد النون بعدها تاء : فى عانته . وقال فى القاموس : أو مريطاء : مابينها وبين السرة . وقال : فى مرط المريطاء كالغبيراء مابين السرة أو الصدر إلى العانة (حتى خرجت من بين وركيه ، قال) وحشى : (فكان ذاك) الرمى بالحربة (العهد به) كناية عن موت حمزة (فلما رجع الناس) قريش من أُحد (رجعت معهم فأقمت بمكة حتى فشا) أى إلى أن ظهر (فيها الإسلام ثم خرجت) منها (إلى الطائف) هارباً لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة (فأرسلوا) أى أهل الطائف (إلى رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) عام ثمان (رسولا ، فقيل لى : إنه لا يهيج الرسل) أى لاينالهم منه مكروه . وعند ابن إسحاق : فلما خرج وفد أهل الطائف إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليسلموا ضاقت علىّ الأرض وقلت : ألحق بالشام أو باليمن أو ببعض البلاد ، فإنى لنى ذلك إذ قال رجل : ويحك ، إنه والله ما يقتل أحداً من الناس دخل فى دينه (قال : فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فلما ، رآنى قال) لى (آنت وحشىّ ، قلت : نعم ، قال : أنت قتلت حمزة) مرتين (قلت : قد كان من الأمر) فى شأن قتله (ما قد بلغك) وعن ابن إسحاق قال : فقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : هذا وحشىّ ، فقال : دعوه فلإسلام رجل واحد أحبّ إلى من قتل ألف كافر (قال) صلى الله عليه وآله وسلم (فهل تستطيع أن تغيب وجهك عنى) وفى رواية الطيالسى : فقال : غيب وجهك عنى فلا أراك (قال : فخرجت) من عنده (فلما قبض رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فخرج مسيلمة الكذاب) بكسر اللام صاحب اليمامة على إثر وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وادعى النبوة ، وجمع جموعاً كثيرة لقتال الصحابة ، وجهز له أبو بكر الصديق رضى الله عنه جيشاً وأمر عليهم خالد بن الوليد (قلت : لأخرجنّ إلى مسيلمة لعلى أقتله فأكافىء به حمزة) أى أواسيه به ، وهو تأكيد وخوف ، وإلا فلا ريب أن الإسلام يجب

ماقبله (قال) وحشيّ (فخرجت مع الناس) الذين جهزهم أبو بكر لقتال مسيلمة (فكان من أمره) أى مسيلمة (ما كان) من المقاتلة وقتل جمع من الصحابة ثم كان الفتح للمسلمين (فإذا رجل) أى مسيلمة (قائم فى ثلمة جدار) أى خلله (كأنه جمل أورق) أسمر لونه كالرماد (ثائر الرأس) منتشر شعرها (قال : فرميته بحربتى) التى قتلت بها حمزة (فأضعها) ولأبى ذر : فوضعتها (بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه ، قال : ووثب إليه رجل من الأنصار) جزم الحاكم والواقدى وابن راهويه أنه عبد الله بن زيد بن عاصم المازنى ، وجزم سيف فى كتاب الردة أنه عدى بن سهل ، وقيل : أبو دجانة ، وقيل : زيد بن الخطاب ، والأول أشهر (فضربه بالسيف على هامته) أى رأسه . قال ابن عمر : فقالت جارية على ظهر بيت : وأمير المؤمنين قتله العبد الأسود تعنى وحشياً ، وذكرته بلفظ الإمرة وإن كان يدعى الرسالة لما رأته من أن أمور أصحابه الذين آمنوا به كلها كانت إليه ، وأطلقت على أصحابه المؤمنين باعتبار إيمانهم به،ولم تقصد إلى تلقيبه بذلك ، والله أعلم.وفى الحديث ما كان عليه وحشيّ من الذكاء المفرط ومناقب كثيرة لحمزة ، وفيه أن المرء يكره أن يرى من أوصل إلى قريبه أو صديقه أذى ولا يلزم من ذلك وقوع الهجرة المنهية بينهما ، وفيه أن الإسلام يهدم ما قبله ، والحذر فى الحرب ، وأن لا يحتقر المرء أحداً فإن حمزة لا بد أن يكون رأى وحشياً فى ذلك اليوم لكنه لم يحترز منه استحقاراً له ، إلى أن أتى من قبله . وذكر ابن إسحاق قال حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يلتمس حمزة فوجده ببطن الوادى قد مثل به ، فقال : لولا أن تحزن صفية ، يعنى بنت عبد المطلب ، وتكون سنة بعدى ، لتركته حتى يحشر من بطون السباع وحواصل الطير . زاد ابن هشام قال : وقال : لن أصاب بمثلك أبداً . ونزل جبريل فقال : إن حمزة مكتوب فى السماء أسد الله وأسد رسوله . وروى البزار والطبرانى بإسناد فيه ضعف عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما رأى حمزة قد مثل به قال : رحمة الله عليك ، لقد كنت وصولا للرحم ، فعولا للخير ، ولولا حزن من بعدك لسرنى أن أدعك حتى تحشر من أجواف شتى ، ثم حلف وهو بمكانه : لأمثلنّ بسبعين منهم ، فنزل القرآن : « وإن عاقبتم » الآية . وعن عبد الله بن أحمد فى زيادات المسند والطبرانى من

حديث أبي بن كعب قال : مثل المشركون بقتلى المسلمين ، فقال الأنصار : لئن أصبنا منهم يوماً من الدهر لنزيدنّ عليهم ، فلما كان يوم فتح مكة نادى رجل : لاقريش بعد اليوم ، فأنزل الله تعالى : « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به » فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كفوا عن القوم . وعند ابن مردويه عن ابن عباس نحو حديث أبي هريرة باختصار ، وقال فى آخره : فقال : بل نصبر يارب . وهذه طرق يقوى بعضها بعضاً .

الحديث الثانى

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : ٱشْتَدَّ غَضَبُ ٱللهِ عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا بِنَبِيِّهِ ، يُشِيرُ إِلَى رَبَاعِيَتِهِ ، ٱشْتَدَّ غَضَبُ ٱللهِ عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم فى سَبِيلِ ٱللهِ .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيه ، يشير إلى) كسر (رباعيته) أى اليمنى السفلى . والرباعية : السنّ التى تلى الثنية من كل جانب . وللإنسان أربع رباعيات . وكان الذى كسر رباعيته صلى الله عليه وآله وسلم عتبة بن أبى وقاص ، وجرح شفته السفلى (اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم فى سبيل الله) كما قتل صلى الله عليه وآله وسلم فى غزوة أُحد أُبى بن خلف الجمحى ، وخرج بقوله « فى سبيل الله » من قتله فى حد أو قصاص . قال فى الفتح : ومجموع ما ذكر فى الأخبار أنه شج وجهه وكسرت رباعيته وجرحت وجنته وشفته السفلى من باطنها وجحشت ركبته . وروى عبد الرزاق عن الزهرى : وضرب وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ بالسيف سبعين ضربة ، وقاه الله شرها كلها . وهذا مرسل قوى ، ويحتمل أن يكون أراد بالسبعين حقيقتها أو المبالغة فى الكثرة . ولابن عائذ من طريق الأوزاعى : بلغنا أنه لما جرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أُحد أخذ شيئاً ينشف به دمه وقال : لو وقع منه شيء على الأرض لنزل عليكم العذاب من السماء ، ثم قال : اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون .

الحديث الثالث

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا قالَتْ : لَمَّا أَصَابَ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عايه وسلم ما أَصَابَ يَوْمَ أُحُدٍ وَٱنْصَرَفَ المُشْرِكُونَ ، خافَ أَنْ يَرْجِعُوا ، قالَ : مَنْ يَذْهَبُ فى إِثْرِهِمْ ، فَٱنْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلاً كَانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَالزُّبَيْرُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا .

(عن عائشة رضى الله عنها قالت : لما أصاب رسول الله ما أصاب يوم أُحد وانصرف المشركون خاف أن يرجعوا) إليهم لما بلغه أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أُحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع (قال : من يذهب فى إثرهم) وعند ابن إسحاق : إنه إنما خرج مرهباً للعدو ، وليظنوا أن الذى أصابهم لم يوهنهم عن طلب عدوهم (فانتدب) فأجاب (منهم سبعون رجلا) ممن حضر وقعة أُحد (كان فيهم أبو بكر والزبير رضى الله عنهما) وسمى منهم ابن عباس عند الطبرانى : أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وعمار بن ياسر وطلحة وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وأبا حذيفة وابن مسعود . وعند ابن إسحاق وغيره أنهم لما بلغوا حمراء الأسد ، وهى من المدينة على ثلاثة أميال ، فألقى الله الرعب فى قلوب المشركين ، فذهبوا ،فنزلت هذه الآية .

غزوة الخندق وهى الأحزاب

الحديث الأول

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ : إِنَّا يَوْمَ الخَنْدَقِ نَحْفِرُ ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ ، فَجَاءُوا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا : هذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فى الخَنْدَقِ ، فَقَالَ : أَنَا نَازِلٌ ، ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ ، وَلَبِثْنَا ثَلاَثَةَ أَيَّام لَا نَذُوقُ ذَوَاقاً ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الْمِعْوَلَ فَضَرَبَ فى الْكُدْيَةِ ، فَعَادَ كَثِيباً أَهْيَلَ .

---

* (غزوة الخندق وهى الأحزاب) *

يعنى أن لها اسمين ، وهو كما قال . والأحزاب : جمع حزب ، أى طائفة ، فأما تسميتها الخندق فلأجل الخندق الذى حفر حول المدينة بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان الذى أشار بذلك سلمان فيما ذكره أصحاب المغازى ، منهم أبو معشر . قال : قال سلمان للنبى صلى الله عليه وآله وسلم : إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا ، فأمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم بحفر الخندق حول المدينة وعمل فيه بنفسه ترغيباً للمسلمين ، فسارعوا إلى عمله حتى فرغوا منه ، وجاء المشركون فحاصروهم ، وأما تسميتها الأحزاب فلاجتماع طوائف من المشركين على حرب ، وهم : قريش وغطفان واليهود ومن تبعهم ، وقد أنزل الله تعالى فى هذه القصة صدر سورة الأحزاب ، وكانوا فيما قال ابن إسحق عشرة آلاف والمسلمون ثلاثة آلاف .

(عن جابر رضى الله عنه قال : إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة) بضم الكاف : قطعة صلبة من الأرض لا يعمل فيها المعول . ولابن عساكر : كيدة بفتح الكاف . وله أيضاً : كبدة . والمعنى واحد . وفى

فتح البارى : كندة بالنون . وعند ابن عساكر : كتدة بالتاء . لكن قال القاضى عياض : لا أعرف لها معنى (فجاءوا النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم فقالوا : هذه كدية عرضت فى الخندق ، فقال) صلى الله عليه وآله وسلم (أنا نازل) فى الموضع الذى فيه الكدية (ثم قام وبطنه معصوب) من الجوع (بحجر) مشدود عليه بعصابة خشية انحناء صلبه الكريم بواسطة خلاء الجوف ، إذ وضع الحجر فوق البطن مع شد العصابة عليه يقيمه ، أو هو لتسكين حرارة الجوع ببرد الحجر لأنها حجارة رقاق قدر البطن تشد الأمعاء فلا يتخلل شيء مما فى البطن فلا يحصل ضعف زائد بسبب التخلل . قاله الكرمانى وفى رواية أحمد : أصابهم جهد شديد حتى ربط النبي صلى الله عليه وآله وسلم على بطنه حجراً من الجوع (ولبثنا) أى مكثنا (ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً) شيئاً من مأكول ولا مشروب ، والجملة اعتراضية أوردت لبيان السبب فى ربطه صلى الله عليه وآله وسلم الحجر على بطنه (فأخذ النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم المعول) بكسر الميم : المسحاة (فضرب فى الكدية فعاد) المضروب (كثيباً) رملا (أهيل) أى أهيم . وعند أحمد : كثيباً يهال ، أى صار رملا يسيل ولا يتماسك . وعند أحمد والنسائى فى هذه القصة زيادة بإسناد حسن : أخذ المعول فقال : بسم الله ثم ضرب ضربة فكسر ثلثها وقال : الله أكبر ، أُعطيت مفاتيح الشام ، والله إنى لأبصر قصورها الحمر الساعة ، ثم ضرب الثانية فقطع الثلث الآخر فقال : الله أكبر ، أُعطيت مفاتيح فارس ، والله إنى لأبصر قصر المدائن الأبيض ، ثم ضرب الثالثة فقال : بسم الله ، ثم قطع بقية الحجر فقال : الله أكبر ، أُعطيت مفاتيح اليمن ، والله إنى لأبصر أبواب صنعاء من مكانى هذا الساعة . وللطبرانى من حديث ابن عمرو نحوه . وأخرجه البيهقى مطولا من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده ، وفى آخره : ففرح المسلمون واستبشروا .

الحديث الثانى

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ الْأَحْزَاب : نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا .

(عن سليمان بن صرد) الخزاعى ، صحابى مشهور يقال كان اسمه يسار فغيره النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ليس له فى البخارى سوى هذا الحديث وآخر فى صفة إبليس ، وله طريق فى الأدب ، وكان أسنّ من خرج من أهل الكوفة فى طلب ثأر الحسين بن على ، فقتل هو وأصحابه بعين الوردة فى سنة خمس وستين (رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم يوم الأحزاب) لما انصرف قريش ، وذلك لسبع بقين من ذى القعدة (نغزوهم ولا يغزوننا) قال فى الفتح : وفيه علم من أعلام النبوة ، فإنه صلى الله عليه وآله وسلم اعتمر فى السنة المقبلة ، فصدته قريش عن البيت ، ووقعت الهدنة بينهم إلى أن نقضوها ، فكان ذلك سبب فتح مكة ، فوقع الأمر كما قال صلى الله عليه وآله وسلم . وأخرج البزار بإسناد حسن من حديث جابر شاهداً لهذا الحديث ولفظه : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم الأحزاب وقد جمعوا له جموعاً كثيرة : لا يغزونكم بعد هذا أبداً ولكن أنتم تغزونهم .

الحديث الثالث

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ : لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَحْدَهُ ، أَعَزَّ جُنْدَهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَغَلَبَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ، فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم كان يقول : لا إله إلا الله وحده أعز جنده ونصر عبده) النبي صلى الله عليه وآله وسلم (وغلب الأحزاب) الذين جاءوا من مكة وغيرها يوم الخندق (وحده فلا شيء بعده) أي جميع الأشياء بالنسبة إلى وجوده تعالى كالعدم ، إذ كل شيء يفنى وهو الباقي ، فهو بعد كل شيء فلا شيء بعده .

الحديث الرابع

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : نَزَلَ أَهْلُ قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِلَى سَعْدٍ فَأَتَى عَلَى حِمَارٍ ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ المَسْجِدِ قَالَ لِلْأَنْصارِ : قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ ، ثُمَّ قالَ : هؤُلاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ ، فَقَالَ : تَقْتُلُ مُقَاتِلَتَهُمْ وَتَسْبى ذَرَارِيَّهُمْ ، قالَ : قَضَيْتَ بِحُكْمِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَرُبَّمَا قَالَ : بِحُكْمِ المَلِكِ .

(عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : نزل أهل قريظة) من حصنهم (على حكم سعد بن معاذ) بعد أن حاصرهم خمسة عشر يوماً أشد الحصار ورسوا بالنبل ، وكان سعد ضعيفاً ، وكان قد دعا الله أن لا يميته حتى يشفى صدره من بنى قريظة (فأرسل النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم إلى سعد ، فأتى على حمار ، فلما دنا) قرب (من المسجد) الذى كان أعده النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى بنى قريظة أيام حصارهم : قال الحافظ : لكن كلام ابن إسحق يدل على أن سعداً كان مقيماً فى مسجد المدينة حتى بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليحكم فى بنى قريظة ، فإنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعل سعداً فى خيمة رفيدة عند مسجده ، وكانت امرأة تداوى الجرحى ، فقال : اجعلوه فى خيمتها لأعوده من قريب ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بنى قريظة وحاصرهم ، وسأله الأنصار أن ينزلوا على حكم سعد ، أرسل إليه فحملوه على حمار ووطئوا له وكان جسيماً ، فدل قوله « فلما خرج إلى بنى قريظة » أن سعداً كان فى مسجد المدينة (قال) صلى الله عليه وآله وسلم (للأنصار : قوموا إلى سيدكم) سعد بن معاذ (أو) قال (خيركم) والمخاطب بذلك الأنصار أو هم وغيرهم (ثم قال : هؤلاء نزلوا على حكمك) فيهم (فقال) سعد : يا رسول الله (تقتل منهم مقاتلتهم) وهم الرجال (وتسبى ذراريهم) وهم النساء والصبيان (قال) صلى الله عليه وآله وسلم (قضيت)

فيهم (بحكم الله ، وربما قال بحكم الملك) وفى رواية محمد بن صالح : لقد حكمت اليوم فيهم بحكم الله الذى حكم به من فوق سبع سموات . وفى رواية ابن إسحق من مرسل علقمة بن وقاص : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ، جمع رقيع ، وهو من أسماء السماء . قال السهيلى : قوله « من فوق سبع سموات » معناه أن الحكم نزل من فوق . قال : ومثله قول زينب بنت جحش : « زوجنى الله من نبيه من فوق سبع سموات » أى نزل تزويجها من فوق . قال : ولا يستحيل وصفه تعالى بالفوق على المعنى الذى يليق بجلاله لا على المعنى الذى يسبق إلى الوهم من التحديد الذى يفضى إلى التشبيه . اهـ . وفى الحديث جواز الاجتهاد فى زمن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وهى خلافية فى أصول الفقه . قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : والمختار الجواز سواء كان بحضور النبى صلى الله عليه وآله وسلم أم لا ، وإنما استبعد المانع وقوع الاعتماد على الظن مع إمكان القطع ، ولا يضر ذلك لأنه بالتقرير يصير قطعياً . وقد ثبت وقوع ذلك بحضرته صلى الله عليه وآله وسلم كما فى هذه القصة وقصة أبى بكر الصديق فى قتيل أبى قتادة .

غزوة ذات الرقاع

الحديث الأول

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم صَلَّى بِأَصْحَابِهِ فِى الخَوْفِ فِى الْغَزْوَةِ السَّابِعَةِ ، غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ .

---

* (غزوة ذات الرقاع) *

بكسر الراء ، وهى غزوة محارب خصفة بن قيس بن عيلان ، واختلف فيها متى كانت ، واختلف فى سبب تسميتها بذلك ، وقد جنح البخارى إلى أنها كانت بعد خيبر ، واستدل لذلك فى هذا الباب بأمور ذكرها فى الفتح .

(عن جابر بن عبد الله) الأنصارى (رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم صلى بأصحابه فى) حالة (الخوف) زاد السراج : أربع ركعات ، صلى بهم ركعتين ثم ذهبوا ثم جاء أولئك فصلى بهم ركعتين (فى غزوة) السفرة (السابعة) من غزواته صلى الله عليه وآله وسلم التى وقع فيه القتال (غزوة ذات الرقاع) الأولى بدر ، والثانية أُحد ، والثالثة الخندق ، والرابعة قريظة ، والخامسة المريسيع ، والسادسة خيبر ، فيلزم أن تكون ذات الرقاع بعد خيبر للتنصيص على أنها السابعة . ولجابر حديث آخر فيه ذكر صلاة الخوف على صفة أخرى . ووردت هذه الصلاة على أنحاء كلها شافية كافية . قال فى الفتح : ورد عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى صفة صلاة الخوف كيفيات حملها بعض العلماء على اختلاف الأحوال وحملها آخرون على التوسع والتخيير . وقال السهيلى : اختلف العلماء فى الترجيح ، فقالت طائفة : يعمل منها بما كان أشبه بظاهر القرآن ، وقالت طائفة : يجتهد فى طلب الأخير منها فإنه الناسخ لما قبله ، وقالت طائفة : يؤخذ بأصحها نقلا وأعلاها رواة ، وقالت طائفة : يؤخذ بجميعها على حسب اختلاف أحوال الخوف ، فإذا اشتد الخوف أخذ بأيسرها مؤنة ، والله أعلم .

الحديث الثانى

عَنْ أَبِى مُوسى رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : خَرَجْنَا مَعَ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم فى غَزَاةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ ، فَنَقِبَتْ أَقْدَامُنَا وَنَقِبَتْ قَدَمَاىَ وَسَقَطَتْ أَظْفَارِى ، فَكُنَّا نَلُفُّ عَلَى أَرْجُلِنَا ٱلخِرَقَ ، فَسُمِّيَتْ غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقاعِ لِمَا كُنَّا نُعَصِّبُ مِنَ ٱلْخِرَقِ عَلَى أَرْجُلِنَا .

(عن أبى موسى رضى الله عنه قال : خرجنا مع النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم فى غزاة ونحن ستة نفر) قال فى الفتح : لم أقف على أسمائهم وأظنهم من الأشعريين (بيننا بعير) واحد (نعتقبه) أى نركبه عقبة بأن يركب هذا قليلا ثم ينزل فيركب الآخر بالنوبة حتى يأتى على آخرهم (فنقبت) أى رقت وتقرضت وقطعت الأرض جلود (أقدامنا) من الحفـاء (ونقبت قدماى وسقطت أظفارى) لذلك (فكنا نلف على أرجلنا الخرق ، فسميت غزوة ذات الرقاع لما) أى لأجل ما (كنا نعصب من الخرق على أرجلنا) .

الحديث الثالث

عَنْ سَهْلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ، وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ مَـعَ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ ذَاتِ الرِّقاعِ ، صَلَّى صَلَاةَ الخَوْفِ ، أَنَّ طَائِفَةً صَفَّتْ مَعَهُ ، وَطَائِفَةٌ وِجَاهَ الْعَدُوِّ ، فَصَلَّى بِالَّتِي مَعَهُ رَكْعَةً ، ثُمَّ ثَبَتَ قائِماً وَأَتَمُّوا لِأَنْفُسِهِمْ ثُمَّ ٱنْصَرَفُوا فَصَفُّوا وِجاهَ الْعَدُوِّ ، وَجاءَتِ الطَّائِفَةُ الْأُخْرَى فَصَلَّى بِهِمِ الرَّكْعَةَ الَّتِي بَقِيَتْ مِنْ صَلَاتِهِ ، ثُمَّ ثَبَتَ جالِساً وَأَتَمُّوا لِأَنْفُسِهِمْ ، ثُمَّ سَلَّمَ بهِمْ .

(عن سهل بن أبي حثمة رضى الله عنه ، وكان ممن شهد مع رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يوم ذات الرقاع صلى صلاة الخوف أن طائفة صفت معه) صلى الله عليه وآله وسلم (و) صفت (طائفة وجاه العدو) أي جعلوا وجوههم تلقاءه (فصلى) صلى الله عليه وآله وسلم (بالتى معه ركعة ثم ثبت قائماً وأتموا) أي الذين صلى بهم الركعة (لأنفسهم) ركعة أخرى (ثم انصرفوا فصفوا وجاه العدو ، وجاءت الطـائفة الأخرى) التى كانت وجاه العدو (فصلى بهم) صلى الله عليه وآله وسلم (الركعة التى بقيت من صــلاته) صلى الله عليه وآله وسلم (ثم ثبت) صلى الله عليه وآله وسلم (جالساً) لم يخرج من صلاته (وأتموا لأنفسهم) الركعة الأخرى (ثم سـلم بهم) صلى الله عليه وآله وسلم . هذا الحديث أخرجه بقية الستة فى الصلاة .

الحديث الرابع

عَنْ جابرِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم قِبَلَ نَجْدٍ ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم قَفَلَ مَعَهُمْ فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ فى وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ ، فَنَزَلَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فى الْعِضَاهِ يَسْتَظِلُّون بِالشَّجَرِ ، وَنَزَلَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم تَحْتَ سَمُرَةٍ فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ ، قَالَ جَابِرٌ : فَنِمْنَا نَوْمَةً ثُمَّ إِذَا رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم يَدْعُونَا ، فَجِئْنَاهُ فَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِىٌّ جالِسٌ ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ هذَا اخْتَرَطَ سَيْفِى وَأَنَا نَائِمٌ ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهْوَ فى يَدِهِ صَلْتاً ، فَقَالَ لِى : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّى ؟ قُلْتُ : ٱللهُ ، فَهَاهُوَ ذَا جالِسٌ ، ثُمَّ لَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم .

(عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم قبل نجد) أى جهتها (فلما قفل) رجع (رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم قفل معه فأدركتهم القائلة) شدة الحر فى وسط النهار (فى واد كثير العضاه) شجر عظيم له شوك كالطلح والعوسج (فنزل رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ، وتفوق الناس فى العضاه يستظلون بالشجر ، ونزل رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم تحت سمرة) شجرة كثيرة الورق يستظل بها (فعلق بها سيفه . قال جابر : فنمنا نومة فإذا رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يدعونا ، فجئناه فإذا عنده أعرابى) اسمه غورث ابن الحارث بفتح الغين المعجمة وسكون الواو وفتح الراء بعدها مثلثة (جالس) بين يديه (فقال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : إن هذا) الأعرابى (اخترط سيفى) أى سله (وأنا نائم فاستيقظت وهو فى يده صلتاً) مجرداً من غمده بمعنى مصلوت (فقال لى : من يمنعك

منى) إن قتلتك به (قلت : الله) يمنعنى منك (فهـا هو ذا جالس) وعند ابن إسحق بعد قوله الله : فدفع جبريل فى صدره فوقع السيف من يده ، فأخذه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال : من يمنعك منى ؟ قال : لا أحد (ثم لم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) استئلافاً للكفار ليدخلوا فى الإسـلام . وعند الواقدى : إنه أسـلم ورجع إلى قومه فاهتدى به خلق كثير .

غزوة بنى المصطلق وهى غزوة المريسيع

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الخُدْرِىِّ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صلى ٱللهُ عليه وسلم فى غَزْوَةِ بَنِى المُصْطَلِقِ ، فَأَصَبْنَا سَبْياً مِنْ سَبْىِ الْعَرَبِ فَاشْتَهَيْنَا النِّسَاءَ وَٱشْتَدَّتْ عَلَيْنَا الْعُزْبَةُ ، وَأَحْبَبْنَا الْعَزْلَ ، فَأَرَدْنَا أَنْ نَعْزِلَ ، وَقُلْنَا : نَعْزِلُ وَرَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ أَظْهُرِنَا قَبْلَ أَنْ نَسْأَلَهُ ، فَسَأَلْنَاهُ عَنْ ذلِكَ ، فَقَالَ : مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَفْعَلُوا ، مَا مِنْ نَسَمَةٍ كائِنَةٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلاَّ وَهِىَ كائِنَةٌ .

---

* (غزوة بنى المصطلق) *

لقب جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة ، بطن من بنى خزاعة قال فى القاموس : حى من الأزد ، وسموا بذلك لأنهم انخزعوا ، أى تخلفوا عن قومهم وأقاموا بمكة ، وسمته جذيمة بالمصطلق لحسن صوته ، وهو أول من غنى من خزاعة (وهى غزوة المريسيع) قال فى القاموس : مصغر مرسوع : بئر أو ماء لخزاعة ، بينه وبين الفرع مسيرة يوم ، وإليه تضاف غزوة بنى المصطلق ، وفيه سقط عقد عائشة ونزلت آية التيمم . قال ابن إسحق : وذلك الغزو فى شعبان سنة ست من الهجرة . وفى رواية قتادة وعقبة وغيرهما عند البيهقى : فى شعبان سنة خمس . ورجحه الحاكم وغيره . وجزم بالأول الطبرى وغيره . وقال موسى بن عقبة : سنة أربع . قال أهل المغازى : وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه بشر كثير وثلاثون فرساً ، فحملوا على القوم حملة واحدة ، فما انفلت منهم إنسان ، بل قتل عشرة وأسر سائرهم ، وغاب ثمانية وعشرين يوماً .

(عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم فى غزوة بنى المصطلق فأصبنا سبياً من سبى العرب ، فاشتهينا النساء واشتدت علينا العزبة) فقد الأزواج والنكاح .

قال فى القاموس : العزب محركة : من لا أهل له ، ولا تقل أعزب أو قليل ، والاسم العزبة والعزوبة ، والفعل كنصر ، وتعزب : ترك النكاح (وأحببنا العزل) خوفاً من الاستيلاد المانع من البيع ونحن نحب الأثمان (فأردنا أن نعزل ، وقلنا : نعزل ورسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم بين أظهرنا قبل أن نسأله) عن الحكم (فسألناه عن ذلك ، فقال) صلى الله عليه وآله وسلم (ما عليكم) بأس (أن لا تفعلوا) أى ليس عدم الفعل واجباً عليكم أولا زائدة ، أى لا بأس عليكم فى فعله (ما من نسمة) نفس (كائنة) فى علم الله (إلى يوم القيامة إلا وهى كائنة) فى الخارج ، فما قدره الله لابد منه .

غزوة أنمـار

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ ٱلأَنْصَارِيِّ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قَالَ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فى غَزْوَةِ أَنْمَارٍ يُصَلِّي عَلَى رَاحِلَتِهِ مُتَوَجِّهاً قِبَلَ المَشْرِقِ مُتَطَوِّعاً .

---

* (غزوة أنمار) *

بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الميم بعدها ألف فراء ، وقد يقال : غزوة بنى أنمار ، وهى قبيلة .

(عن جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنهما قال : رأيت النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم فى غزوة أنمار يصلى على راحلته متوجهاً قبل المشرق متطوعاً) وهذا الحديث ذكره فى باب صلاة التطوّع على الدواب ، وفى باب ينزل للمكتوبة ، وليس فيه ذكر قصة أنمار ، فلا معنى لذكره هنا كما لا يخفى . كذلك فى القسطلانى . أقول : بل لذكر هذه الزيادة هنا معنى ، وهى كون ذلك وقع فى غزوة أنمار ، ولو لم تكن هذه الزيادة مذكورة لكان ذكر الحديث خالياً عنها غير مفيد ولا مطابق للترجمة ، وبذكرها تظهر المطابقة لما ترجم له بقوله « غزوة أنمار » فتأمل ترشد ، والله أعلم .

غزوة الحديبية

وَقَوْلُ ٱللهِ تَعَالَى :

« لَقَدْ رَضِيَ ٱللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ »

الحديث الأول

عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : تَعُدُّونَ أَنْتُمُ الْفَتْحَ فَتْحَ مَكَّةَ ، وَقَدْ كانَ فَتْحُ مَكَّةَ فَتْحاً ، وَنَحْنُ نَعُدُّ الْفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ ، كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً وَالحُدَيْبِيَةُ بِئْرٌ فَنَزَحْنَاهَا فَلَمْ نَتْرُكْ فِيهَا قَطْرَةً ، فَبَلَغَ ذلِكَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ، فَأَتَاهَا فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِهَا ، ثُمَّ دَعا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ مَضْمَضَ وَدَعَا ، ثُمَّ صَبَّهُ فِيهَا ، فَتَرَكْنَاهَا غَيْرَ بَعِيدٍ ، ثُمَّ إِنَّهَا أَصْدَرَتْنَا ماشِئْنَا نَحْنُ وَرِكابُنَا .

---

* (غزوة الحديبية) *

بضم الحاء وفتح الدال وتخفيف الياء . قال ابن الأثير : وكثير من المحدثين يشددونها . وقال أبو عبيد البكرى : وأهل العراق يثقلون وأهل الحجاز يخففون . وقال فى الفتح : وأنكر كثير من أهل اللغة التخفيف . وقال فى القاموس : الحديبية كدويهية ، وقد تشدد : بئر قرب مكة حرسها الله تعالى (وقول الله تعالى : « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة » الآية) يشير إلى أنها نزلت فى قصة الحديبية ، وكان توجهه صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة فى يوم الاثنين مستهل ذى القعدة سنة ست ، فخرج قاصداً إلى العمرة ، فصده المشركون عن الوصول إلى البيت ، ووقعت بينهم المصالحة على أن يدخل مكة فى العام المقبل . وجاء عن هشام ابن عروة عن أبيه أنه خرج فى رمضان واعتمر فى شوال . وشذ بذلك . وقد وافق بذلك أبو الأسود عن عروة الجمهور . وقالت عائشة : ما اعتمر إلا فى ذى القعدة .

(عن البراء رضى الله عنه قال : تعدون أنتم الفتح ، فتح مكة) فى قوله تعالى : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » (وقد كان فتح مكة فتحاً ، ونحن نعد الفتح) الأعظم (بيعة الرضوان يوم الحديبية) لأنها كانت مبدأ الفتح العظيم المبين ، لما ترتب على الصلح الذى وقع من الأمن ورفع الحرب ، وتمكن من كان يخشى الدخول فى الإسلام الوصول إلى المدينة ، كما وقع لخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهما ، وتتابعت الأسباب إلى أن كمل الفتح . قال فى الفتح : وهذا موضع وقع فيه اختلاف قديم ، والتحقيق أنه يختلف ذلك باختلاف المراد من الآيات ، فقوله تعالى : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » المراد هنا الحديبية . وقد ذكر ابن إسحق فى المغازى عن الزهرى قال : لم يكن فى الإسلام فتح قبل فتح الحديبية أعظم منه ، إنما كان الكفر حيث القتال ، فلما أمن الناس كلهم بعضهم بعضاً وتفاوضوا فى الحديث والمنازعة ولم يكلم أحد فى الإسلام يعقل شيئاً إلا بادر إلى الدخول فيه ، فلقد دخل فى تلك السنتين مثل من كان دخل فى الإسلام قبل ذلك أو أكثر . قال ابن هشام : ويدل عليه أنه صلى الله عليه وآله وسلم خرج فى الحديبية فى ألف وأربعمائة ، ثم خرج بعد سنتين إلى فتح مكة فى عشرة آلاف . اهـ . وهذه الآية نزلت منصرفه صلى الله عليه وآله وسلم من الحديبية كما فى هذا الباب من حديث عمر . وأما قوله تعالى فى هذه السورة : « وأثابهم فتحاً قريباً » فالمراد به فتح خيبر على الصحيح ، لأنها هى التى وقعت فيها المغانم الكثيرة للمسلمين . وقد روى أحمد وأبو داود والحاكم من حديث مجمع ابن جارية قال : شهدنا الحديبية فلما انصرفنا وجدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واقفاً عند كراع الغميم وقد جمع الناس وقرأ عليهم : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » الآية ، فقال رجل : يارسول الله أفتح هو ؟ قال : أى والذى نفسى بيده إنه لفتح . ثم قسمت خيبر على أهل الحديبية . وروى سعيد بن منصور بإسناد صحيح عن الشعبى فى قوله : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » قال : صلح الحديبية ، وغفر له ما تقدم وما تأخر ، وتبايعوا بيعة الرضوان ، وأطعموا نخيل خيبر ، وظهرت الروم على فارس ، وفرح المسلمون بنصر الله . وأما قوله تعالى : « فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً » فالمراد الحديبية . وأما قوله تعالى : « إذا جاء نصر الله والفتح » . وقوله

صلى الله عليه وآله وسلم : لا هجرة بعد الفتح . فالمراد به فتح مكة باتفاق . فبهذا يرتفع الإشكال وتجتمع الأقوال بعون الله تعالى . ا هـ . (كنا مع النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم أربع عشرة مائة) بسكون المعجمة ، ولم يقل ألفاً وأربعمائة إشعاراً بأنهم كانوا منقسمون إلى المائة ، وكانت كل مائة ممتازة عن الأخرى (والحديبية بئر) على مرحلة من مكة (فنزحناها فلم نترك فيها قطرة) من ماء (فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم فأتاها فجلس على شفيرها) أي حرفها (ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم مضمض ودعا) الله تعالى سراً (ثم صبه فيها) أي صب الماء الذى توضأ ومضمض به فى البئر (فتركناها غير بعيد) فى رواية زهير . فدعا ثم قال : دعوها غير ساعة (ثم إنها أصدرتنا) أي أرجعتنا وقد روينا (ما شئنا) أى القدر الذى أردنا شربه (نحن وركابنا) إبلنا التى تسير عليها .

الحديث الثانى

عَنْ جابِرٍ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ لَنَا رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ : أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَكُنَّا أَلْفاً وَأَرْبَعَمِائَةٍ ، وَلَوْ كُنْتُ أُبْصِرُ الْيَوْمَ لَأَرَيْتُكُمْ مَكَانَ الشَّجَرَةِ .

(عن جابر رضى الله عنه قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يوم الحديبية : أنتم خير أهل الأرض) فيه أفضلية أصحاب الشجرة على غيرهم من الصحابة وعثمان رضى الله عنه منهم ، وإن كان حينئذ غائباً بمكة ، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم بايع عنه فاستوى معهم ، فلا حجة فى الحديث للشيعة فى تفضيل علىّ على عثمان . قال جابر (وكنا ألفاً وأربعمائة ، ولو كنت أُبصر اليوم) يعنى لأنه كان عمى فى آخر عمره (لأريتكم مكان الشجرة) التى وقعت بيعة الرضوان تحتها . وعند مسلم من حديث جابر مرفوعاً : لا يدخل النار من شهد بدراً والحديبية . وروى مسلم أيضاً من حديث أُم مبشر أنها سمعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول : لا يدخل النار أحد من أصحاب الشجرة . واستدل بالحديث على أن الخضر ليس بحى ، لأنه لو كان حياً مع ثبوت كونه نبياً للزم تفضيل غير النبى على النبى ، وهو باطل ، فدل على أنه ليس بحى حينئذ ، وأجاب من زعم أنه حى باحتمال أن يكون حينئذ كان حاضراً معهم ، ولم يقصد إلى تفضيل بعضهم على بعض ، أو لم يكن على وجه الأرض حينئذ ، بل كان فى البحر ، والثانى جواب ساقط ، وعكس ابن التين فاستدل به على أن الخضر ليس بنبى . وقد قدمت الأدلة الواضحة على ثبوت نبوّته فى أحاديث الأنبياء . وأغرب ابن التين فجزم بأن إلياس ليس بنبى ، وبناه على قول من زعم أنه أيضاً حى ، وهو ضعيف ، وأما كونه ليس بنبى فنفى باطل ، ففى القرآن : « وإن إلياس لمن المرسلين » .

الحديث الثالث

عَنْ سَوَيْدِ بْنِ النُّعْمَانِ ، وَكَانَ مِنَ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ ، قالَ : كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابُهُ أُتُوا بِسَوِيقٍ فَلَاكُوهُ .

(عن سويد بن النعمان) بن مالك الأنصارى (وكان من أصحاب الشجرة) أنه (قال : كان رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم وأصحابه أتوا بسويق فلاكوه) أى مضغوه وأداروه فى أفواههم ، والغرض من الحديث هنا قوله « وكان من أصحاب الشجرة » أى الذين بايعوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم بيعة الرضوان تحتها .

الحديث الرابع

عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّهُ كانَ يَسِيرُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم لَيْلاً ، فَسَأَلَهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّاب عَنْ شَيْءٍ ، فَلَمْ يُجِبْهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، ثُمَّ سَأَلَهُ ، فَلَمْ يُجِبْهُ ، ثُمَّ سَأَلَهُ ، فَلَمْ يُجِبْهُ ، فَقَالَ عُمَرُ : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا عُمَرُ ، نَزَرْتَ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، كُلُّ ذلِكَ لَا يُجِيبُكَ ، قالَ عُمَرُ : فَحَرَّكْتُ بَعِيرِى ثُمَّ تَقَدَّمْتُ أَمامَ المُسْلِمِينَ وَخَشِيتُ أَنْ يَنْزِلَ فِيَّ قُرآنٌ ، فَمَا نَشِبْتُ أَنْ سَمِعْتُ صَارِخاً يَصْرُخُ بِى ، فَقُلْتُ : لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ نَزَلَ فِيَّ قُرْآنٌ وَجِئْتُ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ لَهِىَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ، ثُمَّ قَرَأَ : « إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً » .

(عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يسير مع النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم ليلا ، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء ، فلم يجبه رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) لاشتغاله بالوحى (ثم سأله فلم يجبه ، ثم سأله فلم يجبه) ولعله ظن أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يسمعه فلذا كرر السؤال (فقال عمر) بن الخطاب يخاطب نفسه (ثكلتك أُمك يا عمر ، نزرت رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ثلاث مرات) أى ألححت عليه أو راجعته أو أتيته بما يكره من سؤالك (كل ذلك لا يجيبك . قال عمر : فحركت بعيرى ثم تقدمت أمام المسلمين وخشيت أن ينزل فىّ قرآن ، فما نشبت) أى لبثت (أن سمعت صارخاً) لم يسم (يصرخ بى ، قال : فقلت : لقد خشيت أن يكون نزل فىّ قرآن وجئت رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم فسلمت عليه ، فقال) صلى الله عليه وآله وسلم (لقد أُنزلت علىّ الليلة سورة لهى أحب إلى مما طلعت عليه الشمس) لما فيها من البشارة بالمغفرة وأفعل قد لا يراد بها المفاضلة (ثم قرأ : إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) الفتح : الظفر بالبلدة عنوة أو صلحاً بحرب أو بغيره ، لأنه مغلق ما لم يظفر به ، فإذا ظفر به فقد فتح .

الحديث الخامس

عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَان بْنِ الْحَكَمِ قالَا : لَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عامَ الحُدَيْبِيَةِ فى بِضْعَ عَشْرَةَ مِائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا أَتى ذَا الحُلَيْفَةِ قَلَّدَ الْهَدْىَ وَأَشْعَرَهُ وَأَحْرَمَ مِنْهَا بِعُمْرَةٍ وَبَعَثَ عَيْناً لَهُ مِنْ خُزَاعَةَ ، وَسَارَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حَتَّى كانَ بِغَدِيرِ الْأَشْطَاطِ أَتَاهُ عَيْنُهُ ، قالَ : إنَّ قُرَيْشاً جَمَعُوا لَكَ جُمُوعاً ، وَقَدْ جَمَعُوا لَكَ الْأَحابِيشَ ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنِ الْبَيْتِ وَمانِعُوكَ . فَقَالَ : أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ ، أَتَرَوْنَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَذَرَارِيِّ هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنِ الْبَيْتِ ، فَإِنْ يَأْتُونَا كانَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَطَعَ عَيْناً مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَإِلاَّ تَرَكْنَاهُمْ مَحْرُوبِينَ . قالَ أَبُو بَكْرٍ : يَارَسُولَ ٱللهِ خَرَجْتَ عامِداً لِهَذَا الْبَيْتِ لَا تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ وَلَا حَرْبَ أَحَدٍ ، فَتَوَجَّهْ لَهُ ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ . قالَ : امْضُوا عَلَى اسْمِ ٱللهِ .

(عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم) يزيد أحدهما على صاحبه ، (قالا : لما خرج النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم عام الحديبية فى بضع عشرة مائة من أصحابه ، فلما أتى ذا الحليفة) الميقات المعروف (قلد الهدى وأشعره وأحرم منها بعمرة وبعث عيناً) أى جاسوساً (له من خزاعة) اسمه بسر بن سفيان كما ذكره ابن عبد البر (وسار النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم حتى كان بغدير الأشطاط) موضع تلقاء الحديبية (أتاه عينه) بسر (قال : إن قريشاً جمعوا لك جموعاً وقد جمعوا لك الأحابيش) جماعات من قبائل شتى . وقال الخليل : أحياء من القارة انضموا إلى بنى ليث فى محاربتهم قريشاً قبل الإسلام . وقال ابن دريد : حلفاء قريش تحالفوا تحت جبل يسمى حبيشاً فسموا بذلك (وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت) الحرام (ومانعوك) من الدخول إلى مكة (فقال : أشيروا أيها الناس علىّ أترون أن أميل إلى عيالهم وذرارى هؤلاء) الكفار (الذين يريدون أن يصدونا عن البيت ،

فإن يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عيناً) جاسوساً (من المشركين) يعنى الذى بعثه صلى الله عليه وآله وسلم ، أى غايته أنا كنا كمن لم يبعث الجاسوس ولم يعبر الطريق وواجههم بالقتال (وإلا) بأن لم يأتونا (تركناهم محروبين) مسلوبين منهوبين الأموال والعيال (قال أبو بكر : يا رسول الله) إنك (خرجت عامداً لهـذا البيت لاتريد قتل أحد ولا حرب أحد ، فتوجه له) للبيت (فمن صدنا عنه قاتلناه ، قال) صلى الله عليه وآله وسلم (امضوا على اسم الله) .

الحديث السادس

عنِ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا أَنَّ أَبَاهُ أَرْسَلَهُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ لِيَأْتِيَهُ بِفَرَسٍ كانَ عِنْدَ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يَأْتِى بهِ لِيُقَاتِلَ عَلَيْهِ فَوَجَدَ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم يُبَايِعُ عِنْدَ الشَّجَرَةِ ، وعُمَرُ لَا يَدْرِى بِذَلِكَ، فَبَايَعَهُ عَبْدُ ٱللهِ ثُمَّ ذَهَبَ إلَى الْفَرَسِ ، فَجَاءَ بِهِ إلَى عُمَرَ وعُمَرُ يَسْتَلْئِمُ لِلْقِتَالِ ، فَأَخْبَرَهُ أَن رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم يُبَايِعُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، قالَ : فَانْطَلَقَ وَذَهَبَ مَعَهُ حَتَّى بَايَعَ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَهِىَ الَّتِى يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ ٱبْنَ عُمَرَ أَسْلَمَ قَبْلَ أَبِيهِ .

(عن ابن عمر رضى الله عنهما أن أباه) عمر بن الخطاب (أرسله يوم الحديبية ليأتيه بفرس كان عند رجل من الأنصار) قال فى الفتح : لم أقف على اسمه ويحتمل أنه الذى آخى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بينه وبينه (يأتى به ليقاتل عليه فوجد رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يبايع) الناس (عند الشجرة وعمر لا يدرى بذلك، فبايعه) صلى الله عليه وآله وسلم (عبد الله ثم ذهب إلى الفرس ، فجاء به إلى عمر ، وعمر يستلئم) أى يلبس لأمته ، أى درعه (للقتال ، فأخبره أن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يبايع تحت الشجرة ، قال : فانطلق) عمر (فذهب معه حتى بايع) عمر (رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فهى التى يتحدث الناس أن ابن عمر أسلم قبل أبيه) أى عمر ، وظاهر هـذا الطريق الإرسال ، لكن ظهر فى الطريق التالية أن نافعاً حمله عن ابن عمر .

الحديث السابع

عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ أَبِى أَوْفَى رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حِينَ ٱعْتَمَرَ ، فَطَافَ فَطُفْنَا مَعَهُ ، وَصَلَّى وَصَلَّيْنَا مَعَهُ ، وسَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ ، فَكُنَّا نَسْتُرُهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، لَا يُصِيبُهُ أَحَدٌ بشَىْءٍ .

(عن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنهما قال : كنـا مع النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم حين اعتمر)عمرة القضاء (فطاف) بالكعبة (فطفنا معه ، وصلى وصلينا معه ، وسعى بين الصفا والمروة فكنا نستره من) مشركى (أهل مكة لا يصيبه) أى لئلا يصيبه (أحد بشىء) يؤذيه .

غزوة ذى قرد

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُ قالَ : خَرَجْتُ قَبْلَ أَنْ يُؤَذَّنَ بِالْأُولى ، وَكَانَتْ لِقَاحُ رَسُولِ ٱللّٰه صلى الله عليه وسلم تَرْعى بِذِي قَرَدٍ ، قالَ : فَلَقِيَنِي غُلَامٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَالَ : أُخِذَتْ لِقَاحُ رَسُولِ ٱللّٰهِ صلى الله عليه وسلم ، فَذَكَرَ الحَدِيثَ بِطُولِهِ ، وقَدْ تَقَدَّمَ ، وَقالَ هُنَا فِي آخِرِهِ ، قالَ : ثُمَّ رَجَعْنَا وَيُرْدِفُنِي رَسُولُ ٱللّٰهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى نَاقَتِهِ حَتَّى دَخَلْنَا المَدِينَةَ .

---

* (غزوة ذى قرد) *

بفتح القاف والراء ، وحكى الضم فيهما ، وحكى ضم أوله وفتح ثانيه . قال الحازمى : والأول لضبط أهل الحديث ، والضم عن أهل اللغة ، وهو ماء على نحو بريد مما يلى غطفان ، وقيل على مسافة يوم ، وهى الغزوة التى أغاروا فيها على لقاح النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل خيبر بثلاث من الليالى . وعند ابن سعد : كانت فى ربيع الأول سنة ست قبل الحديبية ، فيحتمل أن يكون ما وقع فى حديث سلمة بن الأكوع المروى عند مسلم بلفظ : فرجعنا ، أى من الغزوة إلى المدينة ، « فوالله ما لبثنا بالمدينة إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر » من وهم بعض الرواة كما قاله القرطبي شارح مسلم . وفى الإكليل للحاكم : إن الخروج إلى ذى قرد تكرر ، ففى الأولى خرج إليها زيد بن حارثة قبل أُحد ، وفى الثانية خرج إليها النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى ربيع الأول سنة خمس ، والثالثة هذه المختلف فيها . انتهى . قال فى الفتح : فإذا ثبت هذا قوى الجمع الذى ذكرته وهو أن ابن سعد قال : كانت فى سنة ثلاث قبل الحديبية ، وقيل : فى جمادى الأولى وعن ابن إسحق : فى شعبان منها ، فإنه قال : كانت غزوة بنى لحيان فى شعبان سنة ست ، فلما رجع النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة لم يقم بها إلا ليالى حتى أغار عيينة بن حصن على لقاحه . قال القرطبي : ويحتمل

أن يجمع بأن يقال : يحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان أغزى سرية فيهم سلمة بن الأكوع إلى خيبر قبل فتحها ، فأخبر سلمة عن نفسه وعمن خرج معه ، يعني حيث قال : خرجنا إلى خيبر ، قال : ويؤيده أن ابن إسحق ذكر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أغزى إليها عبد الله ابن رواحة قبل فتحها مرتين . انتهى . وسياق الحديث يأبى هذا الجمع ، فإن فيه بعد قوله : حين خرجنا إلى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجعل عمر يرتجز بالقوم ، وفيه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : من السائق ؟ وفيه مبارزة عمه لمرجب وقتل عامر ، وغير ذلك مما وقع فى غزوة خيبر حين خرج إليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم . فعلى هذا ما فى الصحيح من التاريخ لغزوة ذى قرد أصح مما ذكره أهل السير . ويحتمل فى طريق الجمع أن يكون إغارة عيينة على اللقاح وقعت مرتين : الأولى التى ذكرها ابن إسحق وهى قبل الحديبية ، والثانية بعد الحديبية قبل الخروج إلى خيبر ، وكان رأس الذين أغاروا عبد الرحمن بن عيينة كما ساق سلمة عند مسلم ، ويؤيده ما تقدم عن الحاكم فى الإكليل ، والله أعلم .

(عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال : خرجت) من المدينة نحو الغابة (قبل أن يؤذن بالأولى) وهى صلاة الصبح (وكانت لقاح رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ترعى بذى قرد) جمع لقحة وهى الناقة ذات اللبن ، واللقوح : الحلوب . وذكر ابن سعد أنها كانت عشرين لقحة (قال : فلقينى غلام لعبد الرحمن بن عوف) قال الحافظ : لم أقف على اسمه ويحتمل أن يكون هو رباحاً غلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما فى رواية مسلم ، وكان ملك أحدهما ، وكان يخدم الآخر ، فنسب إلى هذا تارة ، وتارة إلى هذا (فقال) لى (أُخذت لقاح رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فذكر الحديث بطوله ، وقد تقدم) وهو : قلت : من أخذها ؟ قال : أخذها غطفان . زاد فى الجهاد : وفزارة ، وهو من عطف الخاص على العام ، لأن فزارة من غطفان ، قال : فصرخت ثلاث صرخات : يا صباحاه ، والهاء ساكنة ، قال : فأسمعت ما بين لابتى المدينة حرتيها . وفى الطبرانى : صعدت فى سلع ثم صحت : يا صاحباه . فانتهى صياحى إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فنودى فى الناس : الفزع الفزع ، ثم اندفعت ،

أى أسرعت فى السير على وجهى فلم ألتفت يميناً ولا شمالا حتى أدركتهم وقد أخذوا يستقون من الماء ، فجعلت أرميهم بنبلى ، وكنت رامياً ، وأقول أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع . أى يوم هلاك اللئام ، وأرتجز بذلك أو بغيره حتى استنقذت اللقاح كلها منهم واستلبت منهم ثلاثين بردة . قال : وجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم والناس ، وكان قد خرج إليهم غداة الأربعاء فى خمسمائة أو سبعمائة ، فقلت له : يا نبى الله قد حميت القوم الماء ، أى منعتهم من شربه وهم عطاش ، فابعث إليهم الساعة . وعند ابن سعد : فلو بعثتنى فى مائة رجل استنقذت ما بأيديهم من السرح وأخذت بأعناق القوم ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : يا ابن الأكوع ، ملكت ، أى قدرت عليهم ، فاسجح ، أى فارفق ولا تأخذ بالشدة (وقال هنا فى آخره : قال : ثم رجعنا) إلى المدينة (ويردفنى رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم على ناقته) العضباء (حتى دخلنا المدينة) وفى رواية مسلم : ثم أردفنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وراءه على العضباء . قال فى الفتح : وفى الحديث جواز العدو الشديد فى الغزو ، والإنذار بالصياح العالى ، وتعريف الإنسان نفسه إذا كان شجاعاً ليرعب خصمه ، واستحباب الثناء على الشجاع ومن فيه فضيلة ، لا سيما عند الصنع الجميل ، ليستزيد من ذلك ومحله حيث يؤمن الافتتان ، وفيه المسابقة على الأقدام ، ولا خلاف فى جوازه بغير عوض ، وأما بالعوض فالصحيح أنه لا يصح ، والله أعلم .

غزوة خيبر

الحديث الأول

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : خَرجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِلَى خَيْبَرَ ، فَسِرْنَا لَيْلاً ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ لِعَامِرٍ : يَاعامِرُ أَلَا تُسْمِعُنَا مِنْ هُنَيْهَاتِكَ ، وكَانَ عامِرٌ رَجُلاً شَاعِراً ، فَنَزَلَ يَحْدُو بالْقَوْم يَقُولُ :

اللَّهُمّ لَوْلَا أَنتَ ما ٱهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَاغْفِرْ فِدَاءً لَكَ ما أَبْقَيْنَا وَأَلْقِيَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا
وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا إِنَّا إِذَا صِيحَ بِنَا أَبَيْنَا
* وَبالصِّيَاح عَوَّلُوا عَلَيْنَا *

فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ هذَا السَّائِقُ ؟ قالُوا : عَامِرُ ابْنُ الْأَكْوَعِ ،قالَ يَرْحَمُهُ ٱللهُ ، قالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْم : وَجَبَتْ يَانَبِيَّ ٱللهِ لَوْلَا أَمْتَعْتَنَا بِهِ ، فَأَتَيْنَا خَيْبَرَ فَحَاصَرْنَاهُمْ حَتَّى أَصابَتْنَا مَخْمَصَةٌ شَدِيدَةٌ ثُمَّ إِنَّ اللهَ تَعَالَى فَتَحَهَا عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا أَمْسَى النَّاسُ مَسَاءَ الْيَوْمِ الَّذِى فُتِحَتْ عَلَيْهِمْ أَوْقَدُوا نِيرَاناً كَثِيرَةً ، فَقَالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم : مَاهذِهِ النِّيرَانُ ؟ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تُوقِدُونَ ؟ قالُوا : عَلَى لَحْمٍ ، قالَ : عَلَى أَى لَحْمٍ ؟ قالُوا : لَحْمُ حُمُرِ الإِنْسِيَّةِ ، قالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم : أَهْرِيقُوهَا وَٱكْسِرُوهَا ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ ٱللهِ أَوْ نُهْرِيقُهَا وَنَغْسِلُهَا ؟ قالَ : أَوْ ذَاكَ ، فَلَمَّا تَصَافَ الْقَوْمُ كانَ سَيْفُ عامِرٍ قَصِيراً ، فَتَنَاوَلَ بِهِ سَاقَ يَهُودِيٍّ لِيَضْرِبَهُ ، فَرَجَعَ ذبَابُ سَيْفِهِ ، فَأَصَابَ عَيْنَ رُكْبَةِ عامِرٍ ، فَمَاتَ مِنْهُ ، قالَ : فَلَمَّا قَفَلُوا ، قالَ سَلَمَةُ : رَآنِى وَرَسُولُ

ٱللهِ صلى الله عليه وسلم وَهْوَ آخِذٌ بِيَدِى ، قالَ : مالَكَ ؟ قُلْتُ لَهُ : فِدَاكَ أَبِى وَأُمى زَعَمُوا أَنَّ عامِراً حَبِطَ عَمَلُهُ . قالَ النَّبىُّ صلى الله عليه وسلم : كَذَبَ مَنْ قالَهُ إِنَّ لَهُ لَأَجْرَيْنِ ، وَجَمَعَ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ ، إِنَّهُ لَجَاهِدٌ مُجَاهِدٌ قَلَّ عَرَبِىٌّ مَشى بهَا مِثْلُهُ ، وَفِى رِوَايَةٍ : نَشَأَ بهَا .

---

* (غزوة خيبر) *

بوزن جعفر ، وهى مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة إلى جهة الشام ، سميت باسم رجل من العماليق نزلها ، خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليها فى بقية المحرم سنة سبع ، فأقام يحاصرها بضع عشرة ليلة إلى أن فتحها فى صفر . وهذا أرجح الأقوال .

(عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه) أنه (قال : خرجنا مع النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم إلى خيبر ، فسرنا ليلا ، فقال رجل من القوم) هو أُسيد بن حضير . وقال فى الفتح : لم أقف على اسمه صريحاً . وعند ابن إسحق من حديث نصر بن دهر الأسلمى : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فى مسيره إلى خيبر (لعامر) بن الأكوع وهو عم سلمة ، واسم الأكوع سنان : انزل يا ابن الأكوع فحد لنا من هنيهاتك ، ففيه أنه صلى الله عليه وآله وسلم هو الذى أمره بذلك (يا عامر ألا تسمعنا من هنيهاتك) بهاءين ، مصغر هنة ، ولأبى ذر : هنياتك بهاء واحدة وتحتية مشددة ، أى من أراجيزك (وكان عامر رجلا شاعراً) ولأبى ذر : حداء ، وهذا يدل . على أن الرجز من أقسام الشعر ، لأن الذى قاله عامر حينئذ من الرجز (فنزل يحدو بالقوم) وهذه كانت عادتهم إذا أرادوا تنشيط الإبل فى السير ، ينزل بعضهم فيسوقها ويحدو فى تلك الحال ، فجعل عامر يرتجز ويسوق الركاب و (يقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا   ولا تصدقنا ولا صلينا)

قال فى الفتح : فى هذا القسم زحاف الخزم بمعجمتين ، وهو زيادة سبب خفيف فى أوله ، وأكثر هذا الرجز قد تقدم ذكر البخارى له فى

الجهاد من حديث البراء ، وأنه من شعر عبد الله بن رواحة ، فيحتمل أن يكون هو وعامر تواردا على ما تواردا منه ، بدليل ما وقع لكل منهما مما ليس عند الآخر ، أو استعان عامر ببعض ما سبقه إليه ابن رواحة (فاغفر فداء لك ما أبقينا *) من الإبقاء ، أى ما خلفنا وراءنا مما اكتسبناه من الآثام . وفى رواية ما اتقينا ، أى ما تركنا من الأوامر ، والمخاطب بذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أى اغفر لنا تقصيرنا فى حقك ونصرك ، إذ لا يتصور أن يقال مثل هذا الكلام للبارى تعالى شأنه . وقال الحافظ : وقد استشكل هذا الكلام ، لأنه لا يقال فى حق الله ، إذ معنى فداء لك : نفديك بأنفسنا ، وحذف متعلق الفداء للشهرة ، وإنما يتصور الفداء لمن يجوز عليه الفناء . وأجيب عن ذلك بأنها كلمة لا يراد ظاهرها ، بل المراد بها المحبة والتعظيم مع قطع النظر عن ظاهر اللفظ . وقيل : المخاطب بهذا الشعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والمعنى : لا تؤاخذنا بتقصيرنا فى حقك ونصرك . وعلى هذا فقوله « اللهم » لم يقصد بها الدعاء وإنما افتتح بها الكلام ، والمخاطب بقول الشاعر « لولا أنت » النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، إلى آخره ، لكن يعكر عليه قوله بعد ذلك :

فأنزلـــن سكينـــة علينـــا وثبت الأقـــدام إن لاقينـــا

فإنه دعاء لله ، ويحتمل أن يكون المعنى : فاسأل ربك أن ينزل ويثبت ، والله أعلم . انتهى (وألقين سكينة علينا) أى سل ربك أن يلقين (وثبت الأقدام إن لاقينا *) أى العدو (إنا إذا صيح بنا أبينا) أى إذا دعينا إلى غير الحق امتنعنا . وفى رواية : أتينا ، أى إذا دعينا إلى القتال أو إلى الحق جئنا (* وبالصياح عولوا علينا *) أى بالصوت العالى قصدونا واستغاثوا علينا (فقال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : من هذا السائق) للإبل (قالوا) يا رسول الله (عامر بن الأكوع ، قال) صلى الله عليه وآله وسلم (يرحمه الله) وعند أحمد من رواية إياس بن سلمة : فقال : غفر لك ربك ، قال : وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لإنسان يخصه إلا استشهد (قال رجل من القوم) هو عمر بن الخطاب كما فى مسلم (وجبت) له الشهادة بدعائك له (يا نبى الله لولا) أى هلا (أمتعتنا به) أى أبقيته لنا نتمتع به ، أى بشجاعته . والتمتع : الترفه إلى مـــدة . ومنه : أمتعنى الله

ببقائك (فأتينا خيبر) أى أهل خيبر (فحاصرناهم حتى أصابتنا مخمصة) مجاعة (شديدة ، ثم إن الله فتحها عليهم) حصناً حصناً ، وكان أولها فتحاً حصن ناعم (فلما أمسى الناس مساء اليوم الذى فتحت عليهم أوقدوا نيراناً كثيرة ، فقال النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم : ما هذه النيران ؟ على أى شيء توقدون ؟ قالوا) نوقدها (على لحم ، قال : على أى لحم ؟ قالوا : لحم حمر الإنسية) جمع حمار وهو بضمتين وبكسر الهمزة أو بفتحها (قال النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم : أهريقوها) أى أريقوها (واكسروها ، فقال رجل) لم يسم أو هو عمر بن الخطاب (يارسول الله أو) بسكون الواو (نهريقها) بضم النون (ونغسلها ، قال : أو ذاك) أى الغسل (فلما تصاف القوم) بتشديد الفاء ، أى للقتال (كان سيف عامر) بن الأكوع (قصيراً فتناول به ساق يهودى ليضربه) به (ويرجع ذباب سيفه) أى طرفه الأعلى أو حده (فأصاب عين ركبة عامر) أى طرف ركبته الأعلى . وعند أحمد : فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه ، فبرز له عامر ، فاختلفا ضربتين ، فوقع سيف مرحب فى ترس عامر ، فذهب عامر يسفل له ، أى يضربه من أسفل ، فرجع سيف عامر على نفسه (فمات منه ، قال : فلما قفلوا) رجعوا من خيبر (قال سلمة) ابن الأكوع (رآنى رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم وهو آخذ بيدى ، قال : مالك) وعند قتيبة : رآنى شاحباً ، أى متغير اللون ولا يأس ، فأتيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أبكى (قلت له : فداك أبى وأمى ، زعموا أن عامراً حبط عمله) لأنه قتل نفسه . وفى رواية إياس : بطل عمل عامر ، قتل نفسه ، وسمى من القائلين أسيد بن حضير (قال النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم : كذب من قال إن له لأجرين) أجر الجهد فى الطاعة ، وأجر الجهاد فى سبيل الله ، واللام للتأكيد (وجمع) صلى الله عليه وآله وسلم (بين أصبعيه ، أنه لجاهد) مرتكب للمشقة ، واللام للتأكيد (مجاهد) فى سبيل الله ، والثانى اتباع للتأكيد ، كقولهم : جاد مجد (قل عربى مشى بها) بالأرض أو المدينة أو الحرب أو الخصلة (مثله) أى مثل عامر (وفى رواية) حاتم بن إسماعيل (نشأ) أى شب (بها) وكبر . وهذه الرواية موصولة عند البخارى فى الأدب . وحكى السهيلى مشابهاً بضم الميم ، أى ليس له مشابه فى صفات الكمال فى القتال .

الحديث الثانى

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم أَتى خَيْبَرَ لَيْلاً ، تَقَدَّمَ فى الْصَّلاَةِ ، وَزَادَ هُنَا : فَقَتَلَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم المُقَاتِلَةَ وَسَبَى ٱلذُّرِّيَّةَ .

(عن أنس) بن مالك (رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم أتى خيبر) أى قريباً منها (ليلا ، تقدم فى الصلاة ، وزاد هنا) أى فى هذه الرواية (فقتل النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم المقاتلة) أى الرجال (وسبى الذرية) .

الحديث الثالث

عَنْ أَبِى مُوسى الْأَشْعَرِىِّ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : لَمَّا غَزَا رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم خَيْبَرَ أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وَادٍ فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ : ٱللهُ أَكْبَرُ ، ٱللهُ أَكْبَرُ ، لَا إِلَهَ إِلاَّ ٱللهُ . فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : إِرْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غائِباً ، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعاً قَرِيباً وَهْوَ مَعَكُمْ ، وَأَنَا خَلْفَ دَابَّةِ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَسَمِعَنِى وَأَنَا أَقُولُ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ ، فَقَالَ لِى : يَا عَبْدَ ٱللهِ بْنَ قَيْسٍ ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَسُولَ ٱللهِ ، قالَ : أَلَا أَدُلُّكَ على كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ ٱللهِ فِدَاكَ أَبِى وَأُمى ، قالَ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلاَّ باللهِ .

(عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : لما غزا رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم خيبر ، أو قال : لما توجه إلى خيبر) والشك من الراوى ، ورجع منها (أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير : الله أكبر ، الله أكبر) مرتين (لا إله إلا الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : إربعوا) بكسر الهمزة وفتح الموحدة ، أى ارفقوا أو امسكوا عن الجهر أو اعطفوا (على أنفسكم) بالرفق وكفوا عن الشدة (إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً ، إنكم تدعون سميعاً) يسمع السر وأخفى (قريباً) ليس غائباً ، وهذا كالتعليل لقوله : لا تدعون أصم (وهو معكم) بالعلم والقدرة عموماً ، وبالفضل والرحمة خصوصاً (وأنا خلف) أى وراء (دابة رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فسمعنى وأنا أقول : لا حول ولا قوة إلا بالله) أى لايوصل إلى تدبير أمر وتغير حال إلا بمشيئتك ومعونتك (فقال لى : يا عبدالله ابن قيس ، قلت : لبيك) يا (رسول الله ، قال : ألا أدلك على كلمة من كنز من كنوز الجنة ؟ قلت : بلى يا رسول الله) دلنى (فداك أبى وأمى ، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله) قال الطيبى : هذا التركيب ليس باستعارة

لذكر المشبه وهو الحوقلة ، والمشبه به وهو الكنز ، ولا التشبيه الصرف لبيان الكنز بقوله : « من كنوز الجنة » بل هـــو من إدخال الشيء فى جنس وجعله أحد أنواعه على التغليب ، فالكنز إذن نوعان : المتعارف : وهو المال الكثير يجعل بعضه فوق بعض ويحفظ ، وغير المتعارف : وهو هذه الكلمة الجامعة المكتنزة بالمعانى الإلهية لما أنها محتوية على التوحيد الخفى ، لأنه إذا نفيت الحيلة والحركة والاســتطاعة عما من شأنه ذلك وأثبتت لله على سبيل الحصر ، وبإيجاده واستعانته وتوفيقه ، لم يخرج شيء من ملكه وملكاته . قال : ومن الدلالة على أنها دالة على التوحيد الخفى قوله صلى الله عليه وآله وسلم لأبى موسى : « ألا أدلك على كنز » مع أنه كان يذكرها فى نفسه ، فالدلالة إنما تستقيم على ما لم يكن عليه ، وهو أنه لم يعلم أنه توحيد خفى وكنز من الكنوز ، ولأنه لم يقل ما ذكرته كنز من الكنوز ، بل صرح بها حيث قال : لا حول ولا قوة إلا بالله .

الحديث الرابع

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم ٱلْتَقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ فَاقتَتَلُوا ، فَلَمَّا مالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى عَسْكَرِهِ وَمالَ الآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ ، وَفِى أَصْحَابِ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ لَا يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً وَلَا فاذَّةً إِلاَّ ٱتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ ، فَقِيلَ : ما أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كما أَجْزَأَ فُلَانٌ ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : أَنَا صَاحِبُهُ ، قالَ : فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ ، وَقَفَ مَعَهُ ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ ، قالَ : فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحاً شَدِيداً ، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ ، فَوَضَعَ سَيْفَهُ بِالْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ، ثُمَّ تَحامَلَ عَلَى سَيْفِهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : قالَ : وَما ذَاكَ ؟ قالَ : الرَّجُلُ الَّذِى ذَكَرْتَ آنِفاً إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذلِكَ ، فَقُلْتُ : أَنَا لَكُمْ بِهِ ، فَخَرَجْتُ فِى طَلَبِهِ ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحاً شَدِيداً ، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِى الْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم عِنْدَ ذلِكَ : إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ فِيما يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهْوَ مِنْ أَهْلِ النّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النّار فِيما يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهْوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ .

وَفِى رِوَايَةٍ : فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : قُمْ يَا بِلَالُ فَأَذِّنْ : أَنْ لَا يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلاَّ مُؤْمِنٌ ، إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ .

(عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم التقى هو والمشركون) من يهود خيبر (فى بعض مغازيه ،

فاقتتلوا ، فمال كل قوم) من المسلمين واليهود (إلى عسكرهم) أى رجعوا بعد فراغ القتال فى ذلك اليوم . وفى رواية : فلما مال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى عسكره ومال الآخرون إلى عسكرهم (وفى أصحاب رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) أو فى المسلمين (رجل) اسمه قزمان (لايدع من المشركين) نسمة (شاذة) انفردت عنهم بعد أن كانت معهم (ولا فاذة) منفردة لم تكن معهم قبل (إلا اتبعها) بتشديد التاء (فضربها بسيفه) فقتلها (فقيل : يا رسول الله ما أجزأ) منا (أحد ، ما أجزأ فلان ، فقال صلى الله عليه) وآله (وسلم : أما إنه من أهل النار) فقالو : أينا من أهل الجنة إن كان هذا مع جده وجهاده من أهل النار (فقال رجل من القوم) اسمه أكتم بن أبى الجون (أنا صاحبه) وفى رواية : لأتبعنه (فخرج معه كلما وقف وقف معه ، وإذا أسرع أسرع معه) وفى رواية : فإذا أسرع وأبطأ كنت معه حتى جرح (قال : فجرح الرجل جرحاً شديداً) فوجد ألم الجراحة (فاستعجل الموت فوضع) نصاب (سيفه) أى مقبضه ملتصقاً بالأرض (وذبابه) طرفه (بين ثدييه ثم تحامل) اتكأ (على سيفه فقتل نفسه) وعند الواقدى : أن قزمان كان تخلف عن المسلمين يوم أُحد فعيره النساء ، فخرج حتى صار فى الصف الأول ، فكان أول من رمى بسهم ، ثم صار إلى السيف ففعل العجائب ، فلما انكشف المسلمون كسر جفن سيفه وجعل يقول : الموت أحسن من الفرار ، فمر به قتادة بن النعمان فقال له : هنيئاً لك الشهادة ، قال : إنى والله ما قاتلت على دين ، إنما قاتلت على حسب قومى ، ثم أقلقته الجراحة فقتل نفسه ، لكن قوله : « يوم أُحد » خالف فيه ، وهو لا يحتج به إذا انفرد ، فكيف إذا خالف ، نعم فى حديث أبى يعلى الموصلى تعيين يوم أُحد ، لكنه مما وقع الاختلاف فيه على الراوى (فجاء الرجل) أى الذى اتبعه إلى النبى صلى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أشهد أنك رسول الله (فقال : وماذاك ؟ فأخبره) بقتل قزمان نفسه (فقال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) عند ذلك (إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وإنه من أهل النار ، ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة) زاد فى حديث أكتم : تدرك الشقاوة والسعادة عند خروج نفسه فيختم له بها .

(وفى رواية : فقال النبى صلى الله عليه وآله) وسلم : قم يا بلال فأذن

أن لا يدخل الجنة إلا مؤمن ، إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر) الذى قتل نفسه ، فأل للعهد أو للجنس لا للعهد ، فيعم كل فاجر أيد الدين وساعده بوجه من الوجوه . قال فى الحاشية : وفى الحديث التحذير من الاغترار بالأعمال ، وقد أعلمنا من لاينطق عن الهوى أن الرجل حق عليه الوعيد بالعذاب ، أما المؤبد إن كان انضم إلى قتل نفسه كفر أو المؤقت إلى حيث شاء الله ، وهذا إن لم يغفر الله له ، إذ غير الكفر تحت المشيئة ، لأن الوعيد قد يخلفه الكرام ، ولا كريم على الحقيقة سواء عز وجل ، ولا ضير فى إخبار أشرف الخلق إذن بوعيد الله ، إذ هو فى نفسه صدق ، وتحقق مضمونه وعدمه شىء آخر ، ولا يلزم من تخلف الوعيد تخلف العلم ، بل خلف الوعيد يكون مطابقاً للعلم ، مثلا لو توعد الله شخصاً بأنه معذب ثم تبين لنا فى الآخرة إنه منعم دل على أن الله تعلق علمه أزلا بأنه لا يعذب .

الحديث الخامس

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : ضُرِبْتُ ضَرْبَةً فى سَاقى يَوْمَ خَيْبَرَ ، فَأَتَيْتُ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم ، فَنَفَثَ فِيهَا نَفَثَاتٍ ، فَمَا ٱشْتَكَيْتُهَا حَتَّى السَّاعَةِ .

(عن سلمة ابن الأكوع رضى الله عنه قال : ضربت ضربة فى ساقى يوم خيبر ، فأتيت النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم فنفث فيها ثلاث نفثات ، فما اشتكيتها حتى الساعة) أى نفث فى موضع الضربة . والنفث فوق النفخ ودون التفل ، وقد يكون بغير ريق ، بخلاف التفل ، ويكون بريق خفيف ، بخلاف النفخ .

الحديث السادس

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : قامَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ خَيْبَرَ وَالمَدِينَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ يُبْنَى عَلَيْهِ بِصَفِيَّةَ ، فَدَعَوْتُ المُسْلِمِينَ إلى وَلِيمَتِهِ وَمَا كانَ فِيهَا مِنْ خُبْزٍ وَلَا لَحْمٍ وَما كانَ فِيهَا إِلَّا أَنْ أَمَرَ بِلَالاً بالأَنْطَاعِ فَبُسِطَتْ ، فَأُلْقِيَ عَلَيْنَا التَّمْرُ وَالأَقِطُ وَالسَّمْنُ ، فَقَالَ المُسْلِمُونَ : إِحْدَى أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ ، قالُوا : إنْ حَجَبَهَا فَهِيَ إِحْدَى أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ ، وَإِنْ لَمْ يَحْجُبْهَا فَهِيَ مِمَّا مَلَكَتْ يَمِينُهُ ، فَلَمَّا ٱرْتَحَلَ وَطَّأَ لَهَا خَلْفَهُ وَمَدَّ ٱلْحِجَابَ .

(عن أنس رضى الله عنه قال : أقام النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم بين خيبر والمدينة ثلاث ليال) بأيامها (يبنى عليه بصفية ، فدعوت المسلمين إلى وليمته) صلى الله عليه وآله وسلم (وما كان فيها من خبز ولا لحم ، وما كان فيها إلا أن أمر) صلى الله عليه وآله وسلم (بلالا بالأنطاع) أى بأن تبسط السفر (فبسطت فألقى عليها التمر والأقط والسمن ، فقال المسلمون) هل هى (إحدى أمهات المؤمنين) الحرائر (أو ما ملكت يمينه ؟ قالوا : إن حجبها فهى إحدى أمهات المؤمنين وإن لم يحجبها فهى مما ملكت يمينه ، فلما ارتحل) صلى الله عليه وآله سلم (وطأ) أى أصلح (لها) ما تحتها للركوب (خلفه ومد الحجاب) .

الحديث السابع

عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم نَهَى عَنْ مُتْعَةِ النِّسَاءِ يَوْمَ خَيْبَرَ ، وَعَنْ أَكْلِ الحُمُرِ الإِنْسِيَّةِ .

(عن عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم نهى) نهى تحريم (عن متعة النساء) وهو النكاح إلى أجل ، سمى بذلك لأن الغرض منه مجرد التمتع دون التوالد وغيره من أغراض النكاح ، وكان جائزاً فى أول الإسلام لمن اضطر إليه ، كأكل الميتة ، ثم حرم (يوم خيبر) ثم رخص فيه عام الفتح أو عام حجة الوداع ، ثم حرم إلى يوم القيامة ، وقد قيل : إن فى هذا الحديث تقديماً وتأخيراً ، وإن الصواب نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الإنسية ، وعن متعة النساء ، وليس يوم خيبر ظرفاً لمتعة النساء ، لأنه لم يقع فى غزوة خيبر تمتع بالنساء . وعند الترمذى بدل قوله هنا « يوم خيبر » زمن خيبر . قال ابن عبد البر : إن ذكر النهى يوم خيبر غلط . وقال السهيلى : لايعرفه أحد من أهل السير (و) نهى يوم خيبر (عن أكل الحمر الإنسية) بكسر الهمزة .

الحديث الثامن

عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قالَ : قَسَمَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ خَيْبَرَ لِلْفَرَسِ سَهْمَيْنِ وَلِلرَّاجِلِ سَهْماً .

(عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قسم رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يوم خيبر للفرس سهمين وللراجل سهماً) قال نافع : إذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم ، فإن لم يكن له فرس فله سهم واحد ، وقال أبو حنيفة : لا يسهم للفارس إلا سهم واحد ولفرسه سهم . وهذا الحديث تقدم فى كتاب الجهاد .

الحديث التاسع

عَنْ أَبِي مُوسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ : بَلَغَنا مَخْرَجُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ ، فَخَرَجْنا مُهاجِرِينَ إِلَيْهِ أَنَا وأَخَوانِ لِي أَنا أَصْغَرُهُمْ ، أَحَدُهُما أَبُو بُرْدَةَ وَالآخَرُ أَبُو رُهْمٍ فِي ثَلاثَةٍ وَخَمْسِينَ مِنْ قَوْمِي ، فَرَكِبْنا سَفِينَةً فَأَلْقَتْنا سَفِينَتُنا إِلَى النَّجاشِيِّ بِالحَبَشَةِ ، فَوافَقْنا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، فَأَقَمْنا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنا جَمِيعاً ، فَوَافَقْنَا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم حِينَ ٱفْتَتَحَ خَيْبَرَ ، وَكانَ أُناسٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ لَنا - يَعْنِي لِأَهْلِ السَّفِينَةِ -: سَبَقْناكُمْ بِالهِجْرَةِ، وَدَخَلَتْ أَسْماءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ - وَهِيَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَنَا - عَلَى حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم زَائِرَةً ، وَقَدْ كانَتْ هاجَرَتْ إِلَى النَّجاشِيِّ فِيمَنْ هاجَرَ ، فَدَخَلَ عُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَلَى حَفْصَةَ وَأَسْماءُ عِنْدَها ، فَقالَ عُمَرُ حِينَ رَأَى أَسْماءَ : مَنْ هذِهِ ؟ قالَتْ : أَسْماءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ ، قالَ عُمَرُ : آلْحَبَشِيَّةُ هذِهِ ؟ الْبَحَرِيَّةُ هذِهِ ؟ قالَتْ أَسْماءُ : نَعَمْ ، قالَ : سَبَقْناكُمْ بِالْهِجْرَةِ ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْكُمْ ، فَغَضِبَتْ وَقالَتْ : كَلاَّ وَٱللَّهِ كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُطْعِمُ جائِعَكُمْ ، وَيَعِظُ جاهِلَكُمْ ، وَكُنَّا فِي دارٍ أَوْ فِي أَرْضِ الْبُعَداءِ الْبُغَضاءِ بِالحَبَشَةِ ، وَذلِكَ فِي ٱللَّهِ وَفِي رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم ، وَٱيْمُ ٱللَّهِ لَا أَطْعَمُ طَعاماً وَلَا أَشْرَبُ شَرَاباً حَتَّى أَذْكُرَ ما قُلْتَ لِرَسُولِ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، وَنَحْنُ كُنَّا تُؤْذَى وَنُخَافُ ، وَسَأَذْكُرُ ذلِكَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَأَسْأَلُهُ ، وَٱللَّهِ لَا أَكْذِبُ وَلَا أَزِيغُ وَلَا أَزِيدُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا جاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قالَتْ : يَانَبِيَّ ٱللَّهِ إِنَّ عُمَرَ قالَ كَذَا وَكَذَا ، قالَ : فَمَا قُلْتِ لَهُ ؟ قالَتْ : قُلْتُ لَهُ كَذَا وَكَذَا ، قالَ : لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ وَلَهُ وَلِأَصْحابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ أَهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ .

(عن أبى موسى رضى الله عنه قال : بلغنا مخرج النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم) مصدر ميمى بمعنى خروجه ، أو اسم زمان بمعنى وقت خروجه ، أى بعثته أو هجرته ، وعلى الثانى يحتمل أنه بلغتهم الدعوة فأسلموا وتأخروا فى بلادهم حتى وقعت الهدنة والأمان من خوف القتال (ونحن باليمن ، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وإخوان لى ، أنا أصغرهم ، أحدهما أبو بردة) عامر بن قيس (والآخر أبو رهم) بضم الراء وسكون الهاء ابن قيس الأشعريان (إما قال بضع وإما قال فى ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلا من قومى) الأشعريين (فركبنا سفينة ، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشى) ملك الحبشة (بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن أبى طالب) بها (فأقمنا معه) ثم (حتى قدمنا جميعاً) وسرد ابن إسحاق أسماء من قدم مع جعفر وهم ستة عشر رجلا ، فمنهم امرأته أسماء بنت عميس ، وخالد بن سعيد بن العاص وامرأته ، وأخوه عمرو بن سعيد ، ومعيقيب بن أبى فاطمة (فوافقنا النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم حين افتتح خيبر) زاد فى فرض الخمس : فأسهم لنا ولم يسهم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئاً إلا لمن شهدها معه إلا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه ، فإنه قسم لهم معهم . وعند البيهقى أنه صلى الله عليه وآله وسلم كلم المسلمين قبل أن يقسم لهم فأشركوهم (وكان أناس من الناس) سمى منهم عمر (يقولون لنا ، يعنى لأهل السفينة : سبقناكم بالهجرة ، ودخلت أسماء بنت عميس) مع زوجها جعفر (وهى ممن قدم معنا) من أصحاب السفينة (على حفصة) بنت عمر (زوج النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم زائرة ، وقد كانت هاجرت إلى النجاشى فيمن هاجر ، فدخل عمر على) ابنته (حفصة وأسماء عندها ، فقال عمر حين رأى أسماء) لابنته حفصة (من هذه ؟ قالت : أسماء بنت عميس ، قال عمر : آلحبشية هذه) قال ذلك لسكناها فيهم (البحرية هذه) لركوبها البحر (قالت أسماء : نعم ، قال) عمر لها : (سبقناكم بالهجرة) إلى المدينة (فنحن أحق برسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم منكم ، فغضبت أسماء ، وقالت : كلا والله كنتم مع رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم ، وكنا فى دار أو فى أرض البعداء البغضاء) جمع بعيد وبغيض (بالحبشة ، وذلك فى الله وفى رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) أى لأجلهما وطلب رضاهما (وايم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول

الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ، ونحن كنا نؤذى ونخاف ، وسأذكر ذلك للنبي صلى الله عليه) وآله (وسلم وأسأله ، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه ، فلما جاء النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم قالت) له (يانبي الله إن عمر قال كذا وكذا ، قال : فما قلت له ؟ قالت : قلت له كذا وكذا ، قال) صلى الله عليه وآله وسلم (ليس بأحق بى منكم ، وله ولأصحابه هجرة واحدة ، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان) إلى النجاشي وإليه صلى الله عليه وآله وسلم . وعند ابن سعد بإسناد صحيح عن الشعبي قال : قالت أسماء : يارسول الله إن رجالا يفتخرون علينا ويزعمون أنا لسنا من المهاجرين الأولين ، فقال : بل لكم هجرتان : هاجرتم إلى أرض الحبشة ، ثم هاجرتم بعد ذلك ، وظاهره تفضيلهم على غيرهم من المهاجرين ،لكن لايلزم منه تفضيلهم على الإطلاق بل من الحيثية المذكورة . قالت أسماء : فلقد رأيت أبا موسى الأشعرى وأصحاب السفينة يأتونى أرسالا ، أى أفواجاً ، أى ناساً بعد ناس ، يسألونى عن هذا الحديث : ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم فى أنفسهم مما قال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم . قال أبو بردة : قالت أسماء : فلقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث منى .

الحديث العاشر

وَعَنْهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : قَالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم : إِنِّي لَأَعْرِف أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الْأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ وَأَعْرِف مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ ، وَمِنْهُمْ حَكِيمٌ إِذَا لَقِيَ الخَيْلَ ، أَوْ قالَ الْعَدُوَّ ، قالَ لَهُمْ إِنَّ أَصْحَابِي يَأْمُرُونَكُمْ أَنْ تَنْظُرُوهُمْ .

(وعنه) أى عن أبى موسى (رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم : إنى لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون) منازلهم (بالليل) إذا خرجوا إلى المسجد أو لشغل ما ، ثم رجعوا ، وقال الدمياطى : الصواب : حين يرحلون . قال النووى : الأولى صحيحة أو أصح . وقال صاحب المصابيح : ولم أعرف ما الموجب لطرح هذه الرواية مع استقامتها ، هذا شيء عجيب (وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل ، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار ، ومنهم حكيم) صفة لرجل منهم كما قاله أبو على الصدفى ، أو علم على رجل من الأشعريين كما قاله أبو على الجيانى (إذا لقى الخيل أو قال العدو) بالشك (قال لهم : إن أصحابى يأمرونكم أن تنظروهم) من الانتظار ، أى أنه لفرط شجاعته كان لا يفر من العدو ، بل يواجههم ويقول لهم إذا أرادوا الانصراف مثلا : انتظروا الفرسان حتى يأتوكم ليبعثهم على القتال . وهذا بالنسبة إلى قوله « العدو » وأما بالنسبة إلى « الخيل » فيحتمل أن يريد بها خيل المسلمين ، ويشير بذلك إلى أن أصحابه كانوا رجالة ، فكان يأمر الفرسان أن ينتظروهم ليسيروا إلى العدو جميعاً . قال فى الفتح : وهذا أشبه بالصواب . قال ابن التين : معنى كلامه أن أصحابه يحبون القتال فى سبيل الله ولا يبالون بما يصيبهم .

الحديث الحادى عشر

وَعَنْهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بَعْدَ أَنِ ٱفْتَتَحَ خَيْبَرَ فَقَسَمَ لَنَا وَلَمْ يَقْسِمْ لِأَحَدٍ لَمْ يَشْهَدِ الْفَتْحَ غَيْرَنَا .

(وعنه) أى عن أبي موسى (رضى الله عنه قال : قدمنا على النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم) مع جعفر وأصحابه من الحبشة (بعد أن افتتح خيبر ، فقسم لنا ولم يقسم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا) الأشعريين ومن معهم وجعفر ومن معه .

الحديث الثانى عشر

عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ وَهْوَ مُحْرِمٌ وَبَنَى بِهَا وَهْوَ حَلَالٌ ، وَمَاتَتْ بِسَرِفَ .

(عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم تزوج ميمونة وهو محرم) بعمرة القضية (وبنى بها وهو حلال وماتت) بعد ذلك (بسرف) فى الموضع الذى بنى بها هو على عشرة أميال من مكة سنة إحدى وخمسين .

غزوة موتة من أرض الشام

الحديث الأول

عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قالَ : أَمَّرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فى غَزْوَةِ مُؤْتَةَ زَيْدَ بْنَ حارِثَةَ ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : إن قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ ٱللهِ بْنَ رَوَاحَةَ . قالَ ٱبْنُ عُمَرَ : كُنْتُ فِيهِمْ فى تِلْكَ الْغَزْوَةِ ، فَالتَمَسْنَا جَعْفَرَ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَوَجَدْنَاهُ فى الْقَتْلَى ، وَوَجَدْنَا مافى جَسَدِهِ بِضْعاً وَتِسْعِينَ مِنْ طَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ .

---

* (غزوة موتة) *

بضم الميم وسكون الواو من غير همز لأكثر الرواة ، وبه جزم المبرد ، ومنهم من همزها ، وبه جزم ثعلب والجوهرى وابن فارس ، بالقرب من البلقاء (من أرض الشام) وقيل : على مرحلتين من بيت المقدس ، كانت فى جمادى الأولى سنة ثمان .

(عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : أمر النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم فى غزوة موتة زيد بن حارثة ، فقال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : إن قتل زيد فجعفر) أى ابن أبى طالب أميرهم (وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة) الأمير (قال ابن عمر : كنت فيهم فى تلك الغزوة فالتمسنا) طلبنا (جعفر بن أبى طالب) بعد أن قتل (فوجدناه فى القتلى ووجدنا ما فى جسده بضعاً وتسعين من طعنة) برمح (ورمية) بسهم ، ولا تنافى بين هذه والسابقة المقتصرة على خمسين ، لأن تخصيص العدد لا ينفى الزائد ، أو أن الخمسين كانت بصدره والأخرى بجسده كله ، أو أن الزيادة باعتبار ما وجد فيه من رمى السهام ، فإن ذلك لم يذكر فى الرواية الأولى .

الحديث الثانى

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قالَ : بَعَثَنَا رَسُولُ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم إلَى الْحُرْقَةِ ، فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَار رَجُلاً مِنْهُمْ ، فَلَمَّا غَشِينَاهُمْ قَالَ : لَا إلٰهَ إلاَّ ٱللَّهُ ، فَكَفَّ الْأَنْصَارِيُّ ، فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ : يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ ما قالَ لَا إلٰهَ إلاَّ ٱللَّهُ ؟ قُلْتُ : كَانَ مُتَعَوِّذاً ، فَما زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّى لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذٰلِكَ الْيَوْمِ .

(عن أُسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم إلى الحرقة) واسمه جهيش بن عامر بن ثعلبة ، سمى به لأنه حرق قوماً بالقتل فبالغ فى ذلك (فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار) قال فى المقدمة : لم أعرف اسم الأنصارى ويحتمل أن يكون أبا الدرداء ، فنى تفسير عبد الرحمن بن زيد ما يرشد إليه (رجلا منهم) هو مرداس بن عمرو ، ويقال ابن فهيد الفدكى (فلما غشيناه قال : لا إله إلا الله ، فكف الأنصارى فطعنته برمحى حتى قتلته ، فلما قدمنا) المدينة (بلغ النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم) قتلى له بعد قوله كلمة التوحيد (فقال : يا أسامة ، أقتلته بعد ما قال : لا إله إلا الله ؟ قلت) يا رسول الله (كان متعوذاً) من القتل (فما زال) صلى الله عليه وآله وسلم (يكررها) أى كلمة « أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله » (حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم) إنما قال أسامة ذلك على سبيل المبالغة لا الحقيقة . قال الكرمانى : أو تمنى إسلاماً لاذنب فيه . وقال الخطابى : يشبه أن يكون أسامة تأول قوله : « فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا » ولم ينقل أن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألزم أسامة بن زيد دية ولا غيرها . نعم نقل أبو عبد الله القرطبى فى تفسيره أنه أمره بالدية فلينظر . وهذه الغزوة تعرف عند أهل المغازى بسرية غالب بن عبد الله الليثى إلى الميفعة فى رمضان سنة سبع ، فقالوا : إن أسامة قتل الرجل

فى هذه السرية ، وهومخالف لظاهر ترجمة البخارى أن أميرها أُسامة ، ولعل المصير إلى ما فى البخارى ، إذ هو الراجح بل الصواب ، لأن أُسامة ما أمر إلا بعد قتل أبيه بغزوة موتة فى رجب سنة ثمان ، والله أعلم . وهذا الحديث أخرجه البخارى أيضاً فى الديات ، ومسلم فى الأيمان ، وأبو داود فى الجهاد ، والنسائى فى السير .

الحديث الثالث

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : غَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم سَبْعَ غَزَوَاتٍ ، وَخَرَجْتُ فِيما يُبْعَثُ مِنَ الْبُعُوثِ تِسْعَ غَزَوَاتٍ ، مَرَّةً عَلَيْنَا أَبُو بَكْرٍ ، وَمَرَّةً عَلَيْنَا أُسَامَةُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا .

(عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال : غزوت مع النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم سبع غزوات) عمرة الحديبية وخيبر ويوم حنين ويوم القرد ، وغزوة الفتح والطائف وتبوك وهى آخرهنّ (وخرجت فيما يبعث من البعوث) جمع بعث وهو الجيش (تسع غزوات ، مرة علينا أبو بكر) الصديق أميراً إلى بنى فزارة ، وأخرى إلى بنى كلاب ، وثالثة إلى الحج ، (ومرة علينا أُسامة) أميراً إلى الحرقات وإلى ابنى من نواحى البلقاء ، وهذه خمسة ذكرها أهل السير ، وبقيت أربع لم يذكروها ، فيحتمل أن يكون فى هذا الحديث حذف أى ومرة علينا غيرهما . وهذا الحديث أخرجه مسلم أيضاً فى المغازى .

غزوة الفتح فى رمضان

الحديث الأول

عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم خَرَجَ فى رَمَضَانَ مِنَ المَدِينَةِ وَمَعَهُ عَشَرَةُ آلَافٍ وَذٰلِكَ عَلَى رَأْسِ ثَمَانِ سِنِينَ وَنِصْفٍ مِنْ مَقْدَمِهِ المَدِينَةَ ، فَسَارَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المُسْلِمِينَ إِلَى مَكَّةَ يَصُومُ وَيَصُومُونَ ، حَتَّى بَلَغَ الْكَدِيدَ ، وَهْوَ ماءٌ بَيْنَ عُسْفَانَ وَقُدَيْدٍ أَفْطَرَ وَأَفْطَرُوا .

---

* (غزوة الفتح) *

أى فتح مكة شرفها الله تعالى لنقض أهلها العهد الذى وقع بالحديبية ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فغزاهم (فى رمضان) أى كانت فى رمضان سنة ثمان من الهجرة ، وإنه صلى الله عليه وآله وسلم قد خرج من المدينة لعشرمضين منه ، واستعمل على المدينة أبا رهم الغفارى ، وقال الليث كما عند البيهقى : لا أدرى أخرج فى شعبان فاستقبل رمضان ، أو خرج فى رمضان بعد ما دخل .

(عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم خرج فى رمضان من المدينة ومعه عشرة آلاف) وعند ابن إسحاق : فى إثنى عشر ألفاً من المهاجرين والأنصار وأسلم وغفار ومزينة وجهينة وسليم ، وكذا فى الإكليل وشرف المصطفى ، وجمع بين الروايتين بأن عشرة الآلاف من نفس المدينة ثم تلاحق به الألفان (وذلك على رأس ثمان سنين ونصف من مقدمه) صلى الله عليه وآله وسلم (المدينة) أى بناء على التاريخ بأول السنة من المحرم ، لأنه إذا دخل من السنة الثامنة شهران أو ثلاثة أُطلق عليها سنة مجازاً من تسمية البعض باسم الكل ، ويقع ذلك فى آخر ربيع الأول ، ومن ثم إلى رمضان نصف سنة ، أو يقال : كان آخر شعبان تلك السنة آخر سبع سنين

ونصف من أول ربيع الأول ، فلما دخل رمضان دخلت سنة أخرى ، وأول السنة يصدق عليه أنه رأسها فصح أنه رأس ثمان سنين ونصف ، أو أن رأس الثمان كان أول ربيع الأول وما بعده نصف سنة . كذا قرره فى الفتح موهماً ما فى رواية معمر هذه ، قال : والصواب على رأس سبع سنين ونصف ، وإنما وقع الوهم من كون غزوة الفتح كانت فى سنة ثمان ، ومن أثناء ربيع الأول إلى أثناء رمضان نصف سنة سواء ، فالتحرير أنها سبع سنين و نصف . انتهى . (فسارهو) صلى الله عليه وآله وسلم (ومن معه من المسلمين إلى مكة) حال كونه صلى الله عليه وآله وسلم (يصوم ويصومون حتى بلغ الكديد) بوزن حديد (وهـــو ماء بين عسفان وقديد) مصغراً (أفطر وأفطروا) أى أصحابه الذين كانوا معه . قال الزهرى : وإنما يؤخذ من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الآخر فالآخر ، وفيه إشارة إلى الرد على القائل : ليس له الفطر إذا شهد أول رمضان فى الحضر ، مستدلا بآية : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .

الحديث الثانى

وَعَنْهُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ : خَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فى رَمَضَانَ إِلَى حُنَيْنٍ وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ ، فَصَائِمٌ وَمُفْطِرٌ ، فَلَمَّا ٱسْتَوَى عَلَى رَاحِلَتِهِ دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ أَوْ ماءٍ فَوَضَعَهُ عَلَى رَاحَتِهِ أَوْ عَلَى رَاحِلَتِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى النَّاسِ ، فَقَالَ المُفْطِرُونَ لِلصُّوَّامِ : أَفْطِرُوا .

(وعنه) أى عن ابن عباس (رضى الله عنه قال : خرج النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم فى رمضان إلى حنين) واد بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا ، والمحفوظ المشهور أن خروجه صلى الله عليه وآله وسلم لحنين إنما كان فى شوال سنة ثمان ، إذ مكة فتحت فى سابع عشر رمضان ، وأقام بها تسعة عشر يوماً يصلى ركعتين ، فيكون خروجه إلى حنين فى شوال بلا ريب . وقول بعضهم : إن المراد أن ذلك كان فى غير زمن الفتح وكان فى حجة الوداع أو غيرها ، مردود بأن حنيناً لم تكن إلا فى شوال عقب الفتح اتفاقاً . وأجيب عن الاستشكال بأجوبة : أولاها ما قاله الطبرى أن المراد من قوله « خرج فى رمضان إلى حنين » أنه قصد الخروج إليها وهو فى رمضان ، فذكر الخروج ، وأراد القصد بالخروج ، وهذا شائع ذائع فى الكلام (والناس مختلفون فصائم ومفطر) لاختلافهم فى كونه صلى الله عليه وآله وسلم كان صائماً أو مفطراً (فلما استوى على راحلته دعا بإناء من لبن أوماء) بالشك من الراوى (فوضعه على راحته) كفه (أو على راحلته) التى هو راكب عليها (ثم نظر إلى الناس) ليروه (فقال المفطرون للصوّام) جمع صائم (أفطروا) زاد الطبرى فى تهذيبه : يا عصاة . وهذا الحديث انفرد به البخارى .

الحديث الثالث

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قالَ : لَمَّا سارَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم عامَ الْفَتْحِ ، فَبَلَغَ ذلِكَ قُرَيْشاً خَرجَ أَبو سُفْيَانَ وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ يَلْتَمِسُونَ الْخَبَرَ عَنْ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم فَأَقْبَلُوا يَسِيرُونَ، حَتَّى أَتَوْا مَرَّ الظَّهْرَانِ ، فَإِذَا هُمْ بِنِيرَانٍ كَأَنَّهَا نِيرَانُ عَرَفَةَ ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : مَا هَذِهِ لَكَأَنَّهَا نِيرَانُ عَرَفَةَ ، فَقَالَ بُدَيْلُ ٱبْنُ وَرْقاءَ : نِيرانُ بَنِي عَمْرٍو ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : عَمْرٌو أَقَلُّ مِنْ ذلكَ ، فَرَآهُمْ نَاسٌ مِنْ حَرَسِ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم فَأَدْرَكُوهُمْ فَأَخَذُوهُمْ فَأَتَوْا بِهِمْ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَأَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ ، فَلَمَّا سَارَ قالَ لِلْعَبَّاسِ : احْبِسْ أَبَا سُفْيَانَ عِنْدَ حَطْمِ الْخَيْلِ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَحَبَسَهُ الْعَبَّاسُ ، فَجَعَلَتِ الْقَبَائِلُ تَمُرُّ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم كَتِيبَةً كَتِيبَةً عَلَى أَبِي سُفْيَانَ، فَمَرَّتْ كَتِيبَةٌ ، قالَ : يَا عَبَّاسُ مَنْ هذِهِ ؟ قالَ : هذِهِ غِفَارُ ، قالَ : مالِي وَلِغِفَارَ ، ثُمَّ مَرَّتْ جُهَيْنَةُ ، فَقَالَ مِثْلَ ذلِكَ ، ثُمَّ مَرَّتْ سَعْدُ بْنُ هُزَيْمٍ فَقَالَ مِثْلَ ذلِكَ ، ثُمَّ مَرَّتْ سُلَيْمٌ فَقَالَ مِثْلَ ذلِكَ حَتَّى أَقْبَلَتْ كَتِيبَةٌ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا ، قالَ : مَنْ هذِهِ ؟ قالَ : هؤُلَاءِ الْأَنْصَارُ عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مَعَهُ الرَّايَةُ ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ : يَا أَبَا سُفْيَانَ الْيَوْمُ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ، الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْكَعْبَةُ، فَقَالَ أَبُوسُفْيَانَ: يَا عَبَّاسُ حَبَّذَا يَوْمُ ٱلذِّمارِ ، ثُمَّ جاءَتْ كَتِيبَةٌ ، وَهِيَ أَقَلُّ الْكَتَائِبِ ، فِيهِمْ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابُهُ ، وَرَايَةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مَعَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ، فَلَمَّا مَرَّ رَسُــولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم بِـأَبِي سُفْيَانَ ، قالَ : أَلَمْ تَعْلَمْ ما قالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ، قالَ : ماقالَ ؟ قالَ : قالَ كَذَا وَكَذَا ، فَقَالَ : كَذَبَ سَعْدٌ ، وَلكِنْ هذا يَوْمٌ يُعَظِّمُ ٱللهُ فِيهِ الْكَعْبَةَ ، وَيَوْمٌ تُكْسى فِيهِ الْكَعْبَةُ . قالَ : وَأَمَرَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه

وسلم أَنْ تُرْكَزَ رَايَتُهُ بِالحَجُونِ ، فَقَالَ العَبَّاسُ لِلزُّبَيْرِ : يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ هَاهُنَا أَمَرَكَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ تَرْكُزَ الرَّايَةَ ، قالَ : وَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَئِذٍ خالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ مِنْ كَدَاءٍ ، وَدَخَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مِنْ كُدًى فَقُتِلَ مِنْ خَيْلِ خالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ يَوْمَئِذٍ رَجُلَانِ : حُبَيْشُ بْنُ الْأَشْعَرِ ، وَكُرْزُ بْنُ جابِرٍ الْفِهْرِيُّ .

(عن عروة بن الزبير رضى الله عنهما قال : لما سار رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم عام الفتح) وهذا مرسل لأن عروة تابعى (فبلغ ذلك) السير (قريشاً) بمكة (خرج أبو سفيان) صخر بن حرب (وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء) الخزاعى من مكة (يلتمسون الخبر عن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مر الظهران) موضع قرب مكة (فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة) التى كانوا يوقدونها فيها ويكثرون منها . وعند ابن سعد أنه صلى الله عليه وآله وسلم أمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار (فقال أبو سفيان : ماهذه) النار ، والله (لكأنها نيران عرفة) أى ليلة يوم عرفة فى كثرتها (فقال بديل بن ورقاء : نيران بنى عمرو) يعنى خزاعة وعمرو هو ابن لحىّ (فقال أبو سفيان : عمرو أقل من ذلك ، فرآهم ناس من حرس رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم فأدركوهم فأخذوهم) وقد سمى منهم فى السير عمر بن الخطاب . وعند ابن عائذ : وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث بين يديه خيلا تقيض العيون وخزاعة على الطريق لايتركون أحداً يمضى ، فلما دخل أبوسفيان وأصحابه عسكر المسلمين أخذتهم الخيل تحت الليل (فأتوا بهم رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم فأسلم أبو سفيان) رضى الله عنه (فلما سار) صلى الله عليه وآله وسلم (قال للعباس : احبس أبا سفيان عند حطم الخيل) أى ازدحامها ، وفى لفظ « خطم » بالمعجمة « الجبل » بالجيم ، أى أنف الجبل لأنه ضيق ، فيرى الجيش كلهم ولا يفوته رؤية أحد منهم (حتى ينظر إلى المسلمين ، فحبسه العباس ، فجعلت القبائل

تمر مع النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم كتيبة كتيبة على أبى سفيان) والكتيبة : القطعة من العسكر ، فعيلة من الكتب وهو الجمع (فمرت كتيبة ، قال : ياعباس من هذه الكتيبة ؟ قال : هذه غفار ، قال : مالى ولغفار) أى ما كان بينى وبينهم حرب (ثم مرت جهينة ، قال) أبو سفيان (مثل ذلك ، ثم مرت سعد بن هذيم) والمعروف سعد هذيم بالإضافة . قال فى الفتح : ويصح الآخر على المجاز (فقال) أبو سفيان (مثل ذلك) القول الأول (ومرت سليم فقال مثل ذلك حتى أقبلت كتيبة لم ير) أبو سفيان (مثلها ، قال : من هذه) القبيلة (قال) العباس (هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية) التى للأنصار (فقال سعد بن عبادة) حامل راية الأنصار(يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة) أى يوم حرب لا يوجد فيه مخلص ، أو يوم القتل ، أو المراد المقتلة العظمى (اليوم تستحل الكعبة ، فقال أبو سفيان : ياعباس حبذا يوم الذمار) بالمعجمة ، أى الهلاك ، أو حين الغضب للحرم والأهل ، يعنى الانتصار لمن بمكة ، قاله غلبة وعجزاً ، وقيل : أراد حبذا يوم يلزمك فيه حفظى وحمايتى عن المكروه . وفى مغازى الأموى : أن أبا سفيان قال للنبى صلى الله عليه وآله وسلم لما حاذاه : أمرت بقتل قومك ، قال : لا،فذكر له ما قال سعد بن عبادة ، ثم ناشده الله والرحم ، فقال : يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة ، اليوم يعز الله قريشاً ، وأرسل إلى سعد فأخذ الراية منه ودفعها إلى ابنه قيس (ثم جاءت كتيبة وهى أقل الكتائب) عدداً (فيهم رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم وأصحابه) من المهاجرين،وكان الأنصار أكثر عدداً منهم . وعند الحميدى فى مختصره : وهى أجل الكتائب . قال عياض فى المشارق : وهى أظهر . انتهى . وقال القسطلانى : وكل منهما ظاهر لاخفاء فيه ولا ريب كما فى المصابيح ، إذ المراد قلة العدد لا الاحتقار ، وهذا ما لا يظن بمسلم اعتقاده ولا توهمه ، فهو وجه لا محيد عنه ولا ضير فيه بهذا الاعتبار ، والتصريح بأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان فى هذه الكتيبة التى هى أقل عدداً مما سواها من الكتائب قاض بجلالة قدرها وعظم شأنها ورجحانها على كل شىء سواها ولو كان ملء الأرض بل وأضعاف ذلك ، فما هذا الذى يشم من نفس القاضى فى هذا المحل . انتهى (وراية النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم مع الزبير بن العوام) رضى الله عنه (فلما مر رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم

بأبى سفيان قال) لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة ؟ قال) صلى الله عليه وآله وسلم (ما قال) سعد (قال) أبو سفيان (قال كذا وكذا) أى اليوم يوم الملحمة (فقال) صلى الله عليه وآله وسلم (كذب سعد) فيه إطلاق الكذب على الأخبار بغير ما سيقع ولو بناه قائله على غلبة الظن وقوة القرينة (ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة) أى بإظهار الإسلام وأذان بلال على ظهرها وإزالة ما كان فيها من الأصنام ومحو الصور التى كانت فيها وغير ذلك (ويوم تكسى فيه الكعبة) لأنهم كانوا يكسونها فى مثل ذلك اليوم (قال) عروة (وأمر رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم أن تركز رايته بالحجون) بالحاء والجيم : موضع قريب من مقبرة مكة (فقال العباس للزبير : يا أبا عبد الله ، ها هنا أمرك رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم أن تركز الراية ، قال : وأمر رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يومئذ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء) بفتح الكاف والمد (ودخل النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم من كدا) بضم الكاف والقصر ، وهذا مخالف للأحاديث الصحيحة أن خالداً دخل من أسفل مكة والنبي صلى الله عليه وآله وسلم من أعلاها (فقتل من خيل خالد يومئذ رجلان : حبيش بن الأشعر) وهو لقبه واسمه خالد بن سعد ، والأشعر بشين الخزاعى وهو أخو أم معبد التى مر بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم مهاجراً (وكرز بن جابر الفهرى) بكسر الفاء وكان من رؤساء المشركين ، وهو الذى أغار على سرح النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى غزوة بدر الأولى ثم أسلم قديماً وبعثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى طلب العرنيين . وذكر ابن إسحاق أن أصحاب خالد بن الوليد لقوا أناساً من قريش منهم سهيل بن عمرو وصفوان ابن أمية كانوا تجمعوا بالخندمة مكان أسفل من مكة ليقاتلوا المسلمين ، فتناوشوهم شيئاً من القتال ، فقتل من خيل خالد مسلمة بن الميلاء الجهنى ، وقتل من المشركين اثنا عشر رجلا أو ثلاثة عشر وانهزموا .

الحديث الرابع

عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْن مُغَفَّلٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ عَلَى نَاقَتِهِ ، وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ يُرَجِّعُ ، وَقالَ : لَوْلَا أَنْ يَجْتَمِعَ النَّاسُ حَوْلِي لَرَجَّعْتُ كما رَجَّعَ .

(عن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح) حال كونه (يرجع) صوته بالقراءة (وقال) معاوية بن قرة (لولا أن يجتمع الناس حولى لرجعت كما رجع) عبد الله بن مغفل ، يحكى قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وفى الإكليل للحاكم من رواية وهب بن جرير عن شعبة : لقرأت بذلك اللحن الذى قرأ به النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وحديث الباب أخرجه البخارى فى التفسير وفضائل القرآن والتوحيد ، ومسلم فى الصلاة ، والنسائى فى فضائل القرآن .

الحديث الخامس

عَنْ عَبْدِ ٱللهِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : دَخَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ وَحَوْلَ الْبَيْتِ سِتُّونَ وَثَلَاثُمِائَةِ نُصُبٍ ، فَجَعَلَ يَطْعَنُهَا بِعُودٍ فى يَدِهِ ، وَيَقُولُ : جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ، جاءَ الحَقُّ ، وَما يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ .

(عن عبد الله) بن مسعود (رضى الله عنه) أنه (قال : دخل النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم مكة يوم الفتح وحول البيت) الحرام (ستون وثلثمائة نصب) ما ينصب للعبادة من دون الله جل وعلا (فجعل يطعنها بعود فى يده ويقول : جاء الحق) أى الإسلام أو القرآن (وزهق الباطل) اضمحل وتلاشى (جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد) أى زال الباطل وهلك ، لأن الإبداء والإعادة من صفة الحى ، فعدمهما عبارة عن الهلاك . والمعنى : جاء الحق وهلك الباطل . وقيل : الباطل : الأصنام . وقيل : إبليس ، لأنه صاحب الباطل أو لأنه هالك ، كما قيل له الشيطان : من شاط إذا هلك ، أى لا يخلق الشيطان ولا الصنم أحداً ولا يبعثه . فالمنشىء والباعث هو الله تعالى لا شريك له . وفى مسلم من حديث أبى هريرة : يطعن فى عينيه بسية القوس . وعند الفاكهى من حديث ابن عمر وصححه ابن حبان : فيسقط الصنم ولا يمسه . وعند الفاكهى أيضاً والطبرانى من حديث ابن عباس : فلم يبق وثن استقبله إلا سقط على قفاء مع أنها كانت ثابتة فى الأرض . وقد شد لهم إبليس لعنه الله أقدامها بالرصاص ، وفعل صلى الله عليه وآله وسلم ذلك لإذلال الأصنام وعابديها ولإظهار أنها لا تنفع ولا تضر ولا تدفع عن نفسها شيئاً .

الحديث السادس

عَنْ عَمْرِو بْنِ سَلَمَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : كُنَّا بِمَا مَمَرِّ النَّاسِ ، وَكانَ يَمُرُّ بِنَا الرُّكْبَانُ فَنَسْأَلُهُمْ : ما لِلنَّاسِ ؟ مالِلنَّاسِ ؟ ما هذا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُونَ : يَزْعُمُ أَنَّ ٱللهَ أَرْسَلَهُ أَوْحَى إِلَيْهِ ، أَوْ أَوْحَى ٱللهُ بِكَذَا ، فَكُنْتُ أَحْفَظُ ذٰلِكَ الْكَلَامَ ، فَكَأَنَّمَا يُغْرِى فى صَدْرِى ، وَكانَتِ الْعَرَبُ تَلَوَّمُ بِإِسْلَامِهِم الْفَتْحَ ، فَيَقُولُونَ : ٱتْرُكُوهُ وَقَوْمَهُ فَإِنَّهُ إِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ ، فَهُوَ نَبِىٌّ صَادِقٌ ، فَلَمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ أَهْلِ الْفَتْحِ بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلَامِهِمْ وَبَدَرَ أَبِى قَوْمِى بِإِسْلَامِهِمْ ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ : جِئْتُكُمْ وَٱللهِ مِنْ عِنْدِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم حَقًّا ، فَقَالَ : صَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فى حِينِ كَذَا ، وَصَلُّوا كَذَا فى حِين كَذَا فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآناً ، فَنَظَرُوا فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَكْثَرَ قُرْآناً مِنِّى لِمَا كُنْتُ أَتَلَقَّى مِنَ الرُّكْبَانِ ، فَقَدَّمُونى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَنَا ٱبْنُ سِتٍّ أَوْ سَبْعِ سِنِينَ ، وَكانَتْ عَلَىَّ بُرْدَةٌ كُنْتُ إِذَا سَجَدْتُ تَقَلَّصَتْ عَنِّى ، فَقَالَتِ ٱمْرَأَةٌ مِنَ الْحَىِّ : أَلَا تُغَطُّوا عَنَّا اسْتَ قارِئِكُمْ ، فاشْتَرُوا فَقَطَعُوا لِى قَمِيصاً ، فَمَا فَرِحْتُ بِشَىْءٍ فَرَحِى بِذٰلِكَ الْقَمِيصِ .

(عن عمرو بن سلمة رضى الله عنه) ابن قيس ، وقيل : ابن نفيع الجرمى ، اختلف فى صحبته (قال : كنا بما) أى موضع تنزل به (ممر الناس) موضع مرورهم (وكان يمر بنا الركبان فنسألهم : ما للناس ؟ ما للناس ؟) بالتكرار مرتين (ما هذا الرجل ؟) أى يسألون عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وعن حال العرب معه (فيقولون : يزعم أن الله أرسله أوحى) الله (إليه ، أو أوحى الله بكذا) والشك من الراوى ، يريد حكاية ما كانوا يخبرونهم به مما سمعوا من القرآن . وفى مستخرج أبى نعيم : فيقولون : نبى يزعم أن الله أرسله وأن الله أوحى إليه كذا وكذا (فكنت أحفظ ذلك الكلام) ولأبى داود : وكنت غلاماً فحفظت من ذلك قرآناً كثيراً (وكأنما يغرى)

من التغرية ، أى كأنما يلصق (فى صدرى) وفى لفظ : يقر من القرار . قال فى الفتح : وفى رواية عن الكشميهنى : يقرا بزيادة ألف مقصوراً ، أى يجمع . وفى رواية : يقرأ من القراءة (وكانت العرب تلوّم) أى تنتظر وتتربص (بإسلامهم الفتح) أى فتح مكة (فيقولون : اتركوه قومه) قريشاً (فإنه إن ظهر عليهم فهو نبى صادق ، فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر) أى أسرع (كل قوم بإسلامهم وبدر) أى أسرع (أبى قومى بإسلامهم ، فلما قدم) أبى (قال : جئتكم والله من عند النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم حقاً ، فقال) صلى الله عليه وآله وسلم لهم (صلوا صلاة كذا فى حين كذا ، وصلوا كذا فى حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآناً) ولأبى داود : قالوا يا رسول الله من يؤمنا ؟ قال : أكثركم جمعاً للقرآن (فنظروا) فى الحى (فلم يكن أحد أكثر قرآناً منى لما كنت أتلقى) من القرآن (من الركبان فقدمونى بين أيديهم) أصلى بهم (وأنا ابن ست أو سبع سنين وكانت علىّ بردة) شملة مخططة أو كساء أسود مربع (كنت إذا سجدت تقلصت) أى انجمعت وتكشفت (عنى ، فقالت امرأة من الحى : ألا تغطون عنا است قارئكم) أى عجزه (فاشتروا) ولأبى داود : لى قميصاً عمانياً نسبة إلى عمان من البحرين (فقطعوا لى قميصاً ، فما فرحت بشىء فرحى بذلك القميص) وبهذا تمسك الشافعية فى إمامة الصبى المميز فى الفريضة ، وهى خلافية مشهورة ، ولم ينصف من قال إنهم فعلوا ذلك باجتهادهم ، ولم يطلع النبى صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك لأنها شهادة نفى ، ولأن زمن الوحى لا يقع التقرير فيه على ما لا يجوز ، كما استدل أبو سعيد وجابر لجواز العزل بكونهم فعلوه على عهد النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ولو كان منهياً عنه لنهى عنه فى القرآن ، ولا يستدل به على عدم شرط ستر العورة فى الصلاة لأنها واقعة حال ، فيحتمل أن يكون ذلك قبل علمهم بالحكم . كذا فى الفتح .

الحديث السابع

عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ أَبي أَوْفى رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ كانَ بِيَدِهِ ضَرْبَةٌ ، قالَ : ضُربْتُهَا مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ حُنَيْنٍ .

(عن عبد الله بن أبي أوفى رضى الله عنهما أنه كان بيده ضربة ، قال : ضربتها مع النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم يوم حنين) .

غزوة اوطــاس

الحديث الأول

عَنْ أَبِي مُوسى رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : لَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مِنْ حُنَيْنٍ بَعَثَ أَبَا عامِرٍ عَلَى جَيْشٍ إِلَى أَوْطَاسٍ ، فَانْتَهَى إِلَيْهِمْ ، فَلَقِيَ دُرَيْدَ بْنَ الصِّمَّةِ ، فَقُتِلَ دُرَيْدٌ وَهَزَمَ ٱللهُ أَصْحَابَهُ ، قالَ أَبُو مُوسى : وَبَعَثَنِي مَعَ أَبِي عامِرٍ ، فَرُمِيَ أَبُو عامِرٍ فِي رُكْبَتِهِ ، رَماهُ جُشَمِيٌّ بِسَهْمٍ فَأَثْبَتَهُ فِي رُكْبَتِهِ فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : يَا عَمِّ مَنْ رَماكَ ؟ فَأَشَارَ إِلَى أَبِي مُوسى ، فَقَالَ : ذَاكَ قاتِلِي الَّذِي رَمانِي ، فَقَصَدْتُ لَهُ فَلَحِقْتُهُ ، فَلَمَّا رَآنِي وَلَّى ، فَاتَّبَعْتُهُ ، وَجَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ : أَلَا تَسْتَحِي ، أَلَا تَثْبُتُ ، فَكَفَّ ، فَاخْتَلَفْنَا ضَرْبَتَيْنِ بِالسَّيْفِ ، فَقَتَلْتُهُ ، ثُمَّ قُلْتُ لِأَبِي عامِرٍ : قَتَلَ ٱللهُ صَاحِبَكَ ، قالَ : فَانْزِعْ هذَا السَّهْمَ ، فَنَزَعْتُهُ فَنَزَا مِنْهُ الماءُ . قالَ : يَا ٱبْنَ أَخِي أَقْرِئِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ ٱسْتَغْفِرْ لِي ، وَٱسْتَخْلَفَنِي أَبُو عامِرٍ عَلَى النَّاسِ ، فَمَكَثَ يَسِيراً ثُمَّ ماتَ ، فَرَجَعْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي بَيْتِهِ عَلَى سَرِيرٍ مُرْمَلٍ وَعَلَيْهِ فِراشٌ ، قَدْ أَثَّرَ رِمالُ السَّرِيرِ فِي ظَهْرِهِ وَجَنْبَيْهِ ، فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِنَا وَخَبَرِ أَبِي عامِرٍ ، وَقالَ : قُلْ لَهُ ٱسْتَغْفِرْ لِي ، فَدَعا بِماءٍ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عامِرٍ ، وَرَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ ، ثُمَّ قالَ : اللَّهُمَّ ٱجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ مِنَ النَّاسِ ، فَقُلْتُ : وَلِي فَاسْتَغْفِرْ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِعَبْدِ ٱللهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ مُدْخَلاً كَرِيماً .

* (غزوة أوطاس) *

بفتح الهمزة وسكون الواو : واد فى ديار هوازن ، وفيه عسكروا هم وثقيف ثم التقوا بحنين .

(عن أبى موسى رضى الله عنه قال : لما فرغ النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم من) وقعة (حنين بعث أبا عامر) عبيد بن سليم بن حضار الأشعرى وهو عم أبى موسى الأشعرى على المشهور أميراً (على جيش إلى أوطاس) فى طلب الفارين من هوازن يوم حنين إلى أوطاس ، فانتهى إليهم (فلقى دريد بن الصمة ، فقتل دريد) قتله ربيعة بن رفيع بن وهبان بن ثعلبة السلمى فيما جزم به ابن إسحق ، أو هــو الزبير بن العوام كما يشعر به حديث عند البزار عن أنس بإسناد حسن (وهزم الله أصحابه) أى أصحاب دريد (قال أبو موسى : وبعثنى) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (مع أبى عامر) عبيد ، أى عمه ، إلى من التجأ إلى أوطاس (فرمى أبو عامر فى ركبته ، رماه جشمى) نسبة لبنى جشم وهما أوفى والعلاء ابنا الحارث كما عند ابن هشام (بسهم فأثبته) أى السهم (فى ركبته) قال أبو موسى (فانتهيت إليه فقلت) له (ياعم من رماك) بهذا السهم (فأشار إلى أبى موسى) هو التفات ، وكان الأصل أن يقول : فأشار إلى (فقال : ذاك قاتلى الذى رمانى) قال أبو موسى (فقصدت له فلحقته ، فلما رآنى ولى) أى أدبر (فاتبعته) بتشديد التاء : سرت فى أثره (وجعلت أقول له : ألا تستحى) أى من فرارك (ألا تثبت) عند اللقاء ؟ (فكف) عن التولى (فاختلفنا ضربتين بالسيف ، فقتلته ، ثم قلت لأبى عامر : قتل الله صاحبك ، قال : فانزع هذا السهم ، فنزعته فنزى) أى انصب (منه) أى من موضع السهم (الماء ، قال : يا ابن أخى أقرىء النبى) صلى الله عليه وآله وسلم (السلام) عنى (وقل له استغفر لى) قال أبو موسى (واستخلفنى أبو عامر على الناس) أميراً (فمكث يسيراً ثم مات) رضى الله عنه ، ثم قاتلهم أبو موسى حتى فتح الله عليه (فرجعت فدخلت على النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم فى بيته) حال كونه (على سرير مرمل) منسوج بحبل ونحوه (وعليــه فراش) وقال الشيخ أبو الحسن : والذى أحفظه فى

هذا ما عليه فراش ، قال : وأرى أن ما سقطت هنا (قد أثر رمال السرير في ظهره وجنبيه ، فأخبرته بخبرنا وخـــبر أبي عامرو) أنه (قال : قل له) صلى الله عليه وآله وسلم (استغفر لى ، فدعا) صلى الله عليه وآله وسلم (بماء فتوضأ ثم رفع يديه فقال : اللهم اغفر لعبيد أبي عامر ، ورأيت بياض إبطيه) وفيه رفع اليدين بالدعاء خــلافاً لمن خصه لاباستسقاء (ثم قال) صلى الله عليه وآله وسلم (اللهم اجعله) فى المرتبة (يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس) بيان لسابقه لأن الخلق أعمّ ، قال أبو موسى (فقلت : ولى فاستغفر) يا رسول الله (فقال : اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلا كريماً) .

غزوة الطائف فى شوال سنة ثمان

الحديث الأول

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا قالَتْ : دَخَلَ عَلَيَّ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم وَعَنْدِي مُخَنَّثٌ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ لِعَبْدِ ٱللهِ بْنِ أُمَيَّةَ : يَا عَبْدَ ٱللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ فَتَحَ ٱللهُ عَلَيْكُمُ الطَّائِفَ غَداً ، فَعَلَيْكَ بِابْنَةِ غَيْلَانَ ، فَإِنَّهَا تُقْبِلُ بِأَرْبَعٍ وَتُدْبِرُ بثَمَانٍ ، وَقالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : لَا يَدْخُلَنَّ هؤُلَاءِ عَلَيْكُنَّ .

---

* (غزوة الطائف) *

قال فى الفتح : هو بلد كبير مشهور ، كثير الأعناب والنخيل ، على ثلاث مراحل أو ثنتين من مكة من جهة المشرق ، قيل : أصلها أن جبريل عليه السلام اقتلع الجنة التى كانت لأصحاب الصريم فسار بها إلى مكة ، فطاف بها حول البيت ثم أنزلها حيث الطائف ، فسمى الموضع بها ، وكانت أولا بنواحى صنعاء ، واسم الأرض « وجّ » بتشديد الجيم ، سميت برجل وهو ابن عبد الجن من العمالقة ، وهو أول من نزلها ، وسار النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليها بعد منصرفه من حنين وحبس الغنائم بالجعرانة ، وكان مالك بن عوف النصرى قائد هوازن لما انهزم دخل الطائف وكان له حصن بلية بكسر اللام وتشديد التحتانية ، على أميال من الطائف ، فمر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو سائر إلى الطائف ، فأمر بهدمه . انتهى . وفى القاموس : هى بلاد ثقيف فى واد أول قراها القيم وآخرها الوهط ، سميت بذلك لأنها طافت على الماء فى الطوفان ، أو لأن جبريل طاف بها على البيت ، أو لأنها كانت بالشام فنقلها الله تعالى إلى الحجاز بدعوة إبراهيم عليه السلام ، أو لأن رجلا من الصدف أصاب دماً بحضرموت ففر إلى « وجّ » وحالف مسعود بن معتب وكان له مال عظيم فقال : هل لكم أن أبنى لكم طوقاً عليكم

يكون لكم رد أمن العرب ، فقالوا : نعم ، فبناه وهو الحائط المطيف به (فى شوال سنة ثمـان) من الهجرة . قاله موسى بن عقبة فى مغازيه كجمهور أهل المغازى ، وقيل : بل وصل إليها فى أول ذى القعدة .

(عن أم سـلمة) هند بنت أمية المخزومية أم المؤمنين (رضى الله عنها) أنها (قالت : دخل علىّ النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم وعندى مخنث) بكسر النون أفصح والفتح أشهر ، وهو من فيه انخناث ، أى تكسر وتثن كالنساء (فسمعته يقول لعبد الله بن أمية : يا عبد الله أرأيت) أى أخبرنى (إن فتح الله عليكم الطائف غداً فعليك بابنة غيلان) بن سلمة بادية ، وقيل بادنه ، أسلمت وسألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الاستحاضة ، وتزوجها عبد الرحمن بن عوف ، وأسلم أبوها أيضاً بعد فتح الطائف (فإنها تقبل بأربع) من العكن (وتدبر بثمان) منها . والعكنة بضم العين : ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمناً ، والمراد أن أطراف العكن الأربع التى فى بطنها تظهر ثمانية فى جنبيها . قال الزركشى وغيره : وقال بثمان ولم يقل ثمانية ، والأطراف مذكرة ، لأنه لم يذكرها ، كما يقال : هذا الثوب سبع فى ثمان أى سبعة أذرع فى ثمانية أشبار ، فلما لم يذكر الأشبار أنث لتأنيث الأذرع التى قبلها . انتهى . قال فى المصابيح : أحسن من هذا أنه جعل كلا من الأطراف عكنة تسمية للجزء باسم الكل فأنث بهذا الاعتبار (فقال النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم : لا يدخلنّ هؤلاء) المخنثون (عليكنّ) ولأبى ذر عليكم ، ثم أجـلاه من المدينة إلى الحمى ، فلما ولى عمر بن الخطاب الخلافة قيل له إنه قد ضعف وكبر فاحتاج ، فأذن له أن يدخل كل جمعة فيسأل الناس ويرد إلى مكانه . قال ابن جريج : المخنث اسمه هيت بكسر الهاء ، وقيل لقب له واسمه ماتع ، وهو مولى عبد الله بن أبى أمية المذكور . وهذا الحديث أخرجه فى النكاح أيضاً واللباس ، ومسلم فى الاستئناف ، والنسائى فى عشرة النساء ، وابن ماجه فى النكاح .

الحديث الثانى

عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عُمْرٍو رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قالَ : لَمَّا حاصَرَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم الطَّائِفَ فَلَمْ يَنَلْ مِنْهُمْ شَيْئاً قالَ : إِنَّا قَافِلُونَ إِنْ شَاءَ ٱللهُ ، فَثَقُلَ عَلَيْهِمْ وَقالُوا : نَذْهَبُ وَلَا نَفْتَحُهُ ، وَقالَ مَرَّةً : نَقْفُلُ فَقَالَ : ٱغْدُوا عَلَى الْقِتَالِ ، فَغَدَوْا فَأَصَابَهُمْ جِرَاحٌ ، فَقَالَ : إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ ٱللهُ فَأَعْجَبَهُمْ ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم .

(عن عبد الله بن عمرو) بن العاص ، ولأبى ذر : بن عمر بن الخطاب ، وصوبه الدارقطنى وغيره ، والاختلاف فى ذلك غير قادح فى الحديث كما لا يخفى . وقال الحافظ فى الفتح : عبد الله بن عمر بن الخطاب هو الصواب فى رواية على بن المدينى ، وكذلك الحميدى وغيرهما من حفاظ أصحاب ابن عيينة ، وكذا أخرجه الطبرانى من رواية إبراهيم بن يسار ، وهو ممن لازم ابن عيينة جداً ، والذى قاله ابن عيينة فى هذا الحديث : عبد الله ابن عمر وهم الذين سمعوا منه متأخراً كما نبه عليه الحاكم ، وقد بالغ الحميدى فى إيضاح ذلك ، فقال فى مسنده فى روايته لهذا الحديث عن سفيان عبد الله بن عمر بن الخطاب أخرجه البيهقى فى الدلائل من طريق عثمان الدارمى عن على ابن المدينى ، قال حدثنا به سفيان غير مرة يقول عبد الله بن عمر بن الخطاب ، لم يقل عبد الله بن عمرو بن العاص ، وأخرجه ابن أبى شيبة عن ابن عيينة فقال عبد الله بن عمرو . كذا رواه عنه مسلم وأخرجه الإسماعيلى من وجه آخر عنه فزاد : فقال أبو بكر سمعت ابن عيينة مرة أخرى يحدث به عن ابن عمر . وقال الفضل الحلابى عن يحيى بن معين أبو العباس عن عبد الله ابن عمرو وعبد الله عمر فى الطائف : الصحيح ابن عمر . ا هـ .

(قال : لما حاصر رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم الطائف) وكانت ثقيف قد رموا حصنهم وأدخلوا فيه ما يصلحهم لسنة ، فلما انهزموا من أوطاس دخلوا حصنهم وأغلقوه عليهم ، قال ابن سعد : وكانت مدة حصارهم ثمانية عشر يوماً وقيل : خمسة عشر يوماً وقال ابن هشام : سبعة

عشر ، وقيل : أربعين يوماً ، وقيل غير ذلك (فلم ينل منهم شيئاً) وذكر أهل المغازى أنهم رموا على المسلمين سكك الحديد المحماة ورموهم بالنبل فأصابوا قوماً ، فاستشار صلى الله عليه وآله وسلم نوفل بن معاوية الديلى ، فقال : هم ثعلب فى جحر إن أقمت عليه أخذته وإن تركته لم يضرك (قال) صلى الله عليه وآله وسلم (إنا قافلون) أى راجعون إلى المدينة (إن شاء الله) تعالى (فثقل) ذلك (عليهم) أى على الصحابة (وقالوا نذهب ولا نفتحه ، وقال مرة : نقفل) أى نرجع (فقال) صلى الله عليه وآله وسلم (اغدوا على القتال) أى سيروا أول النهار لأجل القتال (فغدوا ، فأصابهم جراح) لأنهم رموا عليهم من أعلى السور ، فكانوا ينالون منهم بسهامهم ولا تصل السهام إليهم لكونهم أعلى السور ، فلما رأوا ذلك تبين لهم تصويب الرجوع (فقال) النبي صلى الله عليه وآله وسلم (إنا قافلون غداً إن شاء الله) عز وجل (فأعجبهم) ذلك حينئذ (فضحك النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم) وقال سفيان بن عيينة مرة : فتبسم صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا ترديد من الراوى ، وقد أخرج الحديث البخارى أيضاً فى الأدب ، ومسلم فى المغازى ، والنسائى فى السير .

الحديث الثالث

عَنْ سَعْدٍ وَأَبِى بَكْرَةَ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُمَا قالاَ : سَمِعْنَا النَّبىَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَنِ ٱدَّعى إلَى غَيْرِ أَبِيهِ وَهْوَ يَعْلَمُ ، فَالجَنَّةَ عَلَيْهِ حَرَامٌ .

وَفى رِوَايَةٍ : أَمَّا أَحَدُهُمَا فَأَوَّلُ مَنْ رَمى بِسَهْمٍ فى سَبِيلِ ٱللهِ ، وَأَمَّا الآخَرُ فكانَ تَسَوَّرَ حِصْنَ الطَّائِفِ فى أُنَاسٍ ، فَجَاءَ إِلَى النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم . وَفى رِوَايَةٍ : فَنَزَلَ إلى النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم ثَالِثَ ثَلاَثَةٍ وَعِشْرِينَ مِنَ الطَّائِفِ .

(عن سعد) بن أبى وقاص أحد العشرة (وأبى بكرة) نفيع (رضى الله عنهما ، قالا سمعنا النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم يقول : من ادعى) أى من انتسب (إلى غير أبيه وهو يعلم) أنه غير أبيه (فالجنة عليه حرام) إذا استحل ذلك أو خرج مخرج التغليظ .

(وفى رواية) عن عاصم بن سليمان عن أبى العالية أو أبى عثمان النهدى قال : سمعت سعداً وأبا بكرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال عاصم : قلت ، أى لأبى العالية أو لأبى عثمان : لقد شهد عندك رجلان حسبك بهما ، قال : أجل أى نعم (أما أحدهما) وهو سعد (فأول من رمى بسهم فى سبيل الله ، وأما الآخر) وهو أبو بكرة (فكان تسور حصن الطائف) أى صعد إلى أعلاه ثم تدلى منه (فى أناس) من عبيد أهل الطائف أسلموا (فجاء إلى النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم ، وفى رواية : فنزل إلى النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم ثالث ثلاثة وعشرين من الطائف) أى من أهله . وعند الطبرانى ، أن أبا بكرة تدلى ببكرة ، فكنى أبا بكرة لذلك .

الحديث الرابع

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ نَازِلٌ بِالجِعْرَانَةِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ وَمَعَهُ بِلَالٌ ، فَأَتَى النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : أَلَا تُنْجِزُ لِي ما وَعَدْتَنِي ؟ فَقَالَ لَهُ : أَبْشِرْ ، فَقَالَ : قَدْ أَكْثَرْتَ عَلَيَّ مِنْ أَبْشِرْ ، فَأَقْبَلَ عَلَى أَبِي مُوسَى وَبِلَالٍ كَهَيْئَةِ الْغَضْبَانِ فَقَالَ : رَدَّ الْبُشْرَى فَاقْبَلَا أَنْتُمَا ، قالَا : قَبِلْنَا ، ثُمَّ دَعا بِقَدَحٍ فِيهِ ماءٌ فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ فِيهِ وَمَجَّ فِيهِ ، ثُمَّ قالَ : اشْرَبَا مِنْهُ وَأَفْرِغَا عَلَى وُجُوهِكُمَا وَنُحُورِكُمَا وَأَبْشِرَا فَأَخَذَا الْقَدَحَ فَفَعَلَا ، فَنَادَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ أَنْ أَفْضِلاَ لِأُمِّكُمَا ، فَأَفْضَلَا لَهَا مِنْهُ طَائِفَةً .

(عن أبي موسى) الأشعرى (رضى الله عنه) أنه (قال : كنت عند النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة) قال الداودى . وهو وهم ، والصواب بين مكة والطائف ، وبه جزم النووى وغيره (ومعه بلال) المؤذن (فأتى النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم أعرابى) قال فى الفتح : لم أقف على اسمه (فقال : ألا تنجز) أى ألا توفى (لى ما وعدتنى) من غنيمة حنين ، أو كان ذلك وعداً خاصاً به (فقال) صلى الله عليه وآله وسلم (له : أبشر) بقرب القسمة أو الثواب الجزيل على الصبر (فقال) الأعرابى (قد أكثرت على من أبشر ، فأقبل) صلى الله عليه وآله وسلم (على أبي موسى) الأشعرى (وبلال) المؤذن (كهيئة الغضبان فقال) لهما (ردّ البشرى) أى الأعرابى (فأقبلا أنتما) البشرى (قالا : قبلنا) ها يا رسول الله (ثم دعا) صلى الله عليه وآله وسلم (بقدح فيه ماء ، فغسل يديه ووجهه فيه ومج فيه ، ثم قال : اشربا منه وأفرغا) أى صبا (على وجوهكما ونحوركما وأبشرا ، فأخذا القدح ففعلا) ما أمرهما به صلى الله عليه وآله وسلم (فنادت أم سلمة من وراء الستر أن أفضلا لأمكما) تعنى نفسها (فأفضلا لها منه طائفة) أى بقية . وفى الحديث منقبة لهؤلاء الثلاث . وقد أخرجه مسلم فى فضائل النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

الحديث الخامس

عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : جَمَعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم نَاساً مِنَ الأَنْصارِ فَقَالَ : إِنَّ قُرَيْشاً حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَمُصِيبَةٍ ، وَإِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَجْبُرَهُمْ وَأَتَأَلَّفَهُمْ ، أَمَّا تَرْضَوْنَ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ بِالدُّنْيَا ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى بُيُوتِكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى ، قالَ : لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِياً وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْباً لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ أَوْ شِعْبَ الْأَنْصَارِ .

(عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : جمع النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم ناساً من الأنصار) لما قسم غنائم حنين على قريش ولم يقسم للأنصار شيئاً منها وقالوا ما قالوا (فقال) لهم (إن قريشاً حديث عهد بجاهلية ومصيبة) من نحو قتل أقاربهم وفتح بلادهم (وإنى أردت أن أجبرهم) من الجبر ضد الكسر ، وفى لفظ أجيزهم من الجائزة (وأتألفهم) للإسلام (أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم إلى بيوتكم ؟ قالوا : بلى) رضينا (قال) صلى الله عليه وآله وسلم (لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت وادى الأنصار أو شعب الأنصار) بالشك من الراوى . وفى الباب أحاديث صحيحة عند البخارى وغيره بألفاظ . وهذا الحديث أخرجه الترمذى فى المناقب ، والنسائى فى الزكاة ، وفيه إشارة إلى ترجيح الأنصار بحسن الجوار والوفاء بالعهد ، لا وجوب متابعته صلى الله عليه وآله وسلم إياهم ، إذ هو صلى الله عليه وآله وسلم المتبوع المطاع لا التابع المطيع ، فما أكثر تواضعه صلى الله عليه وآله وسلم . وفيه إقامة الحجة على الخصم وإفحامه بالحق عند الحاجة إليه ، وحسن أدب الأنصار فى تركهم المماراة ، وأن الكبير ينبه الصغير على ما يغفل عنه ويوضح له وجه الشبهة ليرجع إلى الحق . وفيه أن للإمام تفضيل بعض الناس على بعض فى مصارف الفيء ، وأن له أن يعطى الغنى للمصلحة ، وأن من طلب حقه من الدنيا لا عتب عليه فيه . وفيه تسلية من فاته شيء من الدنيا بما حصل له من ثواب الآخرة ، والحض على طلب الهداية والألفة والغنى ، وأن المنة لله ولرسوله على الإطلاق ، وتقديم جانب الآخرة على الدنيا ، والصبر عما فات منها ليدخر ذلك لصاحبه فى الآخرة « وللآخرة خير وأبقى » .

الحديث السادس

عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قالَ : بَعَثَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم خالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ فَدَعاهُمْ إِلَى الْإِسْلَام ، فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا أَسْلَمْنَا ، فَجَعَلُوا يَقُولونَ صَبَأْنَا صَبأْنَا ، فَجَعَلَ خالِدٌ يَقْتِلُ مِنْهُمْ وَيَأْسِرُ ، وَدفَعَ إلى كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ حَتَّى إِذَا كانَ يَوْمٌ أَمَرَ خالِدٌ أَنْ يَقْتُلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ ، فَقُلْتُ وَٱللهِ لَاأَقْتُلُ أَسِيرِى وَلَا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِى أَسِيرَهُ حَتَّى قَدِمْنَا على النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَذَكَرْنَاهُ فَرَفَعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَدَهُ وَقالَ : اللَّهُمَّ إِنِّى أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خالِدٌ ، مَرَّتَيْن .

(عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : بعث النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم خالد بن الوليد) عقب فتح مكة فى شوال قبل الخروج إلى حنين عند جميع أهل المغازى فى ثلثمائة وخمسين من المهاجرين والأنصار (إلى بنى جذيمة) أى ابن عامر بن عبد مناة بن كنانة ، داعياً إلى الإسلام لا مقاتلا (فدعاهم إلى الإسلام ، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا ، فجعلوا يقولون : صبأنا صبأنا) أى خرجنا من الشرك إلى دين الإسلام ، فلم يكتف خالد إلا بالتصريح بذكر الإسلام ، أو فهم أنهم عدلوا عن التصريح أنفة منهم ولم ينقادوا (فجعل خالد يقتل منهم ويأسر ، ودفع إلى كل رجل منا) أى من الصحابة الذين كانوا معه فى السرية (أسيره حتى إذا كان يوم) من الأيام ، قاله الحافظ ابن حجر ، وقال العينى : ليس بصحيح ، لأن يوم اسم كان التامة مضافاً إلى قوله (أمر خالد أن يقتل) أى بأن يقتل (كل رجل منا أسيره) وعند ابن سعد : فلما كان السحر نادى خالد : من كان معه أسير فليضرب عنقه (فقلت : والله لا أقتل أسيرى ولا يقتل رجل من أصحابى) المهاجرين والأنصار (أسيره) وعند ابن سعد : أن بنى سليم قتلوا من فى أيديهم (حتى قدمنا على النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم فذكرناه له ، فرفع النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم يده فقال : اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد) قال ذلك (مرتين) وإنما نقم صلى الله عليه وآله وسلم على خالد استعجاله فى شأنهم وترك التثبيت فى أمرهم إلى أن سيرى المراد من قولهم صبأنا ولم ير عليه قوداً لأنه تأول أنه كان مأموراً بقتالهم إلى أن يسلموا .

الحديث السابع

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : بَعَثَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم سَرِيَّةً وَٱسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا رَجُلاً مِنَ الْأَنْصَارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطيعُوهُ ، فَغَضِبَ فَقَالَ : أَلَيْسَ أَمَرَكُمْ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنْ تُطِيعُونى ؟ قالُوا : بَلَى ، قالَ : فَاجْمَعُوا لِى حَطَباً ، فَجَمَعُوا ، فَقَالَ : أَوْقِدُوا نَاراً ، فَأَوْقَدُوهَا ، فَقَالَ : ادْخُلُوهَا ، فَهَمُّوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضاً وَيَقُولُونَ : فَرَرْنَا إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِنَ النّارِ ، فَمَا زَالُوا حَتَّى خَمَدَتِ النَّارُ ، فَسَكَنَ غَضَبُهُ ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ : لَوْ دَخَلُوهَا ما خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، الطَّاعَةُ فى المَعْرُوفِ .

(عن عليّ) بن أبي‌طالب (رضى الله عنه قال : بعث النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم سرية) هى التى تخرج بالليل ، والسارية التى تخرج بالنهار ، قيل : سميت بذلك لأنها تخفى ذهابها ، وهذا يقتضى أنها أخذت من السير ، ولا يصح لاختلاف المادة ، وهى قطعة الجيش تخرج منه وتعود إليه ، وهى من مائة إلى خمسمائة فما زاد على خمسمائة يقال له منسر بالنون ، فإن زاد على الثمانمائة سمى جيشاً وما بينهما سمى هيطة ، فإن زاد على الأربعة آلاف سمى جحفلا ، فإن زاد فجيش جرار ، والخميس : الجيش العظيم ، وما افترق من السرية يسمى بعثاً ، فالعشرة وما بعدها يسمى حفيرة ، والأربعون عصبة ، وإلى ثلثمائة مقنب ، فإن زاد سمى جمرة ، والكتيبة : ما اجتمع ولم ينتشر . كذا فى الفتح (واستعمل عليها رجلا من الأنصار) هو عبد الله بن حذافة السهمى فيما قاله ابن سعد (وأمرهم أن يطيعوه ، فغضب) عليهم . ولمسلم : فأغضبوه فى شىء (فقال : أليس أمركم النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم أن تطيعونى ؟ قالوا : بلى ، قال : فاجمعوا لى حطباً ، فجمعوا) الحطب (فقال : أوقدوا ناراً فأوقدوها ، فقال : ادخلوها ، فهموا) فسره البرماوى كالكرمانى بقوله : حزنوا . وقال العينى : وليس كذلك بل المعنى : فقصدوا . ويؤيده رواية حفص : فلما هموا بالدخول فيها ، فقاموا ينظر بعضهم إلى بعض (وجعل

بعضهم يمسك بعضاً ويقولون : فررنا إلى النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم من النار ، فما زالوا حتى خمدت النار) بفتح الميم وتكسر : انطفأ لهبها (فسكن غضبه ، فبلغ) ذلك (النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم فقال : لو دخلوها) أى النار التى أوقدوها ظانين أنهم بسبب طاعتهم أميرهم لا تضرهم (ماخرجوا منها) لأنهم كانوا يموتون ، فلم يخرجوا منها (إلى يوم القيامة) أو الضمير الأول للنار الموقدة ، والثانى لنار الآخرة ، لأنهم ارتكبوا ما نهوا عنه من قتل أنفسهم مستحلين له ، وعلى هــذا ففيه نوع من أنواع البديع وهو الاستخدام . قاله الحافظ ابن حجر . وقال الكرمانى وغيره : المراد التأبيد ، يعنى لو دخلوها مستحلين . وقال الداودى : فيه أن التأويل الفاسد لا يعذر به صاحبه (الطاعة) للمخلوق (فى) الأمر بـ (المعروف) شرعاً ، وفى الحديث أن الأمر المطلق لا يعم جميع الأحوال ، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم أمرهم أن يطيعوا الأمير ، فحملوا ذلك على عموم الأحوال حتى فى حال الغضب وفى حال الأمر بالمعصية ، فبين لهم صلى الله عليه وآله وسلم أن الأمر بطاعته مقصور على ما كان منه فى غير معصية ، وفيه أن الإيمان بالله ينجى من النار لقولهم : إنما فررنا إلى النبى صلى الله عليـه وآله وسلم من النار ، والفرار إلى النبى صلى الله عليه وآله وســلم فرار إلى الله ، والفرار يطلق على الإيمـان ، قال تعالى : « ففروا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين » . واستنبط منه الشيخ أبو محمد بن أبى جمرة أن الجمع من هذه الأمة لا يجتمعون على خطإ ، لانقسام السرية قسمين : منهم من هان عليه دخول النار وظنه طاعة ، ومنهم من فهم حقيقة الأمر وأنه مقصور على ما ليس بمعصية ، فكان اختلافهم سبباً لرحمة الجميع ، قال : وفيه أن من كان صادق النية لا يقع إلا فى خير ولو قصد الشر ، فإن الله يصرفه عنه ، ولهذا قال بعض أهل المعرفة : من صدق مع الله وقاه الله ، ومن توكل على الله كفاه الله .

الحديث الثامن

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ أَن النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بَعَثَهُ وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى الْيَمَنِ ، قالَ : وَبَعَثَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى مِخْلَافٍ ، قالَ : وَالْيَمَنُ مِخْلَافانِ ، ثُمَّ قالَ : يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا ، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا ، فَانْطَلَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى عَمَلِهِ ، قالَ : وَكانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِذَا سَارَ فى أَرْضِهِ وَكانَ قَرِيباً مِنْ صَاحِبِهِ أَحْدَثَ بِهِ عَهْداً فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَسَارَ مُعَاذٌ فى أَرْضِهِ قريباً مِنْ صَاحِبِهِ أَبِى مُوسى ، فَجاءَ يَسِيرُ عَلَى بَغْلَتِهِ حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَيْهِ ، وَإِذَا هُوَ جالِسٌ وَقَد ٱجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ ، وَإِذَا رَجُلٌ عِنْدَهُ قَدْ جُمِعَتْ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ : يَا عَبْدَ ٱللهِ بْنَ قَيْسٍ أَيَّمَ هذَا ؟ قالَ : هذَا رَجُلٌ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ ، قالَ : لَا أَنْزِلُ حَتَّى يُقْتَلَ ، قالَ : إِنَّمَا جِيءَ بِهِ لِذٰلِكَ فَانْزِلْ ، قالَ : ما أَنْزِلُ حَتَّى يُقْتَلَ ، فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ ، ثُمَّ نَزَلَ فَقَالَ : يَا عَبْدَ ٱللهِ كَيْفَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ قالَ : أَتَفَوَّقُهُ تَفَوُّقاً ، قالَ : فَكَيْفَ تَقْرَأُ أَنْتَ يَامُعَاذُ ؟ قالَ : أَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ فَأَقُومُ وَقَدْ قَضَيْتُ جُزْئِى مِنَ النَّوْمِ فَأَقْرَأُ ما كَتَبَ ٱللهُ لِى ، فَأَحْتَسِبُ نَوْمَتِى ، كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِى .

(عن أبى موسى) الأشعرى (رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم بعثه ومعاذ بن جبل إلى اليمن ، قال : وبعث كل واحد منهما على مخلاف) بكسر الميم ، هو بلغة أهل اليمن : الكورة والإقليم والرستاق (قال : واليمن مخلافان) فكانت جهة معاذ العليا إلى صوب عدن ، وكان من عمله الجند ، وله مسجد مشهور إلى اليوم ، وكانت جهة أبى موسى السفلى ، والله أعلم (ثم قال) صلى الله عليه وآله وسلم لهما (يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا) والأصل أن يقال : بشرا ولا تنذرا ، وآنسا ولا تنفرا ، فجمع بينهما ليعم البشارة والنذارة والتأنيس والتنفير ، فهو من باب المقابلة المعنوية .

قاله الطيبي . وقال فى الفتح : ويظهر لى أن النكتة فى الإتيان بلفظ البشارة وهو الأصل وبلفظ التنفير وهو اللازم ، وأتى بالذى بعده على العكس للإشارة إلى أن الإنذار لا ينفى مطلقاً بخلاف التنفير فاكتفى بما يلزم عنه الإنذار وهو التنفير ، فكأنه قال : إن أنذرتم فليكن بغير تنفير ، كقوله تعالى : « فقولا له قولا ليناً » . وفى رواية أخرى عند البخارى زيادة « وتطاوعا » أى كونا متفقين فى الحكم ولا تختلفا ، فإن اختلافكما يؤدى إلى اختلاف أتباعكما ، وحينئذ تقع العداوة والمحاربة بينهم ، وفيه إشارة إلى عدم الحرج والتضييق فى أمور الملة الحنيفية السمحة السهلة البيضاء كما قال تعالى : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » أى قد وسع عليكم يا أمة نبى الرحمة خاصة ، ورفع عنكم الحرج أياً كان . وللسيد العلامة الهمام المجتهد محمد بن إبراهيم الوزير اليمنى رحمه الله رسالة فى هذا الباب مفيدة جامعة سماها « قبول البشرى بالتيسير لليسرى » (فانطلق كل واحد منهما) أى من أبى موسى ومعاذ (إلى عمله ، قال : وكان كل واحد منهما إذا سار فى أرضه وكان قريباً من صاحبه أحدث به عهداً) فى الزيارة (فسلم عليه ، فسار معاذ فى أرضه قريباً من صاحبه أبى موسى ، فجاء) معاذ (يسير على بغلته حتى انتهى إليه) أى إلى أبى موسى (وإذا هو جالس وقد اجتمع إليه الناس وإذا رجل عنده) قال فى الفتح : لم أقف على اسمه ، لكن فى رواية سعيد بن أبى بردة أنه يهودى (قد جمعت يداه إلى عنقه ، فقال له معاذ : ياعبد الله بن قيس) وهذا اسم أبى موسى (أيم هذا) أىْ أىّ شىء هذا ، وأصله أيما (قال) أبو موسى (هذا رجل كفر بعد إسلامه ، قال) معاذ (لا أنزل) أى عن بغلتى (حتى يقتل ، قال) أبو موسى (إنما جىء به لذلك ، فأنزل) مجزوم على الأمر (قال : ما أنزل حتى يقتل ، فأمر به) أبو موسى (فقتل ثم نزل) وفى استتابة المرتد ومدته اختلاف ، والذى عليه أهل الحديث أن المرتد يقتل لحديث الباب ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم : من بدل دينه فاقتلوه . وهو للبخارى وغيره من حديث ابن عباس . وفى المسوى شرح الموطإ : من ارتد عن الإسلام إن كان فى منعة من قومه جمع الإمام المسلمين وقاتلهم . وقد ارتد أكثر العرب فى زمن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فبعث إليهم المسلمين وقاتلهم حتى رجعوا . وعلى هذا أهل العلم . ومن ارتد وليس له منعة قتل . وعليه أهل

العلم إذا كان المرتد رجلا ، واختلفوا فى المرتدة . قال الشافعى : تقتل . وقال أبو حنيفة : لا تقتل ولكن تحبس حتى تسلم . انتهى . (فقال) لأبى موسى (يا عبد الله كيف تقرأُ القرآن ؟ قال) أبو موسى (أتفوقه تفوقاً) أى أقرأه شيئاً بعد شىء فى آناء الليل والنهار ، يعنى لا أقرأه مرة واحدة ، بل أفرق قراءته على أوقات ، مأخوذ من فواق الناقة وهو أن تحلب ثم تترك ساعة حتى تدر ثم تحلب (قال) أبو موسى (فكيف تقرأُ أنت يامعاذ ؟ قال : أنام أول الليل فأقوم وقد قضيت جزئى من النوم) أى أنه جزأ الليل أجزاء : جزءاً للنوم وجزءاً للقراءة والقيام . وقال الزركشى تبعاً للدمياطى : قيل الوجه قضيت إربى قال فى المصابيح : وهذا من التحكمات العارية من الدليل . انتهى . فالذى جاء فى الرواية صحيح فلا موجه يلتفت لتخطئته بمجرد التخيل (فأقرأ ما كتب الله لى ، فأحتسب نومتى كما أحتسب قومتى) أى أطلب الثواب فى الراحة كما أطلبه فى التعب ، لأن الراحة إذا قصد بها الإعانة على العبادة حصلت الثواب . قال فى الفتح : وكان بعث أبى موسى إلى اليمن بعد الرجوع من غزوة تبوك ، لأنه شهد غزوة تبوك مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم . واستدل به على أن أبا موسى كان عالماً فطناً حاذقاً ، ولولا ذلك لم يوله النبى صلى الله عليه وآله وسلم الإمارة ، ولو كان فوض الحكم لغيره لم يحتج إلى توصية بما وصاه به ، ولذلك اعتمد عليه عمر ثم عثمان ثم علىّ ، وأما الخوارج والروافض فطعنوا فيه ونسبوه إلى الغفلة وعدم الفطنة لما صدر منه فى التحكيم بصفين . قال ابن العربى وغيره : والحق أنه لم يصدر منه ما يقتضى وصفه بذلك ، وغاية ما وقع منه أن اجتهاده أداه إلى أن يجعل الأمر شورى بين من بقى من أكابر الصحابة من أهل بدر ونحوهم لما شاهد من الاختلاف الشديد بين الطائفتين بصفين ، فآل الأمر إلى ما آل إليه .

الحديث التاسع

عَنْ أَبِى مُوسَى الْأَشْعَرِىِّ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَن النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَشْرِبَةٍ تُصْنَعُ بِهَا ، فَقَالَ : وَما هِىَ ؟ قالَ : الْبِتْعُ وَالْمِزْرُ ، فَقَالَ : كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ .

(عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم بعثه إلى اليمن فسأله عن أشربة تصنع بها) أى باليمن (فقال) صلى الله عليه وآله وسلم له (وما هى ؟ قال : البتع) بكسر الباء وسكون التاء ، وفسره أبو بردة بنبيذ العسل (والمزر) بكسر الميم وسكون الزاى : نبيذ الشعير (فقال) صلى الله عليه وآله وسلم (كل مسكر حرام) اتفاقاً . ولمسلم من حديث ابن عمر مرفوعاً : كل مسكر خمر ، فيشمل ذلك جميع أنواع الخمر ، والخمر : ما خامر العقل . وفى الباب أحاديث كثيرة من طرق . وما أسكر كثيره فقليله حرام . وعليه أهل العلم . ويجوز شرب العصير والنبيذ قبل غليانه . ومظنة ذلك ما زاد على ثلاثة أيام ، وتمام الكلام فى هذه المسائل فى كتابنا « الروضة الندية شرح الدرر البهية » و « مسك الختام شرح بلوغ المرام » .

الحديث العاشر

عَنِ الْبَرَاءِ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ : بَعَثَنَا رَسُولُ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَعَ خالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَى الْيَمَنِ ، قالَ : ثُمَّ بَعَثَ عَلِيًّا بَعْدَ ذلِكَ مَكانَهُ ، فَقَالَ : مُرْ أَصْحَابَ خالِدٍ مَنْ شاءَ مِنْهُمْ أَنْ يُعَقِّبَ مَعَكَ فَلْيُعَقِّبْ ، وَمَنْ شاءَ فَلْيُقْبِلْ ، فَكُنْتُ فِيمَنْ عَقبَ مَعَهُ ، قالَ : فَغَنِمْتُ أَوَاقِىَّ ذَوَاتِ عَدَدٍ .

(عن البراء) بن عازب (رضى الله عنه قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم مع خالد بن الوليد إلى اليمن) أى بعد رجوعهم من الطائف وقسمة الغنائم بالجعرانة (قال : ثم بعث علياً بعد ذلك مكانه) أى مكان خالد (فقال) له صلى الله عليه وآله وسلم (مر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب) أى يرجع (معك) إلى اليمن بعد أن رجع منه (فليعقب) فليرجع (ومن شاء فليقبل ، فكنت فيمن عقب معه ، قال) البراء (فغنمت أواق ذوات عدد) أى كثيرة . قال فى الفتح : لم أقف على تحريرها .

الحديث الحادى عشر

عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : بَعَثَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلِيًّا إِلَى خالِدٍ لِيَقْبِضَ الخُمُسَ ، وَكُنْتُ أَبْغُضُ عَلِيًّا وَقَدِ ٱغْتَسَلَ ، فَقُلْتُ لِخَالِدٍ : أَلَا تَرَى إِلَى هذَا . فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ذَكَرْتُ ذلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : يَا بُرَيْدَةُ أَتَبْغُضُ عَلِيًّا ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قالَ : لَا تَبْغُضْهُ فَإِن لَهُ فى الْخُمُسِ أَكْثَرَ مِنْ ذلكَ .

(عن بريدة رضى الله عنه قال : بعث النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم علياً إلى خالد ليقبض الخمس) أى خمس الغنيمة قال بريدة (وكنت أبغض علياً) رضى الله عنه لأنه رآه أخذ من المغنم جارية (وقد اغتسل) فظن أنه غلها ووطئها . وفى رواية من طرق إلى روح بن عبادة : بعث علياً إلى خالد ليقسم الفىء فاصطفى علىّ منه لنفسه سبية ، أى جارية ، ثم أصبح ورأسه يقطر (فقلت لخالد ألا ترى إلى هذا) يعنى علياً (فلما قدمنا على النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم ذكرت ذلك له ، فقال : يابريدة أتبغض علياً ؟ قلت : نعم ، قال : لا تبغضه) زاد أحمد من طريق عبد الجليل عن عبد الله بن بريدة عن أبيه : وإن كنت تحبه فازدد له حباً . وله أيضاً من طريق أجلح الكندى عن عبد الله بن يزيد : لا تقع فى علىّ فإنه منى وأنا منه وهو وليكم بعدى (فإن له فى الخمس أكثر من ذلك) وفى رواية عبد الجليل : فوالذى نفس محمد بيده لنصيب آل علىّ فى الخمس أفضل من وصيفة . وزاد قال : فما كان أحد من الناس أحبّ إلىّ من علىّ . وعند النسائى فى آخر الحديث. فإن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد احمر وجهه يقول : من كنت وليه فعلىّ وليه . وأخرجه الحاكم مطولا وفيه قصة الجارية نحو رواية عبد العزيز . قال فى الفتح : وهذه طرق تقوى بعضها ببعض . قال أبو ذر الهروى : إنما أبغض الصحابى علياً لأنه رآه أخذ من المغنم فظن أنه غلّ ، فلما أعلمه النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه أخذ أقل من حقه أحبه . انتهى. وهو تأويل حسن لكن يبعده صدر الحديث الذى أخرجه أحمد ، فلعل سبب البغض كان لمعنى آخر وزال بنهى النبى صلى الله عليه وآله وسلم لهم عن بغضه . وقد استشكل وقوع علىّ على الجارية بغير

استبراء ، وكذلك قسمته لنفسه . فأما الأول فمحمول على أنها كانت بكراً غير بالغ ورأى أن مثلها لا يستبرأ كما صار إليه غيره من الصحابة ، ويجوز أن تكون حاضت عقب صيرورتها له ثم ظهرت بعد يوم وليلة ثم وقع عليها . وليس فى السياق ما يدفعه . وأما القسمة فجائزة فى مثل ذلك ممن هو شريك فيما يقسمه ، كالإمام إذا قسم بين الرعية وهو منهم ، فكذلك ممن نصبه الإمام وقام مقامه . وقد أجاب الخطابى بالثانى ، وأجاب عن الأول باحتمال أن تكون عذراء أو دون البلوغ ، وأداه اجتهاده أن لا استبراء فيها . ويؤخذ من الحديث جواز التسرى على بنت النبى صلى الله عليه وآله وسلم بخلاف التزويج عليها .

الحديث الثانى عشر

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الخُدْرِىِّ رَضِىَ ٱللّٰهُ عَنْهُ قالَ : بَعَثَ عَلِىُّ بْنُ أَبِى طَالِب رَضِىَ ٱللّٰهُ عَنْهُ إِلَى رَسُولِ ٱللّٰهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْيَمَنِ بِذُهَيْبَةٍ فى أَدِيم مَقْرُوظٍ لَمْ تُحَصَّلْ مِنْ تُرَابِهَا ، قالَ : فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ : بَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ ، وَأَقْرَعَ بْنِ حابِسٍ ، وَزَيْدِ الخَيْلِ ، وَالرَّابعُ إِمَّا عَلْقَمَةُ وَإِمَّا عامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ : كُنَّا نَحْنُ أَحَقَّ بِهٰذَا مِنْ هؤُلاءِ ، قالَ : فَبَلَغَ ذٰلِكَ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ : أَلَا تَأْمَنُونى وَأَنا أَمِينُ مَنْ فى السَّمَاءِ ، يَأْتِينِى خَبَرُ السَّمَاءِ صَباحاً وَمَسَاءً . قالَ : فَقَامَ رَجُلٌ غائِرُ الْعَيْنَيْنِ ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ ، نَاشِزُ الْجَبْهَةِ ، كَثُّ اللِّحْيَةِ ، مَحْلوقُ الرَّأْسِ ، مُشَمَّرُ الْإِزارِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ ٱللّٰهِ ٱتقِ ٱللّٰهَ . قالَ : وَيْلَكَ ، أَوَ لَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِىَ ٱللّٰهَ ؟ قالَ : ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ . قالَ خالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ : يَارَسُولَ ٱللّٰهِ أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ ؟ قالَ : لَا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّى . فَقَالَ خالِدٌ : وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مالَيْسَ فى قَلْبِهِ . قالَ رَسُولُ ٱللّٰهِ صلى الله عليه وسلم : إِنِّى لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ قُلُوبَ النَّاسِ وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ ، قالَ : ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَهْوَ مُقَفٍّ فَقَالَ : إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِىءِ هذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ ٱللّٰهِ رَطْباً لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، وَأَظُنُّهُ قالَ : لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ .

(عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : بعث علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم من اليمن بذهيبة) مصغر ذهب ، القطعة من الذهب . قاله الخطابى ، وتعقب بأنها كانت تبراً ، فالتأنيث باعتبار معنى الطائفة ، أو أنه قد يؤنث الذهب فى بعض اللغات ، قيل : كانت خمس الخمس ، وفيه نظر ، وقيل : من الخمس (فى أديم

مقروظ) أى مدبوغ بالقرظ (لم تحصل) أى لم تخلص الذهبية (من ترابها) المعدنى بالسبك (قال : فقسمها بين أربعة نفر) يتألفهم بذلك ، وكان ذلك من خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم ، أنه يضعه فى صنف من الأصناف للمصلحة ، وقيل : كانت من أصل الغنيمة ، وهو بعيد . كذا فى الفتح (بين عيينة بن بدر) نسبه إلى جده الأعلى لأنه عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى (وأقرع بن حابس) الحنظلى ثم المجاشعى ، فيــه شاهد على أن ذا الألف واللام من الأعلام الغالبة قد ينتزعان عنه فى غير نداء ولا إضافة ولا ضرورة . وقد حكى سيبويه عن العرب : هذا يوم اثنين مباركاً . قاله ابن مالك (وزيد الخيل) باللام ابن مهلهل الطائى ، ثم أحد بنى نبهان ، وقيل له زيد الخيل لكرائم الخيل التى كانت عنده ، وسماه النبى صلى الله عليه وآله وسلم « زيد الخير » بالراء بدل اللام ، وأثنى عليه ، وأسلم وحسن إسلامه ، ومات فى حياة النبى صلى الله عليه وآله وسلم (والرابع إما علقمة) ابن علاثة العامرى (وإما عامر بن الطفيل) العامرى ، والشك فى عامر وهم من عبد الواحد ، فقد جزم فى رواية سعيد بن مسروق بأنه علقمة بن علاثة ، وقد مات عامر قبل ذلك بخراج طلع له فى أصل أذنه كافراً (فقال رجل من أصحابه) قال فى الفتح : لم أقف على اسمه . زاد القسطلانى : وكأنه أبهمه ستراً عليه . وفى رواية سعيد : فغضبت قريش والأنصار وقالوا : يعطى صناديد أهل نجـــد ويدعنا ، فقال : إنما أتألفهم . والصناديد : جمع صنديد وهو الرئيس (كنا نحن أحق بهذا) القسم (من هؤلاء) الأربعة (قال : فبلغ ذلك) القول (النبى صلى الله عليه) وآله (وســلم فقال : ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء يأتينى خبر السماء صــباحاً ومساء ، قال : فقام رجل غائر العينين) أى عيناه داخلتان فى محاجرهما ، لاصقتان بقعر الحدقة (مشرف الوجنتين) أى بارزهما (ناشز الجبهة) مرتفعها (كث اللحيــة) كثير شعرها (محلوق الرأس) موافق لسيما الخوارج فى التحليق ، مخالف للعرب فى توفيرهم شعورهم . وعبارة الفتح : وفى أواخر التوحيد من وجه آخر : أن الخوارج سيماهم التحليق ، وكان السلف يوفرون شعورهم ولا يحلقونها ، وكانت طريقة الخوارج حلق جميع رءوسهم . اه (مشمر الإزار) واسمه فيما قيل ذو الخويصرة التميمى ، ورجح السهيلى أن اسمه نافع كما فى أبى داود ،

وقيل حرقوص بن زهير كما جزم به ابن سعد (فقال يارسول الله : اتق الله ، قال : ويلك ، أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله) وفى رواية سعيد ابن مسروق فقال : ومن يطع الله إذا عصيته (قال : ثم ولى الرجل ، قال خالد بن الوليد : يارسول الله ألا أضرب عنقه) وفى علامات النبوة : فقال عمر : يارسول الله ائذن لى فأضرب عنقه ، ولا منافاة بينهما لاحتمال أن يكون كل منهما قال ذلك (قال) صلى الله عليه وآله وسلم (لا) تفعل (لعله) فيه استعمال لعل استعمال عسى ، نبه عليه ابن مالك (أن يكون يصلى) وفيه دلالة من طريق المفهوم على أن تارك الصلاة يقتل ، وفيه نظر (فقال خالد : وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس فى قلبه ، قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : إنى لم أومر أن أنقب قلوب الناس) أى أبحث وأفتش (ولا أشق بطونهم) أى إنما أمرت أن آخذ بظواهر أمورهم . قال القرطبي : إنما منع قتله وإن كان قد استوجب القتل لئلا يتحدث الناس أنه يقتل أصحابه ولاسيما من صلى . وقال المازرى يحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يفهم من الرجل الطعن فى النبوّة وإنما نسبه إلى ترك العدل فى القسمة ، وليس ذلك كبيرة ، والأنبياء معصومون من الكبائر بالإجماع . واختلف فى جواز وقوع الصغيرة ، أولعله لم يعاقب هذا الرجل لأنه لم يثبت عنه ذلك ، بل نقل عنه واحد ، وخبر الواحد لايراق به الدم . اهـ . وأبطله عياض بقوله فى الحديث « اعدل يامحمد » فخاطبه فى الملإ بذلك حتى استأذنوه فى قتله . فالصواب ما تقدم (قال : ثم نظر) صلى الله عليه وآله وسلم (إليه) أى إلى الرجل (وهو مقف) أى مول قفاه (فقال : إنه يخرج من ضئضىء) أى من نسل (هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً) لمواظبتهم على تلاوته ، فلا يزال لسانهم رطباً بها ، أو هو من تحسين الصوت بها (لايجاوز حناجرهم) أى لايرفع فى الأعمال الصالحة ، فليس لهم فيه حظ إلا مروره على لسانهم فلا يصل إلى حلوقهم فضلا أن يصل قلوبهم حتى يتدبروه بها (يمرقون من الدين) الإسلام (كما يمرق السهم) أى كخروجه إذا نفذ من الجهة الأخرى (من الرمية) بفتح الراء وكسر الميم وتشديد الياء : الصيد المرمى (وأظنه) صلى الله عليه وآله وسلم (قال : لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود) أى لأستأصلنهم كاستئصال ثمود وقد استدل بهذا الحديث على تكفير الخوارج ،وهى مسألة شهيرة فى الأصول .

غزوة ذى الخلصة

الحديث الأول

تَقَدَّمَ حَدِيثُ جَرِيرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ فى ذلِكَ ، وَقَوْلُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم لَهُ : أَلَا تُرِيحُنِى مِنْ ذِى الخَلَصَةِ . وَذَكَرَ فى هذِهِ الرِّوَايَةِ قالَ جَرِيرٌ : وَكانَ ذُو الخَلَصَةِ بَيْتاً فى الْيَمَنِ لِخَثْعَمَ وَبَجِيلَةَ فِيهِ نُصُبٌ يُعْبَدُ ، وَلَمَّا قَدِمَ جَرِيرٌ الْيَمَنَ كانَ بِهَا رَجُلٌ يَسْتَقْسِمُ بِالْأَزْلَامِ ، فَقِيلَ لَهُ : إن رَسُولَ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم هَاهُنَا ، فَإِنْ قَدَرَ عَلَيْكَ ضَرَبَ عُنُقَكَ . قالَ : فَبَيْنَما هُوَ يَضْرِبُ بِهَا إِذْ وَقَفَ عَلَيْهِ جَرِيرٌ . فَقَالَ : لَتَكْسِرَنَّهَا وَلَتَشْهَدَنَّ أَنْ لَا إِلهَ إِلا ٱللهُ أَوْ لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ ، فَكَسَرَهَا وَشَهِدَ .

---

* (غزوة ذى الخلصة) *

بفتح الخاء المعجمة واللام والصاد المهملة .

(تقدم حديث جرير) بن عبد الله البجلى (رضى الله عنه فى ذلك) قال : كان بيت فى الجاهلية يقال له ذو الخلصة ، والكعبة اليمانية ، والكعبة الشامية (وقول النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم له) أى لجرير (ألا تريحنى من ذى الخلصة . وذكر فى هذه الرواية . قال جرير : وكان) أى (ذو الخلصة بيتاً باليمن لخثعم وبجيلة ، فيه) أى فى البيت (نصب) بضمتين : حجر ينصب يذبحون عليه (يعبد) يقال له الكعبة ، فأتاها جرير فحرقها بالنار وكسرها وهدم بناءها (ولما قدم جرير اليمن كان بها رجل يستقسم بالأزلام) أى يطلب قسمه من الشر والخير بالقداح (فقيل له : إن رسول رسـول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم هاهنا ، فإن قدر عليك ضرب عنقك ، قال : فبينما هو يضرب بها) أى بالأزلام (إذ وقف عليه جرير ، فقال) له جرير (لتكسرنها ولتشهدن أن لا إله إلا الله أو لأضربن عنقك ، فكسرها وشهد) أن لا إله إلا الله . وفى الحديث مشروعية إزالة ما يفتتن به الناس من بناء وغيره سواء كان إنساناً أو حيواناً أو جماداً .

الحديث الثانى

وَعَنْهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : كُنْتُ بِالْيَمَنِ فَلَقِيتُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ : ذَا كَلَاعٍ وَذَا عَمْرٍو ، فَجَعَلْتُ أُحَدِّثُهُمْ عَنْ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ لِي ذُو عَمْرٍو : لَئِنْ كانَ الذى تَذْكُرُ مِنْ أَمْرِ صَاحِبِكَ ، لَقَدْ مَرَّ عَلَى أَجَلِهِ مُنْذُ ثَلَاثٍ وَأَقْبَلَا مَعِى حَتَّى إِذَا كُنَّا فى بَعْضِ الطَّرِيقِ رُفِعَ لَنَا رَكْبٌ مِنْ قِبَلِ المَدِينَةِ ، فَسَأَلْنَاهُمْ ، فَقَالُوا : قُبِضَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم وَٱسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ وَالنَّاسُ صَالِحُونَ ، فَقَالَا : أَخْبِرْ صَاحِبَكَ أَنَّا قَدْ جِئْنَا وَلَعَلَّنَا سَنَعُودُ إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى ، وَرَجَعَا إِلَى الْيَمَنِ .

(وعنه) أى عن جرير (رضى الله عنه قال : كنت باليمن فلقيت رجلين من أهل اليمن ذا كلاع) بفتح الكاف ، اسمه أسميفع ، ويقال أيفع بن باكوراء ويقال ابن حوشب بن عمرو (وذا عمرو) وكانا من ملوك اليمن ، وكان جرير قضى حاجته وأقبل راجعاً يريد المدينة ، وكانا أيضاً قد عزما على التوجه إلى المدينة ، قال جرير (فجعلت أُحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فقال لى ذو عمرو : لئن كان الذى تذكر من أمر صاحبك) يعنى النبى صلى الله عليه وآله وسلم (لقد مر على أجله منذ ثلاث) أى إن أخبرتنى بهذا أخبرتك بهذا ، فالإخبار سبب للإخبار ، ومعرفة ذى عمرو بوفاته صلى الله عليه وآله وسلم إما بطريق الكهانة أو إنه كان من المحدثين أو بسماع من بعض القادمين سراً . قاله الكرمانى ، وتعقبه فى الفتح بأنه لو كان مستفاداً من غيره لما احتاج إلى بناء ذلك على ما ذكره جرير ، فالظاهر أنه قاله عن اطلاع من الكتب القديمة (وأقبلا معى) متوجهين إلى المدينة (حتى إذا كنا فى بعض الطريق رفع لنا ركب من قبل المدينة ، فسألناهم فقالوا : قبض رسول الله صلى الله عليه) وآله (سلم واستخلف أبو بكر والناس صالحون ، فقالا) أى ذو الكلاع وذو عمرو (أخبر صاحبك) أبا بكر رضى الله عنه (أنا قد

جئنا ولعلنا سنعود) إليـــه (إن شاء الله تعالى ورجعا إلى اليمن) قال جرير : فأخبرت أبا بكر بحديثهم ، قال : أفلا جئت بهم ، فلما كان بعد ، أى بعد هذا الأمر فى خلافة عمر بن الخطاب وهاجر ذو عمرو ، قال لى ذو عمرو : ياجرير إن لك علىّ كرامة وإنى مخبرك خبراً ، إنكم معشر العرب لن تزالوا بخير ما كنتم إذا هلك أمير تأمرتم فى آخر ، فإذا كانت – أى الإمارة بالسيف – أى بالقهر والغلبة ، كانوا – أى الخلفاء – ملوكاً يغضبون غضب الملوك ويرضون رضا الملوك .

غزوة سيف البحر

وهم يتلقون عيراً لقريش وأميرهم أبو عبيدة بن الجراح

الحديث الأول

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قالَ : بَعَثَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم بَعْثاً قِبَلَ السَّاحِلِ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ ، وَهُمْ ثَلَاثُمِائَةٍ ، فَخَرَجْنَا ، وَكُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ ، فَنِيَ الزَّادُ ، فَأَمَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِأَزْوَادِ الجَيْشِ ، فَجَمَعَ فَكانَ مِزْوَدَيْ تَمْرٍ فَكانَ يُقَوِّتُنَا كُلَّ يَوْمٍ قَلِيلاً قَلِيلاً حَتَّى فَنِيَ ، فَلَمْ يَكُنْ يُصِيبُنَا إلاَّ تَمْرَةٌ تَمْرَةٌ ، فَقِيلَ لَهُ : ما تُغْنِي عَنكُمْ تَمْرَةٌ ؟ فَقَالَ : لَقَدْ وَجَدْنَا فَقْدَهَا حِينَ فَنِيَتْ ، ثُمَّ ٱنْتَهَيْنَا إلَى الْبَحْرَيْنِ ، فَإِذَا حُوتٌ مِثْلُ الظَّرِبِ ، فَأَكَلَ مِنْهُ الْقَوْمُ ثَمَانَ عَشْرَةَ لَيْلَةً ، ثُمَّ أَمَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِضِلَعَيْنِ مِنْ أَضْلَاعِهِ فَنُصِبَا ، ثُمَّ أَمَرَ بِرَاحِلَةٍ فَرَحِلَتْ ، ثُمَّ مَرَّتْ تَحْتَهُمَا فَلَمْ تُصِبْهُمَا .

---

* (غزوة سيف البحر) *

أى ساحله (وهم يتلقون) أى يرصدون (عيراً) بكسر العين : إبلا تحمل ميرة (لقريش وأميرهم أبو عبيدة) عامر ، وقيل عبد الله بن عامر (بن الجراح) الفهرى القرشى رضى الله عنه .

(عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه قال : بعث رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم بعثاً) سنة ثمان (قبل الساحل وأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح ، وهم ثلثمائة ، فخرجنا) التفات من الغيبة للتكلم (وكنا ببعض الطريق ، فنى الزاد ، فأمر أبو عبيدة بأزواد الجيش فجمع ، فكان) الذى جمعه (مزودى تمر) والمزود بكسر الميم : ما يجعل فيه الزاد (فكان يقوتنا كل

يوم قليل قليل حتى فنى) ما فى المزودين من الزاد العام (فلم يكن يصيبنا) مما جمع ثانياً من الأزواد الخاصة (إلا تمرة تمرة ، فقيل) القائل وهب (له) أى لجابر (ماتغنى عنكم تمرة ، فقال : لقد وجدنا فقدها) مؤثراً (حين فنيت ، ثم انتهينا إلى) ساحل (البحر فإذا حوت مثل الظرب) بفتح الظاء المعجمة المشالة وكسر الراء : الجبل الصغير (فأكل منها) وللأربعة : منه ، أى من الحوت (القوم ثمان عشرة ليلة ، ثم أمر أبو عبيدة بضلعين) بكسر الضاد المعجمة وفتح اللام (من أضلاعه) أن ينصبا (فنصبا) كان الأصل أن يقول : فنصبتا بالتاء ، لكنه غير حقيقى التأنيث (ثم أمر براحلته) أن ترحل (فرحلت ثم مرت) مبنياً للمفعول (تحتهما) أى تحت الضلعين (فلم تصبهما) الراحلة لعظمهما .

الحديث الثانى

وَعَنْهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ فى رِوَايَةٍ أَنَّهُ قالَ: فَأَلْقَى لَنَا الْبَحْرُ دَابَّةً يُقَالُ لَهَا الْعَنْبَرُ ، فَأَكَلْنَا مِنْهُ نِصْفَ شَهْرٍ ، وَٱدَّهَنَّا مِنْ وَدَكِهِ حَتَّى ثَابَتْ إِلَيْنَا أَجْسَامُنَا . وَفى رِوَايَةٍ أُخْرَى : فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : كُلُوا ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ذَكَرْنَا ذلِكَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : كُلُوا رِزْقاً أَخْرَجَهُ اللهُ ، أَطْعِمُونَا إِنْ كَانَ مَعَكُمْ ؟ فَأَتَاهُ بَعْضُهُمْ بِعُضْوٍ فَأَكَلَهُ .

(وعنه) أى عن جابر (رضى الله عنه فى رواية أنه قال) بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلثمائة راكب أميرنا أبو عبيدة بن الجراح ، نرصد عير قريش ، فأقمنا بالساحل نصف شهر ، فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبط ، أى ورق السلم ، فسمى ذلك جيش الخبط (فألقى لنا البحر دابة) من السمك (يقال لها العنبر) يتخذ من جلدها الأتراس ، ويقال : إن العنبر الذى يشم رجيع هذه الدابة ، وقيل : إنه يخرج من قعر البحر ، يأكله بعض دوابه لدسومته فيقذفه رجيعاً ، فيوجد كالحجارة البكار يطفو على الماء فتلقيه الريح إلى الساحل ، وهو يقوى القلب والدماغ ، نافع من الفالج واللقوة والبلغم الغليظ . وقال الشافعى : سمعت من قال : إن العنبر نبات فى البحر ملتو مثل عنق الشاة وله رائحة ذكية ، وفى البحر دويبة تقصده لذكاء ريحه وهو سم لها فتأكله فيقتلها ويلفظها البحر فيخرج العنبر من بطنها . وقال محمد بن يوسف الطبيب الهروى : فى بحر الجواهر عنبر هو نبع عين فى البحر ، وقيل : إنه زبد البحر ، وقيل : روث الدابة ، وقيل : نبات فى قعر البحر ، وقيل : إنه يحصل من عسل النحل ببلاد الهند . وهذا القول أقرب ، حار فى الثانية ، يابس فى الأولى ، مفرح ملطف مقو للمعدة والقلب والحواس ، وجوهر كل روح محلل للرياح الغليظة فى الأمعاء شرباً وضماداً ، ولو أكل منه ثلاثة أيام كل يوم دانق يسكن وجع المعدة ولو عتق هذا مجرب ، والعنبر النيء هو الذى لايمزج به شيء آخر . اهـ . (فأكلنا منه) أى من الحوت (نصف شهر) فى الرواية السابقة ثمان عشر ليلة ، قيـــل : القائل بالزيادة ضبط ما لم يضبطه

الآخر ، والقائل بهذا الثانى ألغى الزائد وهو الثلاثة (وادهنا من ودكه) أى شحمه (حتى ثابت) أى رجعت (إلينا أجسامنا) إلى ما كانت عليه من القوة والسمن بعدما هزلت من الجوع (وفى رواية أخرى) عن جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه (فقال أبو عبيدة : كلوا) أى من الحوت ، فأكلنا (فلما قدمنا المدينة ذكرنا ذلك للنبي صلى الله عليه) وآله (وسلم فقال : كلوا رزقاً أخرجه الله) لكم (أطعمونا إن كان معكم) منه شيء (فآتاه) بالمد ، أى أعطاه (بعضهم) زاد ابن السكن (بعضو) منه (فأكله) وفيه حل ميتة السمك وغير ذلك مما لايخفى . وفى هذه السرية كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وفد بنى تميم

عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قالَ : قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَنِى تَمِيمٍ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَمِّرِ الْقَعْقَاعَ بْنَ مَعْبَدِ بْنِ زُرَارَةَ ، فَقَالَ عُمَرُ : بَلْ أَمِّرِ الْأَقْرَعَ بْنَ حابِسٍ ، قالَ أَبُو بَكْرٍ : ما أَرَدْتَ إِلاَّ خِلَافِى ، قالَ عُمَرُ : ما أَرَدْتُ خِلَافَكَ ، فَتَمَارَيَا حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا ، فَنَزَلَتْ فى ذٰلِكَ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ » حَتَّى ٱنْقَضَتْ .

---

* (وفد بنى تميم) *

ابن مر بضم الميم وتشديد الراء ، ابن أُد بضم الهمزة وتشديد الدال ، ابن طابخة بن إلياس بن مضر ، وقد كانت الوفود بعد رجوعه صلى الله عليه وآله وسلم من الجعرانة فى أواخر سنة ثمان وما بعدها . وعند ابن هشام أن سنة تسع كانت تسمى سنة الوفود .

(عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما قال : قدم ركب من بنى تمم على النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم) وسألوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يؤمر عليهم أحداً (فقال أبو بكر) الصديق : يا رسول الله (أمر القعقاع بن معبد بن زرارة) عليهم (فقال عمر) بن الخطاب (بل أمر الأقرع بن حابس) عليهم يا رسول الله (قال أبو بكر) لعمر رضى الله عنه (ما أردت إلا خلافى) أى ليس مقصودك إلا مخالفة قولى (قال عمر : ما أردت خلافك ، فتماريا) أى تجادلا وتخاصما (حتى ارتفعت أصواتهما) بحضرته صلى الله عليه وآله وسلم (فنزل فى ذلك : « يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله » حتى انقضت) أى الآية . وهذا الحديث شرحه مستوفى فى تفسير سورة الحجرات فى الفتح ، وفى تفسيرنا « فتح البيان » .

وفد بنى حنيفة وحديث ثمامة بن أثال

الحديث الأول

عَنْ أَبى هُرَيْرَةَ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : بَعَثَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم خيْلاً قِبَلَ نَجْدٍ ، فَجاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِى حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِى المَسْجِدِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : ما عِنْدَكَ يا ثُمَامَةَ ؟ فَقَالَ عِنْدِى خَيْرٌ يا مُحَمدُ ، إِنْ تَقْتُلْنِى تَقْتُلْ ذَا دَمٍ ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ المَالَ فَسَلْ مِنْهُ ما شِئْتَ ، فَتُرِكَ حَتَّى كانَ الْغَدُ ، ثُمّ قالَ لَهُ : ماعِنْدَكَ يَا ثُمَامَةَ ؟ قالَ: ما قُلْتُ لَكَ ، إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شاكِرٍ ، فَتَرَكَهُ حَتّى كانَ بَعْدَ الْغَدِ ، فَقَالَ : ما عِنْدَكَ يا ثُمَامَةُ ؟ قالَ : عِنْدِى ما قُلْتُ لَكَ ، فَقَالَ : أَطْلِقُوا ثُمامَةَ ، فَٱنْطَلَقَ إِلَى نَجْلٍ قَرِيبٍ مِنَ المَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ ، ثُمَّ دَخَلَ المَسْجِدَ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ ٱللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ ٱللهِ ، يَا مُحَمَّدُ وَٱللهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَض إِلَىَّ مِنْ وَجْهِكَ فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَىَّ ، وَٱللهِ ما كانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَض إِلَىَّ مِنْ دِينِكَ فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّين إِلَىَّ ، وَٱللهِ ما كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَض إِلَىَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَىَّ ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِى وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ ، فَمَاذَا تَرَى ؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قالَ لَهُ قائِلٌ : صَبَوْتَ . قالَ : لَا وَٱللهِ وَلكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم ، وَلَا وَٱللهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم .

* (وفد بني حنيفة) *

ابن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل : قبيلة مشهورة ينزلون اليمامة بين مكة والمدينة ، وكان وفدهم كما قال ابن إسحاق وغيره فى سنة تسع . وذكر الواقدى أنهم كانوا سبعة عشر رجلا فيهم مسيلمة (وحديث ثمامة بن أثال) ابن النعمان بن مسيلمة الحنفى ، وهو من فضلاء الصحابة ، وكانت قصته قبل وفد بنى حنيفة بزمان ، فإن قصته صريحة فى أنها كانت قبل فتح مكة ، وكأن البخارى ذكرها هاهنا استطراداً .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : بعث النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم خيلا) أى فرسان خيل ، وهو من ألطف المجازات وأبدعها . وفى الحديث : يا خيل الله اركبى ، أى فرسان خيل الله (قبل نجد) أى جهتها (فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له ثمامة بن أثال ، فربطوه بسارية من سوارى المسجد ، فخرج إليه النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم فقال : ما عندك ياثمامة) وفى رواية : ماذا ، أى ما الذى استقر عندك من الظن فيما أفعل بك ، أو ماذا بمعنى أى شىء (فقال : عندى خير يا محمد) لأنك لست ممن يظلم بل يحسن وينعم (أن تقتلنى تقتل ذا دم) مطلوب به ، أى من عليه دم وهو مستحق عليه ، فلا عيب عليك فى قتله ، وفعل الشرط إذا كرر فى الجزاء دل على فخامة الأمر . وفى الفتح : ذم أى ذا ذمة وضعفت لأن فيها قلباً للمعنى لأنه إذا كان ذا ذمة يمتنع قتله . وأُجيب بالحمل على أن معناه الحرمة فى قومه (وإن تنعم تنعم على شاكر) وجميع ذلك تفصيل لقوله : عندى خير (وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت ، فترك) بضم التاء ، أى تركه النبى صلى الله عليه وآله وسلم (حتى كان الغد ، ثم قال له) صلى الله عليه وآله وسلم (ماعندك ياثمامة ؟ فقال : ماقلت ، لك إن تنعم تنعم على شاكر ، فتركه) صلى الله عليه وآله وسلم (حتى كان بعد الغد فقال) له (ماعندك ياثمامة ؟ قال : عندى ما قلت لك) اقتصر فى اليوم الثانى على أحد الأمرين وحذفهما فى اليوم الثالث . وفيه دليل على حذفه ، لأنه قدم أول يوم أشق الأمرين عليه وهو القتل لما رأى من غضبه صلى الله عليه وآله وسلم فى اليوم الأول ، فلما رأى أنه لم يقبله رجاء أن ينعم عليه فاقتصر على قوله « إن تنعم » وفى اليوم الثالث اقتصر على الإجمال تفويضاً إلى جميل خلقه ولطفه صلوات الله وسلامه عليه ، وهذا أدعى

للاستعطاف والعفو . وقد وافق ثمامة فى هذه المخاطبة قول عيسى عليه السلام : « إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم » الآية ، لأن المقام يليق بذلك (فقال) صلى الله عليه وآله وسلم (أطلقوا ثمامة) فأطلقوه . وفى رواية ابن إسحاق قال : قد عفوت عنك ياثمامة وأعتقتك . وزاد ابن إسحاق فى روايته : إنه لما كان فى الأسر جمعوا ما كان فى أهل النبى صلى الله عليه وآله وسلم من طعام ولبن ، فلم يقع ذلك من ثمامة موقعاً ، فلما أسلم جاءوه بالطعام فلم يصب منه إلا قليلا ، فتعجبوا ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : إن الكافر يأكل فى سبعة أمعاء وإن المؤمن يأكل فى معاً واحد (فا نطلق إلى نجل) بالجيم ، أى ماء مستنقع ، وفى نسخة بالخاء المعجمة (قريب من المسجد فاغتسل) منه (ثم دخل المسجد فقال : أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، يامحمد والله ماكان على الأرض وجه أبغض إلىّ من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلىّ ، والله ماكان من دين أبغض إلىّ من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلىّ ، والله ما كان من بلد أبغض إلى من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلى ، وإن خيلك) فرسانك (أخذتنى وأنا أريد العمرة فماذا ترى ؟ فبشره رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) بما حصل من الخير العظيم بالإسلام ومحوما كان قبله من الذنوب العظام ، وفى الفتح : بشره بخيرى الدنيا والآخرة أو بالجنة أو بمحو تبعاته السابقة ، والمعنى قريب (وأمره أن يعتمر ، فلما قدم مكة قال له قائل) لم أعرف اسمه (صبوت) أى خرجت من دين إلى دين (قال : لا والله ولكن أسلمت مع محمد رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) وهذا من أسلوب الحكيم ، كأنه قال : ماخرجت من الدين لأن عبادة الأوثان ليست ديناً فإذا تركتها أكون خرجت من دين ، بل استحدثت دين الإسلام وأسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لله رب العالمين . وقوله « مع محمد » أى وافقته على دينه فصرنا متصاحبين فى الإسلام ، أنا بالابتداء وهو بالاستدامة . وفى رواية ابن هشام : ولكنى تبعت خير الدين دين محمد (ولا والله) فيه حذف ، أى والله لا أرجع إلى دينكم ولا أرفق بكم فأترك الميرة تأتيكم من اليمامة (ولا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم) زاد ابن هشام : ثم خرج إلى اليمامة فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئاً فكتبوا إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم : إنك تأمر

بصلة الرحم . فكتب إلى ثمامة أن يخلى بينهم وبين الحمل إليهم . وفى هذا الحديث من الفوائد ربط الكافر فى المسجد ، والمن على الأسير الكافر ، وتعظيم أمر العفو عن المسيء ، لأن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب حباً فى ساعة واحدة لما أسداه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليه من العفو والمن بغير مقابل . وفيه الاغتسال عند الإسلام ، وأن الإحسان يزيل البغض ويثبت الحب ، وأن الكافر إذا أراد عمل خير ثم أسلم شرع له أن يستمر فى عمل ذلك الخير . وفيه الملاطفة بمن يرجى إسلامه من الأسارى إذا كان فى ذلك مصلحة للإسلام ولا سيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه . وفيه بعث السرايا إلى بلاد الكفار وأسر من وجد منهم ، والتخيير بعد ذلك فى قتله أو الإبقاء عليه . كذا فى الفتح .

الحديث الثانى

عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُمَا قالَ : قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَجَعَلَ يَقُولُ : إِنْ جَعَلَ لِى مُحَمَّدٌ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ ، وَقَدِمَهَا فى بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ ، وَفى يَدِ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم قِطْعَةُ جَرِيدٍ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : لَوْ سَأَلْتَنِى هذِهِ الْقِطْعَةَ ما أَعْطَيْتُكَهَا ، وَلَنْ تَعْدُوَ أَمْرَ ٱللهِ فِيكَ ، وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ ٱللهُ ، وَإِنِّى لَأَرَاكَ الَّذِى أُرِيتُ فِيهِ ما رَأَيْتُ وَهَـذَا ثابِتٌ يُجِيبُكَ عَنِّى ، ثُمَّ ٱنْصَرَفَ عَنْـهُ . قالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ : فَسَأَلْتُ عَنْ قَوْلِ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم إِنَّكَ أَرَى الَّذِى أُرِيتُ فِيهِ ما رَأَيْتُ فَأَخْبَرَنِى أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ : بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فى يَدَىَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ ، فَأَهَمَّنِى شَأْنُهُمَا فَأُوحِىَ إِلَىَّ فى المَنَامِ أَنِ ٱنْفُخْهُمَا فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِى أَحَدُهُمَا الْعَنْسِىُّ وَالآخَرُ مُسَيْلِمَةُ .

(عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قدم مسيلمة الكذاب) بكسر اللام ابن ثمامة بن كبير بن حبيب بن الحارث من بنى حنيفة ، وكان فيما قاله ابن إسحاق : ادعى النبوّة سنة عشر وفد مع قومه (على عهد رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) المدينة (فجعل يقول : إن جعل لى محمد) الخلافة (من بعده تبعته وقدمها فى بشر كثير من قومه) بنى حنيفة (فأقبل إليه رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) ليتألفه وقومه رجاء إسلامهم وليبلغه ما أُنزل إليه . ويستفاد منه أن الإمام يأتى بنفسه إلى من قدم يريد لقاه من الكفار إذا تعين ذلك طريقاً لمصلحة للمسلمين (ومعه) صلى الله عليه وآله وسلم (ثابت ابن قيس بن شماس) خطيب الأنصار (وفى يد رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم قطعة جريد) من النخل (حتى وقف على مسيلمة فى أصحابه) فكلمه

فى الإسلام ، فطلب مسيلمة أن يكون له شيء من أمر النبوّة (فقال) صلى الله عليه وآله وسلم له (لو سألتنى هـذه القطعة) من الجريد (ما أعطيتكها ولن تعدو أمر الله فيك) أى لن تجاوز حكمه (ولئن أدبرت) عن طاعتى وخالفت الحق (ليعقرنك الله) أى ليهلكنك (وإنى لأراك الذى أُريت) فى منامى (فيه ما أُريت ، وهذا ثابت يجيبك عنى) لأنه الخطيب ، وكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد أُعطى جوامع الكلم فاكتفى بمـا قاله له ، وإن كان يريد الإسهاب فى الخطاب فهذا الخطيب يقوم بذلك . ويؤخذ منه استعانة الإمام بأهل البلاغة فى جواب أهل العناد ونحو ذلك (ثم انصرف عنه) صلى الله عليه وآله وسلم (قال ابن عباس : فسألت عن قول رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : إنك أرى الذى أُريت فيه ما أُريت ، فأخبرنى أبو هريرة) رضى الله عنه (أن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : بينا أنا نائم رأيت فى يدى سوارين من ذهب ، فأهمنى شأنهما) أى فأحزننى ، لأن الذهب من حلية النساء (فأوحى إلى فى المنام) وحى إلهام أو بواسطة ملك (أن انفخهما ، فنفختهما فطارا) لحقارة أمرهما ، ففيه إشارة إلى اضمحلال أمرهما (فأولتهما كذابين) لأن الكذب وضع الشيء فى غير موضعه (يخرجان) أى تظهر شوكتهما ودعواهما النبوّة (بعدى : أحدهما العنسى) من بنى عنس وهو الأسود واسمه عبهلة بن كعب صاحب صنعاء (والآخر مسيلمة) الكذاب . ويؤخذ من هذه القصة منقبة للصديق رضى الله عنه ، لأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم تولى نفخ السوارين بنفسه حتى طارا ، فأما الأسود فقتل فى زمنه ، وأما مسيلمة فكان القائم عليه حتى قتله أبو بكر الصديق فقام مقام النبى فى ذلك . ويؤخذ منه أن السوار وسائر آلات الحلى اللائقة بالنساء تعبر للرجال بمايسوءهم ولا يسرهم ، والله أعلم .

الحديث الثالث

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِخَزَائِنِ الْأَرْضِ فَوُضِعَ فى كَفِّى سِوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ فكَبُرَا عَلَىَّ فَأَوْحى ٱللهُ إِلَىَّ أَنِ ٱنْفُخْهُمَا فَنَفَخْتُهُمَا فَذَهَبَا فَأَوَّلْتُهُمَا الْكَذَّابَيْنِ اللَّذَيْنِ أَنَا بَيْنَهُمَا : صَاحِبُ صَنْعَاءَ وَصَاحِبُ الْيَمَامَةِ .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : بينا أنا نائم أتيت بخزائن الأرض) ما فتح على أُمته صلى الله عليه وآله وسلم من الغنائم من ذخائر كسرى وقيصر وغيرهما ، أو المراد معادن الأرض التى فيها الذهب والفضة (فوضع فى كفى سواران من ذهب فكبرا) بضم الباء عظما وثقلا (علىّ فأوحى إلىّ أن انفخهما ، فنفختهما فذهبا فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما ، صاحب صنعاء) الأسود العنسى الذى قتله فيروز باليمن (وصاحب اليمامة) مسيلمة الكذاب .

قصة اهل نجران

عَنْ حَذيفَةَ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : جاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ صَاحِبَا نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم يُرِيدَانِ أَنْ يُلَاعِنَاهُ . قالَ : فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : لَا تَفْعَلْ فَوَٱللهِ لَئِنْ كانَ نَبِيًّا فَلَاعَنَنَا لَا نُفْلِحُ نَحْنُ وَلَا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا . قالاَ : إِنَّا نُعْطِيكَ ما سَأَلْتَنَا وَٱبْعَثْ مَعَنَا رَجُلاً أَمِيناً وَلَا تَبْعَثْ مَعَنَا إِلاَّ أَمِيناً ، فَقَالَ : لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلاً أَمِيناً حَقَّ أَمِينٍ فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ : قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ ، فَلَمَّا قَامَ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم : هٰذَا أَمِينُ هٰذِهِ الْأُمَّةِ . وَفى رِوَايَةٍ عَنْ أَنَسٍ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هٰذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ .

---

* (قصة أهل نجران) *

بفتح النون وسكون الجيم : بلد كبير على سبع مراحل من مكة إلى جهة اليمن ، يشتمل على ثلاث وسبعين قرية ، مسيرة يوم للراكب السريع . كذا فى زيادات يونس بن بكير بإسناد له فى المغازى . وذكر ابن إسحاق أنهم وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة وهم حينئذ عشرون رجلا ، لكن أعاد ذكرهم فى الوفود بالمدينة ، فكأنهم قدموا مرتين وقال ابن سعد : كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم كتب إليهم ، فخرج إليه وفدهم فى أربعة عشر رجلاً من أشرافهم . وعند ابن إسحاق أيضاً من حديث كرز بن علقمة : إنهم كانوا أربعة وعشرين رجلا ، وسرد أسماءهم .

(عن حذيفة رضى الله عنه قال : جاء العاقب) واسمه عبد المسيح

(والسيد) اسمه الأيهم أو شرحبيل (صاحبا نجران) أى من أكابر نصارى نجران وحكامهم ، وكان العاقب صاحب مشورتهم والسيد صاحب رحالهم ومجتمعهم ورئيسهم فى ذلك ، وكان معهم أيضاً أبو الحارث بن علقمة ، وكان أسقفهم وحبرهم وصاحب مدارسهم.قال ابن سعد : دعاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإسلام وتلا عليهم القرآن ، فامتنعوا ، فقال : إن أنكرتم ما أقول فهلم أباهلكم ، فانصرفوا على ذلك (إلى رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يريدان أن يلاعناه) أى يباهلاه . وذكر ابن إسحاق بإسناد مرسل أن ثمانين آية من سورة آل عمران نزلت فى ذلك ، يشير إلى قوله تعالى : « فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم » الآية (قال : فقال أحدهما) قيل : هو السيد (لصاحبه) العاقب ، وقيل : العاقب الذى قال للسيد (لاتفعل) ذلك (فوالله لئن كان نبياً فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا) زاد فى رواية ابن مسعود : أبداً . وفى مرسل الشعبى عند ابن أبى شيبة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : لقد أتانى البشير بهلكة آل نجران لو تموا على الملاعنة ولما غدا عليهم أخذ بيد حسن وحسين وفاطمة تمشى خلفه للملاعنة ، ثم (قالا) بعد أن انصرفا ولم يسلما ورجعا وقالا : إنا لا نباهلك فاحكم علينا بما أحببت ونصالحك ، فصالحهم على ألف حلة فى رجب وألف حلة فى صفر ، ومع كل حلة أوقية (إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلا أميناً ولا تبعث معنا إلا أميناً ، فقال : لأبعثن معكم رجلا أميناً حق أمين ، فاستشرف له) أى لقوله صلى الله عليه وآله وسلم (أصحاب رسول الله صلى الله عليه) وآله(وسلم فقال) صلى الله عليه وآله وسلم (قم يا أبا عبيدة بن الجراح ، فلما قام قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : هذا أمين هذه الأمة . وفى رواية عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : لكل أمة أمين) ثقة رضى (وأمين هذه الأمة) المحمدية (أبو عبيدة بن الجراح) وفى الحديث من الفوائد أن إقرار الكافر بالنبوّة لا يدخله فى الإسلام حتى يلتزم أحكام الإسلام ، وفيها جواز مجادلة أهل الكتاب ، وقد تجب إذا تعينت مصلحة ، وفيها مشروعية مباهلة المخالف إذا أصر بعد ظهور الحجة . وقد دعا ابن عباس إلى ذلك ثم الأوزاعى ، ووقع لجماعة من العلماء ، ومما عرف بالتجربة أن من باهل وكان مبطلا لا تمضى عليه سنة من يوم المباهلة ، ووقع لى ذلك مع شخص كان يتعصب لبعض

الملاحدة ، فلم يقم بعدها غير شهرين . كذا فى الفتح . وأراد الحافظ ابن القيم رحمه الله المباهلة مع منكرى صفات الله سبحانه وتعالى بين الركن والمقام فلم يقم المخالف ، وكذا أردت المباهلة فى ذلك الباب مع بعضهم فلم يقم المخالف غير سنة حتى مات بعد رحيلنا إلى بيت الله الحرام ومدينة النبى عليه الصلاة والسلام . وفى الحديث أيضاً كما فى الفتح مصالحة أهل الذمة على ما يراه الإمام من أصناف المال ، ويجرى ذلك مجرى ضرب الجزية عليهم ، فإن كلا منهما مال يؤخذ من الكفار على وجه الصغار فى كل عام ، وفيه بعث الإمام الرجل العالم الأمين إلى أهل الهدنة فى مصلحة الإسلام ،وفيها منقبة ظاهرة لأبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه . وقد ذكر ابن إسحاق أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعث علياً إلى أهل نجران ليأتيه بصدقاتهم وجزيتهم . وهذه القصة غير قصة أبى عبيدة ، لأن أبا عبيدة توجه معهم فقبض مال الصلح ورجع ، وعلىّ أرسله النبى صلى‌الله عليه وآله وسلم بعد ذلك فقبض منهم ما استحق عليهم من الجزية ويأخذ ممن أسلم ما وجب عليه من الصدقة .

قدوم الأشعريين وأهل اليمن

الحديث الأول

عَنْ أَبِى مُوسى رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قالَ : أَتَيْنَا النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم نَفَرٌ مِنَ الأَشْعَرِيِّينَ فَاسْتَحْمَلْنَاهُ ، فَأَبَى أَنْ يَحْمِلَنَا ، فَاسْتَحْمَلْنَاهُ ، فَحَلَفَ أَنْ لَا يَحْمِلَنَا ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثِ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم أَنْ أُتَى بِنَهْبِ إِبِل ، فَأَمَرَ لَنَا بِخَمْسِ ذَوْدٍ ، فَلَمَّا قَبَضْنَاهَا قُلْنَا : تَغَفَّلْنَا النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم يَمِينَهُ ، لَا تُفْلِحُ بَعْدَهَا أَبداً ، فَأَتَيْتُهُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ حَلَفْتَ أَنْ لَا تَحْمِلَنَا وَقَدْ حَمَلْتَنَا . قالَ : أَجَلْ ، وَلكِنْ لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا إِلاَّ أَتَيْتُ الَّذِى هُوَ خَيْرٌ مِنْهَا . وَفى رِوَايَةٍ : وَتَحَلَّلْتُهَا .

---

* (قدوم الأشعريين) *

سنة سبع عند فتح خيبر مع أبى موسى (و) بعض (أهل اليمن) من عطف العام على الخاص ، لأن الأشعريين من أهل اليمن وهم وفد حمير سنة الوفود سنة تسع ، وليس المراد اجتماعهما فى الوفادة .

(عن أبى موسى رضى الله عنه قال : أتينا النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم نفر من الأشعريين) ما بين الثلاثة إلى العشرة من الرجال (فاستحملناه) طلبنا منه أن يحملنا وأثقالنا على إبل فى غزوة تبوك (فأبى أن يحملنا ، فاستحملناه ، فحلف أن لا يحملنا ، ثم لم يلبث النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم أن أتى بنهب أبل) من غنيمة (فأمر لنا بخمس ذود) ما بين الثنتين إلى التسعة من الإبل (فلما قبضناها قلنا : تغفلنا النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم يمينه لا نفلح بعدها أبداً ، فأتيته فقلت : يارسول الله إنك حلفت أن لا تحملنا وقد حملتنا ، قال : أجل) أى نعم حلفت وحملتكم . وزاد فى رواية : أفنسيت (ولكن لا أحلف على يمين) أى محلوف يمين (فأرى غيرها خيراً منها) أى من الخصلة المحلوف عليها (إلا أتيت الذى هو خير منها و) زاد (فى رواية : وتحللتها) .

الحديث الثانى

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوباً : الْإِيمَانُ يَمَانٍ وَٱلْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ ، وَٱلْفَخْرُ وَٱلْخُيَلَاءُ فى أَهْلِ الْإِبِلِ ، وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فى أَهْلِ الْغَنَمِ .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً) قال الخطابى : وصف الأفئدة بالرقة والقلوب باللين ، لأن الفؤاد غشاء القلب فإذا رق نفذ القول منه وخلص إلى ما وراءه وإذا غلظ بعد وصوله إلى داخل ، فإذا صادف القلب ليناً علق به وتجمع فيه . وقال البيضاوى : الرقة ضد الغلظ ، والصفاقة واللين مقابل القسوة ، فاستعيرت فى أحوال القلب ، فإذا نبا عن الحق وأعرض عن قبوله ولم يتأثر بالآيات والنذر يوصف بالغلظ ، فكان شغافه صفيقاً لا ينفذ فيه الحق وجزمه صلباً لا يؤثر فيه الوعظ ، وإذا كان بعكس ذلك يوصف بالرقة واللين ، فكان حجابه رقيقاً لا يأبى نفوذ الحق وجوهره ليناً يتأثر بالنصح ، ولما وصفهم بذلك اتبعه بما هو كالنتيجة والغاية ، فقال (الإيمان يمان) أصله يمنى بياء النسبة ، فحذفت الياء تخفيفاً وعوض عنها الألف ، أى الإيمان منسوب إلى أهل اليمن ، لأن صفاء القلب ورقته ولين جوهره يؤدى به إلى عرفان الحق والتصديق به وهو الإيمان والانقياد . قال الشوكانى : هذا اللفظ يشعر بقصر الإيمان عليهم بحيث لا يتجاوز إلى غيرهم ، لكن لما كان الإيمان قد وجد فى غيرهم من القبائل وسكان الأرض كان هذا الحصر محمولا على المبالغة فى إثبات الإيمان لهم وأن إيمانهم هو الفرد الكامل من أفراد الإيمان الذى لا يساويه غيره ولايدانيه سواه ، وهذا هو الحصر الذى يسميه أهل البيان ادعائياً ، ولا شك ولا ريب أن الإيمان يتفاوت ، فمن النـاس من يكون إيمـانه كالجبال الرواسى التى لا يحركها شىء ولا يتزلزل بالشبه وإن بلغت أى مبلغ ، ومن الناس من يكون إيمانه دون ذلك ، وقد جاءت الأدلة الصحيحة قاضية بأن الإيمان يزيد وينقص ، فلله هذه المنقبة التى تتقاصر الأذهان عن

تصور كنهها وبلوغ غايتها ، وبالجملة فالإيمان هو رأس مال كل من يدين بهذا الدين ، فإذا فاقوا فيه غيرهم فقد ظفروا بالخير أجمع ، ونالوا الغاية التى ليس وراءها غاية ، والمنقبة التى تتقاصر عندها كل منقبة (والحكمة يمانية) فقلوبهم معادن الإيمان وينابيع الحكمة . قال الشوكانى : وفى هذا إثبات الحكمة لهم على طريقة المبالغة وأن لهم فيها الحظ الذى لا يدانيه حظ والنصيب الذى لا يساويه نصيب ، والحكمة هى العلم بالله وشرائعه وفهم الحجج وكل ما يتعلق بذلك من العلوم العقلية والنقلية ، فقد أثبت لهم صلى الله عليه وآله وسلم العلم على وجه لايلحق بهم غيرهم فيه ، ومن جمع الله له بين الإيمان على الوجه الأكمل والعلم على الوصف الأتم فقد ظفر بالسعادة العاجلة والآجلة ، ونال الخير السابق واللاحق على أبلغ وجه وأكمل طريقة . وورد قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « الفقه يمان » عند البخارى . وفيه إثبات الفقاهة لهم على الوجه الأتم ، وأنهم قد ظفروا منها بالفرد الكامل الذى لا يلحق به غيره ، ومن أعطاه الله سبحانه الفهم الكامل لكتاب الله سبحانه ولسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولاستخراج الوجوه منهما التى هى الفقه فى الدين ، فقد ضم إلى علمه صحة فهمه وقوة إدراكه وحسن تصرفه فى الشرعيات والعقليات ، فكان الفرد الكامل فى طوائف أهل العلم . اهـ (والفخر) كالإعجاب بالنفس (والخيلاء) الكبر واحتقار الغير (فى أصحاب الإبل والسكينة) المسكنة (والوقار) الخضوع (فى أهل الغنم) قال البيضاوى : فى تخصيص الخيلاء بأصحاب الإبل والوقار بأهل الغنم مايدل على أن مخالطة الحيوان ربما تؤثر فى النفس وتعدى إليها هيآت وأخلاقاً تناسب طباعها وتلائم أحوالها . اهـ . وللشوكانى ولنا بحث فى فضائل اليمن وأهله يشتمل على آيات وأحاديث ، وزدت فى ذلك . وعند البخارى عن أبى مسعود عقبة بن عمرو البدرى الأنصارى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : الإيمان هاهنا ، وأشار بيده إلى اليمن ، والجفاء وغلظ القلوب فى الفدادين عند أُصول أذناب الإبل من حيث يطلع قرنا الشيطان ربيعة ومضر ، والمراد باليمن أهلها لا من ينسب إليها ولو كان من غير أهلها . قال القسطلانى : وفيه رد على من زعم أن المراد بقوله « الإيمان يمان » الأنصار لأنهم يمانيو الأصل ، لأن فى إشارته إلى اليمن مايدل على أن المرادأهلها حينئذ لا الذين كان أصلهم منها ، وسبب الثناء عليهم

بذلك إسراعهم إلى الإيمان وحسن قبولهم له ، ولا يلزم من ذلك نفيه عن غيرهم كما لايخفى . اه . وعند البخارى أيضاً من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : الإيمان يمان والفتنة هاهنا ، يعنى نحو المشرق ، هاهنا يطلع قرن الشيطان . وعنده من حديثه أيضاً عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : أتاكم أهل اليمن أضعف قلوباً وأرق أفئدة : الفقه يمان والحكمة يمانية . قال فى الفتح : قوله « يمان » يشمل من ينسب إلى اليمن بالسكنى وبالقبيلة ، لكن كون المراد من ينسب بالسكنى أظهر بل هو المشاهد فى كل عصر من أحوال سكان جهة اليمن وجهة الشمال ، فغالب من يوجد من جهة اليمن رقاق القلوب والأبدان ، وغالب من يوجد من جهة الشمال غلاظ القلوب والأبدان . وعند البزار من حديث ابن عباس : بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة إذ قال : الله أكبر ، إذا جاء نصر الله والفتح ، وجاء أهل اليمن نقية قلوبهم حسنة طاعتهم الإيمان يمان ، والفقه يمان ، والحكمة يمانية . وعن جبير بن مطعم عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يطلع عليكم أهل اليمن كأنهم السحاب هم خير أهل الأرض » الحديث أخرجه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبرانى . وفى الطبرانى من حديث عمرو بن عنبسة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لعيينة بن حصن : « أى الرجال خير ؟ قال : رجال أهل نجد ، قال : كذبت بل هم أهل اليمن ، « الإيمان يمان » الحديث . وأخرجه أيضاً من حديث معاذ بن جبل . اه . وعن عمران بن حصين قال : جاءت بنو تميم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أبشروا ، أى بالجنة يابنى تميم ، فقالوا : أما إذ بشرتنا فأعطنا ، أى من المال ، فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فجاء ناس من أهل اليمن وهم الأشعريون ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، أى لهم : اقبلوا البشرى ، أى يا أهل اليمن ، إذ لم يقبلها بنو تميم ، قالوا : قد قبلنا يا رسول الله . وفى الباب أحاديث يطول ذكرها . وهذه الألفاظ الثابتة فى الصحيحين وغيرهما قد اشتملت على مناقب عظيمة وفضائل كريمة يتعسر حدها . ومن نعم الله سبحانه وتعالى على هذا العبد الضعيف أن هداه إلى فقه اليمن وإيمان أهله

وحكمتهم ومشايخه غالباً أهل اليمن ومجتهدوه ، وانتفع بكتبهم وتحقيقاتهم نفعاً عظيماً ويسر أسباب ذلك بفضله ومنه ، واليمن معدن علم الكتاب والسنة ومخزن الاجتهاد والتقوى والحكمة ، وقد فاق علماؤه علماء الزمن فى كل زمن من عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى عصرنا هذا علماً وعملا وفهماً وتمسكاً بالسنة واتباعاً للقرآن ، إلى أن انقرض الآن ذلك العصر وانقلب عمرانه خراباً ومات هؤلاء الكرام الفضلاء والمحدثون النبلاء ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

حجة الوداع

الحديث الأول

حَدِيثُ ٱبْنُ عُمَرَ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُمَا عَنْ صَلَاةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فى الْكَعْبَةِ قَدْ تَقَدَّمَ ، وَذَكَرَ فى هذِهِ الرِّوَايَةِ قالَ : وَعِنْدَ المَكَانِ الَّذِى صَلَّى فِيهِ : مَرْمَرَةٌ حَمْرَاءُ .

---

* (حجة الوداع) *

بكسر المهملة وبفتحها وبكسر الواو وبفتحها ، سميت بذلك لأنه صلى الله عليه وآله وسلم ودع الناس فيها وبعدها ، وسميت أيضاً بحجة الإسلام لأنه لم يحج من المدينة بعد فرض الحج غيرها ، وحجة البلاغ لأنه بلغ الناس فيها الشرع فى الحج قولا وفعلا ، وحجة التمام والكمال .

(حديث ابن عمر رضى الله عنهما عن صلاة النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم فى الكعبة قد تقدم ، وذكر فى هذه الرواية قال : وعند المكان الذى صلى فيه : مرمرة حمراء) المرمر : جنس من الرخام نفيس معروف ، وقد استشكل دخول هذا الحديث فى باب حجة الوداع للتصريح فيه بأنه كان فى الفتح ، وعام الفتح كان سنة ثمان ، وحجة الوداع كانت سنة عشر .

الحديث الثانى

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم غَزَا تِسْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً ، وَأَنَّهُ حَجَّ بَعْدَ ما هَاجَرَ حَجَّةً وَاحِدَةً لَمْ يَحُجَّ بَعْدَهَا حَجَّةَ الْوَدَاعِ .

(عن زيد بن أرقم رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم غزا تسع عشرة غزوة وأنه حج بعد ما هاجر) إلى المدينة (حجة واحدة لم يحج بعدها) لأنه توفى فى أوائل العام التالى (حجة الوداع) يعنى ولا حج قبلها إلا أن يريد نفى الحج الأصغر وهو العمرة فـلا ، فإنه اعتمر قبلها قطعاً . كذا فى الفتح .

الحديث الثالث

عَنْ أَبي بَكْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : الزَّمانُ قَدِ ٱسْتَدارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱللهُ السَّمواتِ وَالأَرْضَ ، السَّنَةُ ٱثْنا عَشَرَ شَهراً ، مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ثَلاثَةٌ مُتَوالِيات : ذُو الْقَعْدَةِ ، وَذُو ٱلْحِجَّةِ ، وَالمُحَرَّمُ ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِى بَيْنَ جُمادَى وَشَعْبانَ ، أَىُّ شَهْرٍ هذا ؟ قُلْنا : ٱللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ ٱسْمِهِ ، قالَ : أَلَيْسَ ذا ٱلْحِجَّةِ ؟ قُلْنا : بَلَى ، قالَ: فَأَىُّ بَلَدٍ هذا ؟ قُلْنا: ٱللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ ٱسْمِهِ، قالَ : أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ ؟ قُلْنا : بَلَى ، قالَ : فَأَىُّ يَوْمٍ هذا ؟ قُلْنا : ٱللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ ٱسْمِهِ ، قالَ : أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ ؟ قُلْنا : بَلَى ، قالَ : فَإِنَّ دِماءَكُمْ وَأَمْوالَكُمْ وَأَعْراضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هذا ، فى شَهْرِكُمْ هذا ، فى بَلَدِكُمْ هذا ، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمالِكُمْ ، أَلا فَلا تَرْجِعُوا بَعْدِى ضُلَّالاً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقابَ بَعْضٍ ، أَلا لِيُبَلِّغِ الشّاهِدُ الْغائِبَ ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلَّغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ ، أَلا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ مَرَّتَيْنِ .

(عن أبى بكرة) نفيع بن الحارث (رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم قال) يوم النحر فى حجة الوداع (الزمان قد استدار) هو اسم لقليل الوقت وكثيره ، وأراد هاهنا السنة (كهيئته) أى مثل حالته (يوم خلق الله السموات والأرض) ودار واستدار بمعنى طاف حول الشيء إذا عاد إلى الموضع الذى ابتدأ منه ، والمعنى : أن العرب كانوا يؤخرون المحرم إلى صفر وهو النسيء المذكور فى قوله تعالى : « إنما النسيء زيادة فى الكفر » ليقاتلوا فيه، ويفعلون ذلك كل سنة بعد سنة، فينتقل المحرم من شهر إلى شهر حتى جعلوه فى جميع شهور السنة ، فلما كانت تلك السنة عاد إلى زمنه

المخصوص به ، وقيل : دارت السنة كهيئتها الأولى (السنة اثنا عشر شهراً) يعنى أن الزمان فى انقسامه إلى الأعوام والأعوام إلى الأشهر عاد إلى أصل الحساب والوضع الذى اختاره الله ووضعه يوم خلق السموات والأرض (منها أربعة حرم) قال فى الفتح : الحكمة فى جعل المحرم أول السنة أن يحصل الابتداء بشهر حرام ويختم بشهر حرام وتتوسط السنة بشهر حرام وهو رجب ، وإنما توالى شهران فى الآخر لإرادة تفضيل الختام ، والأعمال بالخواتيم (ثلاثة متواليات : ذو القعدة) للقعود عن القتال (وذو الحجة) للحج (والمحرم) لتحريم القتل فيه (و) واحد فرد وهو (رجب مضر) وإضافته إلى مضر لأنها كانت تحافظ على تحريمه أشد من محافظة سائر العرب ، ولم يكن يستحله أحد من العرب (الذى بين جمادى) بضم الجيم وفتح الدال (وشعبان) قاله تأكيداً وإزاحة للريب الحادث فيه من النسىء (أى شهر هذا) قال البيضاوى : يريد تذكارهم حرمة الشهر وتقريرها فى نفوسهم ليبنى عليه ما أراد تقريره (قلنا : الله ورسوله أعلم) مراعاة للأدب وتحرزاً عن التقدم بين يدى الله ورسوله وتوقفاً فيما لا يعلم الغرض من السؤال عنه (فسكت) صلى الله عليه وآله وسلم (حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : أليس ذو الحجة ؟ قلنا : بلى) يا رسول الله (قال : فأى بلد هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : أليس) هو (البلدة) يريد مكة المكرمة والتعريف للعهد (قلنا : بلى ، قال : فأى يوم هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : أليس يوم النحر ؟ قلنا بلى ، قال : فإن دماءكم وأموالكم) قال التوربشتى : أراد أموال بعضكم على بعض (وأعراضكم عليكم حرام) أى أنفسكم وأحسابكم ، فإن العرض يقال للنفس والحسب . قاله التوربشتى . وتعقب بأنه لو كان المراد من الأعراض النفوس لكان تكراراً ، لأن ذكر الدماء كاف ، إذ المراد بها النفوس . وقال الطيبى : الظاهر أن يراد بالأعراض الأخلاق النفسانية ، والكلام فيها يحتاج إلى فضل تأمل ، فالمراد بالعرض هنا الخلق ، والتحقيق ماذكره ابن الأثير أن العرض موضع المدح والذم من الإنسان ، سواء كان فى نفسه أو فى سلفه ، ولما كان موضع العرض النفس قال من قال : العرض النفس إطلاقاً للمحل على الحال ، وحين كان المدح نسبة الشخص إلى الأخلاق الحميدة والذم نسبته إلى الذميمة

سواء كانت فيه أولا ، قال من قال : العرض الخلق إطلاقاً لاسم اللازم على الملزوم . وشبه ذلك فى التحريم بيوم النحر وبمكة وبذى الحجة فقال (كحرمة يومكم هذا ، فى بلدكم هذا ، فى شهركم هذا) لأنهم كانوا يعتقدون أنها محرمة أشد التحريم لا يستباح منها شىء . وفى تشبيه هذا مع بيان حرمة الدماء والأموال تأكيد لحرمة تلك الأشياء التى شبه بتحريمها الدماء والأموال . وقال الطيبى : وهذا من تشبيه ما لم تجر به العادة بما جرت به العادة ، كما فى قوله تعالى : « وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة » إذ كانوا يستبيحون دماءهم وأموالهم فى الجاهلية فى غير الأشهر الحرم ويحرمونها فيها ، كأنه قال : إن دماءكم وأموالكم محرمة عليكم أبداً كحرمة يومكم وشهركم وبلدكم (وستلقون ربكم) يوم القيامة (فيسألكم عن أعمالكم ، ألا فلا ترجعوا بعدى ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض ، ألا ليبلغ الشاهد الغائب) القول المذكور أو جميع الأحكام . (فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه ، فكان محمد) ابن سيرين (إذا ذكره يقول : صدق محمد صلى الله عليه) وآله (وسلم ، ثم قال) صلى الله عليه وآله وسلم (ألا هل بلغت؟) قالها (مرتين) وهذا الحديث ذكر فى غير ما موضع من البخارى .

الحديث الرابع

عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم حَلَقَ رَأْسَهُ فى حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَأُنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَقَصَّرَ بَعْضُهُمْ .

(عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم حلق رأسه فى حجة الوداع) بعد الفراغ من النسك (و) حلق (أناس من أصحابه) أيضاً (وقصر بعضهم) .

غزوة تبوك وهي غزوة العسرة

الحديث الأول

عَنْ أَبِى مُوسى رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : أَرْسَلَنِى أَصْحَابِى إِلَى رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم أَسْأَلُهُ الحُمْلَانَ لَهُمْ إِذْ هُمْ مَعَهُ فى جَيْشِ الْعُسْرَةِ وَهِيَ غَزْوَةُ تَبُوكَ ، فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ ٱللهِ إِنَّ أَصْحَابِى أَرْسَلونى إِلَيْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ، فَقَالَ : وَٱللهِ لَا أَحْمِلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ وَوَافَقْتُهُ وَهُوَ غَضْبَانُ وَلَا أَشْعُرُ ، وَرَجَعْتُ حَزِيناً مِنْ مَنْعِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَمِنْ مَخَافَةِ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَجَدَ فى نَفْسِهِ عَلَيَّ فَرَجَعْتُ إِلَى أَصْحَابِى فَأَخْبَرْتُهُمُ الَّذِى قالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ، فَلَمْ أَلْبَثْ إِلاَّ سُوَيْعَةً إِذْ سَمِعْتُ بِلَالاً يُنَادِى : أَيْ عَبْدَ ٱللهِ بْنَ قَيْسٍ ، فَأَجَبْتُهُ ، فَقَالَ : أَجِبْ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم يَدْعُوكَ ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ قالَ : خُذْ هٰذَيْنِ الْقَرِينَيْنِ ، وَهٰذَيْنِ الْقَرِينَيْنِ لِسِتَّةِ أَبْعِرَةٍ ٱبْتَاعَهُنَّ حِينَئِذٍ مِنْ سَعْدٍ ، فَانْطَلِقْ بِهِنَّ إِلَى أَصْحَابِكَ فَقُلْ إِنَّ ٱللهَ أَوْ قالَ : إِنَّ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم يَحْمِلُكُمْ عَلَى هٰؤلَاءِ فَارْكَبُوهُنَّ ، فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهِمْ بِهِنّ ، فَقُلْتُ : إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَحْمِلُكُمْ عَلَى هٰؤلاءِ ، وَلَكِنِّى وَٱللهِ لَا أَدَعُكُمْ حَتَّى يَنْطَلِقَ مَعِى بَعْضُكُمْ إِلَى مَنْ سَمِعَ مَقَالَةَ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم لَا تَظُنُّوا أَنى حَدَّثْتُكُمْ شَيْئاً لَمْ يَقُلْهُ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالوا لِى : وَٱللهِ إِنَّكَ عِنْدَنَا لَمُصَدَّقٌ وَلَنَفْعَلَنَّ ما أَحْبَبْتَ ، فَانْطَلَقَ أَبُو مُوسى بِنَفَرٍ مِنْهُمْ حَتَّى أَتَوُا الَّذِينَ سَمِعُوا قَوْلَ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم مَنْعَهُ إِيَّاهُمْ ثُمَّ إِعْطَاءَهُمْ بَعْدُ، فَحَدَّثُوهُمْ بِمِثْلِ ما حَدَّثَهُمْ بِهِ أَبُو مُوسى .

---

* (غزوة تبوك) *

موضع بينه وبين الشام إحدى عشرة مرحلة ، لا ينصرف للتأنيث والعلمية أو بالصرف على إرادة الموضع . قال فى الفتح : هو نصف طريق المدينة إلى

دمشق (وهى غزوة العسرة) لما وقع فيها من العسرة فى الماء والظهر والنفقة ، وكانت آخر غزواته صلى الله عليه وآله وسلم ، وكانت فى شهر رجب من سنة تسع قبل حجة الوداع اتفاقاً ، فذكرها قبلها خطأ من النساخ . كذا فى القسطلانى . وفى الفتح : هكذا أورد البخارى هذه الترجمة بعد حجة الوداع ، وهو خطأ ، وما أظن ذلك إلا من النساخ ، فإن غزوة تبوك كانت فى شهر رجب من سنة تسع قبل حجة الوداع بلا خلاف . وعند ابن عائذ من حديث ابن عباس : إنها كانت بعد الطائف بستة أشهر وليس مخالفاً لقول من قال فى رجب إذا حذفنا الكسور ، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم دخل المدينة من رجوعه من الطائف فى ذى الحجة . اهـ . وعلى كل حال فظاهر كلام الفتح أن ذكرها بعد حجة الوداع من تحريف النساخ وأن عبارة القسطلانى وقع فيها تحريف ، فإن صواب العبارة أن يقول : فذكرها بعدها خطأ ، فليتأمل .

(عن أبى موسى رضى الله عنه قال : أرسلنى أصحابى إلى رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم أسأله الحملان لهم) بضم الحاء المهملة ، أى ما يركبون عليه ويحملهم (إذ هم معه فى جيش العسرة وهى غزوة تبوك ، فقلت : يانبى الله إن أصحابى أرسلونى إليك لتحملهم ، فقال : والله لا أحملكم على شىء ، ووافقته) أى صادفته (وهو غضبان ولا أشعر) أى والحال إنى لم أكن أعلم غضبه (ورجعت) إلى أصحابى (حزيناً من منع النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم) أن يحملنا (ومن مخافة أن يكون النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم وجد فى نفسه) أى غضب (علىّ ، فرجعت إلى أصحابى فأخبرتهم الذى قال النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فلم ألبث إلا سويعة) مصغر ساعة ، وهى جزء من الزمان ، أو من أربعة وعشرين جزءاً من اليوم والليلة (إذ سمعت بلالا ينادى : أى عبد الله بن قيس ، فأجبته ، فقال : أجب رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يدعوك ، فلما أتيته قال : خذ هذين القرينين) تثنية قرين وهو البعير المقرون بآخر (وهذين القرينين) أى الناقتين (لستة أبعرة ابتاعهن حينئذ من سعد) قيل : هو ابن عبادة (فانطلق بهنّ إلى أصحابك فقل لهم إن الله ، أو قال إن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يحملكم على هؤلاء) الأبعرة (فاركبوهنّ ، فانطلقت إليهم بهنّ) أى إلى أصحابى بالأبعرة (فقلت : إن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم يحملكم على هؤلاء ولكنى والله

لا أدعكم حتى ينطلق معى بعضكم إلى من سمع مقالة رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم لاتظنوا أنى حدثتكم شيئاً لم يقله رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فقالوا لى : والله إنك عندنا لمصدق ولنفعلنّ ما أحببت) أى الذى أحببته من إرسال أحدنا إلى من سمع (فانطلق أبو موسى بنفر منهم حتى أتوا الذين سمعوا قول رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم منعه إياهم ثم إعطاءهم بعد ، فحدثوهم بمثل ما حدثهم به أبو موسى) وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى النذور ، وكذا مسلم .

الحديث الثانى

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِى وَقَّاصٍ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ وَٱسْتَخْلَفَ عَلِيًّا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ أَتُخَلِّفُنِى فى الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ ؟ فَقَالَ : أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّى بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِىٌّ بَعْدِى .

(عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم خرج إلى تبوك) لما بلغه صلى الله عليه وآله وسلم من الأنباط أن الروم قد جمعت لهم جموعاً وأجلبت معهم لخم وجذام وغيرهم من متنصرة العرب (واستخلف) على المدينة (علياً) رضى الله عنه (فقال : أتخلفنى فى الصبيان والنساء ؟ قال) صلى الله عليه وآله وسلم (ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من) أخيه (موسى) حين خلفه فى قومه لما خرج إلى الطور ، وقد بين صلى الله عليه وآله وسلم بقوله (إلا أنه ليس نبى بعدى) أن اتصاله به ليس من جهة النبوّة بل من جهة الخلافة فى حياته صلى الله عليه وآله وسلم .

حديث كعب بن مالك رضى الله عنه

الحديث الأول

وَقَوْلُ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ : « وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الذِينَ خُلِّفُوا »

عَنْ كَعْب بْن مالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : لَمْ أَتخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم فى غَزْوَةٍ غَزاهَا إلاَّ فى غَزْوَةِ تبُوكَ ، غيْرَ أَنِّى كُنْتُ تَخَلَّفْتُ فى غَزْوَةِ بَدْرٍ ، وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَداً تَخَلَّفَ عَنْهَا ، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ حَتَّى جَمَعَ ٱللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غيْرِ مِيعَادٍ ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَما أُحِبُّ أَنَّ لِى بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ ، وَإِنْ كانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فى النَّاسِ مِنْهَا ، كانَ مِنْ خَبَرِى أَنِّى لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّى حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فى تِلْكَ الْغَزَاةِ ، وَٱللهِ ما ٱجْتَمَعَتْ عِنْدِى قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فى تِلْكَ الْغَزْوَةِ وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم يُرِيدُ غَزْوَةً إِلاَّ وَرَّى بِغَيْرِهَا حَتَّى كانَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ غَزَاهَا رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم فى حَرٍّ شَدِيدٍ ، وَٱسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيداً وَمَفَازاً وَعَدُوًّا كَثِيراً ، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِى يُرِيدُ ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم كَثِيرٌ وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حافِظٌ ، قالَ كَعْبٌ : فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلاَّ ظَنَّ أَنْ سَيَخْفَى لَهُ مالَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْىُ ٱللهِ ، وَغزَا رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلَالُ ، وَتجَهَّزَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ ، فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَىْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ

شَيْئاً ، فَأَقُولُ فى نَفْسِى : أَنَا قادِرٌ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَمادَى بى حَتَّى اَشْتَدَّ بِالنَّاسِ ٱلْجِدُّ ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم وَالمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جِهازِى شَيْئاً ، فَقُلْتُ : أَتجَهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ثُمَّ أَلْحقُهُمْ ، فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لِأَتَجَهَّزَ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئاً ، ثُمَّ غَدَوْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئاً ، فَلَمْ يَزَلْ بى حَتَّى أَسْرَعُوا ، وَتَفارَطَ الْغَزْوُ ، وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ ، وَلَيْتَنِى فَعَلْتُ ، فَلَمْ يُقَدَّرْ لِى ذلِكَ ، فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فى النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَطُفْتُ فِيهِمْ أَحْزَنَنِى أَنِّى لَا أَرَى إِلاَّ رَجُلاً مَغْمُوصاً عَلَيْهِ النِّفَاقُ ، أَوْ رَجُلاً مِمَّنْ عَذَرَ ٱللهُ تَعَالَى مِنَ الضُّعَفَاءِ ، وَلَمْ يَذْكُرْنى رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ ، فَقَالَ وَهُوَ جالِسٌ فى الْقَوْمِ بِتَبُوكَ : مافَعَلَ كَعْبٌ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِى سَلِمَةَ : يَا رَسُولَ ٱللهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَنَظَرُهُ فى عِطْفَيْهِ، فَقَالَ مُعاذُ بْنُ جَبَلَ : بِئْسَ ماقُلْتَ ، وَٱللهِ يارَسُولَ ٱللهِ ، ما عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلاَّ خَيْراً ، فَسَكَتَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم .

قالَ كَعْبُ بْنُ مالِكٍ : فَلَمَّا بَلَغَنِى أَنَّهُ تَوَجَّهَ قافِلاً حَضَرَنى هَمِّى ، فَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ : بماذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غداً ، وَٱسْتَعَنْتُ عَلَى ذلِكَ بِكُلِّ ذِى رَأْىٍ مِنْ أَهْلِى ، فَلَمَّا قِيلَ إِنَّ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم قَدْ أَظَلَّ قادِماً زَاحَ عَنِّى الْبَاطِلُ وَعَرَفْتُ أَنِّى لَنْ أَخْرُجَ مِنْهُ أَبَداً بِشَىْءٍ فِيهِ كَذِبٌ ، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ ، وَأَصْبَحَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم قادِماً ، وَكانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالمَسْجِدِ فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ ، فَلَمَّا فَعَلَ ذلِكَ جاءَهُ المُخَلَّفُونَ فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ ، وَكانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلاً ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَانِيَتَهُمْ ، وَبَايَعَهُمْ ، وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمْ ، وَوَكَلَ سَرائِرَهُمْ إِلَى ٱللهِ تَعَالَى ، فَجِئْتُهُ ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ ، ثُمَّ قالَ :

تَعالَ ، فَجِئْتُ أَمْشِيَ حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لِي : ما خَلَّفَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ ؟ فَقُلْتُ : بَلَى وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ ، وَاللهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا ، وَلكِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللهِ ، لَا وَاللهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ ، وَاللهِ ما كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَمَّا هذَا فَقَدْ صَدَقَ فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ ، فَقُمْتُ ، وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي ، فَقَالُوا لِي : وَاللهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْباً قَبْلَ هذَا ، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِمَا اعْتَذَرَ بِهِ الْمُتَخَلِّفُونَ ، قَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَكَ ، فَوَاللهِ مازَالُوا يُؤَنِّبُونَنِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ : هَلْ لَقِيَ هذَا مَعِي أَحَدٌ ؟ قالُوا : نَعَمْ ، رَجُلَانِ قالَا مِثْلَ ما قُلْتَ ، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ ما قِيلَ لَكَ ، فَقُلْتُ : مَنْ هُمَا ؟ قالُوا : مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ ، وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ ، فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْراً ، فِيهِمَا أُسْوَةٌ ، فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي ، وَنَهَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ ، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الْأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذلكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً ، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ ، وَآتِي رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَأُسَلِّمُ

عَلَيْهِ وَهُوَ فى مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَأَقُولُ فى نَفْسِى : هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ عَلَىَّ أَمْ لَا ، ثُمَّ أُصَلِّى قَرِيباً مِنْهُ فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِى أَقْبَلَ إِلَىَّ ، وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّى ، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَىَّ ذلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حائِطِ أَبِى قَتَادَةَ ، وَهُوَ ٱبْنُ عَمِّى وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَىَّ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَوَٱللهِ مارَدَّ عَلَىَّ السَّلَامَ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا قَتَادَةَ أَنْشُدُكَ بِاللهِ هَلْ تَعْلَمُنِى أُحِبُّ ٱللهَ وَرَسُولَهُ ، فَسَكَتَ ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ ، فَسَكَتَ ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ ، فَقَالَ : ٱللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، فَفَاضَتْ عَيْنَاىَ وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ ٱلجِدَارَ ، قالَ : فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِى بِسُــوقِ المَدِينَةِ إِذَا نَبَطِىٌّ مِنْ أَنْبَاطِ الشَّأْمِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالمَدِينَةِ يَقُولُ : مَنْ يَدُلُّنِى عَلَى كَعْبِ ابْنِ مالِكٍ ، فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ ، حَتَّى إِذَا جاءَنِى دَفَعَ إِلَىَّ كِتَاباً مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ ، فَإِذَا فِيهِ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِى أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ ٱللهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضْيَعَةٍ فَالْحَقْ بِنَا نُواسِكَ ، فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا : وَهٰذَا أَيْضاً مِنَ الْبَلَاءِ ، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الخَمْسِينَ إِذَا رَسُولُ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم يَأْتِينِى فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ ٱمْرَأَتَكَ ، فَقُلْتُ : أُطَلِّقُهَا أَمْ ماذَا أَفْعَلُ ؟ قالَ : لَا بَلِ ٱعْتَزِلْهَا وَلَا تَقْرَبْهَا ، وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَىَّ مِثْلَ ذلِكَ ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِى : الْحَقِى بِأَهْلِكِ فَتَكُونِى عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِىَ ٱللهُ فى هٰذَا الْأَمْرِ ، قالَ كَعْبٌ : فَجَاءَتِ ٱمْرَأَةُ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ ٱللهِ إِنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خادِمٌ فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدِمَهُ ، قالَ : لَا وَلٰكِنْ لَا يَقْرَبْكِ ، قالَتْ : إِنَّهُ وَٱللهِ ما بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَىْءٍ ، وَٱللهِ مازَالَ يَبْكِى مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ ماكَانَ إِلَى يَوْمِهِ هٰذَا ،

فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي : لَوِ ٱسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم فى ٱمْرَأَتِكَ ، كَمَا أَذِنَ لِامْرَأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ ؟ فَقُلْتُ : وَٱللهِ لَا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم ، وَما يُدْرِينِى ما يَقُولُ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا ٱسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ ، فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ ، حَتَّى كَمُلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ كَلَامِنَا ، فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا ، فَبَيْنَما أَنَا جالِسٌ عَلَى الحَالِ الَّذِى ذَكَرَ ٱللهُ تَعالَى ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا كَعْبُ بْنَ مالِكٍ أَبْشِرْ ، قالَ : فَخَرَرْتُ سَاجِداً ، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جاءَ فَرَجٌ وَآذَنَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم بِتَوْبَةِ ٱللهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ ، فذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا ، وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَساً ، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ فَأَوْفى الجَبَلِ ، فَكانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ ، فَلَمَّا جاءَنى الذِى سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنى نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ ، وَاللهِ ما أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ ، واسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا وَٱنْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَتَلَقَّانِى النَّاسُ فَوْجاً فَوْجاً يُهَنُّونى بِالتَّوْبَةِ ، يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ ٱللهِ عَلَيْكَ ، قالَ كَعْبٌ : حَتَّى دَخَلْتُ المَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم جالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَة بْنُ عُبَيْدِ ٱللهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِى وَهَنَّانِى ، وَٱللهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ ، وَلَا أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ ، قالَ كَعْبٌ : فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم وَهْوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ : أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ ، قالَ قُلْتُ :

أَمِنْ عِنْدِكَ يَارَسُولَ ٱللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ ؟ قالَ : لَا بَلْ مِنْ عِنْدَ ٱللَّهِ ، وَكَانَ رَسُولُ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا سُرَّ ٱسْتَنَارَ وُجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمرٍ ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذلِكَ مِنْهُ ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ : إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللهِ ، وَإِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم . قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مالِكَ فَهوَ خَيْرٌ لَكَ ، قُلْتُ : فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الذِي بِخَيْبَرَ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا ما بَقِيتُ ، فَوَاللهِ ما أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ المُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللهُ فِي صِدْقِ الحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي ما تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللهُ فِيما بَقِيتُ . وَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم : « لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصار » إِلَى قَوْلِهِ : « وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ » . فَوَاللهِ ما أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي اللهُ لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلِكَ ، كما هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا ، فَإِنَّ الله تَعَالَى قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ ، شَرَّ مَا قَالَ لِأَحدٍ . فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : « سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ » إِلَى قَوْلِهِ : « فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ » . قالَ كَعْبٌ : وَكُنَّا تَخَلَّفْنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ حَلَفُوا لَهُ فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللهُ فِيهِ ، فَبِذلِكَ قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : « وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا » . وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ مِمَّا خُلِّفْنَا عَنِ

الْغَزْوِ وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا وَإِرْجاؤهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ خَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ .

---

* (حديث كعب بن مالك رضى الله عنه) *

وقول الله عز وجل : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا »

عن غزوة تبوك ، وهم : كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال ابن أمية .

(عن كعب بن مالك) يحدث ، عن حديثه ، حين تخلف عن قصة تبوك (قال) كعب (لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم فى غزوة غزاها إلا فى غزوة تبوك ، غير أنى كنت تخلفت فى غزوة بدر ، ولم يعاتب) الله (أحداً تخلف عنها) عن غزوة بدر (إنما خرج رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) إلى بدر (يريد عير قريش) بكسر العين : الإبل التى تحمل الميرة ، (حتى جمع الله بينهم) أى بين المسلمين (وبين عدوهم) كفار قريش (على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ليلة العقبة) مع الأنصار (حين تواثقنا) أى تعاهدنا وتعاقدنا (على الإسلام) والإيواء والنصر قبل الهجرة (وما أحب أن لى بها) أى بدلها (مشهد بدر ، وإن كانت بدر أذكر) أى أعظم ذكراً (فى الناس منها ، كان من خبرى أنى لم أكن قط أقوى ولا أيسر) أى منى كما فى مسلم (حين تخلفت عنه) صلى الله عليه وآله وسلم (فى تلك الغزوة) أى فى غزوة تبوك (والله ما اجتمعت عندى قبله راحلتان قط حتى جمعتهما فى تلك الغزوة ، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يريد غزوة إلا ورّى بغيرها) والتورية أن يذكر لفظاً يحتمل معنيين ، أحدهما أقرب من الآخر فيوهم إرادة القريب وهو يريد البعيد . وزاد أبو داود من طريق محمد بن ثور عن معمر عن الزهرى : وكان يقول الحرب خدعة (حتى كانت تلك الغزوة) أى غزوة تبوك (غزاها رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم فى حر شديد واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً) أى فلاة لاماء فيها (وعدواً كثيراً) وذلك أن الروم قد جمعت جموعاً كثيرة وهرقل رزق أصحابه لسنة وأجلبت معه لخم وجذام

وغسان وقدموا مقدماتهم إلى البلقاء (فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم) أى ما يحتاجون إليه فى السفر والحرب . ولأبى ذر : أهبة عدوهم بدل غزوهم (فأخبرهم) صلى الله عليه وآله وسلم (بوجهه الذى يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ) بالتنوين فيهما . وفى رواية مسلم بالإضافة . وزاد فى رواية معقل : يزيدون على عشرة آلاف ولا يجمعهم ديوان حافظ . وللحاكم فى الإكليل من حديث معاذ : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى غزوة تبوك زيادة على ثلاثين ألفاً ، وبهذه العدة جزم ابن إسحاق ، وأورده الواقدى بسند آخر . موصول وزاد أنه كان معهم عشرة آلاف فرس ، فتحمل رواية معاذ على إرادة عدد الفرسان ، ولابن مردويه : لا يجمعهم ديوان حافظ . وقد نقل عن أبى زرعة الرازى أنهم كانوا فى غزوة تبوك أربعين ألفاً ، ولاتخالف الرواية التى فى الإكليل أكثر من ثلاثين ألفاً لاحتمال أن يكون من قال أربعين جبر الكسر . قاله فى الفتح . وتعقبه شيخنا فقال : بل المروى عن أبى زرعة أنهم كانوا سبعين ألفاً . فعم الحصر بالأربعين فى حجة الوداع ، فكأنه سبق قلم وانتقال نظر (قال كعب : فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له) لكثرة الجيش (مالم ينزل فيه وحى الله ، وغزا رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال) وفى رواية موسى بن عقبة عن ابن شهاب : فى قيظ شديد فى ليالى الخريف والناس خارفون فى نخيلهم (وتجهز رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم والمسلمون معه فطفقت) فأخذت (أغدو لكى أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئاً) من جهازى (فأقول فى نفسى : أنا قادر عليه) متى شئت (فلم يزل يتمادى بى) الحال (حتى اشتد بالناس الجد) بكسر الجيم وهو الجهد فى الشىء والمبالغة فيه (فأصبح رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم والمسلمون معه ولم أقض من جهازى شيئاً) بفتح الجيم (فقلت : أتجهز بعده) صلى الله عليه وآله وسلم (بيوم أو يومين ثم ألحقهم ، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز ، فرجعت ولم أقض شيئاً ، ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئاً فلم يزل بى حتى أسرعوا وتفارط الغزو) أى فات وسبق (وهممت أن أرتحل فأدركهم وليتنى فعلت فلم يقدر لى ذلك) فيه أن المرء إذا لاحت له فرصة فى الطاعة فحقه أن يبادر إليها ولا يسوّف بها لئلا

يحرمها . قال كعب (فكنت إذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم فطفت فيهم أحزننى أنى لا أرى إلا رجلا مغموصاً عليه النفاق) أى مطعوناً عليه فى دينه ، متهماً بالنفاق ، وقيل معناه مستحقراً ، تقول : غمصت فلاناً إذا استحقرته (أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ، ولم يذكرنى رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس فى القوم بتبوك : ما فعل كعب ؟ فقال رجل من بنى سلمة) بكسر اللام وهو عبد الله بن أنيس السلمى بفتح السين واللام كما قال الواقدى . قال فى الفتح : وهو غير الجهنى الصحابى المشهور (يارسول الله حبسه برداه ونظره فى عطفيه) أى جانبيه ، كناية عن كونه معجباً بنفسه ، ذا زهو وتكبر أو لباسه ، أو كنى به عن حسنه وبهجته ، والعرب تصف الرداء بصفة الحسن وتسميته عطفاً لوقوعه على عطفى الرجل (فقال معاذ بن جبل) رضى الله عنه له (بئس ما قلت ، والله يارسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً ، فسكت رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) فبينما هو كذلك رأى رجلا منتصباً يزول به السراب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كن أبا خيثمة ، فإذا هو أبو خيثمة سعد بن أبى خيثمة الأنصارى . وعند الطبرانى أنه قال : تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدخلت حائطاً فرأيت عريشاً قد رش بالماء ورأيت زوجتى ، فقلت : ماهذا بإنصاف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى السموم والحر وأنا فى الظل والحميم ، فقمت إلى ناضح لى وتمرات وخرجت ، فلما طلعت على العسكر فرآنى الناس ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : كن أبا خيثمة ، فجئت فدعا لى (قال كعب بن مالك : فلما بلغنى أنه) صلى الله عليه وآله وسلم (توجه قافلا) أى راجعاً إلى المدينة (حضرنى همى فطفقت) أى أخذت (أتذكر الكذب) وعند ابن أبى شيبة : وطفقت أعد العذر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا جاء وأهيىء الكلام (وأقول : بماذا أخرج من سخطه غداً واستعنت على ذلك بكل ذى رأى من أهلى ، فلما قيل : إن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم قد أظل قادماً) أى دنا قدومه (زاح) أى زال (عنى الباطل وعرفت أنى لن أخرج منه أبداً بشىء فيه كذب ، فأجمعت صدقه) أى جزمت به وعقدت عليه قصدى . ولابن أبى شيبة : وعرفت أنه لا ينجينى منه إلا الصدق (وأصبح رسول الله

صلى الله عليه) وآله (وسلم قادماً) فى رمضان كما قاله ابن سعد (وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين) فركعهما (ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون) الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم عن غزوة تبوك (فطفقوا يعتذرون) أى يظهرون العذر (إليه ويحلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا) من منافقى الأنصار ، قاله الواقدى ، وأن المعذرين من الأعراب كانوا أيضاً اثنين وثمانين رجلا من غفار وغيرهم ، وأن عبد الله بن أُبى ومن أطاعه من قومه من غير هؤلاء وكانوا عدداً كثيراً ، والبضع : ما بين ثلاث إلى تسع على المشهور ، وقيل : إلى الخمس ، وقيل : ما بين الواحد إلى الأربعة أو من أربع إلى تسع أو سبع ، وإذا جاوزت لفظ العشر ذهب البضع ، لايقال : بضع وعشرون ، أو يقال ذلك وهو مع المذكر بها ومع المؤنث بغير هاء : بضعة وعشرون رجلا ، وبضع وعشرون امرأة ، ولا يعكس . قاله فى القاموس (فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم علانيتهم) أى ظواهرهم (وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله) قال كعب (فجئته) صلى الله عليه وآله وسلم (فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب) بفتح الضاد المعجمة (ثم قال : تعال ، فجئت أمشى حتى جلست بين يديه) وعند ابن عائذ فى مغازيه : فأعرض عنه ، فقال : يانبى الله لم تعرض عنى ، فوالله ما نافقت ولا ارتبت ولا بدلت (فقال لى : ماخلفك) عن الغزو (ألم تكن قد ابتعت) أى اشتريت (ظهرك) قال (فقلت : بلى ، إنى والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أُعطيت جدلا) فصاحة وقوة كلام بحيث أخرج من عهدة ماينسب إلى بما يقبل ولا يرد (ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشكنّ الله أن يسخطك علىّ ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علىّ فيه) أى تغضب (إنى لأرجو فيه عفو الله) عنى (لا والله ما كان لى من عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك ، فقال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضى الله فيك) ما يشاء (فقمت) فمضيت (وثار رجال) أى وثبوا (من بنى سلمة) بكسر اللام (فاتبعونى ، فقالوا لى : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله

عليه) وآله (وسلم بما اعتذر إليه المتخلفون ، قد كان كافيك ذنبك) أى من ذنبك (استغفار رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم لك، فوالله ما زالوا يؤنبوننى) أى يلوموننى لوماً عنيفاً (حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسى ، ثم قلت لهم : هل لقى هذا معى أحد ؟ قالوا : نعم رجلان قالا مثل ما قلت ، فقيل لهما مثل ما قيل لك ، فقلت : من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع العمرى) بفتح العين نسبة إلى بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس (وهلال بن أُمية الواقفى) نسبة إلى بنى واقف بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس . وعند ابن أبى حاتم من مرسل الحسن : أن سبب تخلف الأول أنه كان له حائط حين زها ، فقال فى نفسه : قد غزوت قبلها فلو أقمت عامى هذا ، فلما تذكر ذنبه قال : اللهم أشهدك أنى قد تصدقت به فى سبيلك ، وأن الثانى كان له أهل تفرقوا ثم اجتمعوا فقال : لو أقمت هذا العام عندهم ، فلما تذكر ذنبه قال : اللهم لك على أن لا أرجع إلى أهلى ولا مالى (فذكروا لى رجلين صالحين قد شهدا بدراً فيهما أسوة) وقد استشكل بأن أهل السير لم يذكروا واحداً منهما فيمن شهد بدراً ، ولا يعرف ذلك فى غير هذا الحديث ، وممن جزم بأنهما شهدا بدراً الأثرم ، وهو ظاهر صنيع البخارى ، وتعقب الأثرم ابن الجوزى ونسبه إلى الغلط ، لكن قال الحافظ ابن حجر : إنه لم يصب ، قال : واستدل بعض المتأخرين لكونهما لم يشهدا بدراً بما وقع فى قصة حاطب وأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يهجره ولا عاقبه مع كونه جس عليه ، بل قال لعمر لما هم بقتله : وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ، قال : وأين ذنب التخلف من ذنب الجس ؟ قال فى الفتح : وليس ما استدل به بواضح لأنه يقتضى أن البدرى عنده إذا جنى جناية ولو كبرت لايعاقب عليها ، وليس كذلك ، فهذا عمر مع كونه المخاطب بقصة حاطب قد جلد قدامة بن مظعون الحد لما شرب الخمر وهو بدرى ، وإنما لم يعاقب صلى الله عليه وآله وسلم حاطباً ولا هجره لأنه قبل عذره فى أنه إنما كاتب قريشاً خشية على أهله وولده ، بخلاف تخلف كعب وصاحبيه فإنهم لم يكن لهم عذر أصلا ، والله أعلم . اه . ويؤخذ منه آن البدرى يؤاخذ فى الدنيا ، ومعنى قوله « غفرت لكم » أن يكون غفران ذنوبهم بالنسبة إلى الآخرة ، أى فأعلمه بأن كل ذنب لهم بالنسبة للآخرة مغفور ، أى وذنب

حاطب هذا على الخصوص لا يستحق به القتل لبراءته من النفاق ، وعذره بما ذكر ، وقوله « اعملوا .. إلخ » ليس القصد منه إباحة المعاصى لهم ، بل اعملوا ما شئتم فعملكم لا يخرج عن الشريعة غالباً وإن فرط منكم على وجه الندرة ذنب فقد غفرت لكم .. إلخ ، وإن فرط منكم فقد وفقتكم لسبب المغفرة وهو التوبة . فعلى هذا أطلق المسبب وأُريد سببه ، لا يقال : إذا كانت ذنوبهم فى الآخرة مغفورة فما وجه إقامة الحد على من كان بدرياً ، لأنا نقول : وجهه أن يكون أزجر لغيره وأرفع لرتبته فى الدار الآخرة . هذا ما ظهر لى ، والله أعلم . وقول الحافظ وممن جزم به الأثرم فالذى رأيته فى الهدى النبوى نقلا عن ابن الجوزى أنهما لم يشهدا بدراً ، وأما قوله : إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يعاتب حاطباً .. إلخ ، فهذا غير صحيح ، فأى عتاب أعظم مما عاتب الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم: « لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة » إلى قوله : « ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل » . ومازال تعالى يبرز العتاب على أساليب ، وضرب الأمثال ، وختم السورة بقوله : « ياأيها الذين آمنوا لاتتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة » . فأى عتاب أوجع من هـــذا العتاب ، وأى تهديد وتشديد ووعيد يماثله فى آيات الكتاب . قال كعب (فمضيت حين ذكروهما لى) أى الرجلين (ونهى رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه) أى خصوصاً الثلاثة ، كقولهم : اللهم اغفر لنا أيتها العصابة . قال أبو سعيد السيرافى : إنه مفعول فعل محذوف ، أى أُريد الثلاثة ، أى أخص الثلاثة . وخالفه الجمهور وقالوا : أى منادى والثلاثة صفة له ، وإنما أوجبوا ذلك لأنه فى الأصل كان كذلك فنقل إلى الاختصاص ، وكل ما نقل من باب إلى باب فإعرابه بحسب أصله كأفعال التعجب (فاجتنبنا النـــاس وتغيروا لنا حتى تنكرت) أى تغيرت (فى نفسى الأرض ، فما هى) الأرض (التى أعرف) لتوحشها على ، وهذا يجده الحزين والمهموم فى كل شىء حتى يجده فى نفسه . قال السهيلى : وإنما اشتد الغضب على من تخلف ، وإن كان الجهاد فرض كفاية ، لكنه فى حق الأنصار خاصة فرض عين ، لأنهم كانوا بايعوا على ذلك ، ومصداق ذلك قـــولهم وهم يحفرون الخندق :

نحن الذين بايعوا محمـــدا   على الجهـــاد ما بقينا أبدا

فكان تخلفهم عن هذه الغزوة كبيرة لأنه كالنكث لبيعتهم .اه . وعند الشافعية وجه أن الجهاد كان فرض عين فى زمنه صلى الله عليه وآله وسلم ، ولنا فى الجهاد والشهادة والهجرة كتاب فى مجلد لطيف سميناه « العبرة » يشتمل على أحكام الغزو ومايتصل به ، فراجعه تجده شفاء الغليل (فلبثنا على ذلك خمسين ليلة) استنبط منه جواز الهجران أكثر من ثلاث ، وأما النهى عن الهجر فوق ثلاث فمحمول على من لم يكن هجرانه شرعياً (فأما صاحباى) مرارة وهلال (فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت أشبّ القوم) أى أقواهم (وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف) أى أدور (فى الأسواق ولا يكلمنى أحد ، وآتى رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة ، فأقول فى نفسى : هل حرك شفتيه بردّ السلام علىّ أم لا ؟) إنما لم يجزم بتحريك شفتيه صلى الله عليه وآله وسلم بالسلام ، لأنه لم يكن يديم النظر إليه من الخجل (ثم أُصلى قريباً منه فأسارقه النظر) أى أنظر إليه فى خفية (فإذا أقبلت على صلاتى أقبل) صلى الله عليه وآله وسلم (إلىّ وإذا التفت نحوه أعرض عنى حتى إذا طال علىّ ذلك من جفوة الناس) أى من إعراضهم (مشيت حتى تسورت) أى علوت (جدار حائط أبى قتادة) الحارث بن ربعى الأنصارى رضى الله عنه ، أى بستانه (وهو ابن عمى) لأنه من بنى سلمة وليس هو ابن عمه أخى أبيه الأقرب (وأحب الناس إلىّ فسلمت عليه ، فوالله ما ردّ علىّ السلام) لعموم النهى عن كلامهم (فقلت : يا أبا قتادة أنشدك) أسألك (بالله هل تعلمنى أحب الله ورسوله ، فسكت ، فعدت له فنشدته) فسألته بالله كذلك (فسكت ، فعدت له فنشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم) وليس ذلك تكليماً لكعب لأنه لم ينوبه ذلك ، لأنه منهى عنه ، بل أظهر اعتقاده ، فلو حلف لا يكلم زيداً فسأله عن شىء ، فقال : الله أعلم ، ولم يرد جوابه ولا إسماعه ، لم يحنث (ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار) للخروج من الحائط (قال : فبينا أنا أمشى بسوق المدينة إذا نبطى من أنباط أهل الشام) فلاح من أهل الفلاحة ، وكان نصرانياً ولم يسم (ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدل على كعب بن مالك ، فطفق الناس يشيرون له) إلىّ ، يعنى ولا يتكلمون بقولهم

مثلا : هذا كعب ، مبالغة فى هجره والإعراض عنه (حتى إذا جاءنى دفع إلي كتاباً من ملك غسان) جبلة بن الأيهم . جزم بذلك ابن عائذ، أو هو الحارث بن أبي شمر . كذا قال الواقدى . وعند ابن مردويه : فكتب إلى كتاباً فى سرقة من حرير (فإذا فيه : أما بعد : فإنه قد بلغنى أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة) أى حيث يضيع حقك . وعند ابن عائذ : فإن لك متحولا ، أى مكاناً تتحول فيه (فالحق بنا نواسك) من المواساة (فقلت لما قرأتها) أى الصحيفة المكتوب فيها (وهذا أيضاً من البلاء) وعند ابن أبى شيبة : إنا لله قد طمع فىّ أهل الكفر (فتيممت) أى قصدت (بها التنور) الذى يخبز فيه (فسجرته) أى أوقدته (بها) وهذا يدل على قوة إيمانه وشدة محبته لله ورسوله على ما لا يخفى ، وإلا فمن صار فى حالة من الهجر والإعراض قد يضعف عن احتمال ذلك ، وتحمله الرغبة فى الجاه والمال على هجران من هجره ، ولا سيما مع أمنـــه من الملك الذى استدعاه إليه ، لأنه لايكرهه على فراق دينه ، لكن لما احتمل عنده أنه لا يأمن من الافتتان حسم المادة وأحرق الكتاب ومنع الجواب وغلب عليه دينه وقوى عنده يقينه ، ورجح ما هو فيه من النكد والتعذيب على ما دعى إليه من الراحة والنعيم حباً فى الله ورسوله كما قال صلى الله عليه وآله وسلم ، وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما . وعند ابن عائذ : أنه شكا حاله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : ما زال إعراضك عنى حتى رغب فىّ أهل الشرك (حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) قال فى الفتح : لم أقف على اسمه ثم وجدت فى رواية الواقدى أنه خزيمة بن ثابت ، قال : وهو الرسول إلى هلال ومرارة بذلك (يأتينى فقال : إن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك) عميرة بنت جبير بن صخر بن أمية الأنصارية أم أولاده الثلاثة ، أو هى زوجته الأخرى خيرة (فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال : لا بل اعتزلها ولا تقربها ، وأرسل إلى صاحبى مثل ذلك ، فقلت لامرأتى : الحقى بأهلك فتكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر) فلحقت بهم (قال كعب : فجاءت امرأة هلال بن أميـــة) خولة بنت عاصم (رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم فقالت : يارسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره

أن أخدمه ؟ قال : لا ولكن لا يقربك) بالجزم على النهى (قالت : إنه والله مابه حركة إلى شيء ، والله مازال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا) قال كعب (فقال لى بعض أهلى) قال فى الفتح : لم أقف على اسمه ، ويشكل مع نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن كلام الثلاثة . ويجاب بأنه لعله بعض ولده أو من النساء ، ولم يقع النهى عن كلام الثلاثة للنساء اللاتى فى بيوتهم ، أو الذى كلمه بذلك كان منافقاً أو كان ممن يخدمه ولم يدخل فى النهى . اه . كذا فى الفتح . وفى القسطلانى أُجيب بأنه عبر عن الإشارة بالقول ، يعنى فلم يقع الكلام اللسانى وهو المنهى عنه . قاله ابن الملقن . قال فى المصابيح : وهذا بناء منه على الوقوف عند اللفظ واطراح جانب المعنى ، وإلا فليس المقصود بعدم المكالمة عدم النطق باللسان فقط ، بل المراد هو وما كان بمثابة الإشارة المفهمة لما يفهمه القول باللسان . وقد يجاب بأن النهى كان خاصاً بمن عدا زوجة هلال وغشيانه إياها ، وقد أذن لها فى خدمته ، ومعلوم أنه لابد فى ذلك من مخالطة وكلام ، فلم يكن النهى شاملا لكل أحد وإنما هو شامل لمن لا تدعو حاجة هؤلاء إلى مخالطته وكلامه من زوجة وخادم ونحو ذلك ، فلعل الذى قال لكعب من أهله . اه (لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم فى امرأتك) لتخدمك (كما أذن لامرأة هلال ابن أُمية أن تخدمه) كان ممن لم يشمله النهى . قال كعب (فقلت : والله لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ، وما يدرينى ما يقول رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب) قوى على خدمة نفسه (فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت) بفتح الميم (لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم عن كلامنا) أيها الثلاثة (فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينا أنا جالس على الحال التى ذكر الله قد ضاقت علىّ نفسى) أى قلبى لا يسعه أنس ولا سرور من فرط الوحشة والغم (وضاقت علىّ على الأرض بما رحبت) برحبها ، أى مع سعتها ، وهو مثل للحيرة فى أمره كأنه لا يجد فيها مكاناً يقر فيه قلقاً وجزعاً ، وإذا كان هؤلاء لم يأكلوا مالا حراماً ولا سفكوا دماً حراماً ، ولا أفسدوا فى الأرض وأصابهم ما أصابهم ، فكيف بمن واقع الفواحش والكبائر ، وجواب بينا قوله (سمعت صوت

صارخ أوفى) أى أشرف (على جبل سلع بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر)
وعند الواقدى : وكان الذى أوفى على سلع أبا بكر الصديق فصاح : قد تاب
الله على كعب (قال) كعب (فخررت ساجداً) شكراً لله تعالى (وعرفت أن
قد جاء فرج وآذن) بالمد ، أى أعلم (رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم
بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا) أيها الثلاثة
بتوبة الله علينا (وذهب قبل) أى جهة (صاحبى) مرارة وهلال (مبشرون)
يبشرونهما (وركض إلىّ) استحث (رجل فرساً) للعدو . وعند الواقدى :
أنه الزبير بن العوام (وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل) هو حمزة بن عمرو
الأسلمى . رواه الواقدى . وعند ابن عائذ أن اللذين سعيا أبو بكر وعمر ،
لكنه صدره بقوله زعموا (وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءنى الذى
سمعت صوته) هو حمزة الأسلمى (يبشرنى نزعت له ثوبىّ) بالتثنية (فكسوته
إياهما ببشراه) لى بتوبة الله على (والله ما أملك) من الثياب (غيرهما يومئذ)
وقد كان له مال غيرهما كما صرح به فيما يأتى (واستعرت ثوبين) أى من
أبى قتادة كما عند الواقدى (فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه)
وآله (وسلم ، فتلقانى الناس فوجاً فوجاً) جماعة جماعة (يهنونى بالتوبة ،
يقولون : لتهنك) بكسر النون (توبة الله عليك . قال كعب : حتى دخلت
المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم جالس حوله الناس ، فقام
إلىّ طلحة بن عبيد الله) أحد العشرة المبشرة بالجنة (يهرول) أى يسير بين
المشى والعدو (حتى صافحنى وهنانى ، والله ما قام إلىّ رجل من المهاجرين
غيره) وكانا أخوين آخى النبى صلى الله عليه وآله وسلم بينهما . كذا قاله
البرماوى كغيره . وتعقب بأن الذى ذكره أهل المغازى أنه كان أخا الزبير ،
لكن كان الزبير أخاً فى إخوة المهاجرين ، فهو أخو أخيه (ولا أنساها لطلحة)
أى هذه الخصلة ، وهى بشارته إياى بالتوبة ، أى لا أزال أذكر إحسانه إلىّ
بذلك وكنت رهين مسرته (قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله
عليه) وآله (وسلم قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم وهو يبرق وجهه
من السرور : أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أُمك) أى سوى يوم
إسلامه ، وهو مستثنى تقديراً وإن لم ينطق به ، أو أن يوم توبته مكمل ليوم
إسلامه ، فيوم إسلامه بداية سعادته ويوم توبته مكمل لها ، فهو خير من جميع

أيامه ، وإن كان يوم إسلامه خيرها ، فيوم توبته المضاف إلى إسلامه خير من يوم إسلامه المجرد عنها (قال) كعب (قلت : أمن عندك يارسول الله ؟ أم من عند الله ؟ قال : لا بل من عند الله) زاد ابن أبى شيبة : إنكم صدقتم الله فصدقكم (وكان رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر) قاله احترازاً من السواد الذى فى القمر ، أو إشارة إلى موضع الاستنارة وهو الجبين . الذى يظهر فيه السرور . قالت عائشة : مسروراً تبرق أسارير وجهه ، فكأن التشبيه وقع على بعض الوجه فناسب أن يشبه ببعض القمر (وكنا نعرف ذلك منه) أى الذى يحصل له من استنارة وجهه عند السرور (فلما جلست بين يديه) صلى الله عليه وآله وسلم (قلت : يارسول الله إن من توبتى أن أنخلع) أخرج (من) جميع (مالى صدقة إلى الله وإلى رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) أى صدقة خالصة لهما (قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) له خوفاً عليه من تضرره بالفقر وعدم صبره على الإضاقة (أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك) ولأحمد : يجزى عنك الثلث (قلت ؛ فإنى أمسك سهمى الذى بخيبر ، فقلت : يارسول الله إن الله إنما نجانى بالصدق ، وإن من توبتى أن لا أُحدث إلا صدقاً ما بقيت ، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله) أى أنعم عليه (فى صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم أحسن مما أبلانى) أى مما أنعم علىّ . وفيه نفى الأفضلية لا نفى المساواة ، لأنه شاركه فى ذلك هلال ومرارة (ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم إلى يومى هذا كذباً ، وإنى لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقيت ، وأنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه) وآله (وسلم : لقد تاب الله على النبى) أى تجاوز عنه إذنه للمنافقين فى التخلف ، كقوله : « عفا الله عنك لم أذنت لهم » (والمهاجرين والأنصار) وفيه حث للمؤمنين على التوبة ، وأنه ما من مؤمن إلا وهو محتاج إلى التوبة والاستغفار حتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم والمهاجرين والأنصار (إلى قوله : وكونوا مع الصادقين) فى إيمانهم دون المنافقين أو مع الذين لم يتخلفوا (فوالله ما أنعم الله علىّ من نعمة قط بعد أن هدانى للإسلام أعظم فى نفسى من صدقى لرسول الله صلى الله عليه) وآله (سلم أن لا أكون كذبته ، فأهلك كما هلك الذين كذبوا ، فإن الله تعالى قال للذين

كذبوا حين نزل الوحي شر ما قال لأحد) أى قال قولا شر ما قاله بالإضافة ، أى شر القول الكائن لأحد من الناس(فقال تبارك وتعالى : « سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم ») إذا رجعتم إليهم من الغزو (إلى قوله : « فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ») أى فإن رضاكم وحدكم لا ينفعهم إذا كان الله ساخطاً عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها (قال كعب : وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم حين حلفوا له) أن تخلفهم كان لعذر (فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ) أى أخر (رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم أمرنا) أيها الثلاثة (حتى قضى الله فيه) بالتوبة (فبذلك قال الله تعالى « وعلى الثلاثة الذين خلفوا » وليس الذى ذكر الله مما خلفنا عن الغزو وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه) أى تأخيره (أمرنا عمن حلف له) صلى الله عليه وآله وسلم (واعتذر إليه فقبل منه) صلى الله عليه وآله وسلم اعتذاره ، والمراد على قوله « إنهم خلفوا عن التوبة لا عن الغزو » قال القسطلانى : وقد أخرج المؤلف رحمه الله حديث غزوة تبوك وتوبة الله على كعب فى عشرة مواضع مطولا ومختصراً . وأخرجه مسلم فى التوبة وأبو داود فى الطلاق وكذا النسائى . اه .

وفى الفتح : وفى قصة كعب من الفوائد : جواز طلب أموال الكفار من ذوى الحرب ، وجواز الغزو فى الشهر الحرام والتصريح بجهة الغزو إذا لم تقتضى المصلحة ستره ، وأن الإمام إذا استنفر الجيش عموماً لزمهم النفير ولحق اللوم بكل فرد لو تخلف ، وأن العاجز عن الخروج بنفسه أو بماله لا لوم عليه ، واستخلاف من يقوم مقام الإمام على أهله والضعفة ، وترك قتل المنافقين ، ويستنبط منه ترك قتل الزنديق إذا أظهر التوبة ، وأجاب من أجازه بأن الترك كان فى زمن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لمصلحة التأليف على الإسلام . وفيها عظم أمر المعصية . وقد نبه الحسن البصرى على ذلك فيما أخرجه ابن أبى حاتم عنه ، قال : يا سبحان الله ، ما أكل هؤلاء الثلاثة مالا حراماً ولا سفكوا دماً ولا أفسدوا فى الأرض ، وأصابهم ما سمعتم وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، فكيف بمن يواقع الفواحش والكبائر . وفيها أن القوى فى الدين يؤاخذ بأشد مما يؤاخذ الضعيف فى الدين ، وجواز إخبار المرء عن تقصيره وتفريطه ، وعن سبب ذلك ، وما آل أمره تحذيراً ونصيحة لغيره ،

وجواز مدح المرء بما فيه من الخير إذا أمن الفتنة ، وتسلية نفسه عما لم يحصل له بما وقع لنظيره ، وفضل أهل بدر والعقبة ، والحلف للتأكيد من غير استحلاف ، والتورية عن المقصد ، ورد الغيبة ، وجواز ترك وطء الزوجة مدة . وفيها جواز تمنى ما فات من عمل الخير ، وأن الإمام لا يهمل من تخلف عنه فى بعض الأمور ، بل يذكره ليراجع التوبة ، وجواز الطعن فى الرجل بما يغلب على اجتهاد الطاعن حمية لله ورسوله ، وجواز الرد على الطاعن إذا غلب على ظن الراد وهم الطاعن أو غلطه ، وأن المستحب للقادم أن يكون على وضوء وأن يبدأ بالمسجد قبل بيته فيصلى ثم يجلس لمن يسلم عليه ، ومشروعية السلام على القادم وتلقيه ، والحكم بالظاهر ، وقبول المعاذير ، واستحباب بكاء العاصى أسفاً على ما فاته من الخير ، وإجراء الأحكام على الظاهر ، ووكول السرائر إلى الله تعالى ، وترك السلام على من أذنب ، وجواز هجره أكثر من ثلاث ، وأما النهى عن الهجر فوق الثلاث فمحمول على من لم يكن هجرانه شرعياً ، وأن التبسم قد يكون من غضب كما يكون عن تعجب ، ولا يختص بالسرور ومعاتبة الكبير أصحابه ومن يعز عليه دون غيره ، وفائدة الصدق ، وشؤم عاقبة الكذب ، والعمل بمفهوم اللقب إذا حفته قرينة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم لما حدثه كعب : أما هذا فقد صدق ، فإنه يشعر بأن من سواه كذب ، لكن ليس على عمومه فى حق كل أحد سواه ، لأن مرارة وهلالا أيضاً قد صدقا ، فيختص الكذب بمن حلف واعتذر لا بمن اعترف ، ولهذا عاقب من صدق بالتأديب الذى ظهرت فائدته عن قرب ، وأخر من كذب للعقاب الطويل . وفى الحديث الصحيح : إذا أراد الله بعبد خيراً عجل له عقوبته فى الدنيا ، وإذا أراد به شراً أمسك عنه عقوبته فيرد القيامة بذنوبه ، قيل : وإنما غلظ فى حق هؤلاء الثلاثة لأنهم تركوا الواجب عليهم من غير عذر ، ويدل عليه قوله تعالى : « ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله » وقول الأنصار :

نحن الذين بايعوا محمــدا ... على الجهاد ما بقينا أبــدا

وفيها تبريد حر المعصية بالتأسى بالنظير ، وفيها عظم مقدار الصدق فى القول والفعل ، وتعليق سعادة الدنيا والآخرة والنجاة من شرهما ، وأن من عوقب بالهجر يعذر فى التخلف عن صلاة الجماعة ، لأن مرارة وهلالا لم

يخرجا من بيوتهما تلك المدة ، وفيها سقوط رد السلام على المهجور عن من سلم عليه ، إذ لو كان واجباً لم يقل كعب : هل حرك شفتيه برد السلام ، وجواز دخول المرء دار جاره وصديقه بغير إذنه ، ومن غير الباب إذا علم رضاه ، وفيها أن قول المرء : الله ورسوله أعلم ، ليس بخطاب ولا كلام ، ولا يحنث به من حلف أن لا يكلم الآخر إذا لم ينوبه مكالمته ، وإنما قال أبو قتادة ذلك لما ألح عليه كعب ، وإلا فقد تقدم أن رسول ملك غسان لما سأل عن كعب جعل الناس يشيرون له إلى كعب ولا يتكلمون بقولهم مثلا : هذا كعب ، مبالغة فى هجره والإعراض عنه ، وفيها أن مسارقة النظر فى الصلاة لا تقدح فى صحتها وإيثار طاعة الرسول على مودة القريب ، وخدمة المرأة زوجها ، والاحتياط كالمجانبة ما يخشى الوقوع فيه ، وجواز تحريق ما فيه اسم الله للمصلحة ، وفيها مشروعية سجود الشكر والاشتياق إلى البشارة بالخير وإعطاء البشير أنفس ما يحضر الذى يأتيه بالبشارة ، وتهنئة من تجددت له نعمة والقيام إليه إذا أقبل ، واجتماع الناس عند الإمام فى الأمور المهمة ، وسروره بما يسر أتباعه ، ومشروعية العارية ، ومصافحة القادم والقيام له ، والتزام المداومة على الخير الذى ينتفع به ، واستحباب الصدقة عند التوبة ، وأن من نذر الصدقة بكل ماله لم يلزمه إخراج جميعه .

الحديث الثانى

عَنْ أَبِى بَكْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قالَ : لَقَدْ نَفَعَنِى اللهُ بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا، مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَيَّامَ الجَمَلِ بَعْدَ ما كِدْتُ أَنْ أَلْحَقَ بِأَصْحَابِ الجَمَلِ فَأُقَاتِلَ مَعَهُمْ ، قالَ : لَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّ أَهْلَ فارِسَ قَدْ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ بِنْتَ كِسْرَى ، قالَ : لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً .

(عن أبى بكرة رضى الله عنه قال : لقد نفعنى الله بكلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم أيام الجمل بعد ما كدت أن ألحق بأصحاب) وقعة (الجمل) عائشة رضى الله عنها ومن معها (فأقاتل معهم) وكان سببها أن عثمان لما قتل وبويع علىّ على الخلافة خرج طلحة والزبير إلى مكة فوجد عائشة ، وكانت قد حجت ، فأجمع رأيهم على التوجه إلى البصرة يستنفرون الناس للطلب بدم عثمان ، فبلغ علياً فخرج إليهم ، فكانت الوقعة ونسبت إلى الجمل الذى كانت عائشة قد ركبته وهى فى هودجها تدعو الناس إلى الإصلاح (قال) أبو بكرة مفسراً لقوله : نفعنى الله بكلمة (لما بلغ رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى) بوران بنت شيرويه بن كسرى أبرويز ، وذلك أن شيرويه لما قتل أباه كان أبوه لما علم أن ابنه عمل على قتله احتال على قتل ابنه بعد موته ، فعمل فى بعض خزائنه المختصة به حقاً مسموماً وكتب عليه حق الجماع من تناول منه كذا جامع كذا . فقرأه شيرويه ، فتناول منه ، فكان فيه هلاكه ، فلم يعش بعد أبيه سوى ستة أشهر ، فلما مات لم يخلف أخاً لأنه كان قتل إخوته حرصاً على الملك ، ولم يخلف ذكراً وكرهوا إخراج الملك عن ذلك البيت فملكوا أُخته . ذكر ذلك ابن قتيبة فى المعارف . وذكر الطبرى أيضاً أن أختها أزرميدخت ملكت أيضاً (قال) صلى الله عليه وآله وسلم (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) قال الخطابى : فى الحديث أن المرأة لا تلى الإمارة ولا القضاء ، وفيه أنها لا تزوج نفسها ولا تلى العقد على غيرها ، كذا قال ، وهو متعقب ،

والمنع من أن تلى الإمارة والقضاء قول الجمهور ، وأجازه الطبرى ، وهى رواية عن مالك ، وعن أبى حنيفة : تلى الحكم فيما تجوز فيه شهادة النساء . كذا فى الفتح . قال القسطلانى : والغرض من ذكر هذا الحديث هنا بيان أن كسرى لما مزق كتابه صلى الله عليه وآله وسلم ودعا عليه سلط الله عليه ابنه فمزقه وقتله ثم قتل إخوته حتى أفضى الأمر إلى تأمير المرأة ، فجر ذلك إلى ذهاب ملكهم ومزقوا ، واستجاب الله دعاءه صلى الله عليه وآله وسلم . اهـ . وكسرى هو پرويز بن هرمز بن أنوشروان ، وهو كسرى الكبير لا أنوشروان ، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم أخبر بأن ابنه يقتله ، والذى قتله ابنه هو پرويز . وكسرى بكسر الكاف : لقب كل من يملك الفرس ، ومعناه بالعربية « المظفر » هذا وقد ولت نصارى هذا الزمان عليهم امرأة منهم ، وتلك المفاسد التى لا تتناهى وترى منذ ولايتها من هــذه الجهة ، وهى نصرانية لا تحب إلا نصرانياً وقومها ، وكذا تملك قطرنا هذا نساء مسلمات منذ أيام طوال ، ولا تخلو عن فتن ومفاسد أيضاً ظاهرة أو باطنة ، فلا جعلنا الله تعالى من القوم الذين لم يفلحوا حيث ولوا أمرهم امرأة ، وهو بالإجابة جدير .

مرض النبى صلى الله عليه وسلم ووفاته

* (مرض النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم ووفاته) *

أما ابتداء المرض فكان فى بيت ميمونة . وفى السيرة لأبى معشر : فى بيت زينب بنت جحش . وفى السيرة لسليمان التيمى : فى بيت ريحانة . والأول المعتمد .وذكر الخطابى أنه ابتدأ به يوم الاثنين . وقيل : يوم السبت . وقال الحاكم أبو أحمد : يوم الأربعاء . واختلف فى مدة مرضه ، فالأكثر على أنها ثلاثة عشر يوماً ، وقيل بزيادة يوم ، وقيل بنقصه ، والقولان فى الروضة وصدر بالثانى ، وقيل عشرة أيام ، وبه جزم سليمان التيمى فى مغازيه ، وأخرجه البيهقى بإسناد صحيح . وكانت وفاته يوم الاثنين بلا خلاف ، من ربيع الأول ، وكاد يكون إجماعاً ، لكن فى حديث ابن مسعود عند البزار : فى حادى عشر رمضان ، ثم عند ابن إسحاق والجمهور : أنها فى الثانى عشر منه . وعند موسى بن عقبة والليث والخوارزمى وابن زبر : مات لهلال ربيع الأول . وعند أبى مخنف والكلبى : فى ثانيه . ورجحه السهيلى . وعلى القولين يتنزل ما نقله الرافعى أنه عاش بعد حجته ثمانين يوماً ، وقيل : أحداً وثمانين . وأما على ما جزم به فى الروضة فيكون عاش بعد حجته تسعين يوماً أو أحداً وتسعين . وقد استشكل ذلك السهيلى ومن تبعه ، أعنى كونه مات يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الأول ، وذلك أنهم اتفقوا على أن ذا الحجة كان أوله يوم الخميس ، فمهما فرضت الشهور الثلاثة توامّ أو نواقص أو بعضها لم يصح ، وهو ظاهر لمن تأمله . وأجاب البارزى ثم ابن كثير باحتمال وقوع الأشهر الثلاثة كوامل . وكان أهل مكة والمدينة اختلفوا فى رؤية هلال ذى الحجة ، فرآه أهل مكة ليلة الخميس ولم يره أهل المدينة إلا ليلة الجمعة ، فحصلت الوقفة برؤية أهل مكة ، ثم رجعوا إلى المدينة فأرخوا برؤية أهلها ، وكان أول ذى الحجة الجمعة وآخره السبت ، وأول المحرم الأحد وآخره الاثنين ، وأول صفر الثلاثاء وآخره الأربعاء ، وأول ربيع الأول الخميس فيكون ثانى عشره الاثنين . وهذا الجواب بعيد من حيث أنه يلزم توالى أربعة أشهر كوامل . وقد جزم سليمان التيمى أحد الثقات بأن ابتداء مرض رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم كان يوم السبت الثانى والعشرين من صفر ، ومات يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول ، فعلى هذا كان صفر ناقصاً ، ولا يمكن أن يكون أول صفر السبت إلا إن كان ذو الحجة والمحرم ناقصين ، فيلزم منه نقص ثلاثة أشهر متوالية ، وأما على قول من قال : مات أول يوم من ربيع الأول فيكون اثنان ناقصين وواحد كاملا ، ولهذا رجحه السهيلى . وفى المغازى لأبى معشر عن محمد بن قيس قال : اشتكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الأربعاء لإحدى عشرة مضت من صفر ، وهذا موافق لقول سليمان التيمى المتقدم ، لأن أول صفر كان السبت . وأما ما رواه ابن سعد عن عمر بن علىّ بن أبى طالب قال : اشتكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الأربعاء لليلة بقيت من صفر ، فاشتكى ثلاث عشرة ليلة ، ومات يوم الاثنين لاثنتى عشرة مضت من ربيع الأول ، فيرد على هذا الإشكال المتقدم ، وكيف يصح أن يكون أول صفر الأربعاء ليكون تاسع وعشرون منه الأربعاء والغرض أن كان ذوالحجة أوله الخميس ، فلو فرض هو والمحرم كاملين لكان أول صفر الإثنين ، فكيف يتأخر إلى يوم الأربعاء ، فالمعتمد ما قال أبو مخنف ، وكان سبب غلط غيره أنهم قالوا : مات فى ثانى شهر ربيع الأول ، فغيرت فصارت ثمانى عشر ، واستمر الوهم بذلك يتبع بعضهم بعضاً من غير تأمل ، والله أعلم . وقد أجاب القاضى بدر الدين بن جماعة بجواب آخر فقال : يحمل قول الجمهور لاثنتى عشرة ليلة خلت ، أى بأيامها ، فيكون موته فى اليوم الثالث عشر ، وتفرض الشهور كوامل ، فيصح قول الجمهور ، ويعكر عليه ما يعكر على الذى قبله مع زيادة مخالفة اصطلاح أهل اللسان فى قولهم : لاثنتى عشرة ، فإنهم لا يفهمون منها إلا مضى الليالى ، ويكون ما أرخ بذلك واقعاً فى اليوم الثانى عشر . كذا فى الفتح ، والله أعلم .

الحديث الأول

عَنْ عائشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالَتْ : دَعا النَّبِيُّ صـــلى الله عليه وسلم فاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فى شَكْوَاهُ الَّذِى قُبِضَ فِيهِ ، فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَبَكَتْ ، ثُمَّ دَعَاهَا فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَضَحِكَتْ ، فَسَأَلْنَاهَا عَنْ ذٰلِكَ فَقَالَتْ : سَارَّنِى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ يُقْبَضُ فى وَجَعِهِ الَّذِى تُوُفِّىَ فِيهِ فَبَكَيْتُ ، ثُمَّ سَارَّنِى فَأَخْبَرَنِى أَنِّى أَوَّلُ أَهْلِهِ يَلْحَقُهُ فَضَحِكْتُ .

(عن عائشة رضى الله عنها) أنها (قالت دعا النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم فاطمة) بنته عليها السلام (فى شكواه) أى مرضه (الذى قبض فيه فسارّها بشىء) وفى أول هذا الحديث من رواية مسروق عن عائشة كما فى علامات النبوّة : أقبلت فاطمة تمشى كأن مشيتها مشية النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : مرحباً بابنتى ، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ، ثم سارّها . ولأبى داود والترمذى والنسائى وابن حبان والحاكم عن عائشة قالت : ما رأيت أحداً أشبه سمتاً وهدياً ودلا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى قيامها وقعودها من فاطمة ، وكانت إذا دخلت على النبى صلى الله عليه وآله وسلم قام إليها وقبلها وأجلسها فى مجلسه ، وكان إذا دخل عليها فعلت ذلك ، فلما مرض دخلت عليه فأكبت عليه تقبله (فبكت ، ثم دعاها فسارّها بشىء فضحكت) واتفقت الروايتان على أن الذى سارّها به أولا فبكت هو إعلامه إياها بأنه ميت من مرضه ذلك ، واختلفتا فيما سارّها به ثانياً فضحكت ، ففى رواية عروة أنه إخباره إياها بأنها أول أهله لحوقاً به ، وفى رواية مسروق أنه إخباره إياها بأنها سيدة نساء أهل الجنة ، وجعل كونها أول أهله لحوقاً به مضموماً إلى الثانى هو الراجح ، فإن حديث مسروق يشتمل على زيادات ليست فى حديث عروة ، وهو من الثقات الضابطين ، فمما زاده مسروق قول عائشة : فقالت : ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن ، فسألتها عن ذلك ، فقالت : ما كنت لأفشى سر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى توفى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فسألتها ، فقالت : أسرّ إلى أن جبريل كان يعارضنى القرآن كل سنة مرة ، وأنه

عارضني العام مرتين ، ولا أراه إلا حضر أجلي ، وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي (فسألناها عن) سبب (ذلك) البكاء والضحك (فقالت) بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم (سارّني النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت ، ثم سارّني فأخبرني أني أول أهله) أي أهل بيته (يتبعه ، فضحكت) وروى النسائي عن عائشة في سبب البكاء أنه ميت ، وفي سبب الضحك الأمرين الآخرين . ولأبي سعد عنها أن سبب البكاء موته ، وسبب الضحك أنها سيدة النساء . وفي رواية عائشة بنت طلحة عنها أن سبب البكاء موته وسبب الضحك لحاقها به . وعند الطبراني من وجه آخر عن عائشة أنه قال لفاطمة : إن جبريل أخبرني أنه ليس امرأة من نساء المسلمين أعظم ذرية منك فلا تكوني أدنى امرأة منهنّ صبراً . وفي الحديث إخباره صلى صلى الله عليه وآله وسلم بما سيقع فوقع كما قال ، فإنهم اتفقوا على أن فاطمة عليها السلام كانت أول من مات من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعده حتى من أزواجه . وهذا الحديث أخرجه أيضاً في علامات النبوة .

الحديث الثانى

وَعَنْهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالَتْ : كُنْتُ أَسْمَعُ أَنَّهُ لَا يَمُوتُ نَبِيٌّ حَتَّى يُخَيَّرْ بَيْنَ ٱلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَسَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلَّمَ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِى مَاتَ فِيهِ وَأَخَذَتْهُ بُحَّةٌ يَقُولُ : « مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ » الآيَةَ ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ خُيِّرَ .

(وعنها) أى عن عائشة (رضى الله عنها قالت : كنت أسمع) أى من النبى صلى الله عليه وآله وسلم كما فى الحديث الآخر (أنه لايموت نبى) من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (حتى يخير بين) المقام فى (الدنيا و) الارتحال منها إلى (الآخرة ، فسمعت النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم يقول فى مرضه الذى مات فيه وأخذته بحة) بضم الباء وتشديد الحاء المهملة : شىء يعرض فى الحلق فيتغير له الصوت فيغلظ . وقال القسطلانى : غلظة وخشونة تعرض فى مجارى النفس فيغلظ الصوت ، والمعنى واحد (يقول : « مع الذين أنعم الله عليهم » الآية ، فظننت أنه) صلى الله عليه وآله وسلم (خير) وهذا الحديث أخرجه فى التفسير . زاد فى رواية : فقلت : إذن لا يختارنا وعرفت أنه حديثه الذى كان يحدثنا وهو صحيح . وعند أبى الأسود فى المغازى عن عروة أن جبريل نزل إليه فى تلك الحالة فخيره . قال السهيلى : وجدت فى بعض كتب الواقدى أن أول كلمة تكلم بها صلى الله عليه وآله وسلم وهو مسترضع عند حليمة : الله أكبر . وآخر كلمة تكلم بها كما فى حديث عائشة : الرفيق الأعلى . وروى الحاكم من حديث أنس أن آخر ما تكلم به : جلال ربى الرفيع . قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : فهم عائشة من قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « مع الرفيق الأعلى » أنه خير نظير فهم أبيها رضى الله عنه من قوله صلى الله عليه وآله وسلم : إن عبداً خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده أن العبد المراد هو النبى صلى الله عليه وآله وسلم حتى بكى . وفى رواية أبى بردة ابن أبى موسى عن أبيه عند النسائى وصححه ابن حبان فقال : أسأل الله الرفيق الأعلى الأسعد مع جبريل وميكائيل وإسرافيل . وظاهره أن الرفيق المكان الذى تحصل المرافقة فيه مع المذكورين . وفى رواية عن عائشة بعد هذا قال : « اللهم اغفرلى وارحمنى وألحقنى بالرفيق » حتى قبض . وفى معنى « الرفيق » وفى المراد منه أقوال ذكرها فى الفتح .

الحديث الثالث

وَعَنْهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ صَحِيحٌ يَقُولُ: إنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ، حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُحَيَّا أَوْ يُخَيَّرُ ، فَلَمَّا اشْتَكَى وَحَضَرَهُ الْقَبْضُ ، وَرَأْسُهُ عَلَى فِخذِي ، غُشِيَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا أَفَاقَ شَخَصَ بَصَرُهُ نَحْوَ سَقْفِ الْبَيْتِ ، ثُمَّ قالَ : اللَّهُمَّ فى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى ، فَقُلْتُ : إذنْ لَا يَخْتَارُنَا ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ حَدِيثُهُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهْوَ صَحِيحٌ .

(وعنها) أي عن عائشة (رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم وهو صحيح يقول : إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيا) أى يسلم إليه الأمر أو يملك فى أمره أو يسلم عليه تسليم الوداع (أو يخـــير) بين الدنيا والآخرة (فلما اشتكى) أى مرض (وحضره القبض ورأسه على فخذى غشى عليه ، فلما أفاق شخص) أى ارتفع (بصره نحـو سقف البيت ثم قال : اللهم فى الرفيق الأعلى) أى الجماعـــة من الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين ، وظاهره أن الرفيق المكان الذى يحصل فيه المرافقة مع المذكورين . والحكمة فى اختتام كلامه صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الكلمة تضمن التوحيد والذكر بالقلب حتى يستفاد منه الرخصة لغيره أنه لا يشترط أن يكون الذكر باللسان ، لأن بعض الناس قد يمنعه من النطق مانع فلا يضره إذا كان قلبه عامراً بالذكر (فقلت : إذن لا يجاورنا) فى الدنيا ، أى لا يختارنا (فعرفت أنه حديثه الذى كان يحدثنا به وهو صحيح) وعند أحمد من طريق المطلب بن عبد الله عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول : ما من نبي يقبض إلا يرى الثواب ثم يخير . ولأحمد أيضاً من حديث أبى مويهبة قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنى أُوتيت مفاتح خزائن الأرض والخلد ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة ، فاخترت لقاء ربى والجنـــة . وعند عبد الرزاق من مرسل طاوس رفعه : خيرت بين أن أبقى حتى أرى ما يفتح على أُمتى وبين التعجيل فاخترت التعجيل .

الحديث الرابع

وَعَنْهَا رَضِيَ اللهُ عنهَا أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم كانَ إِذَا اشْتَكَى نَفَثَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَمَسَحَ عَنْهُ بِيَدِهِ ، فَلَمَّا ٱشْتَكَى وَجَعَهُ ٱلَّذِى تُوُفِّىَ فِيهِ طَفِقْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ بِالمُعَوِّذَاتِ ، الَّتِى كانَ يَنْفُثُ ، وَأَمْسَحُ بِيَدِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم عَنْهُ .

(وعنها) أى عن عائشة (رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم كان إذا اشتكى) أى مرض (نفث) أخرج الريح من فمه مع شىء من ريقه (على نفسه بالمعوّذات) بكسر الواو المشددة : الإخلاص واللتين بعدها ، فهو من باب التغليب ، أو المراد الفلق والناس ، وجمع باعتبار أن أقل الجمع اثنان ، أو المراد الكلمات المعوّذات بالله من الشياطين والأمراض (ومسح عنه بيده) لتصل بركة القرآن واسم الله تعالى إلى بشرته المقدسة (فلما اشتكى) صلى الله عليه وآله وسلم (وجعه الذى توفى فيه طفقت) أى أخذت حال كونى (أنفث عليه بالمعوّاذت التى كان ينفث وأمسح بيد النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم عنه) لبركتها ،وهذا الحديث أخرجه البخارى أيضاً فى الطب وكذا مسلم .

الحديث الخامس

وَعَنْهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالَتْ : أَصْغَيْتُ إِلَى النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ وَهْوَ مُسْنِدٌ إِلَىَّ ظَهْرَهُ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى وَارْحَمْنِى وَأَلْحِقْنِى بِالرَّفِيقِ .

(وعنها) أى عن عائشة (رضى الله عنها قالت : أصغيت إلى النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم قبل أن يموت وهو مسند إلىّ ظهره ، فسمعته يقول : اللهم اغفر لى وارحمنى وألحقنى بالرفيق) أى الأعلى . وفى رواية ذكوان عن عائشة : فجعل يقول : « فى الرفيق الأعلى » حتى قبض . وفى رواية ابن أبى مليكة عن عائشة : وقال « فى الرفيق الأعلى ، فى الرفيق الأعلى » .

الحديث السادس

وَعَنْهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فى رِوَايَةٍ ، قالَتْ : مَاتَ النَّبِيُّ صـــلى الله عليه وسلم وَإِنَّهُ لَبَيْنَ حاقِنَتِي وَذَاقِنَتِي ، فَلَا أَكْرَهُ شِدَّةَ المَوْتِ لِأَحَدٍ أَبَداً بَعْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم .

(وعنها) أى عن عائشة (رضى الله عنها فى رواية قالت : مات النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم وإنه لبين حاقنتى وذاقنتى) والحاقنة : الوهدة المنخفضة بين الترقوتين من الحلق . وفى الفتح : الحاقنة : ما سفل من الذقن . والذاقنة : ما علا منه ، أو الحاقنة : ثغرة الترقوة وهما حاقنتان ، ويقال : إن الحاقنة : المظهرة من الترقوة والحلق ، وقيل : ما دون الترقوة من الصدر ، وقيل : هى تحت السرة . وقال ثابت : الذاقنة : طرف الحلقوم (فلا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم) وفى رواية : توفى فى بيتى وفى يومى وبين سحرى ونحرى ، وإن الله جمع ريقى وريقه عند موته ، أى بسبب السواك . وفى رواية : فى آخر يوم من الدنيا . والسحر : هو الصدر ، وهو فى الأصل الرئة ، والنحر : المراد به موضع النحر . وأغرب الداودى فقال : هو ما بين الثديين . والحاصل أن ما بين الحاقنة والذاقنة هو ما بين السحر والنحر ، والمراد أنه مات ورأسه بين حنكها وصدرها صلى الله عليه وآله وسلم ورضى عنها . وهذا لايغاير حديثها الذى قبل هذا : إن رأسه كان على فخذها ، لأنه محمول على أنها رفعته من فخذها إلى رأسها . وهذا الحديث يعارض ما أخرجه الحاكم وابن سعد من طرق أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مات ورأسه فى حجر عليّ . وكل طريق منها لا يخلو من شيعى فلا يلتفت إليهم . قال فى الفتح : وقد رأيت بيان حال الأحاديث التى أشرت إليها دفعاً لتوهم التعصب . اهـ . ثم تكلم عليها فى الفتح ، فراجعه .

الحديث السابع

عَن ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِى طَالِب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فى وَجَعِهِ الَّذِى تُوُفِّيَ فِيهِ ، فَقَالَ النَّاسُ : يَا أَبَا الحَسَنِ كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ؟ فَقَالَ : أَصْبَحَ بِحَمْدِ اللهِ بَارِئاً ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ عَبَّاس بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقَالَ لَهُ : أَنْتَ وَاللهِ بَعْدَ ثَلَاثٍ عَبْدُ الْعَصَا ، وَإِنِّى وَاللهِ لَأَرَى رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم سَوْفَ يُتَوَفَّى مِنْ وَجَعِهِ هذَا ، إِنِّى لَأَعْرِفُ وَجُوهَ بَنِى عَبْدِ المُطَّلِبِ عِنْدَ المَوْتِ ، اذْهَبْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَلْنَسْأَلْهُ فِيمَنْ هذَا الْأَمْرُ ، إِنْ كانَ فِينَا عَلِمْنَا ذٰلِكَ ، وَإِنْ كانَ فى غَيْرِنَا عَلِمْنَاهُ ، فَأَوْصى بِنَا ، فَقَالَ عَلِيٌّ : إِنَّا وَاللهِ لَئِنْ سَأَلْنَاهَا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَمَنَعَنَاهَا لَا يُعْطِينَاهَا النَّاسُ بَعْدَهُ ، وَإِنِّى وَاللهِ لَا أَسْأَلُهَا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم .

(عن ابن عباس رضى الله عنهما أن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه خرج من عند رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم فى وجعه الذى توفى فيه ، فقال الناس) له (يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ؟ فقال : أصبح بحمد الله بارئاً) اسم فاعل من برأ المريض إذا أفاق من المرض (فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب فقال له : أنت والله بعد ثلاث) أى ثلاثة أيام (عبد العصا) أى تصير مأموراً بموته صلى الله عليه وآله وسلم وولاية غيره . وهذا من قوة فراسة العباس رضى الله عنه (وإنى والله لأرى) بفتح الهمزة من الاعتقاد ، وبضمها بمعنى الظن . وهذا قاله العباس مستنداً إلى التجربة (رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم سوف يتوفى من وجعه هذا ، إنى لأعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت) ذكر ابن إسحاق عن الزهرى أن هذا كان يوم قبض النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم قال العباس لعلىّ (اذهب بنا إلى رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم فلنسأله

فيمن هذا الأمر) أى الخلافة . وفى مرسل الشعبى عند ابن سعد : فنسأله من يستخلف فإن استخلف منا فذاك (إن كان فينا علمنا ذلك ، وإن كان فى غيرنا علمناه فأوصى بنا) الخليفة بعده . وفى مرسل الشعبى : وإلا أوصى بنا فحفظنا من بعده . وله من طريق أخرى : فقال علىّ : وهل يطمع فى هذا الأمر غيرنا ؟ قال : أظن والله سيكون (فقال علىّ : إنا والله لئن سألناها) أى الخلافة (رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده) أى وإن لم يمنعناها بأن يسكت فيحتمل أن تصل إلينا فى الجملة (وإنى والله لا أسألها رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) أى لا أطلبها منه . وفى مراسل الشعبى : فلما قبض النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال العباس لعلىّ : ابسط يدك أبايعك يبايعك الناس . فلم يفعل . وزاد عبد الرزاق عن ابن عيينة قال : قال الشعبى : لو أن علياً سأله عنها كان خيراً له من ماله وولده . وفى الفتح : روينا فى فوائد أبى الطاهر الذهلى بسند جيد عن ابن أبى ليلى قال : سمعت علياً يقول : لقينى العباس . فذكر نحو القصة التى فى هذا الحديث باختصار . وفى آخرها قال : سمعت علياً يقول بعد ذلك : ياليتنى أطعت عباساً ، ياليتنى أطعت عباساً . وقال عبد الرزاق : كان معمر يقول لنا : أيهما كان أصوب رأياً ؟ فنقول : العباس . فيأبى ويقول : لو كان أعطاها علياً فمنعه الناس لكفروا . وفى حديث الباب رواية تابعى عن تابعى : الزهرى وعبد الله بن كعب ، وصحابى عن صحابى : كعب وابن عباس . وأخرجه البخارى أيضاً فى الاستئذان .

الحديث الثامن

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا كانَتْ تَقُولُ : إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم تُوُفِّيَ فى بَيْتِي وَفى يَوْمِي ، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي ، وَإِنَّ اللهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ ، دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ ، وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ ، فَقُلْتُ : آخُذُهُ لَكَ ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ ، فَتَنَاوَلْتُهُ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ : أُلَيِّنُهُ لَكَ ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ ، فَلَيَّنْتُهُ ، فَأَمَرَّهُ ، وَكَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ فِيهَا ماءٌ فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَيَقُولُ : لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ ، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ فى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى ، حَتَّى قُبِضَ وَمالَتْ يَدُهُ صلى الله عليه وسلم .

(عن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تقول : إن من نعم الله عليّ أن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم توفى فى بيتى وفى يومى) أى يوم نوبتى بحسب الدور المعهود (وبين سحرى ونحرى ، وإن الله جمع بين ريقى وريقه عند موته ، دخل عليّ عبد الرحمن) بن أبى بكر رضى الله عنهما (وبيده السواك) يستن به ويدلك به أسنانه ويستاك (وأنا مسندة رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فرأيته ينظر إليه ، وعرفت أنه يحب السواك ، فقلت : آخذه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم ، فتناولته ، فاشتد عليه ، فقلت : أُلينه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم ، فلينته فأمرّه ، وكانت بين يديه ركوة) من أدم (فيها ماء) أو علبة ، أى قدح ضخم من خشب (فجعل يدخل يديه فى الماء فيمسح بهما وجهه) حال كونه (يقول : لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات) جمع سكرة وهى الشدة (ثم نصب يده فجعل يقول : اللهم فى الرفيق الأعلى ، حتى قبض ومالت يده صلى الله عليه وآله وسلم) .

الحديث التاسع

وَعَنْهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالَتْ : لَدَدْنَا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فى مَرَضِهِ ، فَجَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْنَا أَنْ لَا تَلُدُّونِى ، فَقُلْنَا : كَرَاهِيَةَ المَرِيضِ لِلدَّوَاءِ ، فَلَمَّا أَفاقَ قالَ : أَلَمْ أَنْهَكُمْ أَنْ تَلُدُّونِى ؟ قُلْنَا : كَرَاهِيَةَ المَرِيضِ لِلدَّوَاءِ ، فَقَالَ : لَا يَبْقَى أَحَدٌ فى الْبَيْتِ إِلاَّ لُدَّ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، إِلاَّ الْعَبَّاسُ فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْكُمْ .

(وعنها) أى عن عائشة (رضى الله عنها قالت : لددنا النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم) أى جعلنا الدواء فى أحد جانبى فمه بغير اختياره ، وكان الذى لدوه به العود الهندى والزيت (فى مرضه ، فجعل يشير إلينا أن لا تلدونى ، فقلنا) هذا الامتناع (كراهية المريض للدواء ، فلما أفاق قال : ألم أنهكم أن تلدونى ؟ قلنا : كراهية المريض للدواء ، فقال : لا يبقى أحد فى البيت إلا لدّ وأنا أنظر إليه ، إلا العباس فإنه لم يشهدكم) أى لم يحضركم حال اللد ، وكان اللد قصاصاً لفعلهم وعقوبة لهم بتركهم امتثال نهيه عن ذلك ، أما من باشر فظاهر ، وأما من لم يباشر فلكونهم تركوا نهيه عما نهاهم عنه . ولفظ ابن سعد : كانت تأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخاصرة ، فاشتد به فأغمى عليه فلددناه ، فلما أفاق قال : كنتم ترون أن الله يسلط علىّ ذات الجنب ، ما كان الله ليجعل لها علىّ سلطاناً ، والله لا يبقى أحد فى البيت إلا لدّ ، فما بقى أحد فى البيت إلا لدّ ، ولددنا ميمونة وهى صائمة ، وإنما أنكر التداوى لأنه كان غير ملائم لذاته ، لأنهم ظنوا به ذات الجنب ، فداووه بما يلائمها ، ولم يكن به ذلك .

الحديث العاشر

عَن أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ ، فَقَالَتْ فاطِمَةُ : وَاكَرْبَ أَبَاهُ ، فَقَالَ لَهَا : لَيْسَ عَلى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ .

(عن أنس رضى الله عنه قال : لما ثقل النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم) أى اشتد به المرض (جعل يتغشاه) الكرب (فقالت فاطمة) ابنته عليها السلام (واكرب أباه) المراد بالكرب ما كان صلى الله عليه وآله وسلم يجده من شدة الموت ، فقد كان صلى الله عليه وآله وسلم فيما يصيب جسده الشريف من الآلام كالبشر ليتضاعف أجره (فقال) صلى الله عليه وآله وسلم لها (ليس على أبيك كرب بعد اليوم) إذ هو ذاهب إلى حضرة الكرامة ، وهو يدل على أنها قالت : واكرب أباه كما لا يخفى ، فلما مات قالت : يا أبتاه أجاب رباً دعاه إلى حضرته القدسية ، يا أبتاه من جنة الفردوس – بفتح ميم من – مأواه ، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه ، فلما دفن قالت فاطمة عليها السلام : يا أنس : أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التراب؟ قال فى الفتح : وسكت أنس عن جوابها ولسان حاله يقول : لم تطب أنفسنا بذلك ، إلا أنا قهرناها على فعله امتثالا لأمره . وقد قال أبو سعيد فيما أخرجه البزار بسند جيد : وما نفضنا أيدينا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا . ومثله فى حديث ثابت عن أنس عند الترمذى وغيره ، يريد أنهم وجدوها تغيرت عما عهدوه فى حياته من الألفة والصفاء والرقة لفقدان ما كان يمدهم به من التعليم والتأييد . ويستفاد من الحديث جواز التوجع للميت عند احتضاره بمثل قول فاطمة : واكرب أباه ، وأنه ليس من النياحة ، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم أقرّها على ذلك . وأما قولها بعد أن قبض : وا أبتاه إلى آخره ، فيؤخذ منه أن تلك الألفاظ إذا كان الميت متصفاً بها لا يمنع ذكره لها بعد موته ، بخلاف ما إذا كانت فيه ظاهراً وهو فى الباطن خلافه أو لا يتحقق اتصافه بها فيدخل فى المنع .

الحديث الحادى عشر

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم تُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ .

(عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم توفى وهو ابن ثلاث وستين) سنة ، وهذا موافق لقول الجمهور ، وجزم به سعيد بن المسيب ومجاهد والشعبى ، وقال أحمد : هو أثبت عندنا ، وأكثر ما قيل فى عمره أنه خمس وستون سنة . أخرجه مسلم من طريق عمار بن ياسر عن ابن عباس ، ومثله لأحمد عنه ، وجمع بعضهم بين الروايات المشهورة بأن من قال خمس وستون جبر الكسر ولا يخفى مافيه . قال فى الفتح : لأنه يخرج منه أربع وستون فقط ، وقل من تنبه لذلك . وعند البخارى عن عائشة وابن عباس أيضاً أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لبث بمكة عشر سنين ، يعنى بعد أن فتر الوحى ثلاث سنين ، كما قاله الشعبى ، ينزل عليه القرآن ، وبالمدينة عشراً ، وبهذا يزول الإشكال ، فإن ظاهره يقتضى أنه عاش ستين سنة ، وهو يغاير حديث الباب المروى عن عائشة ، وهو مبنى على ما وقع فى تاريخ الإمام أحمد عن الشعبى أن مدة فترة الوحى كانت ثلاث سنين ، وبه جزم ابن إسحاق ، وقال السهيلى : جاء فى بعض الروايات المسندة أن مدة الفترة سنتان ونصف ، وفى رواية أخرى : أن مدة الرؤيا ستة أشهر ، فمن قال : مكث عشر سنين حذف مدة الرؤيا والفترة ، ومن قال : ثلاث عشرة سنة أضافهما . انتهى . وهذا معارض بما روى عن ابن عباس أن مدة الفترة كانت أياماً ، وحينئذ فلا يحتج بمرسل الشعبى لا سيما مع ما عارضه . قال فى الفتح : وقد راجعت المنقول عن الشعبى من تاريخ الإمام أحمد ولفظه من طريق داود بن أبى هند عن الشعبى : أنزلت عليه النبوّة وهو ابن أربعين سنة ، فقرن بنبوّته إسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلمه الكلمة والشىء ، ولم ينزل عليه القرآن على لسانه ، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوّته جبريل ، فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة . وأخرجه ابن أبى خيثمة من وجه آخر مختصراً عن داود بلفظ : بعث لأربعين ووكل به إسرافيل ثلاث سنين ثم وكل به

جبريل ، فعلى هذا يحسن بهذا المرسل أن ثبت الجمع بين القولين فى قدر إقامته بمكة بعد البعثة ، فقد قيل : ثلاث عشرة ، وقيل : عشرة ، ولا يتعلق ذلك بقدر مدة الفترة . وأما ما رواه عمر بن شبة أنه صلى الله عليه وآله وسلم عاش إحدى أو اثنتين وستين ولم يبلغ ثلاثاً وستين فشاذ ، والله أعلم . وبالجملة قد كان موته صلى الله عليه وآله وسلم كما قال السهيلى : خطباً كالحاً ، ورزءاً لأهل الإسلام فادحاً ، كادت تهد له الجبال ، وترجف الأرض ، وتكسف النيران ، لانقطاع خبر السماء مع ما آذن به موته صلى الله عليه وآله وسلم من إقبال الفتن السحم والحوادث الدهم والكرب المدلهمة ، فلولا ما أنزل الله من السكينة على المؤمنين ، وأسرج فى قلوبهم من نور اليقين ، وشرح صدورهم من فهم كتابه المبين ، لانقصمت الظهور وضاقت من الكرب الصدور ، ولعاقهم الجزع عن تدبير الأمور ، ولقد كان من قدم المدينة يومئذ من الناس إذا أشرفوا عليها سمعوا لأهلها ضجيجاً وللبكاء فى أرجائها عجيجاً ، وحق ذلك لهم ولمن بعدهم ، كما روى عن أبى ذؤيب الهذلى قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليل ، فاستشعرنا حزناً وبت بأطول ليلة لاينجاب ديجورها ولايطلع نورها ، فظللت أقاسى طولها ، حتى إذا كان قرب السحر أغفيت ، فهتف بن هاتف وهو يقول :

خطب أجل أناخ بالإسلام ... بين النخيل ومعقد الآطام

قبض النبي محمد فعيوننا ... تهمى الدموع عليه بالتسجام

قال : فوثبت من نومى فزعاً فنظرت إلى السماء فلم أر إلا سعد الذابح ، فتفاءلت به ذبحاً يقع فى العرب ، وعلمت أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد قبض ، فركبت ناقتى وسرت ، فقدمت المدينة ولأهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج ، فقلت : مه ، فقالوا : قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فجئت المسجد فوجدته خالياً ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوجدت بابه مرتجاً ، وقيل : هو مسجى قد خلا به أهله ، فقلت : أين الناس : فقيل : فى سقيفة بنى ساعدة ، فجئتهم ، فتكلم أبو بكر رضى الله عنه ، فلله دره من رجل لا يطيل الكلام ، ومد يده فبايعوه ، ورجع فرجعت معه فشهدت الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ودفنه . اه . اللهم

صل وسلم عليه وعلى صحبه وأهله وآله كلهم أجمعين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

هذا آخر الجزء الثالث من عون البارى بحل أدلة البخارى . وقد تم زبره على يد مؤلفه ، عفا الله عنه ما جناه ، واستعمله فيما يحبه ويرضاه ، بحمد الله تعالى وحسن توفيقه ، يوم الثلاثاء أواخر جمادى الآخرة من شهور سنة أربع وتسعين ومائتين وألف الهجرية . ويتلوه الجزء الرابع الذى عليه ختم الكتاب ، أوله « كتاب التفسير » . وآخر الجزء السادس من القسطلانى ، والخامس من فتح البارى . اهـ . منه .

كتاب تفسير القرآن

الحديث الأول

عَنْ أَبِى سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى قالَ : كُنْتُ أُصَلِّى فى المَسْجِدِ ، فَدَعانِى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَلَمْ أُجِبْهُ ، فَقُلْتُ : يارَسُولَ اللهِ إِنِّى كُنْتُ أُصَلِّى ، فَقَالَ : أَلَمْ يَقُلِ اللهُ : « اسْتَجِيبُوا لِلّٰهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعاكُمْ ؟ » . ثُمَّ قالَ لِى: لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِىَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فى الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِى ، فَلَمَّا أَرادَ أَنْ يَخْرُجَ قُلْتُ : أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِىَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فى الْقُرْآنِ ، قالَ : « الحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعالَمِينَ » ، هِىَ السَّبْعُ المَثانِى وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِى أُوتِيتُهُ .

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* (كتاب تفسير القرآن) *

تفعيل من الفسر وهو البيان ، تقول : فسرت الشىء أفسره بالتخفيف وبالتشديد ، إذا بينته ، وهل التفسير والتأويل بمعنى ، فقال أبو عبيدة وطائفة : هما بمعنى ، وقيل : التفسير بيـان المراد باللفظ ، والتأويل بيان المراد بالمعنى . وقال أبو العباس الأزدى : النظر فى القرآن من وجهين : الأول من حيث هو منقول ، وهى جملة التفسير وطريقه الرواية والنقل . والثانى : من حيث هو معقول ، وهى جملة التأويل وطريقه الدراية والعقل قال تعالى : « إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » . فلا بد من معرفة اللسان العربى فى فهم القرآن العربى ، فيعرف الطالب الكلمة وشرح لغتها وإعرابها ثم يتغلغل فى معرفة المعانى ظاهراً وباطناً فيوفى لكل منها حقه . انتهى . وقيل بالفرق بينهما غير ذلك . وقد بسطه الحافظ ابن حجر فى أواخر كتاب التوحيد من فتح البارى ، وغيره فى غيره .

(عن أبى سعيد بن المعلى) واسمه رافع ، وقيل الحارث ، وقواه ابن عبد البر ، ووهى الذى قبله أنه (قال : كنت أصلى فى المسجد فدعانى رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم فلم أجبه) وفى تفسير الأنفال من وجه آخر عن شعبة : فلم آته حتى صليت ثم أتيته . وفى رواية أبى هريرة : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أبىّ بن كعب وهو يصلى فقال : أى أُبىّ فالتفت فلم يجبه ، ثم صلى فخفف ، ثم انصرف فقال : سلام عليك يا رسول الله ، قال : ويحك ما منعك إذا دعوتك أن لا تجيبنى (فقلت : يا رسول الله إنى كنت أصلى ، فقال : ألم يقل الله « استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم » وفى حديث أبى هريرة : أو ليس تجد فيما أوحى الله إلىّ أن « استجيبوا لله وللرسول » الآية ، فقلت : بلى يا رسول الله ، لا أعود إن شاء الله . واستدل به على أن إجابته واجبة يعصى المرء بتركها ، وأنه حكم مختص به صلى الله عليه وآله وسلم . وبه قال القاضيان عبد الوهاب وأبو الوليد المالكيان ، وهو قول الشافعية على اختلاف عندهم بعد قولهم بوجوب الإجابة ، هل تبطل الصلاة أم لا ؟ وصرح جماعة منهم وغيرهم بعدم البطلان ، وهو مثل خطاب المصلى له بقوله : السلام عليك أيها النبى ، ومثله لا يبطل الصلاة . قال القسطلانى : وفيه بحث لاحتمال أن تكون إجابته واجبة ، سواء كانت المخاطبة فى الصلاة أم لا ، أما كونه يخرج بالإجابة من الصلاة أو لا يخرج فليس فى الحديث ما يستلزمه فيحتمل أن تجب الإجابة ولو خرج المجيب من الصلاة ، وإلى ذلك جنح بعض الشافعية (ثم قال لى) صلى الله عليه وآله وسلم (لأعلمنك سورة هى أعظم السور فى القرآن) لعظم قدرها بالخاصية التى لم يشاركها فيها غيرها من السور لاشتمالها على فوائد ومعان كثيرة مع وجازة ألفاظها ، واستخرج الفخر الرازى منها عشرة آلاف مسألة من علوم شتى ، وبسط القول فيها الحافظ الإمام العلامة محمد بن أبى بكر القيم رحمه الله فى « مدارج السالكين شرح منازل السائرين » فى مجلدين كبيرين ، وكذلك رسالة فى معانيها للشوكانى . والأحاديث والآثار الواردة فى فضل الفاتحة وما اشتملت عليه من الأسرار العظيمة وحوته من المزايا الجسيمة لا يمكن حصرها و ينكر أمرها ، ووجدت عن بعض علماء المحققين أنه قال : لسورة الفاتحة ألف خاصية باطنة وألف خاصية ظاهرة . انتهى . ومن ثم كان من أسمائها : الشافية والوافية

والكافية والرقية والمنة والكنز ، إلى غير ذلك ، وقد عد لها السيد العلامة محمد بن رسـول البرزنجى رحمه الله فى شرحه على تفسير الإمام البيضاوى أربعين اسماً ، وبين وجـه التسمية فى كل اسم منها ، شكر الله صنيعه . قال الزين الشرجى فى فوائده : وقد صنف جمـاعة من العلماء فى فضائلها كتباً ، وقد كنت جمعت من ذلك جزءاً فى منافعها وسميته « الطريق الواضحة إلى أسرار الفاتحة » فمن داوم على قراءتها رأى من ذلك العجب ، ونال ما يرجوه من كل أرب . انتهى . واستدل بحديث الباب على جواز تفضيل بعض القرآن على بعض ، وهو محكى عن أكثر العلماء كابن راهويه وابن العربى ، ومنع من ذلك الأشعرى والباقلانى وجماعة ، لأن المفضول ناقص عن درجة الأفضل ، وأسماء الله تعالى وصفاته وكلامه لا نقص فيها . وأُجيب بأن التفضيل إنما هو بمعنى أن ثواب بعضه أعظم من بعض ، فالتفضيل إنما هو من حيث المعانى لا من حيث الصفة . وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه عند الحاكم : أتحب أن أُعلمك سورة لم ينزل فى التوراة ولا فى الإنجيل ولافىالزبور ولا فى الفرقان مثلها . وعند أحمد والبيهقى فى شعبه بسند جيد عن عبد الله بن جابر والثعلبى عن أبى سليمان مرفوعاً : فاتحة الكتاب شفاء من كل داء . ورواه البيهقى أيضاً عن عبد الملك بن عمير مرسلا بسند رجاله ثقات . قال المناوى : أى من كل داء من أدواء الجهل وغيره . وروى القلعى فى فوائده من حديث جابر بن عبد الله الأنصارى قال : فاتحة الكتاب شفاء من كل شىء إلا السأم . والسأم : الموت . وروى سعيد بن منصور فى سننه والبيهقى وأبو نعيم والديلمى عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : فاتحة الكتاب شفاء من السم . ورواه أبو الشيخ فى الثواب عن أبى سعيد وأبى هريرة معاً ، وعن مكحول التابعى الجليل قال : أُم القرآن قراءة ومسألة ودعاء . وقال عطاء : إذا أردت حاجة فاقرأ فاتحة الكتاب حتى تختمها تقضى إن شاء الله تعالى . قال الحافظ ابن القيم رحمه الله : وإذا ثبت أن لبعض الكلام خواص ومنافع فما الظن بكلام رب العالمين ، ثم ما الظن بفاتحة الكتاب التى لم ينزل فى القرآن ولا فى غيره مثلها لتضمنها جميع معانى القرآن . ثم ذكر فى بيان تضمنها لذلك كلاماً طويلا . ثم قال : وحقيق بسورة هذا شأنها أن تشفى وأن يستشفى بها من كل داء . انتهى . إلى غير ذلك من فضائلها العظيمة . قال النووى : يستحب .

أن يقرأها على اللديغ والمريض وسائر أصحاب الأسقام والعاهات . انتهى . والله أعلم (قبل أن تخرج من المسجد ، ثم أخذ بيدى ، فلما أراد أن يخرج قلت له : ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة فى القرآن ، قال : « الحمد لله رب العالمين » هى السبع) لأنها سبع آيات كسورة الماعون لا ثالث لهما وقيل للفاتحة (المثانى) لأنها تثنى على مرور الأوقات ، أى تكرر فلا تنقطع ، وتدرس فلا تندرس ، وقيل : لأنها تثنى فى كل ركعة ، أى تعاد ، أو أنها يثنى بها على الله ، أو استثنيت لهذه الأمة لم تنزل على من قبلها ، وفى هذا تصريح بأن المراد بقوله تعالى : « ولقد آتيناك سبعاً من المثانى » هى الفاتحة ، وكذلك قوله فى الحديث : هى السبع المثانى . ولا اختلاف بين الصيغتين إذا جعلنا « من » للبيان . قال ابن التين : فيه دليل على أن « بسم الله الرحمن الرحيم » ليست آية من القرآن . كذا قال ، وعكس غيره ، لأنه أراد السورة . ويؤيده أنه لو أراد بقوله « الحمد لله رب العالمين » الآية ، لم يقل هى السبع المثانى ، لأن الآية الواحدة لا يقال لها سبع ، فدل على أنه أراد السورة و« الحمد لله رب العالمين » من أسمائها . وفيه قوة لتأويل الشافعى فى حديث أنس حيث قال : كانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين . قال الشافعى : أراد السورة . وتعقب بأن هذه السورة تسمى سورة الحمد ولا تسمى الحمد لله رب العالمين . وهذا الحديث يرد على هذا التعقب . وفيه أن الأمر يقتضى الفور ، لأنه عاتب الصحابى على تأخير إجابته . وفيه استعمال صيغة العموم فى الأحوال كلها . قال الخطابى : فيه أن حكم لفظ العموم أن يجرى على جميع مقتضاه ، وأن الخاص والعام إذا تقابلا كان العام منزلا على الخاص ، لأن الشارع حرم الكلام فى الصلاة على العموم ثم استثنى منه إجابة دعاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الصلاة . وفيه أن إجابة المصلى دعاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم لا تفسد الصلاة ، وهل يختص هذا الحكم بالنداء أو يشمل ما هو أعم حتى تجب إجابته إذا سأل ، فيه بحث . وقد جزم ابن حبان بأن إجابة الصحابة فى قصة ذى اليدين كان كذلك (والقرآن العظيم الذى أُوتيته) أى ما بعد الفاتحة أو من باب عطف العام على الخاص تنزيلا للتغاير فى الوصف منزلة التغاير فى الذات ، وبالأول قال فى الفتح : أى والقرآن العظيم هـو الذى أُوتيته زيادة على الفاتحة . وفيه دليل على أن الفاتحة سبع آيات ، لكن منهم من عد البسملة

دون « صراط الذين أنعمت عليهم » ومنهم من عكس كما تقدم . قال الطيبي : وعد التسمية أولى ، لأن « أنعمت » لا يناسب وزانه وزان فواصل السور . ولحديث ابن عباس : بسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة . ونقل عن حسين بن على الجعفى أنها ست آيات ، لأنه لم يعد البسملة . وعن عمر بن عبيد أنها ثمان ، لأنه عدها وعد أنعمت عليهم . ويستنبط من تفسير السبع المثانى بالفاتحة أن الفاتحة مكية ، وهو قول الجمهور خلافاً لمجاهد . ووجه الدلالة أنه سبحانه امتن على رسوله بها ، وسورة الحجر مكية اتفاقاً ، فيدل على تقدم نزول الفاتحة عليها . قال الحسين بن الفضل : هذه هفوة من مجاهد ، لأن العلماء على خلاف قوله ، وحكى القرطبى أن بعضهم زعم أنها نزلت مرتين . وفيه دليل على أن الفاتحة سبع آيات ، ونقلوا فيه الإجماع . وحديث الباب أخرجه أيضاً فى فضائل القرآن والتفسير ، وأبو داود فى الصلاة وكذا النسائى ، وفى التفسير أيضاً وفضائل القرآن ، وابن ماجه فى ثواب التسبيح .

الحديث الثانى

* قَوْلُهُ عزَّ وَجَلَّ : « فَلَا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ » .

عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : سَأَلْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم : أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ ؟ قالَ : أَنْ تَجْعَلَ لِلهِ نِدًّا وَهُــوَ خَلَقَكَ ، قُلْتُ : إِنَّ ذلِكَ لَعَظِيمٌ ، قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قالَ : وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ ، قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قالَ : أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جارِكَ .

(قوله عز وجل : « فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ») جمع ند بكسر النون ، وهو النظير . وعن أبى العالية قال : الند : العدل . وقال ابن عباس : الأنداد : الأشباه . والمعنى : إنكم من ذوى العلم والنظر وإصابة الرأى ، فلو تأملتم أدنى تأمل اضطر عقلكم إلى إثبات موجد للممكنات ، منفرد بوجود الذات ، متعال عن مشابهة المخلوقات .

(عن عبد الله) بن مسعود (رضى الله عنه قال : سألت النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم : أى الذنب أعظم عند الله ؟ قال : أن تجعل لله نداً) أى مثلا ونظيراً (وهو خلقك) وغيره لا يستطيع خلق شىء ، فوجود الخلق يدل على الخالق ، واستقامة الخلق تدل على توحيده ، ولو كان المدبر اثنين لم يكن على الاستقامة ، ولذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل :

أرباً واحـداً أم ألف ربّ أدين إذا انقسمت الأمــور

تركت اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الرجل البصير

(قلت : إن ذلك لعظيم ، قلت : ثم أى ؟ قال : وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك ، قلت : ثم أى ؟ قال : أن تزانى حليلة جارك) أى زوجته ، فإنه زناً وإبطال لما أوصى الله به من حفظ حقوق الجيران . وهذا الحديث أورده هنا أيضاً وفى التوحيد والأدب والمحاربين ، ومسلم فى الأيمان ، والنسائى فيه والرحم والمحاربة .

الحديث الثالث

* قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : « وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى » .
عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ .

(قوله عز وجل : « وظللنا عليكم الغمام ») سخر الله تعالى لهم السحاب يظلهم من الشمس ، أى حين كانوا فى التيه (« وأنزلنا عليكم المنّ والسلوى ») .

(عن سعيد بن زيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : الكمأة) شىء ينبت بنفسه من غير استنبات وتكلف مؤنة (من المنّ) قال مجاهد : المنّ : صمغة . وروى ابن أبى حاتم من طريق علىّ ابن طلحة عن ابن عباس قال : كان المنّ ينزل على الشجر فيأكلون منه ما شاءوا . ومن طريق عكرمة قال : كان مثل الرب الغليظ بضم الراء بعدها موحدة . ومن طريق السدىّ قال : مثل الترنجبين . ومن طريق سعيد بن بشير عن قتادة قال : كان المنّ يسقط عليهم سقوط الثلج أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل . وكل هذه الأقوال لا تنافى فيها . ومن طريق وهب بن منبه قال : المنّ : خبز الرقاق . وهذا مغاير لجميع ما تقدم . ووقع فى رواية ابن عيينة عن عبد الملك بن عمير فى حديث الباب من المنّ الذى أُنزل على بنى إسرائيل ، وبه تظهر مناسبة ذكره فى التفسير والرد على الخطابى حيث قال : لا وجه لإدخال هذا الحديث هنا ، لأنه ليس المراد فى الحديث أنه نوع من المنّ المنزل على بنى إسرائيل ، فإن ذلك شىء كان يسقط عليهم كالترنجبين ، وإنما المراد أنها شجرة تنبت بنفسها من غير استنبات ولا مؤنة . انتهى . وقد عرف وجه إدخاله هنا ، ولو كان المراد ما ذكره الخطابى ، والله أعلم . كذا فى الفتح (وماؤها شفاء للعين) إذا ربى بها الكحل والتوتيا وغيرهما مما يكتحل به ، أما إذا اكتحل بها مفردة فلا لأنها تؤذى العين ، قال النووى : الصواب أن مجرد مائها شفاء مطلقاً ، وإنما وصف الكمأة بذلك لأنها من الحلال الذى ليس فى اكتسابه شبهة .

الحديث الرابع

* قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : « وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ » .

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قالَ : قِيلَ لِبَنِى إِسْرَائِيلَ : ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ ، فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ فَبَدَّلُوا وَقالُوا : حِنْطَةٌ حَبَّةٌ فى شَعَرَةٍ .

(قوله عز وجل : « وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية ») أى بيت المقدس « فكلوا منها حيث شئتم رغداً » أى واسعاً كثيراً هنيئاً ، « وادخلوا » الباب – أى باب القرية – سجداً جمع ساجد ، أى متطامنين مخبتين أوساجدين لله شكراً على إخراجهم من التيه ، وقولوا حطة ، أى مسألتنا حطة ، أى حط عنا ذنوبنا حطة« نغفر لكم خطاياكم » ، أى بسجودكم ودعائكم ، وسنزيد المحسنين ثواباً .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم) أنه (قال : قيل لبنى إسرائيل) لما خرجوا من التيه بعد أربعين سنة مع يوشع بن نون وفتح الله عليهم بيت المقدس عشية جمعة وقد حبست لهم الشمس قليلا حتى أمكن الفتح (« ادخلوا الباب ») باب البلد (سجداً) شكراً لله تعالى على ما أنعم به عليهم من الفتح والنصر ، ورد بلدهم إليهم وإنقاذهم من التيه . وعن ابن عباس فيما رواه ابن جرير : سجداً ، قال ركعاً ، وعن بعضهم : المراد به الخضوع لتعذر حمله على الحقيقة (وقولوا حطة) قيل : أُمروا أن يقولوها على هذه الكيفية ، ومعناها اسم للهيئة من الحط كالجلسة . وعن ابن عباس فيما رواه ابن أبى حاتم قال: قيل لهم قولوا مغفرة (فدخلوا يزحفون على أستاههم) أى أوراكهم (فبدلوا) أى غيروا السجود بالزحف (وقالوا: حنطة) أو حطة كما قيل ، وزادوا على ذلك مستهزئين (حبة فى شعرة) وهذا كلام مهمل لا معنى له وحاصل الأمر أنهم أُمروا أن يخضعوا لله تعالى عند الفتح بالفعل والقول وأن يعترفوا بذنوبهم ، فخالفوا غاية المخالفة ، ولذا قال الله تعالى فى حقهم : « فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون » والمرادبالرجز الطاعون ، قيل : إنه مات به فى ساعة أربعة وعشرون ألفاً .

الحديث الخامس

* قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : « ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَـأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا » .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ : قالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَقْرَؤُنَا أُبَيٌّ ، وَأَقْضانَا عَلِيٌّ ، وَإِنَّا لَنَدَعُ مِنْ قَوْلِ أُبَيٍّ ، وَذَاكَ أَنَّ أُبَيًّا يَقُولُ : لَا أَدَعُ شَيْئاً سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، وَقَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : « ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا » .

(قوله عز وجــل : « ما ننسخ من آية أو ننسها ») النسخ لغة الإزالة أو النقل من غير إزالة ، ونسخ الآية : بيان انتهاء التعبد بتلاوتها أو الحكم المستفاد منها أو بهما جميعاً ، وقرى ننسها من الترك ، والأولى من التأخير (نأت بخير منها أو مثلها) استدل بهذه الآية على وقوع النسخ خلافاً لمن شذ فمنعه .

(عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال عمر رضى الله عنه : أقرأنا) لكتاب الله تعالى (أُبيّ) بن كعب (وأقضــانا علىّ) بن أبى طالب أى أعلمنا بالقضاء (وإنا لندع من قول أُبىّ) أى نترك (وذاك أن أُبياً يقول : لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) وفى رواية صدقة : أخذته من فى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لا أتركه لشىء ، لأنه لسماعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحصل له العــلم القطعى به ، فإذا أخبره غيره بخلافه لم ينتهض معارضاً له حتى يصل إلى درجة العلم القطعى ، وقد لا يحصل ذلك غالباً . قال القسطلانى : كان لا يقول بنسخ تلاوة شىء من القرآن لكونه لم يبلغه النسخ ، فرد عليه عمر بقوله (وقد قال الله تعالى : « ما ننسخ من آية أو ننساها) فإنه يدل على ثبوت النسخ فى البعض . وهذا الحديث موقوف ، وفيه ثلاثة من الصحابة فى نسق ابن عباس عن عمر عن أُبىّ ابن كعب ، وأخرجه الترمذى عن أنس مرفوعاً . وعند البغوى مرفوعاً أيضاً :

« أقضى أُمتى علىّ بن أبى طالب » . وعند عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرسلا : « أرحم أُمتى بأمتى أبو بكر وأقضاهم علىّ » الحديث . ورويناه موصـــولا فى فوائد أبى بكر محمد بن العباس بن نجيح من حديث أبى سعيد الخدرى مثله . ورواه البزار من حديث ابن مسعود قال : كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة علىّ بن أبى طالب .

الحديث السادس

* قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : « وَقالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلداً سُبْحَانَهُ » .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذلِكَ ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذلِكَ ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَزَعَمَ أَنِّي لَا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ لِي وَلَدٌ ، فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَداً .

(قوله عز وجل : « وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه ») نزلت رداً على النصارى لما قالوا : المسيح ابن الله ، واليهود لما قالوا : عزير ابن الله ، ومشركو العرب : الملائكة بنات الله .

(عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم) أنه (قال : قال الله تعالى : كذبنى ابن آدم) من التكذيب وهو نسبة المتكلم إلى أن خبره خلاف الواقع ، والمراد البعض من بنى آدم (ولم يكن له ذلك ، وشتمنى) من الشتم وهو توصيف الشخص بما فيه إزراء ونقص ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً (ولم يكن له ذلك) التكذيب والشتم (فأما تكذيبه إياى فزعم أنى لا أقدر أن أُعيده كما كان) وفى رواية الأعرج فى سورة الإخلاص : وليس أول الخلق أهون علىّ من إعادته (وأما شتمه إياى فقوله لى ولد) وإنما كان شتماً لما فيه من التنقيص ، لأن الولد إنما يكون عن والدة تحمله ثم تضعه ، ويستلزم ذلك سبق النكاح ، والناكح يستدعى باعثاً له على ذلك ، والله سبحانه منزه عن جميع ذلك (فسبحانى) أى تنزهت (أن أتخذ صاحبة أو ولداً) أى من اتخاذى الزوجة والولد لما كان البارى سبحانه وتعالى واجب الوجود لذاته قديماً موجوداً قبل وجود الأشياء ، وكان كل مولود محدثاً انتفت عنه الوالدية ولما كان لايشبهه أحد من خلقه ولا يجانسه حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتوالد ، انتفت عنه الولدية ، ومن هذا قوله تعالى : « أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة » .

الحديث السابع

* قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : « وَٱتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى » .

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : وَافَقْتُ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ فى ثَلَاثٍ ، أَوْ وَافَقَنِى رَبِّى فى ثَلَاثٍ ، قُلْتُ : يَا رَسُول اللهِ لَوِ اتَّخَذْتَ مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ، وَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ يَدْخُلُ عَلَيْكَ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ ، فَلَوْ أَمَرْتَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحِجَابِ ، فَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ الْحِجَابِ ، قالَ : وَبَلَغَنِى مُعَاتَبَةُ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم بَعْضَ نِسَائِهِ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِنَّ فَقُلْتُ : إِنِ ٱنْتَهَيْتُنَّ ، أَوْ لَيُبْدِلَنَّ اللهُ رَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم خَيْراً مِنْكُنَّ حَتَّى أَتَيْتُ إِحْدَى نِسَائِهِ ، قالَتْ : يَا عُمَرُ ، أَمَا فى رَسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم ما يَعِظُ نِسَاءَهُ حَتَّى تَعِظَهُنَّ أَنتَ ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلّ : « عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ » الآيَةَ .

(قوله عز وجل : « واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ») بالأمر وبصيغة الماضى ، أى اتخذ الناس مقامه الموسوم به ، يعنى الكعبة ، قبلة يصلون إليها .

(عن أنس قال : قال عمر) بن الخطاب (رضى الله عنه : وافقت الله) ربى (فى ثلاث) قضايا (أو وافقنى ربى فى ثلاث) بالشك ، وذكر الثلاث لا يقتضى نفى غيرها ، فقد روى عنه موافقات بلغت خمسة عشر كقصة الأسارى ، وللسيوطى رسالة مستقلة فى ذلك (قلت : يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى) بين يدى القبلة يقوم الإمام عنده ، قال ابن الجوزى : ولم تزل آثار قدمى إبراهيم ظاهرة فى المقام معروفة عند أهل الحرم . وفى موطإ ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن أنس قال : رأيت المقام فيه أصابع إبراهيم وأخمص قدميه ، غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم . وأخرج الطبرى فى تفسيره من طريق سعيد بن أبى عروبة عن قتادة فى هذه الآية قال : إنما أمروا أن يصلوا ولم يؤمروا بمسحه . قال : ولقد ذكر لنا من رأى أثر عقبه

وأصابعه فيها ، فما زالوا يمسحونه حتى اخلولق وانمحى . وفى الفتح : كان المقام من عهد إبراهيم لزق البيت إلى أن أخره عمر رضى الله عنه إلى المكان الذى هو فيه الآن . أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه بسند صحيح عن عطاء وغيره ، وعن مجاهد أيضاً ، وأخرج البيهقى عن عائشة مثله بسند قوى ولفظه : إن المقام كان فى زمن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وفى زمن أبى بكر ملتصقاً بالبيت ثم أخره عمر . وأخرج ابن مردويه بسند ضعيف عن مجاهد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذى حوله ، والأول أصح . وقد أخرج ابن أبى حاتم بسند صحيح عن ابن عيينة قال : كان المقام فى سفع البيت فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فحوله عمر ، فجاء سيل فذهب به ، فرده عمر إليه . قال سفيان : لا أدرى أكان لاصقاً بالبيت أم لا ، ولم ينكر الصحابة فعل عمر ولا من جاء بعدهم ، فصار جماعاً ، وكأن عمر رأى أن إبقاءه يلزم منه التضييق على الطائفين أو على المصلين ، فوضعه فى مكان يرتفع به ذلك الحرج ، وتهيأ له ذلك ، لأنه الذى كان أشار باتخاذه مصلى ، وأول من عمل عليه المقصورة الموجودة الآن (وقلت : يارسول الله يدخل عليك) أى فى حجر أمهات المؤمنين (البر والفاجر) أى الفاسق وهو مقابل البر (فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب ، فأنزل الله آية الحجاب) وهو واجب فى حقهن ، مستحب لغيرهنّ من نساء الأمة كما حققنا ذلك فى كتابنا هداية السائل إلى أدلة المسائل (قال) أى عمر (وبلغنى معاتبة النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم بعض نسائه) حفصة وعائشة (فدخلت عليهنّ فقلت : إن انتهيتن أو ليبدلنّ الله رسوله صلى الله عليه) وآله (وسلم خيراً منكنّ ، حتى أتيت إحدى نسائه قالت : ياعمر أما فى رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ما يعظ نساءه حتى تعظهنّ أنت؟) والقائلة هذا هى أم سلمة كما فى سورة التحريم بلفظ : فقالت أم سلمة : عجباً لك يا ابن الخطاب ، دخلت فى كل شىء حتى تبتغى أن تدخل بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأزواجه . وقال الخطيب : هى زينب بنت جحش . وتبعه النووى (فأنزل الله : « عسى ربه إن طلقكنّ أن يبدله أزواجاً خيراً منكنّ مسلمات » الآية) وهذا الحديث فى باب ماجاء فى القبلة من الصلاة .

الحديث الثامن

* قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : « قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَما أُنْزِلَ إِلَيْنَا » الآيَةَ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَأُونَ التَّوْرَاةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ ، وَقُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَما أُنْزِلَ إِلَيْنَا ... » الآيَةَ .

(قوله عز وجل : « قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا » الآية) .

(عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : كان أهل الكتاب) اليهود (يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم) يعنى إذا كان ما يخبرونكم به محتملا لئلا يكون فى نفس الأمر صدقاً فتكذبوه أو كذباً فتصدقوه فتقعوا فى الحرج (« وقولوا : آمنا بالله وما أُنزل إلينا » الآية) . قال فى الفتح : ولم يرد النهى عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه ، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه : نبه على ذلك الشافعى . ويؤخذ من هذا الحديث التوقف عن الخوض فى المشكلات والجزم فيما بما يقع فى الظن ، وعلى هذا يحمل ما جاء عن السلف من ذلك .

الحديث التاسع

* قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : « وَكَذلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ » الآيَةَ .

عَنْ أَبى سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : يُدْعى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يارَبِّ ، فَيَقُولُ : هَلْ بَلَّغْتَ ؟ فَيقُولُ : نَعَمْ ، فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ : هَلْ بَلَّغَكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : ما أَتَانا مِنْ نَذِيرٍ ، فَيَقُولُ : مَنْ يَشْهَدُ لَكَ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ ، فَيَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً . فَذلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَكَذلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ » .

(قوله عز وجل : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) أى خياراً أو عدولا ، وجعل بمعنى صير ، والوسط بالتحريك : اسم لما بين الطرفين ، ويطلق على خيار الشيء ، وقيل : كل ما صلح فيه لفظ بين يقال بالسكون وإلا فبالتحريك تقول : جلست وسط القوم بالتحريك ، وقيل : المفتوح فى الأصل مصدر والساكن ظرف (« لتكونوا شهداء على الناس ») يوم القيامة (الآية) أى « ويكون الرسول عليكم شهيداً » .

(عن أبى سعيد) سعد بن مالك بن سنان (الخدرى رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : يدعى نوح يوم القيامة فيقول : لبيك وسعديك يا رب ، فيقول : هل بلغت ؟ فيقول : نعم ، فيقال لأمته : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير ، فيقول : من يشهد لك ؟ فيقول) يشهد لى (محمد وأمته ، فيشهدون له أنه قد بلغ) زاد أبو معاوية عن الأعمش عند النسائى : فقال : وما علمكم ؟ فيقولون : أخبرنا نبينا أن الرسل قد بلغوا ، فصدقناه (« ويكون الرسول عليكم شهيداً » ، فذلك قوله جل ذكره : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ») وهذا الحديث رواه أيضاً فى كتاب الأنبياء . وأخرج ابن أبى حاتم بسند

جيد عن أبى العالية عن أُبىّ بن كعب فى هذه الآية قال : « لتكونوا شهداء على الناس يوم القيامة » ، قال : كانوا شهداء على قـوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم شعيب وغيرهم أن رسلهم بلغتهم وأنهم كذبوا رسلهم . ومن حديث جابر عن النبى صلى الله عليه وآله وسـلم : ما من رجل من الأمم إلا وودّ أنه منا ، أيتها الأمة ما من نبى كذبه قومه إلا ونحن شهداؤه يوم القيامة أن قد بلغ رسالة الله ونصح لهم .

الحديث العاشر

* قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : « فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الحَجِّ » .

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالَتْ : كَانَتْ قُرَيْشٌ وَمَنْ دَانَ دِينَهَا يَقِفُونَ بِالْمُزْدَلِفَةِ ، وَكَانُوا يُسَمَّوْنَ الحُمْسَ ، وَكانَ سَائِرُ الْعَرَبِ يَقِفُونَ بِعَرَفاتٍ ، فَلَمَّا جاءَ الْإِسْلَامُ أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَأْتِيَ عَرَفَاتٍ ثُمَّ يَقِفَ بِهَا ، ثُمَّ يُفِيضَ مِنْهَا .

(قوله عز وجل : « فمن تمتع بالعمرة إلى الحج ») شامل لمن أحرم بهما أو أحرم بالعمرة أولا ، فلما فرغ من العمرة أحرم بالحج ، وهذا هو التمتع الخاص ، وهو المعروف فى كلام الفقهاء ، والتمتع العام يشمل القسمين .

(عن عائشة رضى الله عنها قالت : كانت قريش ومن دان دينها) وهم بنو عامر بن صعصعة وثقيف وخزاعة فيما قاله الخطابى (يقفون بالمزدلفة) ولا يخرجون من الحرم إذا وقفوا ويقولون : نحن أهل الله فلا نخرج من حرم الله (وكانوا يسمون الحمس) بضم الحاء وسكون الميم : جمع أحمس وهو الشديد الصلب ، وسموا بذلك لتصلبهم فيما كانوا عليه (وكان سـائر العرب) أى باقيهم (يقفون بعرفات ، فلما جاء الإسلام أمر الله) عز وجل (نبيه صلى الله عليه) وآله (وسلم أن يأتى عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منهـا) فذلك قوله تعالى : « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس » سـائر العرب غير قريش ومن دان دينهم ، وقيل : المراد بالناس إبراهيم ، وقيل آدم عليهما السلام . والمعنى : أن الإفاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه . وهذا الحديث رواه أيضاً فى الحج .

الحديث الحادى عشر

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فى الدُّنْيَا حَسَنَةً » الآيَةَ .

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : اللَّهُمَّ « رَبَّنَا آتِنَا فى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفى الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » .

(قوله تعالى: « ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة » الآية) أى « وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار » .

(عن أنس رضى الله عنه قال : كان النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم يقول : اللهم « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ») اختلف قول المفسرين فى معنى الحسنتين كما ذكرنا ذلك فى تفسير فتح البيان قال ابن كثير : جمعت هذه الدعوة كل خير فى الدنيا وصرفت كل شر ، فإن الحسنة فى الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوى من عافية ورزق واسع وعلم نافع وعمل صالح ، إلى غير ذلك . وأما الحسنة فى الآخرة فأعلى ذلك دخول الجنة وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر فى العرصات وتيسير الحساب وغير ذلك ، وأما النجاة من النار فهو يقتضى تيسير أسبابه فى الدنيا من اجتناب المحارم والآثام وترك الشبهات . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى الدعوات ، وأبو داود فى الصلاة .

الحديث الثانى عشر

* قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : « لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً » .

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِى تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ وَلَا اللُّقْمَةُ وَلَا اللُّقْمَتَانِ ، إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الَّذِى يَتَعَفَّفُ ، وَٱقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ ، يَعْنِى قَوْلَهُ تَعَالَى : « لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً » .

(قوله عز وجل : « لا يسألون الناس إلحافاً ») أى إلحاحاً . قاله أبو عبيدة ، يقال : ألحف علىّ وألح علىّ وأحفانى بالمسألة ، أى بالغ فيها كل بمعنى واحد ، والمفهوم أنهم يسألون لكن لا بالإلحاف ، ويجوز أن يراد أنهم لا يسألون ولا يلحفون . قال الإمام الشوكانى فى تفسيره : معناه أنهم لا يسألون ألبتة ، لا سؤال إلحاح ولا غير إلحاح . وبه قال الطبرى والزجاج . وإليه ذهب جمهور المفسرين ، ووجهه أن التعفف صفة ثابتة لهم لا تفارقهم ، ومجرد السؤال ينافيها . وقيل : المراد أنهم إذا سألوا سألوا بتلطف ولا يلحفون فى سؤالهم ، وهذا وإن كان هو الظاهر من توجه النفى إلى القيد دون المقيد ، لكن صفة التعفف تنافيه ، وأيضاً كون الجاهل بهم يحسبهم أغنياء لا يكون إلا مع عدم السؤال ألبتة . انتهى .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : ليس المسكين) الكامل فى المسكنة (الذى ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة ولا اللقمتان) عند دورانه على الناس للسؤال ، لأنه قادر على تحصيل قوته ، وقد تأتيه الزيادة عليه فتزول حاجته ويسقط اسم المسكنة (إنما المسكين) الكامل (الذى يتعفف) عن المسألة فيحسبه الجاهل غنياً (واقرأوا إن شئتم ، يعنى قوله تعالى : « لا يسألون الناس إلحافاً ») وقائل يعنى هو شيخ البخارى سعيد بن أبى مريم كما وقع مبيناً عند الإسماعيلى . وهذا

الحديث رواه أيضاً فى كتاب الزكاة ، وروى أحمد وأبو داود والنسائى وصححه ابن خزيمة وابن حبان من طريق عبدالرحمن بن أبى سعيدعن أبيه مرفوعاً : من سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف . وفى رواية ابن خزيمة : فهو ملحف . والأوقية : أربعون درهماً ، ولأحمد من حديث عطاء بن يسارعن رجل من بنى أسد رفعه : من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافاً . ولأحمد والنسائى من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رفعه : من سأل وله أربعون درهماً فهو ملحف .

الحديث الثالث عشر

* قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : « مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ » الآيَةَ .

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالَتْ : تَلَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم هذِهِ الآيَةَ : « هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ » إِلَى قَوْلِهِ : « وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الْأَلْبَابِ » . قالَتْ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ما تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ : فَاحْذَرُوهُمْ .

(قوله عز وجل : « منه آيات محكمات » الآية) .

(عن عائشة رضى الله عنها قالت : تلا رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم هذه الآية : « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب) قال الزمخشرى : أى أصل الكتاب تحمل المشتبهات عليها . قال الطيبى : وذلك أن العرب تسمى كل جامع يكون مرجعاً لشىء أماً . قال البيضاوى : والقياس أمهات الكتاب ، وأفرد على أن لكل بمنزلة آية واحدة أو على تأويل كل واحدة (وأخر متشابهات) قال أبو البقاء : أصل المتشابه أن يكون بين اثنين ، فإذا اجتمعت الأشياء المتشابهة فكان كلّ منها مشابهاً للآخر فصح وصفها بأنها متشابهة ، وليس المراد بأن الآية وحدها متشابهة فى نفسها . وحاصله أنه ليس من شرط صحة الوصف فى الجمع صحـــة انبساط مفردات الأوصاف على مفردات الموصوفات وإن كان الأصل ذلك (إلى قوله) « فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا » (« وما يذكر إلا أولوا الألباب » قالت) عائشة (قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله : فاحذروهم) المراد التحذير من الإصغاء إلى الذين يتبعون المتشابه من القرآن ، وأول ما ظهر ذلك من اليهود كما ذكره ابن إسحق فى تأويلهم الحروف المقطعة وأن عددها بالجمل مقدار هذه الأمة ، ثم أول ما ظهر فى الإسلام من

الخوارج حتى جاء عن ابن عباس أنه فسر بهم الآية . وقصة عمر فى إنكاره على صبيغ لما بلغه أنه يتبع المتشابه فضربه على رأسه حتى أدماه . أخرجها الدرامى وغيره . وقال الخطابى : المتشابه على ضربين : أحدهما ما إذا رد إلى المحكم واعتبر به عرف معناه ، والآخر مالا سبيل إلى الوقوف على حقيقته وهو الذى يتبعه أهل الزيغ فيطلبون تأويله ولا يبلغون كنهه فيرتابون فيه فيفتنون . انتهى . قلت : الأول كآيات الصفات وأحاديثها مع آيات المعية والقرب . والثانى كالحروف المقطعة وما ضاهاها ، فترد الأول إلى المحكم والثانى يتبعه أهل التأويل ولا يهتدون إلى الحقيقة المرادة سبيلا . قال الطبرى: قيل : إن هذه الآية نزلت فى أمر عيسى ، وقيل : فى أمر هذه الأمة ، والثانى أولى ، لأن أمر عيسى قد بينه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، فهو معلوم لأمته بخلاف أمر هـــذه الأمة ، فإن أمره خفى عن العباد . وقال غيره : المحكم من القرآن : ما وضح معناه ، والمتشابه نقيضه ، وسمى المحكم بذلك لوضوح مفردات كلامه وإتقان تركيبها بخلاف المتشابه . وقيل : المحكم : ما عرف المراد منه إما بالظهور وإما بالتأويل ، والمتشابه : ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة وخروج الدجال والحروف المقطعة فى أوائل السور . وقيل فى تفسير المحكم والمتشابه أقوال أخر غير هذا نحو العشرة ليس هذا موضع بسطها ، وما ذكرته أشهرها وأقربها إلى الصواب . وذكر الأستاذ أبو منصور البغدادى أن الأخير هو الصحيح عندنا ، وابن السمعانى أنه أحسن الأقوال ، والمختار على طريقة أهل السنة . وعلى القول الأول جرى المتأخرون ، والله أعلم ، وقال الطيبي : المراد بالمحكم ما اتضح معناه والمتشابه بخلافه ، لأن اللفظ الذى يقبل معنى إما أن يحتمل غيره أولا ، والثانى إما أن يكون مساويه أولا ، والأول هو المجمل والثانى المؤول ، فالمشترك بين النص والظاهر هو المحكم ، والمشترك بين المجمل والمؤول هو المتشابه . ويؤيد هذا التفسير أنه سبحانه وتعالى أوقع المحكم موافقاً للمتشابه ، فالواجب أن يفسر المحكم بما يقابله ، ويعضد ذلك أسلوب الآية ، وهو الجمع مع التقسيم ، لأنه تعالى فرق ما جمع فى معنى الكتاب بأن قال : « منه آيات محكمات وأخر متشابهات » أراد أن يضيف إلى كل منهما ما شـــاء منهما من المحكم ، فقال أولا : فأما الذين فى قلوبهم استقامة فيتبعون المحكم ، لكن وضع موضع ذلك

الراسخون فى العلم الإتيان لفظ الرسوخ ، لأنه لا يحصل إلا بعد التتبع التام والاجتهاد البليغ ، فإذا استقام القلب على طريق الرشاد ورسخ القدم فى العلم أفصح صاحبه النطق بالقول الحق ، وكفى بدعاء الراسخين فى العلم : « ربنا لا تزغ قلوبنا » إلى آخره ، شاهداً على أن الراسخين فى العلم مقابل لقوله : « الذين فى قلوبهم زيغ » وفيه إشارة إلى أن الوقف على قوله « إلا الله » تام ، وإلى أن علم بعض المتشابه مختص بالله تعالى ، وأن من حاول معرفته هو الذى أشار إليه فى الحديث بقوله « فاحذروهم » . وحديث الباب أخرجه مسلم فى القدر ، وأبو داود فى السنة ، والترمذى فى التفسير .

الحديث الرابع عشر

* قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : « إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً » .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ اخْتَصَمَ إِلَيْهِ امْرَأَتَانِ كَانَتَا تَخْرِزَانِ فِى بَيْتٍ ، فَخَرَجَتْ إِحْدَاهُمَا وَقَدْ أُنْفِذَ بِأَشْفاً فِى كَفِّهَا ، فَادَّعَتْ عَلَى الْأُخْرَى ، فَرُفِعَ أَمْرُهُمَا إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ ، لَذَهَبَ دِمَاءُ قَوْمٍ وَأَمْوَالُهُمْ . ذَكِّرُوهَا بِاللهِ وَاقْرَأُوا عَلَيْهَا : « إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً » . فَذَكَّرُوهَا فَاعْتَرَفَتْ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : الْيَمِينُ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ .

(قوله عز وجل : « إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا) أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم » .

(عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه اختصم إليه امرأتان) قال القسطلانى : لم يعرف الحافظ ابن حجر اسمهما . انتهى . وفى الفتح : سيأتى تسميتهما فى كتاب الأيمان والنذور مع شرح الحديث . انتهى (كانتا تخرزان) من خرز الخف ونحوه ، يخرزه بضم الراء وكسرها (فى بيت أو فى الحجرة) أى الموضع المنفرد من الدار . قال الحافظ : كذا للأكثر بعطف الواو ، وللأصيلى وحده : فى بيت أو فى الحجرة بأو ، والأول هو الصواب ، وسبب الخطأ فى رواية الأصيل أن فى السياق حذفاً بينه ابن السكن فى روايته حيث جاء فيها : فى بيت وفى الحجرة حداث ، فالواو عاطفة أو الجملة حالية ، لكن المبتدأ محذوف ، وحداث بضم المهملة والتشديد وآخره مثلثة : أى ناس يتحدثون ، وحاصله أن المرأتين كانتا فى البيت وكان فى الحجرة المجاورة للبيت ناس يتحدثون ، فسقط المبتدأ من الرواية فصار مشكلا ، فعدل الراوى

عن الواو إلى أو التى للترديد ، فراراً من استحالة كون المرأتين فى البيت وفى الحجرة معاً ، على أن دعوى الاستحالة مردودة بأن لها وجهاً ، ويكون من عطف الخاص على العام ، لأن الحجرة أخص من البيت ، لكن رواية ابن السكن أفصحت عن المراد فأغنت عن التقدير ، وكذا ثبت مثله فى رواية الإسماعيلى . انتهى . وتعقبه العينى بأن كون أو للشك مشهور فى كلام العرب وليس فيه مانع هنا وبأن كون أو للعطف غير مسلم لفساد المعنى ، وبأنه لا دلالة هنا على حذف المبتدأ وكون الحجرة كانت مجاورة للبيت ، فيه نظر إذ يجوز أن تكون داخلة فيه ، وحينئذ فلا استحالة فى أن تكون المرأتان فيهما معاً . انتهى . فليتأمل ما فى الكلامين مع ما فى رواية ابن السكن من الزيادة المشار إليها الدافعة للإشكال ، والروايات يفسر بعضها بعضاً ، والعجب من الاعتراض بما لا يسمن ولا يغنى من جوع ، والله أعلم (فخرجت إحداهما) أى إحـدى المرأتين من البيت أو الحجرة (وقد) للتحقيق (أُنفذ) بضم الهمزة وسكون النون (بإشفى) بكسر الهمزة والفاء المنونة وبترك التنوين : آلة الخرز للإسكاف (فى كفها فادعت على الأخرى) أنها أنفذت الإشفى فى كفها (فرفع) أمرهما (إلى ابن عباس) رضى الله عنهما (فقال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : لو يعطى الناس بدعواهم) أى بمجرد إخبارهم عن لزوم حق لهم على آخرين عند حاكم (لذهب دماء قوم وأموالهم) ولا يتمكن المدعى عليه من صون دمـــه وماله . ووجه الملازمة فى هذا القياس الشرطى أن الدعوى بمجردها إذا قبلت فلا فرق فيها بين الدماء والأموال وغيرهما وبطلان اللازم ظاهر لأنه ظلم . ثم قال ابن عباس (ذكروها بالله) أى خوفوا المرأة الأخرى المدعى عليها من اليمين الفاجرة وما فيها من الاستحقاق (واقرأوا عليها) قوله تعالى : (إن الذين يشترون بعهد الله) الآية (فذكروها فاعترفت) بأنها أنفذت الإشفى فى كف صاحبتها (فقال ابن عباس : قال النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم : اليمين على المدعىٰ عليه) أى إذا لم تكن بينة لدفع ما ادعى به عليه . وعند البيهقى بإسناد جيد : لو يعطى الناس بدعواهم لادعى قوم دماء قوم وأموالهم ، ولكن البينة على المدعى واليمين على من أنكر . قال القسطلانى : نعم قد تجعل اليمين فى جانب المدعى فى مواضع تستثنى لدليل كالقسامة ، كما وقع التصريح باستثنائها فى حديث عمرو

ابن سعيد عن أبيه عن جـده عند الدارقطني والبيهقي . انتهى . قال في الفتح : إنما أورد هذا الحديث هنا لقول ابن عباس : اقرأوا عليها فإن فيها إشارة إلى العمل بما دل عليه عموم الآية لا خصوص سبب نزولها . وفيه أن الذي يتوجه عليه اليمين يوعظ بهذه الآية ونحوها . انتهى . وهذا الحديث رواه أيضاً في الرهن والشركة مختصراً ، وقد أخرجه بقية الجماعة ، وفيه فتاوى الشوكاني المسماة بالفتح الرباني بحث جيد محقق في معنى حديث الباب ، فراجعه يتضح لك الخطأ من الصواب ، ولا يتسع المقام لذكره هنا .

الحديث الخامس عشر

* قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : « إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ » الآيَةَ .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ : حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ حِينَ أُلْقِيَ فى النَّارِ . وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم حِينَ قَالُوا : « إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » .

(قوله عز وجل : « إن الناس قد جمعوا لكم » الآية) .

(عن ابن عباس رضى الله عنهما) أنه (قال) فى قوله تعالى : (« حسبنا الله ونعم الوكيل » قالها إبراهيم) الخليل (عليه السلام حين ألقى فى النار) وفى الرواية الأخرى أن ذلك آخر ما قال ، وكذا وقع فى رواية الحاكم ، ووقع عند النسائى من طريق يحيى بن بكير عن أبى بكر كذلك . وعند أبى نعيم فى المستخرج من طريق عبيد الله بن موسى عن إسرائيل بهذا الإسناد أنها أول ما قال . قال الحافظ : فالله أعلم ، ويمكن أن يكون أول شىء قال وآخر شىء قال . انتهى . وفى حديث أبى هريرة عند ابن مردويه مرفوعاً : إذا وقعتم فى الأمر العظيم فقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل (وقالها محمد صلى الله عليه) وآله (وسلم حين قالوا) له صلى الله عليه وآله وسلم (إن الناس) أبا سفيان وأصحابه ، وقال الحافظ : أبو ذر هو عروة بن مسعود الثقفى (قد جمعوا لكم) يقصدون غزوكم ، وكان أبو سفيان نادى عند انصرافه من أُحد : يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل إن شئت ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : إن شاء الله ، فلما كان القابل خرج فى أهل مكة حتى نزل مر الظهران ، فأنزل الله الرعب فى قلبه وبدا له أن يرجع ، فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة ، فشرط لهم حمل بعير من زبيب إن ثبطوا المسلمين . وقيل : لقى نعيم بن مسعود وقد قدم معتمراً فسأله ذلك والتزم له عشراً من الإبل ، فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم : إن أتوكم فى دياركم فلم يفلت أحد منكم إلا شريد ، أفترون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم (فاخشوهم) ولا تخرجوا إليهم (فزادهم) أى القول (إيماناً) فلم يلتفتوا إليه ولم يضعفوا ، بل ثبت يقينهم بالله وأخلصوا النية فى الجهاد ، وفى ذلك دليل على أن الإيمان يزيد وينقص (وقالوا : حسبنا الله) أى كافينا (ونعم الوكيل) ونعم الموكول إليه . وهذا الحديث أخرجه النسائى فى التفسير .

الحديث السادس عشر

* قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : « وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنَ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً » .

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ عَلَى قَطِيفَةٍ فَدَكِيَّةٍ ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَرَاءَهُ يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فِى بَنِى الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَىٍّ بْنُ سَلُولَ ، وَذلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عَبْدُ اللهِ ابْنُ أُبَىٍّ ، فَإِذَا فِى المَجْلِسِ أَخْلَاطٌ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَالْيَهُودِ وَالمُسْلِمِينَ ، وَفِى المَجْلِسِ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، فَلَمَّا غَشِيَتِ المَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ خَمَّرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَىٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ ، ثُمَّ قالَ : لَا تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا ، فَسَلَّمَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ فَدَعاهُمْ إِلَى اللهِ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ . فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَىٍّ بْنُ سَلُولَ : أَيُّهَا المَرْءُ إِنَّهُ لَا أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ ، إِنْ كَانَ حَقًّا فَلَا تُؤْذِنَا بِهِ فِى مَجَالِسِنَا ، ارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ ، فَمَنْ جاءَكَ فَاقْصُصْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ ، فَاغْشَنَا بِهِ فِى مَجَالِسِنَا ، فَإِنَّا نُحِبُّ ذلِكَ ، فَاسْتَبَّ المُسْلِمُونَ وَالمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ حَتَّى كادُوا يَتَثَاوَرُونَ ، فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَنُوا ، ثُمَّ رَكِبَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم دَابَّتَهُ ، فَسَارَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : يَا سَعْدُ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ — يُرِيدُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَىٍّ — قالَ كذَا وَكَذَا ، قالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ : يَا رَسُولَ اللهِ اعْفُ عَنْهُ وَاصْفَحْ عَنْهُ ، فَوَالَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَقَدْ جاءَ اللهُ بِالْحَقِّ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ ، وَلَقَدِ اصْطَلَحَ أَهْلُ هذِهِ الْبُحَيْرَةِ عَلَى أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُونَهُ بِالْعِصَابَةِ ، فَلَمَّا أَبَى اللهُ ذلِكَ

بِالحَقِّ الَّذِى أَعْطَاكَ اللهُ شَرِقَ بِذلِكَ ، فَذلِكَ فَعَلَ بِهِ ما رَأَيْتَ ، فَعَفَا عَنْهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، وَكانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابُهُ يَعْفُونَ عَنِ المُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ كما أَمَرَهُمُ اللهُ تَعَالَى ، وَيَصْبِرُونَ عَلَى الْأَذى حَتَّى أَذِنَ اللهُ فِيهِمْ ، فَلمَّا غَزَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَدْراً ، فَقَتَلَ اللهُ بِهِ صَنَادِيدَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ ، قالَ ابْنُ أُبَيٍّ بْنُ سَلُولَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المُشْرِكِينَ وَعَبَدَةِ الأَوْثَانِ : هذَا أَمْرٌ قَدْ تَوَجَّهَ ، فَبَايَعُوا الرَّسُولَ صلى الله عليه وسلم عَلَى الإِسْلَامِ فَأَسْلَمُوا .

(قوله عز وجل : « ولتسمعنّ من الذين أُوتوا الكتاب من قبلكم) يعنى اليهود (ومن الذين أشركوا أذى كثيراً) باللسان والفعل : من هجاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، والطعن فى الدين ، وإغراء الكفرة على المسلمين ، أخبره تعالى بذلك عند مقدمه المدينة قبل وقعة بدر ، مسلياً له عما يناله من الأذى .

(عن أُسامة بن زيد رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ركب على حمار على قطيفة) كساء غليظ (فدكية) منسوبة إلى فدك : بلد مشهور على مرحلتين من المدينة (وأردف أُسامة بن زيد وراءه) حال كونه (يعود سعد بن عبادة) الأنصارى أحد النقباء (فى) منازل (بنى الحارث ابن الخزرج) وهم قوم سعد (قبل وقعة بدر) وفيه عيادة الكبير بعض أتباعه فى داره (حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أُبى بن سلول ، وذلك قبل أن يسلم) أى يظهر الإسلام (عبد الله بن أبى) ولم يسلم قط (فإذا فى المجلس أخلاط) أنواع (من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود والمسلمين) بذكر المسلمين أولا وآخراً ، والأولى حذف أحدهما ، وسقطت الثانية من رواية مسلم (وفى المجلس عبد الله بن رواحة) بن ثعلبة بن امرىء القيس الخزرجى الأنصارى الشاعر أحد السابقين ، شهد بدراً واستشهد بمؤتة ، وكان ثالث الأمراء بها فى جمادى الأولى سنة ثمان (فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة) أى غبارها (خمر عبد الله بن أُبى أنفه) وجهه (بردائه ثم قال :

لا تغبروا) بالموحدة (علينا ، فسلم رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم عليهم) ناوياً المسلمين ، أو قال : السلام على من اتبع الهدى (ثم وقف فنزل) عن الدابة (فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن ، فقال عبد الله بن أُبيّ بن سلول) للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (أيها المرء إنه لا) شيء (أحسن مما تقول إن كان حقاً) شرط قدم جزاؤه (فلا تؤذينا به في مجلسنا ، ارجع إلى رحلك) أي منزلك (فمن جاءك فاقصص عليه ، فقال عبد الله بن رواحة : بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا فإنا نحب ذلك ، فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون) أي قاربوا أن يثب بعضهم على بعض فيقتتلوا ، يقال : ثار إذا قام بسرعة وانزعاج (فلم يزل النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم يخفضهم) أي يسكتهم (حتى سكنوا) من السكون أو من السكوت (ثم ركب النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة ، فقال له النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم : يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب؟) بضم الحاء (يريد عبد الله بن أُبي ، قال كذا وكذا . قال سعد بن عبادة : يارسول الله اعف عنه واصفح عنه فو) الله (الذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أُنزل عليك ، لقد اصطلح أهل هذه البحيرة) مصغراً ، أي البليدة ، والمراد المدينة النبوية (على أن يتوجوه) بتاج الملك (فيعصبونه بالعصابة) أي فيعممونه بعمامة الملوك . وقال في الكواكب : أي يجعلونه رئيساً لهم ويسودونه عليهم ، وكان الرئيس معصباً لما يعصب برأيه من الأمر ، وقيل : كان الرؤساء يعصبون رءوسهم بعصابة يعرفون بها (فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرق بذلك) الحق الذي أعطاك الله . وشرق : معناه غص به ، وهو كناية عن الحسد ، يقال : غص بالعظام وشجي بالعظم وشرق بالماء إذا اعترض شيء من ذلك في الحلق فمنع الإساغة (فذلك) الحق الذي أتيت به (فعل به ما رأيت) من فعله وقوله القبيح (فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ، وكان النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ، ويصبرون على الأذى حتى أذن الله فيهم) أي في قتالهم ، فترك العفو عنهم ، أي بالنسبة للقتال ، وإلا فكم عفا عن كثير من اليهود والمشركين بالمن والفداء وغير ذلك (فلما غزا رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم

فقتل الله به صناديد) جمع صديد وهو الكبير فى قومه (كفار قريش ، قال ابن أُبى بن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان : هذا أمر قد توجه) أى ظهر وجهه (فبايعوا الرسول صلى الله عليه) وآله (وسلم على الإسلام فأسلموا) وبايعوا بلفظ الماضى وبلفظ الأمر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولما لم يقف العينى كابن حجر على هذه الرواية ، قال : ويحتمل أن يكون بلفظ الأمر . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى الجهاد مختصراً وفى اللباس والأدب والطب والاستئذان ، ومسلم فى المغازى ، والنسائى فى الطب .

الحديث السابع عشر

* قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : « لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا » .

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رِجالاً مِنَ الْمُنَافِقِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم كانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا خَرَجَ إِلَى الْغَزْوِ تَخَلَّفُوا عَنْهُ وَفَرِحُوا بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَإِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسَلَّم اعْتَذَرُوا إِلَيْهِ وَحَلَفُوا وَأَحَبُّوا أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ، فَنَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ فِيهِمْ .

(قوله عز وجل : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ») .

(عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رجالا من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم كان إذا خرج رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم) مصدر ميمى ، أى بقعودهم (خلاف رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فإذا قدم رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) من غزوه إلى المدينة (اعتذروا إليه) عن تخلفهم (وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، فنزلت هذه الآية فيهم) وهذا الحديث أخرجه مسلم فى التوبة .

الحديث الثامن عشر

عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا وَقَدْ قِيلَ لَهُ : لَئِنْ كانَ كُلُّ ٱمْرِئٍ فَرِحَ بِمَا أُوتِيَ وَأَحَبَّ أَنْ يُحْمَدَ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ مُعَذَّباً لَنُعَذَّبَنَّ أَجْمَعُونَ ، فَقَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ : وَمَا لَكُمْ وَلِهَذِهِ ، إِنَّمَا دَعَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَهُودَ فَسَأَلَهُمْ عَنْ شَيْءٍ، فَكَتَمُوهُ إِيَّاهُ وَأَخْبَرُوهُ بِغَيْرِهِ ، فَأَرَوْهُ أَنْ قَدْ اسْتُحْمِدُوا إِلَيْهِ بِمَا أَخْبَرُوهُ عَنْهُ فِيما سَأَلَهُمْ وَفَرِحُوا بِمَا أُوتُوا مِنْ كِتْمَانِهِمْ .

(عن ابن عباس رضى الله عنهما وقد قيل له : لئن كان كل امرىء فرح بما أُوتى) أى أُعطى (وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذبن أجمعون) لأن كلنا يفرح بما أُوتى ويحب أن يحمد بما لم يفعل (فقال ابن عباس) منكراً عليهم السؤال عن ذلك (وما لكم ولهذه) المسألة (إنما دعا النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم يهود فسألهم عن شىء) قيل عن صفته عندهم بإيضاح (فكتموه إياه وأخبروه بغيره) أى بصفته صلى الله عليه وآله وسلم فى الجملة (فأروه) بفتح الهمزة والراء (أن قد استحمدوا إليه) بفتح الفوقية مبنياً للفاعل ، أى طلبوا أن يحمدهم . قال فى الأساس : استحمد الله إلى خلقه بإحسانه إليهم وإنعامه عليهم (بما أخبروه عنه) على الإجمال (فيما سألهم وفرحوا بما أُوتوا) بضم الهمزة وسكون الواو وضم التاء ، أى أُعطوا ، وروى « بما أتوا » بفتح الهمزة والتاء ، أى بما جاءوا به (من كتمانهم) للعلم ، ثم قرأ ابن عباس رضى الله عنهما : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أُوتوا الكتاب » أى العلماء كذلك ، حتى قوله : « يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا » من الوفاء بالميثاق وإظهار الحق والإخبار بالصدق .

الحديث التاسع عشر

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا تُقْسِطُوا فى الْيَتَامى » .

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها أَنَّهَا سَأَلَهَا عُرْوَةُ عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ : « وَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا تُقْسِطُوا فى الْيَتَامى » فَقَالَتْ : يَا ٱبْنَ أُخْتِى ، هِىَ الْيَتِيمَةُ تَكُونُ فى حَجْرِ وَلِيِّهَا تَشْرَكُهُ فى مَالِهِ وَيُعْجِبُهُ مالُهَا وَجَمالُهَا ، فَيُرِيدُ وَلِيُّهَا أَنْ يَتَزَوَّجَهَا بِغَيْرِ أَنْ يُقْسِطَ فى صَدَاقِهَا ، فَيُعْطِيهَا مِثْلَ ما يُعْطِيهَا غَيْرُهُ ، فَنُهُوا عَنْ أَنْ يَنْكِحُوهُنَّ ، إلاَّ أَنْ يُقْسِطُوا لَهُنَّ ، وَيَبْلُغُوا لَهُنَّ أَعْلَى سُنَّتِهِنَّ فى الصَّدَاقِ ، فَأُمِرُوا أَنْ يَنْكِحُوا ما طَابَ لَهُمْ مِنَ النِّسَاءِ سِوَاهُنَّ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : وَإِنَّ النَّاسَ ٱسْتَفْتَوْا رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم بَعْدَ هذِهِ الآيَةِ ، فَأَنْزَلَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ : « وَيَسْتَفْتُونَكَ فى النِّسَاءِ » الآيَةَ . قالَتْ عائِشَةُ : وَقَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فى آيَةٍ أُخْرَى : « وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ » رَغْبَةَ أَحَدِكُمْ عَنْ يَتِيمَتِهِ حِينَ تَكُونُ قَلِيلَةَ المَالِ وَالجَمَالِ ، قالتْ : فَنُهُوا أَنْ يَنْكِحُوا عَمَّنْ رَغِبُوا فى مالِهِ وَجَمَالِهِ مِنْ يَتَامى النِّسَاءِ إلاَّ بِالْقِسْطِ مِنْ أَجْلِ رَغْبَتِهِمْ عَنْهُنَّ إذَا كُنَّ قَلِيلَاتِ المَالِ وَالجَمَالِ .

(قوله عز وجل : « وإن خفتم أن لا تقسطوا ») أى لا تعدلوا من أقسط ولا نافية ، أى وإن حذرتم عدم الإقساط ، أى العدل (« فى اليتامى ») .

(عن عائشة رضى الله عنها أنها سألها عروة) ابن الزبير (عن قول الله عز وجل : « وإن خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى » فقالت) عائشة (يا ابن أختى) أسماء (هذه اليتيمة) التى مات أبوها (تكون فى حجر وليها) القائم بأمورها (تشركه فى ماله ويعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط) أن يعدل ، يقال : قسط إذا جار ، وأقسط إذا عدل ، وقيل : الهمزة فيه للسلب ، أى أزال القسط . ورجحه ابن التين بقوله تعالى : « ذلكم

أقسط عند الله » لأن أفعل فى أبنية المبالغة لا يكون فى المشهور إلا من الثلاثى نعم حكى السيرافى جواز التعجب بالرباعى ، وحكى غيره أن قسط من الأضداد ، والله أعلم (فى صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره) يعنى يريد أن يتزوجها بغير أن يعطيها مثل ما يعطيها غيره ، أى ممن يرغب فى نكاحها . ويدل على ذلك قوله (فنهوا عن أن ينكحوهنّ إلا أن يقسطوا لهنّ ويبلغوا لهنّ أعلى سنتهنّ) أى طريقتهنّ (فى الصداق) وعادتهنّ فى ذلك (فأمروا أن ينكحوا ما طاب) ما حلّ (لهم من النساء سواهنّ) أى سوى اليتامى من النساء بأى مهر توافقوا عليه . وتأويل عائشة هذا جاء عن ابن عباس مثله أخرجه الطبرى (قالت عائشة : وإن الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) طلبوا منه الفتيا فى أمر النساء (بعد) نزول (هذه الآية) وهى « إن خفتم » إلى « ورباع » (فأنزل الله) تعالى (« ويستفتونك فى النساء ») الآية (قالت عائشة : وقول الله تعالى فى آية أخرى : « وترغبون أن تنكحوهنّ رغبة أحدكم عن يتيمته ») بأن لم يردها (حين تكون) أى اليتيمة (قليلة المال والجمال . قالت : فنهوا أن ينكحوا عمن رغبوا فى ماله وجماله فى يتامى النساء إلا بالقسط) بالعدل (من أجل رغبتهم عنهم إذا كنّ قليلات المال والجمال) فينبغى أن يكون نكاح الغنية الجميلة ونكاح الفقيرة الدميمة على السواء فى العدل . وهذا الحديث رواه فى باب شركة اليتيم أيضاً ، وفيه كما فى الفتح اعتبار مهر المثل فى المحجورات وأن غيرهنّ يجوز نكاحها بغير ذلك وفيه أن للولى أن يتزوج من هى تحت حجره ، لكن يكون العاقد غيره ، وفيه جواز تزويج اليتامى قبل البلوغ لأنهنّ بعد البلوغ لا يقال لهنّ يتيمات إلا أن يكون أطلق استصحاباً لهنّ .

الحديث العشرون

* قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : « يُوصِيكُمُ اللهُ فى أَوْلَادِكُمْ » .

عَنْ جابرٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قالَ : عادَنِى النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم وَأَبو بَكْرٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ فى بَنِى سَلِمَةَ ماشِيَيْنِ ، فَوَجَدَنِى النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم لَا أَعْقِلُ ، فَدَعَا بِماءٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهُ ، ثُمَّ رَشَّ عَلَىَّ فَأَفَقْتُ ، فَقُلْتُ لَهُ : ما تَأْمُرُنِى أَنْ أَصْنَعَ فى مالِى يَارَسُولَ اللهِ ؟ فَنَزَلَتْ : « يُوصِيكُمُ اللهُ فى أَوْلَادِكُمْ » .

(قوله عز وجل : « يوصيكم الله فى أولادكم ») أى يأمركم ويفرض لكم فى شأن ميراثهم العدل ، فإن أهل الجاهلية كانوا يجعلون جميع الميراث للذكور دون الإناث ، فأمر الله بالتسوية بينهم فى أصل الميراث ، وفاوت بين الصنفين ، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين ، وذلك لاحتياج الرجل إلى مؤونة النفقة والكلفة . واستنبط بعضهم من الآية أن الله تعالى أرحم بخلقه من الوالد بولده حيث وصى الوالدين بأولادهم .

(عن جابر رضى الله عنه قال : عادنى النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم وأبو بكر) الصديق من مرض (فى بنى سلمة) بكسر اللام : قوم جابر ، بطن من الخزرج ، حال كونهما (ماشيين ، فوجدنى النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم لا أعقل) أى لا أفهم . زاد أبو ذر عن الكشميهنى شيئاً ، وفى الاعتصام : فأتانى وقد أغمى علىّ (فدعا بماء فتوضأ منه ثم رش علىّ) أى نفس الماء الذى توضأ به (فأفقت) من الإغماء (فقلت : ما تأمرنى أن أصنع فى مالى يا رسول الله) وفى رواية : فقلت : يا رسول الله لمن الميراث ؟ إنما يرثنى كلالة (فنزلت : « يوصيكم الله فى أولادكم ») كذا لابن جريج . قال الدمياطى : وهو وهم ، والذى نزل فى جابر : « يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة » والكلالة : من لا والد له ولا ولد . وهذا الحديث رواه أيضاً فى الطهارة .

الحديث الحادى والعشرون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ » الآيَةَ .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : أَتَى نَاسٌ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ فَذَكَرَ حَدِيثَ الرُّؤْيَةِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ بِكَمَالِهِ ، ثُمَّ قالَ : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ : تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَاكَانَتْ تَعْبُدُ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ إِلاَّ يَتَسَاقَطُونَ فى النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فاجِرٍ وَغُبَّرَاتُ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَيُدْعَى الْيَهُودُ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ قالُوا : كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْراً ٱبْنَ ٱللهِ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : كَذَبْتُمْ ، ما اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ ، فَمَاذَا تَبْغُونَ ؟ قالُوا : عَطِشْنَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا ، فَيُشَارُ : أَلَا تَرِدُونَ ، فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ ، يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضاً ، فَيَتَسَاقَطُونَ فى النَّارِ ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى ، فَيُقَالُ لَهُمْ : مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ قالوا : كُنَّا نَعْبُدُ المَسِيحَ ابْنَ اللهِ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : كَذَبْتُمْ ، ما اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : ماذَا تَبْغُونَ ؟ فَكَذَلِكَ مِثْلُ الأَوَّلِ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ فى أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِى رَأَوْهُ فِيهَا ، فَيُقَالُ : ماذَا تَنْتَظِرُونَ ، تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ ، قالُوا : فَارَقْنَا النَّاسَ فى الدُّنْيَا عَلَى أَفْقَرِ ما كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ ، وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ رَبَّنَا الَّذِى كُنَّا نَعْبُدُ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً .

(قوله عز وجل : « إن الله لا يظلم مثقال ذرة » الآية) أى لا ينقص من ثواب أعمالهم ذرة ، يعنى زنتها . والذرة فى الأصل : أصغر النمل التى لا وزن

لها ، وقيل : ما يرفعه الريح من التراب ، وقيل : كل جزء من أجزاء الهباء فى الكوة ذرة ، ويقال : زنتها ربع ورقة نخالة ، وورقة النخالة وزن ربع خردلة ، ووزن الخردلة ربع سمسمة ، ويقال : لا وزن لها ، وإن شخصاً ترك رغيفاً حتى علاه الذر فوزنه فلم يزد شيئاً . حكاه الثعلبى .

(عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : أتى ناس النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم فقالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم : نعم) ترونه ، وهذه رؤية الامتحان المميزة بين من عبد الله وبين من عبد غيره ، لا رؤية الكرامة التى هى ثواب أوليائه فى الجنة (فذكر حديث الرؤية ، وقد تقدم بكماله ، ثم قال : إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن) أى نادى مناد (تتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى من كان يعبد غير الله من الأصنام) جمع صنم : ما عبد من دون الله (والأنصاب) جمع نصب : حجارة كانت تعبد من دون الله (إلا يتساقطون فى النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر) مطيع لربه (أو فاجر) منهمك فى المعاصى والفجور (وغبرات) أى بقايا (أهل الكتاب فيدعى اليهود ، فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد عزير ابن الله ، فيقال لهم : كذبتم) فى كونه ابن الله ، ويلزم منه نفى عبادة ابن الله (ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولداً ، فماذا تبغون ؟) أى تطلبون (فقالوا : عطشنا ربنا فاسقينا ، فيشار) أى إليهم (ألا تردون ، فيحشرون إلى النار كأنها سراب) هو الذى تراه نصف النهار فى الأرض القفراء والقاع المستوى فى الحر الشديد لامعاً مثل الماء ، « يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً» (يحطم بعضها بعضاً) أى يكسر لشدة اتقادها وتلاطم أمواج لهبها (فيتساقطون فى النار ، ثم يدعى النصارى فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد المسيح ابن الله ، فيقال لهم : كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولداً ، فيقال لهم : ماذا تبغون ؟ فكذلك مثل الأول) أى فقالوا : عطشنا ربنا . . . إلخ (حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من برّ أو فاجر أتاهم رب العالمين) أى ظهر لهم وأشهدهم رؤيته من غير تكييف ولا حركة ولا انتقال (فى أدنى صورة) أى أقرب صفة (من التى رأوه) أى عرفوه (فيها) بأنه لا يشبه شيئاً من المحدثات (فيقال : ماذا تنتظرون ، تتبع كل أمة ما كانت تعبد ، قالوا : فارقنا الناس) الذين زاغوا عن الطاعة

(فى الدنيا على أفقر) أى (أحوج ما كنا إليهم) فى معايشنا ومصالح دنيانا (ولم نصاحبهم) بل قاطعناهم (ونحن ننتظر ربنا الذى كنا نعبد) فى الدنيا (فيقول : أنا ربكم ، فيقولون) زاد مسلم فى روايته : نعوذ بالله منك (لا نشرك بالله شيئاً ، مرتين أو ثلاثاً) وإنما قالوا ذلك لأنه سبحانه وتعالى تجلى لهم بصفة لم يعرفوها . وقال الخطابى : قيل : إنما حجبهم عن تحقيق الرؤية فى هذه الكرة من أجل من معهم من المنافقين الذين لا يستحقون الرؤية وهم عن ربهم محجوبون ، فإذا تميزوا عنهم رفعت الحجب ، فيقولون عند ما يرونه : أنت ربنا .

الحديث الثاني والعشرون

* قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : « فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ » الآية .

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ لِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : اقْرَأْ عَلَيَّ . قُلْتُ : آقْرَأُ عَلَيْكَ ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ ؟ قَالَ : فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي ، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى بَلَغْتُ : « فكَيْفَ إذا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ على هـؤُلاَءِ شَهِيداً » . قالَ : أَمْسِكْ ، فإذا عَيْنَاهُ تَذْرِفانِ .

(قوله عز وجل : « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد » الآية) استفهام توبيخ ، أى فكيف حال هؤلاء الكفار أو صنيعهم إذا جئنا من كل أمة بنبيهم يشهد على كفرهم ، وآخر الآية : « وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » .

(عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال لى النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم : اقرأ علىّ ، قلت : آقرأ عليك) بمد الهمزة (وعليك أنزل ؟ قال : فإنى أحب أن أسمعه من غيرى) قال ابن بطال : يحتمل أن يكون أحب أن يسمعه من غيره ليكون عرض القرآن سنة أو ليتدبره ويتفهمه ، وذلك أن المستمع أقوى على التدبر ونفسه أخلى وأنشط لذلك من القارىء لاشتغاله بالقراءة وأحكامها ، وهذا بخلاف قراءته صلى الله عليه وآله وسلم على أُبى بن كعب ، فإنه أراد أن يعلمه كيف أداء القراءة ومخارج الحروف (فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت : « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد) أى فكيف حال هؤلاء الكفار أو صنيعهم إذا جئنا من كل أمة بنبيهم يشهد على كفرهم ، كقوله تعالى : « وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم » (وجئنا بك) يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم (على هؤلاء شهيداً) أى تشهد على صدق هؤلاء الشهداء ، لحصول عملك بعقائدهم ، لدلالة كتابك وشرعك على قواعدهم . وقال أبو حيان . أى فكيف يصنعون فى وقت المجيئين (قال : أمسك) وفى رواية : كف أو أمسك على الشك (فإذا عيناه تذرفان) أى تطلقان دمعهما وبكاؤه على المفرطين ، أو لعظم ما تضمنته الآية من هول

المطلع وشدة الأمر ، أو هو بكاء فرح لا بكاء جزع ، لأنه تعالى جعل أمته شهداء على سائر الأمم كما قال الشاعر :

طفح السرور علىّ حــتى إنــه   من عظـم ما قـد سرنى أبكانى

وهذا الأخير نقله صاحب فتوح الغيب عن الزمخشرى . وفى هذا الحديث ثلاثة من التابعين على نسق واحد . وأخرجه أيضاً فى فضائل القرآن وكذا النسائى .

الحديث الثالث والعشرون

* قَوْلُهُ عزَّ وَجَلَّ: « إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلَائِكَةُ ظَالِمِى أَنْفُسِهِمْ » الآية.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ نَاساً مِنْ المُسْلِمِينَ كانُوا مَعَ المُشْرِكِينَ يُكَثِّرُونَ سَوَادَهُمْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَأْتِى السَّهْمُ فَيُرْمى بِهِ فَيُصِيبُ أَحَدَهُمْ فَيَقْتُلُهُ ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : « إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلَائِكَة ظالِمِى أَنْفُسِهِمْ » .

(قوله عز وجل : « إن الذين توفاهم الملائكة » الآية) ملك الموت وأعوانه وهم ستة : ثلاثة لقبض أرواح المؤمنين وثلاثة للكفار ، أو المراد ملك الموت وحده ، وذكر بلفظ الجمع للتعظيم ، أى توفاهم الملائكة بقبض أرواحهم حال كونهم (ظالمى أنفسهم) .

(عن ابن عباس رضى الله عنه أن ناساً من المسلمين) سمى ابن أبى حاتم فى تفسيره من طريق ابن جريج عن عكرمة ، ومن طريق ابن عيينة عن ابن إسحق : عمرو بن أمية بن خلف ، والعاص بن منبه بن الحجاج ، والحارث ابن زمعة ، وأبا قيس بن الفاكه . وعند ابن جريج : أبا قيس بن الوليد بن المغيرة . وعند ابن مردويه من طريق أشعث بن سوار عن عكرمة عن ابن عباس : الوليد بن عتبة بن ربيعة ، والعلاء بن أمية بن خلف (كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على عهد رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) قال فى الفتح : وذكر فى شأنهم أنهم خرجوا إلى بدر فلما رأوا قلة المسلمين دخلهم شك وقالوا : غر هؤلاء دينهم فقتلوا ببدر . أخرجه ابن مردويه وابن أبى حاتم من طريق ابن جريج عن عكرمة نحوه (يأتى السهم فيرمى به) مبنياً للمفعول (فيصيب أحدهم فيقتله) أو يضرب فيقتل بضم حرف المضارعة من الفعلين وفتح ثالثهما . قال فى الكواكب الدرارى : وغرض عكرمة أن الله ذم من كثر سواد المشركين مع أنهم كانوا لا يريدون بقلوبهم موافقتهم ، فكذلك أنت لا تكثر سواد هذا الجيش وإن كنت لا تريد موافقتهم لأنهم لا يقاتلون فى سبيل الله (فأنزل الله : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم » الآية) أى بخروجهم مع المشركين وتكثير سوادهم حتى قتلوا معهم . قال فى الفتح : هكذا جاء فى سبب نزولها ثم ذكر سبباً آخر أيضاً .

الحديث الرابع والعشرون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ » إِلَى قَوْلِهِ : « وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ » .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى فَقَدْ كَذَبَ .

(قوله تعالى : « إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح » إلى قوله : « ويونس وهارون وسليمان ») .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم) أنه (قال : من قال أنا خير) يعنى نفسه أو النبى صلى الله عليه وآله وسلم (من يونس بن متى فقد كذب) ولعله قال ذلك زجراً عن توهم حط مرتبة يونس لما فى قوله تعالى : « ولا تكن كصاحب الحوت » ، فقاله سداً للذريعة ، وهذا هو السبب فى تخصيص يونس بالذكر من بين سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقال الحافظ : يحتمل أن يكون المراد أن العبد القائل هو الذى لا ينبغى له أن يقون ذلك ، ويحتمل أن يكون المراد بقوله : أنا رسول الله ، وقاله تواضعاً ، ودل حديث أبى هريرة ثانى حديث الباب على أن الاحتمال الأول أولى . انتهى . وهذا الحديث قد ذكره فى أحاديث الأنبياء .

الحديث الخامس والعشرون

* قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ » الآيَةَ .

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالتْ : مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وسلم كتَمَ شَيْئاً مِمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ فَقَدْ كَذَبَ ، وَاللهُ يَقُولُ : « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ » الآيَةَ .

(قوله عز وجل: « يا أيها الرسول بلغ ما أُنزل إليك من ربك » الآية) .

(عن عائشة رضى الله عنها قالت : من حدثك أن محمداً صلى الله عليه) وآله (وسلم كتم شيئاً مما أُنزل عليه فقد كذب، والله يقول : « يا أيها الرسول بلغ) جميع (ما أُنزل إليك من ربك » الآية) إلى كافة الناس مجاهراً به ، غير مراقب أحداً ولا خائف مكروهاً . قال مجاهد : لما نزلت قال : يارب كيف أصنع وأنا وحدى يجتمعون علىّ ، فنزلت : « وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » أى فإن أهملت شيئاً من ذلك فما بلغت رسالته ، لأن ترك إبلاغ البعض محبط للباقى ، لأنه ليس بعضه أولى من بعض ، وبهذا تظهر المغايرة بين الشرط والجزاء ، وهذا بخلاف ما قالت به الشيعة أنه قد كتم أشياء على سبيل التقية . وعن بعض الصوفية ما يتعلق به مصالح العباد وأمر بإطلاعهم عليه ، فهو منزه عن كتمانه ، وأما ما خص به من الغيب ولم يتعلق به مصالح أُمته فاه بل عليه كتمانه .

الحديث السادس والعشرون

* قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ ما أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ » الآيـة .

عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : كُنَّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَلَيْسَ مَعَنَا نِسَاءٌ ، فَقُلْنَا : أَلَا نَخْتَصِي ، فَنَهَانَا عَنْ ذٰلِكَ ، فَرَخَّصَ لَنَا بَعْد ذٰلِكَ أَنْ نَتَزَوَّجَ المَرْأَةَ بالثَّوْبِ ، ثُمَّ قَرَأَ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ ما أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ » .

(قوله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم » الآية) .

(عن عبد الله) بن مسعود (رضى الله عنه) أنه (قال : كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم وليس معناه نساء ، فقلنا : ألا نختصى) أى ألا نستدعى من يفعل بنا الخصاء أو نعالج ذلك بأنفسنا . والخصاء : الشق على الأنثيين وانتزاعهما (فنهانا عن ذلك) نهى تحريم لما فيه من تغيير خلق الله وقطع النسل وكفر النعمة ، لأن خلق الشخص رجل من النعم العظيمة وقد يفضى ذلك بفاعله إلى الهلاك (فرخص لنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالثوب) إلى أجل وهو نكاح المتعة ، وليس قوله « بالثوب » قيداً ، فيجوز بغيره مما يتراضيان عليه (ثم قرأ) ابن مسعود (« ياأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحـــل الله لكم ») قال النووى : فى استشهاد ابن مسعود بالآية أنه كان يعتقد إباحة المتعة كابن عباس ، ولعله لم يكن حينئذ بلغه الناسخ ، ثم بلغه ، فرجع عنه . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى النكاح ، وكذا مسلم ، وأخرجه النسائى فى التفسير .

الحديث السابع والعشرون

* قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : « إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ ») الآيَةَ .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : مَا كانَ لَنَا خَمْرٌ غَيْرُ فَضِيخِكُمْ هذَا الَّذِى تُسَمُّونَهُ الْفَضِيخَ ، فَإِنِّى لَقَائِمٌ أَسْقِى أَبَا طَلْحَةَ وَفُلَاناً وَفُلَاناً إِذْ جاءَ رَجُلٌ فَقالَ : وَهَلْ بَلَغَكُمُ الْخَبَرُ ، فَقَالُوا : وَمَا ذَاكَ ؟ قالَ : حُرِّمَتِ الخَمْرُ ، قالُوا : أَهْرِقْ هذِهِ الْقِلَالَ يَا أَنَسُ ، قالَ : فَمَا سَأَلُوا عَنْهَا وَلَا رَاجَعُوهَا بَعْدَ خَبَرِ الرَّجُلِ .

(قوله تعالى : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس » الآية).

(عن أنس بن مالك رضى الله عنه ما كان لنا خمر غير فضيخكم) شراب يتخذ من البسر وحده من غير أن تمسه النار . والفضخ : الكسر ، لأن البسر يشدخ ويترك فى وعاء حتى يغلى (هذا الذى تسمونه الفضيخ فإنى لقائم أسقى أبا طلحة) زيد بن سهل الأنصارى زوج أم أنس (وفلاناً وفلاناً) وقع من تسمية من كان مع أبى طلحة عند مسلم أبو دجانة وسهيل بن بيضاء وأبو عبيدة وأُبىّ بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو أيوب (إذ جاء رجل) لم يسم (فقال : وهل بلغكم الخبر ؟ فقالوا : وما ذاك ؟ قال : حرمت الخمر) أى حرمها الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم (قالوا : أهرق) أمر من أهرق ، أى صب (هذه القلال يا أنس) أى الجرار التى لايقل أحدها إلا القوى من الرجال (قال) أى أنس (فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل) ففيه قبول خبر الواحد . وهذا الحديث أخرجه مسلم فى الأشربة .

الحديث الثامن والعشرون

* قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : « لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ » الآية .

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : خَطَبَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم خُطْبَةً ما سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ ، قالَ : لَو تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً ، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً ، قالَ : فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَجُوهَهُمْ لَهُمْ خَنِينٌ ، فَقَالَ رَجُلٌ : مَنْ أَبِي ؟ قالَ : فُلَانٌ ، فَنَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ .

(قوله عز وجل : « لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » الآية) .

(عن أنس رضى الله عنه قال : خطب رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط) وكان فيما رواه النضر بن شميل عن شعبة عند مسلم قد بلغه عن أصحابه شيء فخطب بسبب ذلك (قال : لوتعلمون) من عظمة الله وشدة عقابه بأهل الجرائم وأهوال القيامة (ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً ، قال) أنس (فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم وجوههم لهم خنين) بالخاء المعجمة ، أى صوت مرتفع من الأنف بالبكاء مع غنة ، وبالحاء المهملة : أى صوت مرتفع من البكاء من الصدور وهو دون الانتحاب (فقال رجل) هو عبد الله بن حذافة ، أو قيس بن حذافة ، أو خارجة بن حذافة ، وكان يطعن فيه (من أبى ؟ قال) صلى الله عليه وآله وسلم : أبوك (فلان) أى حذافة (فنزلت هذه الآية : « لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم ») أى تظهر لكم (تسؤكم) وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى الرقاق والاعتصام ، ومسلم فى فضائل النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، والترمذى فى التفسير ، والنسائى فى الرقائق .

الحديث التاسع والعشرون

عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ : كَانَ نَاسٌ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم اسْتِهْزَاءً ، فَيَقُولُ الرَّجُلُ : مَنْ أَبِي ، وَيَقُولُ الرَّجُلُ تَضِلُّ نَاقَتُهُ : أَيْنَ نَاقَتِي ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ هذِهِ الآيَةَ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ » حَتَّى فَرَغَ مِنَ الايَةِ كُلِّهَا .

(عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان ناس يسألون رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم استهزاء ، فيقول الرجل) له عليه السلام (من أبى ؟ ويقول الرجل تضل ناقته : أين ناقتى ؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » حتى فرغ من الآية كلها) وهذا الحديث من إفراد البخارى ، وقيل : نزلت فى شأن الحج ، فعن علىّ : لما نزلت : « ولله على الناس حج البيت » قالوا : يا رسول الله أفى كل عام ؟ فسكت ، فقالوا : يارسول الله أفى كل عام ؟ قال : لا ، ولو قلت نعم لوجبت ، فأنزل الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » رواه الترمذى وقال حديث غريب .

الحديث الثلاثون

* قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : « قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ » الآيَةَ .

عَنْ جابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ : « قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذاباً مِنْ فَوْقِكُمْ » قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَعُوذُ بِوَجْهِكَ ، « أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ » ، قالَ : أَعُوذُ بِوَجْهِكَ « أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ » ، قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : هذَا أَهْوَنُ ، أَوْ هذَا أَيْسَرُ .

(قوله عز وجل : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم ») كما فعل بقوم نوح ولوط وأصحاب الفيل (أو من تحت أرجلكم) كما أغرق فرعون وخسف بقارون . وعند ابن مردويه من حديث أُبيّ بن كعب عذاباً من فوقكم ، قال : الرجم ، أو من تحت أرجلكم : الخسف . وقيل : من فوقكم : أكابركم وحكامكم ، أو من تحت أرجلكم : سفلتكم وعبيدكم . وقيل : المراد بالفوق : حبس المطر ، وبالتحت : منع الثمرات . والأول هو المعتمد .

(عن جابر رضى الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم » قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : أعوذ بوجهك) أى بذاتك . زاد الإسماعيلى من طريق حماد بن زيد عن عمرو : الكريم فى الموضعين (« أو من تحت أرجلكم » قال : أعوذ بوجهك « أو يلبسكم ») يخلطكم فى ملاحم القتال (« شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض ») أى يقاتل بعضكم بعضاً . وقال مجاهد : يعنى أهواء متفرقة ، وهو ما كان فيهم من الفتن والاختلاف . وقال بعضهم : هو ما فيه الناس الآن من الاختلاف والأهواء وسفك الدماء (قال رسول الله صلى الله عليه) وآله وآله (وسلم : هذا أهون) لأن الفتن بين المخلوقين وعذابهم أهون من عذاب الله ، فابتليت هذه الأمه بالفتن ليكفر بها عنهم (أو) قال (هذا أيسر) شك الراوى ، والضمير يعود على الكلام الأخير . ووقع فى الاعتصام : هاتان أهون وأيسر ، أى خصلة الالتباس وخصلة إذاقة بعضهم بأس بعض . وقد

روى ابن مردويه من حديث ابن عباس ما يفسر به حديث جابر ، ولفظه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : دعوت الله أن يرفع عن أُمتي أربعاً فرفع عنهم اثنتين وأبى أن يرفع عنهم اثنتين ، دعوت الله أن يرفع عنهم الرجم من السماء والخسف من الأرض ، وأن لا يلبسهم شيعاً ولا يذيق بعضهم بأس بعض ، فرفع الله عنهم الرجم والخسف وأبى أن يرفع عنهم الأخيرتين ، فيستفاد من هذه الرواية المراد بقوله « من فوقكم أو من تحت أرجلكم » ويستأنس له بقوله تعالى : « أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً » ، وفى الحديث دليل على أن الخسف والرجم لا يقعان فى هذه الأمة. قال فى الفتح : وفيه نظر ، فقد روى أحمد والطبرى من حديث أُبيّ بن كعب فى هذه الآية قال : هنّ أربع وكلهنّ واقع لا محالة ، فمضت اثنتان بعد وفاة نبيهم بخمس وعشرين سنة : ألبسوا شيعاً وذاق بعضهم بأس بعض ، وبقيت اثنتان واقعتان لا محالة : الخسف والرجم . وقد أُعلّ هذا الحديث بأن أُبيّ بن كعب لم يدرك سنة خمس وعشرين من الوفاة النبوية ، فكأن حديثه انتهى . عند قوله « لا محالة » والباقى كلام بعض الرواة ، وأُعلّ أيضاً بأنه مخالف لحديث جابر وغيره . وأُجيب بأن طريق الجمع أن الإعادة المذكورة فى حديث جابر وغيره مقيدة بزمان مخصوص وهو وجود الصحابة والقرون الفاضلة ، وأما بعد ذلك فيجوز وقوع ذلك فيهم . وقد روى أحمد والترمذى من حديث سعد بن أبى وقاص قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الآية : « قل هو القادر » إلى آخر الآية ، فقال : أما إنها لكائنة ولم يأت تأويلها بعد . وهذا يحتمل أن لا يخالف حديث جابر بأن المراد بتأويلها ما يتعلق بالفتن ونحوها . وعند أحمد بإسناد صحيح من حديث صحار العبدى رفعه قال : لا تقوم الساعة حتى يخسف بقبائل . . الحديث، وسيأتى فى كتاب الأشربة فى الكلام على حديث أبى مالك الأشعرى ذكر الخسف والمسخ أيضاً . وللترمذى من حديث عائشة مرفوعاً : يكون فى آخر هذه الأمة خسف ومسخ وقذف . وفى حديث ربيعة الجرشى عن أبيه عن جده عند ابن أبى خيثمة رفعه : يكون فى أُمتى الخسف والقذف والمسخ . ويحتمل فى طريق الجمع أيضاً أن يكون المراد أن ذلك لا يقع لجميعهم ، وإن وقع لأفراد منهم غير مقيد بزمان كما فى خصلة العدو الكافر والسنة العامة ، فلما

كان تسليط العدو الكافر قد يقع على بعض المؤمنين ، لكنه لا يقع عموماً فكذلك الخسف والقذف . ويؤيد هذا الجمع ما روى الطبرى من مرسل الحسن قال : لما نزلت « قل هو القادر » الآية سأل النبى صلى الله عليه وآله وسلم ربه ، فهبط جبريل فقال : يا محمد إنك سألت ربك أربعاً فأعطاك اثنتين ومنعك اثنتين : أن يأتيهم عذاب من فوقهم أو من تحت أرجلهم فيستأصلهم كما استأصل الأمم الذين كذبوا أنبياءهم ، ولكنه يلبسهم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض ، وهذان عذابان لأهل الإقرار بالكتب والتصديق بالأنبياء . انتهى . وقوله : وهذان عذابان . . إلخ من كلام الحسن . وقد وردت الاستعاذة من خصال أخرى ، منها عن ابن عباس عند ابن مردويه مرفوعاً : سألت ربى لأمتى أربعاً فأعطانى اثنتين ومنعنى اثنتين : سألته أن يرفع عنهم الرجم من السماء والغرق من الأرض فرفعهما . . الحديث . ومنها حديث سعد بن أبى وقاص عند مسلم مرفوعاً : سألت ربى أن لا يهلك أمتى بالغرق فأعطانيها ، وسألته أن لا يهلكهم بسنة فأعطانيها ، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها . وعند الطبرى من حديث جابر بن سمرة نحوه ، لكن بلفظ : أن لا يهلكوا جوعاً . وهذا أيضاً مما يقوى الجمع المذكور ، فإن الغرق والجوع قد يقع ببعض دون بعض ، لكن الذى حصل منه الأمان أن يقع عاماً . وعند الترمذى وابن مردويه من حديث حباب نحوه ، وفيه : أن لا يهلكنا بما أهلك به الأمم قبلنا . وكذاب فى حديث نافع بن خالد الخزاعى عن أبيه عند الطبرى ، وعند أحمد من حديث أبى نضرة نحوه ، لكن قال بدل « خصلة الإهلاك » أن لا يجمعهم على ضلالة . وكذا للطبرى من مرسل الحسن ولابن أبى حاتم من حديث أبى هريرة رفعه : سألت ربى لأمتى أربعاً فأعطانى ثلاثاً ومنعنى واحدة : سألته أن لا تكفر أمتى جملة فأعطانيها ، وسألته أن لا يظهر عليهم عدواً من غيرهم فأعطانيها ، وسألته أن لا يعذبهم بما عذب به الأمم فأعطانيها ، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها . وللطبرى من طريق السدى مرسلا نحوه . ودخل فى قوله « بما عذب به الأمم قبلهم » الغرق كقوم نوح وفرعون ، والهلاك بالريح كعاد ، والخسف كقوم لوط وقارون ، والصيحة كثمود وأصحاب مدين ، والرجم كأصحاب الفيل ، وغير ذلك مما عذبت به الأمم عموماً . وإذا جمعت الخصال المستعاذ منها بلغت نحو العشرة . وحديث الباب أخرجه البخارى أيضاً فى التوحيد ، والنسائى فى التفسير .

الحديث الحادى والثلاثون

* قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : « أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ » .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سُئِلَ : أَفِي ص سَجْدَةٌ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ . ثُمَّ تَلَا : « وَوَهَبْنَا لَهُ » إِلَى قَوْلِهِ « فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ » ، ثُمَّ قَالَ : نَبِيُّكُمْ صلى الله عليه وسلم مِمَّنْ أُمِرَ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِمْ .

(قوله عز وجل : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ») قال فى الفتح : وقد اختلف هل كان عليه السلام متعبداً بشرع من قبله حتى ينزل عليه ناسخه ؟ فقيل : نعم ، وحجتهم هذه الآية ونحوها ، وقيل : لا ، وأجابوا عن الآية بأن المراد اتباعهم فيما أُنزل عليه وفاقه ولو على طريق الإجمال فيتبعهم فى التفصيل ، وهذا هو الأصح عند كثير من الشافعية ، واختاره إمام الحرمين ومن تبعه ، واختار الأول ابن الحاجب ، والله أعلم . انتهى . وقال القسطلانى : وفى هذه الآية دلالة على فضل نبينا صلى الله عليه وآله وسلم على سائر الأنبياء ، لأنه سبحانه أمره بالاقتداء بهداهم ، ولابد من امتثاله لذلك الأمر ، فوجب أن يجتمع فيه جميع فضائلهم وأخلاقهم المتفرقة ، فثبت بهذا أنه صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الأنبياء ، وتقديم قوله « فبهداهم » يفيد حصر الأمر فى هذا الاقتداء ، وأنه لا هدى غيره ، والمراد أصول الدين وهو الذى يستحق أن يسمى الهدى المطلق فإنه لا يقبل النسخ ، وكذا فى مكارم الأخلاق والصفات الحميدة المشهورة عن كل واحد من هؤلاء الأنبياء ، ولو أُمر بالاقتداء فى مشروع تلك الأديان لم يكن ديناً ناسخاً ، وكان يجب محافظة كتبهم ومراجعتها عند الحاجة ، وبطلان اللازم بالاتفاق يدل على بطلان الملزوم . انتهى .

(عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل : أفى) سورة (ص سجدة ؟ فقال : نعم ، ثم تلا) أى قرأ (« ووهبنا » إلى قوله « فبهداهم اقتده » ثم قال : هو منهم ، أى داود من الأنبياء المذكورين فى هذه الآية ، وفى رواية (نبيكم صلى الله عليه) وآله (وسلم ممن أمر أن يقتدى بهم) أى وقد سجدها داود فسجدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اقتداء به . واستدل بهذا على أن شرع من قبلنا شرع لنا وهى مسألة مشهورة فى الأصول .

الحديث الثاني والثلاثون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْهَا وَما بَطَنَ » .

عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ ، وَلِذلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْهَا وَما بَطَنَ . وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِ المَدْحُ مِنَ اللهِ ، وَلِذلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ .

(قوله تعالى : « ولا تقربوا الفواحش ما ظهرمنها وما بطن»)أى لا تقربوا ظاهرها وباطنها وهو الزنا سراً أو جهراً أوعمل الجوارح والنية ، أو عموم الآثام .

(عن عبد الله) ابن مسعود (رضى الله عنه) أنه (قال : لا أحد أغير من الله) أفعل تفضيل من الغيرة وهى الأنفة والحمية فى حق المخلوق وفى حق الخالق تحريمه ومنعه أن يأتى المؤمن ما حرمه الله عليه (ولذلك حرم الفواحش) أى لأجل غيرته . والفواحش : الكبائر أو الزنا (ما ظهر منها وما بطن) وعن ابن عباس فيما رواه ابن جرير قال : كانوا فى الجاهلية لا يرون بالزنا بأساً فى السر ويستقبحونه فى العلانية ، فحرم الله الزنا فى السر والعلانية (ولا شىء أحب إليه المدح من الله ولذلك مدح نفسه) بالرفع والنصب فى أحب وهو أفعل تفضيل بمعنى المفعول والمدح فاعله ، نحو : ما رأيت رجلا أحسن فى عينه الكحل منه فى عين زيد . ونقل البرماوى كالزركشى أن عبد اللطيف البغدادى استنبط من هذا جواز قول : مدحت الله ، قال : وليس صريحاً لاحتمال أن يكون المراد أن الله يحب أن يمدح غيره ترغيباً للعبد فى الازدياد مما يقتضى المدح ، ولذلك مدح نفسه لا أن المراد يحب أن يمدحه غيره . قال فى المصابيح : وما اعترض به الزركشى على عدم الصراحة بإبداء الاحتمال المذكور ليس من قبل نفسه ، بل ذكره الشيخ بهاء الدين السبكى فى أول شرح التلخيص . انتهى . قال القسطلانى : وهذا الذى قاله عبد اللطيف هو فى شرحه على الخطب النباتية . وعبارة شرح التلخيص المذكور : ومراد عبد اللطيف بقوله : قد يطلق المدح على الله تعالى أنك تقول : مدحت الله . وما ذكره هو ما فهمه النووى . وليس صريحاً لاحتمال أن يكون المراد . . إلخ قال فى المصابيح : الظاهر الجواز ، ولذلك مدح نفسه شاهد صدق على صحته وحبه تعالى المدح ليثيب عليه ، فينتفع المكلف لا لينتفع هو بالمدح ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

الحديث الثالث والثلاثون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ » الآيَةَ .

عَنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ : أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَأْخُذَ الْعَفْوَ مِنَ أَخْلَاقِ النَّاسِ .

(قوله تعالى : « خــذ العفو وأمر بالعرف ») العفو : الفضل وما أتى من غير كلفة ، والعرف : المعروف (الآية) أى وأعرض عن الجاهلين ، كأبى جهل وأصحابه ، وكان هذا قبل الأمر بالقتال .

(عن ابن الزبير رضى الله عنهما قال : أمر الله نبيه صلى الله عليه) وآله (وسلم أن يأخذ العفو من أخلاق الناس) أو كما قال ، أى يأخذ الفضل من أخلاقهم بسهولة من غير تشديد ، ويدخل فيه ترك التشدد بما يتعلق بالحقوق المالية ، وكان هذا قبل الزكاة . وروى ابن جرير وابن أبى حاتم جميعاً وابن مردويه من حديث جابر وغيره قال : لما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم : « خذ العفو » الآية ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما هذا يا جبريل ؟ قال : إن الله أمرك أن تعفو عمن ظلمك ، وتعطى من حرمك ، وتصل من قطعك . وهو مرسل له شواهد من وجوه أخر كما قال الحافظ ابن كثير ، وهو مطابق للفظ ، لأن وصل القاطع عفو عنه ، وإعطاء من حرم أمر بالمعروف ، والعفو عن الظالم إعراض عن الجاهل . فالآية مشتملة على مكارم الأخلاق فيما يتعلق بمعاملة الناس ، ولذا قال جعفر الصادق عليه السلام : ليس فى القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها . قال فى الفتح : ووجهوه بأن الأخلاق ثلاثة بحسب القوى الإنسانية : عقلية وشهوية وغضبية. فللعقلية الحكم ومنها الأمر بالمعروف ، وللشهوية العفة ومنها أخذ العفو ، وللغضبية الشجاعة ومنها الإعراض عن الجاهلين. انتهى. قال بعض الكبراء : الناس رجلان : محسن : فخذ ما عفا لك من إحسانه ولا نكلفه فوق طاقته . ومسىء : فمره بالمعروف ، فإن تمادى على ضلاله واستعصى عليك واستمر فى جهله فأعرض عنه ، فلعل ذلك يرده كما قال تعالى : « ادفع بالتى هى أحسن » .

الحديث الرابع والثلاثون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَقاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ » .

عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : كَيْفَ تَرَى فى قِتَالِ الْفِتْنَةِ ؟ فَقَالَ : وَهَلْ تَدْرِى ما الفِتْنَةِ ، كانَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم يُقَاتِلُ المُشْرِكِينَ ، وَكانَ الدُّخُولُ عَلَيْهِمْ فِتْنَةً ، وَلَيْس كَقِتَالِكُمْ على المُلْكِ .

(قوله تعالى : وقاتلوهم) حث للمؤمنين على قتال الكفار (حتى لا تكون فتنة) أى إلى أن لا يوجد فيهم شرك قط ويكون الدين كله لله ، ويضمحل عنهم كل دين باطل .

(عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قيل له) القائل هو حبان صاحب الدثنية ، أو العلاء بن عرار ، أو نافع بن الأزرق ، أو الهيثم بن حنش (كيف ترى فى قتال الفتنة ؟ فقال : وهل تدرى ما الفتنة ؟ كان محمد صلى الله عليه) وآله (وسلم يقاتل المشركين وكان الدخول عليهم فتنة وليس) القتال معه (كقتالكم على الملك) بضم الميم ، قل كان قتالا على الدين ، لأن المشركين كانوا يفتنون المسلمين إما بالقتل وإما بالحبس . والأحاديث فى الفتن كثيرة يظهر منها حكمها وما ينبغى للمسلم عند وجودها .

الحديث الخامس والثلاثون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ » الآيَةَ .

عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَنَا : أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ فَابْتَعَثَانِي فَانْتَهَيَا بِي إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ وَلَبِنِ فِضَّةٍ ، فَتَلَقَّانَا رِجالٌ شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ ما أَنْتَ رَاءٍ ، وَشَطْرٌ كَأَقْبَحِ ما أَنْتَ رَاءٍ ، قالَا لَهُمْ : اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذلِكَ النَّهَرِ ، فَوَقَعُوا فِيهِ ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا ، فَذَهَبَ ذلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ ، فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ، قالَا لِي : هذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ ، وَهذَانِ مَنْزِلُكَ ، قالَا : أَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كانُوا شَطْرٌ مِنْهُمْ حَسَنٌ ، وَشَطْرٌ مِنْهُمْ قَبِيحٌ ، فَإِنَّهُمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً ، وَآخَرَ سَيِّئاً تَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُمْ .

(قوله تعالى : وآخرون اعترفوا بذنوبهم) ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة (الآية) أى خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً ، أى الجهاد والتخلف عنه ، أو إظهار الندم والاعتراف بآخر سيء وهو التخلف وموافقة أهل النفاق ، ومجرد الاعتراف ليس بتوبة ، ولكن روى أنهم تابوا وكان الاعتراف مقدمة التوبة وكل منهما مخلوط بالآخر .

(عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : لنا) فى حكاية منامه الطويل (أتانى الليلة آتيان) أى ملكان (فابتعثانى) من النوم (فانتهيا) وأنا معهما (إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجال ، شطر) نصف (من خلقهم كأحسن ما أنت راء ، وشطر كأقبح ما أنت راء قالا) الملكان (لهم) للرجال (اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر ، فوقعوا فيه ، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا فى أحسن صورة ، قالا) الملكان (لى : هذه جنة عدن وهذان منزلك ، قالا : أما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فإنهم خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً تجاوز الله عنهم) كذا أورده فى صحيح البخارى مختصراً هنا وتمامه فى التعبير .

الحديث السادس والثلاثون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ » .

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ : قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ . وَقالَ : يَدُ اللهِ مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ . وَقالَ : أَرَأَيْتُمْ ما أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ ما فِى يَدِهِ وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ وَبِيَدِهِ الْمِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ .

(قوله تعالى: « وكان عرشه على الماء ») أى قبل خلق السموات والأرض وعن ابن عباس : وكان الماء على متن الريح .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : قال الله عز وجل : أنفق أُنفق عليك ، وقال : يد الله ملأى) كناية عن خزائنه التى لا تنفد بالعطاء (لا يغيضها) أى لا ينقصها (نفقة سحاء الليل والنهار) وسحاء بسين وحاء مشددة مهملتين ممدوداً ، يقال : سح يسح فهو ساح ، وهى سحاء ، وهى فعلاء لا أفعل لها كهطلاء ، ويروى سحا على المصدر أى دائمة الصب والهطل بالعطاء ، ووصفها بالامتلاء لكثرة منافعها ، فجعلها كالعين التى لا يغيضها الاستقاء ولا ينقصها الامتياح . قاله ابن الأثير . ولفظ بيده على ظاهره . وقيل : حكمه حكم سائر المتشابهات تأويلا وتفويضاً (وقال : أرأيتم ما أنفق) أى أخبرونى الذى أنفقه (منذ خلق السماء والأرض فإنه لم يغض) لم ينقص (ما فى يده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان) كناية عن العدل بين الخلق (يخفض ويرفع) من باب مراعاة النظير ، أى يخفض من يشاء ويرفع من يشاء ، ويوسع الرزق على من يشاء ويقتره على من يشاء . وهذا الحديث أخرجه فى التوحيد ، والنسائى فى التفسير .

الحديث السابع والثلاثون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى » الآيَةَ .

عَنْ أَبِي مُوسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ ، قالَ : ثُمَّ قَرَأَ : « وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ » .

(قوله تعالى: « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى » الآية) « وهى ظالمة ، إن أخذه أليم شديد » .

(عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفتله) بضم أوله ، أى لم يخلصه أبداً لكثرة ظلمه بالشرك ، وإن فسر بما هو أعم فيحمل على كل ما يليق به . قاله فى الفتح ، فإن كان مؤمناً لم يخصله مدة طويلة بقدر جنايته (قال : ثم قرأ صلى الله عليه) وآله (وسلم : « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة ، إن أخذه أليم شديد ») وهذا الحديث أخرجه مسلم فى الأدب ، والترمذى والنسائى فى التفسير ، وابن ماجه فى الفتن .

الحديث الثامن والثلاثون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ » الايَةَ .

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ : يَبْلُغُ بِهِ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم قالَ : إِذَا قَضى اللهُ الْأَمْرَ فِى السَّماءِ ضَرَبَتِ المَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَاناً لِقَوْلِهِ كالسِّلْسِلَةِ عَلَى صَفْوَانٍ ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ، قالُوا : ماذَا قالَ رَبُّكُمْ ؟ قالُوا لِلَّذِى قالَ الحَقَّ وَهُوَ الْعَلِىُّ الْكَبِيرُ فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُو السَّمْعِ ، وَمُسْتَرِقُو السَّمْعِ هكذَا وَاحِدٌ فَوْقَ آخَرَ فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ المُسْتَمِعَ قَبْلَ أَنْ يَرْمِىَ بِهَا إِلَى صَاحِبِهِ فَيُحْرِقَهُ ، وَرُبَّمَا لَمْ يُدْرِكْهُ حَتَّى يَرْمِىَ بِهَا إِلَى الَّذِى يَلِيهُ إِلَى الَّذِى هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ حَتَّى يُلْقُوهَا إِلَى الْأَرْضِ ، فَتُلْقَى عَلَى فَمِ السَّاحِرِ فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ فَيَصْدُقُ ، فَيَقُولُونَ : أَلَمْ يُخْبِرْنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا يَكُونُ كَذَا وَكَذَا ، فَوَجَدْنَاهُ حَقًّا لِلْكَلِمَةِ الَّتِى سُمِعَتْ مِنَ السَّماءِ .

(قوله تعالى : « إلا من استرق السمع » الآية) أى فأتبعه شهاب مبين .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم) لم يقل سمعت بدل يبلغ لاحتمال الواسطة أو نسى كيفية التحمل أنه (قال : إذا قضى الله الأمر) أى إذا حكم بأمر من الأمور (فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً) بضم الخاء بمعنى خاضعين ، أى منقادين طائعين (لقوله) تعالى (كالسلسلة) أى القول المسموع يشبه صوت رفع السلسلة (على صفوان) بسكون الفاء ، وهو الحجر الأملس . وفى حديث ابن مسعود مرفوعاً عند ابن مردويه : إذا تكلم الله بالوحى يسمع أهل السموات صلصلة كصلصة السلسلة على الصفوان ، فيفزعون ويرون أنه من أمر الساعة (فإذا فزع) أى أزيل الخوف (عن قلوبهم قالوا) أى الملائكة (ماذا قال ربكم ؟ قالوا) أى المقربون من الملائكة كجبريل وميكائيل مجيبين (للذى قال) يسأل : قال الله القول (الحق وهو العلى الكبير) وفى حديث النواس بن سمعان عند الطبرانى مرفوعاً :

إذا تكلم الله بالوحى أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله ، فإذا سمع بذلك أهل السماء صعقوا وخرّوا سجداً فيكون أولهم يرفع رأســه جبريل ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد فينتهى به على الملائكة ، كلما مر بسماء سأله أهلها : ماذا قال ربنا ؟ قال : الحق ، فينتهى به حيث أُمر (فيسمعها) أى تلك الكلمة وهى القول الذى قاله الله (مسترقو السمع ، ومسترقو السمع هكذا واحد فوق آخر (، ووصف سفيان بن عيينة كيفية المستمعين كوب بعضهم على بعض (بيده وفرج بين أصابع يده اليمنى ، نصبها بعضها فوق بعض) فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمى بها) أى بالكلمة (إلى صاحبه فيحرقه ، وربما لم يدركه) الشهاب (حتى يرمى بها إلى الذى يليه إلى الذى هو أسفل منه حتى يلقوها إلى الأرض) ، وربما قال سفيان : حتى تنتهى إلى الأرض (فتلقى على فم الساحر) وهو المنجم (فيكذب معها) أى مع تلك الكلمة الملقاة (مائة كذبة) بفتح الكاف وسكون المعجمة (فيصدق) أى الساحر فى كذباته (فيقولون) أى السامعون منه (ألم يخبرنا) الساحر (يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا) كناية عن الخرافات التى أخبر بها الساحر (فوجدناه) أى الخبر الذى أخبر به (حقاً للكلمة) أى لأجل الكلمة (التى سمعت من السماء) وهذا الحديث أخرجه البخارى فى التفسير أيضاً وفى التوحيد ، وأبو داود فى الحروف ، والترمذى فى التفسير ، وأخرجه ابن ماجه فى السنة .

الحديث التاسع والثلاثون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ » .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم كانَ يَدْعُو : أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ وَالْكَسَلِ ، وَأَرْذَلِ الْعُمُرِ ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ ، وَفِتْنَةِ الدَّجَّالِ ، وَفِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ .

(قوله تعالى : « ومنكم من يرد إلى أرذل العمر ») أى أردئه ، أو تسعون سنة ، أو ثمانون ، أو خمس وتسعون ، أو خمس وثمانون ، أو خمس وسبعون ، وروى ابن مردويه من حديث أنس أنه مائة سنة ، وقال السدى : أرذل العمر : وهو الخرف .

(عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم كان يدعو : أعوذ بك من البخل) أى فى حقوق المال (و) من (الكسل) وهو التثاقل عما لا ينبغى التثاقل عنه ، ويكون لعدم انبعاث النفس للخير مع ظهور الاستطاعة (و) من (أرذل العمر) أى أخسه وهو الهرم الذى يشابه الطفولية فى نقصان القوة والعقل ، وإنما استعاذ منه لأنه من الأدواء التى لا دواء لها . والحاصل أن كبر السن ربما يورث نقص العقل وتخابط الرأى وغير ذلك مما يسوء به الحال (و) أعوذ بك من (عذاب القبر) أى من العذاب فى القبر . والأحاديث الصحيحة فى إثباته متظاهرة ، فالإيمان به واجب (و) من (فتنة الدجال) فى حديث أبى أمامة عند أبى داود وابن ماجه : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر الحديث وفيه : إنه لم تكن فتنة فى الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال (و) من (فتنة المحيا والممات) أى زمان الحياة والموت ، وهو من أول النزع وهلم جرا وأصل الفتنة : الامتحان والاختبار ، واستعملت فى الشرع فى اختبار كشف ما يكره ، يقال : فتنت الذهب إذا أدخلته النار لنختبر جودته ، وفتنة المحيا : ما يعرض للإنسان فى مدة حياته من الافتتان بالدنيا وشهواتها ، وأعظمها والعياذ بالله تعالى أمر الخاتمة عند الموت ، وفتنة الممات ، قيل : كسؤال الملكين

ونحو ذلك مما يقع فى القبر ، والمراد من شر سؤالها ، وإلا فأصل السؤال واقع لا محالة ، فلا يدعى برفعه فيكون عذاب القبر مسبباً عن ذلك ، والسبب غير المسبب . وقيل : المراد الفتنة قبيل الموت وأضيفت إليه لقربها منه ، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يتعوذ من المذكورات دفعاً عن أمته وتشريعاً لهم ليبين لهم صفة المهم من الأدعية ، جزاه الله عنا ما هو أهله . وهذا الحديث أخرجه مسلم فى الدعوات .

الحديث الأربعون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كانَ عَبْداً شَكُوراً ».

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : أُتِيَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِلَحْمٍ ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّراعُ وَكانَتْ تُعْجِبُهُ ، فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً ، ثُمَّ قالَ : أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذٰلِكَ ؟ يَجْمَعُ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِى صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِى ، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مالَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ ، فَيَقُولُ النَّاسُ : أَلَا تَرَوْنَ ما قَدْ بَلَغَكُمْ ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ : عَلَيْكُمْ بِآدَمَ ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَيَقُولُونَ لَهُ : أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ ، خلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ ، وَأَمَرَ المَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى إِلَى ما نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلَا تَرى إِلَى ما قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَيَقُولُ آدَمُ : أَنَّ رَبِّى قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبْ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِى عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ ، نَفْسِى نَفْسِى نَفْسِى ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِى ، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ ، فَيَأْتُونَ نُوحاً فَيَقُولُونَ : يَانُوحُ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عَبْداً شَكُوراً ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرى إِلَى ما نَحْنُ فِيهِ ؟ فَيَقُولُ : إِنَّ رَبِّى عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنَّهُ كانَتْ لِى دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِى ، نَفْسى نَفْسِى نَفْسِى ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِى ، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَهِيمَ ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ، فَيَقُولُونَ : يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِىُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ : إِنَّ رَبِّى قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنِّى قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ

كَذَبَاتٍ ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى مُوسى ، فَيَأْتُونَ مُوسى ، فيَقُولُونَ : يَا مُوسى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ ، فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْساً لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسى ، فَيَأْتُونَ عِيسى ، فَيَقُولُونَ : يَا عِيسى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فى المَهْدِ صَبِياً ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى إِلَى ما نَحْنُ فِيهِ ؟ فَيَقُولُ عِيسى : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ - وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْباً - نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وسلم فَيَقُولُونَ : يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى إِلَى ما نَحْنُ فِيهِ ؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِداً لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ، ارْفَعْ رَأْسَكَ ، سَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ : أُمَّتِي يَارَبِّ ، أُمَّتِي يَارَبِّ ، أُمَّتِي يَارَبِّ ، فَيُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ ، ثُمَّ قالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ ما بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ ، كما بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ ، أَوْ كما بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى .

(قوله تعالى : « ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً ») قال الحافظ ابن كثير : وقد ورد فى الحديث والأثر عن السلف أن نوحاً عليه

السلام كان يحمد الله على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله ، فلهذا سمى عبداً شــكوراً . وصحح ابن حبان من حديث سلمان : كان نوح إذا طعم أو لبس حمد الله فسمى عبداً شكوراً . وله شاهد عند ابن مردويه من حديث معاذ بن أنس ، وفيه تهيج على الشكر على النعم لا سيما نعمة الإسلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أُتى رســول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم بلحم فرفع إليه الذراع) قال السفاقسى : الصواب فرفعت (وكانت تعجبه) لزيادة لذتها (فنهس منها نهسة) بالسين المهملة ، أى أخذ منها بأطراف أسنانه . وروى : نهشة بالمعجمة ، أى بأضراسه أو بجميع أسنانه (ثم قال) إعلاماً لأمته بقدره عند الله ليؤمنوا به كغيره مما جاء به من الواجبات (أنا سيد الناس) آدم وجميع ولده (يوم القيامة) وتخصيصه بالقيامة يلزم منه ثبوت سيادته فى الدنيا بطريق الأولوية ، ونهيه عن التفضيل على طريق التواضع (وهل تدرون مم ذلك يجمع الناس) وفى لفظ : يجمع الله الناس (الأولين والآخرين فى صعيد واحد) أرض واسعة مستوية (يسمعهم) بضم التاء من الإسماع (الداعى وينفذهم البصر) أى يحيط بهم لا يخفى عليه منهم شىء لاستواء الأرض وعدم الحجاب (وتدنو الشمس) وفى الزهد لابن المبارك ومصنف ابن أبى شيبة واللفظ له بسند جيد عن سلمان قال : تعطى الشمس يوم القيامة حرّ عشر سنين ، ثم تدنو من جماجم الناس حتى تكون قاب قوسين ، فيعرقون حتى يرشح العرق فى الأرض قامة ، ثم يرتفع حتى يغرغر الرجل : زاد ابن المبارك فى روايته : ولا يضر حرها يومئذ مؤمناً ولا مؤمنة (فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون ، فيقول الناس : ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض : عليكم بآدم ، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له : أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه) قال الكرمانى : الإضافة إلى الله تعالى لتعظيم المضاف وتشريفه (وأمر الملائكة فسجدوا لك) وزاد فى رواية همام فى التوحيد : وأسكنك جنته وعلمك أسماء كل شىء (اشفع لنا إلى ربك) حتى يريحنا مما نحن فيه (ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟) بفتح اللام (فيقول آدم : إن ربى قد غضب اليوم

غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله) والمراد من الغضب كما قال الكرمانى لازمه وهو إرادة إيصال العذاب . وقال النووى : المراد بغضب الله ما يظهر من انتقامه فيمن عصاه ، وما يشاهده أهل الجمع من الأهوال التي لم تكن ولا يكون مثلها (وإنه نهانى عن الشجرة) أي عن أكلها (فعصيته) وأكلتها (نفسى ، نفسى ، نفسى) كررها ثلاثاً ، أى هى التى تستحق أن يشفع لها (اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى نوح ، فيأتون نوحاً فيقولون : يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض) استشكلت هذه الأولية بأن آدم نبى مرسل ، وكذا شيث وإدريس وهم قبل نوح . وأجيب بأن الأولية مقيدة بأهل الأرض ، لأن آدم ومن ذكر معه لم يرسلوا إلى أهل الأرض . ويشكل عليه حديث جابر ، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة ، وأُجيب بأن بعثته إلى أهل الأرض باعتبار الواقع لصدق أنهم قومه ، أو أن المراد بالبعثة البعثة إلى الأصناف والأقوام وأهل الملل المختلفة ، وآدم ونوح ليسا كذلك ، لأن بنى آدم لم يكن ثم غيرهم ، ونوح لم يكن عند الإرسال إلا قومه فالبعثة خاصة بهم وعامة فى الصورة لضرورة الانحصار فى الموجودين ، بخلاف بعثة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لقومه وغيرهم ، أو الأولية مقيدة بكونه أهلك قومه أو أن الثلاثة كانوا أنبياء ولم يكونوا رسلا ، لكن فى صحيح ابن حبان من حديث أبى ذر ما يقضى أنه كان مرسلا والتصريح بإنزال الصحف على شيث (وقد سماك الله) أى فى القرآن فى سورة بنى إسرائيل (عبداً شكوراً) وهذا موضع الترجمة (اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول : إن ربى عز وجل قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لى دعوة دعوتها على قومى) هى التى أغرق بها أهل الأرض ، يعنى أن له دعوة واحدة محققة الإجابة ، وقد استوفاها بدعائه على أهل الأرض ، فخشى أن يطلب فلا يجاب . وفى حديث أنس عند الشيخين : ويذكر خطيئته التى أصاب سؤاله ربه بغير علم ، فيحتمل أن يكون اعتذر بأمرين : أحدهما أنه استوفى دعوته المستجابة ، وثانيهما سؤاله ربه بغير علم حيث قال : « رب إن ابنى من أهلى » ، فخشى أن تكون شفاعته لأهل الموقف من ذلك (نفسى ، نفسى ، نفسى) ثلاثاً ، أى هى التى تستحق أن يشفع لها (اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى إبراهيم)

زاد فى رواية أنس : خليل الرحمن (فيأتون إبراهيم فيقولون : يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض) لا ينفى وصف نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بمقام الخلة الثابت له على وجه أعلى من إبراهيم (اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟) من الكرب (فيقول لهم : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنى قد كنت كذبت ثلاث كذبات) بفتحات ، فذكرهن أبو حيان ، يحيى بن سعيد التيمى الراوى عن أبى زرعة فى الحديث واختصرهنّ من دونه ، وهى قوله : إنى سقيم ، وبل فعله كبيرهم ، وقوله لسارة هى أختى . والحق أنها معاريض ، لكن لما كانت صورتها صورة كذب سماها به ، وأشفق منها استقصاراً لنفسه عن مقام الشفاعة مع وقوعها ، لأن من كان بالله أعرف وأقرب منزلة كان أعظم خطراً وأشد خشية . قاله البيضاوى (نفسى ، نفسى ، نفسى) ثلاثاً (اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى موسى ، فيأتون موسى فيقولون : يا موسى أنت رسول الله ، فضلك الله برسالته) بالإفراد (وبكلامه على الناس) عام مخصوص على مالا يخفى ، فقد ثبت أنه تعالى كلم نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ليلة المعراج ، ولا يلزم من قيام وصف التكلم به أن يشتق له منه اسم الكليم كموسى ، إذ هو وصف غلب على موسى كالحبيب لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم ، وإن كان شارك الخليل فى الخلة على وجه أكمل منه (اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟) من الكرب والبلاء (فيقول : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنى قتلت نفساً لم أومر بقتلها) يريد قتله القبطى المذكور فى آية القصص ، وإنما استعظمه واعتذر به لأنه لم يؤمر بقتل الكفار أو لأنه كان مؤمناً فيهم فلم يكن له اغتياله ولا يقدح فى عصمته لكونه خطأ وعده من عمل الشيطان فى الآية وسماه ظلماً واستغفر منه على عادتهم فى استعظام محقرات فرطت منهم (نفسى ، نفسى ، نفسى) ثلاثاً (اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى عيسى ، فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم) أى أوصلها إليها وحصلها فيها (وروح منه) أى وذو روح صدر منه ، لا بتوسط ما يجرى مجرى الأصل والمادة له (وكلمت الناس فى المهد صبياً) أى طفلا ، والمهد : مصدر سمى به ما يمهد للصبى من مضجعه (اشفع لنا) أى إلى ربك حتى

يريحنا مما نحن فيه (ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟) من الكرب (فيقول عيسى : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله) زاد أبو ذر : قط (ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنباً) وفى رواية أحمد والنسائى من حديث ابن عباس : إنى اتخذت إلهاً من دون الله . وفى رواية ثابت عند سعيد بن منصور ونحوه ، وزاد : وأن يغفر لى اليوم حسبى (نفسى ، نفسى ، نفسى) ثلاثاً (اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه) وآله (وسلم) زاد فى حديث أنس الطويل فى الرقاق : فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر (فيأتون محمداً صلى الله عليه) وآله (وسلم فيقولون : يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) يعنى أنه غير مؤاخذ بذنب ولو وقع . قال فى الفتح : ويستفاد من قول عيسى فى حق نبينا هذا ، ومن قول موسى : إنى قتلت وأن يغفر لى اليوم حسبى مع أن الله قد غفر له بنص القرآن التفرقة بين من وقع منه شىء ومن لم يقع منه شىء أصلا ، فإن موسى مع وقوع المغفرة له لم يرتفع إشفاقه من المؤاخذة بذلك، أو رأى فى نفسه تقصيراً عن مقام الشفاعة مع وجود ما صدر منه بخلاف نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فى ذلك كله ، ومن ثم أحتج عيسى بأنه صاحب الشفاعة ، لأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، بمعنى أن الله أخبر أن لا يؤاخذه بذنب ولو وقع منه ، قال : وهذا من النفائس التى فتح الله بها فى فتح البارى ، فله الحمد . وقال القاضى عياض : يحتمل أنهم علموا أن صاحبها محمد صلى الله عليه وآله وسلم معيناً وتكون إحالة كل واحد منهم على الآخر على تدريج الشفاعة فى ذلك إليه صلى الله عايه وآله وسلم إظهاراً لشرفه فى ذلك المقام العظيم (اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟) من الكرب (فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجداً لربى عز وجل) زاد فى حديث أبى بكر الصديق عند أبى عوانة : قدر جمعة (ثم يفتح الله علىّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلى) وفى حديث أُبىّ بن كعب عند أبى يعلى رفعه : يعرفنى الله نفسه فأسجد له سجدة يرضى بها عنى ثم أمتدحه بمدحة يرضى بها عنى (ثم قال : يا محمد ارفع رأسك ، سل تعطه) بسكون ، الهاء (واشفع تشفع) مبنى للمفعول من التشفع ، أى تقبل شفاعتك (فأرفع رأسى فأقول : أُمتى يارب ، أُمتى يارب) مرتين ، ولأبى ذر : أُمتى

يا رب ، فزاد ثالثة (فيقال : يا محمد أدخل من أمتك) أمر من الإدخال ، أي الجنـة (من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنـة) وهم سبعون ألفاً وهم أول من يدخلها (وهم) أيضاً (شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، ثم قال : و) الله (الذى نفسى بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنــة)وهما جانباً الباب (كما بين مكة وحمير) أى صنعـاء لأنها بلد حمير (أو كما بين مكة وبصرى) بضم الباء الموحدة : مدينة بالشام ، بينها وبين دمشق ثلاث مراحل ، والشك من الراوى . وهذا الحديث أخرجه البخارى أيضاً فى أحاديث الأنبياء .

الحديث الحادى والأربعون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً » .

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ : إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيامَةِ جُثاً ، كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا ، يَقُولُونَ : يَافُلَانُ اشْفَعْ ، يَا فُلَانُ اشْفَعْ ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فَذلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللهُ المَقَامَ المَحْمُودَ .

(قوله تعالى : « عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) يحمده فيه الأولون والآخرون ، والمشهور أنه مقام الشفاعة للناس ليريحهم الله من كرب ذلك اليوم وشدته .

(عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً) بضم الجيم وفتح المثلثة المخففة منوناً مقصوراً : جمع جثوة ، كخطوة وخطاً : أى جماعات (كل أمـــة تتبع نبيها ، يقولون : يا فلان اشفع) أى لنا (حتى تنتهى الشفاعة إلى النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم) زاد فى الرواية المعلقة فى الزكاة فيشفع ليقضى بين الخلق (فذلك) أى مقام الشفاعة (يوم يبعثه الله المقام المحمود) وفى المقام المحمود أقوال : روى النسائى بإسناد صحيح من حديث حذيفة قال : يجمع الناس فى صعيد واحد ، فأول مدعو محمد ، فيقول : لبيك وسعديك والخير فى يديك والشر ليس إليك ، المهدى من هديت ، أنا عبدك وابن عبدك ، وبك وإليك ولا ملجأ ولا منجا إلا إليك ، تباركت وتعاليت ، فهذا قوله : « عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً » وصححه الحاكم . قال فى الفتح : ولا منافاة بينه وبين حديث ابن عمر فى الباب ، لأن هذا الكلام كان مقدمة الشفاعة . وروى ابن أبى حاتم من طريق سعيد ابن هلال أنه بلغه أن المقام المحمود الذى ذكره الله أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم يكون يوم القيامة بين الجبار وبين جبريل عليه السلام فيغبطه لمقامه، ذلك أهل الجمع ، ورجاله ثقات ، لكنه مرسل . ومن طريق على بن الحسين ابن علىّ : أخبرنى رجل من أهل العلم أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال :

تمد الأرض مد الأديم . . . الحديث . وفيه : ثم يؤذن لى فى الشفاعة ، فأقول : أى رب ، عبادك عبدوك فى أطراف الأرض ، قال : فذلك المقام المحمود . ورجاله ثقات ، وهو صحيح إن كان الرجل صحابياً ، وقد تقدم فى كتاب الزكاة أن المراد بالمقام المحمود أخذه بحلقة باب الجنة . وقيل : إعطاؤه لواء الحمد . وقيل : جلوسه على العرش . أخرجه عبد بن حميد وغيره عن مجاهد . وقيل : شفاعته رابع أربعة . انتهى . وتمام بيانه ذكره الحافظ فى كتاب الرقاق ، وكذا القسطلانى فيه .

الحديث الثانى والأربعون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا » .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : نَزَلَتْ وَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مُخْتَفٍ بِمَكَّةَ ، فَكَانَ إِذَا صَلَّى بِأَصْحَابِهِ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ ، فَإِذَا سَمِعَهُ الْمُشْرِكُونَ سَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ وَمَنْ جاءَ بِهِ ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم : « وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ » أَيْ بِقِرَاءَتِكَ ، فَيَسْمَعَ الْمُشْرِكُونَ فَيَسُبُّوا الْقُرْآنَ « وَلَا تُخَافِتْ بِهَا » عَنْ أَصْحَابِكَ فَلَا تُسْمِعُهُمْ ، « وَابْتَغِ بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلاً » .

(قوله تعالى : « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها » .

(عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : نزلت ورسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم مختف بمكة) يعنى فى أول الإسلام (كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به ، فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه) وآله (وسلم : « ولا تجهر بصلاتك » أى بقراءتك) أى بقراءة صلاتك، فهو على حذف المضاف (فيسمع المشركون فيسبوا القرآن) وللطبرى من وجه عن سعيد بن جبير فقالوا له ، أى المشركون : لا تجهر فتؤذى آلهتنا فنهجوا إلهك . ومن طريق داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس : كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم إذا جهر بالقرآن وهو يصلى تفرق عنه أصحابه ، وإذا خفض صوته لم يسمعه من يريد أن يسمع قراءته ، فنزلت (ولا تخافت) لا تخفض صوتك (بها عن أصحابك فلا تسمعهم) وإنما حذف المضاف لأنه لا يلبس من قبل أن الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير ، والصلاة أفعال وأذكار (وابتغ بين ذلك) الجهر والمخافتة (سبيلا) أى طريقاً وسطاً .

الحديث الثالث والأربعون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « أُولئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ » الآيَةَ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قالَ : يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الْعَظِيمِ السَّمِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، وَقَالَ : اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ : « فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً » .

(قوله تعالى : « أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ») أى بالقرآن أو به وبالإنجيل أو بمعجزات الرسول (ولقائه) أى بالبعث أو بالنظر إلى وجه الله الكريم أو لقاء جزائه ، ففيه حذف ، وقد كذب اليهود بالقرآن والإنجيل ، والنصارى بالقرآن ، وقريش بلقاء الله والبعث ، فحبطت أعمالهم بطلت بكفرهم وتكذيبهم فلا ثواب لهم عليها (الآية) أى فلا نقيم لهم يوم القيامة . وزناً ، وهذا هو المراد لما سيورده من الحديث .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم أنه قال : يؤتى بالرجل العظيم) فى الطول أو فى الجاه (السمين) ولابن مردويه من وجه آخر عن أبى هريرة : الطويل العظيم الأكول الشروب (يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة) وعند ابن أبى حاتم من طريق صالح مولى التوأمة عن أبى هريرة مرفوعاً : فيوزن بحبة فلا يزنها (وقال) أى النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو أبو هريرة (اقرأوا إن شئتم : « فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ») أى لا نجعل لهم مقداراً أو اعتباراً ، ولا نضع لهم ميزاناً توزن به أعمالهم ، لأن الميزان إنما ينصب للذين خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً أو لا نقيم لأعمالهم وزناً لحقارتها ، وفى هذه الآية من أنواع البديع التجنيس المغاير وفيها أيضاً الاستعارة ، فاستعار إقامة الوزن التى هى حقيقة فى اعتداله لعدم الالتفات إليهم وإعراض الله عنهم ، كما استعار الحبوط فى قوله « حبطت أعمالهم » الذى هو حقيقة فى البطلان لذهاب جزاء أعمالهم الصالحة ، والحذف فى « فحبطت أعمالهم » أى ثمرات أعمالهم ، إذ ليس لهم عمل فنقيم لهم وزناً ، واستدل به على أن الكفار لا يحاسبون ، لأنه إنما يحاسب من له حسنات وسيئات ، والكافر ليس له فى الآخرة حسنات فتوزن .

الحديث الرابع والأربعون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ » . الآيَةَ .

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الخُدْرِىِّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : يُؤْتَى بِالمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ ، فَيُنَادِى مُنَادٍ : يَا أَهْلَ الجَنَّةِ ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ ، فَيَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُونَ هذَا ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، هذَا المَوْتُ ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ ، ثُمَّ يُنَادِى : يَا أَهْلَ النَّارِ ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ ، فَيَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُونَ هذَا ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ هذَا المَوْتُ ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ فَيُذْبَحُ ، ثُمَّ يَقُولُ : يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلا مَوْتَ ، ثُمَّ قَرَأَ : « وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ الأَمْرُ » وَهُمْ فى غَفْلَةٍ ، وَهؤُلَاءِ فى غَفْلَةٍ أَهْلِ الدُّنْيَا وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ .

(قوله تعالى: « وأنذرهم يوم الحسرة ») الخطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، أى أنذر جميع الناس (الآية) أى إذ قضى الأمر ، أى فصل بين أهل الجنة والنار ، ودخل كل إلى ما صار إليه مخلداً فيه وهم فى غفلة ، أى وهؤلاء فى غفلة ، أى أهل الدنيا ، إذ الآخرة ليست دار غفلة ، وهم لا يؤمنون ، نفى عنهم الإيمان على سبيل الدوام مع الاستمرار فى الأزمنة الماضية والآتية على سبيل التأكيد والمبالغة .

(عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : يؤتى بالموت) الذى هو عرض من الأعراض جسماً (كهيئة كبش أملح) فيه بياض وسواد ، لكن سواده أقل ، قل القرطبى : الحكمة فى ذلك أن يجمع بين صفتى أهل الجنة والنار السواد والبياض (فينادى مناد) لم يسم (يا أهل الجنة ، فيشرئبون) أى يمدون أعناقهم ويرفعون رءوسهم (وينظرون) وعند ابن حبان فى صحيحه وابن ماجه عن أبى هريرة : فيطلعون خائفين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه (فيقول : هل تعرفون

هذا فيقولون : نعم هذا الموت ، وكلهم قد رآه) أى وعرفه بما يلقيه الله فى قلوبهم أنه الموت (ثم ينادى) أى المنادى (يا أهل النار ، فيشرئبون وينظرون) وعند ابن حبان وابن ماجه : فيطلعون فرحين مستبشرين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه (فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم هذا الموت ، وكلهم قد رآه فيذبح) وفى باب صفة الجنة والنار من كتاب الرقاق : جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح . وعند ابن ماجه : فيذبح على الصراط . وعند الترمذى فى باب خلود أهل الجنة من حديث أبى هريرة : فيضجع فيذبح ذبحاً على السور الذى بين أهل الجنة وأهل النار وفى تفسير إسماعيل بن زياد الشامى أحد الضعفاء فى آخر حديث السور الطويل أن الذابح له جبريل عليه السلام كما نقله عنه الحافظ ابن حجر ، وذكر صاحب خلع النعلين فيما نقله فى التذكرة أن الذابح له يحيي بن زكريا بين يدى النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وقال قوم : المذبوح متولى الموت ، وكلهم يعرفه لأنه الذى تولى قبض أرواحهم فى الدنيا ، فإن قلت : ما الحكمة فى مجيء الموت فى صورة الكبش دون غيره ، أجيب بأن ذلك إشارة إلى حصول الفداء لهم به كما فدى ولد الخليل بالكبش (ثم يقول) ذلك المنادى (يا أهل الجنة خلود) أبد الآبدين (فلا موت ، ويا أهل النار خلود) أبد الآبدين (فلا موت) زاد فى الرقاق : فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم . وعند الترمذى : فلو أن أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنة ، ولو أن أحداً مات حزناً لمات أهل النار (ثم قرأ) النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو أبو سعيد (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهؤلاء فى غفلة) أى (أهل الدنيا وهم لا يؤمنون) وهذا الحديث أخرجه مسلم فى صفة النار ، والترمذى والنسائى فى التفسير . وفيه دليل على خلود أهل الدارين : الجنة والنار . وما قيل من فناء النار يرده هذا الحديث وأدلة الكتاب العزيز . وللشوكانى وللسيد محمد بن إسماعيل الأمير اليمانى رسائل مستقلة فى ذلك ، وفيها رد أدلة فناء النار وإثبات الخلود على ما نطقت به نصوص القرآن والأحاديث الظاهرة ، ولشيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله وتلميذه الحافظ ابن القيم رحمه الله ميل إلى مسألة فناء النار ، وليست أدلتها بواضحة صريحة كمايظهر بالنظر فى حجج الفريقين ، وأيضاً يخالف ظاهر النظم القرآنى والأحاديث الصحيحة الكثيرة الطيبة الواردة فى هذا الباب ، والله أعلم بالصواب .

الحديث الخامس والأربعون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنْفُسُهُمْ » .

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ عُوَيْمِرًا أَتَى عاصِمَ بْنَ عَدِيٍّ ، وَكانَ سَيِّدَ بَنِي عَجْلَانَ ، فَقَالَ : كَيْفَ تَقُولُونَ فِي رَجُلٍ وَجَدَ مَعَ ٱمْرَأَتِهِ رَجُلاً ، أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُونَهُ ؟ أَمْ كَيْفَ يَصْنَعُ ؟ سَلْ لِي رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ ذَلِكَ ، فَأَتَى عاصِمٌ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، فَكَرِهَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم المَسَائِلَ وَعابَهَا ، فَسَأَلَهُ عُوَيْمِرٌ فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَرِهَ المَسَائِلَ وَعابَهَا ، قالَ عُوَيْمِرٌ : وَٱللهِ لَا أَنْتَهِي حَتَّى أَسْأَلَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ ذلِكَ ، فَجاءَ عُوَيْمِرٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ، رَجُلٌ وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلاً ، أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُونَهُ ، أَمْ كَيْفَ يَصْنَعُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: قَدْ أَنْزَلَ اللهُ الْقُرْآنَ فِيكَ وَفِي صَاحِبَتِكَ ، فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِالمُلَاعَنَةِ بِمَا سَمَّى اللهُ فِي كِتَابِهِ ، فَلَاعَنَهَا ، ثُمَّ قالَ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ حَبَسْتُهَا فَقَدْ ظَلَمْتُهَا فَطَلَّقَهَا ، فَكانَتْ سُنَّةً لِمَنْ كانَ بَعْدَهُمَا فِي المُتَلَاعِنَيْنِ ، ثُمَّ قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : انْظُرُوا ، فَإِنْ جاءَتْ بِهِ أَسْحَمَ أَدْعَجَ الْعَيْنَيْنِ ، عَظِيمَ الْأَلْيَتَيْنِ ، خَدَلَّجَ السَّاقَيْنِ ، فَلَا أَحْسَبُ عُوَيْمِراً إِلاَّ قَدْ صَدَقَ عَلَيْهَا ، وَإِنْ جاءَتْ بِهِ أُحَيْمِرَ كَأَنَّهُ وَحَرَةٌ فَلَا أَحْسَبُ عُوَيْمِراً إِلاَّ قَدْ كَذَبَ عَلَيْهَا ، فَجَاءَتْ بِهِ عَلَى النَّعْتِ الَّذِي نَعَتَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ تَصْدِيقِ عُوَيْمِرٍ ، فَكانَ بَعْدُ يُنْسَبُ إِلَى أُمِّهِ .

(قوله تعالى : « والذين يرمون أزواجهم) أى يقذفونهم بالزنا (ولم يكن لهم شهداء) يشهدون على صحة ما قالوا (إلا أنفسهم ») .

(عن سهل بن سعد) الساعدى الأنصارى (رضى الله عنه أن عويمراً) تصغير عامر بن الحارث بن زيد بن الجد بن عجلان ، وفى رواية القعنبى عن مالك : عويمر بن أشقر ، وكذا أخرجه أبو داود وأبو عوانة ، وفى الاستيعاب : عويمر بن أبيض . قال الحافظ ابن حجر : فلعل أباه كان يلقب أشقر أو أبيض . وفى الصحابة : عويمر بن أشقر آخر ، وهو مازنى أخرج له ابن ماجه (أتى عاصم بن عدى) العجلانى (وكان سيد بنى عجلان) وهو ابن عم والد عويمر (فقال) له (كيف تقولون فى رجل وجد مع امرأته رجلا ؟ أيقتله فتقتلونه) قصاصاً لقوله تعالى : « النفس بالنفس » وفى قصة العجلانى من حديث ابن عمر المروى فى مسلم : فقال : أرأيت إن وجد مع امرأته رجلا . فإن تكلم تكلم بأمر عظيم ، وإن سكت سكت على مثل ذلك . وفى حديث ابن مسعود عنده أيضاً : إن تكلم جلدتموه ، وإن قتل قتلتموه ، وإن سكت سكت على غيظ . وفى رواية عن ابن عباس : لما نزل : « والذين يرمون المحصنات » الآية ، قال عاصم بن عدى : إن دخل رجل منا بيته فرأى رجلا على بطن امرأته ، فإن جاء بأربعة رجال يشهدون بذلك فقد قضى الرجل حاجته وذهب ، وإن قتله قتل به ، وإن قال وجدت فلاناً معها ضرب وإن سكت سكت على غيظ (أم كيف يصنع) أم يحتمل أن تكون متصلة ، يعنى إذا رأى الرجل هذا المنكر الشنيع والأمر الفظيع وثارت عليه الحمية ، أيقتله فتقتلونه ؟ أم يصبر على ذلك الشنار والعار ؟ ويحتمل أن تكون منقطعة ، فسأل أولا عن القتل مع القصاص ، ثم أضرب عنه إلى سؤاله ، لأن « أم » المنقطعة متضمنة لبل والهمزة ، فبل يضرب الكلام السابق والهمزة تستأنف كلاماً آخر ، والمعنى : كيف يصنع ؟ أيصبر على العار أو يحدث الله له أمراً آخر ، فلذا قال (سل لى) يا عاصم (رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم عن ذلك ، فأتى عاصم النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم فقال : يا رسول الله) حذف المقول لدلالة السابق عليه ، أى كيف تقول فى رجل وجد مع امرأته رجلا ، أيقتله فتقتلونه ؟ أم كيف يصنع ؟ (فكره رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم المسائل) المذكورة لما فيها من البشاعة والإشاعة على المسلمين والمسلمات وتسليط العدو فى الدين بالخوض فى أعراضهم . وزاد فى اللعان والطلاق من طريق مالك عن ابن شهاب : وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع

من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما رجع عاصم إلى أهله (فسأله عويمر) فقال : يا عاصم ماذا قال لك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (فقال) عاصم : لم تأتنى بخبر (إن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم كره المسائل وعابها ، قال عويمر : والله لا أنتهى حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم عن ذلك ، فجاء عويمر) إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (فقال : يارسول الله ، رجل وجد مع امرأته رجلا) يزنى بها (أيقتله فتقتلونه ؟ أم كيف يصنع ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : قد أنزل الله القرآن فيك وفى صاحبتك) هى زوجته خولة بنت قيس فيما ذكره مقاتل . وذكر ابن الكلبى أنها بنت عاصم المذكور واسمها خولة ، والمشهور أنها بنت قيس . وأخرج ابن مردويه من طريق الحكم عن عبد الرحمن بن أبى ليلى أن عاصم بن عدى لما نزلت : « والذين يرمون المحصنات » قال : يا رسول الله أين لأحدنا أربعة شهداء ؟ فابتلى به فى بنت أخيه . وفى سنده مع إرساله ضعف . وأخرج ابن أبى حاتم فى التفسير عن مقاتل بن حبان قال : لما سأل عاصم عن ذلك ابتلى به فى أهل بيته ، فأتاه ابن عمه تحته ابنة عمه ، رماها بابن عمه المرأة والزوج والخليل ، ثلاثتهم بنو عم عاصم . وعند ابن مردويه من مرسل ابن أبى ليلى أن الرجل الذى رمى عويمر امرأته به هو شريك بن سحماء ، وهو يشهد لصحة هذه الرواية لأنه ابن عم عويمر ، لأنه شريك بن عبدة بن مغيث بن الجد بن العجلان . وفى مرسل مقاتل بن حيان عند ابن أبى حاتم : فقال الزوج لعاصم : يا ابن عم أقسم بالله لقد رأيت شريك بن سحماء يلى بطنها وإنها لحبلى وما قربتها منذ أربعة أشهر . وفى حديث عبد الله بن أبى جعفر عند الدراقطنى : لاعن بين عويمر العجلانى وامرأته فأنكر حملها الذى فى بطنها وقال : هو لابن سحماء . وإذا جاء الخبر من طرق متعددة ، فإن بعضها يعضد بعضاً ، وظاهر السياق يقتضى أنه كان تقدم من عويمر إشارة إلى خصوص ما وقع له مع امرأته ، والظاهر أن فى هذا السياق اختصاراً يوضحه ما فى حديث ابن عمر فى قصة العجلانى بعد قوله « إن تكلم تكلم بأمر عظيم ، وإن سكت سكت على مثل ذلك » . فسكت عنه النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما كان بعد ذلك أتاه فقال : إن الذى سألتك عنه قد ابتليت به ، فدل على أنه لم يذكر امرأته إلا بعد أن انصرف ، ثم عاد

(فأمرهما رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم بالملاعنة) بضم الميم . قال في المغرب : لعنه لعناً ، ولاعنه ملاعنة ولعاناً وتلاعنوا ، لعن بعضهم بعضاً ، وهو لغة الطرد والإبعاد ، وشرعاً كلمات معلومة جعلت حجة للمضطر إلى قذف من لطخ فراشه وألحق العار به أو إلى نفي ولد . قال النووي : إنما سمي لعاناً لأن كلا من الزوجين يبعد عن صاحبه (بما سمى الله في كتابه) في هذه الآية بأن يقول الزوج أربع مرات : أشهد بالله إني لمن الصادقين فيما رميت به هذه من الزنا ، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا ، ويشير إليها في الحضور ، ويميزها في الغيبة ، يأتي بدل ضمائر الغائب بضمائر المتكلم ، فيقول : لعنة الله عليّ إن كنت . . إلخ وإن كان ولداً ينفيه ذكره في الكلمات الخمس لينتفي عنه ، فيقول : إن الولد الذي ولدته ، أو هـــذا الولد من زناً ليس مني (فلاعنها) أي لاعن عويمر زوجته خولة بعد أن قذفها ، وأتت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسألها فأنكرت وأصرا في السنة الأخيرة من زمانه صلى الله عليه وآله وسلم . وجزم الطبري وأبو حاتم وابن حبان بأنها في شعبان سنة تسع . وعند الدارقطني من حديث عبد الله بن جعفر أنها كانت منصرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تبوك . ورجح بعضهم أنها كانت في شعبان سنة عشر لا سنة تسع . وفي حديث ابن مسعود عند مسلم أنها كانت ليلة جمعة (ثم قال) عويمر (يا رسول الله إن حبستها فقد ظلمتها فطلقها) زاد في البخاري في باب من أجاز الطلاق الثلاث من طريق مالك عن ابن شهاب ثلاثاً ، وتمسك به من قال : لا تقع الفرقة بين المتلاعنين إلا بإيقاع الزوج وهو قول عثمان الليثي . واحتج بأن الفرقة لم تذكر في القرآن وأن ظاهر الأحاديث أن الزوج هو الذي طلق ابتداء . وقال الشافعي وسحنون من المالكية : تقع بعد فراغ الزوج من اللعان ، لأن التعان المرأة إنما شرع لدفع الحد عنها ، بخلاف الرجل فإنه يزيد على ذلك في حقه نفي النسب وإلحاق الولد وزوال الفراش . وقال مالك : بعد فراغ المرأة . وتظهر فائدة الخلاف في التوارث لو مات أحـــدهما عقب فراغ الرجل ، وفيما إذا علق طلاق امرأة بفراق أخرى ثم لاعن الأخرى . وقال أبو حنيفة رحمه الله : لا تقع حتى يوقعها الحاكم لظاهر ما وقع في أحاديث اللعان ، وتكون فرقة طلاق . وعن أحمد روايتان . وقول النووي في شرح مسلم : كذبت عليها

يا رسول الله إن أمسكتها ، هو كلام مستقل . وقوله « فطلقها » أى ثم عقب ذلك بطلاقها ، وذلك أنه ظن أن اللعان لا يحرمها عليه فأراد تحريمها بالطلاق ، فقال : هى طالق ثلاثاً ، فقال له النبى صلى الله عليه وآله وسلم : لا سبيل لك عليها ، أى لا مسلك لك عليها فلا يقع طلاقاً . تعقبه فى الفتح بأنه يوهم أن قوله « لا سبيل لك عليها » وقع منه صلى الله عليه وآله وسلم عقب قول الملاعن : هى طالق ثلاثاً ، وأنه موجود كذلك فى حديث سهل بن سعد الذى شرحه ، وليس كذلك ، فإن قوله « لا سبيل لك عليها » لم يقع فى حديث سهل وإنما وقع فى حديث ابن عمر عقب قوله « الله أعلم أن أحدكما كاذب ، لاسبيل لك عليها » . وقال الخطابى : لفظ « فطلقها » يدل على وقوع الفرقة باللعان ، ولولا ذلك لصارت فى حكم المطلقات ، وأجمعوا على أنها ليست فى حكمهنّ ، فلا يكون له مراجعتها إن كان الطلاق رجعياً ، ولا يحل له أن يخطبها إن كان بائناً ، وإنما اللعان فرقة فسخ . هكذا ذكر القسطلانى . قال الشوكانى فى الدرر البهية : ويفرق الحاكم بينهما وتحرم عليه أبداً . انتهى . وهذا المذهب أرجح المذاهب وأولاها بالتحقيق (فكانت) أى الفرقة بينهما (سنة لمن كان بعدهما فى المتلاعنين) فلا يجتمعان بعد الملاعنة . وقال ابن عبد البر : أبدى له بعض أصحابنا فائدة وهو أن لا يجتمع ملعون مع غير ملعون ، لأن أحدهما ملعون فى الجملة ، بخلاف ما إذا تزوجت المرأة غير الملاعن فإنه لا يتحقق . وعورض بأنه لو كان كذلك لامتنع عليهما معاً التزويج ، لأنه يتحقق أن أحدهما ملعون . ويمكن أن يجاب بأن فى هذه الصورة افتراقاً فى الجملة . وفى رواية فى البخارى من طريق فليح عن الزهرى : فكانت سنة أن يفرق بين المتلاعنين وكانت حاملا فأنكر حملها (ثم قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : انظروا فإن جاءت به) أى بالولد لدلالة السياق عليه (أسحم) أى أسود (أدعج العينين) أى شديد سواد الحدقة (عظيم الأليتين) بفتح الهمزة ، أى العجز (خدلج الساقين) أى عظيمهما (فلا أحسب عويمراً إلا قد صدق عليها ، وإن جاءت به أُحيمر) مصغر أحمر (كأنه وحرة) دويبة تترامى على الطعام واللحم فتفسده ، وهى من أنواع الوزغ ، وشبهه بها لحمرتها وقصرها (فلا أحسب عويمراً إلا قد كذب عليها ، فجاءت به على النعت الذى نعت رسول الله صلى الله

عليه) وآله (وسلم من تصديق عويمر) وفى رواية فى باب التلاعن فى المسجد من طريق ابن جريج عن الزهرى : فجاءت به على المكروه من ذلك (فكان) أى الولد (بعد ينسب إلى أُمه) فاعتبر الشبه من غير حكم به لأجل ما هو أقوى من الشبه وهو الفراش كما فعل فى وليدة زمعة ، وإنما يحكم بالشبه وهو حكم القيافة إذا استوت العلائق كسيدين وطئاً فى طهر . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى الطلاق والاعتصام والأحكام والمحاربين والتفسير أيضاً ، ومسلم فى اللعان وأبو داود فى الطلاق ، وكذا النسائى وابن ماجه .

الحديث السادس والأربعون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ » الآيَةَ .

عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ قَذَفَ امْرَأَتَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِشَرِيكِ بْنِ سَحْمَاءَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : الْبَيِّنَةَ أَوْ حَدٌّ فِى ظَهْرِكَ ، قالَ فَقَالَ : يَا رَسُولُ اللهِ إِذَا رَأَى أَحَدُنَا عَلَى امْرَأَتِهِ رَجُلاً يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ الْبَيِّنَةَ ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : الْبَيِّنَةَ وَإِلا حَدٌّ فِى ظَهْرِكَ ، فَقَالَ هِلَالٌ : وَالَّذِى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنِّى لَصَادِقٌ وَلَيُنْزِلَنَّ اللهُ ما يُبْرِئُ ظَهْرِى مِنَ الحَدِّ ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ : « وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ » حَتَّى بَلَغَ : « إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ » . فَانْصَرَفَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا ، فَجَاءَ هِلَالٌ فَشَهِدَ وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ إِنَّ أَحَدَكُمَا لَكَاذِبٌ ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ ، ثُمَّ قَامَتْ فَشَهِدَتْ ، فَلَمَّا كَانَتْ عِنْدَ الخَامِسَةِ وَقَّفُوهَا وَقَالُوا : إِنَّهَا مُوجِبَةٌ . قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَتَلَكَّأَتْ وَنَكَصَتْ ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهَا تَرْجِعُ ، ثُمَّ قَالَتْ : لَا أَفْضَحُ قَوْمِى سَائِرَ الْيَوْمِ ، فَمَضَتْ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : أَبْصِرُوهَا ، فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ سَابِغَ الْأَلْيَتَيْنِ خَدَلَّجَ السَّاقَيْنِ ، فَهُوَ لِشَرِيكِ بْنِ سَحْمَاءَ ، فَجَاءَتْ بِهِ كَذلِكَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : لَوْلَا ما مَضَى مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى لَكَانَ لِى وَلَهَا شَأْنٌ .

(قوله تعالى : « ويدرأ عنها) أى عن المقذوفة (العذاب) أى الحد (أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين ») فيما رمانى به .

(عن ابن عباس رضى الله عنهما أن هلال بن أمية) الواقفى الأنصارى

أحد الثلاثة المتخلفين عن غزوة تبوك وتيب عليهم (قذف امرأته) خولة بنت عاصم كما رواه ابن منده وكانت حاملا (عند النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم بشريك بن سحماء) اسم أمه ، وفى تفسير مقاتل أنها كانت حبشية ، وقيل يمانية ، واسم أبيه عبدة بن معتب أو مغيث ، ولا يمتنع أن يتهم شريك بن سحماء بهذه المرأة وامرأة عويمر معاً ، وأما قول ابن الصباغ فى الشامل : إن المزنى ذكر فى المختصر أن العجلانى قذف زوجته بشريك ابن سحماء ، وهو سهو فى النقل ، وإنما القاذف لشريك هلال بن أمية ، فلعله لم يعرف مستند المزنى فى ذلك ، وقد سبق مستند ذلك قريباً فليلتفت إليه ، والجمع ممكن ، فيتعين المصير إليه ، وهو أولى من التغليط على ما لا يخفى (فقال النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم : البينة) أى أحضر البينة (أو حد) أى أو يقع حد (فى ظهرك) أى على ظهرك كقوله : « لأصلبنكم فى جذوع النخل » (فقال : يا رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلا ينطلق) حال كونه (يلتمس البينة) أى يطلبها (فجعل النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم يقول : البينة وإلا حد فى ظهرك ، فقال هلال : والذى بعثك بالحق إنى لصادق فلينزلنّ الله ما يبرئ ظهرى من الحد ، فنزل جبريل وأنزل عليه) صلى الله عليه وآله وسلم (« والذين يرمون أزواجهم » فقرأ حتى بلغ « إن كان من الصادقين ») أى فيما رماها الزوج به (فانصرف النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم فأرسل إليها) أى إلى خولة بنت عاصم زوج هلال ، فحضرت بين يديه (فجاء هلال فشهد) أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين فيما رماها به ، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين فى الرمى (والنبي صلى الله عليه) وآله (وسلم يقول : إن الله يعلم إن أحدكما كاذب فهل منكما تائب) عرض لهما بالتوبة بلفظ الاستفهام لإبهام الكاذب منهما ، فلذلك لم يقل لهما توبا ، ولا لأحدهما بعينه تب ، ولا قال : ليتب الكاذب منكما ، وزاد جرير ابن حازم عن أيوب عن عكرمة ابن عباس عند الطبرى والحاكم والبيهقى : فقال هلال : والله إنى لصادق (ثم قامت) أى الزوجة (فشهدت) أى أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين فيما رمانى به (فلما كانت عند) المرة (الخامسة وقفوها) بتشديد القاف وتخفيفها (وقالوا إنها موجبة) للعذاب الأليم إن كنت كاذبة (فتلكأت) أى تباطأت عن ذلك (ونكصت) أى أحجمت

(حتى ظننا أنها ترجع) عن مقالتها فى تكذيب الزوج ودعوى البراءة عما رماها به (ثم قالت : لا أفضح قومى سائر اليوم) أى جميع الأيام أيام الدهر أو فيما بقى من الأيام بالإعراض عن اللعان والرجوع إلى تصديق الزوج ، وأُريد باليوم الجنس ، ولذلك أجراه مجرى العام (فمضت) أى فى تمام اللعان (فقال النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم : أبصروها ، فإن جاءت به) أى الولد (أكحل العينين) أى شديد سواد جفونهما خلقة من غير اكتحال (سابغ الأليتين) أى غليظهما (خدلج الساقين) عظيمهما (فهو الشريك بن سحماء ، فجاءت به كذلك ، فقال النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم : لولا ما مضى من كتاب الله) فى آية اللعان (لكان لى ولها شأن) فى إقامة الحد عليها . وفى ذكر الشأن وتنكيره تهويل عظيم لما كان يفعل بها ، أى لفعلت بها لتضاعف ذنبها ما يكون عبرة للناظرين وتذكرة للسامعين . قال الكرمانى : فإن قلت : الحديث الأول يدل على أن عويمراً هو الملاعن ، والآية نزلت فيه ، والولد شابهه . والثانى : أن هلالا هو الملاعن والولد شابهه . وأجاب بأن النووى قال : اختلفوا فى نزول آية اللعان ، هل هو بسبب عويمر أم بسبب هلال . والأكثرون على أنها نزلت فى هلال . وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعويمر : إن الله قد أنزل فيك وفى صاحبتك ، فقالوا : معناه الإشارة إلى ما نزل فى قصة هلال ، ، لأن ذلك حكم عام لجميع الناس ، ويحتمل أنها نزلت فيهما جميعاً ، فلعلهما سألا فى وقتين متقاربين ، فنزلت الآية فيهما ، وسبق هلال باللعان . انتهى . قال فى الفتح : ويؤيد التعدد أن القائل فى قصة هلال سعد بن عبادة كما أخرجه أبو داود والطبرى ، والقائل فى قصة عويمر عاصم بن عدى كما فى حديث سهل السابق ، ولا مانع أن تتعدد القصص ويتحد النزول . وجنح القرطبى إلى تجويز نزول الآية مرتين ، قال : وهذه الاحتمالات وإن بعدت أولى من تغليط الرواة الحفاظ ، وأنكر جماعة ذكر هلال فيمن لاعن ، والصحيح ثبوت ذلك ، وكيف يجزم بخطأ حديث ثابت فى الصحيحين مع إمكان الجمع بمجرد دعوى لا دليل عليها . وقول النووى فى تهذيبه : اختلفوا فى الذى وجد مع امرأته رجلا وتلاعنا على ثلاثة أقوال : هلال بن أُمية ، أو عاصم بن عدى ، أو عويمر العجلانى . قال الواحدى : أظهر هذه الأقوال أنه عويمر لكثرة الأحاديث ، واتفقوا على أن الموجود

زانياً شريك بن سحماء ، تعقبوه بأن قصتى ملاعنة عويمر وهلال ثبتتا فكيف يختلف فيهما ، وإنما المختلف فيه سبب نزول الآية فى أيهما . وقد سبق تقريره وبأن عاصماً لم يلاعن قط وإنما سأل لعويمر العجلانى عن ذلك ، وبأن قوله « واتفقوا على أن الموجود زانياً شريك » ممنوع ، إذ لم يوجد زانياً وإنما هم اعتقدوا ذلك ، ولم يثبت ذلك فى حقه فى ظاهر الحكم ، فصواب العبارة أن يقال : واتفقوا على أن المرمى به شريك بن سحماء . وفصل القول فى ذلك الحافظ فى الفتح ، فراجعه .

الحديث السابع والأربعون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ » الآيَةَ .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً قالَ : يَا نَبِيَّ اللهِ كَيْفَ يُحْشَرُ الْكافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ . قالَ : أَلَيْسَ الَّذِى أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِى الدُّنْيَا قادِراً عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ ؟

(قوله تعالى : « الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم ») أى مقلوبين أو مسحوبين إليها (الآية) أى أولئك شر مكاناً وأضل سبيلا .

(عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رجلا) قال الحافظ فى الفتح : لم أقف على اسم القائل (قال : يانبى الله يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة) استفهام حذفت منه الأداة . وللحاكم من وجه آخر عن أنس : كيف يحشر أهل النار على وجوههم (قال : أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة) وظاهره أن المراد مشيه على وجهه حقيقة ، فلذلك استغربوه حتى سألوا عنه . قال قتادة بن دعامة الراوى : بلى وعزة ربنا ، أى إنه لقادر على ذلك . قاله تصديقاً لقـــوله « أليس » . وحكمة حشره على وجهه معاقبته على تركه السجود فى الدنيا إظهاراً لهوانه وخساسته بحيث صار وجهه مكان يديه ورجليه فى التوقى عن المؤذيات . وفى حديث أبى هريرة المروى عند أحمد قالوا : يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم ؟ قال : إن الذى أمشاهم على أرجلهم قادر أن يمشيهم على وجوههم ، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشـــوك . قال فى الفتح : ويؤخذ من مجموع الأحاديث أن المقربين يحشرون ركباناً ومن دونهم من المسلمين على أقدامهم ، وأما الكفار فيحشرون على وجوههم .

الحديث الثامن والأربعون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « الٓمٓ * غُلِبَتِ الرُّومُ » .

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّ رَجُلاً يُحَدِّثُ فِى كِنْدَةَ فَقَالَ : يَجِيءُ دُخانٌ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَيأْخُذُ بِأَسْماعِ الْمُنافِقِينَ وَأَبْصارِهِمْ وَيأْخُذُ الْمُؤْمِنَ كَهَيْئَةِ الزُّكامِ ، وَكانَ ابْنُ مَسْعُودٍ حِينَ بَلَغَهُ مُتَّكِئاً فَغَضِبَ ، فَجَلَسَ فَقَالَ : مَنْ عَلِمَ فَلْيَقُلْ وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلِ اللهُ أَعْلَمُ ، فَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ لَا أَعْلَمُ ، فَإِنَّ اللهَ قالَ لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم : « قُلْ ما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَما أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ » ، وَإِنَّ قُرَيْشاً أَبْطَأُوا عَنِ الْإِسْلَامِ فَدَعا عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فقالَ : اللَّهُمَّ أَعِنِّى عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ ، فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَتَّى هَلَكُوا فِيهَا ، وَأَكَلُوا الْمَيْتَةَ وَالْعِظَامَ ، وَيَرَى الرَّجُلُ ما بَيْنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ كَهَيْئَةِ الدُّخانِ ، فَجاءَهُ أَبُو سُفْيانَ فَقالَ : يَا مُحَمَّدُ جِئْتَ تَأْمُرُنا بِصِلَةِ الرَّحِمِ ، وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا ، فَادْعُ اللهَ ، فَقَرَأَ : « فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ » إِلَى قَوْلِهِ « عائِدُونَ » أَفَيُكْشَفُ عَنْهُمْ عَذابُ الآخِرَةِ إِذَا جاءَ ، ثُمَّ عادُوا إِلَى كُفْرِهِمْ ، فَذلِكَ قَوْلُهُ تَعالَى : « يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى » ، يَوْمَ بَدْرٍ ، وَلِزاماً يَوْمَ بَدْرٍ .

(قوله تعالى : « آلم * غلبت الروم ») أى غلبت فارس الروم ، وهذا علم من أعلام نبوّة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ، لما فيه من الإخبار بالغيب والروم قد مضى .

(عن ابن مسعود رضى الله عنه وقد بلغه أن رجلا) قال الحافظ : لم أقف على اسمه (يحدث فى كندة) بكسر الكاف وسكون النون (فقال : يجيء دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ، يأخذ المؤمن كهيئة الزكام ،

ففزعنا) من الفزع (وكان ابن مسعود حين بلغه متكئاً فغضب) لذلك (فجلس فقال : من علم فليقل) ما يعلمه إذا سئل (ومن لم يعلم فليقل : الله أعلم ، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم : لا أعلم) لأن تمييز المعلوم من المجهول نوع من العلم ، وليس المراد أن عدم العلم يكون علماً (فإن الله) تعالى (قال لنبيه صلى الله عليه) وآله (وسلم : « قل ما أسالكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ») والقول فيما لا يعلم قسم من التكلف ، وفيه تعريض بالرجل القائل : يجيء دخان ... إلخ ، وإنكار عليه ، ثم بين قصة الدخان فقال (وإن قريشاً أبطأوا عن الإسلام) أى تأخروا عنه (فدعا عليهم النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم فقال : اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف) الصديق عليه السلام التى أخبر الله عنها فى التنزيل بقوله : « ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد » (فأخذتهم سنة) بفتح السين : قحط وهم بمكة (حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام ، ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان) من ضعف بصره بسبب الجوع (فجاءه أبو سفيان) صخر بن حرب بمكة أو المدينة (فقال : يا محمد جئت تأمرنا بصلة الرحم وإن قومك) ذوى رحمك (قد هلكوا) من الجدب والجوع بدعائك عليهم (فادع الله) لهم بأن يكشف عنهم ، فإن كشف آمنوا (فقرأ) عليه السلام (فارتقب) أى انتظر (يوم تأتى السماء بدخان مبين) أى بين واضح يراه كل أحد (إلى قوله : عائدون) أى إلى الكفر أو إلى العذاب ، قال ابن مسعود (أفيكشف عنهم عذاب الآخرة إذا جاء ثم عادوا إلى كفرهم) غب الكشف (فذلك قوله تعالى : « يوم نبطش البطشة الكبرى » يوم بدر) يريد القتل فيه ، وهذا الذى قاله ابن مسعود وافقه عليه جماعة كمجاهد وأبى العالية وإبراهيم النخعى والضحاك وعطية العوفى ، واختاره ابن جرير ، لكن أخرج ابن أبى حاتم عن الحارث عن علىّ بن أبى طالب : لم تمض آية الدخان بعد يأخذ المؤمن كهيئة الزكام وينفخ الكافر حتى ينقد . وأخرج أيضاً عن عبد الله بن أبى مليكة قال : غدوت على ابن عباس ذات يوم فقال : ما نمت الليلة حتى أصبحت . قلت : لم ؟ قال : قالوا : طلع الكوكب ذو الذنب ، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق ، فما نمت حتى أصبحت . قال الحافظ ابن كثير : وإسناده صحيح إلى ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن ، ووافقه عليه جماعة من الصحابة والتابعين مع الأحاديث

المرفوعة من الصحاح والحسان مما فيه دلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة ، وهو ظاهر قوله تعالى : « فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين » أى بين واضح ، وعلى ما فسره ابن مسعود إنما هو خيال رأوه فى أعينهم من شدة الجوع والجهد ، وكذا قوله تعالى : « يغشى الناس » أى يعمهم ، ولو كان خيالا يخص مشركى مكة لما قيل « يغشى الناس » . وأما قوله : « إنا كاشفو العذاب » أى ولو كشفنا عنكم العذاب ورجعناكم إلى الدنيا لعدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والتكذيب ، كقوله تعالى : « ولو رحمناهم وكشفنا مابهم من ضر للجوا ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه » وقال آخرون : لم يمض الدخان بعد بل هو من أمارات الساعة . وفى حديث حذيفة بن أُسيد الغفارى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة وخروج يأجوج ومأجوج وخروج عيسى والدجال ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، ونار تخرج من قعر عدن تحشر الناس ، تبيت معهم حيث باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا . انفرد بإخراجه مسلم . هكذا فى القسطلانى . وقد حققت ما هــو الحق فى ذلك فى تفسيرى فتح البيان ، فراجعه يتجلى لك حقيقة الحق الأحق بالاتباع (ولزاماً يوم بدر) أيضاً .

الحديث التاسع والأربعون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ » .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : « أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مالَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ذُخْراً بَلْهَ ما أُطْلِعْتُمْ عَلَيْهِ » ، ثُمَّ قَرَأَ : « فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ » .

(قوله تعالى : « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ») أى مما تقر به عيونهم ، ونفس نكرة فى سياق النفى ، فتعم جميع الأنفس ، أى لا يعلم الذى أخفاه الله لهم ، لا ملك مقرب ولا نبى مرسل ، قال بعضهم : أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم)أنه (قال : قال الله تبارك وتعالى : أعددت لعبادى الصالحين) فى الجنة (مالا عين رأت) عين وقعت فى سياق النفى فأفاد الاستغراق ، أى ما رأت العيون كلها ، ولا عين واحدة منهن ، والأسلوب من باب قوله تعالى : « ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع » فيحتمل نفى الرؤية والعين معاً أو نفى الرؤية فحسب ، أى لا رؤية ولا عين أو لارؤية ، وعلى الأول الغرض منه نفى العين ، وإنما ضمت إليه الرؤية ليؤذن بأن انتفاء الموصوف أمر محقق لا نزاع فيه ، وبلغ فى تحققه إلى أن صار كالشاهد على نفى الصفة وعكسه ، ومثله قوله (ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) من باب قوله تعالى : « يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم » أى لا قلب ولا خطور أو لا خطور ، فعلى الأول ليس لهم قلب يخطر ، فجعل انتفاء الصفة دليلا على انتفاء الذات ، أى إذا لم يحصل ثمرة القلب وهو الإخطار فلا قلب ، كقوله تعالى : « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب وألقى السمع » . وخص البشر هنا دون القرينتين السابقتين ، لأنهم الذين ينتفعون بما أعد لهم ويهتمون لشأنه ببالهم بخلاف الملائكة . زاد ابن مسعود فى حديثه : ولا يعلمه ملك

مقرب ولا نبي مرسل . أخرجه ابن أبي حاتم ، وهو يدفع قول من قال : إنما قيد بالبشر لأنه يخطر بقلوب الملائكة ، والأولى حمل النفى على عمومه فإنه أعظم فى النفس . كذا فى الفتح (ذخراً) قال فى الصحاح : ذخرت الشيء أذخره ذخراً ، وكذلك أذخرته وهـو افتعلت . قال القسطلانى : وقول الحافظ ابن حجر : بضم المهملة وسكون المعجمة سهو أو سبق قلم . قال الحافظ : أى جعلت لهم ذلك مذخوراً من (بله ما أُطلعتم عليه) قال الخطابى : كأنه يقول : دع ما اطلعتم عليه فإنه سهل فى جنب ما أذخر لهم . قال الحافظ : وهذا لائق بشرح « بله » بغير تقدم من عليها ، وأما إذا تقدمت عليها فقد قيل : هى بمعنى كيف ، ويقال : هى بمعنى أجل ، ويقال : بمعنى غير أو سوى ، وقيل : بمعنى فصل ، لكن قال الصغانى : اتفقت نسخ الصحيح على من بله ، والصواب إسقاط كلمة من ، وتعقب بأنه لا يتعين إسقاطها إلا إذا فسرت بمعنى دع ، وأما إذا فسرت بمعنى من أجل أو من غير أوسوى فلا . وقد ثبت فى عدة مصنفات خارج الصحيح بإثبات من . وأخرجه سعيد ابن منصور . ومن طريق ابن مردويه من رواية ابن معاوية عن الأعمش كذلك . وقال ابن مالك : المعروف « بله » اسم فعل بمعنى اترك ناصباً لما يليهـا بمقتضى المفعولية ، واستعماله مصدراً بمعنى الترك مضافاً إلى ما يليـه ، والفتحة فى الأولى بنائية ، وفى الثانية إعرابية ، وهو مصدر مهمل الفعل ممنوع الصرف . وقال الأخفش : بله هنا مصدر كما تقول : ضرب زيد . وندر دخول من عليه زائدة . ووقع فى المغنى لابن هشام أن « بله » استعملت معربة مجرورة ، وأنها بمعنى غير ، ولم يذكر سواه ، وفيه نظر لأن ابن التين حكى رواية من بله بفتح الهاء مع وجود من ، فعلى هذا فهى مبنية وما مصدرية ، وهى وصلتها فى موضع رفع على الابتداء والخبر هو الجار والمجرور المتقدم ، ويكون المراد ببله كيف التى يقصد بها الاستبعاد ، والمعنى : من أين اطلاعكم على هذا القدر الذى نقص عقول البشر عن الإحاطة به ودخول من على بله ، إذا كانت بهذا المعنى جائز ، كما أشار إليه الشريف فى شرح الحاجبية ، وأوضح التوجيهات لخصوص سياق حديث الباب حيث وقع فيه : ولا خطر على قلب بشر ذخراً من بله ما اطلعتم عليه إنها بمعنى غير ، وذلك بين لمن تأمله . انتهى . وقال أبو السعادات فى نهايته : بله اسم من أسماء الأفعال بمعنى دع

واترك ، تقول : بله زيداً ، وقع توضع موضع المصدر وتضاف ، تقول : بله زيد ، أى ترك زيد ، أو المعنى : دع ما اطلعتم عليه من نعيم الجنة وعرفتموه من لذاتها . انتهى (ثم قرأ) صلى الله عليه وآله وسلم (فلا تعلم نفس ما أُخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) جزاء مفعول له ، أى أخفى للجزاء ، فإن إخفاءه لعلو شأنه ، أو مصدرمؤكد لمعنى الجملة قبله ، أى جزوا جزاء . وقول الزمخشرى : فحسم أطماع المتمنين بقوله : « جزاء بما كانوا يعملون » نزعة اعتزالية ، ومراده بالمتمنين أهل السنة القائلين بأن المؤمن العاصى موعود بالجنة لابد له منها وفاء بعهده تعالى ، لأنه وعده بها ووعده حق ، وجعل العمل كالسبب للوعد ، فعبر به فى قوله : « جزاء بما كانوا يعملون » عنه لصدق الوعد فى النفوس ، وتصويره بصورة المستحق بالعمل ، كالأجرة من مجاز التشبيه .

الحديث الخمسون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « تُرْجِىءُ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِى إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ » الايَةَ .

عَنْ عائِشَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهَا قالَتْ : كُنْتُ أَغارُ عَلَى اللَّائِى وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَقُولُ : أَتَهَبُ المَرْأَةُ نَفْسَهَا ؟ فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : « تُرْجِىءُ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ » . قُلْتُ : ما أُرَى رَبَّكَ إِلاَّ يُسَارِعُ فى هَوَاكَ .

(قوله تعالى : « ترجئ من تشاء منهنّ وتؤوى إليك من تشاء » الآية) أى ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك .

(عن عائشة رضى الله عنها قالت : كنت أغار على اللاتى وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم وأقول : أتهب المرأة نفسها) وظاهر قوله « وهبن » أن الواهبة أكثر من واحدة ، منهن : خولة بنت حكيم ، وأم شريك ، وفاطمة بنت شريح ، وزينب بنت خزيمة . وعن ابن عباس عند الطبرى بإسناد حسن : لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امرأة وهبت نفسها له ، والمراد أنه لم يدخل بواحدة ممن وهبن أنفسهنّ له ، وإن كان مباحاً له ، لأنه راجع إلى إرادته لقوله تعالى : « إن أراد النبى أن يستنكحها » (فلما أنزل الله تعالى : ترجئ) أى تؤخر (من تشاء منهنّ) من الواهبات (وتؤوى) وتضم (إليك من تشاء) منهنّ (ومن ابتغيت) ومن طلبت (ممن عزلت) رددت أنت منهنّ فيه بالخيار إن شئت عدت فيه فآويته (فلا جناح عليك . قلت : ما أرى) أى ما أظن (ربك إلا يسارع فى هواك) أى إلا موجداً لك مرادك بلا تأخير منزلا لما تحب وتختار . وهذا الحديث أخرجه مسلم فى النكاح ، والنسائى فيه وفى عشرة النساء والتفسير . قال فى الفتح : وحاصل مافى تأويل « ترجئ » أقوال : أحدها : تطلق وتمسك . ثانيها : تعزل من شئت منهنّ بغير طلاق وتقسم لغيرها . ثالثها : تقبل من شئت من الواهبات وترد من شئت . وحديث الباب يؤيد هذا والذى قبله ، واللفظ محتمل للأقوال الثلاثة . انتهى .

الحديث الحادى والخمسون

وَعَنْهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَسْتَأْذِنُ فى يَوْمِ المَرْأَةِ مِنَّا بَعْدَ أَنْ أُنْزِلَتْ هذِهِ الآيَةُ : « تُرْجِيءُ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ » الآيَةَ ، فَكُنْتُ أَقُولُ لَهُ : إِنْ كانَ ذلِكَ إِلَيَّ ، فَإِنِّى لَا أُرِيدُ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ أُوثِرَ عَلَيْكَ أَحَداً .

(وعنها) أى عن عائشة (رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم كان يستأذن فى يوم المرأة منا) أى يوم نوبتها إذا أراد أن يتوجه إلى الأخرى (بعد أن أُنزلت هذه الآية : « ترجئ من تشاء منهنّ وتؤوى إليك من تشاء » الآية) أى ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك (فكنت أقول له : إن كان ذلك) الاستئذان (إلىّ فإنى لا أُريد يا رسول الله أن أُوثر عليك أحداً) ظاهره أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يرجئ أحداً منهنّ ، وهو قول الزهرى : ما أعلم أنه أرجأ أحداً من نسائه . أخرجه ابن أبى حاتم . وعن قتادة : أطلق له أن يقسم كيف شاء ، فلم يقسم إلا بالسوية .

الحديث الثانى والخمسون

* قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ » الآيَةَ .

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالَتْ : خَرَجَتْ سَوْدَةُ بَعْدَ ما ضُرِبَ الْحِجَابُ لِحَاجَتِهَا ، وَكانَتِ امْرَأَةً جَسِيمَةً لَا تَخْفَى عَلَى مَنْ يَعْرِفُهَا ، فَرَآهَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ فَقَالَ : يَا سَوْدَةُ أَمَا وَاللهِ ما تَخْفَيْنَ عَلَيْنَا فَانْظُرِي كَيْفَ تَخْرُجِينَ . قالَتْ : فَانْكَفَأَتْ رَاجِعَةً وَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فى بَيْتِي ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَشَّى وَفى يَدِهِ عَرْقٌ ، فَدَخَلَتْ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي خَرَجْتُ لِبَعْضِ حاجَتِي فَقَالَ لِي عُمَرُ كَذَا وَكَذَا . قالَتْ : فَأَوْحى اللهُ إِلَيْهِ ثُمَّ رُفِعَ عَنْهُ ، وَإِنَّ الْعَرْقَ فى يَدِهِ ما وَضَعَهُ . فَقَالَ : إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ .

(قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى » الآية) أى إلا أن يؤذن لكم ، أى مصحوبين بالإذن أو إلا بسبب الإذن لكم إلى طعام غير ناظرين أناه إلى قوله : « إن ذلكم كان عند الله عظيماً » ، يقال : أناه : أدركه ، أى لاترقبوا الطعام إذا طبخ حتى إذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول ، فإن هذا مما يكرهه الله ويذمه . قال ابن كثير : وهذا دليل على تحريم التطفيل . وقد صنف الخطيب البغدادى كتاباً فى ذمّ الطفيليين ، ذكر فيه من أخبارهم ما يطول إيراده .

(عن عائشة رضى الله عنها) أنها (قالت : خرجت سودة) بنت زمعة أُم المؤمنين (بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها ، وكانت امرأة جسيمة لاتخفى على من يعرفها ، فرآها عمر بن الخطاب) رضى الله عنه (فقال : يا سودة أما والله ما تخفين علينا ، فانظرى كيف تخرجين) ولعله قصد المبالغة فى احتجاب أُمهات المؤمنين بحيث لايبدين أشخاصهنّ أصلا ولو كنّ مستترات (قالت : فانكفأت) أى انقلبت حال كونها (راجعة ورسول الله صلى الله

عليه) وآله (وسلم فى بيتى ، وإنه ليتعشى وفى يده عرق) العظم الذى عليه اللحم (فدخلت فقالت : يا رسول الله إنى خرجت لبعض حاجتى ، فقال لى عمر كذا وكذا ، قالت) عائشة (فأوحى الله إليه ، ثم رفع عنه) ما كان فيه من الشدة بسبب نزول الوحى (وإن العرق فى يده ما وضعه ، فقال : إنه) أى أن الشأن (قد أذن لكنّ أن تخرجن لحاجتكنّ) دفعاً للمشقة ورفعاً للحرج . وفيه تنبيه على أن المراد بالحجاب الستر حتى لا يبدو من جسدهنّ شيء لا حجب أشخاصهنّ فى البيوت ، والمراد بالحاجة البراز . قال فى الفتح : وفى الحديث مشروعية الحجاب لأمهات المؤمنين . قال عياض : فرض الحجاب مما اختصصن به ، فهو فرض عليهنّ بلا خلاف فى الوجه والكفين ، فلا يجوز لهنّ كشف ذلك فى شهادة ولا غيرها ، ولا إظهار شخوصهنّ وإن كنّ مستترات إلا مادعت إليه ضرورة من براز . ثم استدل بما فى الموطإ أن حفصة لما توفى عمر سترها النساء عن أن يرى شخصها ، وأن زينب بنت جحش جعلت لها القبة فوق نعشها لتستر شخصها . انتهى . وليس فيما ذكره دليل على ما ادعاه من فرض ذلك عليهنّ ، وقد كنّ بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم يحججن ويطفن ، وكان الصحابة ومن بعدهم يسمعون منهنّ الحديث وهنّ مستترات الأبدان لا الأشخاص . وقال ابن جريج لعطاء لما ذكر له طواف عائشة : أقبل الحجاب أو بعده ، قال : قد أدركت ذلك بعد الحجاب وحديث الباب يرده .

الحديث الثالث والخمسون

* قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : « إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ » الآيَةَ .

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالَتْ : اسْتَأْذَنَ عَلَيَّ أَفْلَحُ أَخُو أَبِي الْقُعَيْسِ بَعْدَ ما أُنْزِلَ الْحِجَابُ . فَقُلْتُ : لَا آذَنُ لَهُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ فِيهِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ، فَإِنَّ أَخاهُ أَبَا الْقُعَيْسِ لَيْسَ هُوَ أَرْضَعَنِي ، وَلَكِنْ أَرْضَعَتْنِي امْرَأَةُ أَبِي الْقُعَيْسِ ، فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَفْلَحَ أَخَا أَبِي الْقُعَيْسِ اسْتَأْذَنَ عَلَيَّ فَأَبَيْتُ أَنْ آذَنَ لَهُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَكَ . فَقَالَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم : وَما مَنَعَكِ أَنْ تَأْذَنِينَ عَمَّكِ ؟ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ هُوَ أَرْضَعَنِي وَلَكِنْ أَرْضَعَتْنِي امْرَأَةُ أَبِي الْقُعَيْسِ فَقَالَ : ائْذَنِي لَهُ فَإِنَّهُ عَمُّكِ ، تَرِبَتْ يَمِينُكِ .

(قوله عز وجل : « إن تبدوا شيئاً أو تخفوه » الآية) أى فإن الله كان بكل شيء عليماً لاتخفى عليه خافية ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

(عن عائشة رضى الله عنها قالت : استأذن عليّ أفلح) أى طلب الإذن فى الدخول عليّ (أخو أبى القعيس) واسمه وائل الأشعرى (بعد ما أُنزل الحجاب) آخر سنة خمس (فقلت : لا آذن له) بالمد (حتى أستأذن فيه النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فإن أخاه أبا القعيس ليس هو) الذى (أرضعنى ولكن أرضعتنى امرأة أبى القعيس ، فدخل على النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فقلت له : يا رسول الله إن أفلح أخا أبى القعيس استأذن) أى فى الدخول على (فأبيت أن آذن) بالمد (حتى أستأذنك، فقال النبى صلى الله عايه) وآله (وسلم : وما منعك أن تأذنين عمك) أى هو عمك (قلت : يا رسول الله إن الرجل ليس هو أرضعنى ولكن أرضعتنى امرأة أبى القعيس ، فقال)

صلى الله عليه وآله وسلم (ائذني له فإنه عمك ، تربت يمينك) كلمة تقولها العرب ولا يريدون حقيقتها ، إذ معناه افتقرت يمينك ، وقيل : المعنى عقلك إذا قلت هـذا ، أو تربت يمينك إن لم تفعلي ، قال عروة بن الزبير : فلذلك الذي قاله صلى الله عليه وآله وسلم كانت عائشة تقول : حرّموا من الرضاعة ما تحرمون من النسب ، وكان البخاري رمز بإيراد هذا الحديث إلى الرد على من كره للمرأة أن تضع خمارها عند عمها أو خالها ، وهذا من دقائق ما ترجم به البخاري رحمه الله .

الحديث الرابع والخمسون

* قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : « إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ » الآيَةَ .

عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ أَمَّا السَّلَامُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ فَكَيْفَ الصَّلَاةُ ؟ قَالَ : قُولُوا : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

(قوله عز وجل : « إن الله وملائكته يصلون على النبي » الآية) .

(عن كعب بن عجرة رضى الله عنه) أنه (قال : قيل : يا رسول الله) القائل كعب بن عجرة كما أخرجه ابن مردويه ، ووقع السؤال أيضاً عن ذلك لبشير بن سعد والد النعمان بن بشير كما فى حديث ابن مسعود ، عند مسلم (أما السلام عليك فقد عرفناه) بما علمتنا من أن نقول فى التحيات : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . وقد أمرنا الله تعالى فى الآية بالصلاة والسلام عليك (فكيف الصلاة) أى علمنا كيف اللفظ الذى به نصلى عليك كما علمتنا السلام ، فالمراد بعدم علمهم الصلاة عدم معرفة تأديتها بلفظ لائق به عليه الصلاة والسلام وفى حديث أبى مسعود البدرى أنهم قالوا : يا رسول الله أما السلام فقد عرفناه فكيف نصلى عليك إذا نحن صلينا فى صلاتنا . أخرجه أحمد وأبو داود والنسائى والحاكم وابن حبان وابن خزيمة ولفظهما : إذا نحن صلينا عليك فى صلاتنا . وبه استدل الشافعى على الوجوب فى التشهد الأخير ، وهى الرواية الأخيرة عن الإمام أحمد ، وبه قال ابن راهويه ، ونصه : إذا تركها عمداً بطلت صلاته أو سهواً رجوت أن تجزئه ، وابن المواز من المالكية ، واختاره ابن العربى منهم أيضاً والزم العراقى القائل بوجوبها كلما ذكر كالطحاوى أن يقول به فى التشهد لتقدم ذكره فى التشهد وفيه رد على من زعم أن الشافعى شذ فى ذلك كأبى جعفر الطبرى والطحاوى وابن المنذر والخطابى ، كما حكاه القاضى عياض فى الشفاء وفى كتاب المواهب اللدنية

ما يكفى ويشفى (قال) صلى الله عليه وآله وسلم (قولوا : اللهم صلّ على محمد وعلى آله محمد) والأمر للوجوب ، وقال : قولوا ولم يقل قل ، لأن الأمر يقع للكل وإن كان السائل البعض (كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد) فعيل من الحمد بمعنى محمود ، وهو من تحمد ذاته وصفاته ، أو المستحق لذلك (مجيد) مبالغة بمعنى ماجد من المجد وهو الشرف (اللهم بارك) من البركة وهى الزيادة من الخير (على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد) لم يقل فى الموضعين على إبراهيم ، وهو ثابت فى رواية أخرى ، بل قال كما صليت على آل إبراهيم وكما باركت على آل إبراهيم ، أى كما تقدمت منك الصلاة على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، فنسأل منك الصلاة على محمد وعلى آل محمد بطريق الأولى ، لأن الذى يثبت للفاضل يثبت للأفضل بطريق الأولى ، وبهذا يحصل الانفصال عن الإيراد المشهور من أن شرط التشبيه أن يكون المشبه به أقوى . ومحصل الجواب أن التشبيه ليس من باب إلحاق الكامل بالأكمل ، بل من باب التهييج ونحوه ، أو من بيان حال ما لا يعرف بما يعرف ، لأنه فيما يستقبل ، والذى يحصل لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك أقوى وأكمل . وأجابوا عن الإيراد المشهور من شرط التشبيه أن يكون المشبه به أقوى بأجوبة أخرى لا نطول بذكرها . وقد انتزع النووى من الآية الجمع بين الصلاة والسلام ، فلا يفرد أحدهما من الآخر . قال الحافظ ابن كثير : والأولى أن يقال : صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً . قلت : بل الأولى أن يقال : صلى الله عليه وآله وسلم لما فى هذا من امتثال ما أمر به صلى الله عليه وآله وسلم من ذكر الآل ، ولا يتم الامتثال بإتيان الصلاة المأمور بها إلا بذكرهم . قال أبو العالية : صلاة الله : ثناؤه عليه عند الملائكة ، وصلاة الملائكة : الدعاء . وقال ابن عباس : يصلون : يبركون .

الحديث الخامس والخمسون

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ : هٰذَا التَّسْلِيمُ ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ ؟ قالَ : قُولُوا : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ .

(عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قلنا : يا رسول الله هذا التسليم) أى قد عرفناه (فكيف نصلى عليك ؟ قال : قولوا : اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على آل إبراهيم) وسقط : كما صليت على آل إبراهيم (وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم) ذكر إبراهيم وأسقط آل إبراهيم وذكرها أبو صالح عنه فى الحديث .

الحديث السادس والخمسون

* قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : « لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسى فَبَرَّأَهُ اللهُ » الآية .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ مُوسى كانَ رَجُلاً حَيِيًّا .

(قوله عز وجل : « لاتكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله ») أى أظهر الله براءته مما قالوا وكان عند الله وجيهاً ، أى كريماً ذا جاه .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : إن موسى كان رجلا حيياً) أى كثير الحياء . زاد فى أحاديث الأنبياء : ستيراً لا يرى من جلده شىء استحياء منه ، فآذاه من آذاه من بنى إسرائيل ، فقالوا : وما يستتر موسى هذا التستر إلا بعيب فى جلده : إما برص وإما إدرة وإما آفة ، وإن الله تعالى أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى ، فخلا يوماً وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل ، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها ، وإن الحجر عدا بثوبه ، فأخذ موسى عصاه فطلب الحجر فجعل يقول : ثوبى حجر ، ثوبى حجر ، حتى انتهى إلى ملإ من بنى إسرائيل ، فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله ، وبرأه مما يقولون ، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه ، وطفق بالحجر ضرباً بعصاه ، فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً ، وذلك قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا » .

الحديث السابع والخمسون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ » الآية .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ : صَعِدَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم الصَّفَا ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ : يَا صَبَاحاهْ ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ ، قالُوا : مَالَكَ ؟ قالَ : أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ أَوْ يُمَسِّيكُمْ أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِى ؟ قالُوا : بَلَى ، قالَ : فَإِنِّى نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ : تَبًّا لَكَ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : « تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ » .

(قوله تعالى : « إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد ») يوم القيامـة .

(عن ابن عباس رضى الله عنهما) أنه (قال : صعد النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم الصفا ذات يوم فقال : يا صباحاه) قال أبو السعادات : هذه كلمة يقولها المستغيث ، وأصلها إذا صاحوا للغارة لأنهم أكثر ما كانوا يغيرون عند الصباح ، ويسمون يوم الغارة يوم الصباح ، فكأن القائل : يا صباحاه ، يقول : قد غشينا العدو ، وقيل : إن المقاتلين كانوا إذا جاء الليل يرجعون عن القتال ، فإذا عاد النهار عاودوه ، فكأنه يريد بقوله « يا صباحاه » قد جاء وقت الصباح فتأهبوا للقتال (فاجتمعت إليه قريش قالوا : مالك ؟ قال : أرأيتم) أى أخبرونى (لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم أو يمسيكم ، أما كنتم تصدقونى ؟ قالوا : بلى) نصدقك (قال : فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد) أى قدامه (فقال أبو لهب : تباً لك ألهذا جمعتنا ، فأنزل الله) تعالى (تبت) أى خسرت أو هلكت (يدا أبى لهب) .

الحديث الثامن والخمسون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ » الآيَةَ .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ نَاساً مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ كَانُوا قَدْ قَتَلُوا وَأَكْثَرُوا ، وَزَنَوْا وَأَكْثَرُوا ، فَأَتَوْا مُحَمَّداً صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا : إِنَّ الَّذِى تَقُولُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ لَحَسَنٌ ، لَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةً ، فَنَزَلَ : « وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ » الآيَةَ ، وَنَزَلَ : « قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ».

(قوله تعالى : « يا عبادى الذين أسرفوا) فى المعاصى (على أنفسهم » الآية) أى لا تقنطوا ، أى لاتيأسوا من رحمة الله ، «إن الله يغفر الذنوب جميعاً » الكبائر وغيرها الصادرة عن المؤمنين ، « إنه هو الغفور » لمن تاب « الرحيم » بعد التوبة لمن أناب . وهذه الآية عامة للكل ، فلا يخرج عنه إلا ما أجمع عليه .

(عن ابن عباس رضى الله عنهما أن ناساً من أهل الشرك) سمى الواقدى منهم وحشى بن حرب قاتل حمزة وكذا هو عند الطبرانى عن ابن عباس من وجه آخر (كانوا قد قتلوا وأكثروا) من القتل (وزنوا وأكثروا) من الزنا (فأتوا محمداً صلى الله عليه) وآله (وسلم فقالوا : إن الذى تقول وتدعو إليه) من الإسلام (لحسن لو تخبرنا أن لما) أى للذى (عملنا) من الكبائر (كفارة ، فنزل : «والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله » أى حرم قتلها (« إلا بالحق ولا يزنون ») قال فى الأنوار : نفى عنهم أمهات المعاصى بعدما أثبت لهم أصول الطاعات إظهاراً لكمال إيمانهم ، وإشعاراً بأن الأجر المذكور موعود للجامع بين ذلك ، وتعويضاً للكفرة بأضداده (ونزل : « قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ») وعند أحمد من حديث ثوبان مرفوعاً : ما أحب أن لى الدنيا وما فيها بهذه الآية ، فقال رجل : يا رسول الله ، فمن أشرك ؟ فسكت النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال : ألا ومن أشرك ، ثلاث مرات . وعنده أيضاً عن أسماء بنت يزيد قالت : سمعته صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « يا عبادى الذين أسرفوا على

أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً » ولا يبالى . قاله الحسن البصرى . انظروا إلى هذا الكرم والجود ، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة . ولما أسلم وحشى بن حرب فقال الناس : يا رسول الله إنا أصبنا ما أصاب وحشى ، فقال : هى للمسلمين عامة . وقال ابن عباس : قد دعا الله سبحانه وتعالى إلى توبته من قال أنا ربكم الأعلى ، وقال : ما علمت لكم من إله غيرى ، فمن آيس العباد من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله ، ولكن إذا تاب الله على العبد تاب . قال فى الفتح : استدل بعموم هذه الآية على غفران جميع الذنوب كبيرها وصغيرها ، سواء تعلقت بحق الآدميين أم لا ، والمشهور عند أهل السنة أن الذنوب كلها تغفر بالتوبة وأنها تغفر لمن شاء الله ولو مات من غير توبة ، لكن حقوق الآدميين إذا تاب صاحبها من العود إلى شىء من ذلك تنفعه التوبة بالعود ، وأما خصوص ما وقع منه فلا بد له من رده لصاحبه ومحاللته منه ، نعم فى سعة فضل الله ما يمكن أن يعوض صاحب الحق عن حقه ولا يعذب العاصى بذلك ، ويرشد إليه عموم قوله تعالى : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء » . والله أعلم.

الحديث التاسع والخمسون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ » الآية .

عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ إلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إنَّا نَجِدُ أنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمواتِ عَلَى إصْبِعٍ ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إصْبعٍ ، وَالشَّجَرَ عَلَى إصْبَعٍ ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إصْبَعٍ ، وَسَائِرَ الخَلَائِقِ عَلَى إصْبَعٍ ، فَيَقُولُ : أَنَا المَلِكُ ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، تَصْدِيقاً لِقَوْلِ الحَبْرِ ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ » .

(قوله تعالى : « وما قدروا الله حق قدره » أى ما عظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره .

(عن عبد الله) بن مسعود (رضى الله عنه قال : جاء حبر من الأحبار) عالم من علماء اليهود . قال فى الفتح : لم أقف على اسمه (إلى رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم فقال : يا محمد إنا نجد) أى فى التوراة (أن الله يجعل السموات على إصبع) وفى رواية : يمسك بدل يجعل (والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، وسائر الخلائق على إصبع ، فيقول : أنا الملك) المنفرد بالملك (فضحك النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم حتى بدت نواجذه) أى أنيابه ، وهى الضواحك التى تبدو عند الضحك حال كونه (تصديقاً لقول الحبر ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : « وما قدروا الله حق قدره ») وقراءته صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية تدل على صحة قول الحبر كضحكه . قاله النووى : قال ابن التين : تكلف الخطابى فى تأويل الإصبع وبالغ حتى جعل ضحك النبى صلى الله عليه وآله وسلم تعجباً وإنكاراً لما قال الحبر . قال فى الفتح : والأولى فى هذه الأشياء الكف عن التأويل مع اعتقاد التنزيه ، فإن كل ما يستلزم النقص من ظاهرها غير مراد . انتهى . وفى رواية عن ابن مسعود : فضحك صلى الله عليه وآله

وسلم تعجباً مما قاله الحبر وتصديقاً له . ورواه الترمذى وقال حسن صحيح . وعند مسلم : تعجباً مما قال الحبر وتصديقاً له . وعند ابن خزيمة من رواية إسرائيل عن منصور : حتى بدت نواجذه تصديقاً له . قال فى الفتح : وليس ذلك منافياً للحديث الآخر : إن ضحكه كان تبسماً . انتهى . وعند الترمذى من حديث ابن عباس قال : مر يهودى بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : كيف تقول يا أبا القاسم إذا وضع الله السموات على ذه ، والأرضين على ذه ، والماء على ذه ، والجبال على ذه ، وسائر الخلق على ذه ، وأشار محمد بن الصلت الراوى لخنصره أولا ثم قال تابع حتى بلغ الإبهام . قال القسطلانى بعد ما نقل قول الخطابى والقرطبى : ولا ريب أن الصحابة كانوا أعلم بما رووه ، وقد قالوا إنه ضحك تصديقاً.وقد ثبت فى الحديث الصحيح : ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن . رواه مسلم . وفى حديث ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أتانى الليلة ربى فى أحسن صورة ... الحديث . وفيه : فوضع يده بين كتفى . وفى رواية معاذ : فرأيته وضع كفه بين كتفى فوجدت برد أنامله بين ثديى . فهذه روايات متظافرة على صحة ذكر الأصابع . وكيف يطعن فى حديث أجمع على إخراجه الشيخان وغيرهما من أئمة النقد والإتقان لاسيما وقد قال ابن الصلاح : ما اتفق عليه الشيخان فهو بمنزلة المتواتر ، وكيف يسمع صلى الله عليه وآله وسلم وصف ربه تعالى بما لا يرضاه ، فيضحك ولم ينكره أشد الإنكار ، حاشاه الله من ذلك . وإذا تقرر صحة ذلك فهو من المتشابه كغيره ، كالوجه واليدين والقدم والرجل والجنب . واختلف أئمتنا فى ذلك ، هل نؤول المشكل أم نفوض معناه المراد إليه تعالى مع اتفاقهم على أن جهلنا بتفصيله لايقدح فى اعتقادنا المراد منه ، والتفويض مذهب السلف وهو أسلم ، والتأويل مذهب الخلف وهو أعلم ، أى أحوج إلى مزيد علم ، فتؤول الإصبع هنا بالقدرة ، إذ إرادة الجارحة مستحيلة . انتهى . قلت : وفى بعض هذا التقرير نظر ، وكم من آية وحديث وردت فى صفات الله سبحانه ظاهرها تشبيهه ، فأولها المتكلمون المتفلسفون بالتأويلات الغثة والوجوه الرثة التى ليس عليها إثارة من علم ، ومن تأول وتكلف فيها ليس من هذا العلم فى عير ولا نفير ولا يعرف قبيلا ولا دبير ، والحق الذى لايحق غيره هو الإيمان

بصفاته سبحانه كما جاءت فى كتابه أو وصفه بها رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من غير تكييف ولا تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل ، وليس فى إجراء تلك الصفات بألفاظها الواردة فى القرآن والحـــديث تشبيه كما زعم أهل الكلام بعد ما قال سبحانه وتعالى : « ليس كمثله شىء » . ولم أقف على قول أحد من الصحابة أنه أول تلك الصفات . فمذهبهم الذى هو التفويض أتقن المذاهب وأعلمها ، ومذهب الخلف الذى هو التأويل بدعة أحدثها المنتحلون وتمسك بها المبطلون.
ولنعم ما قال بعضهم :

فإن كان تشبيهاً ثبوت صفاته لديكم فإنى اليوم عبد مجسم

الحديث الستون

* قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : « وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ » الآية .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : يَقْبِضُ اللهُ الْأَرْضَ ، وَيَطْوِى السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ أَنَا المَلِكُ ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ .

(قوله عز وجل : « والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ») القبضة بفتح القاف : المرة من القبض ، أُطلقت بمعنى القبضة بالضم ، وهى المقدار المقبوض بالكف ، تسمية بالمصدر أو بتقدير ذات قبضة .

(عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يقول : يقبض الله الأرض ويطوى السموات بيمينه) يطلق الطى على الأدراج كطى القرطاس ، كما قال تعالى : « يوم نطوى السماء كطى السجل للكتاب » وعلى الأفناء ، تقول العرب : طويت فلاناً بسيفى ، أى أفنيته (ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض) ولمسلم من حديث ابن عمر مرفوعاً : يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهنّ بيده اليمنى ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ، أين المتكبرون ، ثم يطوى الأرض بشماله ثم يقول : أنا الملك ... الحديث ، فأضاف طى السموات وقبضها إلى اليمين ، وطى الأرض إلى الشمال ، تنبيهاً على ما بين المقبوضين من التفاوت والتفاضل . وهذا القبض والطى حقيقة عند أهل الحق ، وتخييل وتمثيل عند المتأولين ، والأول أولى . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى التوحيد .

الحديث الحادى والستون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَنُفِخَ فى الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فى السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِى الْأَرْضِ » الآيَةَ .

عَنْ أَبى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم قالَ : بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ ، قالُوا : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْماً ؟ قالَ : أَبَيْتُ ، قالَ : أَرْبَعُونَ سَنَةً ؟ قالَ : أَبَيْتُ ، قالَ : أَرْبَعُونَ شَهْراً ؟ قالَ : أَبَيْتُ ، وَيَبْلَى كُلُّ شَىْءٍ مِنَ الْإِنْسَانِ إلَّا عَجْبَ ذَنَبِهِ فِيهِ يُرَكَّبُ الخَلْقُ .

(قوله تعالى : « ونفخ فى الصور) أى النفخة الأولى (فصعق من فى السموات ومن فى الأرض ») خر ميتاً أو مغشياً عليه (الآية) أى إلا من شاء الله ، « ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون » ، أى البعث أو أمر الله فيهم .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : بين النفختين أربعون) أى نفخة الإماتة ونفخة البعث (قالوا) أى أصحاب أبى هريرة ، ولم يعرف الحافظ ابن حجر اسم أحد منهم (يا أبا هريرة أربعون يوماً ، فقال : أبيت) أى امتنعت عن تعيين ذلك (قال) السائل (أربعون سنة ، قال : أبيت ، قال : أربعون شهراً ، قال : أبيت) لأنى لا أدرى الأربعين الفاصلة بين النفختين ، أأيام أم سنون أم شهور . وعند ابن مردويه من طريق زيد بن أسلم عن أبى هريرة قال : بين النفختين أربعون ؟ قالوا : أربعون ماذا ؟ قال : هكذا سمعت . وعنده أيضاً من وجه ضعيف عن ابن عباس : بين النفختين أربعون سنة . وعند ابن المبارك عن الحسن مرفوعاً : بين النفختين أربعون يميت الله بها كل حى ، والأخرى يحيى الله تعالى بها كل ميت . وقال الحليمى : اتفقت الروايات على أن بينهما أربعين سنة . وفى جامع ابن وهب : أربعين جمعة ، وسنده منقطع (ويبلى) أى يفنى (كل شىء من الإنسان إلا عجب ذنبه) بفتح العين المهملة وسكون الجيم ، ويقال عجم أيضاً ، وهو عظم لطيف فى أصل الصلب ، وهو رأس العصعص بين الأليتين ، ولفظ الفتح : هو مكان رأس الذنب من ذوات الأربع .

وعند أبي داود والحاكم وابن أبي الدنيا من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً: إنه مثل حبة الخردل . ولمسلم من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة: كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب (فيه يركب الخلق) ولمسلم من طريق همام عن أبي هريرة : إن في الإنسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً فيه يركب يوم القيامة . قال : أي عظم ؟ قال : عجب الذنب . وهذا الحديث عام يخص منه الأنبياء ، لأن الأرض لا تأكل أجسادهم . وقد ألحق ابن عبد البر بهم الشهداء ، والقرطبي : المؤذن المحتسب . قال ابن الجوزي : قال ابن عقيل : لله في هذا سر لا نعلمه ، لأن من يظهر الوجود من العدم لا يحتاج إلى شيء يبني عليه ، ويحتمل أن يكون ذلك جعل علامة للملائكة على إحياء كل إنسان بجوهره ، ولا يحصل العلم للملائكة بذلك إلا بإبقاء عظم كل شخص ليعلم أنه إنما أراد بذلك إعادة الأرواح إلى تلك الأعيان التي هي جزء منها ، ولولا إبقاء شيء لجوزت الملائكة أن الإعادة إلى أمثال الأجساد لا إلى نفس الأجساد .

الحديث الثانى والستون

* قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : « إلاَّ المَوَدَّةَ فى الْقُرْبَى » الآية .

عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ : إنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ إلاَّ كَانَ لَهُ فِيهِمْ قَرَابَةٌ فَقَالَ : إلاَّ أَنْ تَصِلُوا ما بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنَ الْقَرَابَةِ .

(قوله عز وجل : « إلا المودة فى القربى » الآية) أى أن تودونى لقرابتى منكم أو تودوا أهل قرابتى .

(عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن النبي صلى الله عليـه) وآله (وسلم لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة فقال : إلا أن تصلوا ما بينى وبينكم من القرابة) فحمل الآية على أن توادوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أجل القرابة التى بينه وبينكم فهو خاص بقريش . ويؤيده أن السورة مكية . وأما حديث ابن عباس عند ابن أبى حاتم قال : لما نزلت هذه الآية : « قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى » قالوا : يا رسول الله من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم ؟ قال : فاطمة وولداها ، فقال ابن كثير : إسناده ضعيف فيه منهم لا يعرف إلا عن شيخ شيعى مخترف وهو حسين الأشقر ، ولا يقبل خبره فى هذا المحل ، والآية مكية ، ولم يكن إذ ذاك لفاطمة أولاد بالكلية ، فإنها لم تتزوج بعلىّ إلا بعد بدر من السنة الثانية من الهجرة ، وتفسير الآية بما فسره حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس أحق وأولى ، ولا تنكر الوصاة بأهل البيت واحترامهم وإكرامهم ، إذ هم من الذرية الطاهرة التى هى أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخراً وحسباً ونسباً ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة الصحيحة كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعلىّ وآل بيته وذريته ، رضى الله عنهم أجمعين ، ونفعنا بمحبتهم . قاله القسطلانى . وفى الفتح : أخرج الطبرانى وابن أبى حاتم من طريق قيس ابن الربيع عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما نزلت قالوا : يا رسول الله من قرابتك الذين وجب علينا مودتهم ... الحديث ،

وإسناده ضعيف ، وهو ساقط لمخالفته هذا الحديث الصحيح . وقد جزم بهذا التفسير جماعة من المفسرين واستندوا إلى ما ذكرته عن ابن عباس عن الطبرانى وابن أبى حاتم وسنده واه فيه ضعيف ورافضى ، وذكر الزمخشرى هنا أحاديث ظاهر وضعها ، والمعنى : إلا أن تودونى بقرابتى فتحفظونى . والخطاب لقريش خاصة . والقربى : قرابة العصوبة والرحم ، فكأنه قال : احفظونى للقرابة إن لم تتبعونى للإسلام .

الحديث الثالث والستون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ » الآيَة .

فِيهِ حَدِيثٌ لِابْنِ مَسْعُودٍ الْمُتَقَدِّمُ فى سُورَةِ الرُّومِ ، وَزَادَ فى هذِهِ الرِّوَايَةِ ، قالُوا : « رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ » ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّا إِنْ كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَـــذَابَ عادُوا ، فَدَعا رَبَّهُ فَكَشَفَ عَنْهُمْ ، فَعَادُوا ، فَانْتَقَمَ اللهُ مِنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ .

(قوله تعالى : « ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون » الآية . فيه حديث لابن مسعود المتقدم فى سورة الروم ، وزاد فى هذه الرواية : قالوا : « ربنا اكشف عنا العذاب ») أى عذاب القحط والجهد ، أو عذاب الدخان الآتى قرب قيام الساعة ، أو عذاب النار حين يدعون إليها فى القيامة ، أو دخان يأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم (فقيل له) صلى الله عليه وآله وسلم (إنا إن كشفنا عنهم) ذلك (العذاب عادوا) إلى كفرهم (فدعا) صلى الله عليه وآله وسلم (ربه فكشف عنهم) ذلك (فعادوا) إلى الكفر (فانتقم الله منهم يوم بدر) .

الحديث الرابع والستون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَما يُهْلِكُنا إلاَّ الدَّهْرُ » الآية .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : قالَ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالَى : يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ ، يَسبُّ الدَّهْرَ وَأَنا الدَّهْرُ ، بِيَدِي الأَمْرُ ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ .

(قوله تعالى : « وما يهلكنا إلا الدهر » الآية) أى إلا مر الزمان وطول العمر واختلاف الليل والنهار ، وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ، إذ لا دليل لهم عليه .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : قال الله عز وجل : يؤذينى ابن آدم) أى يخاطبنى ، من القول بما يتأذى به من يجوز فى حقه التأذى ، والله تعالى منزه عن أن يصير فى حقه الأذى ، إذ هو محال عليه ، وإنما هذا من التوسع فى الكلام ، والمراد أن من وقع ذلك منه تعرض لسخط الله عز وجل (يسب الدهر) يقول إذا أصابه مكروه : بؤساً للدهر وتباً له (وأنا الدهر) أى أنا خالق الدهر (بيدى الأمر) الذى ينسبونه إلى الدهر (أقلب الليل والنهار) أى أنا الداهر ، المصرف ، المدبر ، المقدر لما يحدث ، فإذا سب ابن آدم الدهر من أجل أنه فاعل هذه الأمور عاد سبه إلى لأنى فاعلها ، وإنما الدهر زمان جعلته ظرفاً لمواقع الأمور . قاله الشافعى والخطابى وغيرهما ، وهذا يرد مذهب الدهر به من الكفار ومن وافقهم من مشركى العرب المنكرين للمعاد ، والفلاسفة الدهرية الدورية المنكرين للصانع المعتقدين أن فى كل سنة وثلاثين ألف سنة يعود كل شىء إلى ما كان عليه ، وكابروا المعقول وكذبوا المنقول ، قال ابن كثير : وقد غلط ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية فى عدّهم الدهر من الأسماء الحسنى أخذاً من هذا الحديث . وهذا الحديث أخرجه البخارى أيضاً فى التوحيد ، ومسلم وأبو داود فى الأدب والنسائى فى التفسير .

الحديث الخامس والستون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « فَلَمَّا رَأَوْهُ عارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ » الآيَةَ .

عَنْ عائِشَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قالَتْ : ما رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ضَاحِكاً حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ إِنَّمَا كانَ يَتَبَسَّمُ ، وَذَكَرَتْ بَاقِىَ الحَدِيثِ وَقَدْ تَقَدَّمَ فى بَدْءِ الخَلْقِ .

(قوله تعالى : « فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم » الآية) أى قالوا هذا عارض ممطرنا ، بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم .

(عن عائشة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم قالت : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ضاحكاً حتى أرى منه لهواته) بتحريك الهاء ، جمع لهاة : وهى اللحمة الحمراء المعلقة فى أعلى الحنك (إنما كان يتبسم ، وذكرت باقى الحديث ، وقد تقدم فى بدء الخلق) وهو : قالت : وكان إذا رأى غيماً أو ريحاً عرف فى وجهه الكراهية ، وذلك لأن القلب إذا فرح تبلج الجبين ، وإذا حزن اربد الوجه ، فعبرت عائشة عن الشيء الظاهر فى الوجه بالكراهية لأنه ثمرتها . قالت : يا رسول الله الناس إذا رأوا الغيم فرحوا به رجاء أن يكون فيه المطر وأراك إذا رأيته عرف فى وجهك الكراهية ، فقال : يا عائشة ما يؤمننى أن يكون فيه عذاب عذب قوم بالريح ، هم عاد قوم هود ، حيث أهلكوا بريح صرصر . وقد رأى قوم العذاب فقالوا : هذا عارض ممطرنا . وهذا الحديث أخرجه البخارى أيضاً فى الأدب ، ومسلم فى الاستسقاء ، وأبو داود فى الأدب .

الحديث السادس والستون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَتُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ » الآية .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قامَتِ الرَّحِمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ ، فَقَالَ لَهُ مَهْ ؟ قالَتْ هذا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ ، قالَ أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ؟ قالَتْ بَلَى يَارَبِّ ، قالَ فَذَاكَ ، قالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَاقرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ : « فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ » .

وَفِى رِوَايَةٍ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ ، « فَهَلْ عَسَيْتُمْ » .

(قوله تعالى : « وتقاطعوا أرحامكم » الآية) قرئ بالتشديد والتخفيف .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : خلق الله الخلق فلما فرغ منه) أى قضاه وأتمه أو نحو ذلك مما يشهد بأنه مجاز من القول ، فإنه سبحانه وتعالى لن يشغله شأن عن شأن (قامت الرحم) حقيقة بأن تجسمت ، والأعراض يجوز أن تتجسد وتتكلم بإذن الله ، ويجوز أن يكون على حذف ، أي قام ملك فتكلم على لسانها ، أو هو على طريقة ضرب المثل والاستعارة ، والمراد تعظيم شأنها وفضل واصلها وإثم قاطعها (فأخذت بحقو الرحمن) وفى رواية الطبرى بحقوى الرحمن بالتثنية . قال القابسى أبى أبو زيد : أن يقرأ لنا هذا الحرف لإشكاله ، ومشى بعض الشراح على الحذف فقال : أخذت بقائمة من قوائم العرش . قال عياض : الحقو : معقد الإزار وهو الموضع الذى يستجار به على عادة العرب ، وقد يطلق الحقـو على الإزار نفسه ، كما يطلق على مشـد الإزار ، كما فى حديث عطية : فأعطانا حقوه ، فقال : أشعرنها إياه — يعنى إزاره — وهو المراد هنا ، وهو الذى جرت العادة بالتمسك به عند الإلحاح فى الاستجارة

والطلب . قال فى الفتح : والمعنى على هذا صحيح مع اعتقاد تنزيه الله من الجارحة . قال الطيبي : هذا القول مبنى على الاستعارة التمثيلية إلى آخره . انتهى (فقال) تعالى (له : مه) اسم فعل ، أى اكفف وانزجر . وقال ابن مالك : هى هنـا ما الاستفهامية وقف عليها بهاء السكت ، والشائع أن لا يفعل ذلك بها إلا وهى مجرورة ، ومن استعمالها كما وقع هنا غير مجرورة قول أبى ذؤيب الهذلى : قدمت المدينـة ولأهلها ضجيج كضجيج الحجيج ، فقلت : مه ، فقالوا : قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : . انتهى . فإن كان المراد الزجر فواضح ، وإن كان الاستفهام فالمراد منه الأمر بإظهار الحاجة دون الاستعلام ، فإنه تعالى يعلم السر وأخفى (قالت : هذا مقام العائذ) أى قيامى هذا مقام المستجير (بك من القطعية) وفى حديث ابن عمرو عند أحمد : إنها تكلم بلسان طلق ذلق (قال) تعالى (ألا ترضين أن أصـل من وصلك) بأن أتعطف عليه وأرحمه لطفاً وفضلا (وأقطع من قطعك) فلا أرحمه (قالت : بلى يارب) أى رضيت (قال) تعالى (فذاك بكسر) الكاف إشارة إلى قوله : ألا ترضين . زاد الإسماعيلى : لك (قال أبو هريرة) رضى الله عنه (اقرأوا إن شئتم : فهل عسيتم) أى فهل يتوقع منكم (إن توليتم) أحكام الناس وتأمرتم عليهم أو أعرضتم عن القرآن وفارقتم أحكامه (أن تفسدوا فى الأرض) بالمعصية والبغى وسفك الدماء (وتقطعـوا أرحامكم) وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى التوحيد وفى الأدب ، ومسلم فى الأدب ، والنسائى فى التفسير (وفى رواية عنه) أى عن أبى هريرة (قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : اقرأوا إن شئتم : « فهل عسيتم ») .

الحديث السابع والستون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ » الآية .

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ ، يُلْقَى فى النَّارِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ، حَتَّى يَضَعَ قَدَمَهُ فَتَقُولُ قَطِ قَطْ .

(قوله تعالى: « وتقول) أى جهنم (هل من مزيد ») سؤال تقرير بمعنى الاستزادة .

(عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : يلقى فى النار) أهلها (وتقول) مستفهمة (هل من مزيد) فى أى ألا أسع غيرما امتلأت به أوهل من زيادة فأزاد (حتى يضع) وعند مسلم : حتى يضع رب العزة (قدمه) فيها ، أى يذللها تذليل من يوضع تحت الرجل ، والعرب تضع الأمثال بالأعضاء ولا تريد أعيانها ، كقولها للنادم : سقط فى يده (فتقول : قط قط) بكسر الطاء وسكونها فيهما ، ويجوز التنوين مع الكسر ، والمعنى : حسبى حسبى ، قد اكتفيت . قال فى الفتح : واختلف فى المراد بالقدم ، فطريق السلف فى هذا وغيره مشهور وهوأن يمر كما جاء ولا تتعرض لتأويله بل نعتقد استحالة ما يوهم النقص على الله ، وخاض كثير من أهل العلم فى تأويل ذلك . انتهى . ثم ذكر بعض تلك التأويلات ، والحق هو عدم التأويل كما مر مراراً .

الحديث الثامن والستون

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : تَحَاجَّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ ، فَقَالَتِ النَّارُ : أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ وَقالَتِ الجَنَّةُ : مَالِي لاَ يَدْخُلُنِي إلاَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ ، قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْجَنَّةِ : أَنْتِ رَحْمَتِي ، أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي ، وَقالَ لِلنَّارِ : إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي ، أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا ، فَأَمَّا النَّارُ فَلاَ تَمْتَلِىءُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ ، فَتَقُولُ : قَطٍ قَطْ قَطْ ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، وَلاَ يَظْلِمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا ، وَأَمَّا الجَنَّةُ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يُنْشِىءُ لَهَا خَلْقًا .

(عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم : تحاجت الجنة والنار) أى تخاصمتا بلسان القال أو الحال (فقالت النار : أُوثرت) بمعنى اختصصت (بالمتكبرين والمتجبرين) مترادفان لغة والثانى تأكيد لسابقه، أو المتكبر المتعظم بما ليس فيه ، والمتجبر الممنوع الذى لا يوصل إليه أو الذى لا يكترث بأمر ضعفاء الناس وسقطهم (وقالت الجنة : مالى لايدخلنى إلا ضعفاء الناس) الذين لا يلتفت إليهم لمسكنتهم (وسقطهم) بفتحتين : المحتقرون بين الناس ، الساقطون من أعينهم لتواضعهم لربهم وذلتهم له . قال النووى : هذا الحديث على ظاهره ، وإن الله يخلق فى الجنة والنار تمييزاً يدركان به ويقدران على المراجعة والاحتجاج . قال فى الفتح : ويحتمل أن يكون بلسان الحال (قال الله تبارك وتعالى للجنة : أنت رحمتى) سماها رحمة لأن بها تظهر رحمته تعالى كما قال (أرحم بك من أشاء من عبادى) وإلا فرحمة الله من صفاته التى لم يزل بها موصوفاً (وقال للنار : إنما أنت عذابى أُعذب بك من أشاء من عبادى ، ولكل واحدة منهما) وفى نسخة : منكما (ملؤها ، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله) فى مسلم : يضع الله رجله ، وأنكر ابن فورك لفظ رجله ، وقال : إنها غير ثابتة ، وقال ابن الجوزى : هى تحريف من بعض الرواة ، ورد عليهما برواية الصحيحين بها ،

وأولت بالجماعة كرجل من جراد ، أى يضع فيها جماعة وأضافهم إليه إضافة اختصاص . وقال محيي السنة : القدم والرجل فى هذا الحديث من صفات الله تعالى المنزهة عن التكييف والتشبيه ، فالإيمان بها فرض ، والامتناع عن الخوض فيها واجب ، فالمهتدى من سلك فيها طريق التسليم ، والخائض فيها زائغ ، والمنكر معطل ، والمكيف مشبه ليس كمثله شيء (فتقول) النار إذا وضع رجله فيها (قط قط قط ، فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض) أى تجتمع وتلتقى على من فيها ولا ينشئ الله لها خلقاً (ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحداً) لم يعمل سوءاً (وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقاً) لم تعمل خيراً حتى تمتلئ ، فالثواب ليس موقوفاً على العمل . وفى حديث أنس عند مسلم مرفوعاً : يبقى من الجنة ما شاء الله ثم ينشئ الله لها خلقاً مما يشاء . وفى رواية له : ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة .

الحديث التاسع والستون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ » الآية .

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ فى المَغْرِبِ بِالطُّورِ ، فَلَمَّا بَلَغَ هذِهِ الآيَةَ : « أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لاَ يُوقِنُونَ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ المُسَيْطِرُونَ » . كَادَ قَلْبِى أَنْ يَطِيرَ .

(قوله تعالى : « والطور وكتاب مسطور» الآية) قال مجاهد : الطور : الجبل بالسريانية ، وهو طور سينين : جبل بمدين ، سمع فيه موسى كلام الله عز وجل . وقال قتادة : مسطور : مكتوب ، والمراد القرآن ، أو ما كتبه الله فى اللوح المحفوظ .

(عن جبير بن مطعم) القرشي النوفلي رضى الله عنه (قال : سمعت النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم يقرأ فى المغرب بالطور ، فلما بلغ هذه الآية « أم خلقوا من غير شيء) خلقهم فوجدوا بلا خالق (أم هم الخالقون) لأنفسهم ، وذلك باطل (أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون) بأنهم خلقوا ، أى هم معترقون ، وهو معنى قوله : « ولئن سألتهم من خلق السمٰوات والأرض ليقولن الله » أو لا يوقنون بأن الله خالق واحد (أم عندهم خزائن ربك) أى خزائن رزق ربك (أم هم المسيطرون ») أى المتسلطون على الأشياء يدبرونها كيف شاءوا (كاد قلبي أن يطير) مما تضمنته من بليغ الحجة ، وفيه خبر كاد مقروناً بأن فى غير الضرورة . قال ابن مالك : وقد خفي ذلك على بعض النحويين ، والصحيح جوازه ، إلا أن وقوعه غير مقرون بأن أكثر وأشهر من وقوعه بها . انتهى .

الحديث السبعون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى » الآية .

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فى حَلِفِهِ : وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى ، فَلْيَقُلْ : لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ ، وَمَنْ قالَ لِصَاحِبِهِ : تَعَالَ أُقامِرْكَ فَلْيَتَصَدَّقْ .

(قوله تعالى : « أفرأيتم اللات والعزى » الآية) اللات : صنم لثقيف بالطائف ، أو لقريش بنخلة ، والعزى : سمرة لغطفان كانوا يعبدونها .

(عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : من حلف) أى بغير الله (فقال فى حلفه : واللات والعزى) كيمين المشركين (فليقل) متداركاً لنفسه (لا إله إلا الله ، ومن قال لصاحبه : تعال أقامرك) بالجزم (فليتصدق) أى بشىء كما فى مسلم ، ليكفر عنه ما اكتسبه من إثم دعائه صاحبه إلى معصية القمار المحرم بالاتفاق ، قرن القمار ، بذكر الحلف باللات والعزى لكونهما من فعل الجاهلية . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى النذور والأدب والاستئذان ، ومسلم وأبو داود والترمذى فى الأيمان والنذور ، وابن ماجه فى الكفارات .

الحديث الحادى والسبعون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهى وَأَمَرُّ » الآية .

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالَتْ : لَقَدْ أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم بِمَكَّةَ وَإِنِّى لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ : « بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهى وَأَمَرُّ » .

(قوله وتعالى : « بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر » الآية) أى يوم القيامة موعد عذابهم ، وعذاب الساعة أعظم بلية وأشـــد مرارة من عذاب الدنيا .

(عن عائشة رضى الله عنها قالت : لقد أُنزل على محمد صلى الله عليه) وآله (وسلم بمكة وإنى لجارية) حديثة السن (ألعب « بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ») .

الحديث الثانى والسبعون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ » الآية .

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ : جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا ، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا ، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلاَّ رِدَاءُ الْكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فى جَنَّةِ عَدْنٍ .

(قوله تعالى : « ومن دونهما جنتان » الآية) : لأصحاب اليمين ، فالأوليان أفضل من اللتين بعدهما ، وقيل بالعكس ، وقال الترمذى الحكيم : المراد بالدون هنا : القرب ، أى هما أدنى إلى العرش وأقرب ، أو هما دونهما بقربهما من غير تفضيل . وذهب الحليمى إلى أن الأولتين أفضل من اللتين بعدهما ، ويدل عليه تفاوت ما بين الفضة والذهب . وقد روى ابن مردويه من طريق حماد عن أبى عمران فى هذا الحديث قال : من ذهب للسابقين ، ومن فضة للتابعين ، وفى رواية ثابت عن أبى بكر : من ذهب للمقربين ، ومن فضة لأصحاب اليمين .

(عن عبد الله بن قيس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، و جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما) فاللتان من ذهب للمقربين ، واللتان من فضة لأصحاب اليمين (وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه فى جنة عدن) المراد بالوجه : الذات ، والرداء : شىء من صفاته اللازمة لذاته المقدسة عما يشبه المخلوقات .

الحديث الثالث والسبعون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فى الْخِيَامِ » الآية .

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ : إِنَّ فى الجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلاً ، فى كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ ما يَرَوْنَ الآخَرِينَ ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بَاقِى الْحَدِيثِ آنِفًا .

(قوله تعالى : «حور مقصورات فى الخيام» الآية) جمع خيمة من در مجوف.

(عن عبد الله بن قيس أن رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : إن فى الجنة خيمة من لؤلؤة مجوّفة) ذات جوف واسع (عرضها ستون ميلا) والميل : ثلث فرسخ ، أربعة آلاف خطوة (فى كل زاوية منها أهل) للمؤمن (ما يرون الآخرين ، يطوف عليهم المؤمنون . وقد تقدم باقى الحديث آنفاً) وهو : جنتان من فضة ... إلى آخره .

الحديث الرابع والسبعون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ » الآية .

عَنْ عَلِىٍّ رَضِى اللهُ عَنْهُ قالَ : بَعَثَنِى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ . فَذَكَرَ حَدِيثَ حَاطِبِ بْنِ أَبِى بَلْتَعَةَ . وَقَالَ فى آخِرِهِ : فَنَزَلَتْ فِيهِ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ » .

(قوله تعالى : « لا تتخذوا عدوى وعدوكم) أى كفار مكة (أولياء » الآية) فى العون والنصرة .

(عن علىّ رضى الله عنه قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم أنا والزبير) بن العوام (والمقداد) بن الأسود (فذكر حديث حاطب ابن أبى بلتعة . وقال فى آخره : فنزلت فيه (أى فى حاطب بن أبى بلتعة (« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّى وعدوكم أولياء » .

الحديث الخامس والسبعون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ » الآية .

عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَرَأَ عَلَيْنَا « أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا » ، وَنَهَانَا عن النِّيَاحَةِ ، فَقَبَضَتِ امْرَأَةٌ يَدَهَا ، فَقَالَتْ : أَسْعَدَتْنِي فُلَانَةُ أُرِيدُ أَنْ أَجْزِيَهَا ، فَمَا قَالَ لَهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم شَيْئًا ، فَانْطَلَقَتْ وَرَجَعَتْ فَبَايَعَهَا .

(قوله تعالى : « إذا جاءك المؤمنات يبايعنك » الآية .

(عن أم عطية رضى الله عنها قالت : بايعنا رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم فقرأ علينا : « أن لا يشركن بالله شيئاً » ونهانا عن النياحة) رفع الصوت على الميت بالندب ، وهو عد محاسنه ، كواكهفاه ، واجبلاه (فقبضت امرأة) هى أم عطية (يدها) عن المبايعة (فقالت : أسعدتنى فلانة) أى قامت معى فى نياحة على ميت تواسينى . قال فى الفتح : لم أقف على اسم فلانة (أُريد أن أُجزيها) بالإسعاد (فما قال لها النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم شيئاً) بل سكت (فانطلقت) من عنده (ورجعت) إليه صلى الله عليه وآله وسلم (فبايعها) وللنسائى قال : اذهبى فأسعديها ، قالت : فذهبت فساعدتها ، ثم جئت فبايعته . وعند مسلم : إن أُم عطية قالت : إلا آل فلان فإنهم كانوا أسعدونى فى الجاهلية فلا بد لى من أن أسعدهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إلا آل فلان . وحمله النووى على الترخيص لأم عطية فى آل فلان خاصة ، قال : ولا تحل النياحة لغيرها ولآلها فى غير آل فلان كما هو صريح الحديث . وللشارع أن يخص من العموم ماشاء . انتهى . وأورد عليه حديث ابن عباس عند ابن مردويه وفيه قال : لما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على النساء فبايعهنّ « أن لا يشركن بالله شيئاً » الآية ، قالت خولة بنت حكيم : يا رسول الله كان أبى وأخى ماتا فى الجاهلية وإن فلانة أسعدتنى ، وقد مات أخوها ... الحديث . وحديث أُم سلمة أسماء بنت يزيد الأنصارية عند الترمذى قالت : قلت : يا رسول الله إن بنى فلان

أسعدونى على عمرو ، ولا بد لى من قضائهن ، فأبى ، قالت : فراجعته مراراً ، فأذن لى ، ثم لم أنج بعد ذلك . وعند أحمد والطبرى من طريق مصعب بن نوح قال : أدركت عجوزاً لنا كانت فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قالت : فأخذ علينا ولا تنحن ، فقالت عجوز : يا نبى الله إن ناساً كانوا أسعدونا على مصائب أصابتنا ، وإنهم قد أصابتهم مصيبة ، فأنا أُريد أن أسعدهم . قال : اذهبى فكافئيهم . قالت : فانطلقت فكافأتهم ، ثم إنها أتت فبايعته . وحينئذ فلا خصوصية لأم عطية . والظاهر أن النياحة كانت مباحة ثم كرهت كراهة تنزيه ثم تحريم ، فيكون الإذن لمن ذكر وقع فى الحالة الأولى لبيان الجواز مع الكراهة ، ثم لما تمت مبايعة النساء وقع التحريم ، فورد حينئذ الوعيد الشديد . وفى حديث أبى مالك الأشعرى عند أبى يعلى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة عليها سربال من قطران ودرع من جرب . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى الأحكام .

الحديث السادس والسبعون

قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ » الآيَة .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الجُمُعَةِ : « وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ » ، قِيلَ : مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ حَتَّى سَأَلَ ثَلاَثًا ، وَفِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ ، وَضَعَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ ثُمَّ قَالَ : لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رجالٌ أَوْ رَجُلٌ مِنْ هَؤُلاَءِ .

(قوله تعالى : « وآخرين منهم لما يلحقوا بهم » الآية) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم فأنزلت عليه سورة الجمعة) زاد مسلم : فلما قرأ (« وآخرين منهم لما يلحقوا بهم » قال قلت : من هم يا رسول الله ؟ فلم يراجعه) صلى الله عليه وآله وسلم السائل ، أى لم يعد عليه الجواب . قال فى الفتح : ولم أقف على اسم السائل (حتى سأل ثلاثاً وفينا سلمان الفارسي ، وضع رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يده على سلمان) وفى رواية : على فخذ سلمان (ثم قال : لو كان الإيمان عند الثريا) النجم المعروف (لناله رجال أو رجل من هؤلاء) الفرس بقرينة سلمان ، والشك من سليمان بن بلال للجزم برجال من غير شك فى الرواية الأخرى ، وهى عند مسلم والنسائى ، وزاد أبو نعيم فى آخره : برقة قلوبهم ، ومن وجه آخر : يتبعون سنتى ويكثرون الصلاة علىّ . قال القرطبي : وقد ظهر ذلك فى العيان ، فإنه ظهر فيهم الدين وكثر ، وكان وجود ذلك فيهم دليلا من أدلة صدقه صلى الله عليه وآله وسلم . هذا لفظ القسطلانى ولفظ الفتح . قال القرطبي : وقع ما قاله صلى الله عليه وآله وسلم عياناً ، فإنه وجد منهم ممن اشتهر ذكره من حفاظ الآثار والعناية بها ما لم يشاركهم فيه أحد من غيرهم . انتهى . قلت : حديث الباب فيه إخبار

من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصادق المصدق بإيمان أهل الحديث والعلماء به ، فإنهم الذين ساحوا أقطار الأرض وأقصى أمصارها فى طلب الأخبار وجمع الآثار حتى رحل بعضهم فى طلب حديث واحد من بلد إلى مسافة شهر أو أكثر ، كأنهم جهدوا فى ذلك من الثرى إلى الثريا ، وهذا الوصف لايوجد فى غير هؤلاء العصابة ، ولا ينكره إلا جاحد مكابر لا يعرف أحوال الناس وتاريخ العالم . ويؤيد هذا المفهوم قوله صلى الله عليه وآله وسلم فى رواية أخرى : يتبعون سنتى ويكثرون الصلاة علىّ ، وليس هذا الاتباع وهذا الإكثار إلا فى زمرة المحدثين . ومن خص حديث الباب برجل من رجال الأمة أو فقيه من فقهائها فقد أبعد النجعة .قال ابن كثير : وفى هذا الحديث دليل على عموم بعثته صلى الله عليه وآله وسلم إلى جميع الناس، لأنه فسر قوله « وآخرين منهم » بفارس ، ولذا كتب كتبه إلى فارس والروم وغيرهم من الأمم يدعوهم إلى الله وإلى اتباع ماجاء به . انتهى . وعند ابن أبى حاتم عن سهل بن سعد الساعدى مرفوعاً : إن فى أصلاب أصلاب أصلاب رجال من أصحابى رجالا ونساء من أُمتى يدخلون الجنة بغير حساب ، ثم قرأ : « وآخرين منهم » الآية . وفى الفتح : قيل إنهم ، أى الفرس ، من ولد إرم بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، وأنه ولد بضعة عشر رجلا كلهم فارساً شجاعاً ، فسموا الفرس للفروسية ، وقيل فى نسبهم أقوال أخرى ، والأشهر عندهم أنه ينتهى نسبهم إلى كيومرت ، وهو آدم ، والأرجح عند غيرهم أنهم من ولد يافث بن نوح . كذا فى الفتح ، والله أعلم . وقال صاعد فى الطبقات : كان أولهم على دين نوح ثم دخلوا فى دين الصابئة فى زمن طهمورت فداموا على ذلك أكثر من ألفى سنة ، ثم تمجسوا على يد زرادشت . وقد أطنب أبو نعيم فى أول تاريخ أصبهان فى تخريج هذا الحديث ، أعنى حديث : « لو كان الدين عند الثريا » . ووقع فى بعض طرقه عند أحمد بلفظ : « لو كان العلم عند الثريا » وفى بعض طرقه عند أبى نعيم عن أبى هريرة أن ذلك كان عند نزول قول الله تعالى : « وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم » . ويحتمل أن يكون ذلك صدر عند نزول كل من الآيتين . وقد أخرج مسلم الحديث مجرداً عن السبب من رواية يزيد الأصم عن أبى هريرة رفعه : لو كان الدين عند الثريا لذهب رجال من أبناء فارس حتى تناولوه . وأخرجه أبو نعيم من

طريق سليمان التيمى : حدثنى شيخ من أهل الشام عن أبى هريرة . قلت :
وهؤلاء الرجال هم أمثال : البخارى ومسلم والترمذى وأبى داود والنسائى
وابن ماجه ، ومن نحا نحوهم وحذا حذوهم فى طلب الحديث وعلمه وضبطه
وكتبه وروايته ودرايته فى كل قطر وعصر ، من زمن النبى صلى الله عليه
وآله وسلم إلى آخر الدهر ، فلله درّهم ما أعلى دينهم وأرفع إيمانهم وأقوى
أركانهم وأعمّ إحسانهم ، جزاهم الله عنا خير الجزاء ، وحشرنا فى زمرتهم
يوم الجزاء .

الحديث السابع والسبعون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « إِذَا جاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ » الآية .

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : كُنْتُ فِى غَزَاةٍ فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَىٍّ بْنَ سَلُولَ يَقُولُ : لاَ تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى يَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِهِ ، « وَلَئِنْ رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِهِ إِلَى المَدِينَـــةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ » ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّى ، أَوْ لِعُمَرَ ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم ، فَحَدَّثْتُهُ ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إلى عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَىٍّ وَأَصْحَابِهِ ، فحَلَفُوا مَا قَالُوا ، فَكَذَّبَنِى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَصدَّقَهُ ، فَأَصَابَنِى هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِى مِثْلُهُ قَطُّ ، فَجَلَسْتُ فِى الْبَيْتِ ، فَقَالَ لِى عَمِّى : ما أَرَدْتَ إِلَى أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَمَقَتَكَ ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : « إِذَا جاءَكَ الْمُنَافِقُونَ » ، فَبَعَثَ إِلَىَّ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقَرَأَهَا عَلَىَّ ، فَقَالَ : إِنَّ اللهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ .

(قوله تعالى: « إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله » الآية) .

(عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : كنت فى غزاة) هى غزوة تبوك كما عند النسائى ، وعند أهل المغازى أنها غزوة بنى المصطلق ، ورجحه ابن كثير بأن عبد الله بن أُبى لم يكن ممن خرج فى غزوة تبوك ، بل رجع بطائفة من الجيش ، لكن أيد فى الفتح القول بأنها غزوة تبوك بقوله فى رواية زهير : فى سفر أصاب الناس فيه شدة (فسمعت عبد الله ابن أُبى) ابن سلول رأس المنافقين (يقول : لا تنفقوا على من عند رسول الله) من المهاجرين (حتى ينفضوا) يتفرقوا (من حوله) وسمعته يقول (ولئن رجعنا من عنده) أى إلى المدينة (ليخرجنّ الأعز) يريد نفسه (منها الأذل) يريد الرسول صلى الله

عليه وآله وسلم وأصحابه . قال زيد بن أرقم (فذكرت ذلك)الذى قاله عبدالله بن أبيّ (لعمى) هو سعد بن عبادة كما عند الطبرانى وابن مردويه ، وليس هو عمه حقيقة وإنما هو سيد قومه الخزرج (أولعمر) بن الخطاب بالشك . وعند الترمذى كسائر الرواة بلا شك (فذكره للنبى صلى الله عليه) وآله (وسلم فدعانى) صلى الله عليه وآله وسلم (فحدثته) بذلك (فأرسل رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم إلى عبد الله بن أُبيّ وأصحـــابه) فسألهم عن ذلك (فحلفوا ما قالوا) ذلك (فكذبنى رسول الله صلى الله عليه) وآله(وسلم) بتشديد الذال المعجمة (وصدقه) بتشديد الدال المهملة ، أى صدق عبد الله ابن أُبى (فأصابنى هم لم يصبنى مثله قط) فى الزمن الماضى (فجلست فى البيت ، فقال لى عمى : ما أردت إلى أن كذبك رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) بتشديد المعجمة (ومقتك) وعنـد النسائى : ولامنى قومى (فأنزل الله تعالى : « إذا جاءك المنافقون ») وعند النسائى : فنزلت « الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا » حتى بلغ « لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذل » (فبعث إلىّ النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم فقرأ) ما أنزله الله عليه من ذلك (فقال : إن الله قد صدقك يازيد) وهذا الحديث أخرجه مسلم فى التوبة ، والترمذى فى التفسير وكذا النسائى . ومن فوائد هذا الحديث : ترك مؤاخذة كبراء القوم بالهفوات لئلا تنفر أتباعهم ، والاقتصار على معاتباتهم وقبول أعذارهم وتصديق أيمانهم ، وإن كانت القرائن ترشد إلى خلاف ذلك لما فى ذلك من التأنيس والتأليف . وفيه جواز تبليغ ما لا يجوز للمقول فيه ، ولا يعد نميمة مذمومة إلا إن قصد بذلك الإفساد المطلق ، وأما إذا كانت فيه مصلحة ترجح على المفسدة فلا .

الحديث الثامن والسبعون

وَعَنْهُ فى رِوَايَةٍ قالَ : فَدَعاهُمُ النَّبىُّ صلى الله عليه وسلم لِيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ ، فَلَوَّوْا رُءُوسَهُمْ .

(وعنه) أى عن زيد بن أرقم (فى رواية قال : فدعاهم النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم ليستغفرلهم) مما قالوا (فلووا رءوسهم) عطفوها إعراضاً واستكباراً عن استغفار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

الحديث التاسع والسبعون

وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلأَنْصَارِ ، وَلِأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ ، وَشَكَّ الرَّاوِى فى أَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ .

(وعنه) أى عن زيد بن أرقم (رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يقول : اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ، وشك الراوى) أى عبد الله بن الفضل (فى أبناء أبناء الأنصار) هل ذكرهم أم لا ، وهو ثابت عند مسلم من غير شك .

الحديث الثمانون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللهُ لَكَ » الآيَة .

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالَتْ : كانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَشْرَبُ عَسَلاً عِنْدَ زَيْنَب بِنْتِ جَحْشٍ وَيَمْكُثُ عِنْدَهَا ، فَوَاطَأْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ عَنْ أَيَّتُنَا دَخلَ عَلَيْهَا فَلْتَقلْ لَهُ : أَكَلْتَ مَغَافِيرَ ، إِنِّى أَجِدُ مَعَكَ رِيحَ مَغَافِيرَ . قال : لاَ وَلكِنِّى كُنْتُ أَشْرَبُ عَسَلاً عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ ، فَلَنْ أَعُودَ إِلَيْهِ ، وَقَدْ حَلَفْتُ لا تُخْبِرِى بِذَلِكِ أَحَدًا .

(قوله تعالى : « يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك » الآية) من شرب العسل ، أو مارية القبطية : قال ابن كثير : والصحيح الأول ، وقال الخطابى : الأكثر على الثانى ، ورجحه فى الفتح بأحاديث عن سعيد بن منصور ، والضياء فى المختارة ، والطبرانى فى عشرة النساء ، وابن مردويه ، والنسائى ، ولفظه عن ثابت عن أنس : أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كانت له أمة يطؤها فلم تزل به حفصة وعائشة حتى حرمها ، فأنزل الله تعالى: « يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك » . قال الحافظ : فيحتمل أن تكون الآية نزلت فى السببين معاً .

(عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم يشرب عسلا عند) أُم المؤمنين (زينب ابنة جحش ويمكث عندها ، فواطأت) أى توافقت (أنا وحفصة) أُم المؤمنين بنت عمر (عن أيتنا) أى أىّ زوجة منا (دخل عليها فلتقل له : أكلت مغافير) جمع مغفور بضم الميم ، وليس فى كلامهم مفعول بالضم إلا قليلا ، والمغفور : صمغ حلو ، له رائحة كريهة ، ينضحه شجر يسمى العرفط ، وزاد فى الطلاق من طريق حجاج عن ابن جريج : فدخل على إحداهما فقالت له (إنى أجد منك ريح مغافير ، قال : لا) أى ما أكلت مغافير ، وكان يكره الرائحة الكريهة (ولكنى كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش ، فلن أعود إليه ، وقد حلفت) على عدم شربه (لا تخبرى بذلك أحداً) وقد

اختلف فى التى شرب عندها العسل ، ففى طريق عبيد الله بن عمير أنه كان عند زينب ، وعند البخارى من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة فى الطلاق أنها حفصة بنت عمر ، وعند ابن مردويه من طريق ابن أبى مليكة عن ابن عباس أن شربه كان عند سودة وأن عائشة وحفصة هما اللتان تظاهرتا على وفق مافى رواية عبيد بن عمير ، وإن اختلفا فى صاحبة العسل ، فيحمل على التعدد أو رواية ابن عمير أثبت لموافقة ابن عباس لها على أن المتظاهرتين حفصة وعائشة ، فلو كانت حفصة صاحبة العسل لم تقرن فى المظاهرة بعائشة . وفى كتاب الهبة عن عائشة أن نساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم كن حزبين : أنا وسودة وحفصة وصفية فى حزب ، وزينب بنت جحش وأم سلمة والباقيات فى حزب . وهذا يرجح أن زينب هى صاحبة العسل ، ولذا غارت منها لكونها من غير حزبها ، وقد حققنا البحث فى ذلك فى تفسير هذه الآية فى كتابنا « فتح البيان » وهذا الحديث أخرجه البخارى أيضاً فى الطلاق والأيمان والنذور ، ومسلم فى الطلاق ، وأبو داود فى الأشربة ، والنسائى فى الأيمان والنذور وعشرة النساء والطلاق والتفسير .

الحديث الحادى والثمانون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ » الآية .

عَنْ حارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ الخُزَاعِيِّ قالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ ، أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ .

(قوله تعالى : « عتل بعد ذلك زنيم » الآية) أى غليظ جاف دعى ينسب إلى قوم ليس منهم ، مأخوذ من زنمتى الشاة ، وهما المتدليتان من أذنها وحلقها ، فاستعير للدعى لأنه كالمعلق بما ليس منه ، واختلف فى الذى نزلت فيه ، فقيل : هو الوليد بن المغيرة ، ذكره يحيى بن سلام فى تفسيره ، وقيل : الأسود بن عبد يغوث ، ذكره سنيد بن داود فى تفسيره ، وقيل : الأخنس ابن شريق ، ذكره السهيلى ، وأبعد من قال : إنه عبد الرحمن بن الأسود ، فإنه يصغر عن ذلك ، وقد أسلم وذكر فى الصحابة .

(عن حارثة بن وهب الخزاعى قال : سمعت النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم يقول : ألا أخبركم بأهل الجنة : كل ضعيف متضعف) بكسر العين ، أى متواضع خامل ، وبفتحها ضبطه الدمياطى ، وقال النووى : إنه رواية الأكثرين ، وغلط ابن الجوزى من كسر ، أى يستضعفه الناس أو يحتقرونه. وعند أحمد من حديث حذيفة : الضعيف المتضعف ذو الطمرين لا يؤبه له (لو أقسم على الله لأبره) أى لو حلف يميناً طمعاً فى كرم الله بإبراره لأبره ، أو لو دعاه لأجابه (ألا أخبركم بأهل النار ؟ : كل عتل) فظ غليظ ، أو شديد الخصومة ، أو الفاحش الآثم ، أو الغليظ العنيف ، أو الجموع المنوع ، أو القصير البطن (جوّاظ مستكبر) الكثير اللحم ، المختال فى مشيته ، وقيل الفاجر ، وقيل الأكول ، والمراد كما قال الكرمانى وغيره أن أغلب أهل الجنة هؤلاء ، كما أن أغلب أهل النار القسم الآخر ، وليس المراد الاستيعاب فى الطرفين . وهذا الحديث أخرجه أيضاً فى الأدب والنذور ، ومسلم فى صفة الجنة ، والترمذى فى صفة جهنم ، أعاذنا الله منها بمنه وكرمه ، والنسائى فى التفسير ، وابن ماجه فى الزهد .

الحديث الثانى والثمانون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ» الاية .

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قالَ : سَمِعْتُ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ ،وَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِى الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً ، فَيَذْهَبُ يَسْجُدُ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا .

(قوله تعالى: « يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود » الآية) هو عبارة عن شدة الأمر يوم القيامة للحساب والجزاء . قاله قتادة . وأخرج أبو يعلى بسند فيه ضعف عن أبى موسى مرفوعاً قال عن نور عظيم فيخرون له سجداً . وقال ابن عباس: هو يوم كرب وشدة . وقيل غير ذلك من التأويلات. قال فى الفتح : وفى الجملة لا يظن أن الله ذو أعضاء وجوارح لما فى ذلك من مشابهة المخلوقين ، تعالى الله عن ذلك ، ليس كمثله شيء .

(عن أبى سعيد) سعد بن مالك الأنصارى الخدرى (رضى الله عنه) أنه (قال : سمعت النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم يقول : يكشف ربنا عن ساقه) . وفى رواية للإسماعيلى من طريق حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم : عن ساق . قال الإسماعيلى : هذه أصح لموافقتها لفظ القرآن ، والله تعالى يتعالى عن شبهه المخلوقين . انتهى . ومذهب السلف فى أمثال هذه الصفات الإمرار كما جاءت ولا تؤول كما مرّ مراراً، وهو الحق الحافظ عن الزلات والهفوات المهلكة (فيسجد له) تعالى (كل مؤمن ومؤمنة) متلذذين لا على سبيل التكليف (ويبقى من كان يسجد فى الدنيا رياء) ليراه الناس (وسمعة) ليسمعوه (فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً) لا ينثنى للسجود ولا ينحنى له . قال الهروى : يصير فقارة واحدة كالصحيفة فلا يقدر على السجود .

الحديث الثالث والثمانون

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ بِإِصْبَعَيْهِ هَكَذَا بِالْوُسْطَى وَالَّتِى تَلِى الْإِبْهَامَ : بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ .

(عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم قال بإصبعيه هكذا بالوسطى والتى تلى الإبهام: بعثت أنا والساعة كهاتين) الإصبعين . وفى رواية أبى ضمرة عن أبى حازم عند ابن جرير : وضم بين إصبعيه الوسطى والتى تلى الإبهام وقال : ما مثلى ومثل الساعة إلا كفرسى رهان . قال القاضى عياض : وقد حاول بعضهم فى تأويله أن نسبة ما بين الإصبعين كنسبة ما بقى من الدنيا إلى ما مضى وأن جملتها سبعة آلاف سنة ، واستند إلى أخبار لا تصح ، وذكرما أخرجه أبو داود فى تأخير مدة الأمة نصف يوم ، وفسره بخمسمائة سنة ، فيؤخذ من ذلك أن الذى بقى نصف سبع ، وهو قريب مما بين السبابة والوسطى فى الطول ، قال : وقد ظهر عدم صحة ذلك لوقوع خلافه ومجاوزة هذا المقدار ، فلو كان ذلك ثابتاً لم يقع خلافه . انتهى . والصواب الإعراض عن ذلك . قاله القسطلانى . وقد حققنا هذا المبحث فى كتابنا « لقطة العجلان مما تمس إليه حاجة الإنسان » وآخر كتابنا « يقظة أولى الاعتبار مما ورد فى النار وأهل النار » فعليك بهما إن شئت الاطلاع على ذلك .

الحديث الرابع والثمانون

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : مَثَلُ الَّذِى يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهْوَ حافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ ، وَمَثَلُ الَّذِى يَقْرَأُ وَهْوَ يَتَعَاهَدُهُ وَهْوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ .

(عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه) وآله (وسلم قال: مثل الذى يقرأ القرآن وهو حافظ له) لا يتوقف فيه ولا يشق عليه لجودة حفظه وإتقانه كونه (مع السفرة الكرام) جمع سافر ، ككاتب وكتبة ، وهى الرسـل ، لأنهم يسفرون إلى النـاس برسـالات الله . ولأبى ذر زيادة : البررة ، أى المطيعين ، أو المراد أن يكون رفيقاً للملائكة السفرة لاتصاف بعضهم بحمل كتاب الله ، أو المراد أنه عامل بعملهم وسالك مسالكهم من كون أنهم يحفظونه ويؤدونه إلى المؤمنين ويكشفون لهم ما يلتبس عليهم (ومثل الذى) أى وصفه الذى (يقرأ وهو يتعاهده وهو عليه شديد) لضعف حفظه مثل من يحاول عبادة شاقة يقوم بأعبائها مع شدتها وصعوبتها عليه (فله أجران) أجر القراءة وأجر التعب ، وليس المراد أن أجره أكثر من أجر الماهر ، بل الأول أكثر ، ولذا كان مع السفرة ، ولمن رجح ذلك أن يقول : الأجر على قدر المشقة ، لكن لا نسلم أن الحافظ الماهر خال عن مشقة لأنه لا يصير كذلك إلا بعد عناء كثير ومشقة شديدة غالباً .

الحديث الخامس والثمانون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ » الآية .

عَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قال : يَوْمُ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حَتَّى يَغِيبَ أَحَـدُهُمْ فى رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ .

(قوله تعالى : « يوم يقوم الناس »أى من قبورهم « لرب العالمين» الآية) . لأجل أمره وحسابه وجزائه .

(عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : يوم يقوم الناس لرب العالمين) يوم القيامة وتدنو الشمس منهم مقدار ميل (حتى يغيب أحدهم فى رشحه) عرقه ، لأنه يخرج من بدنه شيئاً فشيئاً كما يترشح الإناء المتحلل الأجزاء . وفى رواية سعيد بن داود : حتى إن العرق يلجم أحدهم (إلى أنصاف أُذنيه) حكى القاضى أبو بكر بن العربى أن كل أحد يقوم عرقه معه ، وهو خلاف المعتاد فى الدنيا ، فإن الجماعة إذا وقفوا فى الأرض المعتادة أخذهم الماء أخذاً واحداً لا يتفاوتون فيه ، وهذا من القدرة التى تخرق العادات والإيمان بها من الواجبات . وقد روى مسلم من حديث المقداد بن الأسود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فتكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق ، فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً .

الحديث السادس والثمانون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا » الآيَة .

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالَتْ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ ، وَبَاقِي الحَدِيثِ تَقَدَّمَ فى كِتَابِ الْعِلْمِ .

(قوله تعالى : « فسوف يحاسب حساباً يسيراً » الآية) .

(عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : ليس أحد يحاسب إلا هلك . وباقى الحديث تقدم فى كتاب العلم) .

الحديث السابع والثمانون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ » الاية .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ، حَالاً بَعْدَ حَالٍ ، قَالَ : هَذَا نَبِيُّكُمْ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ .

(قوله تعالى : « لتركبن طبقاً عن طبق » الآية) .

(عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لتركبن طبقاً عن طبق) أى (حالا بعد حال ، قال : هذا نبيكم صلى الله عليه) وآله (وسلم) يعنى يكون لك الظفر والغلبة على المشركين حتى يختم لك بجميل العاقبة ، فلا يحزنك تكذيبهم وتماديهم فى كفرهم ، وقيل سماء بعد سماء ، كما وقع فى الإسراء ، والمعنى على الجمع : لتركبنّ أيها الناس حالا بعد حال وأمراً بعد أمر ، وذلك فى موقف القيامة أو الشدائد والأهوال : الموت ثم البعث ثم العرض ، أو حال الإنسان حالا بعد حال : رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم كهل ثم شيخ .

الحديث الثامن والثمانون

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَمْعَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَخْطُبُ ، وَذَكَرَ النَّاقَةَ وَالَّذِي عَقَرَهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا » انْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ عارِمٌ مَنِيعٌ فى رَهْطِهِ مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ . وَذَكَرَ النِّسَاءَ فَقَالَ : يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ يَجْلِدُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ ، فَلَعَلَّهُ يُضَاجِعُهَا مِنْ آخِرِ يَوْمِهِ ، ثُمَّ وَعَظَهُمْ فى ضَحِكِهِمْ مِنَ الضَّرْطَةِ ، وَقَالَ : لِمَ يَضْحَكُ أَحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ ، وَفى رِوَايَةٍ مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ عَمِّ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ .

(عن عبد الله بن زمعة) أمه قريبة أخت أم سلمة أم المؤمنين رضى الله عنهما (رضى الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم يخطب) فخطب وذكر ماقصده من الموعظة وغيرها (وذكر الناقة) المذكورة فى هذه السورة ، وهي ناقة صالح (و) ذكر (الذى عقرها) وهو قدار بن سالف ، وهو أُحيمر ثمود الذى قال الله تعالى فيه : « فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر » (فقال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : « إذ انبعث أشقاها » انبعث) قام (لها رجل عزيز) شديد قوى (عارم) جبار صعب مفسد خبيث (منيع) قوىّ ذو منعة (فى رهطه) قومه (مثل أبى زمعة) جد عبد الله بن زمعة المذكور فى عزته ومنعته فى قومه ومات كافراً بمكة (ذكر) عليه السلام فى خطبته (النساء) أى ما يتعلق بهنّ استطراداً، فذكر ما يقع من أزواجهنّ (فقال : يعمد) بكسر الميم ، أى يقصد (أحدكم يجلد امرأته جلد العبد فلعله يضاجعها من آخر يومه) أى يجامعها (ثم وعظهم) عليه السلام (فى ضحكهم من الضرطة وقال : لم يضحك أحدكم مما يفعل) وكانوا فى الجاهلية إذا وقع ذلك من أحد منهم فى مجلس يضحكون ، فنهاهم عن ذلك (وفى رواية : مثل أبى زمعة عمّ الزبير بن العوام) أى عمه مجازاً لأنه الأسود بن المطلب بن أسد ، والعوام بن خويلد بن أسد ، فنزل ابن العم منزلة الأخ ، فأطلق عليه عماً بهذا الاعتبار . كذا جزم الدمياطى باسم أبى زمعة هنا وهو المعتمد . قاله فى فتح البارى .

الحديث التاسع والثمانون

* قَوْلُهُ تَعَالَى : « كَلاَّ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ » الآيَة .

عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ : قالَ أَبُو جَهْلٍ : لَئِنْ رَأَيْتُ مُحَمَّدًا يُصَلِّى عِنْدَ الْكَعْبَةِ ، لَأَطَأَنَّ عَلَى عُنُقِهِ ، فَبَلَغَ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : لَوْ فعَلَهُ لَأَخَذَتْهُ المَلائِكَةُ .

(قوله تعالى : « كلا لئن لم ينته) عما هو عليه من الكفر (لنسفعاً بالناصية الآية ») . لنجرن بناصيته إلى النار .

(عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال أبو جهل) عمرو بن هشام ، ولم يدرك ابن عباس القصة ، فيحمل على سماعه ذلك منه صلى الله عليه وآله وسلم ، لأن مولده قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين ، أو من غيره من الصحابة . وقد أخرج ابن مردويه بإسناد ضعيف عن علىّ بن عبد الله بن عباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب قال : كنت يوماً فى المسجد فأقبل أبو جهل فقال : إن لله علىّ إن رأيت محمداً ساجداً . فذكر الحديث . كذا فى الفتح (لئن رأيت محمداً يصلى عند الكعبة لأطأنّ على عنقه ، فبلغ) ذلك (النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : لو فعله لأخذته الملائكة) وقع عند البلاذرى : نزل اثنا عشر ملكاً من الزبانية ، رءوسهم فى السماء وأرجلهم فى الأرض . وأخرج النسائى من طريق أبى حازم عن أبى هريرة رضى الله عنه نحو حديث ابن‌عباس وزاد فى آخره : فلم يفجأهم منه إلا وهو – أى أبو جهل – ينكص على عقبيه ويتقى بيده ، فقيل له : مالك ؟ قال : إن بينى وبينه لخندقاً من نار وهولا وأجنحة ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : لودنا لا ختطفته الملائكة عضواً عضواً . قال فى الفتح : وإنما شدد الأمر فى حق أبى جهل ، ولم يقع مثل ذلك لعقبة بن أبى معيط حيث طرح سلى الجزور على ظهره صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصلى ، لأنهما وإن اشتركا فى مطلق الأذية حالة صلاته ، لكن زاد أبو جهل بالتهديد ودعوى أهل طاعته وبإرادة وطء العنق الشريف ، وفى ذلك من المبالغة ما اقتضى تعجيل العقوبة له لو فعل ذلك ، ولأن سلى الجزور لم تتحقق نجاستها ، وقد عوقب عقبة بدعائه صلى الله عليه وآله وسلم عليه وعلى من شاركه فى فعله ، فقتلوا يوم بدر .

الحديث التسعون

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : لَمَّا عُرِجَ بالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِلَى السَّمَاءِ قالَ : أُتِيتُ عَلَى نَهْرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ مُجَوَّفًا ، فَقُلْتُ : مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ ؟ قالَ : هَذَا الْكَوْثَرُ .

(عن أنس رضى الله عنه قال : لما عرج بالنبى صلى الله عليه) وآله (وسلم إلى السماء قال : أُتيت على نهر حافتاه) جانباه (قباب اللؤلؤ مجوف ، فقلت : ماهذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر) زاد البيهقى : الذى أعطاك ربك . فأهوى الملك بيده فاستخرج من طينه مسكاً أذفر . وأخرجه البخارى أيضاً فى الرقاق من طريق همام عن أبى هريرة رضى الله عنه . والكوثر : فوعل من الكثرة ، وهو وصف مبالغة فى المفرط الكثرة .

الحديث الحادى والتسعون

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَقَدْ سُئِلَتْ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ » ، قالَتْ : نَهَرٌ أُعْطِيَهُ نَبِيُّكُمْ صلى الله عليه وسلم ، شَاطِئَاهُ عَلَيْهِ دُرٌّ مُجَوَّفٌ ، آنِيَتُهُ كَعَدَدِ النُّجُومِ .

(عن عائشة رضى الله عنها وقد سئلت عن قوله تعالى : « إنا أعطيناك الكوثر ») والسائل عنها أبو عبيدة (قالت) هو (نهر) فى الجنة (أُعطيه نبيكم صلى الله عليه) وآله (وسلم) زاد النسائى : فى بطنان الجنة (شاطئاه) أى جانباه (عليه) أى على الشاطىء (در مجوف آنيته كعدد النجوم) وقد نقل المفسرون فى الكوثر أقوالا تزيد على العشرة ، ذكرناها فى تفسيرنا « فتح البيان فى مقاصد القرآن » ولكن ثبت تخصيصه بالنهر من لفظ النبى صلى الله عليه وآله وسلم فلا يعدل عنه . وفى الفتح مزيد بسط فى أمر الكوثر ، وهل الحوض النبوى هو أو غيره فى كتاب الرقاق ، فإن شئت فراجعه ، وبالله التوفيق .

الحديث الثانى والتسعون

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ المُعَوِّذَتَيْنِ ، فَقَالَ قِيلَ لِي ، فَقُلْتُ : فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم .

(عن أُبى بن كعب رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم عن المعوّذتين ، فقال : قيل لى) بلسان جبريل (فقلت) قال أُبىّ (فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم) وعند الحافظ أبى يعلى عن علقمة قال : كان عبد الله يحك المعوّذتين من المصحف ويقول : إنما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يتعوّذ بهما ، ولم يكن عبد الله يقرأ بهما . ورواه عبد الله بن أحمد عن عبد الرحمن بن يزيد ، وزاد : ويقول إنهما ليستا من كتاب الله . وهذا مشهور عنه كثير من القراء والفقهاء أن ابن مسعود كان لايكتبهما فى مصحفه . وحينئذ فقول النووى فى شرح المهذب : أجمع المسلمون على أن المعوّذتين والفاتحة من القرآن ، وأن من جحد شيئاً منها كفر ، وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح فيه نظر كما نبه عليه فى الفتح ، إذ فيه طعن فى الروايات الصحيحة بغير مستند ، وهو غير مقبول ، وحينئذ فالمصير إلى التأويل أولى . وقد تأوّل أبو بكر البلاقلانى ذلك بأن ابن مسعود لم ينكر قرآنيتهما ، وإنما أنكر إثباتهما فى المصحف ، فإنه كان يرى أن لا يكتب فى المصحف شىء إلا إن كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم أذن فى كتابته فيه ، وكان لم يبلغه الإذن فى ذلك ، فليس فيه جحد لقرآنيتهما ، وتعقب بالرواية السابقة الصريحة التى فيها : ويقول إنهما ليستا من كتاب الله . وأُجيب بإمكان حمل لفظ كتاب الله على المصحف ، فيتمشى التأويل المذكور. قاله فى الفتح . ويحتمل أيضاً أنه لم يسمعهما من النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولم يتواترا عنده ، ثم لعله قد رجع عن قوله ذلك إلى قول الجماعة ، فقد أجمع الصحابة عليهما وأثبتوهما فى المصاحف التى بعثوها إلى سائر الآفاق . قال فى القسطلانى : هذا مما اختلف فيه ثم ارتفع الخلاف ووقع الإجماع

عليه ، فلو أنكر أحد اليوم قرآنيته كفر . وفى مسلم من حديث عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ألم تر آيات أُنزلت هذه الليلة لم يرى مثلهنّ قط : « قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس » . وعنه أيضاً : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أقرأ بالمعوّذات فى دبر كل صلاة . رواه أبو داود والترمذى . وعند النسائى عنه أيضاً أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قرأ بهما فى صلاة الصبح . وقد روى ذلك من طرق تفيد التواتر يطول إيرادها .

تم كتاب التفسير يوم الاثنين لعله الخامس عشر من رمضان سنة ١٢٩٤ الهجرية ، والله أعلم بأسرار كتابه ، يسر الله إكمال هذا المجموع ، ونفع به وجعله خالصاً لوجهه الكريم ، أستودعه تعـالى ذلك فإنه الحفيظ الجواد الكريم .

فهرس الجزء الرابع

من كتاب

عون البارى لحل أدلة البخارى

كتاب بدء الخلق

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صحة

صحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

المطبعة العربية الحديثة
٨ شارع ٤٧ بالمنطقة الصناعية بالعباسية
تليفون : ٨٢٦٢٨٠ القاهرة